

رفع  
عبد الرحمن النخعي  
أسكنه الفردوس  
www.moswarat.com

# سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم

جمع وترتيب  
محمد المصطفى  
أبو عمار

دار النقي

www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

# سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم

جمع وترتيب

(أبو عمار)

محمود المصري

مكتبة التقوى

٥ ش ١٥ مايو - منشية الحرية - شبرا الخيمة

ت: ٤٧١٥٥٠٦ • ٤٧٣١٨٢٤ • ٢٢٢١١٠٣

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

حقوق التوزيع محفوظة لدار التقوى

الطبعة الأولى

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

دار التقوى للإنتاج والتوزيع

ش ١٥ مايو - منشية الحرية - شبرا الخيمة

ت ٤٧١٥٥٠٦ • ٤٧٣١٨٢٤ • ٢٢٣١١٠٣

رقم الإيداع : ٢٠٠٤/٢٨٩٥

الترقيم الدولي : 977-6092-37-3

## إهداء واعتراف لأصحاب الفضل

وكما تعودت دائماً أن أقدم هذا الإهداء والاعتراف لأصحاب الفضل فوالله أنا لا أستطيع أن أنساهم أبداً وذلك من باب قول الحبيب ﷺ: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»<sup>(١)</sup>.

وفي مقدمة الناس جميعاً أقدم هذا الإهداء.  
• إلى أمي الحبيبة (رحمة الله عليها):

وكيف أنساك يا أمي الحبيبة.. يا من ضحيت من أجلى بكل شيء كيف أنسى أيامك العامرة بالعطاء والتضحية والرحمة والحنان.. والله أنا لا أستطيع أن أوفيك حقل ولو كتبت ألف كتاب ولذلك أقول لك: جزاك الله عنى وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء - فهو سبحانه القادر على أن يجزل لك العطاء فى الدارين - فأسأله سبحانه أن يرحمك رحمة واسعة وأن يجعل قبرك روضة من رياض الجنة وأن يجعل أعمالى كلها فى ميزان حسناتك وأن يجمع بينى وبينك فى الجنة.  
• إلى أبى الحبيب (حفظه الله):

أسأل الله - تعالى - أن يُعجّل لك بالشفاء وأن يبارك فى عمرك وأن يرزقنى وإياك - وسائر المسلمين - حسن الخاتمة.. فجزاك الله عنى وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء فلقد كنت ومازلت نعم الأب الرحيم.  
• إلى أصحاب الفضل من علماء الأمة:

إلى أستاذى الذى تعلمت منه الرحمة والأخلاق قبل العلم.

إلى فضيلة الدكتور/ زكى محمد أبو سريع.

إلى فضيلة الشيخ/ محمد حسان.

إلى فضيلة الشيخ/ محمد عبد المقصود.

إلى فضيلة الشيخ/ أبى إسحاق الحوينى.

(١) رواه أحمد والترمذى والضياء عن أبى سعيد وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٥٤١).

إلى فضيلة الدكتور/ سيد حسين العفاني:

جزاكم الله عنى وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء فأنا لا أنسى أبداً فضل واحد منكم ولو كان مجرد كلمة تشجيع أو بسمة عند اللقاء أو دعوة بظهر الغيب أو نصيحة غالية.

• إلى أخى الحبيب الأستاذ/ عادل عبد الوهاب:

جزاك الله خير الجزاء فقد كنت سبباً لخروج هذا الكتاب إلى شمس الحياة فأسأل الله أن يجعله فى ميزان حسناتك فى يوم لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم.

• إلى الأخ الحبيب الأستاذ/ طارق الشوريجى:

إن الأخوة الصادقة عملة نادرة فى هذا الزمان.. فما أجمل أن تلتقى القلوب المؤمنة على المحبة الصادقة فى الله (جل وعلا).

فأسأل الله أن يجمعنى وإياك مع المتحابين (فى الله) فى ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله.

• إلى الأخوين الكريمين الحبيبين/ إمام عرفة وعبد العاطى عرفة..  
حفظهما الله:

جزاكم الله عنى وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وأسأل الله (جل وعلا) أن يرزقنى وإياكما حسن الخاتمة وأن يجمعنا مع النبى ﷺ فى جنة الرحمن التى فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

• إلى زوجتى الغالية/ أم عمار:

جعل الله أيامك عامرة بالعطاء لدينك.. عامرة بالسعادة.. عامرة بالإخلاص..  
وجعل الله آخرتك عامرة بالنعيم والرضوان.

• إلى أبنائى (عمار، وهاجر، وسارة):

أسأل الله - جل وعلا - أن يحفظكم وأن يبارك فيكم وأن يجعلكم من عباده المخلصين الطائعين وأن يستخدمكم لنصرة دينه وأن يجعلكم فى ميزان حسناتى وأن يجمعنى بكم فى جنته ومستقر رحمته.

• إلى كل أخ مسلم وإلى كل أخت مسلمة:

والله ما نسيت الدعاء لكم في صلاتي - وأنا ساجد بين يدي الله - فلا تنسوني من دعوة صالحة بأن يغفر الله لى ذنوبى وأن يرزقنى الإخلاص فى القول والعمل وأن يرزقنى حُسن الخاتمة وأن يجمعنى بكم فى جنته إخواناً على سررٍ متقابلين. فجزاكم الله عنى خير الجزاء فى الدنيا والآخرة.

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

**محمود المصرى**

(أبو عمار)

## بين يدي الكتاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].  
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].  
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: فإن أمر هذه الأمة لا يصلح إلا بما صلح عليه أمر أولها.

\* ومما لا شك فيه أننا جميعاً نعيش زمن الغربة الثاني الذي أخبر عنه الصادق المصدوق ﷺ عندما قال: «إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء»<sup>(١)</sup>.

\* فنحن نعيش مرحلة عصيبة - بكل المقاييس - فلقد انتشرت الشبهات والشهوات وانصرف كثير من الناس عن طاعة رب الأرض والسموات وأصبح المسلم القابض على دينه يعيش كل أنواع الغربة فكان لا بد من رؤية واضحة ليعرف الغرباء أين يقفون وكيف يتحركون وأي طريق يسلكون؟! ولن تتضح تلك الرؤية إلا من خلال وقفة صادقة مع سيرة الصادق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ .. فإن سيرته ﷺ تربط على قلوب الغرباء - بإذن الله - وذلك عندما يتأملون كيف ابتلى النبي ﷺ وكيف صبر وثبت على طريق دعوته المباركة حتى دانت أرض الجزيرة كلها لله (عز وجل).. ومن ثم دانت الأرض كلها لله (جل وعلا).

\* فسيرة النبي ﷺ مثالٌ يُحتذى ونبراسٌ يُقتدى.. وبالوقوف على سيرته ﷺ تحيا القلوب وباقتفاء آثاره تحصل السعادة وتكون القدوة بجميل الخصال ونبيل المآثر والفعال.

(١) أخرجه مسلم عن ابن عمر.



\* وسيرة النبي ﷺ ليست قصة تُتلى ولا مدائح تُنسى في يوم ميلاده كما يفعل كثير من الناس وإنما سيرته منهج حياة متكامل نعرف من خلالها كيف نعيش الأسوة والقدوة الحقيقية وكيف نعيش الحياة الطيبة التي لا تكون إلا في ظل الإيمان بالله (جل وعلا) واقتفاء أثر رسول الله ﷺ بأن نلتزم سنته وأن ندعو بدعوته ﷺ وأن نعرف كيف استطاع النبي ﷺ في فترة وجيزة - لا تساوى في عمر الزمان شيئاً - أن يصنع رجالاً أطيهاراً وأن يقيم بهم دولة للإسلام في وسط هذا الركام الهائل من الجاهلية الجاهلاء.

\* إن الإسلام وحده هو القادر (بإذن الله) على أن يضيء صفحة الكون المظلم وأن يبدد ظلام الجاهلية.. وحسبك إذا أردت أن تعرف حال الناس قبل مبعث النبي ﷺ أن تقرأ تلك الكلمات لتقف على تلك الحقيقة.

ففي الحديث الذي رواه مسلم أن النبي ﷺ قال: «.. إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب».

ولما كان جعفر بن أبي طالب مهاجراً إلى الحبشة ودار هذا الحوار المعروف بينه وبين النجاشي قال له جعفر (رضى الله عنه): «أيها الملك كنا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونقطع الأرحام ونسئ الجوار، يأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً...».

وكذلك تدبر معي قول حذيفة (رضى الله عنه) - كما في البخارى - عندما قال: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير - وذكر الحديث».

\* فالشاهد أن الكون كله كان في جاهلية وشر.. وشاء الله (عز وجل) أن يبعث حبيبه محمداً ﷺ لينقل الكون كله من أدران الشرك والكفران إلى أنوار التوحيد والإيمان فجاء ليملاً القلب إيماناً والعقل حكمة والنفس يقيناً والكون عدلاً والدنيا رحمة والأيام سلاماً والليالي أمنًا.. واستطاع - بإذن الله - أن يحول هذا المجتمع الجاهلى إلى دولة تدين لله (جل وعلا) وأن يصنع رجالاً كان الواحد منهم يساوى أمة بأكملها.

ولذا قال صاحب الظلال - رحمه الله :-

ولقد انتصر محمد بن عبد الله ﷺ ، يوم أن صاغ من فكرة الإسلام شخصاً، وحول إيمانهم بالإسلام عملاً، وطبع من المصحف عشرات من النسخ ثم مئات وألوفاً ولكنه

لم يطبعها بالمداد على صحائف الورق، إنما طبعها بالنور على صحائف من القلوب، وأطلقها تعامل الناس وتأخذ منهم وتعطي، وتقول بالفعل والعمل ما هو الإسلام الذي جاء به محمد بن عبد الله ﷺ من عند الله).

\* فما أحوجنا - والله - في هذا الزمان إلى أن نتعاش مع سيرة النبي ﷺ من أولها لآخرها لنأخذ منها العظة والعبرة ونعيش الأسوة والقُدوة.. فهو الحبيب المصطفى ﷺ الذي اصطفاه الله لنفسه وصنعه ورباه على عينه ليربى به الأمم والأجيال عبر العصور والأزمان.

فهو خاتم الرسل وذروة الصلاح الذي وصل السماء بالأرض، والدنيا بالآخرة.

\* إنه بسيطٌ في عظمته، سهلٌ في هيئته، لا تراه إلاً وتحمه، ولا تخالطه إلاً وترتاح له، حجته القرآن، وقبلته الكعبة، ودينه الحنيفية، ومنهجه الوسط، ودعوته التوحيد، أتى ليضع الآصار والأغلال، وبعث ليحطم الأوثان والأصنام، وأرسل للعالمين رحمة، صاح في أذن الدنيا، فتهاوت على صوته أعمدة البغي، وانهارت بكلماته أبنية الظلم، عاش الفقر فتحلّى بالصبر، وتذرع بالتحمل، فبين بسيرته ضالة الدنيا وحقارتها، وعاش الغنى فشكر المنعم، وواسى الخلق، وعلم البرية فصول الجود، وملاحم البذل<sup>(١)</sup>.

\* فتعالوا بنا لتعاش بقلوبنا وجوارحنا مع سيرة حبيبنا وقُدوتنا وأسوتنا محمد بن عبد الله ﷺ.

\* ولقد حرصت كل الحرص على أن أجمع بين ثنايا هذا الكتاب كل الأحاديث الصحيحة والحسنة لأضع بين يدي إخواني وأخواتي مادة نقية خالية من الأحاديث الضعيفة والموضوعة.. والله وحده هو الذي يعلم قدر الجهد الذي بذلته لأقدم للأمة سيرة الرسول ﷺ صحيحة ويسيرة في آن واحد - أسأل الله أن يتقبل مني هذا الجهد وأن يجعله خالصاً لوجهه - وأنا لا أدعى أنني قدمت للأمة كتاباً يليق بسيرة النبي ﷺ.. كلا.. كلا.. فلو اجتمع علماء الأمة ودعاتها ليقدموا للكون سيرة تليق بقدر ومكانة النبي ﷺ ما استطاعوا.. فقدر النبي ﷺ عظيم وجليل ولا يعرف قدر الحبيب النبي ﷺ إلا الرب العظيم العلي.

فأسأل الله (عز وجل) أن ينفع بهذا الكتاب كل من رام الانتفاع به وأن يجعله حادياً

(١) حدائق ذات بهجة (ص: ١٤) / للشيخ عائض القرني.

لنا للسير فى طريق أهل الإيمان الذين ترتقى قلوبهم إلى درجة الإحسان وترتقى  
أرواحهم وأجسادهم إلى النعيم فى الجنان والفوز بالرضوان فى جنة الرحمن التى فيها  
ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.  
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

**محمود المصرى**

(أبو عمار)

## مزايا السيرة النبوية وأهميتها دراستها

تجمع السيرة النبوية عدة مزايا تجعل دراستها متعة روحية وعقلية وتاريخية، كما تجعل هذه الدراسة ضرورية لعلماء الشريعة والدعاة إلى الله والمهتمين بالإصلاح الاجتماعي، ليضمنوا إيصال الشريعة إلى الناس بأسلوب يجعلهم يرون فيها المعصم الذي يلوذون به عند اضطراب السبل واشتداد العواصف، ولتفتح أمام الدعاة قلوب الناس وأفتدتهم، ويكون الإصلاح الذي يدعو إليه المصلحون أقرب نجاحاً وأكثر سداداً.

ونجمل فيما يلي أبرز مزايا السيرة النبوية:

أولاً: أنها أصح سيرة لتاريخ نبي مرسل، أو عظيم مصلح، فقد وصلت إلينا سيرة رسول الله ﷺ عن أصح الطرق العلمية وأقواها ثبوتاً.

ثانياً: إن حياة رسول الله ﷺ واضحة كل الوضوح في جميع مراحلها، منذ زواج أبيه عبد الله بأمه آمنة... إلى وفاته ﷺ، فنحن نعرف الشيء الكثير عن ولادته، وطفولته وشبابه، ومكسبه قبل النبوة، ورحلاته خارج مكة، إلى أن بعثه الله رسولا كريماً، ثم نعرف بشكل أدق وأوضح وأكمل كل أحواله بعد ذلك سنة فسنة، مما يجعل سيرته عليه الصلاة والسلام واضحة وضوح الشمس.

ثالثاً: إن سيرة رسول الله ﷺ تحكى سيرة إنسان أكرمه الله بالرسالة، فلم تُخرجه عن إنسانيته، ولم تُلحق حياته بالأساطير، ولم تضاف عليه الألوهية قليلاً ولا كثيراً، وإذا قارناً هذا بما يرويه المسيحيون عن سيرة عيسى عليه السلام، وما يرويه البوذيون عن بوذا، والوثنيون عن آلهتهم المعبودة، اتضح لنا الفرق جلياً بين سيرته عليه السلام وسيرة هؤلاء.

رابعاً: إن سيرة رسول الله ﷺ شاملة لكل النواحي الإنسانية في الإنسان، فهي تحكى لنا سيرة محمد الشاب الأمين المستقيم قبل أن يكرمه الله بالرسالة، كما تحكى لنا سيرة رسول الله الداعية إلى الله الملتمس أجدى الوسائل لقبول دعوته، الباذل منتهى طاقته وجهده في إيصال رسالته.. كما تحكى لنا سيرة الرسول المرشد الذي يشرف على تربية أصحابه تربية مثالية ينقل فيها من روحه إلى أرواحهم، ومن نفسه إلى نفوسهم، ما يجعلهم يحاولون الاقتداء به في دقيق الأمور وكبيرها.

وسيرته تحكى لنا سيرة المحارب الشجاع، والقائد المنتصر، والسياسى الناجح، والجار الأمين، والمعاهد الصادق.

وقصارى القول: إن سيرة رسول الله ﷺ شاملة لجميع النواحي الإنسانية فى المجتمع، مما يجعله القدوة الصالحة لكل داعية، وكل قائد، وكل أب، وكل زوج، وكل صديق، وكل مربى، وكل سياسى، وكل رئيس دولة، وهكذا.

خاصة: إن سيرة محمد ﷺ وحدها تعطينا الدليل الذى لا ريب فيه على صدق رسالته ونبوته، إنها سيرة إنسان كامل سار بدعوته من نصر إلى نصر، لا على طريق الخوارق والمعجزات، بل عن طريق طبيعى بحت، فلقد دعا فأوذى، وبلغ فأصبح له الأنصار، واضطر إلى الحرب فحارب، وكان حكيماً، موفقاً فى قيادته، فما أزفت ساعة وفاته إلا كانت دعوته تلف الجزيرة العربية كلها عن طريق الإيمان، لا عن طريق القهر والغلبة<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

#### • أهمية دراسة السيرة النبوية:

وأما عن أهمية دراسة السيرة النبوية فهى كثيرة ومنها:

١ - فهم شخصية الرسول ﷺ (النبوية) من خلال حياته وظروفه التى عاش فيها، للتأكد من أن محمداً عليه الصلاة والسلام لم يكن مجرد عبقرى سمت به عبقريته بين قومه، ولكنه قبل ذلك رسول أيدته الله بوحي من عنده وتوفيق من لدنه.

٢ - أن يجد الإنسان بين يديه صورة للمثل الأعلى فى كل شأن من شؤون الحياة الفاضلة، كى يجعل منها دستوراً يتمسك به ويسير عليه ولا ريب أن الإنسان مهما بحث عن مثل أعلى فى ناحية من نواحي الحياة فإنه واجد كل ذلك فى حياة رسول الله ﷺ على أعظم ما يكون من الوضوح والكمال. ولذا جعله الله قدوة للإنسانية كلها إذ قال:

﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة﴾ [الأحزاب: ٢١].

٣ - أن يجد الإنسان فى دراسة سيرته عليه الصلاة والسلام ما يعينه على فهم كتاب الله تعالى وتذوق روحه ومقاصده، إذ أن كثيراً من آيات القرآن إنما تفسرها وتجليها الأحداث التى مرت برسول الله ﷺ ومواقفه منها.

(١) السيرة النبوية دروس وعبر/ د. مصطفى السباعى (ص ٩: ١٢) بتصرف.

٤ - أن يتجمع لدى المسلم من خلال دراسة سيرته ﷺ أكبر قدر من الثقافة والمعارف الإسلامية الصحيحة، سواء ما كان منها متعلقاً بالعقيدة أو الأحكام أو الأخلاق، إذ لا ريب أن حياته عليه الصلاة والسلام إنما هي صورة مجسدة نيرة لمجموع مبادئ الإسلام وأحكامه.

٥ - أن يكون لدى المعلم والداعية الإسلامي نموذج حيّ عن طرائق التربية والتعليم، فلقد كان محمد ﷺ معلماً ناصحاً ومربياً فاضلاً لم يأل جهداً في تلمس أجدى الطرق الصالحة إلى كل من التربية والتعليم خلال مختلف مراحل دعوته.

وإن من أهم ما يجعل سيرته ﷺ وافية بتحقيق هذه الأهداف كلها أن حياته عليه الصلاة والسلام شاملة لكل النواحي الإنسانية والاجتماعية التي توجد في الإنسان من حيث إنه فرد مستقل بذاته أو من حيث إنه عضو فعال في المجتمع<sup>(١)</sup>.

٦ - أن السيرة منهج حياة للفرد والأسرة والمجتمع.

٧ - أننا نعرف من خلال السيرة قدر النبي ﷺ ومكانته وكيف أن الله (عز وجل) عصمه من الناس وأيده بالملائكة في يوم بدر والأحزاب وحنين.

٨ - وكذلك نعرف من خلال السيرة قدر أصحابه (رضى الله عنهم) وكيف أنهم ضحوا من أجل هذا الدين العظيم بأنفسهم ودمائهم وأموالهم وأولادهم من أجل إعلاء كلمة (لا إله إلا الله).

٩ - أن السيرة في ذاتها هي معجزة من معجزات الرسول ﷺ.

١٠ - معرفة أسباب النصر وأسباب الهزيمة وذلك من خلال الوقوف على الغزوات وما حدث فيها.

١١ - معرفة الطريق الأمثل لإزالة غربة الإسلام الثانية فإن النبي ﷺ لما قال: «إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ» كان هذا الحديث بشارة عظيمة لنصرة الإسلام في عصرنا هذا.. وذلك لأن الإسلام بدأ غريباً في عهد النبي ﷺ فاستطاع النبي ﷺ - بإذن الله - أن يزيل غربة الإسلام في فترة وجيزة وأن يقيم للإسلام دولة مازال نورها يسطع في جبين الزمان حتى يومنا هذا.. فكذلك سيعود الإسلام غريباً وستزول غربته مرة أخرى وستعود العزة للمسلمين مرة أخرى.. كيف ذلك؟ من خلال دراسة

(١) فقه السيرة للبوطي (ص: ١٥ - ١٦).

السيرة لنعرف كيف أزال النبي ﷺ وأصحابه غُربتهم الأولى لنُزيل نحن غربتنا الثانية -  
ياذن الله -.

فأسأله (جل وعلا) أن يُزيل غربتنا وأن ينصر المسلمين في كل مكان وأن يردّ إلينا  
المسجد الأقصى وأن يطهر الأرض كلها من دنس اليهود وأن يرد المسلمين إليه رداً  
جميلاً وأن يُحكّم فينا كتابه وسُنّة نبيه ﷺ وأن يرزقنا جميعاً حُسن الخاتمة وأن يجمعنا  
بالحبيب ﷺ في جنته ومستقر رحمته فلقد اشتاقت قلوبنا إلى رؤية النبي ﷺ وأصحابه  
الطيبين.. اللهم لا تحرمننا رؤيتهم وصُحبتهم في الجنة ولا تحرمننا لذه النظر إلى وجهك  
الكريم برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

\*\*\*





## النسب الشريف للنبي ﷺ

\* قال الإمام البخارى رحمه الله: «هو أبو القاسم، محمد بن عبد الله، بن عبد المطلب، بن هاشم، بن عبد مناف، بن قُصى، بن كلاب، بن مُرة، بن كعب، بن لؤى، بن غالب، بن فهر، بن مالك بن النضر، بن كنانة، بن خزيمة، بن مدركة بن إلياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان»<sup>(١)</sup>.

\* قال ابن حزم: وعدنان بلا شك من ولد إسماعيل الذبيح رسول الله بن إبراهيم خليل الله ورسوله صلى الله على سيدنا محمد وعليهما وعلى جميع رسله وأنبيائه<sup>(٢)</sup>.

\* وقال ابن القيم: بعد ذكر النسب إلى عدنان أيضاً: «إلى ها هنا معلوم الصحة، متفق عليه بين النسابين، ولا خلاف ألبته، وما فوق عدنان مختلف فيه، ولا خلاف بينهم أن عدنان من ولد إسماعيل عليه السلام»<sup>(٣)</sup>.

\* وقال الذهبى - رحمه الله - فى كتابه السيرة النبوية: «وعدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام بإجماع الناس، لكن اختلفوا فيما بين عدنان وإسماعيل من الآباء»<sup>(٤)</sup>.

\* وقال ابن كثير - رحمه الله -: وذلك أنه (أى إبراهيم عليه السلام) وُلد له لصلبه ولدان ذكران عظيمان: إسماعيل من هاجر، ثم إسحاق من سارة وولد له يعقوب أى من إسحاق كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ﴾ [هود: ٧١] - وهو إسرائيل - الذى ينتسب إليه سائر أسباطهم، فكانت فيهم النبوة وكثروا جداً، بحيث لا يعلم عددهم إلا الذى بعثهم واختصهم بالرسالة والنبوة، حتى ختموا بعيسى بن مريم من بنى إسرائيل.

(١) أخرجه البخارى (٣٨٥١) مناقب الأنصار/ باب: مبعث النبي ﷺ.

(٢) جوامع السيرة/ لابن حزم (٢) ط. فيصل آباد باكستان. بتحقيق أحمد شاکر.

(٣) زاد المعاد (١/٧١). ط. مؤسسة الرسالة.

(٤) الذهبى فى السيرة النبوية (ص: ١).

وأما إسماعيل عليه السلام فكانت منه العرب على اختلاف قبائلها، كما سنيته فيما بعد إن شاء الله تعالى ولم يوجد من سلالته من الأنبياء سوى خاتمهم على الإطلاق وسيدهم وفخر بني آدم في الدنيا والآخرة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشي المكي ثم المدني ﷺ .

فلم يوجد من هذا الفرع الشريف، والغصن المنيف، سوى هذه الجوهرة الباهرة، والدررة الزاهرة، وواسطة العقد الفاخرة، وهو السيد الذي يفتخر به أهل الجمع، ويغبطه الأولون والآخرون يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

### مكانة النبي ﷺ بين قومه

لقد كان النبي ﷺ في خير قبيلة وأشرف نسب .. وهكذا الأنبياء يكونون أشرف الناس نسباً وأكمل الناس خلقاً وحلقاً.

لذا سأل هرقل أبا سفيان بن حرب عن نسب النبي ﷺ فقال: كيف نسبه فيكم؟ فقال أبو سفيان: هو فينا ذو نسب. ثم قال: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تُبعث في نسب قومها»<sup>(٢)</sup>.

\* وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله ﷺ: (بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْنًا فَرْنًا، حَتَّى بَعِثْتُ مِنَ الْقَرْنِ (٣) الَّذِي كُنْتُ فِيهِ) (٤).

\* وعن واثلة بن الأسقع - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أن النبي ﷺ قال: (إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشِ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ) (٥).

\* وفي فضل قريش عن أم هانئ مرفوعاً «فَضَّلَ اللهُ قُرَيْشًا بِسَبْعِ خِصَالٍ: فَضْلَهُمْ بَأَنْ عَبَدُوا اللَّهَ عَشْرَ سِنِينَ لَا يَعْْبُدُهُ إِلَّا قُرَشِيٌّ، وَفَضْلَهُمْ بَأَنْ نَصَرَهُمْ يَوْمَ الْفِيلِ وَهُمْ

(١) قصص الأنبياء لابن كثير (ص: ١٧٥) ط. دار عمر بن الخطاب.

(٢) أخرجه البخاري (٤٢/١) بدء الوحي.

(٣) القرن: كل طبقة مقترنين في وقت، وقيل قرن: لأنه يقرب أمة بأمة وعالمًا بعالم، وقيل القرن: ثمانون سنة، وقيل أربعون، وقيل مائة سنة.

(٤) أخرجه البخاري في المناقب، باب صفة النبي ﷺ رقم: (٣٥٥٧).

(٥) أخرجه مسلم (٢٧٧٦) كتاب الفضائل.

مشركون، وفضلهم بأن نزلت فيهم سورة من القرآن لم يدخل فيها غيرهم ﴿لإيلاف قريش﴾ [قريش: ١]، وفضلهم بأن فيهم النبوة والخلافة والحجاجة والسقاية»<sup>(١)</sup>.

\* وعن الأشعث بن قيس - رضى الله عنه - قال: (أتيت رسول الله ﷺ فى وفد، ولا يرونى إلا أفضلهم، فقلت: يا رسول الله! أستم منا؟ فقال: (نحن بنو النضر بن كنانة، لا نقفو أمنا)<sup>(٢)</sup>، ولا نتفى من أيينا) فكان الأشعث يقول: «لا أوتى برجل نفى قريشاً من النضر بن كنانة إلا جلده الحد»<sup>(٣)</sup>.

\* وعن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب قال: أتى أناس من الأنصار إلى النبي ﷺ فقالوا: إنا لنسمع من قومك حتى يقول القائل منهم إنما مثل محمد مثل نخلة نبتت فى كباء<sup>(٤)</sup>، فقال رسول الله ﷺ: (أيها الناس من أنا؟ قالوا أنت رسول الله ﷺ. قال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب - قال فما سمعناه، قط ينتمى قبلها - إلا أن الله - عزَّ وجلَّ - خلق خلقه، فجعلنى من خير خلقه، ثم فرقهم فرقتين، فجعلنى من خير الفرقتين، ثم جعلهم قبائل، فجعلنى من خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتاً، فجعلنى من خيرهم بيتاً، وأنا خيركم بيتاً، وخيركم نفساً)<sup>(٥)</sup>.

\* وعن كليب بن وائل قال: حدثتني ربيعة النبي ﷺ زينب بنت أبى سلمة قال: «قلت لها: أرايت النبي ﷺ أكان من مضر؟ قالت: فمن كان إلا من مضر، من بنى النضر بن كنانة»<sup>(٦)</sup>.

(١) رواه البخارى فى التاريخ الكبير (٣٤١/١/١)، وابن عدى فى الكامل (٢٦٢/١)، والحاكم (٥٣٦/٢)، (٥٤/٤) وحسنه الألبانى لشواهده فى الصحيحة رقم (١٩٤٤).

(٢) نقفو امنا: أى لا نتمهما، ولا نقذفها.

(٣) أخرجه ابن ماجه فى الحدود: باب من نفى رجلاً من قبيلة: (٢٦١٢)، والبخارى فى التاريخ الكبير: (٢٧٤/١/٤)، وابن سعد فى الطبقات (٢٣/١)، وأحمد فى المسند: (٢١٢، ٢١١/٥) من طريق حماد ابن سلمة، عن عقيل بن طلحة السلمى، عن مسلم بن هيصم، عن الأشعث بن قيس به، وقال البوصيرى فى الزوائد: إسناد صحيح، رجاله ثقات، لأن عقيل بن طلحة وثقه ابن معين والنسائى، وذكره ابن حبان فى الثقات، وباقى رجال السند على شرط مسلم. قلت: وفى المسند قوله: (لا يرون أى أفضلهم) من غير إلا وفيه تصحيف، والعبارة الصحيحة ما أثبتناه.

(٤) الكباء: الكناسة.

(٥) رواه الترمذى وأحمد وقال الهيثمى فى المجمع (٢١٥ - ٢١٦): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح - والحديث صحيح.

(٦) أخرجه البخارى فى كتاب المناقب باب قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾ برقم: (٣٤٩١، ٣٤٩٢).

\* بل لقد كان الحجر يعرف قدر النبي ﷺ فكان يسلم عليه قبل البعثة.  
 فعن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يُسَلِّمُ  
 عليَّ قبل أن أُبعث إني لأعرفه الآن» (١). (٢)

### خاتم النبيين ﷺ

عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى  
 بنياناً فأحسنه وأجمله. إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه. فجعل الناس يطوفون به  
 ويعجبون له ويقولون: هلا وُضعت هذه اللبنة! قال: فأنا اللبنة. وأنا خاتم النبيين» (٣).

### الصفات الخلقية للحبيب ﷺ

كان رسول الله ﷺ أزهر اللون (أبيض مستنير مائل إلى الحمرة) واسع الجبين، أدهج  
 العينين [الدهج شدة سواد العينين مع سعتهما]، وقيل أكحل، أهدب الأشفار (طويل  
 الأشفار) مفلج الأسنان كَثَّ اللحية تملأ صدره، عظيم المنكبين، رحب الكفين والقدمين،  
 ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد، رجل الشعر (في شعره حجونة أي ثن قليل)  
 يضرب شعره إلى منكبيه، إذا تكلم رأى كالنور يخرج من ثناياه.

ضخم الرأس والكراديس في وجهه تدوير، ذا مشربة (وهي الشعر الدقيق من الصدر  
 إلى السرة كالقضب) إذا مشى تقلع كأنما ينحط في صلب [أي يمشى بقوة، والصبب  
 الحدور]، يتلألاً وجهه كالقمر ليلة البدر، حسن الصوت، سهل الخدين، ضليع الفم،  
 سواء البطن والصدر، أشهر المنكبين والذراعين وأعلى الصدر طويل الزندين، رحب  
 الراحة، منهوس العقبين (أي قليل لحم العقب) بين كتفيه خاتم النبوة كزر الحجلة،

(١) أخرجه مسلم (٢٢٧٧) كتاب الفضائل.

(٢) قال الإمام النووي - رحمه الله -: قوله ﷺ: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليَّ قبل أن أُبعث، إني  
 لأعرفه الآن» فيه معجزة له ﷺ وفي هذا إثبات التمييز في بعض الجمادات، وهو موافق لقوله تعالى في  
 الحجارة ﴿وإن منها لما يهبط من خشية الله﴾ وقوله تعالى ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ وفي هذه  
 الآية خلاف مشهور، والصحيح أنه يسبح حقيقة، ويجعل الله تعالى فيه تمييزاً بحسبه ومنه الحجر الذي فر  
 ثوب موسى ﷺ، وكلام الذراع المسمومة، ومشى إحدى الشجرتين إلى الأخرى حين دعاها النبي ﷺ  
 وأشبه ذلك. [مسلم بشرح النووي (٥٣/١٥)].

(٣) أخرجه مسلم (٢٢) (٢٢٨٦) كتاب الفضائل.

وكبيضة الحمامة، وكان إذا مشى كأنما تطوى له الأرض ويجدون في لحاقه وهو غير مكترث، وكان يسدل شعر رأسه ثم فرقه، وكان يرجله ويسرح لحيته، ويكتحل بالإثمد كل ليلة في كل عين ثلاثة أطراف عند النوم»<sup>(١)</sup>.

\* عن جابر بن سمرة. قال: صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى. ثم خرج إلى أهله وخرجت معه. فاستقبله ولدان. فجعل يمسح خدي أحدهم واحداً. واحداً، قال: وأما أنا فمسح خدي. قال: فوجدت ليده برداً أو ريحاً كأنما أخرجها من جُؤنة عطار<sup>(٢)</sup>.

\* عن أنس، قال: كان رسول الله ﷺ أزهر اللون. كأن عرقه اللؤلؤ. إذا مشى تكفأً ولا مسست ديباجة ولا حريرة ألين من كف رسول الله ﷺ. ولا شممت مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup>.

\* وعن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال: سمعت أنس بن مالك يصف النبي ﷺ قال: كان ربعة من القوم، ليس بالطويل ولا بالقصير، أزهر اللون ليس بأبيض أمهق ولا آدم، ليس بجعد قطط ولا سبط رجل أنزل عليه وهو ابن أربعين، فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه، وبالمدينة عشر سنين، وقُبض وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء، قال ربيعة: فرأيت شعراً من شعره فإذا هو أحمر فسألت فقيل إحمراً من الطيب<sup>(٤)</sup>.<sup>(٥)</sup>

\* وعن أبي الطفيل قال: رأيت رسول الله ﷺ وما على وجه الأرض رجل رآه غيري. قال (الجريري) فقلت له: كيف رأيت؟ قال كان أبيض مليحاً مقصداً<sup>(٦)</sup>.

\* وعن البراء قال: ما رأيت من ذي لمة أحسن في حلة حمراء من رسول الله ﷺ،

(١) الإعلام بما في دين النصارى من فساد وأوهام (٢٩١: ٢٩٢) للقرطبي - تهذيب الأسماء واللغات للنووي

(١/ ٢٥: ٢٦) - جوامع السيرة لابن حزم (٢١/ ٢٢).

(٢) أخرجه مسلم (٨٠) (٢٣٢٩) كتاب الفضائل.

(٣) أخرجه مسلم (٨٢) (٢٣٣٠) كتاب الفضائل.

(٤) أخرجه البخارى (٦/ ٦٥٢) المناقب - ومسلم (١٥/ ١٠٠) الفضائل بمعناه.

(٥) قال الإمام النووي - رحمه الله -: قوله (ليس بالطويل البائن ولا بالقصير) المراد (بالبائن) زائد الطول أى

هو بين زائد الطول والقصير، وهو بمعنى ما سبق أنه كان مقصداً.

قوله: (ولا الأبيض الأمهق ولا بالأدم) (الأمهق) بالميم هو شديد البياض كلون الجص وهو كره المنظر

وربما توهمه الناظر أبرص و (الأدم) الأسمر معناه ليس بأسمر، ولا بأبيض كره البياض بل أبيض بياضاً

نيراً كما قال في الحديث السابق أنه ﷺ كان أزهر اللون.

(٦) رواه مسلم (٩٣/ ١٥) الفضائل.

شعره يضرب منكبيه، بعيد ما بين المنكبين، ليس بالطويل ولا بالقصير<sup>(١)</sup>.

\* وعن البراء قال: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهًا وأحسنه خلقًا، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير»<sup>(٢)</sup>.

\* وعن أبي إسحاق قال: سئل البراء: أكان وجه النبي ﷺ مثل السيف؟ قال: لا، بل مثل القمر»<sup>(٣)</sup>.

\* وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: «كان النبي ﷺ أشد حياء من العذراء فى خدرها»<sup>(٤)</sup>.

\* وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يسدل شعره، وكان المشركون يفرقون رؤوسهم، وكان أهل الكتاب يسدلون رؤوسهم، وكان رسول الله ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء، ثم فرق رسول الله ﷺ رأسه»<sup>(٥)</sup>.

\* وعن عبد الله بن كعب قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن تبوك قال: «فلما سلمت على رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور، وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه»<sup>(٦)</sup>.

\* وعن أنس بن مالك. قال: دخل علينا النبي ﷺ فقال عندنا. فعرق. وجاءت أُمى بقرورة. فجعلت تسلت العرق فيها. فاستيقظ النبي ﷺ فقال: «يا أم سليم! ما هذا الذى تصنعين؟» قالت: هذا عرقك نجعله فى طيبنا وهو من أطيب الطيب<sup>(٧)</sup> - الطيب: العطر -  
\* وفى رواية أنه قال: ففرع النبي ﷺ فقال: «ما تصنعين؟ يا أم سليم!» فقالت: يا رسول الله! نرجو بركته لصبياننا. قال: «أصبت»<sup>(٨)</sup>.

\*\*\*

(١) رواه مسلم (٩١/١٥) الفضائل، والترمذى (١١٥/١٣)، المناقب.

(٢) رواه البخارى (٦٥٢/٦) المناقب، ومسلم (٩٢/١٥) الفضائل.

(٣) رواه البخارى (٦٥٣/٦) المناقب، والترمذى (١١٦/١٣) المناقب.

(٤) أخرجه البخارى (٦٥٤/٦) المناقب.

(٥) رواه البخارى (٦٥٤/٦) المناقب، ومسلم (٩٠/١٥) الفضائل.

(٦) رواه البخارى (٦٥٣/٦) المناقب.

(٧) أخرجه مسلم (٨٣) (٢٣٣١) كتاب الفضائل.

(٨) أخرجه مسلم (٨٤) (٢٣٣١) كتاب الفضائل.

## وانك لعلی خلق عظیم

كان النبي ﷺ يمتاز بفصاحة اللسان وبلاغة القول.

\* وكان الحلم والاحتمال، والعفو عند المقدرة، والصبر على المكاره، صفات أدبه الله بها، وكل حلیم قد عُرفت منه زلة، وحُفظت عنه هفوة، ولكنه ﷺ لم يزد مع كثرة الأذى إلا صبراً، وعلى إسراف الجاهل إلا حِلماً.

قالت عائشة: ما خَيْرُ رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه، وما انتقم لنفسه إلا أن تُتتهك حرمة الله فينتقم لله بها<sup>(١)</sup>، وكان أبعد الناس غضباً وأسرعهم رضاً.

وكان من صفة الجود والكرم على ما لا يقادر قدره كان يعطى عطاء من لا يخاف فقراً، قال ابن عباس: كان النبي ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة<sup>(٢)</sup>.

وكان من الشجاعة والنجدة والبأس بالمكان الذي لا يُجهل، كان أشجع الناس، حضر المواقف الصعبة، وفرَّ عنه الكمأة والأبطال غير مرة، وهو ثابت لا يبرح، ومقبل لا يدبر، ولا يتزحزح، وما شجاع إلا وقد أُحصيت له فرة، وحفظت عنه جولة سواه، قال علي: كنا إذا حمى البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه<sup>(٣)</sup>. قال أنس: فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً، وقد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرس لأبي طلحة عري، في عنقه السيف، وهو يقول: «لم تراعوا، لم تراعوا»<sup>(٤)</sup>.

وكان أشد الناس حياءً وإغضاءً، وقال أبو سعيد الخدري: كان أشد حياءً من العذراء

(١) أخرجه البخاري (٣٥٦٠)، ومسلم (٢٣٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦)، ومسلم (٥٠) (٢٣٠٨).

(٣) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٨٦٣٩/٥)، وأحمد (٨٦/١، ١٢٦، ١٥٦)، وأبو يعلى (٣٠٢/١)، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي» (ص ٥٧)، ويشهد له حديث البراء - عند مسلم (٧٩) (١٧٧٦) - قال: كنا، والله! إذا احمر البأس تنقَى به، وإن الشجاع منا للذي يُحاذى به. يعني: النبي ﷺ.

(٤) أخرجه البخاري (٢٩٠٨)، ومسلم (٤٨) (٢٣٠٧)، والترمذي (١٦٨٧)، والنسائي في «الكبرى» (٨٨٢٩/٥)، وابن ماجه (٢٧٧٢)، وأحمد (١٢٥١٦) (١٤٧/٣).

في خدرها، وإذا كره شيئاً عُرف في وجهه<sup>(١)</sup>، وكان لا يثبت نظره في وجه أحد، خافض الطرف لا يشافه أحداً بما يكرهه حياءً وكرم نفس، وكان لا يسمى رجلاً بلغ عنه شيء يكرهه: بل يقول، «ما بال أقوام يصنعون كذا»<sup>(٢)</sup>.

وكان أحق الناس بقول الفرزدق:

يفضى حياءً ويفضى من مهابته  
فلا يكلم إلا حين يتسم

وكان أعدل الناس، وأعفهم، وأصدقهم لهجة، وأعظمهم أمانة، اعترف له بذلك محاوروه وأعداؤه، وكان يسمى قبل نبوته الأمين، ويُتحاكم إليه في الجاهلية قبل الإسلام.

وكان أشد الناس تواضعاً، وأبعدهم عن الكبر، يمنع عن القيام له كما يقومون للملوك وكان يعود المساكين، ويجالس الفقراء، ويجيب دعوة العبد، ويجلس في أصحابه كأحدهم، قالت عائشة: كان يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل بيده كما يعمل أحدكم في بيته<sup>(٣)</sup>، وكان بشراً من البشر يفلى ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه<sup>(٤)</sup>.

كان أوفى الناس بالعهود، وأوصلهم للرحم، وأعظمهم شفقة ورأفة ورحمة بالناس، وأحسن الناس عشرة وأدباً، وأبسط الناس خلقاً، أبعدهم الناس من سوء الأخلاق، لم يكن فاحشاً، ولا متفحشاً، ولا لعاناً، ولا صخاباً في الأسواق، ولا يجزي السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح<sup>(٥)</sup>، وكان لا يدع أحداً يمشى خلفه، وكان لا يترفع على عبده وإمائه في مآكل ولا ملابس، ويخدم من خدمه، ولم يقل لخدمه أف قط، ولم يعاتبه على

(١) أخرجه البخارى (٣٥٦٢)، ومسلم (٦٧) (٢٣٢٠)، وابن ماجه (٤١٨٠)، وأحمد (١١٧٠٠) (٧١/٣).

(٢) ورد هذا الخلق الحميد في أحاديث كثيرة، انظر على سبيل المثال: صحيح البخارى (٧٥٠)، وصحيح مسلم (٥) (١٤٠١)، وسنن أبي داود (٣٩٣٠)، وسنن ابن ماجه (٢٠١٧).

(٣) أخرجه أحمد (٢٤٨٦١) (١٠٦/٦)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (١٤٨٢)، وأبو الشيخ (ص ٢١)، وأبو يعلى (٤٦٥٣/٨)، وصححه ابن حبان (٥٦٧٦/١٢، ٥٦٧٧)، والألبانى في «صحيح الأدب المفرد» (٤١٩).

(٤) أخرجه أحمد (٢٦٣٠٤) (٢٥٦/٦)، والترمذى في «الشمائل» (٣٤٢)، والبخارى في «الأدب المفرد» (٥٤١)، والبيهقي في «شرح السنة» (٣٦٧٦)، وصححه ابن حبان (٥٦٧٥/١٢)، والألبانى في «الصحيحة» (٦٧١/٢).

(٥) أخرجه الترمذى (٢٠١٧)، وفي «الشمائل» (٣٣٠)، وأحمد (٢٥٥٢٤) (١٧٤/٦) من حديث عائشة وقال الترمذى: «حديث حسن صحيح» وبنحوه أخرجه البخارى (٢١٢٥)، وأحمد (١٧٤/٢) من حديث عبد الله بن عمرو.



فعل شيء أو تركه<sup>(١)</sup>، وكان يحب المساكين ويجالسهم ويشهد جنازتهم، ولا يحقر فقيراً لفقره.

وعلى الجملة فقد كان النبي ﷺ مُحَلَّى بصفات الكمال المنقطعة النظير، وأدبه ربه فأحسن تأديبه، حتى خاطبه مثنياً عليه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وكانت هذه الخلال مما قرب إليه النفوس، وحببه إلى القلوب، وصيره قائداً تهوى إليه الأفئدة، وألان من شكيمته قومه بعد الإباء، حتى دخلوا في دين الله أفواجاً<sup>(٢)</sup>.

وحسبه أن الله (عز وجل) جمع له ذلك كله بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

### أسماء النبي ﷺ وكناه

عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن لي أسماء. أنا محمد. وأنا أحمد. وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر. وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمي. وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد». وقد سماه الله رءوفاً رحيماً<sup>(٣)</sup>.

\* قال الإمام النووي: قوله ﷺ: (وأنا الماحي الذي يمحو بي الكفر) قال العلماء: المراد محو الكفر من مكة والمدينة وسائر بلاد العرب، وما زوى له ﷺ من الأرض، ووعد أن يبلغه ملك أمته. قالوا: ويحتمل أن المراد المحو العام بمعنى الظهور بالحجة، والغلبة كما قال تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [الفتح: ٢٨]، وجاء في حديث آخر تفسير الماحي بأنه الذي مُحيت به سيئات من اتبعه فقد يكون المراد بمحو الكفر هذا، ويكون كقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُعَفَّرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، وفي الحديث الصحيح «الإسلام يهدم ما كان قبله»<sup>(٤)</sup>.

\* قوله: «وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على عقبي» أي على أثري، أي أنه يُحشر قبل الناس، وهو موافق لقوله في الرواية الأخرى «يُحشر الناس على قدمي» ويحتمل أن يكون المراد بالقدم الزمان أي وقت قيامي على قدمي بظهور علامات الحشر، إشارة إلى

(١) أخرجه البخاري (٢٧٦٨)، ومسلم (٢٣٠٩)، وأحمد (١٢٠٠٦) (١٠١/٣) وغيرهم من حديث أنس.

(٢) الرحيق المختوم (ص: ٥٣٢: ٥٣٧) بتصرف.

(٣) أخرجه مسلم (١٢٥) (٢٣٥٤) كتاب الفضائل.

(٤) مسلم بشرح النووي (١٥٣/١٥).

أنه ليس بعده نبي ولا شريعة.

\* وأما العاقب ففسره في الحديث بأنه ليس بعده نبي أى جاء عقبهم.

قال الحافظ: والذي يظهر أنه أراد أن لى خمسة أسماء أختص بها لم يسم بها أحد قبلى، أو معظمه أو مشهوره فى الأمم السابقة لا أنه أراد الحصر فيها.

قال عياض: حمى الله هذه الأسماء أن يسمى بها أحد قبله، وإنما تسمى بعض العرب محمداً قرب ميلاده، لما سمعوا من الكهان والأخبار أن نبياً سيُبعث فى هذا الزمان يسمى محمداً، فرجوا أن يكونوا هم فسموا أبناءهم بذلك<sup>(١)</sup>.

\* وقال ابن مسعود: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق.

وفى التوراة: أنه حرز للأمين، وأن اسمه المتوكل.

ومن أسمائه الأمين، وكانت قريش تدعوه به قبل نبوته.

ومن أسمائه الفاتح وقثم<sup>(٢)</sup>.

وقال على بن زيد بن جدعان: تذاكروا أحسن بيت قالته العرب، فقالوا قول أبى طالب فى النبى ﷺ:

وشق له من اسمه ليُجله فذو العرش محمود وهذا محمد<sup>(٣)</sup>

\* ومن أسمائه كذلك: المقفى ونبى التوبة ونبى الرحمة.

عن أبى موسى الأشعري قال: كان رسول الله ﷺ يسمى لنا نفسه أسماء. فقال: «أنا محمد، وأحمد والمقفى، والحاشر، ونبى التوبة، ونبى الرحمة»<sup>(٤)</sup>.

قال النووى: وأما (نبى التوبة ونبى الرحمة ونبى الرحمة) فمعناها متقارب ومقصودها أنه ﷺ جاء بالتوبة وبالتراحم قال الله تعالى: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: ١٧]، والله أعلم. وفى حديث آخر (نبى الملاحم)، لأنه ﷺ بُعث بالقتال قال العلماء: وإنما اقتصر على هذه الأسماء مع أن له ﷺ

(١) فتح البارى (٦/٦٤٢).

(٢) القثم: المجتمع الخلق وقيل الجامع الكامل وقيل الجموع للخير كما فى النهاية.

(٣) السيرة للذهبي (٢/١٠).

(٤) أخرجه مسلم (١٢٦) (٢٣٥٥) كتاب الفضائل.

أسماء غيرها كما سبق، لأنها موجودة في الكتب المتقدمة وموجودة للأمم السالفة<sup>(١)</sup>.

ومما وقع من أسمائه في القرآن بالاتفاق «الشاهد، والمبشر، النذير المبين، الداعي إلى الله، السراج المنير». وفيه أيضاً: «المذكر، والرحمة، والنعمة، والهادي، والشهيد، والأمين، والمزمل، والمدثر». وتقدم في حديث عمرو بن العاص «المتوكل» ومن أسمائه المشهورة «المختار، المصطفى، والشفيع، والمشفع، والصادق والمصدوق».

وغير ذلك. قال ابن دحية في تصنيف له مفرد في الأسماء النبوية: قال بعضهم: أسماء النبي ﷺ عدد أسماء الله الحسنی تسعة وتسعون إسمًا<sup>(٢)</sup>.

أما كنيته ﷺ فكان ﷺ يكنى أبا القاسم بولده القاسم، وكان أكبر أولاده واختلف هل مات قبل البعثة أو بعدها... عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ في السوق فقال رجل يا أبا القاسم فالتفت النبي ﷺ. فقال: سمو باسمي ولا تكتنوا بكنيتي<sup>(٣)</sup>.

قال الحافظ: وقد اختلف في جواز التكني بكنيته ﷺ: فالمشهور عن الشافعي المنع على ظاهر هذه الأحاديث، وقيل: يختص ذلك بزمانه، وقيل بمن تسمى باسمه<sup>(٤)</sup>.

\* قال الإمام ابن القيم: وأسماءه ﷺ نوعان:

أحدهما: خاص لا يشاركه فيه غيره من الرسل، كمحمد، وأحمد، والعاقب، والحاشر، والمقفى، ونبي الملحمة.

والثاني: ما يشاركه في معناه غيره من الرسل، ولكن له منه كماله، فهو مختص بكماله دون أصله، كرسول الله، ونبيه، وعبده، والشاهد، والمبشر، والنذير، ونبي الرحمة، ونبي التوبة.

وأما إن جعل له من كل وصف من أوصافه اسم، تجاوزت أسماءه المائتين، كالصادق، والمصدوق، والرؤوف الرحيم، إلى أمثال ذلك<sup>(٥)</sup>.

\*\*\*

(١) مسلم بشرح النووي [١٥/١٥٤: ١٥٥].

(٢) فتح الباري (٦/٦٤٣ - ٦٤٤).

(٣) أخرجه البخاري (٦/٦٤٧) المتأقب.

(٤) فتح الباري (٦/٦٤٨).

(٥) زاد المعاد (١/٨٨).

## أزواج النبي ﷺ (أمهات المؤمنين)

أولاهن خديجة بنت خويلد القرشية الأسدية، تزوجها قبل النبوة، ولها أربعون سنة، ولم يتزوج عليها حتى ماتت، وأولاده كلهم منها إلا إبراهيم، وهي التي آزرته على النبوة، وجاهدت معه، وواسته بنفسها ومالها، وأرسل الله إليها السلام مع جبريل، وهذه خاصة لا تُعرف لامرأة سواها، وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين.

ثم تزوج بعد موتها بأيام سودة بنت زمعة القرشية، وهي التي وهبت يومها لعائشة.

ثم تزوج بعدها أمّ عبد الله عائشة الصديقة بنت الصديق، المبرأة من فوق سبع سماوات، حبيبة رسول الله ﷺ عائشة بنت أبي بكر الصديق، وعرضها عليه الملك قبل نكاحها في سرقة من حرير وقال: «هذه زوجتك»<sup>(١)</sup> تزوج بها في شوال وعمرها ست سنين، وبنى بها في شوال في السنة الأولى من الهجرة وعمرها تسع سنين، ولم يتزوج بكراً غيرها، وما نزل عليه الوحي في لحاف امرأة غيرها، وكانت أحب الخلق إليه، ونزل عذرها من السماء، واتفقت الأمة على كفر قاذفها، وهي أفقه نساءه وأعلمهن، بل أفقه نساء الأمة وأعلمهن على الإطلاق، وكان الأكابر من أصحاب النبي ﷺ يرجعون إلى قولها ويستفتونها.

ثم تزوج حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنه... وذكر أبو داود أنه طلقها، ثم راجعها<sup>(٢)</sup>.

ثم تزوج زينب بنت خزيمة بن الحارث القيسية، من بنى هلال بن عامر، وتوفيت عنده بعد ضمها لها بشهرين.

ثم تزوج أم سلمة هند بنت أبي أمية القرشية المخزومية، واسم أبي أمية حذيفة بن المغيرة، وهي آخر نساءه موتاً.

(١) أخرج البخارى (٣٥٢/١٢) فى التعبير، ومسلم (٢٤٣٨) عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ «أريتك فى المنام مرتين إذا رجل يحملك فى سرقة (شقة من حرير أبيض) من حرير، فىقول: هذه امرأتك، فأكشفها، فإذا هى أنت، فأقول: إن يكن هذا من عند الله يمضه» وخبر تزوجها وهى بنت سبع وبنائوه بها وهى بنت تسع أخرجه البخارى (١٦٣/٩) فى النكاح: باب إنكاح الرجل ولده الصغار، ومسلم (١٤٢٢) فى النكاح: باب تزويج الأب البكر الصغيرة.

(٢) رواه أبو داود وابن ماجه والدارمى بإسناد صحيح.

ثم تزوج زينب بنت جحش من بني أسد بن خزيمة وهي ابنة عمته أميمة، وفيها نزل قوله تعالى: ﴿فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها﴾ [الأحزاب: ٣٧] وبذلك كانت تفتخر على نساء النبي ﷺ، وتقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات<sup>(١)</sup>.  
ومن خواصها أن الله سبحانه وتعالى كان هو وليها الذي زوجها لرسوله من فوق سماواته، وتوفيت في أول خلافة عمر بن الخطاب. وكانت أولاً عند زيد بن حارثة، وكان رسول الله ﷺ تبناه، فلما طلقها زيد، زوج الله تعالى إياها لتأسي به أمته في نكاح أزواج من تبوه - وبخاصة وأن الإسلام أبطل التبنى بعد ذلك -.

وتزوج ﷺ جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار المصطلقية، وكانت من سبايا بني المصطلق، فجاءته تستعين به على كتابتها، فأدى عنها كتابتها وتزوجها.

ثم تزوج أم حبيبة، واسمها رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب القرشية الأموية. وقيل: اسمها هند، تزوجها وهي ببلاد الحبشة مهاجرة، وأصدقها عنه النجاشي أربعمائة دينار، وسيقت إليه من هناك، وماتت في أيام أخيها معاوية. هذا هو المعروف المتواتر عند أهل السير والتواريخ، وهو عندهم بمنزلة نكاحه لخديجة بمكة، ولحفصة بالمدينة، ولصفية بعد خبير.

وتزوج ﷺ صفية بنت حبي بن أخطب سيد بني النضير من ولد هارون ابن عمران أخي موسى، فهي ابنة نبي، وزوجة نبي، وكانت من أجمل نساء العالمين، وكانت قد صارت له من السبي أمة فأعتقها، وجعل عتقها صداقها، ثم تزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية، وهي آخر من تزوج بها، تزوجها بمكة في عمرة القضاء بعد أن حل منها على الصحيح.

فهؤلاء نساؤه المعروفات اللاتي دخل بهن، وأما من خطبها ولم يتزوجها، ومن وهبت نفسها، ولم يتزوجها، فنحو أربع أو خمس، وقال بعضهم: هن ثلاثون امرأة، وأهل العلم بسيرته وأحواله ﷺ لا يعرفون هذا، بل ينكرونه، والمعروف عندهم أنه بعث إلى الجونية ليتزوجها، فدخل عليها ليخطبها، فاستعادت منه، فأعادها ولم يتزوجها،

(١) أخرج البخاري (٣٤٧/١٣) في التوحيد عن أنس قال: جاء زيد بن حارثة بشكو فجعل النبي ﷺ يقول: «اتق الله، وأمسك عليك زوجك» قال أنس: لو كان رسول الله ﷺ كاتباً شيئاً، لكنتم هذه قال: فكانت زينب تفتخر على أزواج النبي ﷺ تقول: «زوجكن أهاليكن، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات» وأخرجه الترمذي (٣٢١٠).

وكذلك الكلبية، وكذلك التي رأى بكشحها بياضاً، فلم يدخل بها، والتي وهبت نفسها له فزوجها غيره على سور من القرآن، هذا هو المحفوظ، والله أعلم<sup>(١)</sup>.

ولا خلاف أنه ﷺ توفي عن تسع، وكان يقسم منهن لثمان: عائشة، وحفصة، وزينب بنت جحش، وأم سلمة، وصفية، وأم حبيبة، وميمونة، وسودة، وجويرية.

وأول نسائه لحوقاً به بعد وفاته ﷺ زينب بنت جحش سنة عشرين، وآخرهن موتاً أم سلمة، سنة اثنتين وستين في خلافة يزيد، والله أعلم.

وقال النووي رحمه الله: أولهن خديجة، ثم سودة، ثم عائشة، ثم حفصة وأم حبيبة وأم سلمة وزينب بنت جحش وميمونة وجويرية وصفية، فهؤلاء التسع بعد خديجة توفي عنهن ولم يتزوج في حياة خديجة غيرها، ولا تزوج بكرة غير عائشة، وأما اللاتي فارقهن في حياته فتركناهن لكثرة الاختلاف فيهن.

وكان له سريتان: مارية وريحانة بنت زيد، وقيل بنت شمعون ثم أعتقها. روي عن قتادة قال: «تزوج النبي ﷺ خمس عشرة امرأة، فدخل بثلاث عشرة، وجمع بين إحدى عشرة وتوفي عن تسع»<sup>(٢)</sup>.

### أولاد النبي ﷺ

قال النووي رحمه الله:

كان له ﷺ ثلاثة بنين: القاسم وبه كان يُكنى، وُلد قبل النبوة، وتوفي وهو ابن سنتين، وعبد الله وسُمى الطيب والظاهر، لأنه ولد بعد النبوة وقيل الطيب والظاهر غير عبد الله والصحيح الأول<sup>(٣)</sup>. والثالث: إبراهيم ولد بالمدينة سنة ثمان، ومات بها سنة عشر، وهو ابن سبعة عشر شهراً أو ثمانية عشر.

وكان له أربع بنات:

زينت تزوجها أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد الشمس وهو ابن خالته هالة بنت خويلد.

(١) زاد المعاد (١/١٠٥: ١١٤) بتصرف.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات (١/٢٧).

(٣) ورجحه ابن حزم في جوامع السيرة (٤٠).

وفاطمة تزوجها على بن أبي طالب رضى الله عنه.

ورقية وأم كلثوم تزوجهما عثمان بن عفان، تزوج رقية، ثم أم كلثوم، وتوفيتا عنده، ولهذا سُمى ذا النورين، توفيت رقية يوم بدر فى رمضان سنة اثنتين من الهجرة، وتوفيت أم كلثوم فى شعبان سنة تسع من الهجرة فالبنت أربع بلا خلاف، والبنتون ثلاثة على الصحيح. وأول من وُلد له القاسم، ثم زينب، ثم رقية، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، وجاء أن فاطمة أسن من أم كلثوم<sup>(١)</sup>.

وكلهم من خديجة إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية، وكلهم توفوا قبله إلا فاطمة، فإنها عاشت بعده ستة أشهر على الأصح الأشهر.

### صفة النبي ﷺ فى التوراة وتبشير اليهود به

\* عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما، فقلت: «أخبرنى عن صفة رسول الله ﷺ فى التوراة، فقال: أجل، والله إنه لموصوف فى التوراة بصفته فى القرآن: «يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وحرزاً للأمينين<sup>(٢)</sup>، أنت عبدى ورسولى، سميتك المتوكل، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا سخاب فى الأسواق<sup>(٣)</sup>، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء<sup>(٤)</sup> بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح به أعيناً عمياً، وأذاناً صماً، وقلوباً غلقاً<sup>(٥)</sup>».

\* وعن سلمة بن سلامة بن وقش (رضى الله عنه) وكان من أصحاب بدر قال: «كان لنا جار من يهود فى بنى عبد الأشهل قال: فخرج علينا يوماً من بيته قبل مبعث النبى ﷺ بيسير، فوقف على مجلس عبد الأشهل، قال سلمة: وأنا يومئذ أحدث من فيه سناً على برودة مضطجعاً فيها بفناء أهلى فذكر البعث والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار، فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان، لا يرون أن بعثاً كائن بعد الموت.

(١) باختصار من تهذيب الأسماء واللغات (٢٦/١).

(٢) حرزاً للأمينين: حافظاً لهم.

(٣) السخاب: رفع الصوت بالخصام.

(٤) حتى يقيم به الملة العوجاء: ملة إبراهيم التى غيرتها العرب عن استقامتها.

(٥) أخرجه البخارى فى كتاب البيوع فى الأسواق: (٢١٢٥)، وفى التفسير حديث: ٤٨٣٨.

فقالوا له: ويحك يا فلان، ترى هذا كائناً أنَّ الناس يُبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار، ويُجزون فيها بأعمالهم؟ قال: نعم، والذي يحلف به، ولودَّ أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور<sup>(١)</sup> في الدنيا يحمونه، ثم يدخلونه إياه، فيطبق به عليه<sup>(٢)</sup>، وأن ينجو من تلك النار غداً.

قالوا له: ويحك، وما آية ذلك؟ قال: نبي يُبعث من نحو هذه البلاد، وأشار بيده نحو مكة واليمن.

قالوا: ومتى تراه؟ قال: فنظر إلى - وأنا من أحدثهم سنًا - فقال: إن يستنفذ<sup>(٣)</sup> هذا الغلام عمره يدركه.

قال سلمة: «فوالله ما ذهب الليل والنهار، حتى بعث الله تعالى رسوله ﷺ، وهو حى بين أظهرنا، فأما به، وكفر به بغياً وحسداً، فقلنا: ويلك يا فلان، ألسنت بالذى قلت لنا فيه ما قلت؟ قال: بلى: وليس به»<sup>(٤)</sup>.

\* وعن كعب الأخبار قال: «إنى أجد فى التوراة مكتوباً: محمد رسول الله، لا فظاً ولا غليظاً، لا سخاب فى الأسواق، ولا يجرى السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، أمته الحمادون، يحمدون الله فى كل منزلة، ويكبرونه على كل نجد يأتزون إلى أنصافهم، ويوضئون أطرافهم، صفهم فى الصلاة، وصفحهم فى القتال سواء مناديهم ينادى فى جو السماء، لهم فى جوف الليل دوى كدوى النحل، مولده بمكة، ومهاجره بطابة، ومملكه بالشام»<sup>(٥)</sup>.

(١) التنور: الفرن.

(٢) يطبق به عليه: يعلق عليه.

(٣) يستنفذ: يعيش عمره.

(٤) أخرجه ابن هشام فى السيرة: (٢١٢/١) من طريق ابن إسحاق، قال: حدثنى صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، عن محمود بن لبيد، عن سلمة به، فصرح ابن إسحاق بالتحديث فانتفت شبة التديس». ومن طريق ابن إسحاق أخرجه أحمد فى المسند: (٤٦٧/٣)، والطبرانى فى الكبير حديث: (٦٣٢٧)، والبخارى فى التاريخ الكبير: (٦٨/٢ - ٦٩)، وأبو نعيم فى الدلائل: (١٩١)، والحاكم فى المستدرک: (٤١٧/٣ - ٤١٨)، والبيهقى فى الدلائل: (٧٨/٢ - ٧٩) وصححه الحاكم، ووافقه الذهبى. وقال الهيثمى فى المجمع: (٢٣٠/٨). رواه أحمد والطبرانى، ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق، وقد صرح بالسمع». فالحديث صحيح.

(٥) أخرجه الدارمى فى المقدمة: (٤/١ - ٥) من طريق الأعمش عن أبى صالح قال: قال كعب: ورجاله ثقات، وجاء فى دلائل النبوة للبيهقى: (٣٧٧/١)، عن أم الدرداء قالت: قلت لكعب الأخبار - وذكر =



## إخبار الكهان عن بعثة النبي ﷺ

\* عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: «ما سمعت عمر بشيء قط يقول: إني لأظنه كذا، إلا كان كما يظن».

بينما عمر جالس إذ مر به رجل جميل، فقال عمر: «لقد أخطأ ظني أو إن هذا على دينه في الجاهلية، أو لقد كان كاهنهم، على الرجل، فدعى له، فقال له ذلك».

فقال: ما رأيت كالיום استقبل به رجلاً مسلماً. قال: فإني أعزم عليك إلا ما أخبرتني. قال: كنت كاهنهم في الجاهلية. قال: فما أعجب ما جاءتك به جنيتك؟ قال: بينما أنا يوماً في السوق، جاءتنى أعرف منها الفزع، فقالت:

ألم تر الجن وإبلاسها      ويأسها من بعد إنكاسها<sup>(١)</sup>

ولحوقها بالقلاص<sup>(٢)</sup> وأحلاسها

قال: صدق بينما أنا نائم عند آلهتهم، إذ جاء رجل بعجل فذبحه، فصرخ به صارخ لم أسمع صارخاً قط أشد صوتاً منه يقول: يا جليح<sup>(٣)</sup>، أمر نجيح، رجل فصيح يقول: لا إله إلا الله فوثب القوم، قلت: لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا، ثم نادى: يا جليح، أمر نجيح، رجل فصيح، يقول: لا إله إلا الله. فقممت، فما نشبنا أن قيل: هذا نبي<sup>(٤)</sup>.

\* وعن جابر (رضى الله عنه) قال: «إن أول خبر قدم علينا عن رسول الله ﷺ أن امرأة كان لها تابع<sup>(٥)</sup> قال: فأتاها في صورة طير، فوقع على جذع لهم، قال فقالت: ألا

= شبيهاً بهذا البيهقي وقد جاء عند الدارمي: (٦/١)، من طريق معاوية بن صالح عن أبي فروة، عن ابن عباس، أنه سأل كعب الأخبار.

(١) يأسها من بعد إنكاسها: بأسها من الاستماع أو استراق السمع بعد أن كانت ألفتها، فانقلبت عن الاستراق وقد يئست من السماع.

(٢) القلاص: جمع قلوص: وهي الفتية من النياق.

(٣) جليح: الوقح المكافح بالعداوة.

(٤) أخرجه البخارى في فضائل الصحابة، باب إسلام عمر: ٣٦٥٣، ومناقب الأنصار: (٣٨٦٦)، والبيهقي في الدلائل: (٢٤٨/٢). وابن أبي خيثمة في تاريخه، والرويانى فى مسنده، كما عزاه إليهما ابن حجر فى الإصابة: (٩٥/٢).

(٥) التابع: الصاحب من الجن.

تنزل فنخبرك وتخبرنا، قال: إنه قد خرج رجل بمكة حرم علينا الزنا، ومنع منا القرار<sup>(١)</sup>»(٢).

### حالة المجتمع الجاهلي قبل بعثة الحبيب ﷺ

لقد اجتمعت كلمة المؤرخين عامة على أن العالم الإنساني قاطبة، والعالم العربي بصورة خاصة كان يعيش في دياجير ظلام الظلم والجهل، وظلمات الطغيان والاستبداد، تتنازعه الإمبراطوريتان الفارسية شرقاً، والرومانية غرباً. ويؤكد هذه الحقيقة قول الحبيب محمد ﷺ . (إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب)<sup>(٣)</sup>. فالأحوال متردية ساقطة هابطة في العالم الإنساني، بأسره، لا سيما في العالم العربي حيث الفساد في كل جوانب الحياة السياسية منها كالاقتصادية، والاجتماعية كالدينية الكل سواء<sup>(٤)</sup>.

✽ وقد كانت مكة على عهد البعثة تموج بحركة عاصفة من الشهوات والمآثم، وكان الرجال يحيون فيها أمثلة قوية لنضج الأهواء وشلل الأفكار، أو نمائها في ظل الهوى الجامح وخدمته وحده.

كُفّر بالله واليوم الآخر، إقبال على نعيم الدنيا في التشبع منه، رغبة عميقة في السيادة والعلو ونفاذ الكلمة... عصبية طائشة تسالم وتحارب من أجل ذلك، تقاليد متوارثة توجه نشاط الفرد المادى والأدبى... من الخطأ أن تحسب مكة يومئذ قرية منقطعة عن العمران في صحراء موحشة، لا تحس من الدنيا إلا الضرورات التى تمسك عليها الرمق، كلا. إنما شبت حتى بطرت، وتنازعت الكبرياء حتى تطاحت عليها، وكثر فيها من تغلغل الإلحاد فى أغوار نفسه حتى عزَّ إخراجه منه. فهم من بين عمِّ عن الصواب أو جاحد له، وفى هذا المجتمع الذى لم ينل حظاً يُذكر من الحضارة العقلية، بلغ غرور الفرد مداه، ووجد من يسابق فرعون عتوه وطفواه.

(١) القرار: الاستقرار.

(٢) أخرجه أحمد فى المسند: (٣/٣٥٦)، عن طريق إبراهيم بن أبى العباس أبو المليح، حدثنا عبد الله بن محمد بن عقيل به، وأبو نعيم فى الدلائل: (١/١٠٧) حديث: (٥٦)، وابن سعد فى الطبقات:

(١/١٨٩)، وقال الهيثمى فى المجمع: (٨/٢٤٣): رواه أحمد والطبرانى فى الأوسط، ورجاله وثقوا.

(٣) أخرجه مسلم وأحمد - صحيح الجامع (٢٦٣٧).

(٤) هذا الحبيب يا محب (ص: ٢٣).

قال عمرو بن هشام معللاً كفره برسالة محمد عليه الصلاة والسلام: زاحمنا بنى عبد مناف في الشرف، حتى إذا صرنا كفرسى رهان قالوا: منا نبي يوحى إليه، والله لا نؤمن به ولا نتبعه أبداً إلا أن يأتينا وحى كما يأتيه، وزعموا أن الوليد بن المغيرة قال لرسول الله ﷺ: لو كانت النبوة حقاً لكنت أولى بها منك، لأنى أكبر منك سنّاً وأكثر منك مالاً<sup>(١)</sup>.

\* وفي حديث أم سلمة رضى الله عنها فى قصة الهجرة إلى الحبشة ومحاورة جعفر رضى الله عنه للنجاشى وقوله:

«أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسئ الجوار، يأكل القوى منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله تعالى لنوحده ونعبده، ونخلع<sup>(٢)</sup> ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان. وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة»<sup>(٣)</sup>.

\* وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: إذا سرّك أن تعلم جهل العرب، فاقراً ما فوق الثلاثين ومئة فى سورة الأنعام ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٠] <sup>(٤)</sup>.

فلما اكتظت الأرض بالمفاسد والضلالات زاد التطلع إلى مقدم هذا المصلح المرتقب، وكان هناك رجال ممن ينكرون الجهالة السائدة يستشرفون للمنصب الجليل، ويتمنون لو اختيروا له، منهم أمية بن أبى الصلت الذى جعل شعره بالتحدث عن الله وما يجب له من محامد، حتى قال رسول الله ﷺ فيه «كاد أمية أن يسلم»<sup>(٥)</sup>.

وعن عمرو بن الشريد عن أبيه: ردت رسول الله ﷺ يوماً فقال: هل معك من شعر

(١) فقه السيرة (ص: ٢٥-٢٦).

(٢) نخلع: تترك.

(٣) قال الهيثمى فى المجمع (٦/٢٤ - ٢٧): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماح - فالحديث بهذا صحيح.

(٤) أخرجه البخارى (٣٥٢٤) المناقب/ باب: قصة زمزم وجهل العرب.

(٥) جزء من حديث رواه البخارى (١٠/٥٥٣) الأدب، ومسلم (١٥/١٣) الشعر. وأوله: «أصدق كلمة قالها شاعر»، واقتصر الترمذى على الجزء الأول منه (١٠/٢٩١) الأدب.

أمية بن أبي الصلت: قلت: نعم. قال: هيه، فأشددته بيتاً فقال: هيه، حتى أشدته مائة بيت<sup>(١)</sup>.

### العادات السيئة في المجتمع الجاهلي

من جملة العادات السيئة التي هبطت بالمجتمع العربي قبل الإسلام هي:

(١) القمار والمعروف بالميسر، وهذه عادة سكان المدن في الجزيرة كمكة والطائف وصنعاء وهجر ويثرب ودومة الجندل وغيرها وقد حرمه الإسلام بآية سورة المائدة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

(٢) شرب الخمر والاجتماع عليها والمباهاة بتعتيقها وغلاء ثمنها، وكان هذا عادة أهل المدن من أغنياء، وكبراء وأدباء وشعراء، ولما كانت هذه العادة متأصلة فيهم متمكنة من نفوسهم حرمها الله تعالى عليهم بالتدرج شيئاً فشيئاً، وذلك من رحمة الله تعالى بعباده فله الحمد وله المنة.

(٣) نكاح الاستبضاع وهو أن تحيض امرأة الرجل منهم فتطهر فيطلب لها أشرف الرجال وخيارهم نسباً وأدباً ليطؤها من أجل أن تنجب ولدًا يرث صفات الكمال التي حملها أولئك الواطئون لها.

(٤) وأد البنات وهي أن يدفن الرجل ابنته بعد ولادتها حية في التراب خوف العار. وجاء في القرآن الكريم التنديد بهذا العمل وتقييحه وذلك بذكر توبيخ فاعله يوم القيامة. قال تعالى من سورة التكوير: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ ؟ [التكوير: ٨، ٩].

(٥) قتل الأولاد مطلقاً ذكوراً كانوا أو إناثاً، وذلك عند وجود فقر وحالة مجاعة، أو مجرد توقع فقر شديد عندما تلوح في الأفق آثاره لوجود محل وقحط بانقطاع المطر أو

(١) رواه مسلم (١١/١٥) الشعر وقال النووي: ومقصود الحديث أن النبي ﷺ استحسّن شعر أمية واستزاد من إنشاده لما فيه من الإقرار بالوحدانية والبعث فيه جواز إنشاد الشعر الذي لا فحش فيه وسماعه سواء شعر الجاهلية وغيره، وأن المذموم من الشعر الذي لا فحش فيه إنما هو الإكثار منه وكونه غالباً على الإنسان فأما يسيره فلا بأس بإنشاده وسماعه وحفظه - شرح النووي على صحيح مسلم هامش (١٢/١٥).

قلته. فحرم الإسلام هذه العادة السيئة القبيحة بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٌ﴾ [الأنعام: ١٥١]، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ﴾ [الإسراء: ٣١]. والإملاق شدة الفقر وعظمه.

(٦) تبرج النساء بخروج المرأة كاشفة عن محاسنها مارة بالرجال الأجانب متغنجة<sup>(١)</sup> في مشيتها متكسرة كأنها تعرض نفسها وتغرى بها غيرها.

(٧) اتخاذ الحرائر من النساء الأخدان من الرجال وذلك بالاتصال بهم وتبادل الحب معهم في السر وهم أجنب عنهن، فحرم الإسلام هذه العادة بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُتَّخَذَاتِ أَخْدَانٌ﴾ [النساء: ٢٥]، وحرم على الرجال ذلك بقوله: ﴿وَلَا تُتَّخَذِ أَخْدَانٌ﴾ [المائدة: ٥].

(٨) إعلان الإماء عن البغى بهن وذلك بأن تجعل إحداهن راية حمراء على باب منزلها لتُعرف أنها بغى ويغشاها الرجال وتأخذ على ذلك أجراً أى مالاً مقابل الاستبضاع.

(٩) العصبية القبلية وهى مبدأ: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» فجاء الإسلام فأمر بنصرة الأخ المسلم قريباً كان أو بعيداً، إذ الأخوة المعتبرة هنا هى أخوة الإسلام. ونصرته إذا كان مظلوماً بدفع الظلم عنه، ونصرته إذا كان ظالماً بمنعه من الظلم وحجزه عنه، قال رسول الله ﷺ فى رواية البخارى: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»، فقيل يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً: فكيف أنصره إذا كان ظالماً؟ قال: «تحجزه عن الظلم».

(١٠) شن الغارات والحروب على بعضهم البعض للسلب والنهب... فالقبيلة القوية تغير على الضعيفة لتسلبها مالها؛ إذ لم يكن لهم حكم ولا شرع يرجعون إليه فى أغلب الأوقات وفى أكثر البلاد.

ومن أشهر حروبهم حرب داحس والغبراء التى وقعت بين عبس من جهة وذبيان وفزارة من جهة أخرى. وحرب البسوس حتى قيل: أشأم من حرب البسوس التى دامت كذا سنة وكانت بين بكر وتغلب. وحرب بعات التى وقعت بين الأوس والخزرج بالمدينة النبوية قبيل الإسلام. وحرب الفجار التى دارت بين قيس عيلان من جهة وبين كنانة وقريش من جهة مقابلة، وسميت حرب الفجار لأنها وقعت فى الأشهر الحرم.

(١) تغنجت المرأة: تدلت على زوجها بملاحة، كأنها تخالفه وليس بها خلاف.

(١١) عدم الامتهان تكبراً وأنفة؛ إذ كانوا لا يمتنون الحدادة والحياسة والحجامة ولا الفلاحة، وإنما يسندون هذه المهن لإمائهم وعبيدهم. أما الأحرار فحسبهم التجارة وركوب الخيل وشن الغارات وإنشاد الشعر والمفاخرات بالأحساب والأنساب. هذه معظم العادات السيئة التي كانت في المجتمع العربي قبل الإسلام وهي كما مرت تحيل المجتمع إلى مجتمع ساقط هابط لا سعادة فيه ولا هناء<sup>(١)</sup>.

### النكاح في الجاهلية

\* عن عائشة رضی الله عنها قالت: «إن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء: فنكاح منها نكاح اليوم: يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته، فيصدقها ثم ينكحها. ونكاح آخر: كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها<sup>(٢)</sup>: أرسلني إلى فلان فاستبضعي<sup>(٣)</sup> منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسه أبداً، حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع. ونكاح آخر: يجتمع الرهط<sup>(٤)</sup> ما دون العشرة، فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها<sup>(٥)</sup>، فإذا حملت، ووضعت، ومر ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها، تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم، وقد ولدت، فهو ابنك يا فلان، تسمى من أحبت باسمه، فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع به الرجل.

والنكاح الرابع: يجتمع الناس الكثير، فيدخلون على المرأة لا تمنع من جاءها<sup>(٦)</sup>، وهنّ البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً، فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها، ودعوا لهم القافة<sup>(٧)</sup>، ثم ألقوا ولدها

(١) هذا الحبيب يا محب (ص: ٣٠: ٣٢) / أبو بكر الجزائري.

(٢) الطمث: الحيض.

(٣) استبضعي: طلب الجماع حتى تحمل منه.

(٤) الرهط: الجماعة دون العشرة.

(٥) يصيبها: يجامعها.

(٦) جاءها: دخل عليها.

(٧) القافة: جمع القائف وهو الذي يعرف شبه الولد بالوالد بالآثار الخفية.

بالذى يرون، فالتاظه<sup>(١)</sup> به، ودُعَى ابنه، لا يمتنع من ذلك. فلما بُعث محمد ﷺ بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم<sup>(٢)</sup>.

### العادات الحسنة فى المجتمع الجاهلى

ومع تلك الجاهلية التى كان يعيش فيها المشركون إلا أنه كانت هناك باقة عطرة من العادات الحسنة نجملها فيما يلى:

(١) الصدق والمراد به صدق الحديث وهو خلق كريم عُرف به العرب فى الجاهلية قبل الإسلام فزاده الإسلام تقريراً وتمتيناً.

(٢) قرى الضيف وهو إطعامه، وهو من الكرم الذى يُحمد صاحبه عليه، ويُحمد له ويثنى به عليه فجاء الإسلام بتقريره وتأكيده إذ قال رسول الله ﷺ «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه».

(٣) الوفاء بالعهود وعدم نكثها ومهما كلفت من ثمن وهو خلق سام شريف وجاء الإسلام بتقريره وتأكيده قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْفُونَ بَعْدَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ فى بيان صفات المؤمنين من سورة البقرة [١٧٧].

(٤) احترام الجوار وتقرير مبدأ الحماية لمن طلبها، وعدم خفره مهما كانت الأحوال، وفى الحديث: «أجرنا من أجزت يا أم هانئ» وأجار المسلمون أبا العاص بن الربيع وهو مشرك حتى دخل المدينة واسترد ودائعه وأمواله وعاد إلى مكة ثم أسلم بعد.

(٥) الصبر والتحمل. حتى قالوا: «تجوع الحرة ولا تأكل بثديها» وجاء الإسلام فزاد هذا الخلق قوة ومتانة. وفى القرآن: ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، وفى الحديث: «من صبر ظفر».

(٦) الشجاعة والنجدة والأنفة وعدم قبول الذل والمهانة وهى خلال امتاز بها العرب نساءً ورجالاً، وفى أشعارهم وأقاصيصهم شواهد ذلك.

(٧) احترام الحرم والأشهر الحرم، بعدم القتال فيها إلا من ضرورة، وتأمين الوافدين إلى الحرم، ولو كانوا ذوى سوابق فى الشر.

(١) التاظه: استلحقه بنسبه.

(٢) أخرجه البخارى فى النكاح، باب من قال لا نكاح إلا بولي: رقم (٥١٢٧).

- (٨) تحريمهم نكاح الأمهات والبنات.  
 (٩) اغتسالهم من الجنابة.  
 (١٠) مداومة على المضمضة والاستنشاق.  
 (١١) السواك والاستنجاء، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط.  
 (١٢) الختان للأطفال. والختان للبنات.  
 (١٣) قطعهم يد السارق اليمنى.  
 (١٤) الحج والعمرة.

فهذه جملة من العادات الحسنة الحميدة التي عُرف بها العرب في الجاهلية قبل الإسلام. وإنما وإن لم تكن عامة في كل فرد فإنها الطابع العام على غالبيتهم ولولا إرادة الاختصار، وثقة القارئ فيما أقدمه له لذكرت شواهد ذلك من كلامهم ووقائعهم نظماً ونثراً، وحسبنا من ذلك أن أبا سفيان بن حرب لما حضر عند هرقل ملك الروم بالشام وسأله عن النبي ﷺ لم يكتمه شيئاً مما سأله عنه، مع العلم بأنه ما زال مشركاً وفي حرب مع الإسلام والمسلمين<sup>(١)</sup>.

### الباحثون عن الحقيقة

لقد حفل التاريخ الإسلامي قديمه وحديثه بنماذج رائعة من المهتدين الذين ارتفعت همتهم في البحث عن الدين الحق، وبذلوا في سبيل ذلك النفس والنفيس، فصاروا مضرب الأمثال، وحنة لله على خلقه أن من انطلق باحثاً عن الحق مخلصاً لله تعالى، فإن الله - عز وجل - يهديه إليه، ويمن عليه بأعظم نعمة في الوجود.. نعمة الإسلام<sup>(٢)</sup>.  
 وها نحن على موعد مع هذا الصحابي الجليل الذي سلك الدروب والشعاب والبلدان باحثاً عن الحق وتأبى همته العالية أن تجعله يتخاذل عن هذا المطلب العالى لحظة واحدة.

وأنا في الحقيقة أهدى تلك القصة إلى مسلمي زماننا الذين لا يعرفون قدر نعمة الإسلام - إلا من رحم الله - فإذا تعارض الدين مع الدنيا طرحوا الدين جانبا ووضعوا

(١) هذا الحبيب يا محب (ص: ٣٢: ٣٤).

(٢) علو الهمة/ محمد إسماعيل (ص: ٢١٧).



الدنيا نُصِبَ الأعيُنِ وفوق الرُّؤوسِ - ولا حول ولا قوة إلا بالله - (١).

\* عن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال: حدثني سلمان الفارسي رضى الله عنه قال: «كنت من أهل فارس من أهل أصبهان، من قرية يقال لها جى، وكان أبى دهقان أرضه (٢)، وكان يحبني حباً شديداً لم يحبه شيئاً من ماله ولا ولده، فما زاله به حبه إياي حتى حبسني في البيت كما تُحبس الجارية. واجتهدت في المجوسية حتى كنت قطن النار (٣) (الذي يوقدها) ولا يتركها تخبو ساعة، فكنت كذلك لا أعلم من أمر الناس شيئاً إلا ما أنا فيه، حتى بنى أبى بنياناً له، وكانت له ضيعة فيها بعض العمل، فدعاني فقال: أى بنى، إنه قد شغلني ما ترى من بنيانى عن ضيعتى هذه، ولا بد لي من إطلاعها، فانطلق إليها فأمرهم بكذا وكذا ولا تحتسبن عني، فإنك إن احتبست عني شغلتنى عن كل شىء... فخرجت أريد ضيعته، فمررت بكنيسة النصرارى، فسمعت أصواتهم فيها، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: هؤلاء النصرارى يصلون. فدخلت أنظر فأعجبني ما رأيت من حالهم. فوالله ما زلت جالساً عندهم حتى غربت الشمس.

وبعث أبى في طلبى في كل وجهة حتى جئته حين أمسيت ولم أذهب إلى ضيعته، فقال أبى: أين كنت؟ ألم أكن قلت لك؟ فقلت: يا أبتاه مررت بناس يقال لهم النصرارى، فأعجبني صلواتهم ودعاؤهم، فجلست أنظر كيف يفعلون. فقال: أى بنى دينك ودين آبائك خير من دينهم. فقلت: لا والله ما هو بخير من دينهم، هؤلاء قومٌ يعبدون الله ويدعون ويصلون له، ونحن إنما نعبد ناراً نوقدها بأيدينا، إذا تركناها ماتت. فخافنى، فجعل في رجلى حديداً، وحبسنى في بيت عنده، فبعثت إلى النصرارى، فقلت لهم: أين أصلُ هذا الدين الذى أراكم عليه؟ فقالوا: بالشام. فقلت: فإذا قدم عليكم من هناك ناسٌ فأذنونى، قالوا: نعمل. فقدم عليهم ناسٌ في تجارتهم.

فبعثوا إلىَّ أنه قد قدم علينا تجار من تجارنا. فبعثت إليهم إذا قضوا حوائجهم وأردوا الرحيل بعثوا إلىَّ بذلك، فطرحت الحديد الذى في رجلى ولحقت بهم، فانطلقت معهم حتى قدمت الشام. فلما قدمتها، قلت: من أفضل أهل هذا الدين؟ فقالوا: الأسقف صاحب الكنيسة (٤). فجئته، فقلت له: أحببت أن أكون معك في كنيستك، وأعبد الله

(١) أصحاب الرسول ﷺ (٢/٨٥-٨٦) / للمصنف.

(٢) دهقان أرضه: شيخ قريته العارف بها بالفلاحة وما يصلح بالأرض من الشجر يُلجأ إليه في معرفة ذلك.

(٣) قطن النار: خادمها الذى يخدمها، ويمنعها من أن تنطفئ لتعظيمهم إياها.

(٤) الاسقف: هو عالم النصرارى الذى يقيم لهم أمر دينهم.

معك، وأتعلم منك الخير. قال: فكن معي.

قال: فكنت معه، وكان رجل سوء؛ كان يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها. فإذا جمعوها إليه اكتنزها ولم يعطها المساكين. فأبغضته بغضاً شديداً لما رأيت من حاله، فلم ينشب أن مات، فلما جاءوا ليدفنوه قلت لهم: إن هذا رجل سوء؛ كان يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها، حتى إذا جمعتموها إليه اكتنزها ولم يعطها المساكين. فقالوا: وما علامة ذلك؟ فقلت: أنا أخرج لكم كنزه. فقالوا: فهاته. فأخرجت لهم سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً (فضة). فلما رأوا ذلك قالوا: والله لا يُدفن أبداً. فصلبوه على خشبة ورموه بالحجارة، وجاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه. فلا والله يا ابن عباس، ما رأيت رجلاً قط لا يصلى الخمس أرى أنه أفضل منه أشد اجتهاداً، ولا أزهدي في الدنيا، ولا أدأب<sup>(١)</sup> ليلاً ولا نهاراً منه. ما أعلمني أحببت شيئاً قط قبله حبه. فلم أزل معه حتى حضرته الوفاة.

فقلت: يا فلان، قد حضرك ما ترى من أمر الله، وإني والله ما أحببت شيئاً قط، حبك، فماذا تأمرني؟ إلى من توصيني؟ فقال: أي بني، والله ما أعلمه إلا رجلاً بالموصل فآته، فإنك ستجده على مثل حالي.

فلما مات (وغيب) لحقت بالموصل، فأتيت صاحبها، فوجدته على مثل حاله من الاجتهاد والزهادة في الدنيا، فقلت له: إن فلاناً أوصاني إليك أن آتيك وأكون معك. قال: فأقم أي بني. فأقمت عنده على مثل أمر صاحبه، حتى حضرته الوفاة. فقلت له: إن فلاناً أوصاني إليك وقد حضرك من أمر الله ما ترى، فإلى من توصيني فقال: والله ما أعلمه، أي بني، إلا رجل بنصيبين وهو على مثل ما نحن عليه، فالحق به، فلما دفناه. لحقت بالآخر فقلت له: يا فلان، إن فلاناً أوصاني إلى فلان، وفلان أوصاني إليك. قال: فأقم يا بني. فأقمت عنده على مثل حالهم حتى حضرته الوفاة. فقلت له: يا فلان، إنه قد حضرك من أمر الله ما ترى، وقد كان فلان أوصاني إلى فلان، وأوصاني فلان إلى فلان، وأوصاني فلان إليك، فإلى من توصيني؟ قال لي: أي بني، والله ما أعلم أحداً على مثل ما نحن عليه إلا رجل بعمورية من أرض الروم، فآته، فإنك ستجده على مثل ما كنا عليه.

فلما واريته<sup>(٢)</sup>، خرجت حتى قدمت على صاحب عمورية، فوجدته على مثل

(١) أدأب: أحرص.

(٢) واريته: دفنته.

حالهم، فأقمت عنده، واكتسبت حتى كان لى غنيمة وبقرات. ثم حضرته الوفاة. فقلت: يا فلان، إن فلاناً كان أوصانى إلى فلان، وفلان إلى فلان، وفلان إليك، وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى، فإلى من توصينى؟

قال: أى بنى، والله ما أعلمه بقى أحد على مثل ما كنا عليه أمرك أن تأتبه. ولكنه قد أظلك زمان نبي يُبعث من الحرم، مهاجره بين حرتين<sup>(١)</sup>، إلى أرض سبخة ذات نخيل، وإن فيه علامات لا تخفى: بين كتفيه خاتم النبوة، يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة. فإن استطعت أن تخلص إلى تلك البلاد فافعل، فإنه قد أظلك زمانه.

فلما واريناه، أقمت حتى مر رجال من تجار العرب من كلب، فقلت لهم: تحملونى معكم حتى تقدموا بى أرض العرب، وأعطيكم غنيمتى هذه وبقراتى؟ قالوا: نعم. فأعطيتهم إياها، وحملونى حتى إذا جاءوا بى وادى القرى ظلمونى فباعونى عبداً من رجل من يهود، بوادى القرى فوالله لقد رأيت النخل، وطمعت أن تكون البلد الذى نعت لى صاحبي وما حقت عندى، حتى قدم رجل من بنى قريظة، من يهود وادى القرى، فابتاعنى من صاحبي الذى كنت عنده، فخرج بى حتى قدم المدينة. فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفت نعته، فأقمت فى رق مع صاحبي.

وبعث الله رسوله ﷺ، بمكة لا يذكر لى شيئاً من أمره مع ما أنا فيه من الرق حتى قدم رسول الله ﷺ قباء، وأنا أعمل لصاحبي فى نخلة له. فوالله إنى لفيها إذ جاء ابن عم له، فقال: يا فلان قاتل الله بنى قيلة<sup>(٢)</sup>، ووالله إنهم الآن لفى قباء مجتمعون على رجل من مكة، يزعمون أنه نبي، فوالله ما هو إلا أن سمعتها، فأخذتنى «العرواء» - «الرعدة» - حتى ظننت لأسقطن على صاحبي. ونزلت أقول: ما هذا الخبر؟ ما هو؟ فرفع مولاي يده، فلكنى لكمة شديدة، وقال: ما لك ولهذا؟ أقبل قبل عملك. فقلت: لا شىء، إنما سمعت خبراً فأحببت أن أعلمه. فلماً أمسيت، وكان عندى شىء من طعام، فحملته وذهبت به إلى رسول الله ﷺ، وهو بقباء، فقلت: إنه قد بلغنى أنك رجل صالح، وأن معك أصحاباً لك غرباء، وقد كان عندى شىء للصدقة، فرأيتكم أحق من بهذه البلاد (به) فيها هو ذا فكل منه. فأمسك رسول الله ﷺ بيده، وقال: لأصحابه: كلوا، ولم يأكل. فقلت فى نفسى هذه خلة مما وصف لى صاحبي.

(١) الحرة: الأرض الصخرية ذات الحجارة السود كأنها أحرقت بالنار.

(٢) بنى قيلة: هم الأوس والخزرج ينسبون إلى أمهم قيلة بنت كاهل بن عذرة.

ثم رجعت، وتحول رسول الله ﷺ، إلى المدينة فجمعت شيئاً كان عندي ثم جئته به، فقلت: قد رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية وكرامة ليست بالصدقة. فأكل رسول الله ﷺ، وأكل أصحابه. فقلت: هاتان خلتان.

ثم جئت رسول الله ﷺ وهو يتبع جنازة وعليّ شملتان لى وهو فى أصحابه، فاستدرت به لأنظر إلى الخاتم فى ظهره، فلما رآنى رسول الله ﷺ، استدبرته عرف أنى أستثبت شيئاً قد وُصف لى، فوضع رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم بين كتفيه كما وصف لى صاحبه فأكبت عليه أقبلة وأبكى. فقال: تحول يا سلمان هكذا. فتحولت فجلست بين يديه. وأحب أن يسمع أصحابه حديثى عنه. فحدثته يا ابن عباس كما حدثتك. فلما فرغت قال رسول الله ﷺ: كاتب يا سلمان. فكاتبته صاحبه على ثلاثمائة نخلة أحبيها، وأربعين أوقية. وأعاننى أصحاب رسول الله، بالنخل: ثلاثين ودية<sup>(١)</sup>. وعشرين ودية، وعشر، كل رجل منهم على قدر ما عنده. فقال لى رسول الله ﷺ: فقّر لها<sup>(٢)</sup> فإذا فرغت فأذنى حتى أكون الذى أضعها بيدي.

ففقرتها وأعاننى أصحابى - يقول حفرت لها حيث توضع - حتى فرغنا منها. ثم جئت رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، قد فرغنا منها فخرج معى حتى جاءها، وكنا نحمل إليه الودى، ويضعه بيده، ويسوى عليها. فوالذى بعته بالحق ما ماتت منها ودية واحدة. وبقيت على الدراهم. فأتاه رجل من بعض المعادن بمثل البيضة من الذهب، فقال رسول الله ﷺ: أين الفارسى المسلم المكاتب؟ فدعيت له، فقال: خذ هذه يا سلمان، فأدها مما عليك. فقلت: يا رسول الله، وأين تقع هذه مما علىّ؟ قال: فإن الله تعالى سيؤدى بها عنك. فوالذى نفس سلمان بيده لو زنت لهم منها أربعين أوقية، فأديتها إليهم وعُتق سلمان. وكان الرق قد حبسنى حتى فاتنى مع رسول الله ﷺ، بدرّ وأحد، ثم عتقت فشهدت الخندق، ثم لم يفتنى معه مشهد<sup>(٣)</sup>.

(١) الودية: النخلة الصغيرة.

(٢) فقّر لها: أى أحفر.

(٣) أخرجه أحمد فى المسند: (٤٤١/٥ - ٤٤٤)، وابن هشام فى السيرة: (٢٢٨/١ - ٢٣٥)، والبيهقى فى الدلائل (٩٢/٢ - ٩٧) والخطيب فى التاريخ: (١٦٤/١ - ١٦٩)، وأبو نعيم فى دلائل النبوة: ١٩٩، وابن سعد فى الطبقات: (٧٥/٤ - ٨٠)، والطبرانى فى الكبير برقم (٦٠٦٥)، جميعاً من طريق ابن إسحاق، حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن ابن عباس عن سلمان به. وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث فزال شبهة التليس والإسناد حسن.

• بل ها هو زيد بن عمرو بن نفيل الذى كان على الحنيفية السمحة:

\* عن ابن عمر (رضى الله عنهما): «أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه، فلقي عالماً من اليهود فسأله عن دينهم فقال: إني لعلى أن أدين دينكم فأخبرني، فقال: لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله<sup>(١)</sup>».

قال زيد: ما أفرُّ إلا من غضب الله، ولا أحمل من غضب الله شيئاً، وأنى أستطيعه؟ فهل تدلني على غيره؟

قال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفاً. قال زيد: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً، ولا يعبد إلا الله؟

فخرج زيد فلقي عالماً من النصارى فذكر مثله، فقال: لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله. قال: ما أفرُّ إلا من لعنة الله<sup>(٢)</sup>، ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئاً أبداً، وأنى أستطيع؟ فهل تدلني على غيره؟

قال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفاً. قال: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً، ولا يعبد إلا الله، فلما رأى زيد قولهم فى إبراهيم عليه السلام خرج، فلما برز رفع يديه، فقال: اللهم إني أشهد أنى على دين إبراهيم<sup>(٣)</sup>.

\* وعن أسماء بنت أبى بكر (رضى الله عنها) قالت: «رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائماً مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول: يا معشر قريش، والله ما منكم على دين إبراهيم غيرى، وكان يحيى المؤودة<sup>(٤)</sup>، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: لا تقتلها، أنا أكفيك مؤونتها<sup>(٥)</sup>، فيأخذها، فإذا ترعرعت قال لأبيها: إن شئت دفعتها إليك، وإن شئت كفيتك مؤونتها<sup>(٦)</sup>».

(١) الغضب: نزول العقاب والعذاب.

(٢) اللعنة: الإبعاد من الرحمة.

(٣) رواه البخارى فى مناقب الأنصار، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل، رقم (٣٨٢٧).

(٤) يحيى المؤودة: يستبقها ويفتديها بالمال حتى لا يدفنها أبوها.

(٥) مؤونتها: نفقتها.

(٦) رواه البخارى فى مناقب الأنصار، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل رقم (٣٨٢٨) فتح البارى:

(١٤٣/٧) معلقاً، ووصله الحاكم فى المستدرک: (٤٤٠/٣) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم

يخرجاه، بل أخرجاه كما سبق ذكره، وقال الحافظ: وصله جماعة ذكرهم فى الفتن.

\* وعن ابن عمر (رضى الله عنهما) قال: «إن النبي ﷺ لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح<sup>(١)</sup> قبل أن ينزل على النبي ﷺ الوحي، فقدمت إلى النبي ﷺ سفرة، فأبى أن يأكل منها، ثم قال زيد: إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم<sup>(٢)</sup>، ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه.

وأن زيد بن عمرو بن نفيل كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول: الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم الله، إنكاراً لذلك وإعظماً له<sup>(٣)</sup>.

قال ابن إسحاق: وحدثت أن ابنه، سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعمر بن الخطاب - وهو ابن عمه - قالوا لرسول الله ﷺ: أنستغفر لزيد بن عمرو؟ قال: نعم فإنه يُبعث أمة وحده<sup>(٤)</sup>.

### قصة حضر زمزم

\* عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه - قال: «قال عبد المطلب: إني لنائم في الحجر إذ أتاني آت فقال لي: احفر طيبة<sup>(٥)</sup>. قلت: وما طيبة؟ قال: ثم ذهب عني.

قال: فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي، فنمت فيه، فجاءني فقال: احفر برة<sup>(٦)</sup>، قال: قلت وما برة؟ قال: ثم ذهب عني.

فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي، فنمت فيه: فجاءني فقال: احفر المذنونة<sup>(٧)</sup>. قال: قلت: وما المذنونة؟ قال: ثم ذهب عني.

فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي، فنمت فيه: فجاءني فقال: احفر زمزم<sup>(٨)</sup>. قال:

(١) بلدح: مكان في طريق التنعيم في مكة.

(٢) الأنصاب: أحجار كانت حول الكعبة يذبحون عليها للأصنام.

(٣) رواه البخارى في مناقب الأنصار، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل رقم (٣٨٢٦).

(٤) رواه أحمد في المسند (١٦٤٨) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٥) طيبة: مشتقة من الطيب، وبه سميت المدينة المنورة.

(٦) برة: مشتقة من البر، والبر: هو الخير والطهارة.

(٧) المذنونة: الغالية النفيسة التي يضمن بمثلها، أى يُبخل.

(٨) زمزم: أصل الزمزمة كلام بصوت لا يفهم، فشبّه صوت الماء منها بالزمزمة.

قلت: وما زمزم؟ قال: لا تنزف أبداً ولا تدم<sup>(١)</sup>، تسقى الحجيج الأعظم، وهى بين الفرت والدم، عند نقرة الغراب الأعصم<sup>(٢)</sup>، عند قرية النمل<sup>(٣)</sup>.

قال: فلما بين شأنها، ودل على موضعها، وعرف أنه قد صدق، غدا بمعوله<sup>(٤)</sup> ومعه ابنه الحارث بن عبد المطلب، وليس معه يومئذ ولد غيره، فحضر فيها، فلما بدا لعبد المطلب الطي<sup>(٥)</sup> كبر، فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته، فقاموا إليه فقالوا: يا عبد المطلب إنها بئر أبيتنا إسماعيل، وإن لنا فيها حقاً، فأشركنا معك فيها. قال: ما أنا بفاعل، إن هذا الأمر قد خصصت به دونكم، وأعطيته من بينكم. قالوا له: فأنصفنا، فإننا غير تاركين حتى نخاصمك فيها، قال: فاجعلوا بينى وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه. قالوا: كاهنة بنى سعد بن هذيم، قال: نعم، وكانت بأشراف الشام.

فركب عبد المطلب ومعه نفر من بنى أمية، وركب من كل قبيلة من قريش نفر، فخرجوا والأرض إذ ذاك مفاوز، حتى إذا كانوا ببعضها نفذ ماء عبد المطلب وأصحابه، فعطشوا حتى استيقنوا بالهلكة، فاستسقوا من كانوا معهم فأبوا عليهم، وقالوا: إنا بمفازة<sup>(٦)</sup> وإنا نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم. فقال عبد المطلب: إنى أرى أن يحضر كل رجل منكم حفرة لنفسه بما لكم الآن من القوة، فكلما مات رجل دفعه أصحابه فى حفرة ثم واروه، حتى يكون آخرهم رجلاً واحداً، فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعه. فقالوا: نعم ما أمرت به.

فحفر كل رجل لنفسه حفرة، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشاً.

ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه: والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت لا ضرب فى الأرض، ولا نبتغى لأنفسنا لعجز، فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد، ارتحلوا. فارتحلوا حتى إذا بعث<sup>(٧)</sup> عبد المطلب راحلته انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب، فكبر عبد المطلب، وكبر أصحابه، ثم نزل فشرب وشرب أصحابه، واستسقوا حتى ملأوا

(١) لا تنزف: أى لا يفرغ ماؤها ولا يلحق قعرها.

(٢) الغراب الأعصم: الذى فى ساقه بياض.

(٣) قرية النمل: المكان الذى يجتمع فيه النمل.

(٤) المعول: الفأس.

(٥) الطي: حافة البئر.

(٦) المفازة: جمعها مفاوز: القفار، وسميت مفازة على جهة التفاؤل وقيل هى مشتقة من فوز الرجل إذا هلك.

(٧) بعث راحلته: اقامها من بروكها.

أسقيتهم، ثم دعا قبائل قريش - وهم ينظرون إليهم في جميع هذه الأحوال - فقال: هلموا إلى الماء فقد سقانا الله، فجاءوا فشربوا، واستقوا كلهم، ثم قالوا: قد والله قضى لك علينا، والله ما نخاصمك في زمزم أبداً، إن الذى سقاك هذا الماء بهذه الفلاة هو الذى سقاك زمزم، فارجع إلى سقائك راشدًا. فرجع ورجعوا معه، ولم يصلوا إلى الكاهنة، وخلوا بينه وبين زمزم».

قال ابن إسحاق: فهذا ما بلغنى عن على بن أبى طالب فى زمزم<sup>(١)</sup>.

### قصة نذر عبد المطلب بأن يذبح أحد أبنائه

قال ابن إسحاق: وكان عبد المطلب بن هاشم - فيما يزعمون والله أعلم - قد نذر - حين لقي من قريش ما لقي عند حفر زمزم - لثن وُلد له عشرة نفر، ثم بلغوا معه حتى يمنعه، لينحرن أحدهم لله عند الكعبة. فلما توافى بنوه عشرة، وعرف أنهم سيمنعونه، جمعهم ثم أخبرهم بنذره، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك، فأطاعوه وقالوا: كيف نصنع؟ قال: ليأخذ كل رجل منكم قدحاً ثم يكتب فيه اسمه، ثم اثنوني، ففعلوا ثم أتوه، فدخل بهم على هبل فى جوف الكعبة، وكان هبل - اسم الصنم - على بئر فى جوف الكعبة، وكانت تلك البئر هى التى يُجمع فيها ما يهدى للكعبة.

فقال عبد المطلب لصاحب القداح: اضرب على بنى هؤلاء بقداحهم هذه، وأخبره بنذره الذى نذر، فأعطاه كل رجل منهم قدحه الذى فيه اسمه.

قال ابن إسحاق: وكان عبد الله أحب ولد عبد المطلب إليه، وهو أبو رسول الله ﷺ، فلما أخذ صاحب القداح القداح ليضرب بها، قام عبد المطلب عند هبل يدعو الله، ثم ضرب صاحب القداح، فخرج القدح على عبد الله، فأخذه عبد المطلب بيده، وأخذ الشفرة<sup>(٢)</sup>، ثم أقبل به إلى إساف ونائلة ليذبحه، فقامت إليه قريش من أنديتها، فقالوا:

(١) أخرجه ابن إسحاق بسنده، فقال: حدثنى يزيد بن حبيب المصرى، عن مرثد بن عبد الله اليزنى، عن عبد الله بن زهير أنه سمع على بن أبى طالب، فذكره....

انظر السيرة النبوية لابن هشام: (١٤٢/١ - ١٥٥)، والسير والمغازى لابن إسحاق صفحة: (٢٤ - ٢٥) تحقيق سهيل زكار. والبيهقى فى الدلائل: (٩٣/١ - ٩٥)، من طريق ابن إسحاق، وقد صرح ابن إسحاق بالسماع، فسند صحيح، وله شاهد من مرسل الزهرى عند عبد الرزاق فى المصنف، حديث رقم: (٩٧١٨)، (٣١٤/٥)، ورواه ابن سعد فى طبقاته: (٨٣/١ - ٨٥) من طريق الواقدى، وهو ضعيف. فالحديث بهذا صحيح من طريق البيهقى وابن هشام.

(٢) الشفرة: السكين.



ماذا تريد يا عبد المطلب؟ قال: أذبحه؛ فقالت له قريش وبنوه: والله لا تذبحه أبداً حتى تعذر فيه، لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه. فما بقاء الناس على هذا؟

وقالت له قريش وبنوه: لا تفعل، وانطلق به إلى الحجاز، فإن به عرافة لها تابع، فسلها، ثم أنت على رأس أمرك، إن أمرتك بذبحه ذبحته، وإن أمرتك بأمر لك وله فيه فرج قبلته.

فانطلقوا حتى قدموا المدينة فوجدوها - فيما يزعمون - بخبير، فركبوا حتى جاءوها فسألوها، وقص عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه، وما أراد به ونذره فيه، فقالت لهم: ارجعوا عني اليوم حتى يأتيني تابعي فأسأله، فرجعوا من عندها فلما خرجوا عنها قام عبد المطلب يدعو الله، ثم غدوا عليها، فقالت لهم: قد جاءني الخبر، كم الدية فيكم؟ قالوا: عشرة من الإبل، وكانت كذلك قالت: فارجعوا إلى بلادكم، ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشراً من الإبل، ثم اضربوا عليها وعليه بالقداح: فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم، وإن خرجت على الإبل فانحروها عنه، فقد رضى ربكم ونجا صاحبكم.

فخرجوا حتى قدموا مكة، فلما أجمعوا على ذلك من الأمر قام عبد المطلب يدعو الله؛ ثم قربوا عبد الله وعشراً من الإبل، وعبد المطلب قائم عند هبل يدعو الله عز وجل ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل؛ فبلغت الإبل عشرين.

..... - إلى أن قال -: وقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل مئة، وقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدح على الإبل؛ فقالت قريش ومن حضر: قد انتهى رضا ربك يا عبد المطلب، فزعموا أن عبد المطلب قال: لا والله حتى أضرب عليها ثلاث مرات؛ فضربوا على عبد الله وعلى الإبل، وقام عبد المطلب يدعو الله، فخرج القدح على الإبل، ثم عادوا الثانية، وعبد المطلب قائم يدعو، فضربوا فخرج القدح على الإبل؛ ثم عادوا الثالثة، وعبد المطلب قائم يدعو الله، فضربوا فخرج القدح على الإبل، فنحرت ثم تركت لا يُصد عنها إنسان ولا يمنع<sup>(١)</sup>.

(١) السيرة النبوية/ لابن هشام (١/١٣٦: ١٣٩) بتصرف.

قال الطبري في تاريخه: حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال أخبرنا ابن وهب، قال أخبرنا يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب أنه أخبره أن امرأة نذرت أن تنحر ابنها عند الكعبة في أمر إن فعلته، ففعلت ذلك الأمر، فقدمت المدينة لتستفتي عن نذرها فجاءت عبد الله بن عمر فقال لها عبد الله بن عمر: قد نهاكم الله أن تقتلوا أنفسكم فلم يزلها عبد الله بن عمر على ذلك. فجاءت عبد الله بن عباس فاستفتته فقال: أمر الله بوفاء النذر، والنذر دين ونهاكم أن تقتلوا أنفسكم. وقد كان عبد المطلب ابن هاشم نذر إن توافق له عشرة رهط أن ينحر أحدهم. فلما توافق له عشرة أقرع بينهم أيهم ينحر، فطارت القرعة على عبد الله بن عبد المطلب، وكان أحب الناس إلى عبد المطلب: فقال: عبد المطلب: اللهم هو أو مائة من الإبل، ثم أقرع بينه وبين الإبل، فطارت القرعة على المائة من الإبل.

فقال ابن عباس للمرأة فأرى أن تنحري مائة من الإبل مكان ابنك. فبلغ الحديث مروان وهو أمير المدينة، فقال: ما أرى ابن عمر ولا ابن عباس أصابا الفتيا إنه لا نذر في معصية الله، استغفرى الله وتوبى إلى الله وتصدقى واعملى ما استطعت من الخير، فأما أن تنحري ابنك فقد نهاك الله عن ذلك، فسُرَّ الناس بذلك وأعجبهم قول مروان، ورأوا أنه قد أصاب الفتيا، فلم يزالوا يفتون بلا نذر في معصية الله<sup>(١)</sup>.

### قصة أصحاب الفيل

وخلاصة هذه القصة:

أن أبرهة الحبشى النائب العام عن النجاشي على اليمن لما رأى العرب يحججون إلى الكعبة بنى كنيسة كبيرة بصنعاء وأراد أن يصرف حج العرب إليها، وسمع بذلك رجل من بنى كنانة فدخلها ليلاً فلوخ قبلتها بالعدرة، ولما علم أبرهة بذلك ثار غيظه<sup>(٢)</sup>.

فقال: من صنع هذا؟ فقيل له: صنع هذا رجل من العرب من أهل هذا البيت الذى تحج العرب إليه بمكة، لما سمع قولك: «أصرف إليها حج العرب» غضب فجاء فقعد فيها، أى أنها ليست لذلك بأهل، فغضب عند ذلك أبرهة، وحلف ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه، ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت، ثم سار وخرج معه بالفيل؛ وسمعت بذلك

(١) تاريخ الطبري (٢/٢٣٩، ٢٤٠). قال عادل عبد الغفور فى دراسة مرويات العهد المكي: وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات - صفحة ٩٤ من طبعة الآلة الكاتبة.

(٢) الرحيق المختوم (ص: ٤٧) للمباركفورى - ط. قرطبة.

العرب فأعظموه وفضعوا به، ورأوا جهاده حقاً عليهم، حين سمعوا أنه يريد هدم الكعبة، بيت الله الحرام.

فخرج إليه رجل كان من أشرف أهل اليمن وملوكهم يقال له: ذو نفر، فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة، وجهاده عن بيت الله [الحرام]، وما يريد من هدمه وإخراجه، فأجابه إلى ذلك من أجابه، ثم عرض له فقاتله، فهزم ذو نفر وأصحابه، وأخذ له ذو نفر فأتى به أسيراً، فلما أراد قتله قال له ذو نفر: أيها الملك، لا تقتلني فإنه عسى أن يكون بقائي معك خيراً لك من قتلي؛ فتركه من القتل وحبسه عنده في وثاق، وكان أبرهة رجلاً حليماً.

ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له، حتى إذا كان بأرض خثعم عرض له نفيل بن حبيب الخثعمي، في قبيلتي خثعم (شهران، وناهس)، ومن تبعه من قبائل العرب، فقاتله فهزمه أبرهة، وأخذ له نفيل أسيراً فأتى به، فلما هم بقتله قال له نفيل: أيها الملك، لا تقتلني فإني دليلك بأرض العرب، وهاتان يداي لك على قبيلتي خثعم شهران، وناهس بالسمع والطاعة، فخلّى سبيله.

وخرج به معه يدله، حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب في رجال ثقيف.

قال ابن إسحاق: فقالوا له: أيها الملك، إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون، ليس عندنا لك خلاف، وليس بيتنا هذا البيت الذي تريد - يعنون اللات - إنما تريد البيت الذي بمكة، ونحن نبعث معك من يدلك عليه، فتجاوز عنه.

قال ابن إسحاق: فبعثوا معه أبا رغال يدله على الطريق إلى مكة، فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله المغمس<sup>(١)</sup>؛ فلما أنزله [به] مات أبو رغال هنالك، فرجمت قبره العرب، فهو القبر الذي يرمم الناس بالمغمس.

فلما نزل أبرهة المغمس بعث رجلاً من الحبشة يقال له: (الأسود بن مقصود) على خيل له، حتى انتهى إلى مكة، فساق إليه أموال [أهل] تهامة من قريش وغيرهم، وأصاب فيها مئتي بعير لعبد المطلب بن هاشم، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها، فهتمت قريش وكنانة وهذيل<sup>١</sup> ومن كان بذلك الحرم [من سائر الناس] بقتاله، ثم عرفوا أنهم لا

(١) المغمس: كأنه أشتق من الغميس وهو الغمير، وهو النبات الأخضر الذي ينبت في الحريف تحت الياض. وهو مكان على ثلث فرسخ من مكة في طريق الطائف.

طاقة لهم به، فتركوا ذلك.

وبعث أبرهة حناطة الحميري إلى مكة، وقال له: سل عن سيد أهل هذا البلد وشريفها، ثم قل [له]: إن الملك يقول لك: إنى لم آت لحربكم، إنما جئت لهدم هذا البيت، فإن لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لى بدمائكم، فإن هو لم يُرد حربى فأنتى به، فلما دخل حناطة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها، فقيل له: عبد المطلب بن هاشم [ابن عبد مناف بن قصى]، فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة، فقال له عبد المطلب: والله ما نريد حربيه، وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام، أو كما قال - فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمة، وإن يخل بيته وبيته فوالله ما عندنا دفع عنه، فقال [له] حناطة: فانطلق معى إليه، فإنه قد أمرنى أن آتية بك.

فانطلق معه عبد المطلب - ومعه بعض بنيه - حتى أتى العسكر فسأل عن ذى نفر، وكان له صديقاً، حتى دخل عليه وهو فى محبسه، فقال له: يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا، فقال له ذو نفر: وما غناء رجل أسير بيدي ملك ينتظر أن يقتله غدواً أو عشياً! ما عندى غناء فى شىء مما نزل بك إلا أن أنيساً سائس الفيل صديق لى، وسأرسل إليه فأوصيه بك، وأعظم عليه حقك، وأسأله أن يستأذن لك على الملك فتكلمه بما بدا لك، ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك، فقال: حسبى (يكفينى ذلك)، فبعث ذو نفر إلى أنيس، فقال له: إن عبد المطلب سيد قريش، وصاحب غير مكة، يطعم الناس بالسهل، والوحوش فى رءوس الجبال، وقد أصاب له الملك مئتى بعير، فاستأذن له عليه، وانفعه بما استطعت، فقال: أفعل.

فكلم أنيس أبرهة، فقال له: أيها الملك، هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك، وهو صاحب غير مكة، وهو يطعم الناس فى السهل، والوحوش فى رءوس الجبال، فأذن له عليك، فيكلمك فى حاجته، [وأحسن إليه]. قال: فأذن له أبرهة.

قال: وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم، فلما رآه أبرهة أجله [وأعظمه] وأكرمه عن أن يجلسه تحته، وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه، [فنزل أبرهة عن سريره] فجلس على بساطه، وأجلسه معه عليه إلى جانبه، ثم قال لترجمانه: قل له: حاجتك؟ فقال له ذلك الترجمان، فقال: حاجتى أن يرد على الملك مئتى بعير أصابها لى، فلما قال له ذلك قال أبرهة لترجمانه: قل له: قد كنت أعجبتنى حين رأيتك، ثم قد زهدت فىك حين كلمتنى، أتكلمنى فى مئتى بعير أصبتها لك،

وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمنى فيه؟! قال له عبد المطلب:  
إنى أنا رب الإبل، وإن للبيت رباً سيمنعه.

فرد أبرهة على عبد المطلب الإبل التى أصاب له.

فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر، وأمرهم بالخروج من مكة، والتحرز في شعف الجبال، والشعاب، تخوفاً عليهم [من] مَعْرَةَ الجيش<sup>(١)</sup>، ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده، فقال عبد المطلب وهو أخذ بحلقة باب الكعبة:

لَاهُمْ إِنْ الْعَبْدَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ فَاَمْنَعُ حِلَالِكَ<sup>(٢)</sup>  
لَا يَغْلِبَنَّ صَلِيْبُهُمْ وَمَحَالُهُمْ غَدَوْاً مَحَالِكَ<sup>(٣)</sup>  
إِنْ كُنْتَ تَارِكَهُمْ وَقَبَلْتَنَا فَأَمْرٌ مَا بَدَا لَكَ

قال ابن إسحاق: ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها.

فلما أصبح أبرهة تهيأً لدخول مكة، وهياً فيله وعبي جيشه<sup>(٤)</sup>، وكان اسم الفيل محموداً؛ وأبرهة مُجْمَعٌ لهدم البيت، ثم الانصراف إلى اليمن، فلما وجهوا الفيل إلى مكة أقبل نَفِيلُ بن حَبِيب [الختعمي] حتى قام إلى جنب الفيل، ثم أخذ بأذنه فقال: اَبْرُكُ محمود، أو ارجع راشداً من حيث جئت، فإنك في بلد الله الحرام، ثم أرسل أذنه، فبرك الفيل، وخرج نَفِيلُ بن حَبِيب يشدُّ حتى أصعد في الجبل، وضربوا الفيل ليقوم، فأبى، فضربوا [فى] رأسه بالطَّبْرَزين<sup>(٥)</sup> [ليقوم] فأبى، فأدخلوا محاجن لهم فى مَرَاقِهِ فيزغوه<sup>(٦)</sup> بها ليقوم فأبى، فوجهوه راجعاً إلى اليمن، فقام يَهْرُولُ، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى المَشْرِقِ ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة فبرك، فأرسل الله عليهم

(١) شعف الجبال: رؤوسها. ومعرة الجيش: أى شدته.

(٢) لاهم: أى اللهم. وحلالك: جمع حلة وهى جماعة البيوت وربما أريد القوم المجتمعون لأنهم يحلون فيها.

(٣) محالك: القوة والشدّة.

(٤) عبي جيشه: يقال عبيت الجيش بغير همزة وعبأت المتاع بالهمزة.

(٥) الطبرزان: هى آلة معقفة من حديد وقال السهيلي: طبر هو الفأس، وذكر الطبرستان بفتح الباء وقال معناه:

شجر قطع بفأس.

(٦) بزغوه: أى آدموه.

طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان<sup>(١)</sup>، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها: حجر في منقاره، وحجران في رجليه، أمثال الحمص والعدس، لا تصيب منهم أحداً إلا هلك، وليس كلهم أصابت، وخرجوا هارين يتدرون الطريق الذي منه جاءوا، ويسألون عن نفيّل بن حبيب ليدلّهم على الطريق إلى اليمن، فقال نفيّل حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمة:

أَيْنَ الْمَفْرُ وَالْإِلَهُ الطَّالِبُ وَالْأَشْرَمُ الْمَغْلُوبُ لَيْسَ الْغَالِبُ

فخرجوا يتساقطون بكل طريق، ويهلكون [بكل مهلك] على غير كل منهل<sup>(٢)</sup> وأصيب أبرهة في جسده، وخرجوا به معهم تسقط [أنامله] أنملة أنملة<sup>(٣)</sup>، كلما سقطت أنملة أتبعنها منه مدة تمث<sup>(٤)</sup> قيحاً ودماً، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر، فما مات حتى انصدع صدره<sup>(٥)</sup> عن قلبه.

قال ابن إسحاق: فلما بعث الله تعالى محمداً ﷺ، كان مما يعد الله على قريش من نعمته عليهم وفضله، ما رد عليهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ (١) ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ (٢) وأرسل عليهم طيراً أبابيل (٣) ترميهم بحجارة من سجيل (٤) فجعلهم كعصف مأكول (٥) [الفيل: ١-٥]، وقال: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ (١) ﴿إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ (٢) ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ (٣) ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ١-٤] (٦).

### نعمة امتن الله بها على قريش

\* قال ابن كثير: هذه من النعم التي امتن الله بها على قريش، فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل، الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود فأبادهم الله وأرغم أنافهم، وخيب سعيهم، وأضل عملهم، وردهم بشر خيبة، وكانوا قومًا

(١) الخطاطيف: طيور سود، واحدها خطاف. والبلسان: قال ابن الأثير: قال عباد بن موسى: أظنها الزرازير.

(٢) المنهل: مكان ورود الماء وجمعه مناهل.

(٣) أنملة: أي ينثر جسمه قطعة قطعة؛ والأنملة طرف الإصبع، ولكن يعبر بها عن طرف غير الإصبع والجزء الصغير.

(٤) تمث: يتصيب ويرشح.

(٥) انصدع صدره: أي انشق.

(٦) السيرة النبوية لابن هشام (١/٥٦: ٦٣) باختصار شديد.

نصارى، وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالاً مما كانت عليه قريش من عبادة الأوثان، ولكن هذا من باب الإرهاص والتوطئة لمبعث رسول الله ﷺ، فإنه في هذا العام وُلد على أشهر الأقوال، ولسان حال القدرة يقول: لم ينصركم يا معشر قريش على الحبشة لخيريتكم عليهم، ولكن صيانة للبيت العتيق الذي سنشرفه ونوقره ببعثه النبي الأمي محمد - صلوات الله وسلامه عليه - خاتم الأنبياء<sup>(١)</sup>.

### زواج عبد الله من أمنة بنت وهب

وُلد محمد ﷺ من أسرة زكية المعدن نبيلة النسب. جمعت خلاصة ما في العرب من فضائل، وترفعت عما يشينهم من أوصار.

وكان منبت محمد ﷺ في أسرة لها شأنها، بعض ما أعد الله لرسالته من نجاح. فالمجتمع العربي الأول كان يقوم على العصبية القبلية الحادة. العصبية التي تفنى القبيلة كلها دفاعاً عن كرامتها الخاصة.

\* وكان عبد المطلب سيد مكة، بيد أن هذه السيادة التي انتهت إليه انتهت به، ولم تستقر في عقبه، إذ اشتد ساعد منافسيهم في زعامة أم القرى. وبدا كأن الأمر سيؤول إليهم، بل إن هي إلا أعوام حتى تصدرت أسرة عبد شمس، ثم تمر أعوام أخرى فإذا أبو سفيان يتزعم مكة، وبذلك تنتقل السيادة عن بني هاشم.

و«عبد الله» أصغر أبناء عبد المطلب وله في قلبه منزلة جليلة، وقد زوجه بأمنة بنت وهب، ثم تركه يسعى في الحياة وحده، فخرج وهو عروس، بعد أشهر من بنائه بأمنة، خرج في مناكب الأرض ابتغاء الرزق، وذهب في رحلة الصيف إلى الشام، فذهب ولم يعد.. عادت القافلة تحمل أبناء مرضه، ثم جاء بعد قليل نعيه.

وكانت أمنة تنتظر رجلها الشاب الجلد لتنهأ بمحياها معه، ولتشعره بأن في أحشائها جنيناً يوشك أن تقرّ به عينهما. غير أن القدر - لحكمة عليا - حسم هذه الأمانى الحلوة، فأمست الزوج المحسودة أيمماً<sup>(٢)</sup>.

\* لقد مات عبد الله بالمدينة المنورة وهو راجع وترك هذه النسمة الطاهرة، وكان

(١) تفسير القرآن لابن كثير (٤/٥٤٨: ٥٤٩).

(٢) فقه السيرة للغزالي (ص: ٦٧: ٦٨) بتصرف.

القدر يقول له: قد انتهت مهمتك في الحياة، وهذا الجنين الطاهر يتولى الله عز وجل بحكمته ورحمته تربيته وتأديبه وإعداده لإخراج البشرية من الظلمات إلى النور.

### ميلاد النبي ﷺ

\* عن ابن عباس وجابر - رضى الله عنهما - أنهما قالوا: «وُلد رسول الله ﷺ عام الفيل يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول، وفيه عُرِجَ به إلى السماء، وفيه هاجر، وفيه مات» هذا هو المشهور عند الجمهور. والله أعلم<sup>(١)</sup>.

\* وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: «ولد النبي ﷺ يوم الاثنين، واستنبت يوم الاثنين، وتوفي يوم الاثنين، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين، وقدم المدينة يوم الاثنين، ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين»<sup>(٢)</sup>.

\* وعن أبي قتادة الأنصاري - رضى الله عنه - عن صوم يوم الاثنين قال رسول الله ﷺ: (ذاك يوم وُلدت فيه، ويوم بُعثت أو أنزل على فيه)<sup>(٣)</sup>.

\* بل لقد وقفت على رواية تثبت أن النبي ﷺ ولد يوم الفيل .. قال ابن عباس - رضى الله عنهما -: «ولد رسول الله ﷺ يوم الفيل»<sup>(٤)</sup>.

وكانت ولادته في دار أبي طالب بشعب بنى هاشم، وهى التى سُميت بعد ذلك بدار محمد بن يوسف أخى الحجاج بن يوسف، وهى الآن مكتبة عامة.

وكانت حاضنته أم أيمن بركة الحبشية أمة أبيه، وأول من أرضعته ثوية أمة عمه أبي لهب.

عن أم حبيبة - رضى الله عنها - قالت: قلت يا رسول الله، انكح أختى بنت أبي سفيان فقال أو تحبين ذلك، فقلت: نعم، لست لك بمخلية، وأحب من شاركنى فى خير

(١) ابن أبى شيبه فى مصنفه، وإسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح، انظر السيرة النبوية، لابن كثير: (١٩٩/١).

(٢) أخرجه أحمد: (٢٧٧/١)، والطبرانى فى الكبير (١٢٩٨٤) من طريق ابن لهيعة، عن خالد بن أبى عمران، عن حنش الصنعانى به، ومن الرواة عن ابن لهيعة عمرو بن خالد عند الطبرانى، وقد سمع من ابن لهيعة قبل اختلاطه، فالحديث بهذا حسن.

(٣) أخرجه مسلم (١١٦٢) كتاب الصيام.

(٤) رواه ابن سعد فى الطبقات من طريق ابن معين أخبرنا حجاج أخبرنا يونس بن أبى إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس - ورجال الإسناد كلهم ثقات.



أختي فقال النبي ﷺ: إن ذلك لا يحل لي. قلت: فإننا نُحَدِّثُ إنك تريد أن تنكح بنت أبي سلمة، قال: بنت أبي سلمة؟ قلت: نعم، فقال: لو أنها لم تكن ربيتي في حجرى ما حلت لي، إنها لابنة أختى من الرضاعة، أَرْضَعْتَنِي وَأَبَا سَلْمَةَ ثَوْبِيَّةَ، فلا تعرضن عليّ بناتكن ولا أخواتكن»<sup>(١)</sup>. قال عروة: وثوبية مولاة لأبي لهب، وكان أبو لهب أعتقها فأرضعت النبي ﷺ فلما مات أبو لهب رآه بعض أهله بشر خيبة قال له ماذا لقيت. قال أبو لهب لم ألق بعدكم رخاء غير أنى سقيت فى هذه بعثاتى ثوبية.

### النور يخرج ليضئ قصور الشام (عند ولادته)

\* وقد روى أن إرهابات بالبعثة وقعت عند الميلاد فسقطت أربع عشرة شُرْفَةً من إيوان كسرى وخمدت النار التي يعبدها المجوس وانهدمت الكنائس حول بحيرة ساوة بعد أن غاضت<sup>(٢)</sup>.

وأنه ﷺ وُلِدَ مَخْتُونًا مَسْرُورًا - أى مقطوع الحبل السرى - وأن البرمة التي وضعها عليه النساء انفلقت نصفين .. إلى آخر ما روى عن الإرهابات التي حدثت عند الميلاد. وفى الحقيقة أن كل ذلك لم يصح ولم يأت خبر صحيح بحدوث أى شىء من ذلك. وفى الحقيقة أن مكانة النبي ﷺ وقدره ومنزلته العالية السامقة لا تحتاج إلى مثل تلك الروايات الواهية .. فالنبي ﷺ هو أفضل مخلوق فى الكون كله حتى ولو لم يكن له إرهابات قبل البعثة أو معجزات بعد البعثة... وحسبنا أن نقف عند الروايات الصحيحة لنعرف أن رسالة النبي ﷺ أعظم شىء فى الكون كله.

\* فالثابت من خلال الأحاديث الصحيحة أن أم النبي ﷺ رأت نوراً يخرج منها فأضاء قصور الشام - وذلك عند ولادته ﷺ - .

فقال رسول الله ﷺ: «أنا دعوة أبى إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمى أنه يخرج منها نور أضواء منه قصور الشام»<sup>(٣)</sup>.

ودعوة إبراهيم عليه السلام هى قوله: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ

(١) أخرجه البخارى (٤٣/٩) النكاح، ومسلم (٢٥/١٠-٢٨) الرضاع.

(٢) الرحيق المختوم (ص: ٥١).

(٣) رواه أحمد (٢٦٢/٥)، والحاكم (٦٠٠/٢) التاريخ وقال هذا حديث صحيح الإسناد وإن لم يخرجاه ووافقه الذهبى. وله طرق وروايات مختلفة وانظر الصحيحة رقم (١٥٤٥، ١٥٤٦).

وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿البقرة: ١٢٩﴾.

وبشرى عيسى: كما أشار إليه قوله عز وجل حاكياً عن المسيح عليه السلام: ﴿وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، وقوله: (ورأت أُمِّي كأنه خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام). قال ابن رجب: «وخروج هذا النور عند وضعه إشارة إلى ما يجيء به من النور الذي اهتدى به أهل الأرض، وزال به ظلمة الشرك منها، كما قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

وقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] (١).

وقال ابن كثير: وتخصيص الشام بظهور نوره إشارة إلى استقرار دينه وثبوته ببلاد الشام ولهذا تكون الشام في آخر الزمان معقلاً للإسلام وأهله، وبها ينزل عيسى ابن مريم إذا نزل بدمشق بالمنارة الشرقية البيضاء منها، ولهذا جاء في الصحيحين: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك» وفي صحيح البخاري «وهم بالشام» (٢).

### استبشار عبد المطلب بميلاد الحفيد المبارك

ولما ولدته أمه أرسلت إلى جده عبد المطلب تبشره بحفيده فجاء مستبشراً ودخل به الكعبة، ودعا الله وشكر له، واختار له اسم محمد - وهذا الاسم لم يكن معروفاً في العرب - وختنه يوم سابعه كما كان العرب يفعلون (٣).

※ استقبل «عبد المطلب» ميلاد حفيده باستبشار وجدل، ولعله رأى في مقدمه عوضاً عن ابنته الذي هصرت المنون شبابه، فحول مشاعره عن الراحل الذاهب إلى الوافد الجديد يكلؤه ويغالي به.

(١) لطائف المعارف (٨٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١٠/١٦٤) ط. الحلبي (١/٢٦٨) ط. الشعب. والحديث رواه البخاري (١٣/٢٠٦) الاعتصام بالكتاب والسنة، ومسلم (١٣/٦٥) الإمارة.

(٣) ابن هشام (١/١٦٠)، ومحاضرات تاريخ الأمم الإسلامية للخضري (١/٦٢).

ومن الموافقات الجميلة أن يلهم «عبد المطلب» تسمية حفيده «محمدًا». إنها تسمية أعانه عليها ملك كريم. ولم يكن العرب يألّفون هذه الأعلام، لذلك سألوه. لم رغب عن أسماء آبائه؟ فأجاب: أردت أن يحمد الله في السماء، وأن يحمد الخلق في الأرض، فكأن هذه الإرادة كانت استشفافاً للغيب، فإن أحداً من خلق الله لا يستحق إزجاء عواطف الشكر والثناء على ما أدى وأسدى كما يستحق ذلك النبي العربي المحمد ﷺ.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا تعجبون كيف يصرف الله عنى شتم قريش ولعنهم؟ يشتمون مذمماً، ويلعنون مذمماً، وأنا محمد»<sup>(١)</sup>.

ولكن الحقيقة القاسية - برغم حفاوة الجد الحنون - باقية. فإن «محمدًا» يتيم برز إلى الدنيا بعدما غادر أبوه الدنيا. ليكن .. ولنفرض عبد الله بقى حياً .. فماذا عسى كان يفعل لابنه؟ أكان يريه ليهب له النبوة؟ ما كان له ذلك. إن الأب عنصر واحد من عناصر شتى تتحكم في مستقبل الطفل وتحفر له في الحياة مجراه. ولو كانت النبوة بالاكْتساب لما قربتها حياة الوالد شبراً. فكيف وهى اصطفاء؟

كان «يعقوب» حياً يرزق، له شيخوخته وتجربته وحكمته بل له نبوته، وقد نظر يوماً ما فلم يجد يوسف قريباً منه. إنه فقدته فى أخطر فترات العمر، فترة الصبا. ومع فساد البيئات التى احتوت يوسف فقد كان باطنه ينضح بالتقى والعفاف؛ كما يتقد المصباح فى أعماء الليل المدلهم، فلما التقى الابن بوالده بعد لأى، رأى يعقوب ابنه نبياً صديقاً.

لقد ولّى عبد الله وترك ابنه يتيمًا، بيد أن هذا اليتيم كان يُعد من اللحظة الأولى لأمر جليل، أمر يصبح به إمام المصطفين الأخيار وما الأب والجد، ما الأقربون والأبعدون، ما الأرض والسماء إلا وسائل مسخرة لإتمام قدر الله، وإبلاغ نعمة الله من اصطنعه الله<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) أخرجه البخارى (٦/٤٣٥ - ٤٣٦).

(٢) فقه السيرة للغزالي (ص: ٧٠ - ٧١).

### طلع الليلة نجم أحمد

عن حسان بن ثابت، قال: والله إنى لغلام يَفْعَة<sup>(١)</sup> ابن سبع سنين أو ثمان، أعقل كل ما سمعت، إذ سمعت يهودياً يصرخ بأعلى صوته على أطمه<sup>(٢)</sup> بيثرب: يا معشر يهود. حتى إذا اجتمعوا إليه قالوا له: ويلك! ما لك؟ قال: طلع الليلة نجم أحمد الذى وُلد به<sup>(٣)</sup>.

### قصة رضاع الحبيب ﷺ

\* عن عبد الله بن جعفر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -: قال: «لما وُلد رسول الله ﷺ قدمت حليلة بنت الحارث، فى نسوة من بنى سعد بن بكر يلتسون الرُّضعاء بمكة.

قالت حليلة: فخرجت فى أوائل النسوة على أتان لى، قمراء<sup>(٤)</sup>، ومعى زوجى الحارث بن عبد العزى، أحد بنى سعد بن بكر، ثم أحد بنى ناضرة، قد أدمت<sup>(٥)</sup> أتاننا، ومعى بالركب شارف<sup>(٦)</sup> والله ما تبض<sup>(٧)</sup> بقطرة لبن، فى سنة شهباء<sup>(٨)</sup>. قد جاع الناس حتى خلص إليهم الجهد، ومعى ابن لى، والله ما ينام ليلنا، وما أجد فى يدي شيئاً أعلله به، إلا أنا نرجو الغيث، وكانت لنا غنم، فنحن نرجوها.

فلما قدمنا مكة فما بقى منا أحد إلا عُرِضَ عليها رسول الله ﷺ فكرهته، فقلنا: إنه يتيم، وإنما يكرم الظئر (المرضعة)، ويحسن إليها الوالد، فقلنا: ما عسى أن تصنع بنا أمه أو عمه أو جده، فكل صواحبى أخذ رضيعاً، فلما لم أجد غيره، رجعت إليه، وأخذته، والله ما أخذته إلا أنى لم أجد غيره، فقلت لصاحبى (زوجى): والله لأخذن هذا اليتيم

(١) يَفْعَة: يقال غلام يَفْعَة أى قوى قد طال قده واليقاع المرتفع من كل شىء ويقال أَيْفَعُ الغلام فهو يافع إذا شارف الاحتلام.

(٢) أطمه: الأطم حصن مبنى بحجارة وقيل هو كل بيت مربع مسطح.

(٣) أخرجه البيهقى فى الدلائل (١/٩١) وإسناده صحيح إلى يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن حيث إنه ثقة تابعى وقد اتهم عن حدث عنهم وقد وثقهم وهم شيوخه والله أعلم.

(٤) قمراء: القمرة لون البياض إلى الحمرة.

(٥) وأدمت: حدثت فى ركبها جروح دامية لاصطكاكها - الأتان: أنثى الحمار.

(٦) الشارف: الناقة المستنة.

(٧) تبض: لا ترشح قطرة لبن.

(٨) شهباء: سنة مجدبة لا خضرة فيها ولا مطر.

من بنى عبد المطلب، فعسى الله أن ينفعنا به، ولا أرجع من بين صواحيبي ولا أخذ شيئاً، فقال: قد أصبت.

قالت: فأخذته، فأتيت به الرحل، فوالله ما هو إلا أن أتيت به الرحل، فأمسيت أقبل ندياي باللبن، حتى أرويته، وأرويت أخاه، وقام أبوه إلى شارفنا تلك يلمسها، فإذا هي حافل<sup>(١)</sup>، فحلبها، فأرواني وروى، فقال يا حليلة، تعلمين والله لقد أصبنا نسمة مباركة<sup>(٢)</sup>، ولقد أعطى الله عليها ما لم نتمن، قالت: فبتنا بخير ليلة، شباعاً، وكنا لا ننام ليلنا مع صبينا.

ثم اغتدينا راجعين إلى بلادنا أنا وصواحيبي، فركبت أتاني القمرء، فحملته معي، فوالذي نفس حليلة بيده لقطعت الركب<sup>(٣)</sup> حتى أن النسوة ليقلن: أمسكى علينا، أهذه أتانك التي خرجت عليها؟ فقلت: نعم، فقالوا: إنها كانت أدمت حين أقبلنا فما شأنها؟ قالت: فقلت: والله حملت عليها غلاماً مباركاً.

قالت: فخرجنا، فما زال يزيدنا الله في كل يوم خيراً، حتى قدمنا والبلاد سنة، ولقد كان رعاتنا يسرحون ثم يريحون، فتروح أغنام بني سعد جياً، وتروح غنمي شباعاً، بطاناً<sup>(٤)</sup>، حفلاً<sup>(٥)</sup>، فنحلب، ونشرب، فيقولون: ما شأن غنم الحارث بن عبد العزى، وغم حليلة تروح شباعاً حفلاً، وتروح غنمكم جياً؟ ويلكم اسرحوا حيث تسرح غنم رعاؤهم، فيسرحون معهم، فما تروح إلا جياً، كما كانت، وترجع غنمي كما كانت.

قالت: وكان يشب شباباً ما يشبه أحد من الغلمان، يشب في اليوم شباب الغلام في الشهر، ويشب في الشهر شباب السنة، فلما استكمل سنتين أقدمناه مكة، أنا وأبوه، فقلنا: والله لا نفارقه أبداً ونحن نستطيع، فلما أتينا أمه، قلنا: أى ظئر والله ما رأينا صبياً قط أعظم بركة منه، وإنا نتخوف عليه وباء<sup>(٦)</sup> مكة وأسقامها، فدعاه نرجع به حتى تبرئ من دائك، فلم نزل بها حتى أذنت، فرجعنا به، فأقمنا شهراً ثلاثاً أو أربعة.

(١) حافل: كثيرة اللبن.

(٢) نسمة: نفس.

(٣) قطعت الركب: سبقت الركب.

(٤) البطان: الممتلئة البطون.

(٥) حفلاً: كثيرات اللبن.

(٦) الوباء: المرض.

## حادثة شق الصدر

ففى الحديث السابق أن حليلة (رضى الله عنها) قالت:

فبينما هو يلعب خلف البيوت هو وأخوه فى بهم له<sup>(١)</sup>، إذ أتى أخوه يشتد، وأنا وأبوه فى البدن، فقال: إن أخى القرشى، أتاه رجلان عليهما ثياب بيض، فأخذه وأضجعه، فشقا بطنه، فخرجت أنا وأبو يشتد، فوجدناه قائماً، قد انتقع لونه<sup>(٢)</sup>، فلما رأنا أجهش إلينا، وبكى، قالت: فالتزمته أنا وأبوه، فضممناه إلينا، فقلنا: مالك بأبى أنت؟ فقال: أتانى رجلان وأضجعانى، فشقا بطنى، وصنعا به شيئاً، ثم رداه كما هو، فقال أبوه: والله ما أرى ابنى إلا وقد أصيب، إلحقى بأهله، فردّيه إليهم قبل أن يظهر له ما نتخوف منه.

قالت: فاحتملناه، فقدمنا به على أمه، فلما رأتنا أنكرت شأننا، وقالت: ما رجعكما به قبل أن أسألكماه، وقد كنتما حريصين على حبسه؟ فقلنا: لا شىء إلا أن قد قضى الله الرضاعة وسرّنا ما نرى، وقلنا: نؤويه كما تحبون أحب إلينا، قال: فقالت: إن لكما شأنًا فأخبرانى ما هو، فلم تدعنا حتى أخبرناها، فقالت: كلا والله، لا يصنع الله ذلك به، إن لابنى شأنًا، أفلا أخبركما خبره، إنى حملت به، فوالله ما حملت حملاً قط كان أخف على منه، ولا أيسر منه، ثم رأيت حين حملته خرج منى نور أضاء منه أعناق الإبل ببصرى - أو قالت: قصور بصرى - ثم وضعته حين وضعته، فوالله ما وقع كما يقع الصبيان، لقد وقع معتمداً بيديه على الأرض رافعاً رأسه إلى السماء فدعاه عنكما فقبضته وانطلقنا<sup>(٣)</sup>.

\* وعن عتبة بن عبد السلمي رضى الله عنه: «أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال: كيف كان أول شأنك يا رسول الله؟ قال: (كانت حاضنتى من بنى سعد بن بكر،

(١) البهم: صغار الضأن والماعز.

(٢) انتقع لونه: تغير لونه.

(٣) رواه ابن حبان كما فى الموارد: (٥١٢، ٥١٣)، والطبرانى فى الكبير: (٢٤/٢١٢ - ٢١٥)، والبيهقى فى الدلائل (١٣٣/١ - ١٣٦)، والسيرة النبوية بشرح الخشنى: (١/٢١٤)، وإسحاق بن راهويه فى مسنده كما فى المطالب العالية: (٤/١٦٧ - ١٧١)، وأبو يعلى كما فى مجمع الزوائد: (٨/٢٢١) جميعاً من طريق ابن إسحاق. وقد صرح ابن إسحاق بالسماع فى رواية السيرة، وقال الهيثمى فى المجمع: (٨/٢٢٧)، رواه أبو يعلى، والطبرانى بنحوه إلا أنه قال: حليلة بنت أبى ذؤيب، ورجالهما ثقات وقال الذهبى فى السيرة النبوية، (ص ٨): هذا حديث جيد الإسناد، قلت ولكثير من مقاطع الحديث شواهد تقويها ولذلك فالحديث حسن لشواهده.

فانطلقت أنا وابن لها في بهم لنا، ولم نأخذ معنا زاداً.

فقلت: يا أخي، اذهب فأتنا بزاد من عند أمتنا.

فانطلق أخي، ومكثت عند البهم، فأقبل طيران أبيضان كأنهما نسران<sup>(١)</sup>، فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال: نعم، فأقبلا يبتدراني، فأخذاني، فبطحاني إلى القفا<sup>(٢)</sup>. فشقا بطني، ثم استخرجا قلبي، فشقا فأخرجا منه علقتين سوداوين، فقال أحدهما لصاحبه: ائتنى بماء تلج، فغسلا به جوفى، ثم قال: ائتنى بماء برد، فغسلا به قلبي، ثم قال: ائتنى بالسكينة<sup>(٣)</sup>، فذراها في قلبي، ثم قال أحدهما لصاحبه: خطه، فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة.

فقال أحدهما لصاحبه: اجعله في كفة، واجعل ألفاً من أمته في كفة، فإذا أنا أنظر إلى الألف فوقى، أشفق أن يخرّ على<sup>(٤)</sup> بعضهم، فقال: لو أن أمته وزنت به لمال بهم، ثم انطلقا وتركانى.

وفرت فرقاً شديداً<sup>(٥)</sup>، ثم انطلقت إلى أمى، فأخبرتها بالذى لقيته، فأشفقت على أن يكون ألبس بى<sup>(٦)</sup> قالت: أعيدك بالله فرحلت بعيراً لها، فجعلتنى أو فحملتنى على الرحل، وركبت خلفى حتى بلغنا إلى أمى فقالت: أديت أمانتى وذمتى، وحدثتها بالذى لقيت، فلم يرعها ذلك، فقالت لى: رأيت خرج منى نوراً، أضاءت منه قصور الشام<sup>(٧)</sup>.

\* وعن أنس رضى الله عنه (باختصار أكثر) فقال: «إن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه<sup>(٨)</sup>، ثم أعاده فى مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه (يعنى ظئره) فقالوا: إن

(١) كأنهما نسران: هما ملكان من الملائكة.

(٢) بطحاني إلى القفا: أضجعه على ظهره.

(٣) السكينة: الطمأنينة والوقار.

(٤) يخر: يسقط.

(٥) فرقت: خفت.

(٦) ألبس بى: مسنى شىء من الشيطان.

(٧) رواه أحمد والطبرانى فى الكبير والحاكم وقال: حديث صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبى - وقال

الهيثمى فى المجمع (٨/٢٢٢): إسناده أحمد حسن.

(٨) لأمه: جمعه، وضم بعضه إلى بعض.

محمداً قد قُتل، فاستقبلوه، وهو منتقع اللون»<sup>(١)</sup>. قال أنس: «وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط<sup>(٢)</sup> في صدره»<sup>(٣)</sup>. وقد حدثت أيضاً حادثة شق الصدر مرة أخرى في رحلة الإسراء والمعراج.

### فراق مؤلم

وانصرفت حليلة - رضی الله عنها - وقد امتلأ قلبها حزناً وأسى على فراق الحبيب ﷺ ودموعها تسيل على خدها.

وليس الذي يجري من العين ماؤها ولكنها روحٌ تسيلُ فتقطرُ ولكنها كانت تشعر في قرارة نفسها أن الله (عز وجل) سيجمع بينها وبين الحبيب ﷺ وأنها ستراه مرة أخرى<sup>(٤)</sup>.

### وفاة أمه عليه السلام

كان رسول الله ﷺ مع أمه أمّة بنت وهب وجده عبد المطلب ابن هاشم في كلاءة الله وحفظه، يُنبتة الله نباتاً حسناً؛ لما يريد به من كرامته، فلما بلغ رسول الله ﷺ ست سنين، توفيت أمه أمّة بنت وهب.

\* توجهت به أمه إلى المدينة لزيارة أخوال أبيه بنى عدى بن النجار، وبينما هي عائدة أدركتها منيتها في الطريق، فماتت بالأبواء<sup>(٥)</sup> ودُفنت هناك.

ولسان القدر يقول: هذا الغلام لا يؤثر عليه أبوه وأمّه بنوع من التربية، والله عز وجل يتولى تربيته وتهذيبه... والأكثر على أن وفاة أمه أمّة كان وله ﷺ من العمر ست سنوات، فحضنته أم أيمن، وكفله جده عبد المطلب، ورقاً له رقة لم تعهد له في ولده.

فكان رسول الله ﷺ مع جدّه عبد المطلب بن هاشم، وكان يُوضَع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه، لا يجلس عليه

(١) منتقع اللون: متغير اللون.

(٢) والمخيط: الإبرة.

(٣) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ رقم (٢٦١)، أحمد في المسند (٣/١٢١).

(٤) صحايات حول الرسول ﷺ / للمصنف (ص: ٣٢٠).

(٥) قرية بين مكة والمدينة وهي أقرب إلى المدينة.



أحدٌ من بنيه إجلالاً له. قال: فكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلام حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه، فيقول عبد المطلب، إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابني، فوالله إن له لشأناً؛ ثم يجلسه معه على الفراش، ويمسح ظهره بيده، ويسره ما يراه يصنع<sup>(١)</sup>.

### النبي ﷺ يزور قبر أمه

\* عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: «زار النبي ﷺ قبر أمه، فبكى وأبكى من حوله، فقال: استأذنت ربي في أن استغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور، فإنها تذكركم الموت»<sup>(٢)</sup>.

### (أم أيمن) أمي بعد أمي

\* وفي هذا الموقف الأليم، برزت أم أيمن لتحتل مكانتها بين النساء اللاتي تركزن بصمات واضحة في التاريخ، وقد أراد الله سبحانه وتعالى لها الخير كله، وعادت بالنبي ﷺ، وأضحت حاضنته، وأوقفت نفسها لرعايته والعناية به، وغمرته بعطفها، كما غمره جده عبد المطلب بحبه أيضاً، وقد عوضه الله بحنان جده وأم أيمن عن حنان الوالدين، وأغرم به عبد المطلب غراماً شديداً، وكثيراً ما كان يوصي الحاضنة أم أيمن قائلاً: يا بركة لا تغفلي عن ابني فإنني وجدته مع غلمان قريباً من السدرة، وإن أهل الكتاب يزعمون أن ابني هذا نبى هذه الأمة.

\* وكان عبد المطلب يسرّ لما يرى من مخايل الشرف والكرامة على حفيده محمد، ويوصي أعمامه بقوله: دعوا ابني فوالله إن له لشأناً<sup>(٣)</sup>.

### مكانتها عند رسول الله ﷺ

ولقد تبوأَت أم أيمن مكانة عظيمة في قلب رسول الله ﷺ فلم ينس أبداً أنها كانت أمّاً له بعد أمه وأنها كانت تؤثره على نفسها بل كانت تشملها بعطفها وحنانها ورحمتها.

\* عن أنس قال: انطلق رسول الله ﷺ إلى أم أيمن. فانطلقت معه. فناولته إناء فيه

(١) السيرة النبوية/ لابن هشام (١/١٤٩).

(٢) رواه مسلم في الصحيح، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربه - عز وجل - في زيارة قبر أمه، الحديث رقم: (٩٧٦)، (٢/٦٧١).

(٣) نساء مبشرات بالجنة (ص: ٩٧: ٩٨) بتصرف.

شراب. قال: فلا أدري أصادفته صائماً أو لم يرده. فجعلت تصخب عليه وتذمر عليه<sup>(١)</sup>.

قال الإمام النووي: ومعنى الحديث أن النبي ﷺ رد الشراب عليها إما لصيام وإما لغيره فغضبت، وتكلمت بالإنكار والغضب، وكانت تدل عليه ﷺ لكونها حضنته وربته ﷺ وجاء في الحديث: أم أيمن أمي بعد أمي<sup>(٢)</sup>.

### وفاة جده عبد المطلب

وبعد فترة يسيرة توفي جده عبد المطلب وكان عمر النبي ﷺ ثماني سنوات فكفله شقيق أبيه (أبو طالب) وكان به رحيماً وكان رزقه قليلاً فعمل النبي ﷺ برعى الغنم مساعدة منه لعمه.

### كان النبي ﷺ يرعى الغنم

عمد محمد ﷺ منذ أن أضحى يعيش في كنف عمه أبي طالب إلى مساعدته، ولا سيما أن أبا طالب كان في أشد الحاجة للمساعدة (لفقره وكثرة عياله)، فاشتغل برعى الأغنام في شعاب مكة وفجاجها. وقد ثبت في الحديث الصحيح قيامه بهذا العمل. حيث روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة - رضى الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «مأ بعث الله نبياً إلا رعى الغنم». فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: «نعم، كنت أرهاها على قراريط لأشل مكة»<sup>(٣)</sup>.

\* وعن جابر بن عبد الله قال: كنا مع رسول الله ﷺ بمر الظهران نجنى الكباش فقال: «عليكم بالأسود منه فإنه أطيب» فقيل: أكنت ترعى الغنم؟ قال: نعم وهل من نبي إلا رعاها»<sup>(٤)</sup> ثم اشتغل ﷺ بالتجارة.

\* وفي رعى الغنم ما فيه من تهية الله سبحانه وتعالى لنيه لتلقى الرسالة والقيام بأمر الدعوة... ويورد الحافظ ابن حجر في شرحه للحديث خلاصة أقوال العلماء في ذلك

(١) أخرجه مسلم (١٠٢) (٢٤٥٣) كتاب فضائل الصحابة/ باب: من فضائل أم أيمن (رضى الله عنها).

(٢) مسلم بشرح النووي (١٣/١٦).

(٣) أخرجه البخاري (٥١٦/٤) حديث رقم (٢٢٦٢) - ومسلم (٥/١) - (٦).

(٤) رواه البخاري (٤٨٨/٩) الأئمة، ومسلم (٦،٥/١٤) الأشربة. والكبث هو النضيج من شجر الأراك.

فيقول: «الحكمة في إلهام الأنبياء من رعى الغنم قبل النبوة أن يحصل لهم التمرن برعيها على ما يكفلونه من القيام بأمر أمتهم، ولأن في مخالطتها ما يُحصّل لهم الحلم والشفقة لأنهم إذا صبروا على رعيها وجمعها بعد تفرقها في المرعى، ونقلها من مسرح إلى مسرح، ودفع عدوها من سبع وغيره، كالسارق، وعلموا اختلاف طباعها وشدة تفرقها، مع ضعفها واحتياجها إلى المعاهدة، ألفوا من ذلك الصبر على الأمة، وعرفوا اختلاف طباعها، وتفاوت عقولها، فجبروا كسرهما، ورفقوا بضعيفها، وأحسنوا التعاهد لها، فيكون تحملهم لمشقة ذلك أسهل مما لو كلفوا القيام بذلك من أول وهلة لما يحصل لهم من التدرج على ذلك برعى الغنم، وخُصت الغنم بذلك لكونها أضعف من غيرها، ولأن تفرقها أكثر من تفرق الإبل والبقر لإمكان ضبط الإبل والبقر بالربط دونها في العادة المألوفة، ومع أكثرية تفرقها فهي أسرع انقياداً من غيرها»<sup>(١)</sup>.<sup>(٢)</sup>

### كفالة أبي طالب لرسول الله ﷺ

كان الحبيب ﷺ يتيماً فكفله جده (عبد المطلب) وكان يحبه حباً شديداً .. وبعد فترة من الزمن أحس عبد المطلب بدنو أجله فأوصى ولده أبا طالب بأن يكفل الحبيب ﷺ وأوصاه به خيراً وذلك لأن عبد الله (والد رسول الله ﷺ) وأبا طالب أخوان لأب وأم فأمهما هي فاطمة بنت عمرو بن عائد .. وكذلك فإن عبد المطلب كان يشعر بأنه لن يحافظ على الحبيب ﷺ ويحوطه بالرحمة والحنان إلا زوجة أبي طالب لما كان يشعر من الرحمة التي تتدفق من قلبها.

ومات عبد المطلب وانتقل الحبيب ﷺ إلى بيت أبي طالب فوجد في بيته أما رحيمة جعلته يشعر بأنها أمه بعد أمه التي ماتت.

وكانت فاطمة بنت أسد (رضى الله عنه) تحوطه برعايتها وتشمله برحمتها حتى إنها كانت تخاف عليه أكثر من خوفها على أولادها.

\*\*\*

(١) أخرجه البخارى (٤/٥١٦).

(٢) نضرة النعيم (١/١٩٦ - ١٩٧).

### وعرفت البركة طريقها إلى هذا البيت

وكان أبو طالب فقيراً وكانت زوجته تشعر بأن أولادها لا يشبعون من الطعام أبداً فلما عاش الحبيب ﷺ بينهم دخلت البركة لأول مرة في هذا البيت الكريم وبخاصة في طعام الأولاد إذا أكل معهم الحبيب ﷺ.

\* فكان عيال أبي طالب إذا أكلوا جميعاً أو فرادى لم يشبعوا، وإذا أكل معهم رسول الله ﷺ شبعوا، فكان أبو طالب إذا أراد أن يغذيهم أو يعشيهم يقول: كما أتم حتى يأتي ابني، فيأتي رسول الله ﷺ فيأكل معهم فيفضل من طعامهم.

وإن كان لبناً شرب رسول الله ﷺ أولهم، ثم تناول القعب - القدح - فيشربون منه، فيروون عن آخرهم من القعب الواحد، وإن كان أحدهم ليشرب قعباً وحده، فيقول أبو طالب: إنك مبارك.

وكان الصبيان يصبحون شعثاً رُمصاً<sup>(١)</sup>، ويصبح رسول الله ﷺ دهنياً كحياً<sup>(٢)</sup>.

### ويزداد الحب يوماً بعد يوم

وكانت فاطمة بنت أسد (رضى الله عنها) ترى كل هذه البركات التي دخلت بيتها لأول مرة وهي لا تكاد تصدق نفسها فكانت تزدد حباً للنبي ﷺ يوماً بعد يوم حتى كان الحبيب ﷺ يشعر بأن الله رزقه بتلك الأم الرحيمة ليعوضه عن موت أمه .. فها هي ترعاه في طفولته وشبابه وتخصه بالتقدير والاحترام وتشمله بعطفها وحنانها... وظلت ترعاه إلى أن تزوج بخديجة (رضى الله عنها)<sup>(٣)</sup>.

ونشأ الحبيب ﷺ بين ينبوع الرحمة ونهر الحنان فاطمة بنت أسد وأم أيمن (رضى الله عنهما) فكانت كل واحدة منهما ترعاه وتخصه بالرحمة والحنان وكأنها أمه التي ولدته.

\*\*\*

(١) الرمص: وسخ أبيض جامد يجتمع في موق العينين.

(٢) انظر عيون الأثر (١/٥١)، والسيرة الحلبية (١/١٨٩).

(٣) صحايات حول الرسول ﷺ (ص: ٣٤١) / للمصنف.

### قصة بحيرا الراهب

\* عن أبي موسى الأشعري: قال: «خرج أبو طالب إلى الشام، وخرج معه النبي ﷺ في أشياخ من قريش، فلما أشرفوا<sup>(١)</sup> على الراهب<sup>(٢)</sup> هبطوا، فحلوا رحالهم<sup>(٣)</sup>، فخرج إليهم الراهب، وكانوا قبل ذلك يسيرون، فلا يخرج إليهم، ولا يلتفت.

قال: فهم يحلون رحالهم، فجعل يتخللهم الراهب<sup>(٤)</sup> حتى جاء، فأخذ بيد رسول الله ﷺ قال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، بيعته الله رحمة للعالمين، فقال له أشياخ من قريش: ما علمك؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر<sup>(٥)</sup> ساجداً، ولا يسجدان إلا لنبيّ، وإنى أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف<sup>(٦)</sup> كتفه مثل التفاحة.

ثم رجع فصنع لهم طعاماً، فلما أتاهم به، وكان هو في رعية الإبل<sup>(٧)</sup> قال: أرسلوا إليه، فأقبل وعليه غمامة<sup>(٨)</sup> تظله، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة<sup>(٩)</sup>، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه، فقال: انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه.

قال: فبينما هو قائم عليهم، وهو يناشدهم<sup>(١٠)</sup> أن لا يذهبوا به إلى الروم فإن الروم إذا عرفوه بالصفة فيقتلونه، فالتفت فإذا سبعة قد أقبلوا من الروم، فاستقبلهم، فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: جاءنا أن هذا النبي ﷺ خارج في هذا الشهر، فلم يبق طريق إلا بعث إليه بأناس، وإنا قد أخبرنا خبره، بعثنا إلى طريقك هذا، فقال: هل خلفكم أحد هو خير منكم؟

(١) أشرفوا: طلعا.

(٢) الراهب: زاهد النصراني.

(٣) حلوا رحالهم: أي أنزلوها وفتحوها.

(٤) يتخللهم: يمشى بينهم وهو يبحث عن شخص معين.

(٥) خر: سقط.

(٦) الغضروف: رأس لوح الكتف.

(٧) رعية الإبل: رعايتها.

(٨) الغمامة: السحابة.

(٩) مال فيء الشجرة عليه: مال ظلها عليه.

(١٠) يناشدهم: يقسم عليهم.

قالوا: إنما اخترنا خيره لك لطريقك هذا، قال: أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده؟ قالوا: لا. قال: فبايعوه وأقاموا معه.

قال: أنشدكم الله أيكم وليه<sup>(١)</sup>؟ قالوا: أبو طالب... فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب<sup>(٢)</sup> وبعث معه (أبا بكر وبلالاً) وزوده الراهب من الكعك والزيت<sup>(٣)</sup>.

وعاد محمد عليه الصلاة والسلام من هذه الرحلة ليستأنف مع عمه حياة الكدح، فليس من شأن الرجال أن يقعدوا. ومن قبله كان المرسلون يأكلون من عمل أيديهم، ويحترفون مهناً شتى ليعيشوا على كسبها<sup>(٤)</sup>.

### الله (عز وجل) يعصم نبيه ﷺ من أقدار الجاهلية

لقد حفظ الله (عز وجل) نبيه ﷺ من أقدار الجاهلية وأدرانها لتكون حياته كلها صفحة بيضاء ناصعة البياض ليس فيها شائبة.. فهو القدوة والأسوة للكون كله في كل زمان ومكان.

\* فمن ذلك: أن النبي ﷺ لم يهم بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهمون به.

\* عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما هممت بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهمون به، إلا مرتين من الدهر، كليهما يعصمني الله منها، قلت ليلة لفتى كان معي من قريش بأعلى مكة في أغنام لأهله يرعاها: (أبصر إلى غنمي حتى أسمى هذه الليلة بمكة، كما يسمر الفتيان، قال: نعم، فخرجت، فجئت أدنى دار من دور مكة، سمعت غناء، وضرب دفوف، ومزامير، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: فلان تزوج فلانة، لرجل من قريش تزوج امرأة من قريش، فلهوت بذلك الغناء وبذلك الصوت حتى غلبتني عيني، فما أيقظني إلا حر الشمس، فرجعت فقال: ما فعلت؟ فأخبرته.

ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك، ففعل، فخرجت، فسمعت مثل ذلك، فقيل لي مثل ما قيل لي، فلهوت بما سمعت حتى غلبتني عيني، فما أيقظني إلا مس الشمس، ثم

(١) أيكم وليه: قريبه.

(٢) رده: أعاده.

(٣) رواه الترمذى (٢٩٦/٤) وقال: حديث حسن - وقال الشيخ الألبانى: قلت: وإسناده صحيح كما قال الجزرى. [هامش فقه السيرة (ص: ٧٧)].

(٤) فقه السيرة للغزالي (ص: ٧٩).

رجعت إلى صاحبي فقال: فما فعلت؟ قلت: ما فعلت شيئاً. قال رسول الله ﷺ: فوالله ما هممت بعدها بسوء مما يعمل أهل الجاهلية حتى أكرمني الله بنبوته<sup>(١)</sup>.

\* ومن ذلك أن الله عز وجل صانه عن شرك الجاهلية وعبادة الأصنام... ومن أولى بهذه المنقبة من صاحب الرسالة العصماء التي هي أسمح الشرائع في العمل، وأشدّها في إخلاص التوحيد والبعد عن الشرك... روى أحمد في مسنده عن هشام بن عروة عن أبيه قال: حدثني جار لخديجة أنه سمع النبي ﷺ وهو يقول لخديجة: أي خديجة والله لا أعبد اللات والعزى. قال: كان صنمهم التي كانوا يعبدون ثم يضطجعون<sup>(٢)</sup>.

\* ومن ذلك أنه كان لا يأكل مما ذُبح على النُصب، ووافقه في ذلك زيد بن عمرو بن نفيل... عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح<sup>(٣)</sup> قبل أن ينزل على النبي ﷺ الوحي، فقدمت إلى النبي ﷺ سفرة فأبى أن يأكل منها ثم قال زيد: إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه. وإن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول: الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء الماء وأنبت لها من الأرض ثم تذبحونها على غير اسم الله... إنكاراً لذلك وإعظماً له<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه أبو نعيم في الدلائل: ١٢٨، والبيهقي في الدلائل: ٣٣/٢، والبزار كما في الكشف برقم: ٢٤٠٣، وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان: ٥٦/٨، رقم: ٦٢٣٩، وانظر المطالب العالية: ١٧٨/٤، رقم: ٤٢٥٩. وقال البوصيري: رواه إسحاق بن راهويه بإسناد حسن، وابن حبان في صحيحه، وهكذا رواه محمد بن إسحاق في السيرة، وقال ابن حجر: هذه الطريق حسنة جلية، وما روى في شيء من المسانيد الكبار إلا في مسند إسحاق، هذا وهو حديث حسن متصل، ورجاله ثقات. وقال الهيثمي في المجمع ٢٢٦/٨: رواه البزار ورجاله ثقات. وأخرجه الحاكم في المستدرک: ٢٤٥/٤. وقال: حديث حسن صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٢٢/٤)، (٣٦٢/٥) وفضائل الصحابة (٨٥١/٢) رقم (١٥٧٨) وقال الهيثمي في المجمع (٢٢٥/٨): رجاله رجال الصحيح.

(٣) ذكرها ياقوت في معجم البلدان (٤٨٠/١) وقال: وادٍ قبل مكة من جهة المغرب. وقال الحافظ في الفتح: مكان في طريق التنعيم، ويقال هو واد.

(٤) رواه البخاري (١٤٢/٧) رقم ٣٨٢٦ و (٥٤٩٩) بعضه، ورواه أحمد (٦٩/٢)، وابن سعد (٢٧٦/١/٣) - (٢٧٧)، والنسائي: المناقب من السنن الكبرى، الجزء المطبوع باسم فضائل (ص ٨٦). قال الألباني: توهم زيد أن اللحم المقدم إليه من جنس ما حرم الله، ومن المقطوع به أن بيت محمد ﷺ لا يأكل ذبائح الأصنام، ولكن أراد الاستيثاق لنفسه، والإعلان عن مذهبه، وقد حفظ محمد ﷺ له ذلك وسرّه - هامش فقه السيرة للغزالي (ص ٨٧).

\* ومن ذلك توفيقه للوقوف بعرفة قبل البعثة، مخالفة لما ابتدع قومه من رأى الحُمس. (وكانت قريش تسمى الحُمس)، وكان الشيطان قد استهواهم فقال لهم: إنكم إن عظمتهم غير حرمكم استخف الناس بحرمكم، فكانوا لا يقفون بعرفة يوم عرفة، وكان سائر الناس يقف بعرفة، وكانت شريعة محمد ﷺ بعد ذلك الوقوف بعرفة، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩].

\* عن محمد بن جبير عن أبيه جبير بن مطعم قال: أضللت بعيراً لى، فذهبت أطلبه يوم عرفة، فرأيت النبي ﷺ واقفاً بعرفة، فقلت: هذا والله من الحُمس فما شأنه ههنا<sup>(١)</sup>.

\* ومن ذلك حفظ الله عز وجل له من أن تبدو عورته أو يظهر عرياناً... عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: لما بُنيت الكعبة ذهب النبي ﷺ وعباس ينقلان الحجارة، فقال عباس للنبي ﷺ: اجعل إزارك على رقبتك يبقك من الحجارة، فخر إلى الأرض وطمحت عينه إلى السماء ثم أفاق. فقال: إزارى إزارى، فشد عليه إزاره.

وفى لفظ لهما من طريق زكريا بن إسحق عن عمرو بن دينار قال: «فحلّه فجعله على منكبيه فسقط مغشياً عليه، فما روى بعد ذلك عرياناً»<sup>(٢)</sup>.

وهكذا شب رسول الله ﷺ يكلؤه الله ويحفظه من أقدار الجاهلية ومعائبها، لما يريد به من كرامته ورسالته، حتى بلغ كما قال ابن إسحاق: إن كان رجلاً أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقاً وأكرمهم مخالطة، وأحسنهم جواراً، وأعظمهم خلقاً وأصدقهم حديثاً، وأعظمهم أمانة وأبعدهم من الفحش والأخلاق التى تدنس الرجال، تنزهاً وتكرماً حتى ما اسمه فى قومه إلا الأمين، لما جمع الله عز وجل فيه من الأمور الصالحة<sup>(٣)</sup>.

### حرب الضجار

\* وكانت بين قيس عيلان ومعها ثقيف وغيرها، وقريش والأحابيش وهم حلفاء قريش، وكان رئيس بنى هاشم الزبير بن عبد المطلب ومعه إخوته: أبو طالب وحمزة والعباس، وكان على كل بطن من بطون قريش رئيس، ثم تناجزوا الحرب، فكان يوماً

(١) رواه البخارى (٦٠٢/٣) الحج، ومسلم (١٩٧/٨ - ١٩٨).

(٢) رواه البخارى (٥١٣/٣) الحج، ومسلم (٣٣/٤ - ٣٤).

(٣) سيرة ابن هشام مع الروض الأنف (٢٠٧/١) ط. مكتبة الكليات الأزهرية. بتصرف. نقلاً من وفيات تريبوية (ص: ٥٢: ٥٣).



من أشد أيام العرب هولاً، ولما استحل فيه من حرمان مكة التي كانت مقدسة عند العرب، سُمى يوم الفجار، وكادت الدائرة تدور على قيس حتى انهزم بعض قبائلها ولكن أدركهم من دعا المتحاربين للصلح على أن يحصوا قتلى الفريقين فمن وجد قتلاه أكثر أخذ دية الزائد، فكان لقيس زيادة أخذوا ديتها من قريش، وتعهد بها حرب بن أمية ورهن لسدادها ولده أبا سفيان، وهكذا انتهت هذه الحرب التي كثيراً ما تشبه حروب العرب تبدوها؛ حتى أَلَّفَ الله بين قلوبهم، وأزاح عنهم هذه الضلالات بانتشار نور الإسلام بينهم<sup>(١)</sup>.

قال ابن هشام: وشهد رسول الله ﷺ بعض أيامهم، أخرجه أعمامه معهم، وقال رسول الله ﷺ: «كنت أنبل على أعمامى - أى أرد عنهم - نبل عدوهم إذا رموهم بها»<sup>(٢)</sup>. وقال السهيلي: وإنما لم يقاتل رسول الله ﷺ مع أعمامه لأنها كانت حرب فجار، وكانوا أيضاً كلهم كفاراً، ولم يأذن الله تعالى لمؤمن أن يقاتل إلا لتكون كلمة الله هي العليا<sup>(٣)</sup>.

### حلف الفضول

أما حلف الفضول فهو دلالة على أن الحياة مهما اسودت صحائفها، وكلحت شروها، فلن تخلو من نفوس تهزها معانى النبى. وتستجيشها إلى النجدة والبر.

ففى الجاهلية الغافلة نهض بعض رجال من أولى الخير، وتواثقوا بينهم على إقرار العدالة وحرب المظالم، وتجديد ما اندرس من هذه الفضائل فى أرض الحرم<sup>(٤)</sup>.

قال فضل الله الجيلانى: اجتمع تسعة أبطن من قريش منهم بنو هاشم وبنو زهرة وبنو تيم - فى دار ابن جدعان قبل عام الفيل بمدة لما حاول بنو عبد مناف إخراج السقاية واللواء من بنى عبد الدار فتحالفت هذه الأبطن على ذلك وبعثت إليهم أم حكيم ابنة عبد المطلب بجفنة فيها طيب فغمسوا فيها أيديهم ثم ضربوا بها الكعبة فسموا بذلك حلف المطيبين فجرى الأمر على هذا، حتى قدم مكة رجل من زبيد بتجارة له فباعها من

(١) باختصار وتصرف من نور اليقين (١٦، ١٧) ط. دار القلم.

(٢) سيرة ابن هشام (٢١٠/١)، مع الروض الأثف.

(٣) الروض الأثف هامش (٢٠٩/١)، مع سيرة ابن هشام.

(٤) فقه السيرة (ص: ٨٤).

العاص بن وائل السهمي فمطله بها وغلبه عليها فاستغاث فاجتمعوا بدار عبد الله بن جدعان: بنو هاشم وبنو المطلب وأسد بن عبد العزى وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة فتعاهدوا ألا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم ممن دخلها إلا قاموا معه وكانوا على الظالم حتى يردوا عليه مظلمته فهو الحلف الذي تحالفه المطيبون الذين لم يشهدهم رسول الله ﷺ أولاً وشهد حلف الفضول... وسمى بحلف الفضول لأن من قام به كان في أسمائه الفضل، كالفضل بن الحارث والفضل بن وداعة والفضل بن فضالة<sup>(١)</sup>.

عن عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ قال: «شهدت حلف المطيبين مع عمومتى - وأنا غلام - فما أحب أن لي حُمراً التعم وأتى أنكته»<sup>(٢)</sup>.

\* إن بريق الفرح - بهذا الحلف - يظهر في ثنايا الكلمات التي عبر بها رسول الله عنه. فإنه الحمية ضد أي ظالم مهما عز، ومع أي مظلوم مهما هان. هي روح الإسلام، الأمر بالمعروف، الناهي عن المنكر. الواقف عند حدود الله. ووظيفة الإسلام أن يحارب البغي في سياسات الأمم، وفي صلاة الأفراد على سواء<sup>(٣)</sup>.

### زواجه ﷺ من خديجة (رضى الله عنها)

قال ابن إسحاق: وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم<sup>(٤)</sup> إياه، بشيء تجعله لهم، وكانت قريش قومًا تجارًا، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها: من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجرًا، وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار، مع غلام لها يقال له ميسرة، فقبله رسول الله ﷺ منها، وخرج في مالها ذلك، وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام.

فنزّل رسول الله ﷺ في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان، فاطلع الراهب إلى ميسرة، فقال له: من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ قال له ميسرة:

(١) فضل الله الصمد شرح الأدب المفرد هامش (٢/٢٨).

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (٥٦٧)، وابن حبان (٢٠٦٢ موارد)، والحاكم (٢/٢٢٠) التفسير، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وأحمد (١/١٩٠، ١٩٣)، وهو في الصحيحة رقم (١٩٠٠).

(٣) فقه السيرة (ص: ٨٤ - ٨٥).

(٤) تضاربهم: تقارضهم والمضاربة المقارضة.

هذا رجل من قريش من أهل الحرم، فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي<sup>(١)</sup>.

ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التي خرج بها، واشترى ما أراد أن يشتري، ثم أقبل قافلاً إلى مكة ومعها ميسرة، فكان ميسرة - فيما يزعمون - إذا كانت الهاجرة واشتد الحر يرى ملكين يظلاله من الشمس، وهو يسير على بعيره. فلما قدم مكة على خديجة بمالها، باعت ما جاء به، فأضعف أو قريباً. وحدثها ميسرة عن قول الراهب وعما كان يرى من إظلال الملكين إياه. وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة مع ما أراد الله بها من كرامته<sup>(٢)</sup>.

اجتمعت الدلائل والقرائن عند خديجة بأن محمداً هو الرحيق الذي يُختم به الأنبياء. فباتت ترجو أن تكون زوجاً له ولكن أنى الطريق إلى ذلك؟!!

إنها امرأة عريقة النسب ممدودة الثروة، وقد عرفت بالحزم والعقل: ومثلها مطمح لسادة قريش لولا أن السيدة كانت تحقر في كثير من الرجال أنهم طلاب مال لا طلاب نفوس. وأن أبصارهم ترنو إليها بغية الرفاة من ثرائها وإن كان الزواج عنوان هذا الطمع!.

لكنها عندما عرفت محمداً عليه الصلاة والسلام وجدت ضرباً آخر من الرجال. وجدت رجلاً لا تستهويه ولا تدنيه حاجة. ولعلها عندما حاسبت غيره في تجارتها وجدت الشح والاحتيال. أما مع محمد ﷺ فقد رأت رجلاً تقفه كرامته الفارعة موقف النبل والتجاوز، فما تطلع إلى مالها ولا إلى جمالها. لقد أدى ما عليه ثم انصرف راضياً مرضياً.

ووجدت خديجة ضالتها المنشودة<sup>(٣)</sup>.

وفي غمرة الحيرة والاضطراب تدخل عليها صديقتها نفيسة بنت منبه، وتجلس معها تبادلها أطراف الحديث حتى استطاعت أن تكشف السر الكامن المرتسم على محياها وفي نبرات حديثها.

وهدأت نفيسة من روع خديجة وطمأنت خواطرها، وذكرت بأنها ذات الحساب

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات» (١/١٢٩) من طريق الواقدي وإسناده ضعيف فالواقدي متروك.

(٢) ابن هشام (١/١٦٥ - ١٦٦).

(٣) فقه السيرة (ص: ٨٨ - ٨٩).

والنسب والمال والجمال، واستدلت على صدق قولها بكثرة الطالبين لها من أشرف الرجال.

وما إن خرجت نفيسة من عند خديجة حتى انطلقت إلى النبي ﷺ وكلمته أن يتزوج الطاهرة خديجة، وقالت: يا محمد ما يمنعك أن تتزوج فقال - عليه الصلاة والسلام -: «ما بيدي ما أتزوج به».

قالت: فإن كُفيت ودُعيت إلى المال والجمال والشرف والكفاءة فهل تجيب؟  
فرد متسائلاً: ومن؟

قالت على الفور: خديجة بنت خويلد.

فقال: إن وافقت فقد قبلت.

وانطلقت نفيسة لتزف البشرية إلى خديجة، وأخبر - عليه الصلاة والسلام - أعمامه برغبته في الزواج من خديجة، فذهب أبو طالب وحمزة وغيرهما إلى عم خديجة عمرو ابن أسد، وخطبوا إليه ابنة أخيه، وساقوا إليه الصداق.

في ذلك المجلس اللطيف، قام أبو طالب يخطب... ذكر أبو العباس المبرد - رحمه الله - وغيره، أن أبا طالب خطب خطبة الإملاك فقال:

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وضئضىء - أصل - معد، وعنصر مضر، وجعلنا حضنة بيته، وسوأس حرمه، وجعل لنا بيتاً محجوباً، وحرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس؛ ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل إلا رجح عليه براً وفضلاً، وشرفاً وعقلاً، ومجداً ونبلاً.

فإن كان في المال قُل - قلة - فإن المال ظل زائل، وأمر حائل، وعارية مسترجعة، ومحمد من قد عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة بنت خويلد، وبذل لها من آجله وعاجله من مالى عشرين بكرة، وفي رواية: وقد بذل لها من الصداق اثنتى عشرة أوقية ذهباً ونشاً - أى نصف أوقية - ثم قال أبو طالب: وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل فزوجها<sup>(١)</sup>.

ولما تم العقد نُحرت الذبائح، ووزعت على الفقراء، وفتحت دار خديجة للأهل والأقارب.

(١) السيرة الحلبية (١/٢٢٦)، والروض الأنف للسهيلى (١/٢١٣).

\* وفي رواية ابن عباس (رضى الله عنهما) :- أن رسول الله ﷺ ذكر خديجة، وكان أبوها يرغب عن أن يزوجه<sup>(١)</sup>، فصنعت طعاماً وشراباً، فدعت أباهاً وزمراً من قريش<sup>(٢)</sup>، فطعموا وشربوا حتى ثملوا - سكروا -، فقالت خديجة لأبيها: «إن محمد بن عبد الله يخطبني فزوجني إياه، فزوجها إياه، فخلقتة<sup>(٣)</sup>، وألبسته حلة، وكذلك كانوا يفعلون بالآباء، فلما سرى عنه سكره نظر، فإذا هو مخلق، وعليه حلة، فقال ما شأنى؟ ما هذا؟ فقالت: زوجتني محمد بن عبد الله، قال: أزوج يتيم أبى طالب، لا لعمرى<sup>(٤)</sup>. فقالت خديجة: أما تستحي، تريد أن تسفه نفسك عند قريش، تخبر الناس أنك كنت سكران؟ فلم تزل به حتى رضى<sup>(٥)</sup>.

\* كانت الطاهرة خديجة - رضى الله عنها - بنت أربعين فى سن اكتمال الأمومة، أما محمد ﷺ ففى سن اكتمال الشباب ابن خمس وعشرين سنة.

\* وفى هذا الزواج المبارك كانت الطاهرة خديجة هى الزوجة الوفية فى حبها، وهى الأم الرؤوم فى حنانها وعطفها وبرها - رضى الله عنها -<sup>(٦)</sup>.

### منزلة خديجة (رضى الله عنها)

وها هى باقة عطرة من الأحاديث التى توضح لنا منزلة خديجة (رضى الله عنها) عند الله (عز وجل) وعند رسول الله ﷺ .

\* عن ابن عباس قال: خط رسول الله ﷺ فى الأرض أربعة خطوط قال: تدرُونَ ما هذا؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم. فقال رسول الله ﷺ «أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم ابنة عمران - رضى الله عنهم أجمعين»<sup>(٧)</sup>.

(١) يرغب عن أن يزوجه: يرفض تزويجه.

(٢) زمراً: جماعات.

(٣) خلقتة: طبيته.

(٤) لا لعمرى: لفظ يستعمل للتسم.

(٥) أخرجه أحمد فى المسند: ٣١٢/١، والبيهقى فى الدلائل: ٧٣/٢، مختصراً، وللطبرانى فى الكبير رقم: ١٢٨٣٨. وقال الهيثمى: ٩/٢٢٠. رواه أحمد، والطبرانى، ورجال أحمد والطبرانى رجال الصحيح.

(٦) صحايات حول الرسول ﷺ / للمصنف (ص: ٢٤).

(٧) رواه أحمد (١/٢٩٣)، والحاكم (٢/٥٩٤) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يُخرجاه، ووافقه

وعن أنس رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال: «حسبك من نساء العالمين مريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون»<sup>(١)</sup>.

\* وعن الزهري قال: لم يتزوج رسول الله ﷺ على خديجة حتى ماتت<sup>(٢)</sup>.

وعن أنس قال جاء جبريل إلى النبي ﷺ وعنده خديجة فقال: إن الله يقرئ خديجة السلام فقالت: إن الله هو السلام، وعلى جبريل السلام، وعلى السلام ورحمة الله وبركاته<sup>(٣)</sup>.

- ولنا أن نتخيل أن امرأة مؤمنة مثل أمنا خديجة (رضى الله عنها) يرسل لها الحق (جل وعلا) جبريل (عليه السلام) ليبلغها منه السلام... وعلى الجانب الآخر نجد فقه وأدب خديجة (رضى الله عنها) حينما قالت: «إن الله هو السلام» ولم تقل: وعلى الله السلام... فيا لها من منقبة لا توازيها الدنيا بكل ما فيها.

\* وعن عائشة (رضى الله عنها) قالت: ما غرت على نساء النبي ﷺ إلا على خديجة وإني لم أدركها قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة فيقول: «أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة» قالت: فأغضبته يوماً فقلت: خديجة! فقال رسول الله ﷺ: «إني قد رزقت حبها»<sup>(٤)</sup>.

\* ويا لها من كلمة جليلة تتوارى منها كل الكلمات العذبة خجلاً وحياءً من عذوبتها وجمالها «إني قد رزقت حبها» كأن حبه لخديجة (رضى الله عنها) كان رزقاً ساقه الله إليه.

\* ونختم تلك الباقة العطرة من مناقبها بهذا الحديث الذي يرسم لنا صورة حية لإكرام الله تعالى لها في جنته.

فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: أتى جبريلُ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إناءً فيه إدامٌ أو طعامٌ أو شرابٌ فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى، وبشرها بيتٍ في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب»<sup>(٥)</sup>.

(١) رواه الترمذى (٢٨٧٨)، وأحمد (١٣٥/٣)، والحاكم (١٥٧/٣) وإسناده صحيح.

(٢) قال الهيثمي في المجمع (٢٢٠/٩): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٣) رواه النسائي في فضائل الصحابة (٢٥٤) وإسناده حسن.

(٤) أخرجه مسلم (٧٥) (٢٤٣٥) كتاب فضائل الصحابة.

(٥) أخرجه البخارى (٣٨٢٠)، ومسلم (٢٤٣٢).

### النبي ﷺ يشارك في بناء الكعبة

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦].

وعن أبي ذر قال سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع في الأرض قال «المسجد الحرام. قلت ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى. قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون عاماً، ثم الأرض لك مسجد فحيثما أدركت الصلاة فصل، فإن الفضل فيه»<sup>(١)</sup>.

\* وقد اختلف أهل العلم في أول من بنى الكعبة فمنهم من قال: أول من بناها الملائكة. ومنهم من قال: أول من بناها آدم عليه السلام. ومنهم من قال: أول من بناها إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام).

والراجح أن الكعبة كانت قبل إبراهيم وإسماعيل ولكنها هُدمت وبقيت القواعد فكان الذي رفع تلك القواعد إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

\* وكانت الكعبة - قبل مبعث النبي ﷺ - قد أوشكت على الانهيار قيل: بحريق أصابها وقيل: بسيل جارف وكان ذلك قبل بعثة النبي ﷺ بخمس سنوات على الراجح.

فاضطرت قريش إلى تجديد بنائها حرصاً على مكانتها، وانفقوا على أن لا يدخلوا في بنائها إلا طيباً، فلا يدخلوا فيها مهر بغي، ولا بيع رباً، ولا مظلمة أحد من الناس، وكانوا يهابون هدمها، فابتدأ بها الوليد بن المغيرة المخزومي وتبعه الناس لما رأوا أنه لم يصبه شيء، ولم يزالوا في الهدم حتى وصلوا إلى قواعد إبراهيم، ثم أرادوا الأخذ في البناء، فجزأوا الكعبة، وخصصوا لكل قبيلة جزءاً منها، فجمعت كل قبيلة حجارة على حده، وأخذوا يبنونها، وتولى البناء بناء رومي اسمه باقوم، ولما بلغ البنيان موضع الحجر الأسود، اختلفوا فيمن يمتاز بشرف وضعه في مكانه، واستمر النزاع أربع ليال أو خمساً، واشتد حتى كاد يتحول إلى حرب ضروس في أرض الحرم، إلا أن أبا أمية بن المغيرة المخزومي عرض عليهم أن يحكموا فيما شجر بينهم أول داخل عليهم من باب

(١) رواه البخارى (٤٦٩/٦) أحاديث الأنبياء. قال الحافظ: وهذا الحديث يفسر المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ ويدل على أن المراد بالبيت بيت العبادة لا مطلق البيوت، وقد ورد ذلك صريحاً عن علي، أخرجه إسحاق بن راهويه وابن أبي حاتم وغيرهما بإسناد صحيح عنه قبله قال: كانت البيوت قبله ولكنه كان أول بيت وضع لعبادة الله. (٤٧٠/٦) من فتح الباري.

المسجد فارتضوه، وشاء الله أن يكون ذلك رسول الله ﷺ فلما رأوه هتفوا: هذا الأمين، رضيناه، هذا محمد، فلما انتهى إليهم، وأخبروه الخبر طلب رداء، فوضع الحجر وسطه، وطلب من رؤساء القبائل المتنازعين أن يمسكوا جميعاً بأطراف الرداء، وأمرهم أن يرفعوه، حتى إذا أوصلوه إلى موضعه أخذه بيده، فوضعه في مكانه<sup>(١)</sup>.

\* عن (عليّ) قال: «لما أرادوا أن يرفعوا الحجر «يعنى قريشاً» اختصموا فيه، فقالوا: يحكم بيننا أول رجل يخرج من هذه السكة<sup>(٢)</sup>، قال: وكان رسول الله ﷺ أول من خرج عليهم، فجعلوه في مرط<sup>(٣)</sup>، ثم رفعه جميع القبائل كلها، ورسول الله يومئذ رجل شاب يعنى قبل البعثة. وفي رواية قال: «لما رأوا النبي ﷺ قد دخل قالوا: قد جاء الأمين»<sup>(٤)</sup>.

#### وهذه رواية أخرى:

\* عن أبي الطفيل رضى الله عنه قال: «كانت الكعبة في الجاهلية مبنية بالرضم<sup>(٥)</sup>، وكانت قدر ما يفتحها العناق<sup>(٦)</sup>، وكانت غير مسقوفة، إنما توضع ثيابها عليها ثم تسدل سداً عليها<sup>(٧)</sup>، وكان الركن الأسود موضوعاً على سورها تأدباً، وكانت ذات ركنين كهياة الحلقة.

فأقبلت سفينة من أرض الروم، حتى إذا كانوا قريباً من (جدة)، تكسرت السفينة، فخرجت قريش ليأخذوا خشبها، فوجدوا رومياً عندها، فأخذوا الخشب أعطاهم إياه. وكانت السفينة تريد الحبشة، وكان الرومى الذى فى السفينة نجاراً فقدموا، وقدموا بالرومى، فقالت قريش: بنى بهذا الخشب الذى فى السفينة بيت ربنا.

فلما أرادوا هدمه، إذا هم بحية على سور البيت مثل قطعة الحائر<sup>(٨)</sup>، سوداء الظهر، بيضاء البطن، فجعلت كلما دنا أحد إلى البيت ليهدمه أو يأخذ من حجارتها، سعت إليه فاتحة فاها - فمها -.

(١) الرحيق المختوم (ص: ٥٩).

(٢) السكة: الطريق.

(٣) المرط: الثوب.

(٤) رواه الطبرانى فى الأوسط والحاكم وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبى.

(٥) الرضم: الصخور.

(٦) العناق: الأنثى من أولاد الماعز دون السنة.

(٧) السدل: الإسبال.

(٨) الحائر: الجدول.



اجتمعت قريش عند المقام، فعجُّوا إلى الله - عزَّ وجلَّ - فقالوا: ربنا لم تُرْعِ<sup>(١)</sup>، أردنا تشريف بيتك، فإن كنت ترضى بذلك، وإلا فافعل ما بدا لك.

فسمعوا خواراً<sup>(٢)</sup> في السماء، فإذا بطائر أسود الظهر، أبيض البطن والرجلين، أعظم من البشر، فغرز مخاليبه في رأس الحية، حتى انطلق بها يجر ذنبها، أعظم من كذا وكذا ساقطاً، فانطلق نحو أجياد، فهدمتها قريش، وجعلوا بينونها بحجارة الوادي تحملها قريش على رقابها، فرفعوها في السماء عشرين ذراعاً.

فبينما النبي ﷺ يحمل حجارة من أجياد، وعليه نمر، فضاقت عليه النمرة<sup>(٣)</sup>، فذهب يضع النمرة على عاتقه، فترى عورته من صغر النمرة، فنودي يا محمد، خمر عورتك<sup>(٤)</sup>، فلم ير عرياناً بعد ذلك، وكان يرى بين بناء الكعبة وبين ما أنزل عليه خمس سنين، وبين مخرجه وبنائها خمس عشرة سنة<sup>(٥)</sup>.

\* وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: «إن رسول الله ﷺ كان ينقل معهم الحجارة للكعبة وعليه إزاره، فقال له العباس عمه: يا ابن أخي، لو حللت إزارك، فجعلته على منكبك<sup>(٦)</sup>، دون الحجارة؛ قال: فحلَّه، فجعله على منكبه، قال: فسقط مغشياً عليه، فما رأى بعد ذلك اليوم عرياناً»<sup>(٧)</sup>.

\* عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال لها: ألم ترى أن قومك لما بنوا الكعبة اقتصروا على قواعد إبراهيم. فقلت: يا رسول الله ألا تردها على قواعد إبراهيم؟ قال: لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت.

فقال عبد الله رضى الله عنه: لئن كانت عائشة رضى الله عنها سمعت هذا من رسول الله ﷺ ما أرى رسول الله ﷺ ترك استلام الركنين الذين يليان الحجر، إلا أن البيت لم يتم على قواعد إبراهيم<sup>(٨)</sup>.

(١) لم ترع: لا تخف ولا تنزع.

(٢) الخوار: الصباح.

(٣) النمرة: الكساء المخطط.

(٤) خمر عورتك: غط عورتك.

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير بطوله، وأحمد طرفاً منه، ورجالهما رجال الصحيح كما قال الهيثمي في المجمع ٣/٢٨٩. انظر المطالب العالية: ٤/١٨٢ برقم: ٤٢٦٦، والفتح الرباني: ٢٠/١٩٨ - ١٩٩.

(٦) المنكب: الكتف.

(٧) أخرجه البخاري (٣٦٤) الصلاة - ومسلم (٣٤٠) الحيض.

(٨) أخرجه البخاري (٥١٣/٣) الحج.

## شمس النبوة تشرق على أرض الجزيرة

\* ولما تقاربت سنه الأربعين حُبب إليه الخلاء فقد كان محمد ﷺ يهجر مكة كل عام ليقضى شهر رمضان في غار حراء وهو غار على مسافة بضعة أميال من القرية الصاخبة، في رأس جبل من هذه الجبال المشرفة على مكة والتي ينقطع عندها لغو الناس وحديثهم الباطل، ويبدأ السكون الشامل المستغرق. في هذه القمة السامقة المنزوية، كان محمد ﷺ يأخذ زاد الليالي الطوال ثم ينقطع عن العالمين متجهًا بفؤاده المشوق إلى رب العالمين!.. في هذا الغار المهيب المحجب، كانت نفس كبيرة تظل من عليائها على ما تموج به الدنيا من فتن ومغارم واعتداء وانكسار ثم تتلوى حسرة وحيرة لأنها لا تدرى من ذلك مخرجًا، ولا تعرف له علاجًا!!

وفي هذا الغار النائي كانت عين نفاذة محصية تستعرض تراث الهداة الأولين من رسل الله، فتجده كالمنجم المعتم لا يستخلص منه المعدن النفيس إلا بعد جهد جهيد، وقد يختلط التراب بالتبر فما يستطيع بشر فصله عنه..

في غار حراء كان محمد عليه الصلاة والسلام يتعبد، ويصقل قلبه، وينقى روحه ويقترب من الحق جهده ويتعد عن الباطل وسُعه. حتى وصل من الصفاء إلى مرتبة عالية انعكست بها أشعة الغيوب على صفحته المجلوة، فأسمى لا يرى رؤيا إلى جاءت كفلق الصبح<sup>(١)</sup>.

### بدء الوحي

\* عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «أنزل على النبي ﷺ وهو ابن أربعين، وكان بمكة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة عشرًا، فمات وهو ابن ثلاث وستين»<sup>(٢)</sup>.

\* ومن حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي ﷺ قال لخديجة رضى الله عنها: (إنى أرى ضوءًا، وأسمع صوتًا، وإنى أخشى أن يكون بى جنون). قالت: «لم يكن الله ليفعل ذلك بك يا ابن عبد الله» ثم أتت ورقة بن نوفل، فذكرت ذلك له فقال: «إن يكن

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ٩٨ - ٩٩).

(٢) أخرجه البخارى (٣٩٠٢) مناقب الأنصار - ومسلم (٢٣٥١) الفضائل.

صَادِقًا فَإِنَّ هَذَا نَامُوسٌ مِثْلُ نَامُوسٍ<sup>(١)</sup> مُوسَى، فَإِنَّ بُعِثَ وَأَنَا حَيٌّ فَسَاعَزْرَهُ، وَأَنْصَرَهُ، وَأَوْمَنَ بِهِ»<sup>(٢)</sup>.

✽ وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت: «أول ما بدى به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح»<sup>(٣)</sup>، ثم حُبب إليه الخلاء<sup>(٤)</sup>، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنَّث فيه «وهو تعبد الليالي ذوات العدد» قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق، وهو في غار حراء.

فجاءه الملك، فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني<sup>(٥)</sup> حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾﴾ [العلق: ١ - ٣] فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال: زملوني<sup>(٦)</sup>، زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع<sup>(٧)</sup>، فقال لخديجة، وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي.

فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل<sup>(٨)</sup>، وتكسب المعدوم<sup>(٩)</sup>، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق<sup>(١٠)</sup>، فانطلقت به خديجة، حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى (ابن عم خديجة)، وكان امرأً تنصراً

(١) الناموس: صاحب الوحي وهو جبريل عليه السلام.

(٢) رواه أحمد في المسند: (٣١٢/١) وقال الهيثمي في المجمع (٢٥٥/٨): رواه أحمد متصلاً ومرسلاً،

والطبراني بنحوه. وزاد: ورجال أحمد رجال الصحيح، وصححه أحمد شاكر برقم (٢٨٤٦).

(٣) فلق الصبح: ضياء الصبح، وهذا يقال في الشيء الواضح البين.

(٤) الخلاء: الخلوة وهي شأن الصالحين ليتفرغ لعبادة ربه، ويتخشع له.

(٥) غطني: عصرتني وضعتني. الجهد: المشقة.

(٦) زملوني: غطوني بالثياب ولفوني بها.

(٧) الفرع: الخوف.

(٨) تحمل الكل: تنفق على الضعيف واليتيم والعيال، والكل: أصله الثقل والإعياء.

(٩) تكسب المعدوم: تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك من نفائس الفوائد ومكارم الأخلاق.

(١٠) تعين على نوائب الحق: أنك لا يصيبك مكروه لما جعل الله فيك من مكارم الأخلاق وكرم السمائل.

في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، فيكتب الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمى، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك.

فقال له ورقة: يا ابن أخي ما ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى: فقال له ورقة: هذا الناموس<sup>(١)</sup> الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً<sup>(٢)</sup>، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: أو مخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا<sup>(٣)</sup>، ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي<sup>(٤)</sup>«<sup>(٥)</sup>.

### حزن النبي ﷺ لفتور الوحي

\* وعن جندب بن عبد الله البجلي رضى الله عنه قال: «اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقيم ليلة أو ليلتين أو ثلاثاً فقالت امرأة: ما أرى شيطانك إلا تركك، فأنزل الله ﴿ وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ ﴾ [الضحى: ١ - ٣]«<sup>(٦)</sup>.

\* وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي:

(بينما أنا واقف، فرفعت رأسي إلى السماء، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسيه بين السماء والأرض، قال رسول الله ﷺ فَجِئْتُ<sup>(٧)</sup> منه فرقاً، فرجعت،

(١) الناموس: هو جبريل عليه السلام، ومعنى الناموس: صاحب سر الخير.

(٢) الجذع: الشاب القوى.

(٣) نصرًا مؤزرًا: قوياً بالغاً.

(٤) فتر الوحي: تأخر نزوله.

(٥) قال ابن القيم رحمه الله: استدلت بما فيه من الصفات الفاضلة، والأخلاق والشيم، على أن من كان كذلك لا يخزى أبداً، فعلمت بكمال عقلها وفطرتها أن الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة والشيم الشريفة تناسب أشكالها من كرامة الله وتأييده وإحسانه، ولا تناسب الخزي والخذلان، وإنما يناسبه أضعافها فمن ركب الله على أحسن الصفات وأحسن الأخلاق والأعمال إنما يليق به كرامته وإتمام نعمته عليه، ومن ركب على أقبح الصفات وأسوأ الأخلاق والأعمال إنما يليق به ما يناسبها، وبهذا العقل والصدقية استحققت أن يرسل إليها ربها السلام منه مع رسوله جبريل ومحمد ﷺ زاد المعاد (١٩/٣) ط. الرسالة.

(٦) أخرجه البخاري (٤٩٨٣) فضائل القرآن - ومسلم (١٧٩٧) الجهاد والسير.

(٧) جئْتُ: أي دُعرت وخفت.

فقلت: زملوني زملوني، دثروني، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكْبِرْ ﴿٣﴾ وَتِيَابِكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ [المدثر: ١ - ٥]. ثم تتابع الوحي (١).

### كيف كان يأتي الوحي رسول الله ﷺ

لقد ذكر الإمام ابن القيم - رحمه الله - مراتب الوحي الذي كان ينزل على النبي ﷺ فقال: وكمل الله له من مراتب الوحي مراتب عديدة: إحداهما: الرؤيا الصادقة، وكانت مبدأ وحيه ﷺ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.

الثانية: ما كان يلقى الملك في روعه وقلبه من غير أن يراه، كما قال النبي ﷺ: «إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وتستوعب أجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله، فإن ما عند الله لا يُنال إلا بطاعته» (٢).

الثالثة: أنه ﷺ كان يتمثل له الملك رجلاً، فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول له، وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحياناً (٣).

الرابعة: أنه كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس، وكان أشده عليه فيتلبس به الملك حتى إن جبينه ليتفصد عرفاً في اليوم الشديد البرد (٤) وحتى إن راحلته لتبرك به إلى

(١) أخرجه البخاري (٤) بدء الوحي - ومسلم (١٦١) الإيمان.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي أمامة وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٨٥).

(٣) انظر حديث عمر في «صحيح مسلم» (٨) في أول كتاب الإيمان، وفيه أن النبي ﷺ قال: «يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» وروى النسائي بإسناد صحيح عن ابن عمر: «كان جبريل يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي».

(٤) أخرج أحمد ١٥٨/٦ و ١٦٣ و ٢٥٧. ومالك ٢٠٢/١، والبخاري ٢٠/١ في بدء الوحي، و ١٢٢/٦ في بدء الخلق: باب ذكر الملائكة، ومسلم (٢٣٣٣) في الفضائل: باب عرق النبي ﷺ، والنسائي ١٤٦/٢ و ١٤٧ و ١٤٩ في الافتتاح: باب جامع ما جاء في القرآن، والترمذي (٣٦٣٨) في المناقب من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: إن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً، فيكلمني، فأعي ما يقول». قالت عائشة: «ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرفاً».

الأرض إذا كان ركبها<sup>(١)</sup>. ولقد جاءه الوحي مرة كذلك، وفخذه على فخذ زيد بن ثابت. فنقلت عليه حتى كادت ترضها<sup>(٢)</sup>.

الخامسة: أنه يرى الملك في صورته التي خلق عليها، فيوحى إليه ما شاء الله أن يوحى، وهذا وقع له مرتين، كما ذكر الله ذلك في سورة [النجم: ٧، ١٣] <sup>(٣)</sup>.

السادسة: أوحاه الله وهو فوق السماوات ليلة المعراج من فرض الصلاة وغيرها.

السابعة: كلام الله له منه إليه بلا واسطة ملك، كما كلم الله موسى ابن عمران، وهذه المرتبة هي ثابتة لموسى قطعاً بنص القرآن، وثبوتها لنبينا ﷺ هو في حديث الإسراء.

وقد زاد بعضهم مرتبة ثامنة وهي تكليم الله له كفاحاً من غير حجاب، وهذا على مذهب من يقول: إنه ﷺ رأى ربه تبارك وتعالى، وهي مسألة خلاف بين السلف والخلف<sup>(٤)</sup>.

\*\*\*

(١) أخرج الإمام أحمد ١١٨/٦ من حديث عائشة رضی الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا أوحى إليه وهو على ناقته، وضعت جرائها، فلم تستطع أن تتحرك. وصححه الحاكم (٥٠٥/٢) ووافقه الذهبي.

(٢) أخرج البخاري ١٩٦/٨ في التفسير من حديث زيد بن ثابت أن النبي ﷺ أملى عليه ﴿لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله﴾ فجاء ابن أم مكتوم وهو يملها على، قال: يا رسول الله، والله لو أستطيع الجهاد معك لجاهدت، وكان أعمى، فأنزل الله على رسوله ﷺ وفخذه على فخذي، فنقلت على حتى خفت أن ترض فخذي، ثم سرى عنه، فأنزل الله ﴿غير أولى الضرر﴾.

(٣) أخرج مسلم في «صحيحه» (١٧٧) عن عائشة أن النبي ﷺ قال: «لم أره (يعني جبريل) على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض». وبين أحمد في حديث ابن مسعود أن الأولى كانت عند سؤاله إياه أن يريه صورته التي خلق عليها، والثانية عند المعراج...، والترمذي (٣٢٧٤) من طريق مسروق عن عائشة: لم ير محمد جبريل في صورته إلا مرتين: مرة عند سدره المنتهى، ومرة في أجياد.

(٤) زاد المعاد (١/٧٨: ٨٠).

## النبي ﷺ يرى جنة أو جنتين لورقة بن نوفل

\* عن عائشة رضی الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ (لا تسبوا ورقة، فإني رأيت له جنة أو جنتين)<sup>(١)</sup>.

\* وعن عائشة أن خديجة سألت النبي ﷺ عن ورقة بن نوفل فقال: (قد رأيتته فرأيت عليه ثياب بياض، فأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بياض)<sup>(٢)</sup>.

## مراحل الدعوة الإسلامية في حياة النبي ﷺ

مرت الدعوة الإسلامية في حياته عليه الصلاة والسلام منذ بعثته إلى وفاته بأربع مراحل: المرحلة الأولى: الدعوة سرّاً، واستمرت ثلاث سنوات.

المرحلة الثانية: الدعوة جهراً، وباللسان فقط، واستمرت إلى الهجرة.

المرحلة الثالثة: الدعوة جهراً، مع قتال المعتدين والبادئين بالقتال أو الشر، واستمرت هذه المرحلة إلى عام صلح الحديبية.

المرحلة الرابعة: الدعوة جهراً مع قتال كل من وقف في سبيل الدعوة أو امتنع عن الدخول في الإسلام - بعد فترة الدعوة والإعلام - من المشركين أو الملاحدة أو الوثنيين.

وكانت هذه المرحلة هي التي استقر عليها أمر الشريعة الإسلامية وقام عليها حكم الجهاد في الإسلام<sup>(٣)</sup>.

## مرحلة الدعوة السرية

أخذت الدعاية للإسلام تنتشر في مكة وتعمل عملها في أصحاب الأفئدة الكبيرة فسرعان ما يطرحون جاهليتهم الأولى ويخفون إلى اعتناق الدين الجديد وكانت آيات القرآن تنزل على القلوب التي استودعت بذور الإيمان كما ينزل الوابل على التربة الخصبة.

(١) رواه الحاكم عن عائشة (رضى الله عنها) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٣٢٠) والصحيحة (٤٠٥).

(٢) قال ابن كثير في السيرة (١/٣٩٧): هذا إسناد حسن لكن رواه الزهري وهشام عن عروة مرسلًا.

(٣) فقه السيرة للبوطي (ص: ٦٨).

﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيحٌ﴾ [الحج:٥].

كان أصحاب العقائد يتجمعون - في تودة - حول عقائدهم، ويلتفون - في حب وإعجاب - حول إمامهم، ويشرحون في حذر - أصول فكرتهم. والإيمان قوة ساحرة، إذا استمكنت من شعاب القلب وتغلغلت في أعماقه تكاد تجعل المستحيل ممكناً.

واستمر هذا التطور السرى للدعوة ثلاث سنين، ثم نزل الوحي يكلف الرسول ﷺ بمعالجة قومه. ومجابهة باطلهم، لمهاجمة أصنامهم جهاراً<sup>(١)</sup>.

### حكمة جليلة

معلوم أن مكة كانت مركز دين العرب وكان بها سدنة الكعبة والقوام على الأوثان والأصنام المقدسة عند سائر العرب، فالوصول إلى المقصود من الإصلاح فيها يزداد عسراً وشدة عما لو كان بعيداً عنها، فالأمر يحتاج إلى عزيمة لا تنزلها المصائب والكوارث... كان من الحكمة تلقاء ذلك أن تكون الدعوة في بدء أمرها سرية، لئلا يفاجئ أهل مكة بما يهيجهم.

### الرعييل الأول

وكان من الطبيعي أن يعرض الرسول ﷺ الإسلام أولاً على ألقى الناس به وآل بيته، وأصدقائه، فدعاهم إلى الإسلام، ودعا إليه كل من توسم فيه خيراً ممن يعرفهم ويعرفونه، يعرفهم بحب الله ويعرفونه بتحرى الصدق والصلاح، فأجابه من هؤلاء - الذين لم تخالجهم ريبة قط في عظمة الرسول ﷺ، وجلالة نفسه وصدق خبره - جمعٌ عرفوا في التاريخ الإسلامى بالسابقين الأولين، وفي مقدمتهم زوجة النبي ﷺ أم المؤمنين خديجة بنت خويلد، ومولاه زيد بن حارثة، وابن عمه على بن أبى طالب - وكان صبيّاً يعيش في كفالة الرسول ﷺ<sup>(٢)</sup>.

\* ودعا صديقه الذى هو موضع ثقته وأمين سره ﴿ثَانِيِ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾

[التوبة:٤٠] أبو بكر الصديق رضى الله عنه، فلم يتردد، وكان أول داعية فى الإسلام،

(١) فقه السيرة للقرطبي (ص: ١١١ - ١١٢) بتصرف.

(٢) الرحيق المختوم (ص: ٧٢).



وكان ببركة إسلامه ودعوته ثلثة مباركة دخلت في الدين وكانت من السابقين الأولين وكان لها في الإسلام أعظم بذل وبلاء، فرضى الله عنهم أجمعين... منهم عثمان بن عفان رضى الله عنه ذو النورين، والزيبر بن العوام وهو حوارى رسول الله ﷺ وابن عمته صفية بنت عبد المطلب، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص خال المصطفى ﷺ، وطلحة بن عبيد الله، وكل هؤلاء الذين دخلوا الإسلام على يد أبى بكر من العشرة المبشرين رضى الله عنهم أجمعين<sup>(١)</sup>.

\* ثم لما أرى الذين دخلوا في الإسلام على الثلاثين - ما بين رجل وامرأة - اختار لهم رسول الله ﷺ دار أحدهم، وهو الأرقم بن أبى الأرقم، ليلتقى بهم فيها لحاجات الإرشاد والتعليم.. أسلم هؤلاء سرًا، وكان الرسول ﷺ يجتمع بهم ويرشدهم إلى الدين متخفيًا؛ لأن الدعوة كانت لا تزال فردية وسرية، وكان الوحي قد تابع وحمى نزوله بعد نزول أوائل المدثر، وكانت الآيات وقطع السور التي تنزل في هذا الزمان آيات قصيرة، ذات فواصل رائعة منيعة، وإيقاعات هادئة خلاصة تتناسق مع ذلك الجو الهامس الرقيق، تشتمل على تحسين تزكية النفوس وتقبيح تلويثها برغائم الدنيا، تصف الجنة والنار كأنهما رأى عين، تسير بالمؤمنين في جو آخر غير الذى فيه المجتمع البشرى آنذاك<sup>(٢)</sup>.

\* ومن هنا تدرك، أن أسلوب دعوته عليه الصلاة والسلام، في هذه الفترة، كان من قبيل السياسة الشرعية بوصف كونه إمامًا، وليس من أعماله التبليغية عن الله تعالى بوصف كونه نبيًا.

وبناء على ذلك فإنه يجوز لأصحاب الدعوة الإسلامية في كل عصر أن يستعملوا المرونة في كيفية الدعوة - من حيث التكتم والجهر، أو اللين والقوة - حسبما يقتضيه الظرف وحال العصر الذى يعيشون فيه، وهى مرونة حددتها الشريعة الإسلامية، اعتمادًا على واقع سيرته ﷺ، ضمن الأشكال أو المراحل الأربعة التى سبق ذكرها، على أن يكون النظر في كل ذلك إلى مصلحة المسلمين ومصلحة الدعوة الإسلامية.

ومن أجل هذا أجمع جمهور الفقهاء على أن المسلمين إذا كانوا من قلة العدد أو ضعف العدة بحيث يغلب الظن أنهم سيقتلون من غير أى نكاية فى أعدائهم، إذا ما أجمعوا قتالهم، فينبغى، أن تقدم هنا مصلحة حفظ النفس، لأن المصلحة المقابلة وهى

(١) وقفات تربوية (ص: ٦٧).

(٢) الرحيق المختوم (ص: ٧٣).

مصلحة حفظ الدين موهومة أو منفيّة الوقوع.

ويقرّر العزّ بن عبد السلام حرمة الخوض في مثل هذا الجهاد قائلاً:

«فإذا لم تحصل النكاية وجب الانهزام، لما في الثبوت من فوات النفس مع شفاء صدّور الكفار وإرغام أهل الإسلام، وقد صار الثبوت هنا مفسدة محضّة، ليس في طيِّها مصلحة»<sup>(١)</sup>.

قلت: وتقديم مصلحة النفس هنا، من حيث الظاهر فقط.

أمّا من حيث حقيقة الأمر ومرماه البعيد، فإنها في الواقع مصلحة دين، إذ المصلحة الدنيّة تقتضى - في مثل هذه الحال - أن تبقى أرواح المسلمين سليمة لكي يتقدموا ويجاهدوا في الميادين المفتوحة الأخرى. وإلاّ فإن هلاكهم يعتبر إضراراً بالدين نفسه وفسحاً للمجال أمام الكافرين ليقتحموا ما كان مسدوداً أمامهم من السبل.

والخلاصة: أنه يجب المسالمة أو الإسرار بالدعوة إذا كان الجهر أو القتال يضرّ بها، ولا يجوز الإسرار في الدعوة إذا أمكن الجهر بها وكان ذلك مفيداً، ولا يجوز المسالمة مع الظالمين والمتربصين بها إذا توفرت أسباب القوة والدفاع عنها، ولا يجوز القعود عن جهاد الكافرين في عقر دورهم إذا ما توفرت وسائل ذلك وأسبابه.

### هؤلاء أتباع الرسل

وتحدثنا السيرة أن الذين دخلوا في الإسلام، في هذه المرحلة، كان معظمهم خليطاً من الفقراء والضعفاء والأرقاء. فما الحكمة في ذلك؟ وما السرّ في أن تتأسس الدولة الإسلامية على أركان من مثل هؤلاء الناس؟

والجواب: إن هذه الظاهرة هي الثمرة الطبيعية لدعوة الأنبياء في فترتها الأولى، ألم تر إلى قوم نوح كيف كانوا يعيرونه بأن أتباعه الذين من حوله ليسوا إلا من أرادل الناس ودهماتهم: ﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ إِلَّا اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادْيِ الرَّأْيِ...﴾ [هود: ٢٧]. وإلى فرعون وشيعته كيف كانوا يرون أتباع موسى أذلاء مستضعفين، حتى قال عنهم بعد أن تحدث عن هلاك فرعون وأشياعه: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧]. وإلى ثمود الذين أرسل الله إليهم

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام (١/ ٩٥).

صالحاً، كيف تولى عنه الزعماء المستكبرون، وآمن به الفقراء المستضعفون، حتى قال الله في ذلك: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ (٧٥) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿ [الأعراف: ٧٥-٧٦].

والسرُّ في ذلك، أن حقيقة هذا الدين الذي بعث الله به عامة أنبيائه ورسله، إنما هي الخروج عن سلطان الناس وحكمهم إلى سلطان الله وحكمه وحده. وهي حقيقة تخدم أول ما تخدمش ألوهية المتألهين وحاكمة المتحكمين وسطوة المتزعمين، وتناسب أول ما تناسب حالة المستضعفين والمستذلين والمستعبدين، فيكون رد الفعل أمام الدعوة إلى الإسلام لله وحده هو المكابرة والعناد من أولئك المتألهين والمتحكمين، والإذعان والاستجابة من هؤلاء المستضعفين<sup>(١)</sup>.

### أول الناس إسلاماً

\* عن عفيف الكندي رضى الله عنه قال: «كنت امرأةً تاجراً، فقدمت الحج، فأتيت العباس بن عبد المطلب لأبتاع منه بعض التجارة، وكان امرأةً تاجراً، فوالله إنى لعنده بمنى إذ خرج رجل من خباء<sup>(٢)</sup> قريب منه، فنظر إلى الشمس، فلما رآها مالت<sup>(٣)</sup>، قام يصلى، ثم خرجت امرأة من ذلك الخباء الذى خرج ذلك الرجل منه، فقامت خلفه تصلى، ثم خرج غلام حين ناهز الحلم<sup>(٤)</sup> من ذلك الخباء، فقام معه يصلى.

قال: فقلت للعباس: يا عباس ما هذا؟ قال: هذا محمد ابن أخى عبد الله بن عبد المطلب قال: قلت: من هذه المرأة؟ قال: هذه امرأته خديجة بنت خويلد. قال: فقلت من هذا الفتى؟ قال: هذا على بن أبى طالب ابن عمه.

قال: قلت: فما هذا الذى يصنع؟ قال: يصلى، وهو يزعم أنه نبي، ولم يتبعه على أمره إلا امرأته وابن عمه هذا الفتى، وهو يزعم أنه ستفتح عليه كنوز كسرى وقيصر. قال: فكان عفيف وهو ابن عم الأشعث بن قيس يقول - وأسلم بعد فحسن إسلامه:

(١) فقه السيرة للبوطى (ص: ٦٩: ٧١) بتصرف.

(٢) الخباء: الخيمة.

(٣) مالت: يعنى بعد الزوال باتجاه الغروب.

(٤) ناهز الحلم: قارب البلوغ.

لو كان الله رزقني الإسلام يومئذ، فأكون ثانياً مع علي بن أبي طالب»<sup>(١)</sup>.

\* وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «أول من صلى مع النبي ﷺ بعد خديجة علي»<sup>(٢)</sup>.

\* وعن سلمان رضى الله عنه قال: «أول هذه الأمة وروداً على نبيها ﷺ أولها إسلاماً علي بن أبي طالب»<sup>(٣)</sup>.

\* وعن زيد بن أرقم رضى الله عنهما قال: «أول من صلى (وفى لفظ) أول من أسلم مع رسول الله ﷺ علي»<sup>(٤)</sup>.

\* وعن أبي سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال: «قال أبو بكر: ألسْتُ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَا؟ أَى الخِلافة، ألسْتُ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ؟ ألسْتُ صَاحِبُ كَذَا. ألسْتُ صَاحِبُ كَذَا؟»<sup>(٥)</sup>.

\* وعن أبي الدرداء رضى الله عنه فى قصة ما حصل بين أبى بكر وعمر من الخصومة فقال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقَلْتُمْ كَذِبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ، وَوَأَسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ<sup>(٦)</sup>، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي؟)<sup>(٧)</sup>.

\* وعن عمار رضى الله عنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمس أعبد، وامرأتان، وأبو بكر». وفى هذا الحديث أن أبا بكر أول من أسلم من الأحرار مطلقاً<sup>(٨)</sup>.

ولا منافاة فى ذلك، «فإن أبا بكر أول من أسلم من الرجال، وعلياً أول من أسلم من الصبيان، وخديجة أول من أسلم من النساء، وزيد بن حارثة أول من أسلم من الموالي».

(١) رواه أحمد (٢٠٩/١ - ٢١٠)، والحاكم (١٨٣/٣) وقال: صحيح الإسناد ولم يُخرجاه ووافقه الذهبى.

(٢) رواه الترمذى (٣٧٣٤)، وأحمد (٣٣٠/١ - ٣٣١) وقال الساعى فى الفتح (٢٠/٢١٤): وسنده جيد.

(٣) قال الهيثمى فى المجمع (٩/١٠٢): رواه الطبرانى ورجاله ثقات.

(٤) رواه الترمذى (٣٧٣٥)، وأحمد (٣٦٨/٤ - ٣٧١)، والحاكم (٣/١٣٦)، وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبى.

(٥) رواه الترمذى عن أبى سعيد الخدرى، وصححه الألبانى فى صحيح سنن الترمذى (٢٨٩٨).

(٦) واسانى بنفسه وماله: أعانى.

(٧) رواه البخارى فى فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً» رقم: (٣٦٦١) فتح البارى: (١٨/٧).

(٨) رواه البخارى فى فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً» رقم: (٣٦٦٠) فتح البارى: (١٨/٧).

وهذا قول أبي حنيفة رضى الله عنه<sup>(١)</sup>.

\* وقد كان من أوائل من آمن بالنبي ﷺ الصحابي عمرو بن عبسة رضى الله عنه.

\* عن عمرو بن عبسة رضى الله عنه: قال: قلت: «يا رسول الله، من معك على هذا الأمر؟ قال: (حرٌّ وعبدٌ) قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال، ثم قال له: (ارجع إلى قومك حتى يمكّن الله - عزَّ وجلَّ - لرسوله) قال: وكان عمرو بن عبسة يقول: «لقد رأيتنى وإنى لربع الإسلام»<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) سيرة ابن كثير: ١/٤٣٧، والترمذى فى المناقب، باب مناقب على رقم: ٣٧٣٥، وقال: كذا قال بعض أهل العلم.

(٢) أخرجه مسلم (٨٣٢) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

## الجهر بالدعوة

قال ابن هشام: «ثم دخل الناس في الإسلام أرسالاً من النساء والرجال حتى فشا ذكر الإسلام بمكة. فأمر الله رسوله أن يصدع بما جاءه من الحق، وأن ييادى الناس بأمره وأن يدعو إليه، وكان بين ما أخفى رسول الله أمره واستتر به إلى أن أمره الله بإظهار دينه ثلاث سنين من مبعثه<sup>(١)</sup>.

### أول أمر بإظهار الدعوة

أول ما نزل بهذا الصدد قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] والسورة التي وقعت فيها الآية - وهي سورة الشعراء - ذكرت فيها أولاً قصة موسى عليه السلام من بداية نبوته إلى هجرته مع بنى إسرائيل، ونجاتهم من فرعون وقومه، وإغراق آل فرعون معه، وقد اشتملت هذه القصة على جميع المراحل التي مر بها موسى عليه السلام خلال دعوة فرعون وقومه إلى الله.

أرى أن هذا التفصيل إنما جرى به حين أمر الرسول ﷺ بدعوة قومه إلى الله، ليكون أمامه وأمام أصحابه نموذجاً لما سيلقونه من التكذيب والاضطهاد حينما يجهرون بالدعوة، وليكونوا على بصيرة من أمرهم منذ بداية دعوتهم.

ومن ناحية أخرى تشتمل هذه السورة على ذكر مآل المكذبين للرسول، من قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم إبراهيم، وقوم لوط، وأصحاب الأيكة - علاوة على ما ذكر من أمر فرعون وقومه - ليعلم الذين سيقومون بالتكذيب بما يؤول إليه أمرهم، وبما سيلقون من مؤاخذة الله إن استمروا على التكذيب؛ وليعرف المؤمنون أن حسن العاقبة لهم لا للمكذبين<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن هشام (١/٢١٦).

(٢) الرحيق المختوم (ص: ٧٦).

## وأندر عشيرتك الأقربين

\* عن ابن عباس رضى الله عنهما: لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف: يا صباحاه<sup>(١)</sup>، فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا إليه، فقال: (أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكتنم مصدقى؟ قالوا: ما جربنا عليك كذباً، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد).

قال أبو لهب: تباً لك ما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قام، فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (٢).

\* وعن عائشة رضى الله عنها قالت: لما نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ، قام رسول الله ﷺ فقال: (يا فاطمة بنت محمد، يا صفية بنت عبد المطلب، يا بنى عبد المطلب، لا أملك لكم من الله شيئاً، سلونى من مالى ما شئتم)<sup>(٣)</sup>.

\* وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ قال: (يا معشر قريش، أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئاً، يا بنى عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب، لا أغنى عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله، لا أغنى عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد، سلينى ما شئت من مالى، لا أغنى عنك من الله شيئاً)<sup>(٤)</sup>.

\* هذه الصيحة العالية هى غاية البلاغ. فقد فاصل الرسول عليه الصلاة والسلام قومه على دعوته، وأوضح لأقرب الناس إليه أن التصديق بهذه الرسالة هو حياة الصلة بينه وبينهم وأن عصبية القرابة التى يقوم عليها العرب ذابت فى حرارة هذا الإنذار الآتى من عند الله.

لقد كان محمد عليه الصلاة والسلام كبير المنزلة فى بلده مرموقاً بالثقة والمحبة، وهما هو ذا يواجه مكة بما تكره: ويتعرض لخصام السفهاء والكبراء وأول قوم يغامر بخسران

(١) يا صباحاه: كلمة ينادى بها للاجتماع لوقوع أمر عظيم.

(٢) أخرجه البخارى (٤٧٧٠) التفسير، ومسلم (٢٠٨) الإيمان.

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٥) الإيمان.

(٤) أخرجه البخارى (٤٧٧١) التفسير، ومسلم (٢٠٤) الإيمان.

مودتهم، هم عشيرته الأقربون. لكن هذه الآلام تهون في سبيل الحق الذي شرح الله به صدره. فلا عليه أن يبيت بعد هذا الإنذار ومكة تموج بالغرابة والاستنكار. وتستعد لحسم هذه الثورة التي اندلعت بغتة، وتخشى أن تأتي على تقاليدنا وموروثاتها<sup>(١)</sup>.

### كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته

وهنا كان لابد لنا من الوقوف على أمرين هامين ألا وهما:

أولاً: لقد كان من الممكن أن لا يأمر الله رسوله بإنذار عشيرته وذوي قرياه خاصة، اكتفاءً بعموم أمره الآخر وهو قوله: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤] إذ يدخل أفراد عشيرته وذوو قرياه في عموم الذين سيصدع أمامهم بالدعوة والإنذار، فما الحكمة من خصوصية الأمر بإنذار العشيرة؟

والجواب: أن في هذا إلماحاً إلى درجات المسؤولية التي تتعلق بكل مسلم عموماً وأصحاب الدعوة خصوصاً.

فأدنى درجة في المسؤولية هي مسؤولية الشخص عن نفسه.

أما الدرجة التي تليها، فهي مسؤولية المسلم عن أهله ومن يلوذون به من ذوى قرياه. وتوجيهاً إلى القيام بحق هذه المسؤولية خصص الله الأهل والأقارب بضرورة الإنذار والتبليغ بعد أن أمر بعموم التبليغ والجهر به. وهذه الدرجة من المسؤولية يشترك في ضرورة تحمل أعبائها كل مسلم صاحب أسرة أو قربي. وليس من اختلاف بين دعوة الرسول في قومه ودعوة المسلم في أسرته بين أقاربه، إلا أن الأول يدعو إلى شرع جديد مُنزَل عليه من الله تعالى، وهذا يدعو بدعوة الرسول الذي بُعث إليه، فهو يبلغ عنه وينطق بلسانه. وكما لا يجوز للنبي أو الرسول في قومه أن يقعد عن تبليغهم ما أوحى إليه، فكذلك لا يجوز لرب الأسرة أن يقعد عن تبليغ أهله وأسرته ذلك، بل يجب أن يحملهم على اتباع ذلك حملاً ويلزمهم به إلزاماً.

أما الدرجة الثالثة: فهي مسؤولية العالم عن حيه أو بلدته، ومسؤولية الحاكم عن دولته وقومه<sup>(٢)</sup>.

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ١١٣، ١١٤).

(٢) فقه السيرة للبوطنى (ص: ٧٣، ٧٤).



ثانياً: «ومن الطبيعي أن يبدأ الرسول ﷺ دعوته العلنية بإنداز عشيرته الأقربين إذ أن مكة بلد توغلت فيه الروح القبلية، فبدأ الدعوة بالعشيرة قد يعين على نصرته وتأييده وحمايته. كما أن القيام بالدعوة في مكة لا بد أن يكون له أثر خاص لما لهذا البلد من مركز ديني خطير فجلبها إلى حظيرة الإسلام لا بد أن يكون له وقع كبير على بقية القبائل.. على أن هذا لا يعنى أن رسالة الإسلام كانت في أدوارها الأولى محدودة بقريش، لأن الإسلام، كما يتجلى من القرآن، اتخذ الدعوة في قريش خطوة أولى لتحقيق رسالته العالمية. والواقع أن كثيراً من الآيات المكية كانت تنص على القرآن ﴿إن هو إلا ذكرٌ للعالمين﴾ [التكوير: ٢٧]»<sup>(١)</sup>.

### أبعاد تأثير الدعوة على مجتمع مكة

جاء الرسول محمد ﷺ بدعوة، قلبت حياة البشر رأساً على عقب، ولم تكن تلك الدعوة تتناول عقيدتهم وحدها، بل شملت حياتهم في جميع مظاهرها: في السياسة، وفي الاجتماع، وفي المال، وفي البيت. ولم يكن طبيعياً ولا مألوفاً أن ينكروا ما وجدوا عليه آباءهم وبلادهم طواعية، فكان لا بدّ لهم من التصدى لهذه الدعوة، ومقاومة صاحبها، ليرجع إلى الصف الذي خرج عنه، فيعظم حرّماتهم التي يعظمون.

ولهذا فقد قاومت قريش الدعوة التي نقضت عقيدتها الفاسدة والمنحرفة، والرسول ﷺ الذي كان يدعو إلى التوحيد، وينذر بالبعث، فلا هي راضية بإله غير آلهتها، ولا هي واجدة في البعث والحساب الذي ينذر بها ما تعقله أو ترضاه.

ولو أن محمداً ﷺ قصر دعوته على التوحيد، وتسفيه أحلام القوم، لكفى بذلك إغناة، ولكنه زيادة على ذلك دعا إلى الإيمان بالبعث، فاستغربوا ذلك، واستبعدوه كل الاستبعاد، وقالوا: ﴿أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون﴾ [الصافات: ١٦] لقد سخروا من هذه الفكرة، واستدلوا بها على ضعف رأى صاحب الدعوة.

مشى إليه يوماً أبي بن خلف بعظم بال، فقال: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ هَذَا! ثُمَّ فَتَهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ نَفَخَهُ فِي الرِّيحِ نَحْوَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَردَّ القرآن على ذلك بقوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مِثْلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [٧٨] قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا

أول مرة وهو بكل خلقٍ عليم ﴿[يس: ٧٨، ٧٩].

(١) دراسة في السيرة/ عماد الدين خليل (ص: ٦٦).

لم يكتف محمد ﷺ بدعوته هذه التي كانت غريبة في رأى القوم، بل زاد عليها أن دعا إلى تحريم الخمر، والزنا، والميسر، والربا... وقريش لا تستغنى عن هذه الأربعة، ففيها متعمهم، وفيها تفاخرهم، وفيها غناهم وثروتهم.

لم يكتف الرسول ﷺ بالتوحيد، والبعث، وتحريم بعض ما طاب لنفوس القوم، بل دعا كذلك إلى أمر غريب عليهم، مستنكر لديهم، ذلك هو حق المساواة وهم الذين قضوا أعمارهم في التفاخر بالأحساب والأنساب. فما بال محمد ﷺ يخرج عليهم بالمساواة بين السادة والعبيد، ويجعل الناس سواسية كأسنان المشط؟ إنها للكبيرة التي لن ترضى قریش أن تقرَّ عليها<sup>(١)</sup>.

### الصدع بكلمة الحق وردود فعل المشركين

ولم يزل هذا الصوت يرتج دويه في أرجاء مكة حتى نزل قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]، فقام رسول الله ﷺ يعكر على خرافات الشرك وترهاته، ويذكر حقائق الأصنام وما لها من قيمة في الحقيقة، يضرب بعجزها الأمثال، ويبين بالبينات أن من عبدها وجعلها وسيلة بينه وبين الله فهو في ضلال مبين.

\* انفجرت مكة بمشاعر الغضب وظلت عشرة أعوام تعد المسلمين عصاة ثائرين، فزلزلت الأرض من تحت أقدامهم، واستباححت في الحرم الآمن دماءهم وأموالهم وأعراضهم، وجعلت مقامهم تحملاً للضيم وتوقعاً للويل. وصاحبت هذه السخائم المشتعلة حرب من السخرية والتحقير قصد بها تخذيل المسلمين وتوهين قواهم المعنوية<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) نضرة النعيم (١/ ٢٢١، ٢٢٢).

(٢) فقه السيرة للغزالي (ص: ١٢٠).

## وفد قريش إلى أبي طالب

فلما رأت قريش أن رسول الله ﷺ لا يعتبرهم (أى لا يرضيهم) من شىء وأنكروه عليه ورأوا أن عمه أبا طالب قد حذب عليه وقام دونه، فلم يسلمه لهم مشى رجال من أشrafهم إلى أبي طالب<sup>(١)</sup>، فقالوا: يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا، وسفّه أحلامنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلى بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فنكفّيكه، فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقاً، وردهم رداً جميلاً فانصرفوا عنه، ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه يظهر دين الله، فذهب الوفد مرة أخرى إلى أبي طالب، فقالوا له: يا أبا طالب: إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك عن ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى تكفه عنا، أو ننازله وإياك فى ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين.. ثم انصرفوا عنه، فعظم على أبي طالب فراق قومه وعدوانهم، ولم يطب نفساً بتسليم رسول الله ﷺ لهم ولا خذلانه، فدعا أبو طالب رسول الله ﷺ وقال له: يا ابن أخى: إن قومك قد جاؤونى فقالوا لى كذا وكذا فأبق على وعلى نفسك، ولا تحملى من الأمر ما لا أطيق، فقال عليه الصلاة والسلام: «يا عم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك فيه ما تركته»، ثم استعبر رسول الله ﷺ، فبكى ثم قال، فلما ولى ناداه أبو طالب، فقال: أقبل يا ابن أخى، فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال: اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشىء أبداً<sup>(٢)</sup>.

\* عن عقيل بن أبى طالب رضى الله عنه قال: «جاءت قريش إلى أبى طالب فقالوا: إن ابن أخيك هذا قد آذانا فى نادينا ومسجدنا فانهه عنا، فقال: يا عقيل، انطلق فأتنى بمحمد، فاستخرجته من كنس، أو قال خنس، يقول: بيت صغير، فجاء به فى الظهيرة فى شدة الحر.

فلما أتاهم قال: إن بنى عمك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم فى ناديتهم ومسجدهم، فاته

(١) سيرة ابن هشام (٢٩٧/١) وقد ذكر ابن هشام من هؤلاء عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، وأبو البخترى، والأسود بن عبد المطلب، وأبو جهل، والوليد بن المغيرة، وغيرهم.

(٢) سيرة ابن هشام (٢٩٩/١) وتاريخ الطبرى (٣٢٦/٢) سيرة ابن كثير (٤٧٤/١، ٤٧٥).

عن أذاهم. فحلّق رسول الله ﷺ يبصره إلى السماء فقال: (ترون هذه الشمس). قالوا: نعم، قال: (فما أنا بأقدر أن أدع ذلك منكم على أن تشعلوا منه بشعلة) وفي رواية: (والله ما أنا بأقدر أن أدع ما بعثت به من أن يشعل أحد من هذه الشمس شعلة من نار). فقال أبو طالب: «والله ما كذب ابن أخى قط، فارجعوا راشدين»<sup>(١)</sup>.

### موقف جليل لأبى طالب وقومه

قال ابن إسحاق: ثم إن قريشاً حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله ﷺ وإسلامه، وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم، مشواً إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة، فقالوا له: يا أبا طالب، هذا عمارة بن الوليد، أنهد فتى<sup>(٢)</sup> في قريش وأجمله، فخذته فلك عقله ونصره، واتخذته ولدًا فهو لك، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذى قد خالف دينك ودين آبائك، وفرق جماعة قومك، وسفه أحلامهم، فنقتله، فإنما هو رجلٌ برجل؛ فقال: والله لبئس ما تسومونى<sup>(٣)</sup>. أتعطوننى ابنكم أعذوه لكم، وأعطيكم ابنى تقتلونّه؟ هذا والله ما لا يكون أبدًا.

قال: فقال المظعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف بن قصي: والله يا أبا طالب لقد أنصفتك قومك، وجهدوا على التخلّص مما تكرهه، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً؛ فقال أبو طالب للمظعم: والله ما أنصفونى، ولكنك قد أجمعت خذلاتى ومظاهرة القوم على، فاصنع ما بدا لك، (أو كما قال)، فحقب<sup>(٤)</sup> الأمر، وحميت الحرب، وتنازبت<sup>(٥)</sup> القوم، وبأدى بعضهم بعضاً.

قال ابن إسحاق: ثم إن قريشاً تدامروا بينهم على من في القبائل منهم من أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلموا معه، فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم، ومنع الله رسوله ﷺ منهم بعمه أبى طالب وقد قام أبو طالب حين رأى قريشاً يصنعون ما يصنعون فى بنى هاشم وبنى المطلب، فدعاهم إلى ما هو عليه،

(١) أخرجه البخارى فى التاريخ الكبير (٤/٥١٢١) وأبو يعلى (١٢/١٧٦) وإسناده صحيح.

(٢) أنهد فتى: يعنى أشده وأقواه والفرس النهدي هو الغليظ.

(٣) تسومونى: تكلفونى. تقول سميت الرجل بكذا إذا كلفته إياه.

(٤) حقب الأمر: زاد واشتد.

(٥) تنازبت القوم: تركوا ما كان بينهم من عهد.

من منع رسول الله ﷺ والقيام دونه، فاجتمعوا إليه، وقاموا معه، وأجابوه إلى ما دعاهم إليه، إلا ما كان من أبي لهب عدو الله الملعون.

فلما رأى أبو طالب من قومه ما سره في جدّهم معه وحَدَبِهِم عليه، جعل يمدحهم<sup>(١)</sup> ويقول:

وَاللّٰه لَنْ يَصْلُوَا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ	حَتَّى أَوْسَدَ فِي التُّرَابِ دَفِينَا
فَاصْدَعْ بِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاظَةٌ	وَأَبْشُرْ وَقَرَّ بِذَاكَ مِنْكَ عَيُونَا
وَدَعَوْتِنِي وَعَرَفْتَ أَنَّكَ نَاصِحِي	وَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ ثَمَّ أَمِينَا
وَعَرَّضْتَ دِينَنَا قَدْ عَرَفْتُ بِأَنَّهُ	مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا
لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حَذَارُ مَسِيَّةٍ	لَوَجَدْتَنِي سَمِحًا بِذَاكَ مَبِينَا <sup>(٢)</sup>

### قول الوليد بن المغيرة في القرآن

ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفرٌ من قريش، وكان ذا سنٍّ فيهم، وقد حضر الموسم، فقال لهم: يا معشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، ويردُّ قولكم بعضه بعضاً؛ قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس، فقل وأقم لنا رأياً نقول به؛ قال: بل أنتم فقولوا أسمع؛ قالوا: نقول كاهن، قال: والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهَّانَ فما هو بزُمزمة<sup>(٣)</sup> الكاهن ولا سَجْعَه<sup>(٤)</sup>؛ قالوا: فنقول مجنون؛ قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه<sup>(٥)</sup> ولا تخالجه<sup>(٦)</sup> ولا وسوسته<sup>(٧)</sup>؛ قالوا: فنقول شاعر؛ قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه<sup>(٨)</sup>

(١) السيرة النبوية/ لابن هشام (١/٢١٩: ٢٢١) بتصرف.

(٢) مختصر سيرة الرسول ﷺ / للإمام محمد بن عبد الوهاب (ص: ٦٩).

(٣) زمزمة الكاهن: كلام خفى لا يفهم.

(٤) سجعه: أن يجعل لكلامه المنشور نهايات كنهاية الشعر.

(٥) خنقه: الإختناق الذي يصيب المجنون.

(٦) التخالج: اختلاج الأعضاء وتحركها عن غير إرادته.

(٧) الوسوسة: ما يلقيه الشيطان في نفس الإنسان.

(٨) رجزه، وهزجه، وقريضه، ومقبوضه ومبسوطه كل هذه أنواع وبحور للشعر.

وهزَّجَه وقرَيْضَه ومقبُوضَه ومبسُوطَه، فما هو بالشعر؛ قالوا: فنقول ساحر؛ قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السُّحَّارَ وسحَّرَهم، فما هو بنفثهم<sup>(١)</sup> ولا عقدهم؛ قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إنَّ لقوله لَحَلَاوَةٌ، وإنَّ أصلَه لَعَدُقٌ<sup>(٢)</sup> وإنَّ فرْعَه لَجَنَاةٌ وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عُرِفَ أنه باطل، وإنَّ أقربَ القول فيه لأنَّ تقولوا ساحر، جاء بقول هو سحر، يُفَرِّقُ به بين المرء وأبيه، وبين المرء وزوجه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته، فتفرَّقوا عنه بذلك، فجمعوا يجلسون بسبيل<sup>(٣)</sup> الناس حين قدموا الموسم، لا يمرُّ بهم أحدٌ إلا حذَّروه إياه، وذكروا لهم أمره. فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة وفي ذلك من قوله: ﴿ذُرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾<sup>(١١)</sup> وجعلت له مالا ممدوداً<sup>(١٢)</sup> وبنين شهوداً<sup>(١٣)</sup> ومهدت له تمهيداً<sup>(١٤)</sup> ثم يطمع أن أزيد<sup>(١٥)</sup> كلاً إنَّه كان لآياتنا عنيداً [المدر: ١١-١٦] (٤).

\* عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما: «أن الوليد بن المغيرة جاء رسول الله ﷺ، فقرأ عليه القرآن، فكأنه رقد له<sup>(٥)</sup>، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا فقال: لم؟ قال: ليعطوكه، فإنك أتيت محمداً لتعرض ما قبله.

قال: قد علمت قریش أنى من أكثرها مالا.

قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك إنك منكرٌ له.

قال: وماذا أقول؟ فوالله ما منكم رجل أعرف بالأشعار منى، ولا أعلم برجزه<sup>(٦)</sup>، ولا بقصيده منى، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذى يقول شيئاً من هذا، والله إنَّ لقوله

(١) بنفثهم ولا عقدهم: هذه إشارة إلى ما كان يفعل الساحر إذ كان يأخذ خيطاً فيعقده ثم ينفث عليه ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ومن شر النفاثات فى العقد﴾ أراد الساحرات... والنوافث: السواحر حين ينفث فى العقد بلا ريق.

(٢) عذقه: العذق: الكثير الشعب والأطراف ومن رواه (عذق) فمعناه كثير الماء والعذق: كل غصن له شعب وأيضاً: النخلة عند أهل الحجاز [لسان مادة/ عذق].

(٣) سبيل: السبل طريق الناس، واحدها سبيل وهو الطريق وما وضع منه.

(٤) السيرة النبوية/ لابن هشام (١/ ٢٢٢، ٢٢٣).

(٥) رقد له: خضع له.

(٦) الرجز: نوع من أنواع الشعر.

الذي يقول لحلاوة، وإن عليه لطلاوة<sup>(١)</sup>، وإنه لمثمر أعلاه<sup>(٢)</sup>، مغدق أسفله<sup>(٣)</sup>، وإنه ليعلو ولا يعلى، وإنه ليحطم ما تحته<sup>(٤)</sup>. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه.

قال: قف عنى حتى أفكر فيه، فلما فكر، قال: إن هذا إلا سحرٌ يؤثر. يأثره عن غيره، فنزلت: ﴿ذُرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَيْنَ شُهُودًا ﴿١٣﴾﴾ [المدثر: ١١-١٣]<sup>(٥)</sup>.

### السمات البارزة لهذه المرحلة

وكانت السمات البارزة لتلك المرحلة تتلخص فيما يلي:

السمة الأولى: محاولة القضاء على الدعوة بثتى الأساليب.

السمة الثانية: كثرة الإيذاء للنبي ﷺ وأصحابه.

السمة الثالثة: النبي ﷺ يربى أصحابه على الصبر على الإيذاء.

السمة الرابعة: النبي ﷺ يربى أصحابه على العقيدة الصحيحة.

السمة الخامسة: المشركون يعرضون المال والنساء والمناصب على النبي ﷺ فلا يقبلها.

السمة السادسة: النبي ﷺ يبشر أصحابه بنصر الله والتمكين لدينه.

### السمة الأولى: محاولة القضاء على الدعوة بثتى الأساليب

قال صفى الرحمن المباركفورى ما ملخصه:

ولما رأت قريش أن محمداً ﷺ لا يصرفه عن دعوته هذا ولا ذاك، فكروا مرة أخرى واختاروا لقمع هذه الدعوة أساليب تتلخص فيما يأتى:

١ - السخرية والتحقير والاستهزاء والتكذيب والتضحيك، قصدوا بها تخذيل

(١) الطلاوة: الحسن والرونق.

(٢) مثمر أعلاه: كثير الفائدة.

(٣) مغدق أسفله: كثير الخير والبركة.

(٤) يحطم: يسيطر على ما تحته.

(٥) رواه الحاكم فى المستدرک: (٢/٥٠٧) وقال صحيح على شرط البخارى، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبى.

المسلمين وتوهين قواهم المعنوية، فرموا النبي ﷺ بتهم هازلة، وشتائم سفیهة فكانوا ينادونه بالمجنون ﴿٣٠﴾ وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون ﴿الحجر: ٦﴾ ويصفونه بالسحر والكذب ﴿٣١﴾ وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب ﴿ص: ٤﴾.

وكانوا كما قص الله علينا: ﴿٣٢﴾ إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون ﴿٣٣﴾ وإذا مروا بهم يتغامزون ﴿٣٤﴾ وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين ﴿٣٥﴾ وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون ﴿٣٦﴾ وما أرسلوا عليهم حافظين ﴿المطففين: ٢٩ - ٣٣﴾.

\* وروى البخارى <sup>(١)</sup> أن امرأة قالت للرسول ﷺ ساخرة مستهزئة: «إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قريبا منذ ليلتين أو ثلاثاً!» فأنزل الله تعالى: ﴿والضحى ﴿١﴾ والليل إذا سجى ﴿٢﴾ ما ودعك ربك وما قلى ﴿٣﴾﴾ [الضحى: ١ - ٣].

\* وروى البخارى <sup>(٢)</sup> أن أبا جهل قال مستهزئاً: «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم». فنزلت: ﴿وإذا قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴿٣٦﴾ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴿٣٧﴾ وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴿الأنفال: ٣٢ - ٣٤﴾.

ومن منطلق الاستعلاء والسخرية، قال المشركون للنبي ﷺ: «لا نرضى بمجالسة أمثال هؤلاء - يعنون صهيياً وبلاًلاً وخباباً - فاطردهم عنك».. فهم النبي ﷺ بذلك طمعاً في إسلامهم وإسلام قومهم، فأنزل الله تعالى: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين ﴿٣٨﴾﴾ [الأنعام: ٥٢] <sup>(٣)</sup>.

٢ - تشويه تعاليمه وإثارة الشبهات، وبث الدعايات الكاذبة، ونشر الإيرادات الواهية حول هذه التعاليم، وحول ذاته وشخصيته، والإكثار من كل ذلك بحيث لا يبقى للعامة

(١) البخارى (٨/٥٨٠).

(٢) البخارى (١٧/١٨٥) (ح: ٤٦٤٨).

(٣) نضرة النعيم (١/٢٢٧) بتصرف.



مجال في تدبر دعوته، فكانوا يقولون عن القرآن: ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَسَبَهَا فَهِيَ تَمَلَىٰ عَلَيْهِ بَكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥]، ﴿إِن هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ [الفرقان: ٤]، وكانوا يقولون: ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

وكانوا يقولون عن الرسول ﷺ: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْسَىٰ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧] وفي القرآن نماذج كثيرة للردود على إيراداتهم بعد نقلها أو من غير نقلها.

٣ - معارضة القرآن بأساطير الأولين وتشغيل الناس بها عنه ﷺ فقد ذكروا أن النضر ابن الحارث قال مرة لقريش: يا معشر قريش! والله لقد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد، قد كان محمدٌ فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب، وجاءكم بما جاءكم به قلتُم: ساحر، لا والله ما هو بساحر، لقد رأينا السحرة ونفتهم وعقدهم، وقلتُم: كاهن!! لا والله ما هو بكاهن، قد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم. وقلتُم شاعر، لا والله ما هو بشاعر، قد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها هزجه ورجزه. وقلتُم: مجنون!! لا والله ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته، ولا تخليطه، يا معشر قريش فانظروا في شأنكم فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم.

ثم ذهب النضر إلى الحيرة وتعلم بها أحاديث ملوك فارس، وأحاديث رستم وأسفنديار، فكان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلساً للتذكير بالله والتحذير من نقمته خلفه النضر ويقول: والله ما محمد بأحسن حديثاً مني، ثم يحدثهم عن ملوك فارسو ورستم وأسفنديار، ثم يقول: بماذا محمد أحسن حديثاً مني؟<sup>(١)</sup>

٤ - مساومات حاولوا بها أن يلتقى الإسلام والجاهلية في منتصف الطريق بأن يترك المشركون بعض ما هم عليه، ويترك النبي ﷺ بعض ما هو عليه ﴿وَدُّوا لَوْ تَدَّهَنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩].

وروى ابن اسحق بسنده قال: اعترض رسول الله ﷺ - وهو يطوف بالكعبة - الأسود ابن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى والوليد بن المغيرة وأميرة بن خلف والعاص بن وائل السهمي - وكانوا ذوى أسنان في قومهم - فقالوا: يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد فنشترك نحن وأنت في الأمر فإن كان الذى تعبد خيراً مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه، وإن كان ما نعبد خيراً مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه، فأنزل الله

(١) السيرة لابن هشام ومعها الروض الأنف (٢/١٠٧، ١٠٨).

تعالى فيهم: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ السورة كلها... وحسم الله مفاوضتهم المضحكة بهذه المفاصلة الجازمة (١).

### وها هم يطلبون الآيات والمعجزات

\* إن المبطلين لا يستسلمون أمام أهل الحق بسهولة ويسر، فهم كلما أخفقت لهم وسيلة من وسائل المقاومة والقضاء على دعوة الحق، ابتكروا وسائل أخرى، وهكذا حتى ينتصر الحق انتصاره النهائي، ويلفظ الباطل أنفاسه الأخيرة (٢).

\* ولقد بدأ المشركون يطلبون من النبي ﷺ أن يرهبهم آية أو معجزة وهم لا يقصدون بذلك إلا التعنت والعناد فإنهم لم يطلبوا ذلك رغبة في الهدى والرشاد.

قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنِ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنَنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١١١].

وقال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩١﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩٢﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةَ قِيْلًا ﴿٩٣﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرِيقِكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٠ - ٩٣].

### معجزة انشقاق القمر

\* عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه حدثهم، أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يرهبهم آية، فأراهم انشقاق القمر (٣).

(١) باختصار من الرحيق المختوم.

(٢) السيرة النبوية، دروس وعبر، د/ مصطفى السباعي (ص: ٣٠).

(٣) أخرجه البخارى (٣٦٣٧) المناقب، ومسلم (٢٨٠٢) صفات المنافقين.

\* وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقين، فقال النبي ﷺ: «اشهدوا»<sup>(١)</sup>.

\* وعن ابن عباس رضى الله عنهما أيضاً قال: «قالت قريش لليهود أعطونا شيئاً نسأل عنه الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، فنزلت: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٨٥].

قالوا: نحن لم نؤت من العلم إلا قليلاً، وقد أوتينا التوراة فيها حكم الله، ومن أوتى التوراة، فقد أوتى خيراً كثيراً، فنزلت: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]<sup>(٢)</sup>.

\* وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: (قالت قريش للنبي ﷺ ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك. قال: وتفعلون؟ قالوا: نعم.

قال فدعا: فأتاه جبريل فقال: إن ربك - عز وجل - يقرأ عليك السلام، ويقول: إن شئت أصبح لهم الصفا ذهباً، فمن كفر بعد ذلك منهم عذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، وإن شئت فتحت لهم أبواب التوبة والرحمة. فقال: بل باب التوبة والرحمة.

فأنزل الله تعالى ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ وَآتَيْنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩]<sup>(٣)</sup>.

### السمة الثانية: كثرة الإيذاء للنبي ﷺ وأصحابه

في هذه المرحلة كان المسلمون يتعرضون لأشد أنواع الإيذاء من كفار قريش.. وها هي بعض صور الإيذاء التي تعرض لها النبي ﷺ وأصحابه.

#### إيذاء أبي جهل للنبي ﷺ

\* وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً يصلى عند الكعبة لآتينه حتى أطأ على عنقه، قال: فقال عليه السلام: (لو فعل لأخذته الملائكة

(١) أخرجه البخارى (٣٦٣٧)، ومسلم (٢٨٠٠).

(٢) رواه أحمد (٢٥٥/١) والحاكم (٥٣١/٢) وقال: صحيح الإسناد وأقره الذهبي.

(٣) رواه أحمد فى المسند: (٢٥٨/١) والحاكم فى المستدرک: (٣٦٢/٢) وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

عياناً، ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا، ورأوا مقاعدهم فى النار، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلاً<sup>(١)</sup>.

\* وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه<sup>(٢)</sup> بين أظهركم؟ قال: فقيل: نعم.

فقال: واللوات والعزى! لئن رأيتَه يفعل ذلك لأطأن على رقبتَه أو لأعفرنَّ وجهه فى التراب. قال فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلى، زعم ليطأ على رقبتَه، قال: فما فجأهم<sup>(٣)</sup> منه إلا وهو ينكص على عقبه<sup>(٤)</sup> ويتقى بيديه. قال: فقيل له: مالك؟ فقال: إن بينى وبينه لخذقاً من نار وهو لاء وأجنحة.

فقال رسول الله ﷺ: (لو دنا منى لاخطفته الملائكة عضواً عضواً)<sup>(٥)</sup>.

\* وعن ابن عباس قال: كان النبى ﷺ يصلى فجاء أبو جهل: فقال: «ألم أنك عن هذا؟ ألم أنك عن هذا؟ فانصرف النبى ﷺ فزبره<sup>(٦)</sup>، فقال: أبو جهل: إنك لتعلم ما بها ناد أكثر منى، فأنزل الله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾<sup>(١٧)</sup> سَدْعُ الزَّبَانِيَةِ [العلق: ١٧، ١٨] قال ابن عباس: لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله<sup>(٧)</sup>.

### إيذاء أبى لُهب للنبى ﷺ

\* عن ربيعة بن عباد الديلى: وكان جاهلياً أسلم قال:

«رأيت رسول الله ﷺ بصر عيني بسوق ذى المجاز يقول: يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، ويدخل فى فجاجها والناس متقصفون<sup>(٨)</sup> عليه، فما رأيت أحداً يقول شيئاً، وهو لا يسكت يقول: يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، إلا أن وراءه

(١) أخرجه البخارى (٤٩٥٨) التفسير، والترمذى (٣٣٤٨).

(٢) يعفر وجهه: أى يسجد ويلصق وجهه بالعفر وهو التراب.

(٣) فجأهم: بغتهم.

(٤) ينكص على عقبه: رجع يمشى إلى الوراء.

(٥) أخرجه مسلم (٢٧٩٧) كتاب صفات المنافقين.

(٦) زبره: نهره.

(٧) قال الهيثمى فى المجمع (١٣٩/٧): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٨) متقصفون: مزدحمون.

رجلاً أحول وضىء الوجه<sup>(١)</sup> ذو غديرتين يقول: إنه صابئ<sup>(٢)</sup> كاذب، فقلت من هذا؟ قالوا: محمد بن عبد الله، وهو يذكر النبوة. قلت: ومن هذا الذى يكذبه، قالوا عمه أبو لهب.

وفى رواية أخرى: «قال: إني لمع أبي، رجل شاب أنظر إلى رسول الله ﷺ يتبع القبائل، ووراءه رجل أحول وضىء ذو جمعة<sup>(٣)</sup>، يقف رسول الله ﷺ على القبيلة ويقول: (يا بني فلان، إني رسول الله إليكم أمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تصدقوني حتى أنفذ عن الله ما بعثني به).

فإذا فرغ رسول الله ﷺ من مقالته قال الآخر من خلفه: يا بني فلان، إن هذا يريد منكم أن تنسلخوا من اللات والعزى، وحلفاءكم من الجن بنى مالك بن أقيش إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، فلا تسمعوا له، ولا تتبعوه. فقلت لأبي من هذا؟ قال: عمه أبو لهب<sup>(٤)</sup>.

\* وكان أبو لهب قد زوج ولديه عتبة وعتيبة بنتي رسول الله ﷺ رقية وأم كلثوم قبل البعثة، فلما كانت البعثة أمرهما بتطليقهما بعنف وشدة، حتى طلقاهما<sup>(٥)</sup>.

ولما مات عبد الله، الابن الثاني لرسول الله ﷺ استبشر أبو لهب، وهروا إلى رفقاءه يشرحهم بأن محمداً صار أبتراً<sup>(٦)</sup>. فنزل قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣].

### وامراته حمالة الحطب

وكانت امرأة أبي لهب - أم جميل، أروى بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان - لا تقل عن زوجها فى عداوة النبى ﷺ فقد كانت تحمل الشوك وتضعه فى طريق النبى ﷺ وعلى بابه ليلاً، وكانت امرأة سليطة تبسط فيه لسانها، وتطيل عليه الافتراء والذس،

(١) وضىء الوجه: حسن الوجه.

(٢) صابئ: خرج من دين إلى دين آخر.

(٣) الجمعة: شعر الرأس الذى سقط بين المنكبين.

(٤) رواه أحمد (٣/٤٩١، ٤٩٢) وإسناده حسن.

(٥) تفهيم القرآن (٦/٥٢٢).

(٦) تفهيم القرآن (٦/٤٩٠).

وتؤجج نار الفتنة، وتثير حرباً شعواء على النبي ﷺ ولذلك وصفها القرآن بحمالة الخطب. ولما سمعت ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن أتت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد عند الكعبة، ومعه أبو بكر الصديق، وفي يدها فهر (أى: بمقدار ملء الكف) من حجارة، فلما وقفت عليهما أخذ الله يبصرها عن رسول الله ﷺ فلا ترى إلا أبا بكر، فقالت: يا أبا بكر! أين صاحبك؟ قد بلغنى أنه يهجونى، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه، أما والله إنى لشاعرة، ثم قالت:

مذمماً عصينا . وأمره أيينا . ودينه قلينا

ثم انصرفت، فقال أبو بكر: يا رسول الله أما تراها رأتك؟ فقال: ما رأتنى، لقد أخذ الله يبصرها عنى (١). (٢)

### ما فعله الله فى ابن أبى لهب

روى ابن عساكر فى ترجمة عتبة بن أبى لهب من طريق محمد بن إسحق عن هبار ابن الأسود قال: كان أبو لهب وابنه عتبة قد تجهزا إلى الشام، فتجهزت معهما، فقال ابنه عتبة: والله لأنطلقن إلى محمد ولأؤذينه فى ربه - سبحانه - فانطلق حتى أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد، هو يكفر بالذى دنا فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى. فقال النبي ﷺ «اللهم، ابعث إليه كلباً من كلابك». ثم انصرف عنه فرجع إلى أبيه، فقال: يا بنى ما قلت له؟ فذكر ما قال له، قال: فما قال لك؟ قال: قال: اللهم سلط عليه كلباً من كلابك. قال: يا بنى والله ما آمن عليك دعاءه (٣).

فسرنا حتى نزلنا الشراة (٤)، وهى مأسدة (٥)، فنزلنا إلى صومعة راهب، فقال: يا معشر العرب ما أنزلكم هذه البلاد، فإنها تسرح الأسد فيها كما تسرح الغنم، فقال لنا أبو لهب: إنكم قد عرفتم كبر سننى وحقى وإن هذا الرجل - يعنى النبي ﷺ - قد دعا على ابنى دعوة، والله ما آمنها عليه، فأجمعوا متاعكم إلى هذه الصومعة، وافرشوا لابنى

(١) ابن هشام (١/٣٣٥، ٣٣٦).

(٢) رواه البيهقى (٢/١٩٥) والحاكم (٢/٣٦١) وصححه ووافقه الذهبى.

(٣) القرطبى (٩/٦٢٥٣).

(٤) الشراة: صقع بالشام بين دمشق ومدينة الرسول ﷺ وفى اللسان: موضع تنسب إليه الأسد. يقال

للشجعان: ما هم إلا أسود الشرى، والشرى طريق فى سلمى كثير الأسد.

(٥) مأسدة: الأرض كثيرة الأسود.

عليها ثم افرشوا حولها، ففعلنا فجاء الأسد فشتم وجوهنا، فلما لم يجد ما يريد؛ تقبّض، فوثب فإذا هو فوق المتاع فشتم وجهه ثم هزمه هزيمة<sup>(١)</sup>، ففضح<sup>(٢)</sup> رأسه، فقال أبو لهب: قد عرفت أنه لا ينفلت عن دعوة محمد.

فانظر أخي يرحمك الله.. لما تفل في وجه رسول الله ﷺ أتى الأسد، فشتم وجهه، وفضح رأسه، لم يأكله من يديه أو رجليه، وإنما وجه بوجه..

### كيف كانت نهاية أبي لهب

و شاء الله عزَّ وجلَّ أن يموت أبو لهب بعد ذلك بزمنٍ طويل - بعد غزوة بدر - ولكن تأمل كيف كان موته عبرة لمن كان له قلب.

قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: رماه الله بالعدسة فقتلته، فلقد تركه ابنه بعد موته ثلاثاً، ما دفناه حتى أنتن، وكانت قريش تتقى هذه العدسة، كما تتقى الطاعون، حتى قال لهم رجل من قريش: ويحكمما، ألا تستحيان أن أباكما قد أنتن في بيته لا تدفناه؟ فقالا: إنا نخشى عدوة هذه القرحة. فقال: انطلقا فأنا أعينكما عليه، فوالله ما غسلوه إلا قذفاً بالماء عليه من بعيد ما يدنون منه، ثم احتملوه إلى أعلى مكة، فأسندوه إلى جدار، ثم رجموا عليه بالحجارة.

### وتلك نهاية امرأته

قال مرة الهمداني: كانت أم جميل تأتي كل يوم بإبالة<sup>(٣)</sup> من الحسك<sup>(٤)</sup> فتطرحها في طريق المسلمين، فبينما هي حاملة ذات يوم حزمةً أُعيت، فقعدت على حجر لتستريح، فجذبها الملك من خلفها فأهلكها<sup>(٥)</sup> خنقها الله بحبلها.

قال ابن كثير عن أم جميل:

كانت عوناً لزوجها على كفره وجحوده وعناده، فهذا تكون يوم القيامة عوناً عليه

(١) أي ضربة ضربة.

(٢) أي شدخه.

(٣) الإبالة: الحزمة الكبيرة.

(٤) الحسك: نبات له ثمرة ذات شوك تعلق بأصواف الغنم، وهو السعدان.

(٥) تفسير القرطبي (١٠/٧٣٣٠).

في عذابه في نار جهنم، ولهذا قال: ﴿حَمَالَةَ الْحَطَبِ﴾ في جيدها حبلٌ من مسدِّ [المسد: ٤، ٥] يعني: تحمل الحطب فتلقى على زوجها، ليزداد على ما هو فيه، وهي مهياةٌ لذلك، مستعدة له<sup>(١)</sup>.

### أيذاء عقبة بن أبي معيط للنبي ﷺ

\* عن عبد الله بن مسعود رضی الله عنه قال:

«بينما رسول الله ﷺ يصلى عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نحرت جزور<sup>(٢)</sup> بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا<sup>(٣)</sup> جزور بنى فلان فيأخذه، فيضعه في كتفى محمد إذا سجد.

فانبعث أشقى القوم<sup>(٤)</sup> فأخذه، فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه، قال فاستضحكوا<sup>(٥)</sup>، وجعل بعضهم يميل على بعض، وأنا قائم أنظر، لو كانت لى منعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ، والنبي ساجد، ما يرفع رأسه، حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة. فجاءت، وهي جويرية<sup>(٦)</sup>، فطرحته عنه، ثم أقبلت تشتتمهم، فلما قضى النبي صلواته رفع صوته ثم دعا عليهم.

وكان إذا دعا، دعا ثلاثاً، وإذا سأل، سأل ثلاثاً، ثم قال: (اللهم عليك بقريش) ثلاث مرات. فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك، وخافوا دعوته، ثم قال:

(اللهم عليك بأبى جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة<sup>(٧)</sup>)، وأمىة بن خلف، وعقبة بن أبى معيط) وذكر السابع ولم أحفظه، فولد بنى بعث محمداً ﷺ بالحق! لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر، ثم سَجَبوا إلى القليب<sup>(٨)</sup>:

(١) تفسير ابن كثير (٤/٥٣٥).

(٢) الجزور: الناقة.

(٣) سلا: اللقافة التي تكون في بطن الناقة وسائر الحيوان، وهي من الأدمى المشيمة.

(٤) اشقى القوم: عقبة بن أبى معيط.

(٥) استضحكوا: حملوا أنفسهم على الضحك والسخرية ثم أخذهم الضحك جداً، فجعلوا يضحكون ويميل بعضهم على بعض.

(٦) جويرية: شابة لم تكبر بعد.

(٧) في صحيح مسلم: الوليد بن عقبة، وصوابه ما أثبتناه، انظر فتح الباري (٧: ١٦٥).

(٨) القليب: هي البئر التي لم تطو.



قليب بدر<sup>(١)</sup>.

وأما السابع ففي رواية البخارى: (عمارة بن الوليد)<sup>(٢)</sup>.

\* وفي رواية: أن النبي ﷺ خرج من المسجد، فلقيه أبو البخترى بسوط يتخصر<sup>(٣)</sup> به، فلما رأى النبي ﷺ، وأنكر وجهه، فقال النبي ﷺ: خل عنى، قال: علم الله لا أخلى عنك أو تخبرنى ما شأنك، فلقد أصابك شىء، فلما علم النبي ﷺ أنه غير مُخَلٍّ عنه أخبره، فقال: (إن أبا جهل أمر فطرح على فرث)، قال أبو البخترى: هلم إلى المسجد.

فأتى النبي ﷺ وأبو البخترى فدخلوا المسجد، ثم أقبل أبو البخترى إلى أبى جهل فقال: يا أبا الحكم أنت الذى أمرت بمحمد ﷺ، فطرح عليه الفرث قال: نعم. قال فرفع السوط فضرب به رأسه، قال: فثار الرجال بعضها إلى بعض، قال: وصاح أبو جهل: ويحكم هى له، إنما أراد محمد أن يلقى بيننا العداوة، وينجو هو وأصحابه» وفي رواية: فلما رفع رسول الله ﷺ رأسه: (حمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد اللهم عليك الملاء من قریش)<sup>(٤)</sup>.

### أتقتلون رجلاً أن يقول: ربي الله؟!

\* عن أسماء بنت أبى بكر أنهم قالوا لها:

ما أشد ما رأيت المشركين بلغوا من رسول الله ﷺ؟ فقالت: «كان المشركون قعدوا فى المسجد يتذاكرون رسول الله ﷺ وما يقول فى آلهتهم، فبينما هم كذلك، إذ أقبل رسول الله ﷺ فقاموا إليه بأجمعهم، فأتى الصريخ إلى أبى بكر، فقالوا: أدرك صاحبك، فخرج من عندنا، وإن له لغدائر<sup>(٥)</sup> أربع، وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، وقد جاءكم بالبينات من ربكم؟ قال: فلهوا عن رسول ﷺ، وأقبلوا على أبى بكر رضى الله عنه، قالت: فرجع إلينا أبو بكر، فجعل لا يمس شيئاً من غدائره إلا جاء معه،

(١) أخرجه مسلم (١٧٩٤) الجهاد والسير.

(٢) أخرجه البخارى (٥٢٠) كتاب الصلاة.

(٣) يتخصر به: وضعه على خصره.

(٤) قال الهيثمى ١٨/٦: حديث ابن مسعود فى الصحيح باختصار قصة أبى البخترى، رواه البزار والطبرانى فى الأوسط، وفيه الأجلح بن عبد الله الكندى، وهو ثقة عند ابن معين وغيره، وضعفه النسائى وغيره، وحديثه حسن إن شاء الله.

(٥) الغدائر: ضفائر الشعر.

وهو يقول: تباركت يا ذا الجلال والإكرام»<sup>(١)</sup>.

\* وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال:

«حضرتهم وقد اجتمع أشرفهم يوماً فى الحجر<sup>(٢)</sup>، فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط، سفّه أحلامنا<sup>(٣)</sup>، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرق جماعتنا، وسب آلّهتنا، لقد صبرنا منه على أمر عظيم أو كما قالوا.

قال: فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ، فأقبل يمشى حتى استلم الركن، ثم مرّ بهم طائفاً بالبيت، فلما مرّ بهم غمزوه ببعض ما يقول<sup>(٤)</sup>، قال: فعرفت ذلك فى وجهه<sup>(٥)</sup>، ثم مضى، فلما مرّ بهم الثانية غمزوه بمثلها، فعرفت ذلك فى وجهه، ثم مضى، ثم مرّ بهم الثالثة فغمزوه بمثلها، فقال: (تسمعون يا معشر قريش، أما الذى نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح)<sup>(٦)</sup>، فأخذت القوم كلمته، حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع<sup>(٧)</sup>، حتى إن أشدهم فيه وصاة<sup>(٨)</sup> قبل ذلك ليرفأه<sup>(٩)</sup> بأحسن ما يجد من القول، حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم، انصرف راشداً، فوالله ما كنت جهولاً.

قال: فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان الغد اجتمعوا فى الحجر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم، وما بلغكم عنه، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه، فبينما هم فى ذلك إذ طلع رسول الله ﷺ فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، فأطافوا به يقولون: أنت الذى تقول كذا وكذا، لما كان يبلغهم من عيب آلّهتهم ودينهم قال: فيقول رسول الله ﷺ: (نعم أنا الذى أقول ذلك)، قال: فلقد رأيت رجلاً<sup>(١٠)</sup> منهم أخذ بمجمع رداءه، قال: وقام أبو بكر الصديق - رضى الله تعالى عنه - دونه يقول وهو يبكى:

(١) رواه أبو يعلى (٥٢) وحسنه الحافظ فى الفتح (١٦٩/٧).

(٢) الحجر: حجر اسماعيل بجوار الكعبة.

(٣) سفّه أحلامنا: نسب عقلاءنا إلى الجنون.

(٤) غمزوه: أشاروا إليه بأعينهم وحواجبهم استهزاءً بما يقول.

(٥) عرفت ذلك فى وجهه: تغير وجهه وظهرت عليه علامات الغضب.

(٦) الذبح: معناه هنا جئتكم بالهلاك فإنه من أسرع أسبابه.

(٧) على رأسه طائر واقع: لم ينس بينت شفة.

(٨) أشدهم فيه وصاة: أكثرهم وصية على إيذائه.

(٩) يرفأه: يسكنه ويدعوه ويرفقه به.

(١٠) رأيت رجلاً منهم: هو عقبه بن أبى مبيط.

أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟ ثم انصرفوا عنه، فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشاً بلغت منه»<sup>(١)</sup>.

### محاولة لقتل النبي ﷺ

\* عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال:

«إن الملاء من قريش اجتمعوا في الحجر، فتعاقدوا باللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى، ونائلة وإساف<sup>(٢)</sup>، لو قد رأينا محمداً لقد قمنا إليه قيام رجل واحد، فلم نفارقه حتى نقتله، فأقبلت ابنته فاطمة رضى الله عنها تبكى حتى دخلت على رسول الله ﷺ فقالت: هؤلاء الملاء من قريش قد تعاقدوا عليك لو قد رأوك لقد قاموا إليك فقتلوك، فليس منهم رجل إلا قد عرف نصيبه من دمك، فقال: يا بنية أريني وضوءاً، فتوضأ ثم دخل عليهم المسجد، فلما رأوه قالوا: ها هو ذا، وخفضوا أبصارهم، وسقطت أذنانهم في صدورهم، وعُقرُوا في مجالسهم<sup>(٣)</sup>، فلم يرفعوا إليه بصراً، ولم يقم إليه رجل، فأقبل رسول الله ﷺ حتى قام على رؤوسهم، فأخذ قبضة من التراب، فقال: شامت الوجوه<sup>(٤)</sup>، ثم حصبهم بها فما أصاب رجلاً منهم من ذلك الحصى حصة إلا قُتل يوم بدر كافراً<sup>(٥)</sup>».

### إيذاء المشركين لأصحاب سيد المرسلين ﷺ

وإذا كانت هذه الاعتداءات على النبي ﷺ وله من الجلال والوقار في نفوس العامة والخاصة فكيف بالصحابة الكرام، لا سيما الضعفاء منهم، وسوف نسوق شيئاً من ذلك يكون فيه سلوى وعزاء للدعاة إلى الله عز وجل في هذه الأزمنة الغابرة تثبت أقدامهم على الطريق، وتعطيهم القدوة والمثل<sup>(٦)</sup>.

(١) رواه أحمد في المسند: ٢/٢١٨ بإسناد صحيح، صرح فيه ابن إسحاق بالتحديث، وأخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب لو (كنت متخذاً خليلاً) رقم: ٣٦٧٨ فتح الباري: ٧/٢٢ مختصراً.

(٢) اللات والعزى ومناة ونائلة وإساف: أسماء أصنام كان يعبدونها المشركون.

(٣) عُقرُوا: أن تُسلم الرجل قوائمه في الخوف، وقيل يفجأه الروح فيدهش ولا يستطيع أن يتقدم أو يتأخر.

(٤) شامت: قبح منظرها.

(٥) قال الهيثمي في المجمع (٨/٢٢٨): أخرجه أحمد بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح، وصححه

أحمد شاكر: برقم (٢٧٦٢).

(٦) مواقف تربوية (ص: ٧٨).

### ما حدث لأبى بكر (رضى الله عنه)

\* عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «لقد ضربوا رسول الله ﷺ مرة حتى عُشى عليه، فقام أبو بكر رضى الله عنه فجعل ينادى ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله! فقالوا: من هذا؟ فقالوا: أبو بكر المجنون». وزاد البزار فى رواية: «فتركوه، وأقبلوا على أبى بكر»<sup>(١)</sup>.

ونال أبا بكر - رضى الله عنه - نصيبه من الأذى، حتى فكر فى الهجرة إلى الحبشة فراراً بدينه<sup>(٢)</sup>.

وقام أبو بكر خطيباً فى المسجد الحرام ذات يوم فضربه المشركون ضرباً شديداً، ومن ضربه عتبة بن ربيعة حيث جعل يضربه على وجهه بنعلين مخصوصتين حتى ما يعرف وجهه من أنفه. وجاء بنو تميم يتعادون، فأجلت المشركين عن أبى بكر، وحملوه فى ثوب إلى منزله، ولا يشكون فى موته، وأقسموا لئن مات أبو بكر ليقتلن عتبة بن ربيعة<sup>(٣)</sup>.

### ما حدث لعثمان (رضى الله عنه)

وكان عم عثمان بن عفان يلفه فى حصير من أوراق النخيل، ثم يدخنه من تحته. وروى أنه عندما أسلم أخذه عمه الحكم بن أبى العاص بن أمية فأوثقه رباطاً، وأقسم ألا يحلّه إلا إذا ترك الإسلام، فأقسم عثمان على عدم تركه الإسلام، فلما رأى عمه صلابته فى دينه تركه.

### ما حدث لمصعب بن عمير (رضى الله عنه)

ولما علمت أم مصعب بن عمير بإسلامه أجاعته وأخرجته من بيتها، وكان من أنعم الناس عيشاً، فتخشف جلده تخشف الحية، وحتى حمله أصحابه على قسيهم، لشدة ما به من الجهد.

\*\*\*

(١) رواه أبو يعلى (٣٦٩١) والحاكم (٦٧/٣) وصححه ووافقه الذهبى.

(٢) انظر الحديث بتمامه من رواية البخارى، الصحيح (فتح البارى ١٠/٤٣، ٤٤/ح ٢٢٩٧).

(٣) ابن كثير، فى البداية (٣/٣٣، ٣٤).

### ما حدث لأبي ذر (رضى الله عنه)

وعندما سمع أبو ذر الغفاري بخبر النبي ﷺ جاء ودخل مكة، وأخذ يسأل عن الرسول ﷺ، فضربه أهل مكة حتى غشى عليه، وكاد أن يموت، فخلّصه العباس (رضى الله عنه) منهم.

### تعذيب الموالى

بعد أن بذلت قريش كل ما فى وسعها من قوة وحيلة فى إطفاء أنوار الدعوة المحمدية، وباءت بخيبة مريرة حولت ذلك إلى نقمة على المستضعفين من المؤمنين كبلال وعمار ووالده ياسر وأمه سمية، وصهيب الرومى، وخبّاب بن الأرت وابن فهيرة، وأبى فكيه، ومن النساء زئيرة، والنهدية، وأم عبيس.

\* عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: «أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمار بن ياسر، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد، فأما رسول الله فمنعه الله بعمه أبى طالب، وأما أبو بكر فمنعه<sup>(١)</sup> الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون، فألبسوهم أدراع الحديد، وصهروهم<sup>(٢)</sup> فى الشمس، فما منهم إنسان إلا وقد اتاهم<sup>(٣)</sup> على ما أرادوا إلا بلال، فإنه هانت<sup>(٤)</sup> عليه نفسه فى الله، وهان على قومه فأعطوه الولدان، وأخذوا يطوفون به شعاب مكة وهو يقول: أحد أحد<sup>(٥)</sup>».

### بلال يردد نشيده الخالد: أحدٌ أحدٌ

\* وكان بلالٌ مولىً لأمية بن خلف فكان أمية يُخرجه إذا حميت الظهرية، فيطرحه على ظهره فى بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: [لا والله] لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى؛ فيقول وهو فى ذلك البلاء: أحدٌ أحدٌ.

(١) منعه: حماه.

(٢) صهروهم: عذبوهم.

(٣) واتاهم: وافقهم.

(٤) هانت: صغرت وحقرت فى سبيل الله.

(٥) السيرة لابن هشام (١/٢٦٢).

## اصبروا آل ياسر فإن موعدكم الجنة

وأما عمار وأمه ووالده ياسر فقد كانوا يخرجونهم إلى الأبطح إذا حميت الرضاء يعذبونهم بحرّها، فمر بهم النبي ﷺ وهم يُعذبون، فقال: «صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةَ». فمات ياسر تحت العذاب رحمه الله رحمة واسعة. وأما سمية فقد أغلظت القول لأبي جهل فطعنها بحربته في قُبُلها فماتت شهيدة، فكانت أول شهيدة في الإسلام.

\* عن عثمان بن عفان قال: «أقبلت مع رسول الله ﷺ آخذًا بيدي نتمشى بالبطحاء، حتى أتى على آل عمار بن ياسر، فقال أبو عمار، يا رسول الله الدهر هكذا؟ فقال له النبي ﷺ: اصبر، ثم قال: اللهم اغفر لآل ياسر، وقد فعلت»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأبي عمار وأم عمار وعمار: (اصبروا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة)<sup>(٢)</sup>.

\* وعن جابر رضى الله عنه: أن النبي ﷺ مر بعمار بن ياسر وبأهله يعذبون في الله - عز وجل - فقال: (أبشروا آل ياسر، موعدكم الجنة)<sup>(٣)</sup>.

\* فلما لم يبق سوى (عمار) - رضى الله عنه - اشتد الكفار عليه وأذاقوه من العذاب ألوانًا.

عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال: أخذ المشركون عمارًا، فلم يتركوه حتى نال من رسول الله ﷺ. وذكر آلهتهم بخير، فلما أتى النبي ﷺ قال: ما وراءك؟ قال: شر يا رسول الله. والله ما تركت حتى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير، قال: «كيف تجد قلبك؟» قال: مطمئن بالإيمان. قال: «فإن عادوا فعد»<sup>(٤)</sup>.

\* وعن قتادة ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦] نزلت في عمار<sup>(٥)</sup>.

(١) قال الهيثمي في المجمع (٢٩٣/٩): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) قال الهيثمي في المجمع: ٢٩٣/٩ رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٣) رواه الحاكم في المستدرک: ٣/٣٨٨، وقال صحيح على شرطهما ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٤) أخرجه الحاكم (٣٥٧/٢) وصححه ووافقه الذهبي.

(٥) قال الحافظ ابن حجر في الإصابة، في ترجمة عمار بن ياسر: واتفقوا على أنه نزلت فيه هذه الآية، وانظر

## وكان حظ (خبّاب) من العذاب كبيراً

ولقد كان حظ «خبّاب» من العذاب كبيراً، ولكن صبره وتضحيته من أجل الحق كانت أكبر وأعظم بكثير.

لقد كانوا يقاومون إيمانه بالعذاب، وكان هو يقاوم العذاب بالصبر والتضحية.

وكان - رضی الله عنه - مولى لأم أثمار بنت سباع الخزاعية، فكان المشركون يذيقونه أنواعاً من التنكيل، يأخذون بشعر رأسه فيجذبونه جذباً، ويلوون عنقه تلوية عنيفة، وأضجعوه مرات عديدة على فحام ملتبهة، ثم وضعوا عليه حجراً، حتى لا يستطيع أن يقوم<sup>(١)</sup>.

لقد حولوا كل الحديد الذي كان عنده يصنع منه السيوف إلى قيود وسلاسل يُحمى عليها في النار حتى تستمر وتتوهج ثم يطوقون بها جسده ويديه وقدميه.

حتى قال خبّاب: «شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسط برودة في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟ فقال: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصدده ذلك عن دينه، والله ليتمن الله تعالى هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت فلا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»<sup>(٢)</sup>.

## وهكذا عذبوا في سبيل الله (جل وعلا)

وأما عامر بن فهيرة فقد أسلم قديماً قبل دخول الرسول ﷺ إلى دار الأرقم، وكان من المستضعفين فعذب عذاباً شديداً، ولم يرده ذلك عن دينه، وكان يرعى غنماً لأبي بكر، وكان يروح بها إلى النبي ﷺ وأبي بكر وهما في الغار طوال المدة التي كانا فيها في الغار، وأما أبو فكيهة واسمه أبو يسار فكان عبداً لصفوان بن أمية بن خلف الجمحي، أسلم مع بلال فأخذه أمية بن خلف وربط في رجله حبلاً وأمر فجر ثم ألقاه في الرمضاء، ومر به جعل<sup>(٣)</sup> (حشرة معروفة) فقال له أمية: أليس هذا ربك؟ فقال: الله ربي

(١) رحمة للعالمين (٥٧/١).

(٢) أخرجه البخاري (١٠٣/٧) مناقب الأنصار.

وربك وربّ هذا. فخنقه خنقاً شديداً، وكان معه أخوه أبي بن خلف فيقول: زده عذاباً حتى يأتي محمد فيخلصه بسحره ولم يزالوا يعذبونه كذلك حتى أُغمى عليه فظنوه مات ثم أفاق فاشتراه أبو بكر الصديق وأعتقه.

وأما النساء المؤمنات (زنيّرة وأم عبيس وليبية والنهدية) فقد عُدّبن كذلك أشدّ العذاب من قبل مواليهنّ ولم يرجعن عن دينهنّ، فرضى الله عنهن وأرضاهن.

لقد نفّس الكفار أغلب أحقادهم على الإسلام ومعتنقيه في أشخاص الموالى، لأنه لم تكن لهم منعة. فكان العذاب أقسى وأفظع.

وقد عذر الله المعذّبين فيما يتلفظون به حينما يبلغ الجهد منهم مبلغه.

قال سعيد بن جبير لابن عباس: «أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يُعذرون به في ترك دينهم؟» قال: «نعم والله، إن كانوا ليضربون أحدهم ويجوعونه ويعطشونه، حتى ما يقدر أن يستوى جالساً من شدة الضرب الذي نزل به، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة، حتى يقولوا له: اللات والعزى إلهك من دون الله؟ فيقول: نعم، افتداء منهم مما يبلغون من جهده»<sup>(١)</sup>. قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: «وفى مثل هذا أنزل الله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مِنْ شَرَحٍ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦]»<sup>(٣)</sup>.

\* وقام أبو بكر (رضى الله عنه) يصفى التجارات ويشترى العبيد والأرقاء ليعتقهم - ابتغاء وجه الله - خوفاً عليهم من أن يُفتنوا في دينهم.

### السمة الثالثة: النبي ﷺ يربى أصحابه

#### على الصبر على الإيذاء

إن محمداً صلوات الله وسلامه عليه لم يجمع أصحابه على مغنم عاجل أو آجل، إنه أزاح الغشاوة عن الأعين فأبصرت الحق الذي حُجبت عنه دهرًا، ومسح الران عن القلوب فعرفت اليقين الذي فُطرت عليه وحرمتها الجاهلية منه... إنه وصل البشر بربهم، فربطهم بنسبهم العريق وسببهم الوثيق، وكانوا - قبلاً - حيارى محسورين، إنه

(١) السيرة لابن هشام (٣٩٦/١).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٦٥/٣).

(٣) نضرة النعيم (١/٢٣٤، ٢٣٥).



وازن بين الخلود والفناء، فأثروا الدار الآخرة على الدار الزائلة، وخيرهم بين أصنامٍ حقيرة وإلهٍ عظيم فازدروا الأوثان المنحوتة، وتوجهوا للذي فطر السماوات والأرض.

حَسِبَ مُحَمَّدٌ ﷺ أَنَّهُ قَدِمَ هَذَا الْخَيْرَ الْجَزِيلَ، وَحَسِبَ أَصْحَابُهُ أَنْ سَاقَتَهُ الْعِنَايَةُ لَهُمْ، فَإِذَا أَوْذُوا فَلِيَحْتَسِبُوا، وَإِذَا حَارِبَهُمْ عِبِيدَ الرَّجْسِ مِنَ الْأَوْثَانِ فَلِيَلْزِمُوا مَا عَرَفُوا، وَالْحَرْبُ الْقَائِمَةُ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ سَيَنْجَلِي غِبَارَهَا يَوْمًا مَا تَمَّ تَنْكُشُفُ عَنْ شُهَدَاءٍ وَهَلَكَى، وَعَنْ مُؤْمِنِينَ قَائِمِينَ بِأَمْرِ اللَّهِ وَمَشْرُكِينَ مَدْحُورِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ. ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانظُرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١﴾ [هود: ١٢١: ١٢٣].

\* ولذلك كان النبي ﷺ يكلم أصحابه كثيراً عن نعمة الصبر على الأذى ليصبروا على أذى المشركين ويرجو الثواب من رب العالمين.

قال ﷺ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ» (٢).

وقال ﷺ: «أشدُّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَلِأَمْثَلِ يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَةٌ ابْتُلِيَ عَلَى قَدْرِ دِينِهِ فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرَكَ يَمْشَى عَلَى الْأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ» (٣).

وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «مَا يَصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ وَلَا أَذَى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشُّوْكَةُ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ» (٤).

وعن أبي هريرة رضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصَبِّبْ مِنْهُ» (٥).

وعن أنس رضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ لَضَرِّهِ أَسَابَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا بَدَّ فَاعْلَأْ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ١١٢، ١١٣).

(٢) متفق عليه عن أبي هريرة، أخرجه البخاري بطرف «حُجِبَتْ..» وأخرجه مسلم بطرف «حُفَّتِ..».

(٣) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٩٢).

(٤) أخرجه البخاري (٥٦٤١) المرضي، ومسلم (٢٥٧٣) البر والصلة.

(٥) أخرجه البخاري (٥٦٤٥) المرضي.

الوفاء خيراً لي» (١).

وعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشرَّ أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة» (٢).

وقال النبي ﷺ: «إنَّ عَظَمَ الجِزَاءِ مَعَ عَظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخَطَ فَلَهُ السُّخْطُ» (٣).

وقال ﷺ: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقي الله تعالى وما عليه خطيئة» (٤).

فكان الله عزَّ وجلَّ يربط على قلوب أصحاب الرسول ﷺ بتلك الكلمات العذبة التي تجعلهم يتحملون الأذى والابتلاء من أجل الفوز بالمغفرة والرحمة والجنة من عند رب الأرض والسماء جلَّ وعلاً.

### حكمة جليلة

أول ما قد يخطر في بال المتأمل، حينما يرى قصة ما لقيه رسول الله ﷺ وأصحابه من المشركين، من صنوف الإيذاء والتعذيب، هو أن يتساءل: فيم هذا العذاب الذي لقيه النبي وأصحابه وهم على الحق؟ ولماذا لم يعصمهم الله عزَّ وجلَّ منه وهم جنوده وفيهم رسوله يدعون إلى دينه ويجاهدون في سبيله؟

والجواب: أن أول صفة للإنسان في الدنيا، أنه مكلف، أي أنه مُطالب من قبل الله عزَّ وجلَّ بحمل ما فيه كلفة ومشقة. وأمر الدعوة إلى الإسلام والجهاد لإعلاء كلمته من أهم متعلقات التكليف، والتكليف من أهم مستلزمات العبودية لله تعالى إذ لا معنى للعبودية لله تعالى إن لم يكن ثمة تكليف. وعبودية الإنسان لله عزَّ وجلَّ ضرورة من ضرورات ألوهيته سبحانه وتعالى.

فلا معنى للإيمان بها إن لم ندرك عبوديتنا له.

(١) أخرجه البخارى (٥٦٧١) المرضي، ومسلم (٢٦٨٠) الذكر والدعاء.

(٢) رواه الترمذى والحاكم عن أنس، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٠٨).

(٣) رواه الترمذى وابن ماجه عن أنس، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢١١٠).

(٤) رواه الترمذى فى الزهد، وقال الألبانى فى صحيح سنن الترمذى (١٩٥٧): حسن صحيح.

فقد استلزمت العبودية - إذن - التكليف، واستلزم التكليف تحمل المشاق ومجاهدة النفس والأهواء.

ومن أجل هذا كان واجب عباد الله في هذه الدنيا تحقيق أمرين اثنين:

أولهما: التمسك بالإسلام وإقامة المجتمع الإسلامى الصحيح.

ثانيهما: سلوك السبل الشاقة إليه واقتحام المخاطر وبذل المهج والمال من أجل تحقيق ذلك.

ولو شاء الله لجعل السبيل إلى إقامة المجتمع الإسلامى بعد الإيمان به، سهلاً مُعَبِّدًا، ولكن السير في هذه السبيل لا يدل حينئذ على شيء من عبودية السالك لله عز وجل وعلى أنه قد باع حياته وماله لله عز وجل يوم أن أعلن الإيمان به، وعلى أن جميع أهوائه تابعة ومنقادة لما جاء به الرسول ﷺ ولأمكن حينئذ أن يلتقى على هذه الجادة: المؤمن والمنافق والصادق والكاذب، فلا يتمحص الواحد منهم عن الآخر.

فلو ترك الناس لدعوى الإسلام ومحبة الله تعالى على ألسنتهم فقط، لاستوى الصادق والكاذب. ولكن الفتنة والابتلاء، هما الميزان الذى يميز الصادق عن الكاذب. وصدق الله القائل فى محكم كتابه:

﴿الْم - أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿١﴾﴾ [المنكوت: ١ - ٣]، والقائل: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [آل عمران: ١٤٢].

وإذا كانت هذه هى سنة الله فى عباده، فلن تجد لسنة الله تبديلاً حتى مع أنبيائه وأصفيائه. من أجل ذلك أودى رسول الله ﷺ، وأودى من قبله جميع الأنبياء والرسل، ومن أجل ذلك أودى أصحاب رسول الله ﷺ حتى مات منهم من مات تحت العذاب، وعمى من عمى، رغم عظيم فضلهم وجليل قدرهم عند الله عز وجل<sup>(١)</sup>.

\* قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

والمقصود: أن الله سبحانه اقتضت حكمته أنه لا بد أن يمتحن النفوس ويبتليها، فيُظهِرَ بالامتحان طيبها من خبيثها، ومن يصلح لموالاته وكراماته، ومن لا يصلح،

(١) فقه السيرة للبوطى (ص: ٧٧: ٧٩) بتصرف.

ولِيُمَحِّصَ النُّفُوسَ الَّتِي تَصَلُّحُ لَهَا وَيُخَلِّصَهَا بِكَبِيرِ الْإِمْتِحَانِ، كَالذَّهَبِ الَّذِي لَا يَخْلُصُ وَلَا يَصْفُو مِنْ غَشِيهِ، إِلَّا بِالْإِمْتِحَانِ، إِذِ النَّفْسُ فِي الْأَصْلِ جَاهِلَةٌ ظَالِمَةٌ، وَقَدْ حَصَلَ لَهَا بِالْجَهْلِ وَالظُّلْمِ مِنَ الْخُبْثِ مَا يَحْتَاجُ خُرُوجَهُ إِلَى السَّبْكِ وَالتَّصْفِيَةِ، فَإِنْ خَرَجَ فِي هَذِهِ الدَّارِ، وَالْإِقْفَى كَبِيرِ جَهَنَّمَ، فَإِذَا هُذِبَ الْعَبْدُ وَنُقِّيَ، أُذِنَ لَهُ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ (١).

### فِي دَارِ الْأَرْقَمِ

كَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ تَلْقَاءَ هَذِهِ الْأَضْطِهَادَاتِ أَنْ يَمْنَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَنْ إِعْلَانِ إِسْلَامِهِمْ قَوْلًا أَوْ فِعْلًا، وَأَنْ لَا يَجْتَمِعَ بِهِمْ إِلَّا سِرًّا؛ لِأَنَّهُ إِذَا اجْتَمَعَ بِهِمْ عَلَنًا فَلَا شَكَّ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ يَحُولُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يَرِيدُ مِنَ تَزْكِيَةِ الْمُسْلِمِينَ وَتَعْلِيمِهِمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، وَرَبَّمَا يَفْضِي ذَلِكَ إِلَى مَصَادِمَةِ الْفَرِيقَيْنِ، بَلْ وَقَعَ ذَلِكَ فِعْلًا فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ مِنَ النَّبُوَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانُوا يَجْتَمِعُونَ فِي الشُّعَابِ، فَيَصِلُونَ فِيهَا سِرًّا، فَرَأَاهُمْ نَفَرٌ مِنْ كِفَارِ قَرِيْشٍ، فَسَبَّوهُمْ وَقَاتَلُوهُمْ، فَضْرَبَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ رَجُلًا فَسَالَ دَمَهُ، وَكَانَ أَوَّلَ دَمٍ أُهْرِيْقَ فِي الْإِسْلَامِ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمَصَادِمَةَ لَوْ تَعَدَّدَتْ وَطَالَتْ لَأَفْضَتْ إِلَى تَدْمِيرِ الْمُسْلِمِينَ وَإِبَادَتِهِمْ، فَكَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ الْإِخْتِفَاءُ، فَكَانَ عَامَةً الصَّحَابَةُ يَخْفُونَ إِسْلَامَهُمْ وَعِبَادَتَهُمْ وَدَعْوَتَهُمْ وَاجْتِمَاعَهُمْ، أَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَكَانَ يَجْهَرُ بِالدَّعْوَةِ وَالْعِبَادَةِ بَيْنَ ظَهْرَانِي الْمَشْرِكِينَ، لَا يَصْرِفُهُ عَنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، وَلَكِنْ كَانَ يَجْتَمِعُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ سِرًّا؛ نَظْرًا لِصَالِحِهِمْ وَصَالِحِ الْإِسْلَامِ، وَكَانَتْ دَارُ الْأَرْقَمِ بِنِ أَبِي الْأَرْقَمِ الْمُخَزُومِيِّ عَلَى الصَّفَا، وَكَانَتْ بِمَعْزَلٍ عَنْ أَعْيُنِ الطَّغَاةِ وَمَجَالِسِهِمْ، فَكَانَ أَنْ اتَّخَذَهَا مَرْكَزًا لِدَعْوَتِهِ، وَاجْتِمَاعَهُ بِالْمُسْلِمِينَ مِنَ السَّنَةِ الْخَامِسَةِ مِنَ النَّبُوَّةِ (٢).

### أَسْلَمَ هُوَ لِأَنَّ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَدَى الْمُشْرِكِينَ

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ شِدَّةِ إِيْذَاءِ الْمُشْرِكِينَ لِأَصْحَابِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ﷺ إِلَى أَنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَتَحَ قُلُوبَ بَاقِيَةِ عَطْرَةِ الْمُنِجِّدِ مِنَ الرِّجَالِ لِيَسْلَمُوا لِلَّهِ جَلَّ عِلًّا وَلِيَكُونُوا جُنُودًا لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

(١) زاد المعاد (٣/١٨).

(٢) مختصر سيرة الرسول/ لمحمد بن عبد الوهاب (ص: ٦٠، ٦١) بتصرف.

## إسلام حمزة (رضى الله عنه)

إن الأفق المتلبد بالسُحب قد يتولد منه برق يضيء.

لقد غيرت على المسلمين في مكة أيام غلاظ، اضطرت بيوتاً عديدة أن تفر بدينها، وبقي من بقي منهم يكابد العنت من شطط المشركين وكيدهم، إلا أن عناصر جديدة دخلت في الإسلام جعلت قريشاً تتروى في أمرها قبل أن تقدم على إساءتها المبيتة.

أسلم «حمزة» بن عبد المطلب، عم النبي - عليه الصلاة والسلام - وأخوه من الرضاع، وهو رجل قوى الشكيمة<sup>(١)</sup>.

ولقد كان إسلامه في بداية الأمر أنفةً ثم شرح الله صدره بنور اليقين، فاستمسك بالعروة الوثقى وصار من أفاضل المؤمنين واعتز به المسلمون أيما إعزاز.

أما عن قصة إسلامه فيروى لنا ابن إسحاق أن أبا جهل مرَّ برسول الله ﷺ عند الصفا فأذاه وشتمه ونال منه بعض ما يكره، من العيب لدينه والتضعيف لأمره، فلم يكلمه رسول الله ﷺ .. ومولاة لعبد الله بن جدعان في مسكن لها تسمي ذلك [منه]، ثم انصرف عنه، فعمد إلى نادى قريش عند الكعبة فجلس معهم فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب - رضى الله عنه - أن أقبل متوشحاً قوسه<sup>(٢)</sup> راجعاً من قنص له - كان يصطاد - وكان صاحب قنص يرميه ويخرج له، وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة، وكان إذا فعل ذلك لم يمرَّ على ناد من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم، وكان أعزَّ فتى في قريش وأشدَّهم شكيمَةً. فلما مرَّ بالمولاة، وقد رجع رسول الله ﷺ إلى بيته، قالت له: يا أبا عمار، لو رأيت ما لقي ابنُ أخيك محمدٌ أنفأ من أبي الحكم ابن هشام؛ وجده هاهنا جالساً فأذاه وسبه وبلغ منه ما يكره، ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمدٌ ﷺ.

فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته، فخرج يسعى ولم يقف على أحد، مُعداً لأبى جهل إذا لقيه أن يُوقع به، فلما دخل المسجد نظر إليه جالساً في القوم فأقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه به فشجّه شجّةً منكرة، ثم قال: أتشتمه

(١) فقه السيرة للغزالي (ص ١٣٦).

(٢) متوشحاً: أى يتقلده كما يتقلد السيف والرجل يتوشح بحمالة سيفه فتقع الحمائل على عاتقه اليسرى وتكون اليمن مكشوفه [لسان مادة/ وشح].

وأنا على دينه أقول كما يقول؟ فَرَدَّ ذلك علىَّ إن استطعت. فقامت رجالٌ من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل؛ فقال أبو جهل: دعوا أبا عُمارة، فإنني والله قد سببتُ ابن أخيه سبًّا قبيحًا. وتم حمزة رضى الله عنه على إسلامه، وعلى ما تابع عليه رسول الله ﷺ من قوله، فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عزَّزَ وامتنع، وأنَّ حمزة سيمنعه، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه<sup>(١)</sup>.

### إسلام عمرو بن عبسة (رضى الله عنه)

\* عن أبي أمامة قال، قال عمرو بن عبسة: كنت وأنا في الجاهلية، أظن أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء، وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل بمكة يخبر أخبارًا، فقعدت على راحلتى، فقدمت عليه. فإذا رسول الله ﷺ مستخف، جرَّاء<sup>(٢)</sup> عليه قومه. فتلطفتُ حتى دخلت عليه بمكة. فقلت له: ما أنت؟ قال: «أنا نبيٌّ» فقلت: وما نبيٌّ؟ قال: «أرسلني الله» فقلت: وبأى شيء أرسلك؟ قال: «أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحد الله لا يُشرك به شيءٌ» قلت له: فمن معك على هذا؟ قال: «حرٌّ وعبد» (قال ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به) فقلت: إنى متبعك. قال: «إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا. ألا ترى حالى وحال الناس؟ ولكن ارجع إلى أهلِكَ. فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني» قال فذهبت إلى أهلي، وقدم رسول الله ﷺ المدينة. وكنت في أهلي. فجعلت أتخبر الأخبار<sup>(٣)</sup> وأسأل الناس حين قدم المدينة. حتى قدم على نفر من أهل يثرب من أهل المدينة فقلت: ما فعل هذا الرجل الذى قدم المدينة؟ فقالوا: الناس إليه سراع<sup>(٤)</sup> وقد أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك. فقدمت المدينة. فدخلت عليه. فقلت: يا رسول الله! أتعرفنى؟ قال: «نعم. أنت الذى لقيتني بمكة؟» قال فقلت: بلى. فقلت: يابى الله! أخبرنى عما علمك الله وأجهله. أخبرنى عن الصلاة؟ قال: «صل صلاة الصبح. ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع فإنها تطلع حين تطلع بين قرنى شيطان. وحينئذ يسجد لها الكفار. ثم صل. فإن الصلاة

(١) ذكره الهيثمى فى المجمع (٩/٢٦٧) وقال: رواه الطبرانى مرسلًا ورجاله رجال الصحيح.

(٢) جرَّاء: غضاب قد عيل صبرهم ونفد.

(٣) أتخبر الأخبار: أى أسألها.

(٤) سراع: أى يسارعون فى الدخول.

مشهودة<sup>(١)</sup> محضورة<sup>(٢)</sup>. حتى يستقل الظل بالرمح<sup>(٣)</sup>. ثم أقصر عن الصلاة. فإن حينئذ، تُسجَّر<sup>(٤)</sup> جهنم فإذا أقبل الفىءُ فصل. فإن الصلاة مشهودة محضورة. حتى تصلى العصر. ثم أقصر عن الصلاة. حتى تغرب الشمس. فإنها تغرب بين قرنى شيطان. وحينئذ يسجد لها الكفار». قال فقلت: يا نبي الله! فالوضوءُ؟ حدثني عنه. قال «ما منكم رجل يقرب وضوءه فيتمضمض ويستنشق فينتثر إلا خَرَّتْ خطايا وجهه وفيه وخياشيمه<sup>(٥)</sup>». ثم إذا غسل وجهه كما أمره الله إلا خَرَّتْ خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء. ثم يغسل يديه إلى المرفقين إلا خرت خطايا يديه من أنامله مع الماء. ثم يمسح رأسه إلا خَرَّتْ خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء. ثم يغسل قدميه إلى الكعبين إلا خَرَّتْ خطايا رجليه من أنامله».

### إسلام ضماد الأزدي (رضى الله عنه)

\* عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «إن ضماداً قدم مكة، وكان من أزد شنوءه، وكان يرقى<sup>(٦)</sup> من هذه الرياح<sup>(٧)</sup>، فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون: إن محمداً مجنون، فقال: لو أنى رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي، قال: فلقيه، فقال: يا محمد، إنى أرقى من هذه الرياح، وإن الله يشفى على يدي من شاء، فهل لك؟<sup>(٨)</sup> فقال رسول الله ﷺ: (إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضلَّ له،

(١) مشهودة: يشهدها الملائكة.

(٢) محضورة: يحضرها أهل الطاعات.

(٣) حتى يستقل الظل بالرمح: أى يقوم مقابله فى جهة الشمال. ليس مائلاً إلى المغرب ولا المشرق، وهذه حالة الاستواء. وتخصيص الرمح بالذكر لأن العرب أهل بادية، وإذا أرادوا أن يعلموا نصف النهار ركزوا رماحهم فى الأرض ثم نظروا إلى ظلها.

(٤) فإن حينئذ تسجر جهنم: اسم إن محذوف، وهو ضمير الشأن. ومعنى تسجر جهنم يوقد عليها إيقادا بليغا. واختلف أهل العربية هل جهنم اسم عربى أم عجمى؟ فقيل: عربى. مشتق من الجهومة. وهى كراهة المنظر. وقيل: من قولهم بئر جهام أى عميقة. فعلى هذا لم تصرف، للعلمية والتأنيث. وقال الأكثرون: هى عجمية معربة. وامتنع صرفها للعلمية والعجمة.

(٥) خياشيمه: جمع خيشوم، وهو أقصى الأنف. وقيل: الخياشيم عظام رقاق فى أصل الأنف، بينه وبين الدماغ. وقيل: غير ذلك.

(٦) يرقى: من الرقية وهى العوذة التى يرقى بها صاحب الآفة.

(٧) من هذه الرياح: المراد بالرياح هنا: الجنون أو مس الجن.

(٨) فهل لك: هل لك رغبة فى رقتى، وهل تميل إليها.

ومن يضل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله. أما بعد).

قال: «فقال: أعد علىّ كلماتك هؤلاء، فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات قال: فقال: لقد سمعت قول الكهنة، وقول السحرة، وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، ولقد بلغن قاموس البحر<sup>(١)</sup>. قال: فقال: (هات يدك أبايعك على الإسلام)، قال: فبايعه، فقال رسول الله ﷺ: (وعلى قومك)، قال: وعلى قومي.

قال: فبعث رسول الله ﷺ سرية فمروا بقومه، فقال صاحب السرية للجيش: هل أصبتم من هؤلاء شيئاً؟ فقال: رجل من القوم: أصبت منهم مطهرة، فقال: ردها فإن هؤلاء قوم ضمام<sup>(٢)</sup>.

### إسلام أبي ذر (رضى الله عنه)

\* عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «لما بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادى، فاعلم لى علم هذا الرجل الذى يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء، واسمع من قوله، ثم ائتنى. فانطلق الأخ حتى قدمه وسمع من قوله، ثم رجع إلى أبا ذر فقال له: رأيتك يأمر بمكارم الأخلاق، وكلاماً ما هو بالشعر. فقال: ما شفيتنى<sup>(٣)</sup> مما أردت.

فتزود، وحمل سنة<sup>(٤)</sup> له فيها ماء، حتى قدم مكة، فأتى المسجد، فالتمس النبي ﷺ ولا يعرفه، وكره أن يسأل عنه، حتى أدركه بعض الليل (اضطجع)، فرآه (على) فعرف أنه غريب، فلما رآه تبعه، فلم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح، ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد، وظل ذلك اليوم، ولا يراه النبي ﷺ حتى أمسى، فعاد إلى مضجعه، فمر به على فقال: أما آن للرجل أن يعلم منزله؟ فأقامه، فذهب به معه، لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء، حتى إذا كان يوم الثالث فعاد (على) على مثل ذلك، فأقام معه، فقال: ألا تحدثنى ما الذى أقدمك؟

(١) قاموس البحر: معناه وسطه، أو لجته، أو قعره الأقصى.

(٢) رواه مسلم فى كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم (٨٦٨).

(٣) ماشفيتنى مما أردت: ما بلغتنى غرضى وأزلت عنى هم كشف هذا الأمر.

(٤) سنة: القرية البالية.



قال: إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدني فعلت. ففعل، فأخبره. قال: فإنه حق، وهو رسول الله ﷺ، فإذا أصبحت فاتبعني، فإني إن رأيت شيئاً أخاف عليك قمت كأني أريق الماء، فإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي.

ففعل، فانطلق يقفوه<sup>(١)</sup>، حتى دخل على النبي ﷺ، ودخل معه، فسمع من قوله، وأسلم مكانه.

فقال له النبي ﷺ: ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتبك أمرى. قال: والذي نفسي بيده لأصرخن بها<sup>(٢)</sup> بين ظهرائهم<sup>(٣)</sup>.

فخرج حتى أتى المسجد، فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ثم قام القوم فضربوه حتى أوجعوه. وأتى العباس فأكب عليه، قال: ويلكم أستم تعلمون أنه من (غفار)، وأن طريق تجارتكم إلى الشام؟ فأنقذه منهم.

ثم عاد من الغد لمثلها، فضربوه وثاروا إليه، فأكب العباس عليه<sup>(٤)</sup>.

وقد جاءت قصة إسلامه مبسطة أكثر عند مسلم<sup>(٥)</sup> من حديث عبد الله ابن الصامت، وفيها زيادات كثيرة، فانظر التوفيق بين الروایتين في فتح الباري<sup>(٦)</sup> للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى.

### السمة الرابعة: النبي ﷺ يربى أصحابه على العقيدة الصحيحة

لقد سكب النبي ﷺ التوحيد الخالص في قلوب أصحابه من أول وهلة فكان يغذى أرواحهم برغائب الإيمان، ويزكي نفوسهم بتعليم الحكمة والقرآن، ويربيهم تربية دقيقة عميقة، يحدو بنفوسهم إلى منازل سمو الروح، ونقاء القلب، ونظافة الخلق، والتحرر من سلطان الماديات، والمقاومة للشهوات، والنزوع إلى رب الأرض والسموات، ويزكي جمرة قلوبهم، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ويأخذهم بالصبر على الأذى،

(١) يقفوه: يتبعه.

(٢) لأصرخن بها: لأرفعن صوتي بها.

(٣) بين ظهرائهم: أي بينهم.

(٤) رواه البخاري في مناقب الأنصار، باب إسلام أبي ذر، رقم (٣٨٦١) فتح الباري: ١٧٣/٧، ورواه مسلم

في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي ذر رقم، (٢٤٧٤).

(٥) رواه مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي ذر، رقم (٢٤٧٤).

(٦) فتح الباري: (١٧٤/٧، ١٧٥) مناقب الأنصار، باب إسلام أبي ذر، رقم: (٣٨٦١).

والصفح الجميل وقهر النفس، فزادوا رسوخاً في الدين، وعزوفاً عن الشهوات، وتفانياً في سبيل الرضاة، وحنيناً إلى الجنة، وحرصاً على العلم، وفقهاً في الدين، ومحاسبة للنفس وقهراً للنزعات، وغلبة على العواطف، وتسيطراً على الثائرات والهائجات، وتقيداً بالصبر والهدوء والوقار<sup>(١)</sup>.

\* ولقد كان القرآن الكريم طيلة الفترة المكية يتحدث عن العقيدة علماً وعملاً مرة من خلال قصص - الأنبياء عليهم السلام - ودعوة أقوامهم إلى التوحيد، ومرة من خلال المحاجة المباشرة مع المشركين وهلهلة عقيدتهم وتسفيهاها، وغير ذلك من الأساليب المختلفة.

ولقد كان في مقدور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام البدء مع أقوامهم من غير هذا الطريق الشاق الذي كلفهم العناء والبلاء، والذي قد يبدو ولأول وهلة أنه الأسهل، كأن تبدأ الدعوة في جمع الناس على أهداف قبلية وعصبية، أو أهداف اجتماعية طبقية، أو أهداف أخلاقية سلوكية؛ فإذا اجتمعوا على هذه الرايات بلَّغوهم العقيدة وطالبوهم بالتزامها ورفض ما سواها!! هذا هو تصور البشر القاصر الجاهل ولكن رب البشر سبحانه والذي له الأسماء الحسنى والصفات العلاء، والذي هو أعلم بخلقه وما يصلح لهم وهو اللطيف الخبير - لم يرد هذا الطريق، ولو بدا لأول وهلة أنه الأيسر والأسهل. إنه سبحانه أراد البدء بدعوة الناس إلى عبادته وتوحيده سبحانه وخلع كل ما يُعبد من دون الله حتى إذا امتلأت القلوب بمعرفة الله وتوحيده والخوف منه جاءت الأوامر والنواهي والأحكام والنظم وقد استعدت النفوس لقبولها وأذعنت لتنفيذها<sup>(٢)</sup>.

\* عن عائشة رضی الله عنها قالت: أول ما نزل من القرآن سورة فيها ذكر الجنة والنار - تعنى رضی الله عنها سورة المدثر وهي ثانی سورة وفيها يقول جلّ وعلا: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾ [المدثر: ٨ - ١٠]، وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ﴿٣١﴾﴾ [المدثر: ٣١]، وقوله جلّ وعلا: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ [المدثر: ٣٨ - ٤١] حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام، ولو نزل من أول الأمر لا تزنوا لقالوا: لا ندع الزنا أبداً، ولو نزل لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبداً.

(١) الرحيق المختوم (ص: ١٢٧).

(٢) فبهدهم اقتده/ عبد العزيز الجليل (ص: ١٢٢: ١٢٣) بتصرف.

\* لما تقررت في القلوب «لا إله إلا الله» صنع الله بها وبأهلها كل شيء وأعطى أهل التوحيد فوق ما يخطر على بالهم وأعظم مما تتمناه قلوبهم.

\* فبنعمة التوحيد تطهرت النفوس والأخلاق وزكت القلوب والأرواح، دون أن يحتاج الأمر حتى للحدود والتعازير التي شرعها الله - إلا في النادرة النادرة - لأن الرقابة قامت هناك في الضمائر، ولأن الطمع في رضى الله وثوابه والخوف من غضبه وعقابه، قد قاما مقام الرقابة ومكان العقوبات.

وارتفعت البشرية في نظامها، وفي أخلاقها، وفي حياتها كلها، إلى القمة السامقة التي لم ترتفع إليها من قبل قط والتي لم ترتفع إليها من بعد إلا في ظل الإسلام.

\* وفيما سبق ردُّ على من يستعجل في إقامة الدولة الإسلامية قبل استقرار العقيدة في القلوب وتخلصها من ركام الشرك بشتى صورته، لأنه لا قيمة لنظام إسلامي يقوم - إن قام - والناس الذين سيحكمهم النظام الإسلامي لم يستعدوا بعد لقبوله ولم يتخلصوا من رواسب الجاهلية وأدران الشرك. إنه يجب أن تستقر العقيدة في قلوب الداعين إليها أولاً، ثم يدعون الناس إليها علماً وعملاً لا مجرد عقيدة نظرية لا رصيد لها في القلوب ولا في الواقع. ولا شك أن هذا الأمر يحتاج إلى وقت طويل وجهد مرير وصراع مع الباطل وأهله حتى تنهياً النفوس لنصر الله عز وجل في وقته الذي يختاره الله سبحانه.

إن ميزة عقيدة الإسلام أنها عقيدة حية إيجابية ما إن تستقر في القلب حتى تحوله إلى شعلة وحركة وجهاد وتضحية، وهذا هو الذي يظهر للمتأمل في دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حيث علموا العقيدة، وعملوا بمقتضاها، ودعوا إليها، وصبروا على الأذى في سبيلها، وضحووا من أجلها بكل نفس ونفيس<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

(١) فيهداهم اقتده/ عبد العزيز الجليل (ص: ١٢٤، ١٢٦) بتصرف.

## السمة الخامسة: المشركون يعرضون المال والنساء والمناصب على النبي ﷺ فلا يقبلها

لما أكثر المشركون من التعذيب والاستهزاء والسخرية بالمسلمين رجاء أن يصددهم ذلك عن دينهم، وكان المسلمون لا يزدادون بذلك إلا إيماناً و يقيناً، فلما لم يفلحوا في ذلك، لجأوا إلى أسلوب آخر - بلغة العصر أكثر دبلوماسية - فأرادوا أن يعرضوا على النبي ﷺ عروضاً لعله يرجع عما هو عليه، أو يتنازل عن بعض الحق الذي يدعو إليه، فمن هذه العروض أنهم أرسلوا عتبة بن ربيعة ليعرض على الرسول ﷺ ما قد رآه حلاً للمشكلة<sup>(١)</sup>.

\* عن جابر بن عبد الله: قال: «اجتمعت قريش للنبي ﷺ يوماً، فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر، فليأت هذا الرجل الذي قد فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وعاب ديننا، فليكلمه، ولينظر ما يرد عليه. قالوا: ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة. قالوا: أنت يا أبا الوليد، فأتاه عتبة، فقال: يا محمد أنت خير أم عبد الله؟ - يعني أباه -.

فسكت النبي ﷺ، قال: أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول الله ﷺ، قال: فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك، فقد عبدوا الآلهة التي عبت، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك، أما والله ما رأينا سخلة<sup>(٢)</sup> أشأم على قومك منك، فرقت جماعتنا، وشتت أمرنا، وعبت ديننا، وفضحتنا في العرب، حتى طار فيهم أن في قريش ساحراً، وأن في قريش كاهناً، ما ينتظر إلا مثل صيحة الحبلبي بأن يقوم بعضنا لبعض بالسيوف حتى نتفاني.

أيها الرجل، إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أغنى قريش رجلاً، وإن كان إنما بك الباءة<sup>(٣)</sup> فاختر أي نساء قريش فنزوجك عشراً.

\* وفي رواية أنه قال له: إن كنت إنما تريد بهذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد شرفاً، سودناك علينا فلا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك ريثاً تراه لا تستطيع رده عن نفسك

(١) وقفات تربوية (ص: ٨٨).

(٢) سخلة: المولود المحبب إلى أهله.

(٣) الباءة: حب النكاح والزواج.

طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى تبرأ.

فقال رسول الله ﷺ: أفرغت، قال: نعم، قال: فقال رسول الله ﷺ: ﴿حَمِّمُوا﴾ تنزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿﴾ حتى بلغ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١-١٣] فقال عتبة: حسبك ما عندك غير هذا. قال: لا.

فرجع إلى قريش، فقالوا: ما وراءك. فقال: ما تركت شيئاً أرى أنكم تكلمونه به إلا كلمته، قالوا: هل أجابك، قال: نعم، قال: والذي نصبها بنية - يقصد الكعبة - ما فهمت شيئاً مما قال غير أنه قال: أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد و ثمود، قالوا: ويحك يكلمك بالعربية، فلا تدري ما قال.

قال: لا والله، ما فهمت مما قال غير ذكرى الصاعقة<sup>(١)</sup>.

### السمة السادسة: النبي ﷺ يبشر أصحابه

#### بنصر الله والتمكين لدينه

كان النبي ﷺ يبشر أصحابه بنصر الله عز وجل ويثالث الثقة واليقين في قلوبهم بأن الكون كله سيدين لله وستعلو راية: «لا إله إلا الله» خفاقة عالية.. وكان أصحابه في هذا الوقت مستضعفين يُعذَّبون في رمضان مكة حتى جاءه خباب يشكو له هذا البلاء الذي تعرض له فقال له ﷺ: «والله ليطمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم قومٌ تستعجلون» فمع كل هذا البلاء كان النبي ﷺ يثبت قلوب أصحابه بتلك البشريات العظيمة بل كان القرآن ينزل في تلك الفترة العصيبة ليشهرهم بنصر الله عز وجل.

\* قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾

[غافر: ٥١].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾

[الأنبياء: ١٠٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ

(١) رواه أبو يعلى (١٨١٨) والحاكم (٢/٢٥٣) وصححه ووافقه الذهبي.

وَيَجْعَلُ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾  
[الأنفال: ٣٦، ٣٧].

فالله (جلّ وعلا) لا يُسلم أولياءه لأعدائه.. وإن ظهر أعداؤه في وقت فهذا كله بتقدير الله ولكن العاقبة دائماً تكون لأهل الإيمان والتوحيد<sup>(١)</sup>.

\* قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩].

قال الشيخ الألباني حفظه الله: تبشرنا هذه الآية الكريمة بأن المستقبل للإسلام بسيطرته وظهوره وحكمه على الأديان كلها، وقد يظن بعض الناس أن ذلك قد تحقق في عهده ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين والملوك الصالحين، وليس كذلك، فالذي تحقق إنما هو جزء من هذا الوعد الصادق، كما أشار إلى ذلك النبي ﷺ بقوله: «لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبد اللات والعزى». فقالت عائشة: يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ أن ذلك تاماً. قال: إنه سيكون من ذلك ما شاء الله؛ الحديث<sup>(٢)</sup>.

وقد وردت أحاديث أخرى توضح مبلغ ظهور الإسلام ومدى انتشاره بحيث لا يدع مجالاً للشك في أن المستقبل للإسلام بإذن الله وتوفيقه وما أنا أسوق ما تيسر من هذه الأحاديث عسى أن تكون سبباً لشحذ همم العاملين للإسلام ومحجة على اليائسين المتواكلين.

الأول: قوله ﷺ: «إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها»؛ الحديث<sup>(٣)</sup>.

الثانى: قوله ﷺ: «لَيَبْلُغَنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل به الكفر»<sup>(٤)</sup>.

(١) مواقف من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين/ للمصنف (ص: ٧١٨).

(٢) رواه مسلم (٣٢/١٦) الفتن وأشراط الساعة، والحاكم (٤/٤٤٦، ٤٤٧، ٥٤٩).

(٣) رواه مسلم (١٣/١٦) الفتن وأشراط الساعة، والترمذى (٢٢/٩) الفتن، وأبو داود (٤٢٣٢) الفتن والملاحم.

(٤) رواه أحمد (٤/١٠٣)، والحاكم (٤/٤٣٠، ٤٣١)، وقال: صحيح على شرط الشيخين، وابن حبان =

الثالث: عن أبي قبيل قال: كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص، وسُئِلَ أى المدينتين تُفتح أولاً القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق، قال: فأخرج منه كتاباً فقال عبد الله بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب، إذ سُئِلَ رسول الله ﷺ أى المدينتين تفتح أولاً أفسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ: مدينة هرقل تفتح أولاً؛ يعنى قسطنطينية<sup>(١)</sup>. قال الألبانى: ورومية هى روما كما فى معجم البلدان، وهى عاصمة إيطاليا اليوم، وقد تحقق الفتح الأول على يد محمد الفاتح العثماني كما هو معروف، وذلك بعد أكثر من ثمانمائة سنة من إخبار النبي ﷺ، وسيحقق الفتح الثانى بإذن الله تعالى ولا بد، ولتعلمن نبأه بعد حين. ولا شك أيضاً أن تحقيق الفتح الثانى يستدعى أن تعود الخلافة الراشدة إلى الأمة المسلمة، وهذا مما يبشرنا به ﷺ بقوله فى الحديث.

الرابع: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاصياً فيكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت»<sup>(٢)</sup>. أ.هـ مختصراً<sup>(٣)</sup>.

\* فعلى الرغم من هذا الظلام الحالك الذى تعيشه الأمة فوالله إنا لمتفائلون وموقنون بنصر الله فهو وعد الله ووعد رسول الله ﷺ بالنصرة لهذا الدين.. وإن ما نحن فيه ما هو إلا حالة مؤقتة ليميز الله الخبيث من الطيب فى زمن عمّت فيه الفتنة وطمّت فكان لا بد من البلاء والتمحيص<sup>(٤)</sup>.

\* فأبشروا يا شباب الصحوة بنصر الله فالنصر قادم إن شاء الله تعالى ولكن علينا أن نكون عباداً لله لنكون أهلاً لنصر الله عزّ وجلّ.

= (١٦٣١) موارد، وصححه الألبانى على شرط مسلم فى تحذير الساجد ص. ١١٩ وفى الصحيحة رقم ٣ (٧/١/١).

(١) رواه أحمد (١٧٦/٢)، والدارمى (١٢٦/١)، والحاكم (٥٠٨/٤) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى والألبانى فى الصحيحة رقم ٤ (٨/١/١).

(٢) رواه أحمد (٢٧٣/٤) وقال الهيثمى فى المجمع (١٨٩/٥) رجاله ثقات وهو فى الصحيحة رقم (٥).

(٣) باختصار من السلسلة الصحيحة لمحدث العصر الألبانى حفظه الله ونفع سائر الناس بعلمه (١٠، ٦/١)، نقلاً من وفيات تربية.

(٤) صور من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين/ للمصنف (ص: ٦٥٢).

## إن التغيير لابد أن يبدأ من القاعدة

لقد أخطأ من ظن أن التغيير لابد أن يكون من قمة الهرم - وهذا فهمٌ خاطيء - بل إن التغيير لابد أن يبدأ من القاعدة وذلك من خلال تربية جيلٍ يحب الله ورسوله ﷺ ويحبه الله ورسوله ﷺ .

\* ولنعلم جميعاً أن هذه الأمة لا يمكن أن تكون عزيزة إلا باتباع دينها وتعظيم أمر ربها، فما السبيل إذن؟ هل هو سبيل الانقلابات العسكرية والعمليات الانتحارية، وفي سويغات معدودة يتم التمكين للإسلام والمسلمين؟!...!! ومن تدبر دعوة النبي ﷺ، بل وجميع الأنبياء قبله يعلم علماً يقينياً أن هذا الطريق ليس طريق الأنبياء، وأن هذا السبيل مخالف للسنن الشرعية والكونية، والله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، فلا بد من انتشار الدعوة وإصلاح قلوب الناس وجوارحهم بالتوحيد وطاعة الشرع المجيد... هذا رسول الله ﷺ بقي في مكة ثلاثة عشر عاماً يدعو للتوحيد، ويربى أصحابه بقيام الليل وسائر العبادات، ويتحمل ويتحملون معه أشد ألوان التعذيب والاستهزاء، لما بايع الأنصار بيعة العقبة الثانية قالوا: لو شئت لَمَلْنَا عَلَى أَهْلِ الْوَادِي فَقَتَلْنَاكُمْ دَفْعَةً وَاحِدَةً فَقَالَ ﷺ إِنِّي لَمْ أُؤْمَرْ بِذَلِكَ. ونزل عليه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [النساء: ٧٧].

هل أصحاب هذا الفكر أغبر على الدين من سيد الأولين والآخرين؟

كيف كان النبي ﷺ بمكة عندما جهر بالدعوة؟ وكيف كان حال الصحابة الكرام؟ كيف ربي النبي ﷺ أصحابه؟ كيف مهد النبي ﷺ لإقامة الدولة المسلمة بالمدينة؟ هذا ما ينبغي أن يتعلمه الشباب المسلم المخلص، حتى لا يضيع سعيهم ويضمحل أمرهم، دون مصلحة شرعية<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) وقفات تربوية (ص: ٧٦، ٧٧).



## أول من جهر بالقرآن

\* عن يحيى بن عروة بن الزبير عن أبيه قال: كان أول من جهر بالقرآن - بعد رسول الله ﷺ - بمكة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، قال: اجتمع يوماً أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يُجهر لها به قط، فمن رجل يُسمعه موه؟ فقال عبد الله بن مسعود: أنا، قالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه، قال: دعوني فإن الله سيمنعني. قال: فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام فى الضحى، وقريش فى أئديتها، حتى قام عند المقام ثم قرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ رافعاً بها صوته ﴿الرَّحْمَنُ﴾ ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن: ١، ٢] قال: ثم استقبلها يقرأها. قال: فتأملوه فجعلوا يقولون: ماذا قال ابن أم عبد؟ (يعنى ابن مسعود) قال: ثم قالوا: إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد، فقاموا إليه فجعلوا يضربونه فى وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ. ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا فى وجهه، فقالوا له: هذا الذى خشينا عليك، فقال: ما كان أعداء الله أهون على منهم الآن، ولئن شتم لأغاديتهم بمثلها غداً، قالوا: لا، حسبك، قد أسمعتهم ما يكرهون<sup>(١)</sup>.

## ما فعله النبى ﷺ وأصحابه بأصنام المشركين

\* عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال: «كنت أنطلق أنا وأسامة بن زيد إلى أصنام قريش التى حول الكعبة، فأتى بالعدرات<sup>(٢)</sup>، فنأخذ (حرياق) بأيدينا، فننطلق به إلى أصنام قريش فنلطحها<sup>(٣)</sup>، فيصيحون، يقولون: من فعل بالهتنا؟ فينطلقون إليها، ويغسلونها باللبن والماء»<sup>(٤)</sup>.

\* وعن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال: «انطلقت أنا والنبى ﷺ حتى أتينا الكعبة، فقال لى رسول الله ﷺ: اجلس، وصعد على منكبى، فذهبت لأنهض به، فرأى

(١) إسناده صحيح متصل، وذكره القرطبى فى «تفسيره» عن عروة بن الزبير (١٤٧/٧) وأخرجه الطبرى فى «تاريخه» (٣٣٤/٢، ٣٣٥).

(٢) العذرات: الغائط.

(٣) نلطحها: نلوثها.

(٤) المطالب العالية: (٤٢٧٥) وعزاه لإسحاق بن راهويه وقال الحافظ: إسناده صحيح، وتابعه البوصيرى.

منى ضعفاً، فنزل وجلس لى رسول الله ﷺ. فقال: اصعد على منكبى. قال: فنهض بى، قال: فإنه يخيل إلى أنى لو شئت لنتل أفق السماء، حتى صعدت على البيت، وعليه تمثال أصفر أو نحاس، فجعلت أزاوله عن يمينه وعن شماله وبين يديه ومن خلفه، حتى استمكنت منه، فقال لى رسول الله ﷺ أقذف به، فقذفت به، فتكسر كما تتكسر القوارير، ثم نزلت، فانطلقت أنا ورسول الله ﷺ نستبق، حتى توارينا بالبيوت، خشية أن يلقانا أحد من الناس».

وفى رواية: (كان على الكعبة أصنام، فذهبت أحمل النبى ﷺ فلم أستطع، فحملنى فجعلت أقطعها، ولو شئت لنتل السماء).

وزاد البزار (بعد قوله حتى استترنا بالبيوت، فلم يوضع عليها بعد يعنى شيئاً من تلك الأصنام)<sup>(١)</sup>.

\* وعن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال: (دخلت مع رسول الله ﷺ الكعبة، فرأى فيها تصاوير، فقال لى: ابتغ لى ماء، فأتيته بماء فى دلو، فجعل ييل به الثوب، ثم يضرب به الصور، يقول: قاتل الله أقواماً يصورون ما لا يخلقون)<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) قال الهيثمى فى المجمع: (٢٣/٦) رواه أحمد وابنه وأبو يعلى والبزار ورجال الجميع ثقات.

(٢) المطالب العالفة: (٤٢٧٦) وعزاه لإسحاق بن راهويه، وقال الحافظ: وإسناده حسن.

## الهجرة الأولى إلى الحبشة

كانت بداية الاضطهادات في أواسط أو أواخر السنة الرابعة من النبوة بدأت ضعيفة، ثم لم تزل يوماً فيوماً وشهراً شهراً حتى اشتدت وتفاقت في أواسط السنة الخامسة، حتى نبا بهم المقام في مكة وأوعزتهم أن يفكروا في حيلة تنجيهم من هذا العذاب الأليم، وفي هذه الساعة الضنكة الحالكة نزلت سورة الكهف، ردوداً على أسئلة أدلى بها المشركون إلى النبي ﷺ ولكنها اشتملت على ثلاث قصص فيها إشارات بليغة من الله تعالى إلى عباده المؤمنين، فقصة أصحاب الكهف ترشد إلى الهجرة من مراكز الكفر والعدوان حين مخافة الفتنة على الدين متوكلاً على الله: ﴿وَإِذْ اعْتَرَضْتَهُمْ وَمَا يعبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقاً﴾ [الكهف: ١٦].

وقصة الخضر وموسى تفيد أن الظروف لا تجرى ولا تنتج حسب الظاهر دائماً، بل ربما يكون الأمر على عكس كامل بالنسبة إلى الظاهر، ففيها إشارة لطيفة إلى أن الحرب القائمة ضد المسلمين ستعكس تماماً، وسيصادر هؤلاء الطغاة المشركون - إن لم يؤمنوا - أمام هؤلاء الضعفاء المدحورين من المسلمين.

وقصة ذى القرنين تفيد أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، وأن الفلاح إنما هو في سبيل الإيمان دون الكفر، وأن الله لا يزال يبعث من عباده - بين آونة وأخرى - من يقوم بإنحاء الضعفاء من يأجوج ذلك الزمان ومأجوجه، وأن الأحق يارث الأرض إنما هم عباد الله الصالحون. ثم نزلت سورة الزمر تشير إلى الهجرة، وتعلن بأن أرض الله ليست بضيقه ﴿لَلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] (١).

\* فلما رأى رسول الله ما يصيب أصحابه من البلاء، ومما هو فيه من العافية، لمكانه من الله ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعه مما هم فيه من البلاء،

قال لهم: «لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَإِنَّ بَهَا مَلَكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ، وَهِيَ أَرْضٌ صَدُوقٌ، حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا مَّا أَنْتُمْ فِيهِ». فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة كانت في الإسلام<sup>(١)</sup>.

\* كان الرحيل إلى الحبشة تسليلاً في الخفاء، حتى لا تستيقظ قريش للأمر فتحبطه، ولم يبدأ كذلك على نطاق واسع، بل كان الفوج الأول مكوناً من بضع أسر، فيهم رقية ابنة النبي عليه الصلاة والسلام وزوجها عثمان بن عفان، ونفر آخر من المهاجرين لم يزيدوا جميعاً عن ستة عشر. وقد يمموا شطر البحر حيث قيضت لهم الأقدار سفينتين تجاريتين أبحرتا بهم إلى الحبشة، فلما خرجت قريش في آثارهم إلى الشاطئء كانوا قد انطلقوا آمنين<sup>(٢)</sup>.

### مفاجأة لا تخطر على البال

وفي رمضان من نفس السنة خرج النبي ﷺ إلى الحرم، وهناك جمع كبير من قريش كان فيه ساداتها وكبرائها، فقام فيهم، وأخذ يتلو سورة النجم بعتة.

إن أولئك الكفار لم يكونوا سمعوا كلام الله قبل ذلك، لأن أسلوبيهم المتواصل كان هو العمل بما تواصى به بعضهم بعضاً، من قولهم: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]، فلما باغتهم بتلاوة هذه السورة وقرع آذانهم كلام إلهي رائع خلاب - لا يحيط بروعته وجلالته البيان - تفانوا عما هم فيه، وبقي كل واحد مصغياً إليه، لا يخطر بباله شيء سواه، حتى إذا تلا في خواتيم هذه السورة قوارع تطير لها القلوب، ثم قرأ: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَعَبُدُوا﴾ [النجم: ٦٢]، ثم سجد - لم يتمالك أحد نفسه حتى خر ساجداً، وفي الحقيقة كانت روعة الحق قد صدعت العناد في نفوس المستكبرين والمستهزئين فما تمالكوا أن يخروا لله ساجدين<sup>(٣)</sup>.

وسقط في أيديهم لما أحسوا أن جلال كلام الله لوى زمامهم، فارتكبوا عين ما كانوا يبذلون قصارى جهدهم في محوه وإفناؤه، وقد توالى عليهم اللوم والعتاب من كل

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/٢٦٦).

(٢) فقه السيرة للغزالي (ص: ١٣٠).

(٣) أخرجه البخاري (١٠٧١) ومسلم (١٠٥) (٥٧٦) والترمذي (٥٧٥).

جانب ممن لم يحضر هذا المشهد من المشركين، وعند ذلك كذبوا على رسول الله ﷺ وافتروا عليه أنه عطف على أصنامهم بكلمة تقدير، وأنه قال عنها «تلك الغرائقة العلى، وإن شفاعتهن لترتجى»، جاءوا بهذا الإفك المبين، ليعتذروا عن سجودهم مع النبي ﷺ. وليس يستغرب هذا من قوم كانوا يؤلفون الكذب، ويطيّلون الدس والافتراء<sup>(١)</sup>.

بلغ هذا الخبر إلى مهاجرى الحبشة، ولكن فى صورة تختلف تماماً عن صورته الحقيقية... بلغهم أن قريشاً أسلمت، فرجعوا إلى مكة فى شوال من نفس السنة، فلما كانوا دون مكة ساعة من نهار، وعرفوا جليلة الأمر، رجع منهم من رجع إلى الحبشة ولم يدخل فى مكة من سائرهم أحد إلا مستخفياً، أو فى جوار رجل من قريش<sup>(٢)</sup>.

### الهجرة الثانية إلى الحبشة

عاد من هاجر إلى الحبشة ليباغت بأن الاضطهاد الواقع على الإسلام أحدٌ وأشدُّ فدخل بعضهم مكة مستجيراً بمن يعرف من كبرائها، وتوارى الآخرون.

لكن قريشاً أبت إلا أن تُنكَل بالقادمين، وأن تغرى سائر القبائل بمضاعفة الأذى للمسلمين. فلم ير الرسول ﷺ بداً من أن يشير على أصحابه بالهجرة مرة أخرى إلى الحبشة. وكانت هذه الهجرة الثانية أشق من سابقتها، فقد تيقظت لها قريش وقررت إحباطها. بيد أن المسلمين كانوا أسرع. فخرج منهم فى هذا الفوج ثلاثة وثمانون رجلاً وتسع عشرة امرأة، ويسر الله لهم السفر فانحازوا إلى نجاشى الحبشة. ووجدوا عنده ما يبغون من أمان وطيب جوار وكرم وفادة.

والظاهر أن هذا النجاشى كان رجلاً راشداً نظيف العقل، حسن المعرفة لله سليم الاعتقاد فى (عيسى) عبد الله ورسوله عليه السلام. وكانت مرونة فكره سر المعاملة الجميلة التى وفرها لأولئك اللاجئين إلى مملكته، فارين بدينهم من الفتن<sup>(٣)</sup>.

\* عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: (بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشى، ونحن نحواً من ثمانين رجلاً، فيهم عبد الله بن مسعود، وجعفر، وعبد الله بن عرفطة، وعثمان بن مظعون، وأبو موسى، فأتوا النجاشى)<sup>(٤)</sup>.

(١) (٢) تفهيم القرآن (٥/١٨٨)، وإلى هذا التوجيه جنح المحققون فى حديث الغرائقة.

(٣) فقه السيرة للغزالي (ص: ١٣٣).

(٤) رواه أحمد (١/٤٦١) وقال ابن كثير فى السيرة: وهذا إسناد جيد قوى وسياق حسن - وحسنه الحافظ فى الفتح (٧/١٨٩).

\* وعن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أمه ليلي قالت: «كان عمر بن الخطاب من أشد الناس علينا في إسلامنا، فلما تهيأنا للخروج إلى أرض الحبشة، فأتى عمر بن الخطاب، وأنا على بعيري، وأنا أريد أن أتوجه، فقال: أين يا أم عبد الله؟ فقلت: آذيتمونا في ديننا، فنذهب في أرض الله حيث لا نؤذى (في عبادة الله)، فقال: صحبكم الله، ثم ذهب، فجاء زوجي عامر بن ربيعة فأخبرته بما رأيت من رقة عمر، فقال: ترجين أن يسلم؟ (فقلت: نعم. فقال): والله لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب»<sup>(١)</sup>.

\* وعن أم سلمة ابنة أبي أمية بن المغيرة زوج النبي ﷺ قالت: «لما نزلنا أرض الحبشة، جاورنا بها خير جار، النجاشي، أمنا على ديننا، وعبدنا الله وحده، لا نؤذى، ولا نسمع شيئاً نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشاً، ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين جلدلين<sup>(٢)</sup>، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان أعجب ما يأتيه منها الأدم<sup>(٣)</sup>، فجمعوا له أدمًا كثيرًا، ولم يتركوا من بطارقتة بطريقًا<sup>(٤)</sup> إلا أهدوا له هدية، وبعثوا بذلك مع عبد الله بن أبي ربيعة المعزومي، وعمرو بن العاص بن وائل السهمي، وأمروهما أمرهم، وقالوا لهما: ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا النجاشي فيهم، ثم قدموا للنجاشي هداياه، ثم أسألوه أن يسلمهم إليكم قبل أن يكلمهم.

قالت: فخرجا، فقدمنا على النجاشي ونحن عنده بخير دار، وعند خير جار، فلم يبق من بطارقتة بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلمنا النجاشي، ثم قالوا لكل بطريق منهم: إنه قد ضوى<sup>(٥)</sup> إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشرف قومهم ليردهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه أن يسلمهم إلينا، ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلى بهم عينًا<sup>(٦)</sup>، وأعلم بما عابوا عليهم.

فقالوا لهما: نعم، ثم قربوا هداياهم إلى النجاشي، فقبلها منهم، ثم كلماه.

فقالا له: أيها الملك، إنه قد صبا إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم

(١) قال الهيثمي في المجمع (٦/٢٤): رواه الطبراني وقد صرح ابن اسحاق بالسماع فهو صحيح.

(٢) الجلد: القوي.

(٣) الأدم: الجلود.

(٤) البطريق: الحاذق بالحرب وأمورها بلغة الروم، وهو ذو منصب عندهم.

(٥) ضوى: لجأ.

(٦) أعلى بهم عينًا: أبصر بهم، وأعرف بهم من غيرهم.

يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم، وأعمامهم وعشائرتهم لتردهم إليهم، فهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم، وعاتبوهم فيه.

ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع النجاشي كلامهم.

فالت بطارقتة حوله: صدقوا أيها الملك قومهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم، فأسلمهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم.

فغضب النجاشي وقال: لاها الله<sup>(١)</sup> إذا لا أسلمهم إليهما ولا أكاد، قوماً جاوروني، ونزلوا بلادى، واختاروني على من سواى، حتى أَدعوهم فأسألهم عما يقول هذان فى أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما، ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحسنت جوارهم ما جاوروني.

قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا فقالوا بعضهم لبعض: ما تقولون فى الرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول والله ما علمنا، وما أمرنا به نبينا ﷺ كائن فى ذلك ما هو كائن، فلما جاءوه، وقد دعا النجاشي أساقفته<sup>(٢)</sup>، فنشروا مصاحفهم حوله، سألهم: فقال: ما هذا الدين الذى قد فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا فى دينى، ولا فى دين أحد من هذه الأمم؟

قالت: وكان الذى كلمه جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه، فقال: أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسئ الجوار، ويأكل القوى منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه، وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله - عز وجل - لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دون الله من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وشهادة الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئاً، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة.

قالت: فعدد عليه أمور الإسلام - فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به، فعبدا

(١) لاها الله: المعنى لا والله.

(٢) الاساقفة: علماء النصارى الذين يقيمون لهم دينهم.

الله وحده فلم نشرك به شيئاً، وحرمتنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله عز وجل، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا، وظلمونا وشقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلدك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك.

قالت: فقال النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟

قالت: فقال له جعفر: نعم قالت: فقال له النجاشي: فاقراه، فقرأ عليه صدرًا من ﴿كَهَيْعَصَ﴾ قالت: فبكى والله النجاشي، حتى أخضل لحيته<sup>(١)</sup>، وبكت أسافته، حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلى عليهم.

ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة<sup>(٢)</sup> واحدة، انطلقا، فوالله لا أسلمهم إليكم، ولا أكاد.

قالت أم سلمة: فلما خرجا من عنده، قال: عمرو بن العاص: والله لآتينه غداً أعيبيهم عنده بما استأصل به خضراءهم<sup>(٣)</sup>.

فقال له عبد الله بن أبي ربيعة وكان أتقى الرجلين فينا: لا تفعل، فإن لهم أرحامًا، وإن كانوا قد خالفونا.

قال: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عليه السلام عبدٌ.

قالت: ثم غدا عليه، فقال: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فسلمهم عما يقولون فيه.

قالت: فأرسل إليهم يسألهم عنه، قالت: ولم ينزل بنا مثلها، واجتمع القوم، فقال بعضهم لبعض: ما تقولون في عيسى بن مريم إذا سألتكم عنه؟ قالوا: نقول والله ما قال الله عز وجل وما جاء به نبينا ﷺ كائنٌ في ذلك ما هو كائن. فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى بن مريم؟ فقال جعفر ابن أبي طالب: نقول فيه الذي جاء به نبينا ﷺ هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء<sup>(٤)</sup> البتول<sup>(٥)</sup>.

(١) حتى أخضل لحيته: معناه بلها.

(٢) المشكاة: الثقب الذي يكون فيه الفتيل.

(٣) بما استأصل به خضراءهم: يعنى به جماعتهم ومعظمهم.

(٤) العذراء: الجارية البكر التي لم يمسه رجل.

(٥) البتول: المنقطة عن الرجال.



قال: فضرب النجاشي بيده إلى الأرض، فأخذ منها عوداً، ثم قال: ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود، فتناخرت<sup>(١)</sup> بطارقتة حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي - والسيوم الآمنون - من سبكم غرم، ثم من سبكم غرم، ثم من سبكم غرم، ما أحب أن لى دبراً<sup>(٢)</sup> ذهباً وأنى آذيت رجلاً منكم، «والدبر: بلسان الحبشة: الجبل» ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لى فيهما، فوالله ما أخذ الله منى الرشوة حين رد على ملكي، فأخذ فيه الرشوة، وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه. فخرجنا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاء به، وأقمنا عنده في خير دار مع خير جار.

فوالله إنه لعلى ذلك إذ نزل به<sup>(٣)</sup> من ينازعه في ملكه، قالت: والله ما علمنا حزناً قط كان أشد من حزن حزنه عند ذلك، تخوفاً أن يظهر ذلك على النجاشي، فيأتى رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف.

قالت: وسار النجاشي، وبينهما عرض النيل، قالت: فقال: أصحاب رسول الله ﷺ من رجل يخرج حتى يحضر وقية القوم ثم يأتينا؟ فقال: الزبير بن العوام: أنا... قالت: وكان من أحدث القوم سناً قالت: فنفخوا له قربة، فجعلوها في صدره، فسيح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم.

قالت: ودعونا الله عز وجل للنجاشي بالظهور على عدوه، والتمكين له في بلاده، واستوسق<sup>(٤)</sup> عليه أمر الحبشة، فكنا عنده في خير منزل حتى قدمنا على رسول الله ﷺ وهو بمكة<sup>(٥)</sup>.

\* وقد جاء عند أبي نعيم في الدلائل، أن قريشاً بعثت إلى النجاشي في أمر المهاجرين مرتين..

الأولى: مع عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد، والثانية: مع عمرو بن العاص

(١) تناخرت: تكلمت بكلام فيه غضب.

(٢) دبراً: الدبر بلسانهم الجبل.

(٣) نزل به: قام عليه ووثب وارتفع.

(٤) استوسق: استقر له.

(٥) قال الهيثمي في المجمع (٦/٢٤، ٢٧): رواه أحمد ورجاء رجال الصحيح - غير ابن اسحاق وقد صرح بالسمع فالحديث بهذا صحيح.

وعبد الله بن أبي ربيعة، وكانت البعثة الثانية بعد وقعة بدر، قال الزهري: لينالوا من هناك ثأراً، فلم يجيبهم النجاشي - رضى الله عنه - إلى شيء مما سألوا<sup>(١)</sup>.

### إسلام عمر بن الخطاب (رضى الله عنه)

لقد كثرت الروايات التي تروى قصة إسلام عمر - رضى الله عنه - وأكثر تلك الروايات ضعيفة، ولكنها مشهورة مثل القصة التي يرويها أكثر الناس عن دخوله على أخته وزوجها سعيد بن زيد وكذا استماعه القرآن من النبي ﷺ وهو خلف أستار الكعبة.

والراجع والله أعلم أن السبب الأساسي في إسلامه رضى الله عنه هو دعاء النبي ﷺ له عندما قال: «اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بأبي جهل بن هشام، أو بعمر بن الخطاب، قال: وكان أحبهما إليه عمر»<sup>(٢)</sup>.

ولقد أورد الإمام البخارى سبباً آخر في إسلام عمر - رضى الله عنه - عن عبد الله بن عمر قال: ما سمعت عمر لشيء قط يقول: إني لأظنه كذا إلا كان كما يظن، بينما عمر جالس، إذ مرَّ به رجلٌ جميلٌ، فقال عمر لقد أخطأ ظني، أو إن هذا على دينه في الجاهلية، أو لقد كان كاهنهم.

على الرجل. فدعى له، فقال له ذلك. فقال: ما رأيت كاليوم استقبلَ به رجلٌ مسلم.

قال: فإني أعزم عليك إلا ما أخبرتني.

قال: كنت كاهنهم في الجاهلية.

قال: فما أعجب ما جاءتك به جنتك؟ قال: بينما أنا يوماً في السوق جاءتني أعرف فيها الفزع فقالت: ألم تر الجن وإيلاسها<sup>(٣)</sup>، ويأسها من بعد إنكاسها<sup>(٤)</sup>، ولحوقها بالقلاص، وأحلاسها<sup>(٥)</sup>.

(١) صحيح السيرة النبوية (ص: ١٠٦).

(٢) رواه الترمذى (٣٦٨٢) المناقب - باب مناقب عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى (٢٩٠٧).

(٣) إيلاسها: المراد به اليأس ضد الرجاء.

(٤) يأسها من بعد إنكاسها: اليأس ضد الرجاء، والإنكاس الانقلاب، قال ابن فارس: معناه أنها يئست من استراق السمع، بعد أن كان قد ألفتها، فانقلبت عن الاستراق، قد يئست من السمع.

(٥) ولحوقها بالقلاص، وأحلاسها: القلاص جمع قُلُص، وهى الفئبة من النياق، والأحلاس جمع حِلْس، وهو ما يوضع على ظهور الإبل تحت الرحل.

قال عمر: صدق، بينما أنا نائمٌ عند آلهتهم، إذ جاء رجلٌ بعجل فذبحه، فصرخ به صارخٌ، لم أسمع صارخاً قطُّ أشد صوتاً منه يقول: يا جليح<sup>(١)</sup>، أمرٌ نجيح، رجلٌ فصيح، يقول: لا إله إلا الله. فوثب القوم، قلت: لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا، ثم نادى، يا جليح أمرٌ نجيح، رجلٌ فصيح، يقول: لا إله إلا الله. فقامت، فما نشبنا<sup>(٢)</sup> أن قيل: هذا نبي<sup>(٣)</sup>.

### عمر (رضى الله عنه) يعلن إسلامه أمام المشركين

\* عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: (لما أسلم عمر اجتمع الناس إليه عند داره وقالوا: صبأ عمر... وأنا غلام فوق ظهر بيتي، فجاء رجل عليه قباء من ديباج، فقال: صبأ عمر فما ذاك فأنا له جار، قال: فرأيت الناس تصدعوا عنه. فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا العاص بن وائل)<sup>(٤)</sup>.

\* وعن عبد الله عمر رضى الله عنهما قال:

(لما أسلم عمر قال: أى قريش أنقل للحديث؟ ف قيل له: جميل بن معمر الجمحى، فغدا عليه. قال عبد الله: وغدوت أتبع أثره وأنظر ما يفعل، وأنا غلام أعقل كل ما رأيت.

حتى جاءه فقال له: أعلمت يا جميل أنى أسلمت، ودخلت فى دين محمد ﷺ؟

قال: فوالله ما راجعه حتى قام يجرد رداءه، واتبعه عمر، واتبعته أنا، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، (وهم فى أنديتهم حول الكعبة). ألا أن ابن الخطاب قد صبأ.

قال: يقول عمر من خلفه: كذب، ولكنى قد أسلمت، وشهدت أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله... وثاروا إليه، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه، حتى قامت الشمس

(١) يا جليح: معناه الوقح المكافح بالعداوة. قال الحافظ: ووقع فى معظم الروايات «يا آل ذريح» وهم بطن مشهور من العرب.

(٢) فما نشبنا: أى لم نتعلق بشيء من الأشياء حتى سمعنا أن النبى ﷺ قد خرج، يريد أن ذلك كان بقرب مبعث النبى ﷺ...

(٣) رواه البخارى رقم (٣٨٦٦) فى مناقب الأنصار، باب إسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

(٤) أخرجه البخارى (٣٨٦٥، ٣٨٦٤) مناقب الأنصار.

على رؤوسهم، قال: وطلح<sup>(١)</sup> فقعده، وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم، فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا.

قال: فبينما هم على ذلك، إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة<sup>(٢)</sup> وقميص موشى، حتى وقف عليهم. فقال: ما شأنكم به؟ فقالوا: صبأ عمر قال: فمه، رجل اختار لنفسه أمراً فما تريدون؟ أترون بنى عدى يسلمون لكم صاحبكم هكذا؟ خلوا عن الرجل<sup>(٣)</sup>.

قال: فوالله لكأنما كانوا ثوباً كُشط عنه. قال: فقلت لأبى بعد أن هاجر إلى المدينة: يا أبت، من الرجل الذى زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك. قال: ذاك أى بنى، العاص بن وائل السهمي<sup>(٤)</sup>.

### النبى ﷺ يدعو لعمر بعد إسلامه

\* عن ابن عمر رضى الله عنهما: أن رسول الله ﷺ ضرب صدر عمر بيده حين أسلم ثلاث مرات وهو يقول:

(اللهم أخرج ما فى صدر عمر من غل وأبدله إيماناً) يقول ذلك ثلاث مرات<sup>(٥)</sup>.

### إن إسلام (عمر) كان فتحاً

ولقد كان إسلامه سبباً عظيماً فى ظهور الإسلام وقوته، وذلك لما كان يتميز به من القوة والشجاعة فكان لا يخاف فى الله لومة لائم.

\* قال ابن مسعود رضى الله عنه: «مازلنا أعزة منذ أسلم عمر»<sup>(٦)</sup>.

وقال عبد الله بن مسعود: إن إسلام عمر كان فتحاً، وإن هجرته كانت نصراً، وإن إمارته كانت رحمة، ولقد كنا ما نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتل

(١) طلح: تعب وأعى.

(٢) الحبرة: ضرب من برود اليمن.

(٣) خلوا عن الرجل: اتركوه.

(٤) رواه ابن حبان (٦٨٤٠) والحاكم (٨٥/٣) وصححه ووافقه الذهبى.

(٥) قال الهيثمى فى المجمع: ٦٥/٩ رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله ثقات.

(٦) أخرجه البخارى (٢١٥/٧) مناقب الأنصار.

قريشاً حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه<sup>(١)</sup>.

وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة.

### الصحيفة الظالمة والمقاطعة العامة

فلما رأت قريشُ أمر رسول الله ﷺ يعلو، والأمور تتزايد، أجمعوا على أن يتعاقدوا على بنى هاشم، وبنى عبد المطلب، وبنى عبد مناف، أن لا يبايعوهم، ولا يُناكحوهم، ولا يُكلموهم، ولا يُجالسوهم حتى يُسلموا إليهم رسول الله ﷺ وكتبوا بذلك صحيفة، وعلّقوها في سقف الكعبة، يقال: كتبها منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم، ويقال: النَّضْرُ بن الحارث، والصحيح: أنه بغيض بن عامر بن هاشم، فدعا عليه رسول الله ﷺ، فَشَلَّتْ يَدُهُ، فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب مؤمنهم وكافرهم، إلا أبا لهب، فإنه ظاهر قريشاً على رسول الله ﷺ وبنى هاشم، وبنى المطلب، وحُبِسَ رسول الله ﷺ ومن معه في الشَّعْبِ (شعب أبي طالب) ليلة هلال المحرم، سنة سبع من البعثة، وعلقت الصحيفة في جوف الكعبة، وبقوا محبوسين ومحصورين، مضيقاً عليهم جداً، مقطوعاً عنهم الميرة والمادة، نحو ثلاث سنين، حتى بلغهم الجهد، وسمع أصوات صبيانهم بالبكاء من وراء الشعب، وهناك عمل أبو طالب قصيدته اللامية المشهورة<sup>(٢)</sup> أولها جزى الله عنا عبد شمس ونوفلاً عقوبة شرراً عاجلاً غير آجل<sup>(٣)</sup>.

\* قال السهيلي: كانت الصحابة إذا قدمت عير إلى مكة، يأتي أحدهم السوق ليشتري شيئاً من الطعام قوتاً لعياله فيقوم أبو لهب فيقول: يا معشر التجار غالوا على أصحاب محمد ﷺ حتى لا يدركوا معكم شيئاً. وقد علمتم مالي ووفاء ذمتي فأنا ضامن لا خسار عليكم، فيزيدون عليهم في السلعة قيمتها أضعافاً حتى يرجع أحدهم إلى أطفاله وهم يتضاغون من الجوع. وليس في يده شيء يطعمهم به. ويغدو التجار على أبي لهب فيربحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس حتى جهد المؤمنون ومن معهم جوعاً وعرياً.

(١) رواه ابن سعد (٢٧٠/١) والحاكم (٨٣/٣، ٨٤) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يُخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) أوردهما ابن هشام (٢٧٢/١، ٢٨٠) والبيت الذي ذكره المصنف هو الثامن والخمسون منها.

(٣) زاد المعاد (٢٩/٣، ٣٠).

وروى يونس عن سعد بن أبي وقاص قال: خرجت ذات ليلة لأبول فسمعت فقعة تحت البول، فإذا قطعة من جلد بغير يابسة، فأخذتها وغسلتها، ثم أحرقتها ورضضتها بالماء، فتقويت بها ثلاثاً.

فانظر كيف انتهى الحصار بالمسلمين. وكيف أضناهم الحرمان وأجأهم أن يطعموا ما لا مساغ له!!<sup>(١)</sup>

### كانت قريش بين راض وكاره

وكانت قريش بين راض وكاره لهذه المقاطعة، وقد أحزنت تلك الآلام بعض ذوى الرحمة من قريش فكان أحدهم يوقر البعير زاداً ثم يضربه فى اتجاه الشعب ويترك زمامه ليصل إلى المحصورين فيخفف شيئاً مما بهم من إعياء وفاقة.

### نقض الصحيفة

قال ابن كثير رحمه الله: ثم سعى فى نقض تلك الصحيفة أقوام من قريش، فكان القائم فى أمر ذلك هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن مالك ابن حسل بن عامر بن لؤى.. مشى فى ذلك إلى مطعم بن عدى وجماعة من قريش فأجابوه إلى ذلك، وأخبر رسول الله ﷺ قومه أن الله قد أرسل على تلك الصحيفة (الأرضة) فأكلت جميع ما فيها إلا ذكر الله عز وجل، فكان كذلك، ثم رجع بنو هاشم وبنو المطلب إلى مكة، وحصل الصلح برغم من أبى جهل عمرو بن هشام<sup>(٢)</sup>.

\* وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «قال لنا رسول الله ﷺ ونحن بمبنى (نحن) نازلون غداً بخيف بنى كنانة، حيث تقاسموا على الكفر) وذلك إن قريشاً وبنى كنانة تحالفت على بنى هاشم وبنى المطلب، أن لا يناكحوهم، ولا يبايعوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ، يعنى بذلك الحصب»<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ١٣٨، ١٣٩).

(٢) الفصول فى اختصار سيرة الرسول ﷺ للحافظ لابن كثير (٩٠، ٩١).

(٣) أخرجه البخارى (١٥٨٩، ١٥٩٠) الحج، ومسلم (١٣١٤) الحج.

## عام الحزن

قال ابن إسحاق: ثم إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب هلكا في عام واحد فتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب بهلك خديجة، وكانت له وزير صدق على الإسلام يشكو إليها، وبهلك عمه أبي طالب وكان له عضداً وحرزاً في أمره ومنعة وناصرراً على قومه، وذلك قبل هجرته إلى المدينة بثلاث سنين فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب<sup>(١)</sup>.

\* إن «خديجة» من نعم الله الجليلة على «محمد» عليه الصلاة والسلام، فقد آزرته في أحرج الأوقات، وأعانته على إبلاغ رسالته، وشاركته مغارم الجهد المر، وواسته بنفسها ومالها، وإنك لتحس قدر هذه النعمة عندما تعلم أن من زوجات الأنبياء من خن الرسالة وكفرون برجالهن، وكن مع المشركين من قومهن وآلهن حرباً على الله ورسوله.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطَ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ [التحریم: ١٠].

أما خديجة فهي صديقة النساء، حنت على رجلها ساعة قلق، وكانت نسمة سلام وبر، رطبت جبينه المتصبب من آثار الوحى، وبقيت ربع قرن معه، تحترم قبل الرسالة تأمله وعزله وشمائله، وتحمل بعد الرسالة كيد الخصوم وآلام الحصار ومتاعب الدعوة، وماتت والرسول ﷺ في الخمسين من عمره، وهى تجاوزت الخامسة والستين، وقد أخلص لذكرها طول حياته<sup>(٢)</sup>.

## هكذا يكون الوفاء

وحزن النبي ﷺ لموتها حزناً شديداً فلقد كانت نعم الزوجة الصابرة المخلصة التي آزرته طوال حياته وبذلت من أجل نصرة هذا الدين كل غال ونفيس فلم يستطع النبي ﷺ أن ينساها أبداً وكان يحمل لها وفاء يعجز القلم عن وصفه.

فها هو الحبيب ﷺ يثنى عليها ويقول: «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء

(١) السيرة لابن هشام مع الروض الأنف (٢/ ١٦٦).

(٢) فقه السيرة للغزالي (ص: ١٤٣).

إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران - وخديجة بنت خويلد<sup>(١)</sup> - وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام<sup>(٢)</sup>.

\* وقد علّق أحد العلماء الأفاضل على هذا الحديث تعليّقاً لطيفاً فقال: من الموافقات اللطيفة التي جمعت الثلاث في نسق واحد أن كل واحدة منهن كفلت نبياً مرسلًا، وأحسنت صحبته وآمنت به، فأسيا ربّت موسى، وأحسنت إليه، وصدقت به حين بعث، ومريم كفلت عيسى وربته، وصدقت به حين أرسل، وخديجة رغبت في النبي وواسته بنفسها ومالها، وأحسنت صحبته، وكانت أول من صدقه حين نزل عليه الوحي.

ولم يتزوج النبي ﷺ امرأة قبلها أبدًا.. بل ولم يتزوج عليها حتى ماتت.

فعن عائشة (رضى الله عنها) قالت: لم يتزوج النبي ﷺ على خديجة حتى ماتت<sup>(٣)</sup>.

\* وعن أنس (رضى الله عنه) أن النبي ﷺ قال: «حسبك من نساء العالمين مريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون»<sup>(٤)</sup>.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «سيدات نساء أهل الجنة بعد مريم بنت عمران فاطمة وخديجة وآسية امرأة فرعون»<sup>(٥)</sup>.

### كان النبي ﷺ يتابع عمه بالدعوة حتى آخر لحظة

\* عن المسيب رضى الله عنه قال: «لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل، وعبد الله بن أبي أمية ابن المغيرة. فقال رسول الله ﷺ (يا عم قل لا إله إلا الله. كلمة أشهد لك بها عند الله).

(١) هذه الزيادة عن ابن مردويه من حديث قرة بن إياس مرفوعاً: «وخديجة بنت خويلد» وإسناده صحيح كما قال ابن كثير في البداية (٣/١٢٩).

(٢) أخرجه أحمد والبخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه عن أبي موسى.

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٣٦) وعبد بن حميد (١٤٧٣).

قال الحافظ فى الفتح (٧/١٣٧): وفيه دليل على عظم قدرها عنده وعلى مزيد فضلها لأنها أغنته عن غيرها واختصت به بقدر ما اشترك فيه غيرها مرتين لأنه ﷺ عاش بعد أن تزوجها ثمانية وثلاثين عاماً انفردت خديجة منها بخمسة وعشرين عاماً وهى نحو الثلثين من المجموع، ومع طول المدة فضان قلبها من الغيرة ومن نكد الضرائر الذى ربما حصل له هو منه ما يشوش عليه وهى فضيلة لم يشركها فيها غيرها.

(٤) رواه الترمذى (٣٨٧٨) وأحمد (٣/١٣٥) والحاكم (٣/١٥٧): وإسناده صحيح.

(٥) رواه الطبرانى فى الكبير (١٢١٧٩): وإسناده حسن.



فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب! ترغب عن ملة عبد المطلب! فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيد له تلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم، هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله.

فقال رسول الله ﷺ: (أما والله! لأستغفرن لك ما لم أنه عنك) فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلِيَا قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣] وأنزل الله تعالى في أبي طالب فقال لرسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦] (١).

\* وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعمه (قل لا إله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة).

قال: لولا أن تعيرنى قريش، يقولون: إنما حملة على ذلك الجزع، لأقررت بها عينك، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦] (٢).

\* وعن علي بن أبي طالب: «أنه أتى النبي ﷺ فقال: إن أبا طالب مات فقال له ﷺ: (أذهب فواره). فقال: إنه مات مشركاً فقال: (أذهب فواره) (٣)، فلما واريته رجعت إلى النبي ﷺ فقال لى: (اغتسل) (٤).

### هو فى ضحضاح من نار

\* عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه:

أنه سمع النبي ﷺ وذكر عنده عمه فقال: (لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة، فجعل فى ضحضاح من النار (٥) يبلغ كعبيه يلقى منه دماغه) (٦).

\* وعن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه: قال للنبي ﷺ: ما أغنيت عن عمك

(١) أخرجه البخارى (٣٨٨٤) مناقب الأنصار، ومسلم (٢٤) الإيمان.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥) الإيمان، وأحمد (٤٤١/٢).

(٣) أذهب فواره: أى ادفنه.

(٤) رواه أحمد (٩٥/١) وأبو داود (٣٢١٤) وقال الذهبى فى السيرة: هذا حديث عمن متصل.

(٥) الضحضاح: الماء القليل الذى يبلغ الكعبين.

(٦) أخرجه البخارى (٣٨٨٥) مناقب الأنصار، ومسلم (٢١٠) الإيمان.

فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: (هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل<sup>(١)</sup> من النار)<sup>(٢)</sup>.

### زواج النبي ﷺ بسودة ثم عائشة (رضى الله عنهما)

لقد كان أصحاب الحبيب ﷺ يعرفون قدر خديجة (رضى الله عنها) عند النبي ﷺ فعندما ماتت كانوا يرجون أن يرزقه الله (عز وجل) بما يخفف عنه من آلامه وأحزانه.. ولكن لم يكن أى واحد منهم يجرؤ أبداً أن يكلم النبي ﷺ فى أمر الزواج فشاء الحق (جل وعلا) أن تتجرأ واحدة من فضليات نساء الصحابة ألا وهى خولة بنت حكيم لتعرض هذا الأمر على رسول الله ﷺ من أجل إدخال الفرح والسرور على قلبه المحزون<sup>(٣)</sup>.

\* عن هشام بن عروة عن أبيه قال:

(توفيت خديجة قبل مخرج النبي ﷺ إلى المدينة بثلاث سنين، فلبث سنتين أو قريباً من ذلك، ونكح عائشة وهى بنت ست سنين، ثم بنى بها وهى بنت تسع سنين)<sup>(٤)</sup>.

\* وقد جاء من سياق آخر أطول من حديث عائشة رضى الله عنها قال أبو سلمة ويحيى: «لما هلكت خديجة جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون فقالت: يا رسول الله ألا تزوج قال: (من؟) قالت: إن شئت بكراً، وإن شئت ثيباً».

قال: (فمن البكر؟) قالت: ابنة أحب خلق الله إليك عائشة بنت أبى بكر.

قال: (ومن الثيب؟) قالت: سودة بنت زمعة قد آمنت بك واتبعتك على ما تقول. قال: (فاذهبى فاذكريهما على).

فدخلت بيت أبى بكر فقالت: يا أم رومان ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة؟

قالت: وما ذاك؟ قالت: أرسلنى رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة قالت: انتظرى أبى بكر حتى يأتى.

(١) الدرك الأسفل: قعر النار.

(٢) أخرجه البخارى (٣٨٨٣) مناقب الأنصار، ومسلم (٢٠٩) الإيمان.

(٣) صحابيات حول الرسول ﷺ / للمصنف (ص: ٧١).

(٤) أخرجه البخارى (٣٨٩٦) مناقب الأنصار.

فجاء أبو بكر فقالت: يا أبا بكر ماذا أدخل عليك من الخير والبركة! قال: وماذا؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة. قال: وهل تصلح له؟ إنما هي ابنة أخيه.

فرجعت إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له قال: ارجعي إليه فقولي له: (أنا أخوك، وأنت أخي في الإسلام، وابتنتك تصلح لي) فرجعت فذكرت ذلك له قال: انتظري، وخرج. قالت أم رومان: إن مطعم بن عدى قد ذكرها على ابنه، ووالله ما وعد أبو بكر وعداً فأخلفه.

فدخل أبو بكر رضى الله عنه على مطعم بن عدى وعنده امرأته أم الفتى فقالت: يا ابن أبي قحافة لعلك مصيبىء صاحبنا تدخله في دينك الذى أنت عليه إن تزوج إليك؟ فقال أبو بكر للمطعم بن عدى: «أقول هذه تقول! قال: انها تقول ذلك. فخرج من عنده وقد أذهب الله عز وجل ما كان في نفسه من عدته التى وعده.

فرجع فقال لخولة: ادعى لى رسول الله ﷺ فدعته فزوجها إياه، وعائشة يومئذ بيت ست سنين.

ثم خرجت فدخلت على سودة بنت زمعة فقالت: ما أدخل الله عليك من الخير والبركة؟ قالت: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطبك إليه.

قالت: وددت، ادخلي إلى أبى فاذكرى ذلك له. وكان شيخاً كبيراً قد أدركه السن قد تخلف عن الحج، فدخلت عليه فحييته بتحية الجاهلية.

فقال: من هذه؟ قالت: خولة بنت حكيم. قال: فما شأنك؟ قالت: أرسلني محمد بن عبد الله ﷺ أخطب عليه سودة. فقال: كفاء كريم، ماذا تقول صاحبتك؟ قالت: تحب ذلك. قال: ادعيها إلى.

فدعيتها قال: أى بنيه، إن هذه تزعم أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد أرسل يخطبك وهو كفاء كريم، أتحيين أن أزوجك به؟ قالت: نعم.

قال: ادعيه لى، فجاء رسول الله ﷺ فزوجها إياه.

فجاء أخوها عبد بن زمعة من الحج، فجعل يحشى على رأسه التراب، فقال بعد أن أسلم: لعمرك إنى لسفيه يوم أحشى فى رأسى التراب، أن تزوج رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة.

قالت عائشة: فقدمنا المدينة فنزلنا في بنى الحارث بن الخزرج في السنح<sup>(١)</sup>.  
 قالت: فجاء رسول الله ﷺ فدخل بيتنا، واجتمع إليه رجال من الأنصار ونساء،  
 فجاءتني أمي وإني لفي أرجوحة<sup>(٢)</sup> بين عذقين<sup>(٣)</sup> يرجح لى، فأنزلتني من الأرجوحة  
 ولى جميمة<sup>(٤)</sup>، ففرقتها ومست وجهى بشيء من ماء، ثم أقبلت تقودني حتى وقفت بى  
 عند الباب، وإني لأنهج<sup>(٥)</sup> حتى سكن من نفسى، ثم دخلت بى، فإذا رسول الله ﷺ  
 جالس على سرير فى بيتنا، وعنده رجال ونساء من الأنصار فأجلستنى فى حجره، ثم  
 قالت: هؤلاء أهلك، فبارك الله لك فيهم، وبارك لهم فيك، فوثب الرجال والنساء  
 فخرجوا، وبنى بى رسول الله فى بيتنا ما نُحرت جزور، ولا ذُبحت على شاة، حتى  
 أرسل إلينا سعد بن عبادة بجفنة<sup>(٦)</sup> كان يرسل بها إلى رسول الله ﷺ إذا دار إلى نسائه،  
 وأنا يومئذ ابنة تسع سنين<sup>(٧)</sup>.

### إنا كضيناك المستهزئين

وبعد وفاة عمه (أبو طالب) تجرأت قريش على النبي ﷺ وأصحابه ونالت منه ما لم  
 تنله فى حياة عمه حتى إن واحداً من هؤلاء السفهاء تجرأ عليه ونثر التراب على رأسه.  
 \* عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «إن العاص بن وائل أخذ عظماً من البطحاء  
 ففتته بيده، ثم قال لرسول الله ﷺ: أَيْحَى الله هذا بعدما أرم<sup>(٨)</sup>؟ فقال: رسول الله ﷺ:  
 (نعم، يميمك الله ثم يحييك ثم يدُخلك جهنم) قال: ونزلت الآيات من آخر يس<sup>(٩)</sup>.

(١) السنح: مكان بعمالي المدينة فيه منازل بنى الحارث بن الخزرج.

(٢) الأرجوحة: حبل يشد طرفاه فى موضع ما ثم يركبه الانسان ويحرك وهو فيه، سمي به لتحركه مجيئة  
 وذهاب.

(٣) العذق: النخلة.

(٤) جميمة: الشعر الذى يسقط بين المنكبين.

(٥) أنهج: أتتفست تنفساً عميقاً.

(٦) الجفنة: القصة التى فيها الطعام.

(٧) أحمد فى المسند (٦/٢١٠، ٢١١) وقال ابن كثير فى سيرته: (٢/١٤٢) هذا السياق كأنه مرسل وهو  
 متصل، وقال الذهبى فى السيرة: (١٨٤) إسناده حسن.

(٨) أرم: فنى وانتهى.

(٩) أخرجه الحاكم: (٢/٤٢٩) من طريق عمرو بن عيون بن شُسيم وقال صحيح على شرط الشيخين ولم  
 يخرجاه، وقال ابن كثير فى التفسير: (٣/٥٨١) أخرجه ابن أبى حاتم.

\* وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال:

فى قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥] قال: المستهزئون: الوليد ابن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث الزهرى، وأبو زمعة الأسود بن المطلب من بنى أسد بن عبد العزى، والحارث بن عيطل السهمى، والعاص بن وائل، فأتاه جبريل فشكاهم النبى ﷺ إليه، فأراه الوليد وأوماً جبريل إلى أبجله<sup>(١)</sup> فقال: ما صنعت؟ قال: كفيته، ثم أراه الأسود فأوماً جبريل إلى عينه فقال: ما صنعت؟ قال: كفيته، ثم أراه أبا زمعة فأوماً إلى رأسه فقال: ما صنعت؟ قال: كفيته ثم أراه الحارث فأوماً إلى رأسه أو بطنه وقال: كفيته، ومر به العاص فأوماً إلى أخمصه وقال: كفيته.

فأما الوليد فمر برجل من خزاعة وهو يريش نبالاً<sup>(٢)</sup>، فأصاب أبجله فقطعها، وأما الأسود فعمى، وأما ابن عبد اليغوث فخرج فى رأسه قروح فمات منها، وأما الحارث فأخذ الماء الأصفر فى بطنه حتى خرج خرؤه من فيه فمات منها، وأما العاص فدخل فى رأسه شبرقة<sup>(٣)</sup> حتى امتلأت فمات منها، وقال غيره: أنه ركب إلى الطائف حماراً فربض به على شوكة، فدخلت فى أخمصه فمات منها<sup>(٤)</sup>.

### ويوم يعرض الظالم على يديه

\* عن ابن عباس رضى الله عنهما:

«أن أبا معيط كان يجلس مع النبى ﷺ بمكة لا يؤذيه، وكان رجلاً سليماً، وكان بقية قريش إذا جلسوا معه آذوه، وكان لأبى معيط خليل غائب عنه بالشام، فقالت قريش: صبأ أبو معيط، وقدم خليله من الشام ليلاً فقال لامرأته: ما فعل محمد مما كان عليه؟ فقالت: أشد مما كان أمر، فقال: ما فعل خليلى أبو معيط؟ فقالت: صبأ<sup>(٥)</sup>. فبات بليلة سوء، فلما أصبح أتاه أبو معيط فحياه فلم يرد عليه التحية.

فقال: مالك لا ترد علىّ تحيتى؟ فقال: كيف أرد عليك تحيتك وقد صبوت؟

فقال: أو قد فعلتها قريش؟ قال: فما يبرىء صدورهم إن أنا فعلت؟

(١) الأبجل: عرق فى باطن الذراع وقيل هو عرق غليظ فى الرجل فيما بين العصب والعظم.

(٢) يريش نبالاً: يركب لها الريش.

(٣) شبرقة: نبت حجازى له شوكة.

(٤) الذهبى فى السيرة النبوية: ص ١٤٣ وقال: حديث صحيح.

(٥) صبأ: ترك دينه واتبع ديناً آخر.

فقال: تأتية في مجلسه وتبزق في وجهه، وتشتمه بأخيث ما تعلمه من الشتم، ففعل فلم يزد النبي ﷺ أن مسح وجهه من البزاق، ثم التفت إليه فقال: إن وجدتك خارجاً من جبال مكة، أضرب عنقك صبراً.

فلما كان يوم بدر وخرج أصحابه، أبى أن يخرج، فقال له أصحابه: أخرج معنا. قال: قد وعدني هذا الرجل، إن وجدني خارجاً من جبال مكة أن يضرب عنقي صبراً».

فقالوا: لك جمل أحمر، لا يدرك، فلو كانت الهزيمة طرت عليه، فخرج معهم فلما هزم الله المشركين، ووحل<sup>(١)</sup> به جملة في جدد من الأرض. فأخذه رسول الله ﷺ أسيراً في سبعين من قريش، وقدم إليه أبو معيط فقال: تقتلني من بين هؤلاء؟ قال: نعم بما بزقت في وجهي، فأنزل الله في أبي معيط ﴿وَيَوْمَ يَعَضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩] (٢).

### النبي ﷺ يدعو على قريش

\* عن مسروق قال: قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه:

(إنما كان هذا لأن قريشاً لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسنى يوسف، فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل الله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ يغشى الناس هذا عذاب أليم ﴿[الدخان: ١٠، ١١].

قال: فأتى رسول الله ﷺ فقيل: يا رسول الله: استسقى الله لمضر، فإنها قد هلكت، قال: (لمضر؟ إنك لجرىء) فاستسقى فسقوا فنزلت: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ [الدخان: ١٥].

فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم، حين أصابتهم الرفاهية، فأنزل الله عز وجل ﴿يَوْمَ نَطِشُ الْبِطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٦] قال يعنى يوم بدر (٣).

(١) الوحل: الطين الرقيق ووحل الرجل أى وقع في الوحل.

(٢) الدر المنثور: (٦٨/٥) وقال أخرجه ابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل رقم: ٤٠١ بسند صحيح من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس، وفي رواية عبد الرزاق المرسل، عقبه بن أبي معيط.

(٣) أخرجه البخارى (٤٨٢١، ٤٨٢٢) التفسير، ومسلم (٢٧٩٨) صفات المنافقين.

## أرضى بجوار الله عز وجل

وكما اشتدت وطأة أهل مكة على النبي ﷺ اشتدت على أصحابه، حتى التجأ رفيقه أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى الهجرة عن مكة، فخرج حتى بلغ برك الغماد يريد الحبشة، فأرجعه ابن الدغنة في جواره.

✽ عن عائشة رضي الله عنها قالت:

(لم أعقل أبوى قط إلا وهما يدينان الدين<sup>(١)</sup>)، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا رسول الله ﷺ طرفى النهار: بكرة وعشية، فلما ابتلى المسلمون، فخرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة حتى بلغ برك الغماد<sup>(٢)</sup> لقيه ابن الدغنة وهو سيد القاره، قال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجنى قومي<sup>(٣)</sup>، فأريد أن أسبح<sup>(٤)</sup> فى الأرض، وأعبد ربي.

قال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج، ولا يخرج، إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق، فأنا لك جار<sup>(٥)</sup>، ارجع واعبد ربك ببلدك، فرجع، وارتحل معه ابن الدغنة، فطاف ابن الدغنة عشية فى أشراف قريش، فقال لهم: إن أبا بكر لا يخرج مثله، ولا يخرج. أخرجون رجلاً يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقرى الضيف، ويعين على نوائب الحق؟

فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة<sup>(٦)</sup>، وقالوا لابن الدغنة: مر أبا بكر، فليعبد ربه فى داره، فليصل فيها، وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك، ولا يستعلن به، فإننا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا. فقال ذلك ابن الدغنة لأبى بكر، فلبث<sup>(٧)</sup> أبو بكر بذلك يعبد ربه فى داره، ولا يستعلن بصلاته، ولا يقرأ فى غير داره، ثم بدا لأبى بكر فابتنى مسجداً بفناء داره، وكان يصلى فيه ويقرأ القرآن، فيتقذف<sup>(٨)</sup> عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم

(١) يدينان الدين: يعنى بدين الاسلام.

(٢) برك الغماد: منطقة من مناطق اليمن.

(٣) أخرجنى قومي: تسبوا باخراجى.

(٤) أسبح: السير فى الأرض.

(٥) أنا لك جار: أى أجيرك وأمنعك ممن يؤذيك.

(٦) لم تكذب جواره: لم ترد جواره.

(٧) لبث: مكث.

(٨) يتقذف: يزدحم.

يعجبون منه، ويتظنون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكاءً لا يملك عينيه<sup>(١)</sup> إذا قرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة، فقدم عليهم، فقالوا: إنا كنا أجرين أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره، فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فانهه، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أباي إلا أن يعلن بذلك فسله أن يرد إليك ذمتك<sup>(٢)</sup>، فإننا قد كرهنا أن نخفرك<sup>(٣)</sup>، ولسنا بمقرين لأبى بكر الاستعلان.

قالت عائشة: فأتى ابن الدغنة إلى أبى بكر فقال: قد علمت الذى عاقدت لك عليه، فما أن تقتصر على ذلك، وإما أن ترجع إلى ذمتى، فإنى لا أحب أن تسمع العرب أنى أخفرت فى رجل عقدت له.

فقال أبو بكر: فإنى أرد إليك جوارك، وأرضى بجوار الله، عز وجل<sup>(٤)</sup>.

### عثمان بن مظعون يرد جوار الوليد بن المغيرة

وكان عثمان رضى الله عنه فيمن رجع من الحبشة ودخل مكة فى جوار الوليد بن المغيرة حتى لا يتعرض لأذى المشركين ولكنه بعد فترة يسيرة أراد أن يرد جوار الوليد بن المغيرة لأنه رأى إخوانه يُعذَّبون فى سبيل الله وهو فى أمنٍ وعافية فلم يرضَ لنفسه بذلك.

\* عن ابن إسحاق قال: حدثنى صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن عثمان بن مظعون قال:

«لما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله ﷺ من البلاء، وهو يغدو ويروح فى أمان من الوليد بن المغيرة، قال: والله إن غدوى ورواحى آمنًا بجوار رجل من أهل الشرك، وأصحابى وأهل دينى يلقون من البلاء والأذى فى الله ما لا يصيبنى، لنقص كبير فى نفسى.

فمشى إلى الوليد بن المغيرة، فقال له: يا أبا عبد شمس، وقت ذمتك، قد رددت إليك

(١) لا يملك عينيه: لا يمسكهما من البكاء.

(٢) ذمتك: أمانك له.

(٣) نخفرك: نغدر بك.

(٤) أخرجه البخارى فى مناقب الأنصار باب هجرة النبى ﷺ وأصحابه إلى المدينة رقم: (٣٩٠٥).



جوارك، فقال له: لمَ يا ابن أخي؟ لعله آذاك أحد من قومي، قال: لا، ولكنني أرضى بجوار الله، ولا أريد أن أستجير بغيره؟

قال: فانطلق إلى المسجد، فاردد على جوارى علانية كما أجزتكَ علانية. قال: فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد فقال الوليد: هذا عثمان قد جاء يرد على جوارى، قال: صدق، قد وجدته وفيًا كريم الجوار، ولكنني قد أحببت أن لا أستجير بغير الله، فقد رددت عليه جواره، ثم انصرف عثمان، وليد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب في مجلس من قريش ينشدهم (يعنى الشعر) فجلس معهم عثمان، فقال لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل قال عثمان: صدقت. قال لبيد: وكل نعيم لا محالة زائل

قال عثمان: كذبت... نعيم الجنة لا يزول. قال لبيد بن ربيعة: يا معشر قريش، والله ما كان يؤذى جليستكم فمتى حدث هذا فيكم؟

فقال رجل من القوم: إن هذا سفیه في سفهاء معه، قد فارقوا ديننا، فلا تجد في نفسك من قوله، فرد عليه عثمان حتى شرى<sup>(١)</sup> أمرهما، فقام إليه ذلك الرجل فلطم عينه فحضرها<sup>(٢)</sup>، والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان، فقال: أما والله يا ابن أخي إن كانت عينك عما أصابها لغنية، لقد كنت في ذمة منيعة، قال: يقول عثمان: بل والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله، وإني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس، فقال له الوليد: هلم يا ابن أخي إن شئت فعد إلى جوارك، فقال: لا<sup>(٣)</sup>.

### قصة ابن أم مكتوم (رضى الله عنه)

\* عن عائشة رضی الله عنها: (أنزلت ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ [عبس: ١] في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه، ويُقبل على الآخر ويقول: ترى بما أقول بأسًا، ففي هذا نزلت ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ [عبس: ١]<sup>(٤)</sup>.

(١) شرى: زاد وعظم وتفاقم.

(٢) حضرها: سودها أو أتلها.

(٣) رواه أبو نعيم (١/١٠٣، ١٠٤) والبيهقي (٢/٢٩٢) وهو حسن بشواهد.

(٤) أخرجه الترمذي في تفسير القرآن ومن سورة عبس رقم: (٣٣٣١) وقال: حديث حسن غريب، وروى =

## النبي ﷺ يخرج ليدعو أهل الطائف

اشتدت مقاومة قريش للدعوة الإسلامية، ونالت من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تنال منه في حياة عمه أبي طالب. فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف وحده - من أجل إيجاد مركز جديد للدعوة - يلتمس النصر من ثقيف والمنعة بهم من قومه. ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل ولكن ثقيفا لم تستجب له، وأغرى زعماءها وأشرفها صبيانهم وعبيدهم وسفاهم، يسبونه ويصيحون به، واجتمع عليه الناس ورشقوه بالحجارة<sup>(١)</sup>.

\* عن محمد بن كعب القرظي: قال: لما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف، عمد إلى نفر من ثقيف، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرفهم، وهم إخوة ثلاثة: عبد ياليل بن عمرو بن عمير، ومسعود بن عمرو، وحبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة ابن عوف بن ثقيف، وعند أحدهم امرأة من قريش من بنى جمح، فجلس إليهم رسول الله ﷺ فدعاهم إلى الله، وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام، والقيام على من خالفه من قومه، فقال له أحدهم: هو يمرط<sup>(٢)</sup> ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك، وقال الآخر: أما وجد الله أحداً يرسله غيرك! وقال الثالث: والله لا أكلمك أبداً، لئن كنت رسولاً من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله، ما ينبغي لي أن أكلمك.

فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف، وقال لهم فيما ذكر لي: إذا فعلتم ما فعلتم فاكنتموا عني، وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه عنه فيذئروهم<sup>(٣)</sup> ذلك عليه، فلم يفعلوا، وأغروا به سفاههم وعبيدهم، يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس، وأجرووه إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه، ورجع عنه من

= بعضهم هذا الحديث عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: نزل عبس وتولى في ابن أم مكتوم ولم يذكر عائشة، وقال العراقي في تخريج الإحياء: (٢٤٤/٤) رجاله رجال الصحيح، وابن حبان رقم: ١٧٦٩، وابن جرير تفسير: (٥٠/٣٠) والحاكم: (٥١٤/٢) وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، فقد أرسله جماعه عن هشام بن عروة، قال الذهبي: وهو الصواب. وله شاهد من حديث أنس أخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وأبو يعلى انظر في ذلك فتح القدير للشوكاني: (٣٨٦/٥).

(١) نضرة النعيم (١/٢٤٥).

(٢) يمرط: يمزق.

(٣) يذئروهم: يحرضهم، ويحرضهم.

سفهاء ثقيف من كان يتبعه، فعمد إلى ظل حبله من عنب<sup>(١)</sup>، فجلس فيه، وابنا ربيعة ينظران إليه، ويريان ما لقي من سفهاء أهل الطائف، وقد لقي رسول الله ﷺ فيما ذكر المرأة التي من بنى جمع فقال لها: (ماذا لقينا من أحمائك؟)<sup>(٢)</sup>.

### اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتي

وأصيب الرسول ﷺ في أقدامه، فسالت منها الدماء واضطره المطاردون أن يلجأ إلى بستان لعتبة، وشيبة، ابني ربيعة، حيث جلس في ظل كرمه يلتمس الراحة والأمن.

وكان أصحاب البستان فيه، فصرفوا الأوباش عنه، واستوحش الرسول عليه الصلاة والسلام لهذا الحاضر المرير، وثابت إلى نفسه ذكريات الأيام التي عاناها مع أهل مكة، إنه يجرر وراءه سلسلة ثقيلة من المآسى المتلاحقة<sup>(٣)</sup>.

\* عن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما قال: «لما توفى أبو طالب خرج النبي ﷺ إلى الطائف ماشياً على قدميه، يدعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوه، فانصرف فأتى ظل شجرة فصلى ركعتين ثم قال:

(اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتى، وهوانى على الناس، أنت أرحم الراحمين، إلى من تكلنى إلى عدو يتجهمنى، أم إلى قريب ملكته أمرى، إن لم تكن غضبان على فلا أبالى، غير أن عافيتك أوسع لى، أعوذ بوجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن ينزل بى غضبك، أو يحل بى سخطك، لك العتبى<sup>(٤)</sup> حتى ترضى ولا قوة إلا بالله)<sup>(٥)</sup>.

\*\*\*

(١) الحيلة: طاقات من قضبان الكرم.

(٢) أخرج القصة بطولها ابن هشام: (٤١٩/١) والطبرى فى التاريخ: (٣٤٤/٢، ٣٤٦). والطبرانى كما فى مجمع الزوائد: (٣٥/٦)، بسند صحيح عن ابن إسحاق عن محمد بن كعب القرظى مرسلأ، مضافاً إليها قصة عداس وانكابه على يدى الرسول بدون الدعاء فقد جاء بغير سند، والبيهقى فى الدلائل: (٤١٥، ٤١٧) من مرسل الزهرى، فيتقوى به.

(٣) فقه السيرة للغزالي (ص: ١٤٦).

(٤) العتبى: الرضا.

(٥) قال الهيثمى فى المجمع (٣٥/٦) رواه الطبرانى وفيه ابن إسحاق مدلس ثقة وبقية رجاله ثقات، وأخرجه الخطيب فى الجامع لأخلاق الراوى: (٢/٢٧٥) رقم: (١٨٣٩) وله شاهد فى ذهابه إلى الطائف.

## إسلام «عداس»

من حديث محمد بن كعب القرظي السابق.

قال: «فلما رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة، وما لقي، تحركت له رحمهما، فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له عداس، فقالا له: خذ قطعاً من هذا العنب، فضعه في هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، فقل له يأكل منه، ففعل عداس، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ ثم قال له: كل.

فلما وضع رسول الله ﷺ فيه يده، قال: باسم الله، ثم أكل، فنظر عداس في وجهه، ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله ﷺ: ومن أهل أى البلاد أنت يا عداس؟ وما دينك؟ قال: نصراني، وأنا رجل من أهل نينوى

فقال رسول الله ﷺ: من قرية الرجل الصالح يونس بن متى، فقال له عداس: وما يدرك ما يونس بن متى؟ فقال رسول الله ﷺ: ذاك أخي، كان نبياً وأنا نبي، فأكبَّ عداس على رسول الله ﷺ يقبلُ رأسه ويديه وقدميه.

قال: يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك. فلما جاءهما عداس قالوا له: ويلك يا عداس! مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال: يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي، قالوا له: ويحك يا عداس، لا يصرفنك عن دينك، فإن دينك خير من دينه».

## الله (عز وجل) يرسل إليه جبريل وملك الجبال (عليهما السلام)

\* عن عائشة رضی الله عنها قالت: «قلت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟

قال: لقد لقيت من قومك<sup>(١)</sup>، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة<sup>(٢)</sup> إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على

(١) لقيت من قومك: المراد من قومها قريش.

(٢) يوم العقبة: هو اليوم الذي وقف فيه النبي ﷺ عند العقبة بمبى، داعياً الناس إلى الإسلام، فما أجابوه وأذوه.

وجهى (١) فلم أستفق إلا بقرن الثعالب (٢)، فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى، فنظرت فإذا فيها جبريل فنادانى، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. قال: فنادانى ملك الجبال، فسلم على، ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال وقد بعثنى ربك إليك لتأمرنى بأمرك فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين (٣)؟ فقال له رسول الله ﷺ (بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً) (٤).

### إسلام نضر من الجن فى وادى نخلة

وفى طريق عودته من الطائف، أقام الرسول ﷺ أياماً فى وادى نخلة القريب من مكة، وخلال فترة إقامته هذه بعث الله إليه نفرًا من الجن استمعوا إلى القرآن الكريم، وأسلموا وعادوا إلى قومهم منذرين ومبشرين كما ذكر الله تعالى فى كتابه العزيز: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمْعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّندِرِينَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا يَا قَوْمِنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدَىٰ إِلَىٰ الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٦﴾ يَا قَوْمِنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرَكُم مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الأحقاف ٢٩-٣١].

\* عن ابن عباس رضى الله عنهما: قال: «ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن وما رآهم، انطلق رسول الله ﷺ فى طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ (٥)، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب.

قال: وما ذاك إلا من شىء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها (٦)، فانظروا ما هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء، فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة برسول الله ﷺ وهو بنخلة، وهو عامد إلى سوق عكاظ

(١) على وجهى: أى على الجهة المواجهة لوجهى.

(٢) فلم أستفق إلا بقرن الثعالب: لم أفطن لنفسى وأنتبه لحالى، قرن الثعالب: قرن المنازل.

(٣) الأخشبين: الأخشب من الجبال: الخشن الغليظ، وهما جبال مكة: أبو قبيس، والجبل الذى يقابله.

(٤) أخرجه البخارى (٣٢٣١) بدء الخلق، ومسلم (١٧٩٥) الجهاد والسير.

(٥) سوق عكاظ: موضع قرب مكة كانت تقام به فى الجاهلية سوق يقيمون فيه أياما.

(٦) مشارق الأرض ومغاربها: سيروا فيها كلها.

وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، وقالوا: هذا الذى حال بيننا وبين خير السماء، فرجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآناً عجيباً يهدى إلى الرشd فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً، فأوحى الله إلى نبيه ﷺ ﴿قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ١].<sup>(١)</sup>

### الإسراء والمعراج

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

لقد كان لفقـد الرسول ﷺ لعمه وزوجته، وما قاساه بعدهما من اشتداد أذى قريش وما أسفرت عنه محاولته إلى الطائف من مشاق ونتائج أليمة، ثم ما لقيه من قريش عند عودته إلى مكة من عنت وصلف بدت آثارها على النبي ﷺ وقد رأينا كيف أنه توجه إلى الله تعالى شاكياً همومه ومعاناته، ملتمساً النصر، مجدداً العزم على المضى قدماً فى تحمل مسئوليته فى نشر الدعوة، مستهيناً بكل الصعاب مادام الله راضياً عنه.

\* وقعت حادثة الإسراء والمعراج بعد هذه الغمرة من المأسى والأحزان والشدائد المتلاحقة، فكان ذلك تسرية عن نفس النبي ﷺ ومواساة له وتكريماً وتشبيهاً. وقد وقع ذلك فى السنة العاشرة من المبعث، بعد وفاة عمه أبى طالب، وقبل هجرته إلى المدينة بأكثر قليلاً من السنة<sup>(٢)</sup>.

\* قال الشيخ الجزائرى - حفظه الله - عن الإسراء والمعراج:

كان مكافأة ربانية على ما لاقاه الحبيب ﷺ من أتراح وآلام وأحزان؛ إذ كان بعد حصار دام ثلاث سنوات فى شعب أبى طالب. وما لاقى أثناءه من جوع وحرمان، إنه كان بعد فقد الناصر الحميم، وفقد خديجة أم المؤمنين... إنه كان بعد خيبة الأمل فى ثقيف، وما ناله من سفهائها وصبيانها وعبيدها. بعد هذه الآلام كآفا الحبيب حبيبه فرفعه إليه وقربه وأدناه، وخلع عليه من حُلل الرضا ما أنساه كل ما كان قد لاقاه، من حزن وألم ونصب وتعب، وما قد يلاقيه فى سبيل إيلاغ رسالته ونشر دعوته، فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما ذكر الله الذاكرون، وما غفل عن ذكره الغافلون<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخارى (٤٩٢١) التفسير، ومسلم (٤٤٩) الصلاة.

(٢) نضرة النعيم (١/٢٤٦).

(٣) هذا الحبيب يا محب (ص: ١٣٥).

## مشاهد الإسراء والمعراج

\* عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (أُتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه) قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس قال: فربطته بالحلقة<sup>(١)</sup> التي يربط بها الأنبياء. قال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن، فقال جبريل ﷺ اخترت الفطرة<sup>(٢)</sup> (فذكر الحديث)<sup>(٣)</sup>.

\* وعن مالك بن صعصعة رضى الله عنه والذي رواه عنه أنس رضى الله عنه:

قال مالك: إن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أُسرى به، قال: (بينما أنا فى الحطيم<sup>(٤)</sup> - وربما قال فى الحجر - مضطجعا إذ أتانى آت<sup>(٥)</sup>)، فقد... قال: وسمعتة يقول: فشق ما بين هذه إلى هذه، فقلت للجارود - وهو إلى جنبى: «ما يعنى به؟» قال: «من ثغرة نحره<sup>(٦)</sup> إلى شعرته<sup>(٧)</sup>»، وسمعتة يقول: (من قصه<sup>(٨)</sup>) إلى شعرته، فاستخرج قلبى ثم أُتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا، فغسل قلبى، ثم حشى، ثم أُعيد، ثم أُتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض) فقال له الجارود: هو البراق يا أبا حمزة؟ قال أنس: نعم، يضع خطوه عند أقصى طرفه<sup>(٩)</sup>، فحملت عليه.

(فانطلق بى جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح<sup>(١٠)</sup>). قيل: من هذا؟ قال: جبريل،

(١) الحلقة: المراد باب مسجد بيت المقدس.

(٢) الفطرة: الإسلام، والاستقامة.

(٣) أخرجه مسلم فى الصحيح كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله وفرض الصلوات رقم الحديث: ١٦٢، وقد جاء اختيار النبی علیه السلام من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عند البخارى فى كتاب الأشربة باب شرب اللبن وفى الأنبياء باب هل أتاك حديث موسى، وصحيح مسلم الإيمان باب الإسراء برسول الله إلى السموات رقم: ١٦٨.

(٤) الحطيم: هو ما بين الركن والمقام.

(٥) آت: هو جبريل عليه السلام.

(٦) ثغرة النحر: الموضع المنخفض فى أدنى الرقبه من الامام.

(٧) شعرته: شعر عاتقه وهو ما ينبت حول العورة.

(٨) القص: رأس عظام الصدر.

(٩) يضع خطوه عند أقصى طرفه: يضع رجله عند منتهى بصره.

(١٠) استفتح: طلب فتح باب السماء الدنيا.

قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به<sup>(١)</sup>، فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت، فإذا فيها آدم، فقال: هذا أبوك آدم فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد السلام، ثم قال: مرحباً بالابن الصالح، والنبى الصالح.

ثم صعد بي حتى أتى السماء الثانية فاستفتح: قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت إذا يحيى وعيسى، وهما ابنا خالة، قال: هذا يحيى وعيسى، فسلم عليهما. فسلمت، فردا، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح.

ثم صعد بي إلى السماء الثالثة، فاستفتح: قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت إذا يوسف، قال: هذا يوسف فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح.

ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح: قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أو قد أرسل إليه قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت فإذا إدريس، قال: هذا إدريس فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح.

ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح: قيل: من هذا، قال: جبريل: قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا هارون، قال: هذا هارون، فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح.

ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح: قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قال: مرحباً به، فنعم المجيء جاء. فلما خلصت: فإذا موسى، قال: هذا موسى فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح، والنبى الصالح. فلما تجاوزت بكى. قيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكى لأن غلاماً<sup>(٢)</sup> بُعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتى.

(١) مرحباً به: أصاب رجلاً وسعة.

(٢) أبكى لأن غلاماً.. ليس هذا على سبيل النقص بل على سبيل التنويه بقدرة الله وعظم كرمه إذا أعطى لمن كان فى ذلك السن مالم يعطه أحداً قبله ممن هو أسن منه.





## آن الأوان لانتقال القيادة الروحية من أمة إلى أمة

يرى القارئ في سورة الإسراء أن الله ذكر قصة الإسراء في آية واحدة فقط، ثم أخذ في ذكر فضائح اليهود وجرائمهم، ثم نبههم بأن هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم، فربما يظن القارئ أن الآيتين ليس بينهما ارتباط، والأمر ليس كذلك؛ فإن الله تعالى يشير بهذا الأسلوب إلى أن الإسراء إنما وقع إلى بيت المقدس؛ لأن اليهود سيعزلون عن منصب قيادة الأمة الإنسانية؛ لما ارتكبوا من الجرائم التي لم يبق معها مجال لبقائهم على هذا المنصب، وأن الله سينقل هذا المنصب فعلاً إلى رسوله ﷺ ويجمع له مركزي الدعوة الإبراهيمية كليهما، فقد آن أوان انتقال القيادة الروحية من أمة إلى أمة... من أمة ملأت تاريخها بالغدر والخيانة والإثم والعدوان، إلى أمة تتدفق بالبر والخيرات، ولا يزال رسولها يتمتع بوحى القرآن الذي يهدى للتي هي أقوم.

ولكن كيف تنتقل هذه القيادة، والرسول يطوف في جبال مكة مطروداً بين الناس، هذا السؤال يكشف الغطاء عن حقيقة أخرى، وهي أن دوراً من هذه الدعوة الإسلامية قد أوشك إلى النهاية والتمام، وسيبدأ دور آخر يختلف عن الأول في مجراه، ولذلك نرى بعض الآيات تشتمل على إنذار سافر ووعيد شديد بالنسبة إلى المشركين: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾ [الإسراء ١٦، ١٧]، وبجنب هذه الآيات آيات أخرى تبين للمسلمين قواعد الحضارة وبنودها ومبادئها التي يبتنى عليها مجتمعهم الإسلامي، كأنهم قد أووا إلى الأرض، تملكوا فيها أمورهم من جميع النواحي، وكونوا وحدة متماسكة تدور عليها رحى المجتمع، ففيه إشارة إلى أن الرسول ﷺ سيجد ملجأً وأمناً يستقر فيه أمره، ويصير مركزاً لبث دعوته في أرجاء الدنيا، هذا سر من أسرار هذه الرحلة المباركة، يتصل ببحثنا، فأثرنا ذكره.

ولأجل هذه الحكمة وأمثالها نرى أن الإسراء إنما وقع إما قبيل بيعة العقبة الأولى أو بين العقبين، والله أعلم<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) الرحيق المختوم (ص: ١٤٥، ١٤٦).

## هل رأى النبي ﷺ ربه (عز وجل)؟

واختلف الصحابة: هل رأى النبي ﷺ ربه تلك الليلة، أم لا؟ فصَحَّ عن ابن عباسٍ أنه رأى ربه، وصَحَّ عنه أنه قال: رآه بفؤاده<sup>(١)</sup>.

وصَحَّ عَنْ عَائِشَةَ وَأَبْنِ مَسْعُودٍ إنْكَارُ ذَلِكَ، وَقَالَا: إنْ قَوْلَهُ: ﴿وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿[النجم: ١٣، ١٤] إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ﴾<sup>(٢)</sup>.

وَصَحَّ عَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّهُ سَأَلَهُ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ فَقَالَ: «نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ» أَي: حَالِ بَيْنِي وَبَيْنَ رُؤْيَيْهِ النُّورِ كَمَا قَالَ فِي لَفْظٍ آخَرَ: «رَأَيْتُ نُورًا»<sup>(٣)</sup>.

وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمي اتفاق الصحابة على أنه لم يره<sup>(٤)</sup>.

## الله (عز وجل) يجلى بيت المقدس للنبي ﷺ

فلما أصبح رسولُ الله ﷺ في قومه، أخبرهم بما أراه الله عز وجل من آياته الكبرى، فأشْتَدَّ تَكْذِيبُهُمْ لَهُ، وَأَذَاهُمْ وَضُرَاوَتُهُمْ عَلَيْهِ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يَصِفَ لَهُمْ بَيْتَ الْمَقْدَسِ، فَجَلَّاهُ اللَّهُ لَهُ حَتَّى عَايَنَهُ، فَطَفِقَ يُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوا عَلَيْهِ شَيْئًا<sup>(٥)</sup>.

وَأَخْبَرَهُمْ عَنْ عَيْرِهِمْ فِي مَسْرَاهُ وَرَجُوعِهِ، وَأَخْبَرَهُمْ عَنْ وَقْتِ قُدُومِهَا وَأَخْبَرَهُمْ عَنِ الْبَعِيرِ الَّذِي يَقْدُمُهَا، وَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ<sup>(٦)</sup>، فَلَمْ يَزِدْهُمْ ذَلِكَ إِلَّا نَفُورًا، وَأَبَى الظالمونَ إِلَّا كُفُورًا.

\*\*\*

(١) أخرجه مسلم (١٧٦) (٢٨٤) الإيمان.

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٦/٨) التفسير، ومسلم (١٧٧) الإيمان.

(٣) أخرجه مسلم (١٧٨) (٢٩١) الإيمان.

(٤) زاد المعاد (٣/٣٦، ٣٧).

(٥) أخرجه البخاري (٢٩٧/٨) التفسير، ومسلم (١٧٠) الإيمان.

(٦) رواه أحمد (٣٧٤/١) بإسناد حسن.

### بعض ما رآه النبي ﷺ

\* عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (لما عرج بى إلى السماء بينما أنا أسير فى الجنة إذ أنا بنهر حافظه قباب الدرّ المجوف. قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذى أعده ربك، فإذا طينه مسك أذفر) (١).

\* وعن سليمان الشيبانى قال: سألت زراً عن قوله عز وجل: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: ٩] قال: أخبرنا عبد الله: أن محمداً ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح (٢).

\* وعن عبد الله بن مسعود: قال: «لما أُسرى برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى، وهى فى السماء السادسة، إليها ينتهى ما يعرج به من الأرض، فيقبض منها، وإليها ينتهى ما يهبط به من فوقها، فيقبض منها، قال: ﴿إِذْ يَغْشَى السَّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ [النجم: ١٦]، قال: فراش من ذهب، قال: فأعطى رسول الله ﷺ ثلاثاً: أعطى الصلوات الخمس، وأعطى خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئاً المقحّمات (٣)» (٤).

\* وعن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠].

قال: «هى رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أُسرى به إلى بيت المقدس قال: والشجرة الملعونة فى القرآن ﴿﴾ قال: هى شجرة الزقوم (٥).

وكانت حادثة الإسراء والمعراج قبل هجرته عليه السلام بسنة. هكذا قال القاضى عياض فى الشفا (٦).

\*\*\*

(١) أخرجه البخارى (٦٥٨١) الرقاق - والترمذى (٣٣٦٠).

(٢) أخرجه البخارى (٤٨٥٦) التفسير - ومسلم (١٧٤) الإيمان.

(٣) المقحّمات: الذنوب العظام التى تقحم أصحابها فى النار.

(٤) أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان باب فى ذكر سدرة المنتهى حديث رقم: (١٧٣).

(٥) أخرجه البخارى فى مناقب الأنصار باب فى المعراج حديث رقم: (٣٨٨٨).

(٦) الشفا بحقوق المصطفى: (١٠٨/١).

## موقف الصديق (رضى الله عنه) في قصة الإسراء والمعراج

ولما كانت رحلة الإسراء والمعراج جاء المشركون إلى أبي بكر فقالوا له: إن صاحبك يزعم أنه أسرى به إلى المسجد الأقصى في الليلة الماضية ونحن نقطع أكباد الإبل إليها في شهر كامل، فقال أبو بكر: إن كان قال فقد صدق.

وفي رواية: وبادر الصديق إلى التصديق وقال: إني لأصدقه في خبر السماء بكرة وعشية، أفلا أصدقه في بيت المقدس؟! (١)

ولذلك يُقال: إن أبا بكر سُمي صديقاً من حادثة الإسراء والمعراج؛ لأن النبي ﷺ قال ليلة أسرى به لجبريل إن قومي لا يصدقوني فقال له جبريل: يصدقك أبو بكر وهو الصديق (٢).

وكان عليُّ بن أبي طالب رضى الله عنه يحلف أن الله عز وجل أنزل اسم أبي بكر من السماء (الصديق) (٣).

## المسجد الأقصى الذي باركنا حوله

قال القاسمي: والأقصى بمعنى الأبعد، سُمي بذلك لبعده عن مكة، وقوله: ﴿الذي باركنا حوله﴾ أي جوانبه ببركات الدين والدنيا، لأن تلك الأرض المقدسة مقر الأنبياء، ومهبط وحيمهم، ومنمى الزروع والثمار، فاكتفتها البركة الإلهية من نواحيه كلها، فبركته إذن مضاعفة، لكونه في أرض مباركة، ولكونه من أعظم مساجد الله تعالى، والمساجد بيوت الله، ولكونه متعبد الأنبياء ومقامهم ومهبط وحيه عليهم، فبورك منه ببركتهم ويمنهم أيضاً.

وقد قيل في خصائص (الأقصى) أنه متعبد الأنبياء السابقين، ومسرى خاتم النبيين، ومعراجه إلى السماوات العلى، والمشهد الأسمى، بيت نوه الله به في الآيات المفصلة، وتُليت فيه الكتب الأربعة المنزلة لأجله أمسك الله الشمس على يوشع أن تغرب ليتيسر فتحه على من وعدوا به ويقرب، وهو قبلة الصلاة في الملتين وفي صدر الإسلام بعد

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٣/١٠٨).

(٢) التبصرة لابن الجوزي (١/٣٣٨، ٤٠٢).

(٣) قال ابن حجر في «الفتح» (٧/١١): رواه الطبراني ورجاله ثقات.

الهجرتين. وهو أولى القبلتين، وثانى المسجدين، وثالث الحرمين، لا تُشد الرحال بعد المسجدين إلا إليه ولا تعقد الخناصر بعد المواطنين إلا عليه. انتهى.

\* ومن فضائله ما رواه الإمام أحمد والنسائي والحاكم وصححه عن ابن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: إن سليمان لما بنى بيت المقدس سأل ربه ثلاثاً فأعطاه اثنتين وأنا أرجو أن يكون أعطاه الثالثة:

سأله حكماً يصادف حكمه فأعطاه إياه.

وسأله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه إياه.

وسأله أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد يعنى بيت المقدس خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه قال النبي ﷺ: ونحن نرجوا أن يكون الله أعطاه ذلك<sup>(١)</sup>.

\* فنسأل الله عز وجل أن يطهر المسجد الأقصى من دنس اليهود الأنجاس وأن يردّه إلى المسلمين بعد أن يرد المسلمين إلى دينه وإلى سنة رسوله ﷺ.

### النبي ﷺ يعرض نفسه على القبائل

حرص الرسول ﷺ على الاجتماع بالناس وتبليغهم دعوة الإسلام، وكان يتحرى مواضع اجتماع القبائل وخاصة في موسم الحج وفترات عقد أسواق العرب، حيث كان يلتقى بذوى الشأن من رؤساء القبائل وغيرهم، وكان يطالب الرؤساء بحمايته دون أن يُكره أحداً على قبول دعوته.

\* عن رجل من بنى مالك بن كنانة قال: رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذى المجاز يتخللها يقول: (يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)، قال: وأبو جهل يحثى عليه التراب ويقول: لا يغوينكم هذا عن دينكم، وإنما يريد لتتركوا آلهتكم، وتتركوا اللات والعزى، وما يلتفت إليه رسول الله ﷺ قلت: انعت لنا رسول الله ﷺ قال: بين بردين

(١) محاسن التأويل (١٠/١٨٥).

والحديث رواه أحمد (١٧٦/٢) رقم (٦٦٤٤ شاكراً)، والنسائي (٣٤/٢) المساجد: باب فضل المسجد الأقصى، وابن ماجه (١٤٠٨)، وابن خزيمة (٦٠٧) صحيح ابن خزيمة وقال العلامة أحمد شاكراً: إسناده صحيح، والحاكم (٣١، ٣٠/١)، الإيمان، وقال صحيح ووافقه الذهبي، وصححه الألباني فى صحيح النسائي وابن ماجه.

أحمرين، مربع كثير اللحم، حسن الوجه، شديد سواد الشعر، أبيض شديد البياض، سابغ الشعر»<sup>(١)</sup>.

\* وعن الحارث بن الحارث: قال: «قلت لأبي: ما هذه الجماعة؟ قال: هؤلاء القوم الذين اجتمعوا على صابىء لهم، قال: فنزلنا فإذا رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى توحيد الله عز وجل والإيمان (به)، وهم يردون عليه ويؤذونه حتى انتصف النهار، وانصدع الناس عنه، أقبلت امرأة قد بدا نحرها، تحمل قدحاً ومندبلاً، فتناوله منها فشرب وتوضأ، ثم رفع رأسه فقال: يا بنية خمري عليك نحرك، ولا تخافى على أبيك، قلنا: من هذه؟ قالوا: هذه زينب بنته»<sup>(٢)</sup>.

\* وعن مدرك قال: «حججت مع أبي فلما نزلنا منى إذا نحن بجماعة فقلت لأبي: ما هذه الجماعة، قال: هذا الصابىء فإذا رسول الله ﷺ يقول: (يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)»<sup>(٣)</sup>.

\* وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما، قال: «كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف<sup>(٤)</sup> فيقول: هل من رجل يحملنى إلى قومه، فإن قريشاً منعونى أن أبلغ كلام ربي، عز وجل، فأناه رجل من همدان فقال: ممن أنت؟ فقال الرجل: من همدان. فقال: هل عند قومك من منعة<sup>(٥)</sup>؟ قال: نعم، ثم إن الرجل خشى أن يخفـره<sup>(٦)</sup> قومه. فأتى رسول الله ﷺ فقال: آتيهم أخبرهم، ثم آتيك من قابل، قال: نعم، فانطلق وجاء وفد الأنصار في رجب»<sup>(٧)</sup>.

\* \* \*

(١) رواه أحمد (٦٣/٤) بإسناد جيد - قال الهيثمي (٢٢/٦): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) قال الهيثمي (٢١/٦): رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٣) قال الهيثمي (٢١/٦): رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٤) الموقف: موقف الناس بعرفات في الحج.

(٥) منعة: الحماية.

(٦) يخفـره قومه: ينقضوا عهده وميثاقه.

(٧) رواه أحمد (٣٢٢/٣) وقال الهيثمي في المجمع (٣٥/٦): رواه أحمد ورجاله ثقات.

### إسلام (إياس بن معاذ)

\* عن محمود بن لبيد أخى بنى عبد الأشهل، قال:

«لما قدم أبو الحيسر أنس بن نافع (مكة)، ومعه فتية من بنى عبد الأشهل، فيهم إياس بن معاذ، يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج، سمع بهم رسول الله ﷺ، فأتاهم فجلس إليهم فقال لهم: هل لكم إلى خير مما جئتم إليه؟ قالوا: وما ذلك؟ قال: أنا رسول الله بعثني إلى العباد، أدعو إلى أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وأنزل عليّ كتاباً ثم ذكر الإسلام وتلا عليهم القرآن. قال: فقال إياس بن معاذ، وكان غلاماً حدثاً، أى قومي، هذا والله خير مما جئتم إليه. قال: فأخذ أبو الحيسر أنس بن نافع حفنة من البطحاء، فضرب بها وجه إياس بن معاذ (وقال: دعنا عنك فلعمري لقد جئنا لغير هذا. قال: فصمت إياس)، وقام رسول الله ﷺ عنهم وانصرفوا إلى المدينة، فكانت وقعة بعث<sup>(١)</sup> بين الأوس والخزرج، قال: ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك قال محمود بن لبيد: فأخبرني من حضره من قومي أنهم لم يزالوا يسمعونه يهلل الله ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات، فما كانوا يشكون أن قد مات مسلماً، لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس، حين سمع من رسول الله ﷺ ما سمع<sup>(٢)</sup>».

### إسلام (سويد بن صامت)

\* سويد بن صامت: كان شاعراً لبيياً من سكان يثرب يسميه قومه الكامل؛ لجلده وشعره وشرفه ونسبه، جاء مكة حاجاً أو معتمراً، فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام، فقال: لعل الذي معك مثل الذي معي؛ فقال له رسول الله ﷺ: «وما الذي معك؟» قال: حكمة لقمان، قال: «اعرضها عليّ»، فعرضها، فقال له رسول الله ﷺ: «إن هذا الكلام حسن، والذي معي أفضل من هذا، قرآن أنزله الله تعالى عليّ، هو هدى ونور»، فتلا عليه رسول الله ﷺ القرآن ودعاه إلى الإسلام، فأسلم، وقال: إن هذا لقول حسن، فلما قدم المدينة لم يلبث أن قُتل يوم بعث، وكان إسلامه في أوائل سنة ١١ من النبوة<sup>(٣)</sup>.

(١) بُعث: موضع في المدينة بقرب حصون بنى قريظة.

(٢) قال الهيثمي في المجمع (٣٦/٦): رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات وسنده حسن.

(٣) تاريخ إسلام للنجيب آبادي (١/١٢٥).



## ست نسمات طيبة من أهل يثرب

وفي موسم الحج من سنة ١١ من النبوة.. يوليو سنة ٦٢٠م وجدت الدعوة الإسلامية بذوراً صالحة سرعان ما تحولت إلى شجرات باسقات، اتقى المسلمون في ظلها الوارفة عن لفحات الظلم والطغيان طيلة أعوام.

وكان من حكمته ﷺ إزاء ما كان يلقي من أهل مكة من التكذيب والصد عن سبيل الله أنه كان يخرج إلى القبائل في ظلام الليل، حتى لا يحول بينه وبينهم أحد من أهل مكة المشركين<sup>(١)</sup>.

خرج كذلك ليلة ومعه أبو بكر وعليّ، فمر على منازل ذهل وشيبان بن ثعلبة وكلمهم في الإسلام، وقد دارت بين أبي بكر وبين رجل من ذهل أسئلة وردود طريفة، وأجاب بنو شيبان بأرجى الأجوبة، غير أنهم توقفوا في قبول الإسلام<sup>(٢)</sup>.

ثم مر رسول الله ﷺ بعقبة منى، فسمع أصوات رجال يتكلمون<sup>(٣)</sup>، فعمدهم حتى لحقهم، وكانوا ستة نفر من شباب يثرب، كلهم من الخزرج، وهم:

١ - أسعد بن زرارة (من بنى النجار)

٢ - عوف بن الحارث بن رفاعة، ابن عفراء (من بنى النجار)

٣ - رافع بن مالك بن العجلان (من بنى زريق)

٤ - قطبة بن عامر بن حديدة (من بنى سلمة)

٥ - عقبة بن عامر بن نابي (من بنى حرام بن كعل)

٦ - جابر بن عبد الله بن رثاب (من بنى عبيد بن غنم)

\* قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه قالوا: «لما لقيهم رسول الله ﷺ قال لهم: (من أنتم؟) قالوا: نفر من الخزرج قال: (أمن موالى يهود؟) قالوا: نعم قال: (أفلا تجلسون أكلمكم؟) قالوا: بلى. فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن.

(١) تاريخ إسلام للنقيب آبادي (١/١٢٩).

(٢) مختصر سيرة الرسول للشيخ عبد الله النجدى (ص: ١٥٠).

(٣) رحمة للعالمين (١/٨٤).

قال: وكان مما صنع الله بهم في الإسلام، أن يهود كانوا معهم في بلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا قد عزَّوهم ببلادهم<sup>(١)</sup>، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إن نبياً مبعوث الآن، قد أظل زمانه، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم.

فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر ودعاهم إلى الله. قال بعضهم لبعض: يا قوم، تعلمون والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود، فلا تسبقنكم إليه، فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام.

وقالوا: إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم، فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليه، فلا رجل أعز منك. ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم، وقد آمنوا وصدقوا<sup>(٢)</sup>.

### بيعة العقبة الأولى

قد ذكرنا أن ستة نفر من أهل يثرب أسلموا في موسم الحج سنة ١١ من النبوة، وواعدوا رسول الله ﷺ إبلاغ رسالته في قومهم.

وكان من جراء ذلك أن جاء في الموسم التالي موسم الحج سنة ١٢ من النبوة، يوليو سنة ٦٢١م اثنا عشر رجلاً، فيهم خمسة من الستة الذين كانوا قد اتصلوا برسول الله ﷺ في العام السابق والسادس الذي لم يحضر هو جابر بن عبد الله بن رثاب وسبعة سواهم، وهم:

معاذ بن الحارث وذكوان بن عبد القيس وعبادة بن الصامت ويزيد بن ثعلبة والعباس ابن عبادة بن نضلة وأبو الهيثم بن التيهان وعويمر بن ساعدة<sup>(٣)</sup>.

\* عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: «كنت فيمن حضر العقبة الأولى، وكنا اثني عشر رجلاً فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء، وذلك قبل أن يفترض الحرب،

(١) عزَّوهم: معناه: غلبوهم، ومنه قوله تعالى: ﴿وعزني في الخطاب﴾ [ص: ٢٣].

(٢) أخرجه ابن هشام في السيرة: (٤٢٨/١، ٤٢٩) والبيهقي في الدلائل: (٤٣٣/٢، ٤٣٥) وأبو نعيم في

الدلائل رقم: (٣٢٣) وإسناده حسن رجاله ثقات، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث.

(٣) رحمة للعالمين (٨٥/١).

على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزنى، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتى بيهتان نفترية بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه فى معروف، فإن وفيتم فلكم الجنة، وإن غشيتم<sup>(١)</sup> من ذلك شيئاً فأمركم إلى الله إن شاء عذبكم، وإن شاء غفر لكم<sup>(٢)</sup>.

### سفير الدعوة الأول إلى المدينة

أتم وفد الأنصار هذه البيعة ثم قفل عائداً إلى «يثرب» فرأى النبى أن يبعث معهم أحد الثقات من رجاله، ليتعهد نداء الإسلام فى المدينة، ويقرأ على أهلها القرآن، ويفقههم فى الدين، ووقع اختياره على «مصعب بن عمير» ليكون هذا المعلم الأمين. ونجح «مصعب» أيما نجاح فى نشر الإسلام وجمع الناس عليه، واستطاع أن يتخطى الصعاب التى توجد دائماً فى طريق كل نازح غريب، يحاول أن ينقل الناس من موروثات ألفوها، إلى نظام جديد، يشمل الحاضر والمستقبل، ويعم الإيمان والعمل. والخلق والسلوك<sup>(٣)</sup>.

\* عن طريق ابن إسحاق قال: فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة: «أن رسول الله ﷺ إنما بعث مصعباً حين كتبوا إليه أن يبعثه إليهم، وكان يصلى بهم، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض - أى كره رجال تلك القبيلة أن يؤمهم أحدٌ من القبيلة الأخرى - رضى الله عنهم أجمعين<sup>(٤)</sup>».

\* وقال ابن إسحاق: حدثنى عبيد الله بن المغيرة بن معقيب، وعبد الله بن أبى بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم: أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بنى عبد الأشهل، ودار بنى ظفر، وكان سعد بن معاذ بن النعمان ابن امرئ القيس بن زبير ابن عبد الأشهل ابن خالة أسعد ابن زرارة، فدخل به حائطاً من حوائط بنى ظفر يقال لها: بئر مرق. فجلسا فى الحائط، واجتمع إليهما رجال ممن أسلم، وسعد بن معاذ وأسيد ابن حضير يومئذ سيدا قومهما من بنى عبد الأشهل، وكلاهما مشرك على دين قومه، فلما سمعا به قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير: لا أبأ لك<sup>(٥)</sup>، انطلق إلى هذين

(١) غشيتم: ارتكبتم شيئاً من ذلك.

(٢) أخرجه البخارى (٣٨٩٣) مناقب الأنصار - ومسلم (١٧٠٩) الحدود.

(٣) فقه السيرة للقرالى (ص: ١٧٣، ١٧٤).

(٤) ابن كثير (٢/ ١٨٠) ونسبه إلى البيهقى وسنده حسن رجاله ثقات.

(٥) لا أبأ لك: هذه من عبارات العرب يريدون بها الدعاء على المخاطب، ولا يريدون معناها.

الرجلين اللذين قد أتيا دارينا لِيُسْفها ضعفاءنا، فازجرهما وانهما عن أن أتيا دارينا، فإنه لولا أن أسعد بن زرارة منى حيث قد علمت كفتك ذلك، هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدماً.

قال: فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل إليها، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب ابن عمير: هذا سيد قومه قد جاءك، فاصدق الله فيه؛ قال مصعب: إن يجلس أكلمه.

قال: فوقف عليهما متشتماً<sup>(١)</sup>، فقال: ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة. فقال له مصعب: أو تجلس فسمع فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كُفَّ عنك ما تكره، قال: أنصفت، ثم ركز حربته وجلس إليهما، فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن، فقالا: فيما يذكر عنهما: والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، في إشراقه وتسله، ثم قال: ما أحسن هذا الكلام، وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟

قال له: تغتسل فتطهر وتُطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلى، فقام فاغتسل، وطهر ثوبيه، وتشهد شهادة الحق، ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما: إن ورائي رجلاً إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرسله إليكما الآن، سعد بن معاذ، ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلاً، قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف على النادى قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلمت الرجلين، فوالله ما رأيت بهما بأساً وقد نهيتهما فقالا: نفعنا ما أحببت، وقد حدثت أن بنى حارثة قد خرجوا إلى أسعد ابن زرارة ليقتلوه، وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك، ليخفروك.

قال: فقام سعد مغضباً مبادراً، تخوفاً للذى ذكر له من بنى حارثة، فأخذ الحربة من يده، ثم قال: والله ما أراك أغيت شيئاً، ثم خرج إليهما، فلما رآهما سعد مطمئنين، عرف سعد أن أسيداً إنما أراد منه أن يسمع منهما، فوقف عليهما متشتماً، ثم قال لأسعد ابن زرارة: يا أبا أمامة، (أما والله) لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا منى<sup>(٢)</sup>، أنغشانا في دارينا بما نكره وقد قال أسعد بن زرارة لمصعب بن عمير: أى مصعب، جاءك والله سيد من وراءه من قومه إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان قال: فقال له مصعب:

(١) متشتماً: مطلقاً عبارات السب والشتم.

(٢) ما رمت هذا منى: ما طلبت هذا منى.

أو تقعد فتسمع، فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره. قال سعد: أنصفت، ثم ركز الحربة وجلس، فعرض عليه الإسلام، وقرأ عليه القرآن، قالوا: فعرنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، لإشراقه وتسهله، ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟

قالا: تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلى ركعتين. قالوا: فقام فاغتسل وظهر ثوبيه، وتشهد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته، فأقبل عامداً إلى نادى قومه، ومعه أسيد بن حضير.

قال: فلما رآه قومه مقبلاً: قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم، فلما وقف عليهم قال: يا بنى عبد الأشهل كيف تعلمون أمرى فيكم؟

قالوا: سيدنا (وأوصلنا) وأفضلنا رأياً، وأيمنا نقيية<sup>(١)</sup>، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله.

قالا: فوالله ما أمسى فى دار بنى عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً ومسلمة، ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام، حتى لم يتبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون، إلا ما كان من دار بنى أمية بن زيد، وخطمه، ووائل، وواقف، وهم من الأوس بن حارثة، وذلك أنه كان فيهم أبو قيس ابن الأسلت، واسمه صيفى، وكان شاعراً لهم قائداً يستمعون منه ويطيعونه فوقف بهم عن الإسلام حتى كان بعد الخندق<sup>(٢)</sup>.

### بيعة العقبة الثانية

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال:

«مكث رسول الله ﷺ عشر سنين يتبع الناس فى منازلهم بعكاظ ومجنة<sup>(٣)</sup> وفى الموسم بمنى يقول: من يؤوينى، من ينصرنى حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة، حتى إن

(١) وأيمنا نقيية: منجح الفعال مظفر المطالب. النقيية: النفس، وقيل الطبيعة والخلقة.

(٢) أخرجه ابن إسحاق فى السيرة انظر سيرة ابن هشام: (٤٣٥/١، ٤٣٧) والطبرى فى التاريخ: (٣٥٧/٢)

وسنده حسن، وهو مرسل.

(٣) عكاظ ومجنة: اسما مكانين كانت العرب تقيم بهما سوقاً فى الجاهلية.

الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر (كذا قال): فيأتيه قومه فيقولون: احذر غلام قريش، لا يفتنك، وهو يمشى بين رحالهم، وهم يشيرون إليه بالأصابع، حتى بعثنا الله من يثرب فأويناه، وصدقناه، فيخرج الرجل منا فيؤمن به، ويقرئه القرآن، فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط<sup>(١)</sup> من المسلمين، يظهرن الإسلام، ثم ائتمروا جميعاً.

فقلنا: حتى متى تترك رسول الله ﷺ يطرد في جبال مكة ويخاف. فرحل إليه سبعون رجلاً منا حتى قدموا عليه في الموسم، فواعدناه شعب العقبة، فاجتمعوا عندها من رجل ورجلين، حتى توافينا فقلنا: يا رسول الله على ما نبايعك؟ قال: (تبايعوني على السمع والطاعة في المنشط والكسل، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا لله، لا تخافوا في الله لومة لائم، وعلى أن أن تنصروني فتمنعوني، إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبنائكم ولكم الجنة) قال: فقمنا إليه فبايعناه.

وأخذ بيده أسعد بن زرارة وهو أصغرهم فقال: رويداً يا أهل يثرب، فإننا لم نضرب إليه أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وأن إخراجنا اليوم مفارقة العرب<sup>(٢)</sup> كافة وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف، إما أنتم قوم تصبرون على ذلك وأجركم على الله وإما أنتم تخافون من أنفسكم جبنة فتبينوا ذلك فهو أعذر لكم عند الله. قالوا: أمط<sup>(٣)</sup> عنا يا أسعد، فوالله لا ندع هذه البيعة أبداً، ولا نسلبها<sup>(٤)</sup> أبداً، فبايعناه فأخذ علينا، وشرط، ويعطينا على ذلك الجنة<sup>(٥)</sup>.

### ساعة ثمنها الجنة

\* عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «حملني خالي جد ابن قيس في السبعين راكباً الذين وفدوا على رسول الله ﷺ من قبل الأنصار ليلة العقبة، فخرج علينا رسول الله ﷺ، ومعه عمه العباس بن عبد المطلب فقال: يا عم خذ علي أحوالك، فقال له السبعون: يا محمد سل لربك، ولنفسك ما شئت.

(١) رهط: جماعة دون العشرة.

(٢) مفارقة العرب: قتالهم وعدائهم.

(٣) امط: نح وأبعد.

(٤) نسلبها: نرفضها، نتركها.

(٥) رواه أحمد والبيهقي والحاكم (٢/ ٦٢٤، ٦٢٥) وصححه ووافقه الذهبي.

فقال: (أما الذى أسألكم لربى فتعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأما الذين أسألكم لنفسى فتمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم).

قالوا فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ (قال: الجنة)<sup>(١)</sup>.

\* وعن أنس عن ثابت عن قيس رضى الله عنه: «خطب مقدم النبى ﷺ فقال: إنا نمنعك مما تمنع منه أنفسنا وأولادنا فما لنا يا رسول الله؟

قال: (لكم الجنة). قالوا: رضينا»<sup>(٢)</sup>.

### (كعب بن مالك) يصف هذا الحدث التاريخى العظيم

يقول كعب بن مالك (رضى الله عنه) واصفاً تلك البيعة المباركة:

وخرجنا إلى الحج، وواعدنا رسول الله ﷺ بالعقبة من أوسط أيام التشريق، قال: فلما فرغنا من الحج، وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله ﷺ لها، ومعنا عبد الله بن عمرو ابن حرام أبو جابر، سيد من ساداتنا، وشريف من أشرفنا، أخذناه معنا، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا، فكلمناه وقلنا له: يا أبا جابر، إنك سيد من ساداتنا، وشريف من أشرفنا، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً، ثم دعواناه إلى الإسلام وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ إيانا العقبة.

قال: فأسلم وشهد معنا العقبة، وكان نقيماً.

قال: فنمنا تلك الليلة مع قومنا فى رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ، نتسلل تسلل القطا مستخفين، حتى إذا اجتمعنا فى الشعب عند العقبة، ونحن ثلاث وسبعون رجلاً ومعنا امرأتان من نساتنا نسيه بنت كعب أم عمارة إحدى نساء بنى مازن ابن النجار، وأسماء بنت عمرو بن عدى بن نابتى، إحدى نساء بنى سلمة، وهى أم منيع.

\*\*\*

(١) الطبرانى فى الكبير (١٧٥٧) والصغير (١١٠/٢) والأوسط قال الهيثمى فى المجمع (٤٨/٦، ٤٩) ورجاله ثقات.

(٢) رواه أبو يعلى (٣٧٧٢) والحاكم (٢٣٤/٤) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبى.

## العباس يحضر مع النبي ﷺ ويتوثق له

قال: فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ، حتى جاءنا ومعه (عمه) العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له، فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب، فقال: يا معشر الخزرج (وكانت العرب، إنما يسمون هذا الحى من الأنصار: الخزرج) إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا، ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه، ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم، واللاحق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتكم إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم، فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده.

## هؤلاء هم الرجال

قال: فقلنا له: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت.

قال: فتكلم رسول الله ﷺ، فتلا القرآن، ودعا إلى الله عز وجل، ورغب في الإسلام، ثم قال: (أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم).

قال: فأخذ البراء بن معرور بيده، ثم قال: نعم، والذي بعثك بالحق نبياً، لنمنعك مما تمنع منه أزرنا<sup>(١)</sup>، فبايعنا يا رسول الله ﷺ، فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة<sup>(٢)</sup>، ورثناها كابراً عن كابر.

قال: فاعترض القول، والبراء يكلم رسول الله ﷺ (أبو الهيثم بن التيهان)، فقال: يا رسول الله، إن بيننا وبين الرجال حبلاً، وإننا قاطعوها (يعنى اليهود) فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟

قال فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: (بل الدم الدم، والهدم الهدم<sup>(٣)</sup>) أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتكم، وأسالم من سالمتم).

(١) أزرنا: نساءنا لأن العرب تكنى عن المرأة بالإزار.

(٢) الحلقة: السلاح.

(٣) الهدم الهدم: أى ذمتى ذمتكم، وحرمتى حرمتكم.



وقال رسول الله ﷺ: (أخرجوا لى اثنى عشر نقيباً منكم يكونون على قومهم، فأخرجوا منهم اثنى عشر نقيباً منهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس).

### شيطان يكشف المعاهدة

قال: «كان أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ البراء بن معرور، ثم بايع بعده القوم، فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط: يا أهل الجباحب المنازل هل لكم فى مُذمم<sup>(١)</sup> والصباة<sup>(٢)</sup> معه، قد اجتمعوا على حربكم، فقال رسول الله ﷺ: (هذا أذب العقبة<sup>(٣)</sup>)، هذا ابن أذيب أتسمع أى عدو الله، أما والله لأفرغن لك).

### فطنة النبي ﷺ وحكمته

ثم قال رسول الله ﷺ: (ارفضوا<sup>(٤)</sup> إلى رحالكم). قال: فقال له العباس بن عبادة بن نضله: والله الذى بعثك بالحق: إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيا فنا؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: (لم تؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم). قال: فرجعنا إلى مضاجعنا، فمنا عليها حتى أصبحنا.

### قريش.. وخوفها من تلك البيعة

ولما قرع هذا الخبر أذان قريش وقعت فيهم ضجة أثارت القلاقل والأحزان؛ لأنهم كانوا على معرفة تامة بعواقب مثل هذه البيعة ونتائجها بالنسبة إلى أنفسهم وأموالهم، فما إن أصبحوا حتى توجه وفد كبير من زعماء مكة وأكابر مجرميها إلى مخيم أهل يثرب ليقدم احتجاجه الشديد على هذه المعاهدة.

\* قال كعب: فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش، حتى جاءونا فى منازلنا، فقالوا: يا معشر الخزرج، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين

(١) مذمم: المذموم جداً.

(٢) الصباة: جمع صابىء، وكان يقال للرجل إذا أسلم فى زمن النبي صابىء.

(٣) أذب العقبة: اسم شيطان.

(٤) ارفضوا: تفرقوا.

أظهرنا، وتبايعونه على حربنا، وإنه والله ما من حى من أحياء العرب أبغض إلينا، أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم.

قال: فانبعث من هناك من مشركى قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شىء، وما علمناه، قال: وقد صدقوا، لم يعلموه.

قال: وبعضنا ينظر إلى بعض<sup>(١)</sup>.

### أسماء النقباء

كان نقيب بنى النجار أسعد بن زرارة، وكان نقيب بنى سلمة البراء بن معرور وعبد الله ابن عمرو بن حرام، وكان نقيب بنى ساعدة سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو، وكان نقيب بنى زريق رافع بن مالك بن العجلان، وكان نقيب بنى الحارث بن الخزرج عبد الله بن رواحة، وسعد بن الربيع، وكان نقيب بنى عوف بن الخزرج عبادة بن الصامت، ونقيب بنى عبد الأشهل أسيد ابن حضير وأبو الهيثم بن التيهان، وكان نقيب بنى عمرو بن عوف سعد بن خيثمة.

### تلك هى بيعة العقبة

تلكم بيعة العقبة، وما أبرم فيها من موثيق، وما دار فيها من محاورات.. إن روح اليقين والفداء والاستبسال سادت هذا الجمع وتمشت فى كل كلمة قيلت. وبدا أن العواطف الفائرة ليست وحدها التى توجه الحديث أو تملى العهود... كلا، فإن حساب المستقبل روجع مع حساب اليوم، والمغامر المتوقعة نظر إليها قبل المغانم الموهومة.

فقد جاءوا من «يثرب» مؤمنين أشد الإيمان. ومليين داعى التضحية، مع أن معرفتهم بالنبي ﷺ كانت لمحة عابرة غبرت عليها الأيام وكان الظن بها أن تزول.

لكننا لا يجوز أن ننسى مصدر هذه الطاقة المتأججة من الشجاعة، والثقة، إنه القرآن!! لئن كان الأنصار قبل بيعتهم الكبرى لم يصحبوا الرسول إلا للمأماً، إن الوحي المشع من السماء. أضاء لهم الطريق. وأوضح الغاية.

(١) رواه أحمد (٣/٤٦٠، ٤٦٢) والحاكم (٢/٦٢٤، ٦٢٥) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح.

لقد نزل بمكة قريب من نصف القرآن. سال على ألسنة الحفاظ وتداولته صحائف  
السفرة الكرام البررة. والقرآن النازل بمكة. صورّ جزاء الآخرة رأى العين.

فتوشك أن تمد يدك تقطف من ثمار الجنة. ويستطيع الأعرابي المتعشق للحق أن ينتقل  
في لحظة فداء من رمضاء الجزيرة إلى أنهار النعيم والرحيق المختوم!.

وحكى القرآن أخبار الأولين. كيف أخلص المؤمنون لله فنجوا مع رسلهم وكيف  
طغى الكفار. وأسكروهم الإمهال فتعننوا وتجبروا ثم حل العدل الإلهي.. فذهب الظالمون  
بدداً. وتركوا وراءهم دنيا مدبرة. ودوراً خربة.

فأدبروا ووجوه الأرض تلعنهم كباطل من جلال الحق منهزم...!!

ثم إن الرسول جعل من هذا الإيمان بالحق رباطاً يعقد من تلقاء نفسه صلة الحب  
والتناصر بين أشتات المؤمنين في المشرق والمغرب.

فالمسلم في المدينة وإن لم ير أخاه المستضعف في مكة يحنو عليه ويتعصب له.  
ويغضب من ظالمه. ويقاتل دونه وذلك ما استقدم الأنصار من يثرب تجيش في حناياهم  
مشاعر الولاء. لمن أحبوهم بالغيب في ذات الله.

\* الإيمان بالله، والحب فيه. والأخوة على دينه، والتناصر باسمه، ذلك كله كان  
يتدافع في النفوس المجتمعة في ظلام الليل بجوار مكة السادرة في غيها، يتدافع ليعلم أن  
أنصار الله سوف يحمون رسوله كما يحمون أعراضهم، وسوف يمنونه بأرواحهم فلا  
يخلص إليه أذى وهم أحياء.

إن مشركى مكة حسبوا أنهم حصروا الإسلام في نطاق لا يعدوه، وأرهبوا المسلمين  
حتى شغلواهم بأنفسهم فناموا نومة المجرم الذي اقترف الإثم وأمن القصاص.

حسنت ظنك بالأيام إذ حسنت

ولم تخف سوء ما يأتى به القدر

وسالمتك الليالى فاغتررت بها

وعند صفو الليالى يحدث الكدر

أجل، ففي الليلة تحالف جند الحق أن يقصموا ظهر الوثنية، وأن ينتهوا بالجاهلية  
ورجالها إلى الفناء<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ١٧٧ : ١٧٩) بتصرف.

### فائدة جلييلة

\* لعل أصحاب الفكر المتسرع الذين يظنون أن الإسلام يمكن أن يمكن له بضربة خاطفة يعتبرون بما حدث في هذه البيعة، وكيف أن الأنصار وهم أهل حرب ودراية، وقد عرضوا على رسول الله ﷺ أن يميلوا على أهل الوادى فيقتلونهم، فنهاهم ﷺ عن ذلك وقال: إني لم أؤمر بذلك... فتعجل الثمار قد يضيع الجهد المبذول، ولا تؤتى الحركة الإسلامية ثمارها، وتكون النتيجة خسارة الأفراد الموجودين وضياع دعوتهم في مقابل مصلحة متوهمة وهذا شاهد لقول النبي ﷺ لخباب: «ولكنكم قومٌ تستعجلون»<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

(١) وقفات تربوية (ص: ١٣٢)، والحديث رواه البخارى.

## الهجرة من مكة إلى المدينة

إن نجاح الإسلام في تأسيس وطن له، وسط صحراء تموج بالكفر والجهالة هو أخطر كسب حصل عليه منذ بدأت الدعوة له، وقد تنادى المسلمون من كل مكان: هلموا إلى «يثرب»!! فلم تكن الهجرة تخلصاً فقط من الفتنة والاستهزاء، بل كانت تعاوناً عاماً على إقامة مجتمع جديد في بلد آمن.

وأصبح فرضاً على كل مسلم قادر أن يسهم في بناء هذا الوطن الجديد أن يبذل جهده في تحصينه ورفع شأنه، وأصبح ترك المدينة بعد الهجرة إليها نكوصاً عن تكاليف الحق، وعن نصرة الله ورسوله، فالحياة بها دين، لأن قيام الدين يعتمد على إعزازها<sup>(١)</sup>.

وبعد أن تمت بيعة العقبة الثانية، ونجح الإسلام في تأسيس وطن له وسط صحراء تموج بالكفر والجهالة وهو أخطر كسب حصل عليه الإسلام منذ بداية دعوته أذن رسول الله ﷺ للمسلمين بالهجرة إلى هذا الوطن<sup>(٢)</sup>.

### النبي ﷺ يرى في منامه موطن الهجرة

لم يكن اختيار يثرب داراً للهجرة مما اقتضته ظروف الدعوة فحسب وإنما كان ذلك بوحى من الله جل وعلا.

\* عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (رأيت في المنام أنى أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب وهلى<sup>(٣)</sup> إلى أنها اليمامة أو هجر، فإذا هي يثرب)<sup>(٤)</sup>.

(١) فقه السنة للغزالي (ص: ١٨١).

(٢) الرحيق المختوم (ص: ١٥٨).

(٣) وهلى: اعتقادي. هجر: مدينة معروفة وهى قاعدة البحرين.

(٤) أخرجه البخارى فى مناقب الأنصار باب هجرة النبى وأصحابه، وفى المغازى باب من قتل من المسلمين

يوم أحد رقم: (٤٠٨١) - مسلم فى الرؤيا باب رؤيا النبى ﷺ رقم (٢٢٧٢).

\* وعن عائشة رضی الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ (قد رأيت دار هجرتكم، أُرِيتُ سَبْخَةَ<sup>(١)</sup> ذات نخل بين لابتین وهما حرتان<sup>(٢)</sup>) فخرج من كان مهاجراً قبل المدينة حين ذكر ذلك رسول الله ﷺ.

ورجع إلى المدينة بعض من كان هاجر إلى أرض الحبشة من المسلمين<sup>(٣)</sup>.

### النبي ﷺ يأذن لأصحابه بالهجرة

فأذن رسول الله ﷺ للمسلمين بالهجرة إلى المدينة، فبادر الناس إلى ذلك، فكان أول من خرج إلى المدينة أبو سلمة بن عبد الأسد، وامرأته أم سلمة، ولكنها احتبست دونه، ومنعت من اللحاق به سنة، وحيل بينها وبين ولدها سلمة، ثم خرجت بعد السنة بولدها إلى المدينة، وشيعها عثمان بن أبي طلحة<sup>(٤)</sup>.

ثم خرج الناس أرسالاً يتبع بعضهم بعضاً، ولم يبق بمكة من المسلمين إلا رسول الله ﷺ، وأبو بكر وعلي، أقاما بأمره لهما، وإلا من احتبسه المشركون كرهاً، وقد أعد رسول الله ﷺ جهازه ينتظر متى يؤمر بالخروج، وأعد أبو بكر جهازه<sup>(٥)</sup>.

\*\*\*

(١) السبخة: الأرض المالحة ولا تنبت إلا بعض الشجر.

(٢) الحرة: الأرض ذات الحجارة السود.

(٣) أخرجه أحمد في المسند: (١٩٨/٦) بسند صحيح، والحاكم في المستدرک: (٤، ٣/٢) وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه البخاري تعليقاً في كتاب الكفالة باب جوار أبي بكر.

(٤) أخرجه بن هشام في «السيرة» (٤٦٩/١) عن ابن إسحاق، عن أبيه، عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة عن جدته أم سلمة.. ورجاله ثقات... وعثمان بن أبي طلحة كان يوم هجرته بأمر سلمة على الكفر، وإنما أسلم في هدنة الحديبية، وهاجر قبل الفتح هو وخالد بن الوليد معاً، وقتل يوم أحد أبوه وإخوته الحارث وكلاب ومسافع وعمه عثمان بن أبي طلحة، ودفع إليه رسول الله ﷺ يوم الفتح وإلى ابن عمه شيبه مفاتيح الكعبة أقرها عليهم في الإسلام كما كانت في الجاهلية، ونزل قول الله تعالى في ذلك: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ واستشهد عثمان رحمه الله بأجنادين في أول خلافة عمر.

(٥) زاد المعاد (٤٩/٣)، (٥٠).

## السابقون إلى الهجرة

\* عن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال: «أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، فجعلنا يُقرئنا القرآن، ثم جاء عمار وبلال وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب فى عشرين، ثم جاء النبي ﷺ فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به، حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون: هذا رسول الله ﷺ قد جاء»<sup>(١)</sup>.

### • كيف نجمع بين الروايتين:

لقد جاء فى بعض الروايات أن أول من هاجر (أبو سلمة) وجاء فى بعضها أن أول من قدم المدينة (مصعب بن عمير).. ولقد جمع الحافظ ابن حجر بين الروايتين فقال: لقد جزم ابن عقبة بأن أول من قدم المدينة من المهاجرين مطلقاً أبو سلمة بن عبد الأسد، وكان رجع من الحبشة إلى مكة فأوذى بمكة فبلغه ما وقع للثلاثى عشر من الأنصار فى العقبة الأولى فتوجه إلى المدينة فى أثناء السنة، فيُجمع بين ذلك وبين ما وقع هنا بأن أبا سلمة خرج لا لقصد الإقامة بالمدينة بل فراراً من المشركين، بخلاف مصعب ابن عمير فإنه خرج إليها للإقامة بها وتعليم من أسلم من أهلها بأمر النبي ﷺ فلعل أولية من جهة<sup>(٢)</sup>.

## إنه الإيمان الذى يزن الجبال

ليست الهجرة انتقال موظف من بلد قريب إلى بلد ناء، ولا ارتحال طالب قوت من أرض مجدبة إلى أرض مخصبة.

إنها إكراه رجل آمن فى سربه، ممتد الجذور فى مكانه، على إهدار مصالحه والتضحية بأمواله والنجاة بشخصه فحسب، وإشعاره وهو يصفى مركزه بأنه مُستباحٌ منهوب، قد يهلك فى أوائل الطريق أو نهايتها. وبأنه يسير نحو مستقبل مبهم، لا يدري ما يتمخض عنه من قلاقل وأحزان، ولو كان الأمر مغامرة فرد بنفسه لقليل: مغامر طياش، فكيف وهو ينطلق فى طول البلاد وعرضها، يحمل أهله وولده؟ وكيف وهو بذلك رضى الضمير، وضأ الوجه؟!

(١) أخرجه البخارى (٣٩٢٤، ٣٩٢٥) مناقب الأنصار - والحاكم (٣/٦٣٤).

(٢) فتح البارى (٧/٣٠٦، ٣٠٧).

إنه الإيمان الذي يزن الجبال ولا يطيش! وإيمان بمن؟ بالله الذي له ما فى السموات وما فى الأرض، وله الحمد فى الأولى والآخرة، وهو الحكيم الخبير.

هذه الصعاب لا يطيقها إلا مؤمن، أما الهَيَّابُ الخَوَّارُ القَلَقُ، فما يستطيع شيئاً من ذلك إنه من أولئك الذين قال الله فيهم: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ ائْتُوا مِن دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ...﴾ [النساء: ٦٦] (١).

### هجرة أبى سلمة وزوجه رضى الله عنهما

وقد ذكرت المصادر المعتمدة الكثير من المعلومات عن أساليب قريش فى محاولتها عرقلة هجرة المسلمين إلى يثرب، وإثارته للمشاكل فى وجه المهاجرين من الإرهاب، وحجز الزوجات والأطفال، وسلب الأموال، أو الاحتيال لإعادة من هاجر منهم، غير أن ذلك لم يعرقل موكب الهجرة. فقد كان المهاجرون على استعداد تام للانخلاع عن الدنيا ومباهجها فى سبيل الفرار بدينهم. والمصادر الموثقة تحكى قصص البطولة والفداء فى هذا المجال، فقد ذكرت أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها قصة هجرتها مع زوجها الأول، وكيف أن قريشا انتزعتها وطفلها من زوجها (٢).

\* عن سلمة بن عبد الله عمر بن أبى سلمة، عن جدته، زوج النبي ﷺ، قالت: «لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لى بعيه ثم حملنى عليه، وحمل معى ابنى سلمة بن أبى سلمة فى حجرى، ثم خرج بى يقود بى بعيه فلما رأته رجال بنى المغيرة ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم قاموا إليه، فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتك هذه؟ - يعنى: زوجتك - علام نتركك تسير بها فى البلاد؟

قالت: فنزعوا خظام البعير (٣) من يده، فأخذونى منه. قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد، رهط أبى سلمة، فقالوا: لا والله لا نترك ابنا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا، قالت: فتجاذبوا ابنى سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسنى بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجى أبو سلمة إلى المدينة، قالت: ففرق بينى وبين زوجى وبين ابنى.

(١) فقه السيرة للغزالي (ص ١٨٢، ١٨٣).

(٢) نضرة النعيم (١/٢٥٦).

(٣) الخظام: الحبل الذى يربط به البعير.



قالت: فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح<sup>(١)</sup>، فما أزال أبكى، حتى أمسى سنة أو قريباً منها حتى مر بي رجل من بنى عمى (أحد بنى المغيرة)، فرأى ما بي فرحمني، فقال لبنى المغيرة: ألا تخرجون هذه المسكينة، فرقمتم بينها وبين زوجها وبين ولدها! قالت: فقالوا لي: الحقى بزوجك إن شئت.

قالت: وردَّ بنو عبد الأسد إلىَّ عند ذلك ابني. قالت: فارتحلت بعيري ثم أخذت ابني فوضعتة في حجرى، ثم خرجت أريد زوجى بالمدينة. قالت: وما معى أحد من خلق الله، قالت: فقلت: أتبلغ<sup>(٢)</sup> بمن لقيت حتى أقدم على زوجى، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبى طلحة، أخا بنى عبد الدار، فقال لى: إلى أين يا بنت أبى أمية؟

قالت: فقلت: أريد زوجى فى المدينة. قال: أو ما معك أحد؟ قالت: لا والله، إلا الله وبنى هذا.

قال: والله مالك من مترك، فأخذ بخظام البعير، فانطلق معى يهوى بى<sup>(٣)</sup>، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قط، أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بى، ثم استأخر عنى، حتى إذا نزلت استأخر بعيرى.

فحط عنه، ثم قيده فى الشجرة، ثم تنحى عنى إلى شجرة، فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح، قام إلى بعيرى فقدمه فرحله، ثم استأخر عنى، وقال: اركبى، فإذا ركبت واستويت على بعيرى أتى فأخذ بخظامه، فقاده، حتى ينزل بى... يصنع ذلك بى حتى أقدمنى المدينة، فلما نظر إلى قرية بنى عمرو بن عوف بقاء. قال: زوجك فى هذه القرية (وكان أبو سلمة نازلاً) فادخلها على بركة الله، ثم انصرف راجعاً إلى مكة.

قال: فكانت تقول: والله ما أعلم أهل بيت فى الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبى سلمة، وما رأيت صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن طلحة<sup>(٤)</sup>.

\*\*\*

(١) الأبطح: اسم مكان فى مكة.

(٢) أتبلغ: ما يستعان به للوصول إلى الهدف المقصود.

(٣) يهوى بى: يسير بى.

(٤) ابن هشام فى السيرة: (١/٤٦٩، ٤٧٠) من طريق ابن إسحاق وقد صرح بالسماع وسنده رجاله ثقات

فالحديث صحيح.

## قصة عياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص

\* عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: «اجتمعنا للهجرة أوعدت أنا وعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص الميضاة<sup>(١)</sup>، ميضاة بنى غفار فوق سرف<sup>(٢)</sup>، وقلنا: أيكم لم يصبح عندهما فقد احتبس فليمض صاحباه، فحبس عنا هشام بن العاص، فلما قدمنا منزلنا فى بنى عمرو بن عوف، وخرج أبو جهل ابن هشام والحارث بن هشام إلى عياش ابن أبي ربيعة وكان ابن عمهما، وأخاهما لأمهما، حتى قدما علينا المدينة فكلماهم فقالا له: إن أمك نذرت أن لا تمس رأسها مشط حتى تراك، فرق لها.

فقلت له: يا عياش والله إن يردك القوم إلا عن دينك فاحذرهم، فوالله لو قد أدى أمك القمل لامتشطت، ولو قد اشتد عليها حر مكة أحسبه قال لامتشطت، قال: إن لى هناك مالا فأخذه قال: قلت: والله إنك لتعلم أنى من أكثر قريش مالا فلك نصف مالى، ولا تذهب معهما، فأبى إلا أن يخرج معهما، فقلت له: لما أبى على: أما إذا فعلت فخذ ناقتى هذه، فإنها ناقة ذلول فالزم ظهرها فإن رابك من القوم ريب فأنخ عليها.

فخرج معهما عليها حتى إذا كان ببعض الطريق قال أبو جهل بن هشام: والله لقد استبطأت بغيرى هذا، أفلا تحملنى على ناقتك هذه. قال: بلى فأناخ وأناخا ليتحول عليها، فلما استووا بالأرض عديا عليه فأوثقاه، ثم أدخلاه مكة وفتناه فافتتن، قال: فكنا نقول: والله لا يقبل الله ممن افتتن صرفاً ولا عدلاً، ولا يقبل توبة قوم عرفوا الله، ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم.

قال: وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، أنزل الله عز وجل فيهم وفى قولنا لهم وقولهم لأنفسهم: ﴿يَا عِبَادِ الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: ٥٣ - ٥٥].

قال عمر: فكتبتها فى صحيفة وبعثت بها إلى هشام بن العاص، قال هشام: فلم أزل أقرؤها بذى طوى أصعد بها فيه حتى فهمتها، قال: فألقى فى نفسى أنها إنما نزلت

(١) ميضاة: الغدير الذى يجمع فيه ماء المطر.

(٢) سرف: موضع بين مكة والمدينة.

فيها، وفيما كنا نقول في أنفسنا، ويقال فينا، فرجعت فجلست على بعيري، فلحقت برسول الله ﷺ بالمدينة<sup>(١)</sup>.

### هجرة رغم أنوف المشركين

وعندما أراد عمر رضی الله عنه أن يهاجر خلف الحبيب ﷺ وقف أمام المشركين موقفاً أذلّ فيه أنوفهم وأظهر عجزهم وألقى الرعب في قلوبهم.

فعن ابن عباس رضی الله عنهما قال: قال لى عليّ بن أبي طالب: ما علمت أن أحداً من المهاجرين هاجر إلا مختفياً إلا عمر بن الخطاب، فإنه لما همّ بالهجرة تقلّد سيفه، وتنكّب قوسه، وانتضى في يديه أسهماً، واختصر عنزته<sup>(٢)</sup>، ومضى قبل الكعبة، والملا من قريش بفنائها، فطاف بالبيت سبعاً متمكناً، ثم أتى المقام فصلّى ركعتين، ثم وقف على الحلق واحدة واحدة، وقال لهم: شأهت الوجوه<sup>(٣)</sup>، لا يرغم الله إلا هذه المعاطس<sup>(٤)</sup>، من أراد أن تشكله أمه، ويؤتم ولده، ويرمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادى.

قال عليّ: فما تبعه أحد إلا قوم من المستضعفين علمهم، وأرشدهم، ومضى لوجهه<sup>(٥)</sup>.

### وقفة جلييلة

\* قد يخطر على بال المسلم أن يقارن بين هجرة عمر بن الخطاب رضی الله عنه وهجرة النبي ﷺ، ويتساءل: لماذا هاجر عمر علانية متحدياً المشركين دون أى خوف ووجل، على حين هاجر رسول الله مستخفياً محتاطاً لنفسه؟ أكون عمر بن الخطاب أشد جراً من النبي ﷺ؟!؟

والجواب: أن عمر بن الخطاب أو أى مسلم آخر غير رسول الله ﷺ يعدّ تصرفه تصرفاً شخصياً لا حجة تشريعية فيه، فله أن يتخير من الطرق والوسائل والأساليب ما

(١) رواه البزار والحاكم (٤٣٥/٢) وصححه وأقره الذهبى.

(٢) العنزة: مثل نصف الرمح أو أكبر شيئاً واختصرها - أى أمسكها بيده - وقيل هى أطول من العصا، وأقصر من الرمح.

(٣) شأهت: قبحت، رجل أشوه، أو امرأة شوهاه، إذا كانت قبيحة (انظر اللسان ٤/٢٣٦٥).

(٤) المعاطس: الأنوف، واحدها معطس؛ لأنه العطاس يخرج منها (انظر اللسان ٤/٢٩٩٥).

(٥) أسد الغابة لابن الأثير (٤/١٤٤، ١٤٥) بسند صحيح.

يحلوه له وما يتفق مع قوة جرأته وإيمانه بالله تعالى.

أما رسول الله ﷺ ، فهو مُشْرَعٌ ، أى إن جميع تصرفاته المتعلقة بالدين تعتبر تشريعاً لنا، ولذلك كانت سنته التى هى المصدر الثانى من مصادر التشريع مجموع أقواله وأفعاله وصفاته وتقديره. فلو أنه فعل كما فعل عمر، لحسب الناس أن هذا هو الواجب!.. وأنه لا يجوز أخذ الحيطة والحذر، والتخفى عند الخوف. مع أن الله عز وجل أقام شريعته فى هذه الدنيا على مقتضى الأسباب ومسبباتها، وإن كان الواقع الذى لا شك فيه أن ذلك بتسبيب الله تعالى وإرادته.

لأجل ذلك، استعمل الرسول ﷺ كل الأساليب والوسائل المادية التى يهتدى إليها العقل البشرى فى مثل هذا العمل، حتى لم يترك وسيلة من هذه الوسائل إلا اعتد بها واستعملها، فترك على بن أبى طالب ينام فى فراشه ويتغطى ببيده، واستعان بأحد المشركين بعد أن أمته ليدله على الطرق الفرعية التى قد لا تخطر فى بال الأعداء، وأقام فى الغار ثلاثة أيام متخفياً، إلى آخر ما عبأه من الاحتياطات المادية التى قد يفكر بها العقل، ليوضح بذلك أن الإيمان بالله عز وجل لا ينافى استعمال الأسباب المادية التى أراد الله عز وجل بعظيم حكمته أن يجعلها أسباباً<sup>(١)</sup>.

### (سالم مولى أبى حذيفة) يؤم المسلمين قبل مقدم النبى ﷺ

\* عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: «لما قدم المهاجرون الأولون العصابة - موضع بقباء - قبل مقدم رسول الله ﷺ ، كان يؤمهم سالم مولى أبى حذيفة، وكان أكثرهم قرأنا»<sup>(٢)</sup>.

### هجرة الرسول ﷺ وصاحبه (رضى الله عنه)

وهكذا أخذ المهاجرون يتركون «مكة» زرافات ووحداً. حتى كادت مكة تخلو من المسلمين. وشعرت قريش بأن الإسلام أضحت له دار يارز إليها وحصن يحتمى به وتوجست خيفة من عواقب هذه المرحلة الخطيرة فى دعوة محمد. وهاجت فى دماؤها غرائز السبع المفترس حين يخاف على حياته.

(١) فقه السيرة للبوطى (ص: ١٣٧، ١٣٨).

(٢) أخرجه البخارى (٦٩٢) الصلاة.

إن محمداً ﷺ لا يزال في مكة، وهو - لا بد - مُدرك أصحابه اليوم أو غداً، فلتعجل به قبل أن يستدير إليها<sup>(١)</sup>.

### الإذن للنبي ﷺ بالهجرة

\* عن ابن عباس رضی الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ بمكة فأمر بالهجرة وأنزل عليه ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠]»<sup>(٢)</sup>.

\* وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن النبي ﷺ في الهجرة فيقول له الرسول ﷺ: لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً.. فيطمع أبو بكر أن يكونه.

### جبريل (عليه السلام) يخبر النبي ﷺ بصحبة أبي بكر

\* عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أن النبي ﷺ قال لجبريل: (من يهاجر معي؟ قال: أبو بكر الصديق)<sup>(٣)</sup>.

### في دار الندوة

وبينما كان النبي ﷺ يُعد نفسه للهجرة وإذا بالمشركين يدبرون تلك المؤامرة الحقيرة لقتل النبي ﷺ.

\* قال الشيخ الغزالي: واجتمع طواغيت «مكة» في دار الندوة، ليتخذوا قراراً حاسماً في هذا الأمر. فرأى بعضهم أن توضع القيود في يد محمد ﷺ ويُشد وثاقه. ويرمى به في السجن لا يصله منه إلا الطعام، ويترك على ذلك حتى يموت.

ورأى آخر أن يُنفى من مكة فلا يدخلها. وتنفض قريش يديها من أمره..

وقد استبعد هذان الاقتراحان لعدم جدواهما. واستقر الرأي على الاقتراح الذي أبداه «أبو جهل» قال أبو جهل: أرى أن تأخذوا من كل بطن من قريش شاباً نسيباً وسطاً فتياً. ثم نعطى كل فتى سيقاً صارماً، ثم يضربونه - جميعاً - ضربة رجل واحد، فإذا قتلوه

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ١٨٤).

(٢) رواه الترمذی (٣١٣٩) والحاكم (٣/٣) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

(٣) الحاكم في المستدرک: (٥/٣) وقال صحيح الإسناد والمتن ووافقه الذهبي وقال صحيح غريب.

تفرق دمه في القبائل كلها، ولا أظن بنى هاشم يقوون على حرب قريش كافة، فإذا لم يبق أمامهم إلا الدية أديناها.

ورضى المؤتمرون بهذا الحل للمشكلة التي حيرتهم: وانصرفوا ليقوموا على إنفاذه وقد أشار القرآن إلى تدبير هذه الجريمة بقوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠] (١).

### على (رضى الله عنه) ينام على فراش النبي ﷺ ليلة الهجرة

وفي ليلة الهجرة اجتمع المشركون على باب رسول الله ﷺ يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال لعلي بن أبي طالب: «نم على فراشي، وتسبح ببردى هذا الحضرمي الأخضر، فم فيه فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم». وكان رسول الله ﷺ ينام في برده ذلك إذ ينام.

ثم خرج رسول الله ﷺ وهو يتلو هذه الآيات: ﴿يَسْ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾ إلى قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ١-٩] ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابًا، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب، فأناهم أت ممن لم يكن معهم فقال: ما تنتظرون هاهنا؟ قالوا: محمدًا. قال خبيكم الله، قد والله، خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه ترابًا، وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟ قال: فوضع كل رجل منهم يدًا على رأسه، فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يتطلعون، فيرون عليًا على الفراش متسجياً ببرد رسول الله ﷺ فيقولون: والله، إن هذا لمحمد نائمًا على برده فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا، فقام (على) عن الفراش، فقالوا: والله، لقد صدقنا الذي كان حدثنا (٢).

حمى المغوار حيدرة (٣) الدعوة في شخص نبيها ﷺ ونام في فراشه في أصعب ليلة

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ١٨٥).

(٢) أخرجه ابن هشام في السيرة: (٤٨٣/١) وإسناده رجاله ثقات وهو مرسل حسن، وأخرجه الطبري في تاريخه: (٣٧٣/٢) وأبو نعيم في الدلائل (ص: ٦٤) وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث، وله شاهد من حديث ابن عباس رقم: (١٥٥، ١٥٨) وبه يكون الحديث حسنًا.

(٣) هو اسم علي بن أبي طالب قال:.

مرّت بها الدعوة، رجل ينام فى الفراش وهو يعلم أن على الباب رجالاً لا يريدون إلا رأس النائى على الفراش، فلما قلق به الفراش ليلة من أجل نبيه، أسعد الله فراشه بفاطمة بنت نبيه ﷺ التى تجلبت فى جلباب كمالها. وأعطاه الرسول ﷺ الأهل والمرحب، وأصدقه درعه الحطمية، فأهديت إليه ومعها خميلة ومرفقة من آدم - جلد - حشوها ليف، وقربة ومنخل وقدر ورحى وجرابان. ودخلت عليه وما لها فراش غير جلد كبش ينامان عليه بالليل وتعلق عليه الناضح بالنهار، وكانت هى خادمة نفسها. تالله، ما ضرها ذلك.

وفى الصحيحين عن المسور بن مخرمة أن رسول الله ﷺ قال لها: «ألا ترضين أن تكونى سيدة نساء هذه الأمة أو نساء المؤمنين».

وفى الصحيحين عن المسور بن مخرمة أن رسول الله ﷺ قال: «فاطمة بضعة منى فمن أغضبها أغضبني».

\* وعن أنس (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة؛ علىّ وعمّار وسلمان»<sup>(١)</sup>. ونعم الجزاء<sup>(٢)</sup>.

\* وفى رواية: عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: «شرى (علىّ) نفسه، ولبس ثوب النبى ﷺ، ثم نام مكانه: وكان المشركون يرمون<sup>(٣)</sup> رسول الله ﷺ، وقد كان رسول الله ﷺ ألبسه بردة، وكانت قريش تريد أن تقتل النبى ﷺ، فجعلوا يرمون عليّاً، ويرونه النبى ﷺ، وقد لبس بُرده، وجعل (علىّ) رضى الله عنه يتضور<sup>(٤)</sup> فدخلوا فإذا هو (علىّ) فقالوا: إنك للثيم إنك لتتضور، وكان صاحبك لا يتضور، ولقد استنكرناه منك»<sup>(٥)</sup>.

\* إن الجندى الصادق المخلص لدعوة الإصلاح يفدى قائده بحياته فى سلامة القائد سلامة للدعوة وفى هلاكه خذلانها ووهنها، فما فعله (علىّ) رضى الله عنه ليلة الهجرة من بيّاته على فراش الرسول ﷺ تضحية بحياته فى سبيل الإبقاء على حياة رسول الله

(١) رواه الترمذى والحاكم فى المستدرک عن أنس، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٥٩٨).

(٢) أصحاب الرسول ﷺ / للمنصف (١/ ٢٢٩، ٢٣٠).

(٣) يرمون رسول الله ﷺ: يعنى بالحجارة.

(٤) يتضور: يتأوه ويضح من الألم لإصابة الحجارة له.

(٥) أخرجه الحاكم فى المستدرک: (٤/ ٣) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقد رواه أبو داود الطيالسى وغيره عن أبى عوانة بزيادة الفاظ، ووافقه الذهبى.

ﷺ إذ كان من المحتمل أن تهوى سيوف فتیان قريش على رأس (على) رضى الله عنه انتقاماً منه، لأنه سهل لرسول الله ﷺ النجاة، ولكن علياً رضى الله عنه لم يبال بذلك فحسبه أن يسلم رسول الله ﷺ نبي الأمة وقائد الدعوة<sup>(١)</sup>.

### وها هو حديث الهجرة المباركة

ففى الحديث الذى رواه البخارى عن عائشة رضى الله عنها - بعد أن ذكرت قصة جوار ابن الدغنة لأبى بكر وردّه جواره عليه - قالت:

وتجهّز أبو بكر قبل المدينة، فقال له رسول الله ﷺ على رسلك، فإنى أرجو أن يؤذَنَ لى. فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبى أنت؟ قال: نعم. فحسب أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمُر - وهو الخبط - أربعة أشهر. قالت عائشة: فبينما نحن يوماً جلوساً فى بيت أبى بكر فى نحر الظهرية قال قائل لأبى بكر هذا رسول الله ﷺ متقنعاً - فى ساعة لم يكن يأتينا فيها - فقال أبو بكر: فداء له أبى وأمى، والله ما جاء به فى هذه الساعة إلا أمر. قالت: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن، فأذن له، فدخل فقال النبى ﷺ لأبى بكر: أخرج من عندك، فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبى أنت يا رسول الله، قال: فإنى قد أذن لى فى الخروج. فقال أبو بكر: الصحابة بأبى أنت يا رسول الله. قال رسول الله ﷺ نعم. قال أبو بكر: فخذ بأبى أنت يا رسول الله إحدى راحلتى هاتين. قال رسول الله ﷺ بالثمن. قالت عائشة: فجهزناهما أحثّ الجهاز، وصنعنا لهما سفرةً فى جراب، ففقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعةً من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاق.

### فى الغار

وسارت الأمور على ما قدرا، وكان أبو بكر قد أمر ابنه عبد الله أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون فى ذلك اليوم من أخبار. وأمر عامر بن فهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما إذا أمسى فى الغار. فكان عبد الله ابن أبى بكر فى قريش يسمع ما يأترون وما يقولون فى شأن رسول الله ﷺ وأبى بكر. ثم يأتيهما إذا أمسى فيقص عليهما ما علم، وكان عامر فى رعيان أهل مكة، فإذا أمسى

(١) السيرة النبوية - دروس وعبر/ د. مصطفى السباعى (ص: ٦٧: ٦٨).



أراح عليهما غنم أبي بكر فاحتلبا وذبحا، فإذا غدا عبد الله من عندهم إلى مكة، اتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم، يعفى عليه - يعنى يخفى أثره -.

وتلك هي الحيلة البالغة. كما تفرضها الضرورات المعتادة على أى إنسان<sup>(١)</sup>.

✽ عن عائشة رضى الله عنها قالت: «ثم لحق رسول الله وأبو بكر بغار فى جبل ثور، فكنا فيه ثلاث ليال، يبيت عندهما عبد الله ابن أبى بكر وهو غلام شاب ثقف<sup>(٢)</sup> لقن<sup>(٣)</sup>، فيدلج<sup>(٤)</sup> من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كبائت، فلا يسمع أمراً يكتادان<sup>(٥)</sup> به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر ابن فهيرة مولى أبى بكر منحة من غنم، فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان فى رسل - وهو لبن منحتهما ورضيفهما<sup>(٦)</sup> - حتى ينق<sup>(٧)</sup> بها عامر بن فهيرة بغلس<sup>(٨)</sup>، يفعل ذلك فى كل ليلة من تلك الليالى الثلاث... واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بنى الدليل، وهو من بنى عبد بن عدى هادياً خريئاً - والخريت الماهر بالهداية - قد غمس حلقاً فى آل العاص بن وائل السهمى، وهو على دين كفار قريش، فأمناه، فدفعنا إليه راحلتيهما، وواعدها غار ثور بعد ثلاث ليال براحتيهما صبح ثلاث، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل، فأخذ بهم طريق السواحل»<sup>(٩)</sup>.

### محبة تفوق الخيال

✽ عن محمد بن سيرين قال: «ذكر رجال على عهد عمر رضى الله عنه، فكانهم فضلوا عمر على أبى بكر رضى الله عنهما، قال: فبلغ ذلك عمر رضى الله عنه، فقال: والله لليلة من أبى بكر خير من آل عمر، وليوم من أبى بكر، خير من آل عمر، لقد خرج رسول الله ﷺ لينطلق إلى الغار ومعه أبو بكر فجعل يمشى ساعة بين يديه وساعة خلفه

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ١٩١).

(٢) ثقف: حاذق.

(٣) لقن: سريع الفهم.

(٤) يدلج: يخرج.

(٥) يكتادان: يطلب لهما فيه المكروه، وهو من الكيد.

(٦) رضيفهما: اللبن المرصوف: أى الذى وضعت فيه الحجارة المحماة بالشمس والنار لينعقد وتزول رخاوته.

(٧) ينق: يصيح.

(٨) غلس: آخر الليل إذا اختلط بضوء الصباح.

(٩) أخرجه البخارى (٣٩٠٥) مناقب الأنصار.

حتى فطن رسول الله ﷺ فقال: (يا أبا بكر مالك تمشى ساعة بين يدي وساعة خلفي؟) فقال: يا رسول الله! أذكر الطلب<sup>(١)</sup> فأمشى خلفك، ثم اذكر الرصد<sup>(٢)</sup> فأمشى بين يديك، فقال: (يا أبا بكر، لو كان شيء أحببت أن يكون بك دوني)، قال: نعم والذي بعثك بالحق ما كانت لتكون من ملامة<sup>(٣)</sup> إلا أن تكون بي دونك، فلما انتهى إلى الغار، قال أبو بكر: مكانك يا رسول الله حتى استبرئ<sup>(٤)</sup> لك الغار، فدخل واستبرأ حتى إذا كان في أعلاه، ذكر أنه لم يستبرئ الحجرة، فقال: مكانك يا رسول الله حتى استبرئ الحجرة، فدخل واستبرأ ثم قال: انزل يا رسول الله، فنزل فقال عمر: والذي نفسى بيده لتلك الليلة خير من آل عمر<sup>(٥)</sup>.

### وما يعلم جنود ربك إلا هو

\* عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: فى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠] قال: «تشاورت قريش ليلة بمكة، فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق - يريدون النبي ﷺ - وقال بعضهم: بل اقتلوه، وقال بعضهم: بل أخرجوه، فأطلع الله - عز وجل - نبيه على ذلك، فبات (على) على فراش النبي ﷺ تلك الليلة، وخرج النبي حتى لحق بالغار، وبات المشركون يحرسون علياً يحسبونه النبي ﷺ .

فلما أصبحوا ثاروا إليه فلما رأوه علياً رد الله مكرهم، فقالوا: أين صاحبك هذا؟ قال: لا أدري، فاقصصوا أثره، فلما بلغوا الجبل، خلط عليهم، فصعدوا فى الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابة نسج العنكبوت، فقالوا: لو دخل ها هنا لم يكن نسج العنكبوت على بابة فمكث فيه ثلاث ليال<sup>(٦)</sup>.

(١) الطلب: المطاردين.

(٢) الرصد: الكمين.

(٣) ملامة: المصيبة.

(٤) استبرئ: استكشف.

(٥) أخرجه الحاكم فى المستدرک: (٦/٣) وقال: حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين لولا إرسال فيه لم يخرجاه ووافقهم الذهبى، وقال: صحيح مرسل.

(٦) أخرجه أحمد فى المسند: (٣٤٨/١) عبد الرزاق فى المصنف: (٥/٣٨٩) برقم: (٩٧٤٣) والخطيب فى تاريخه: (١٩١/١٣) والطبرانى فى الكبير برقم: (١٢١٥٥) وذكره الحافظ فى الفتح: (٢٣٦/٧) وقال: سنده حسن وحسنه الزرقانى فى شرح المواهب (١/٣٢٣)، وحسن إسناده أيضاً ابن كثير فى السيرة: (٢/٢٣٩) وقال: «إسناد حسن وهو من أجود ما روى فى قصة نسج العنكبوت على فم الغار»، وقد ضعفه الشيخ الألبانى - رحمه الله - والله أعلم.

\* والجنود التي يُخذل بها الباطل ويُنصر بها الحق ليست مقصورة على نوع معين من السلاح ولا صورة خاصة من الخوارق. إنها أعم من أن تكون مادية أو معنوية وإذا كانت مادية فإن خطرهما لا يتمثل في ضخامتها، فقد تفتك جرثومة لا تراها العين بجيش ذى لجب ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر: ٣١].

ومن صنع الله لنبيه أن تعمى عنه عيون عداته وهو منهم على مد الطرف، ولم يكن ذلك محاباة من القدر لقوم فرطوا في استكمال أسباب النجاة، بل هو مكافأة القدر لقوم لم يدعوا وسيلة من وسائل الحذر إلا اتخذوها، وكم من خطة يضعها أصحابها فيبلغون بها نهاية الإتقان تمر بها فترات عصيبة لأمر فوق الإرادة أو وراء الحسبان ثم تستقر أخيراً وفق مقتضيات الحكمة العليا وفي حدود قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١، ٢٢] (١).

### ما ظنك باثنين الله ثالثهما

\* فمكثنا في الغار ثلاث ليالٍ حتى خمدت عنهما نار الطلب، فجاءهما عبد الله بن أريقط بالراحتين، فارتحلا، وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة، وسار الدليل أمامهما، وعين الله تكلؤهما، وتأيبده يصحبهما، وإسعاده يرحلهما وينزلهما (٢).

\* وقررت قريش في جلسة طارئة مستعجلة استخدام جميع الوسائل التي يمكن بها القبض على الرجلين، فوضعت جميع الطرق النافذة من مكة (في جميع الجهات) تحت المراقبة المسلحة الشديدة، كما قررت إعطاء مكافأة ضخمة قدرها مائة ناقة بدل كل واحد منهما لمن يعيدهما إلى قريش حين أو ميتين، كائناً من كان (٣).

\* وانطلق مشركوا مكة في آثار المهاجرين يرصدون الطرق، ويفتشون كل مهرب وراحوا ينقبون جبال مكة وكهوفها، حتى وصلوا - في دأبهم - قريباً من غار ثور، وأنصت الرسول ﷺ وصاحبه إلى أقدام المطاردين، تخفق إلى جوارهم فأخذ الروع أبا بكر، وهمس يحدث رسول الله ﷺ: لو نظر أحدهم تحت قدمه لرآنا. فقال الرسول ﷺ: «يا أبا بكر.. ما ظنك باثنين الله ثالثهما» (٤).

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ١٩٢).

(٢) زاد المعاد (٣/ ٥٤).

(٣) أخرجه البخاري (٣٩٠٦) وأحمد (٤/ ١٧٥).

(٤) أخرجه البخاري (٧/ ٢٠٧) ومسلم (٧/ ١٠٩).

\* وما أحرانا نحن وقد شهدنا عبقرية التخطيط للهجرة أن لا تغيب عنا هذه الجوانب الثلاثة:

أولاً: علينا أن نستفرغ الوسع ونبذل كل الطاقة في التخطيط البشرى.

ثانياً: أن يكون اتكالنا على الله تعالى دون اعتمادنا على الأسباب.

ثالثاً: أن نقبل قضاء الله وقدره فيما هو فوق طاقتنا، ونطمئن إلى أنه خير للإسلام والمسلمين<sup>(١)</sup>.

فعلينا أن نأخذ بالأسباب وأن تتعلق قلوبنا بمسبب الأسباب (جل وعلا).

\* ولا نعرف بشراً أحق بنصر الله وأجدر بتأييده مثل الرسول ﷺ الذى لاقى فى جنب الله ما لاقى. ومع ذلك فإن استحقاق التأييد الأعلى لا يعنى التفريط قيد أملة فى استجماع أسبابه وتوفير وسائله.

ومن ثم فإن رسول الله ﷺ أحكم خطة هجرته، وأعد لكل فرض عدته، ولم يدع فى حسابه مكاناً للحظوظ العمياء.

وشأن المؤمن مع الأسباب المعتادة، أن يقوم بها كأنها كل شىء فى النجاح. ثم يتوكل - بعد ذلك - على الله، لأن كل شىء لا قيام له إلا بالله.

فإذا استفرغ المرء جهوده فى أداء واجبه فأخفق بعد ذلك، فإن الله لا يلومه على هزيمة بلوى بها. وقلما يحدث ذلك إلا عن قدر قاهر يُعذر المرء فيه!

وكثيراً ما يرتب الإنسان مقدمات النصر ترتيباً حسناً. ثم يجىء عون أعلى يجعل هذا النص مضاعف الثمار.

كالسفينة التى يشق عباب الماء بها رُبانٌ ماهر، فإذا التيار يساعدها والرياح تهب إلى وجهتها. فلا تمكث غير بعيد حتى تنتهى إلى غايتها فى أقصر من وقتها المقرر.

وهجرة رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة جرت على هذا الغرار. فقد استبقى رسول الله ﷺ معه علياً وأبا بكر، وأذن لسائر المؤمنين بتقدمه إلى المدينة<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) المنهج الحركى للسيرة النبوية (١/١٩٨ - ١٩٩) للأستاذ/ منير الغضبان.

(٢) فقه السيرة للغزالي (ص: ١٨٧، ١٨٨).

## ذات النطاقين

وحين خمدت نار الطلب، وتوقفت أعمال دوريات التفتيش، وهدأت نائرات قريش بعد استمرار المطاردة الحثيثة ثلاثة أيام بدون جدوى، تهيأ رسول الله ﷺ وصاحبه للخروج إلى المدينة.

\* عن عائشة رضی الله عنها قالت: فجهزناهما أحث الجهاز، وصنعنا لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت: ذات النطاق<sup>(١)</sup>.

\* وعن أسماء رضی الله عنها قالت: «صنعت سفرة للنبي ﷺ وأبى بكر حين أرادوا المدينة، فقلت لأبى: ما أجد شيئاً أربطه إلا نطاقي، قال: فشقيه، فقلت، فسُميت: ذات النطاقين»<sup>(٢)</sup>.

قال الزبير بن بكار في هذه القصة: قال لها رسول الله ﷺ: «أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين في الجنة» فقيل لها: ذات النطاقين<sup>(٣)</sup>.

## سرعة بديهة وحسن تصرف

وها هو موقف من مواقفها الإيمانية العظيمة.. إنه موقف يعبر عن صدق إيمانها وسرعة بديعتها وحسن تصرفها في الأمور الطارئة.

\* عن أسماء بنت أبي بكر رضی الله عنها قالت: «لما خرج رسول الله ﷺ وخرج معه أبو بكر احتمل أبو بكر ماله كله معه، خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف درهم، قالت: وانطلق بها معه، قالت: فدخل علينا جدي أبو قحافة وقد ذهب بصره، فقال: والله إنى لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه.

قالت: قلت كلا يا أبت إنه قد ترك خيراً كثيراً، قالت: فأخذت أحجاراً فتركتها فوضعتها في كوة<sup>(٤)</sup> بيت كان أبى يضع فيها ماله، ثم وضعت عليها ثوباً ثم أخذت بيده

(١) أخرجه البخارى (٣٩٠٥).

(٢) أخرجه البخارى (٣٩٠٧).

(٣) الفتح (٧/٢٨٧).

(٤) الكوة: ثقب في الحائط.

فقلت: يا أبت ضع يدك على هذا المال، قالت: فوضع يده عليه فقال: لا بأس إن كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن، وفي هذا لكم بلاغ... قالت: لا والله ما ترك لنا شيئاً، ولكني أردت أن أسكن الشيخ<sup>(١)</sup>.

### معجزة للنبي ﷺ.. ومنحة من الرب العلى

\* ومن حديث قيس بن النعمان رضى الله عنه قال: «لما انطلق النبي ﷺ وأبو بكر مستخفيين مرا بعدد يرعى غنماً، فاستسقياه من اللبن، فقال: ما عندي شاة تحلب غير أن ها هنا عناقاً حملت أول الشتاء، وقد أخذت<sup>(٢)</sup> وما بقى لها لبن، فقال: (ادع بها) فدعا بها، فاعتقلها النبي ﷺ ومسح ضرعها ودعا حتى أنزلت، قالت: وجاء أبو بكر رضى الله عنه بمجن فحلب فسقى أبا بكر، ثم حلب فشرب، فقال الراعى: بالله من أنت؟ فوالله ما رأيت مثلك قط! قال: (أَوَ تراك تكتم على حتى أخبرك؟) قال: نعم. قال: (فإني محمد رسول الله). فقال: أنت الذى تزعم قريش أنه صابئ، قال: (إنهم ليقولون ذلك). قال: فأشهد أنك نبي، وأشهد أن ما جئت به حق، وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبي، وأنا متبعك، قال: (إنك لا تستطيع ذلك يومك، فإذا بلغك أنى قد ظهرت فأتنا)<sup>(٣)</sup>.

\* وعن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال: «اشترى أبو بكر رضى الله عنه من عازب رحلاً بثلاثة عشر درهماً، فقال أبو بكر لعازب: مر البراء فليحمل إلى رحلى، فقال عازب: لا، حتى تحدثنا كيف صنعت أنت ورسول الله ﷺ حين خرجتما من مكة والمشركون يطلبونكم.

قال: ارتحلنا من مكة فأحيينا - أو سرينا - ليلتنا ويومنا حتى أظهرنا<sup>(٤)</sup>، وقام قائم الظهيرة<sup>(٥)</sup>، فرميت ببصرى هل أرى من ظل فأوى إليه، فإذا صخرة أتيتها، فنظرت بقية ظل لها فسويته، ثم فرشت للنبي ﷺ فيه، ثم قلت له: اضطجع يا نبي الله، فاضطجع النبي ﷺ، ثم انطلقت أنظر ما حولي: هل أرى من الطلب أحداً؟ فإذا أنا براعى غنم يسوق غنمه إلى الصخرة، يريد منها الذى أردنا، فسألته فقلت له: لمن أنت يا غلام؟ فقال

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرک: (٣/٥، ٦) وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبى.

(٢) أخذت: أقلت ولدها.

(٣) أخرجه الحاكم فى المستدرک: (٣/٨، ٩) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى.

(٤) أظهرنا: دخلنا وقت الظهر.

(٥) وقام قائم الظهيرة: شدة الحر نصف النهار.

لرجل من قريش سماه فعرفته، فقلت: هل فى غنمك من لبن؟ قال: نعم. قلت: فهل أنت حالب لنا. قال: نعم، فأمرته فاعتقل شاة من غنمه، ثم أمرته أن ينفض ضرعها من الغبار، ثم أمرته أن ينفض كفيه، فقال: هكذا، ضرب إحدى كفيه بالأخرى فحلب لى كثة من لبن<sup>(١)</sup>.

وقد جعلت لرسول الله ﷺ أداة على فمها خرقة، فصببت على اللبن حتى برد أسفله، فانطلقت به إلى النبي ﷺ فوافقته قد استيقظ، فقلت: اشرب يا رسول الله، فشرب حتى رضيت، ثم قلت: قد آن الرحيل يا رسول الله، قال: (بلى) فارتحلنا والقوم يطلبوننا، فلم يدر كنا أحد منهم غير سراقه بن مالك بن جعشم على فرس له: فقلت: هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله، فقال: (لا تحزن، إن الله معنا)<sup>(٢)</sup>.

### قصة سراقه بن مالك

\* من حديث سراقه بن مالك بن جعشم رضى الله عنه قال: «جاءنا رسل كفار قريش يجعلون فى رسول الله ﷺ وأبى بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره، فبينما أنا جالس فى مجلس من مجالس قومى بنى مدلج، إذ أقبل رجل منهم، حتى قام علينا ونحن جلوس فقال: يا سراقه إنى قد رأيت آنفًا<sup>(٣)</sup> أسودة<sup>(٤)</sup> بالساحل أراها محمداً وأصحابه، قال سراقه: فعرفت أنهم هم، فقلت: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا.

ثم لبثت فى المجلس ساعة، ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتى أن تخرج بفرسى - وهى من وراء أكمة<sup>(٥)</sup> - فتحبسها علىّ، وأخذت رمحى فخرجت به من ظهر البيت فخطت بزجه الأرض، وخفضت عليه، حتى أتيت فرسى، فركبتها، فرفعتها تُقرب بى، حتى دنوت منهم فعثرت بى فرسى فخررت عنها<sup>(٦)</sup>، فقامت فأهويت يدى إلى كنانتى، فاستخرجت منها الأزام، فاستقسمت بها: أضرهم أم لا؟ فخرج الذى أكره.

(١) كثة من لبن: قدر كف ملء القدح من اللبن.

(٢) أخرجه البخارى (٣٦٥٢) فضائل الصحابة - ومسلم (٢٠٠٩) الزهد.

(٣) آنفًا: حالاً.

(٤) أسودة: أشخاص.

(٥) أكمة: ربوة مرتفعة أو تلة.

(٦) خررت عنها: سقطت عنها.

فركبت فرسى - وعصيت الأزلام - تقرب بي، حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ، وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثُر الالتفات، ساخت<sup>(١)</sup> يدا فرسى فى الأرض حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها، ثم زجرتها، فنهضت فلم تكد تُخرج يديها، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها عثان<sup>(٢)</sup> ساطع فى السماء مثل الدخان، فاستقسم بالأزلام فخرج الذى أكره، فناديتهم بالأمان، فوقفوا، فركبت فرسى حتى جئتهم، ووقع فى نفسى حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ، فقلت له:

إن قومك قد جعلوا فيك الدينة، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع. فلم يرزأنى، ولم يسألانى إلا أن قال: (أخف عنا). فسألته أن يكتب لى كتاب أمن، فأمر عامر بن فهيرة فكتب فى رقعة من آدم، ثم مضى رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup>.

### فطنة وذكاء من أبى بكر (رضى الله عنه)

\* عن أنس رضى الله عنه قال: «أقبل نبي الله ﷺ إلى المدينة وهو مردف أبا بكر، وأبو بكر شيخ يُعرف، ونبي الله ﷺ شاب لا يُعرف، قال فيلقى الرجل أبا بكر فيقول: يا أبا بكر من هذا الرجل الذى بين يديك؟

فيقول: هذا الرجل يهدينى السبيل، قال فيحسب الحاسب أنه إنما يعنى الطريق، وإنما يعنى سبيل الخير. فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم، فقال: يا رسول الله هذا فارس قد لحق بنا، فالتفت نبي الله ﷺ فقال: (اللهم اصرعه)، فصرعه الفرس، ثم قامت تحمحم<sup>(٤)</sup>، فقال: يا نبي الله مرنى بما شئت. قال: (فقف مكانك لا تتركن أحداً يلحق بنا). قال فكان أول النهار جاهداً على نبي الله ﷺ، وكان آخر النهار مسلحة<sup>(٥)</sup> له<sup>(٦)</sup>.

\*\*\*

(١) ساخت: غاصت.

(٢) عثان: غبار ساطع إلى السماء.

(٣) أخرجه البخارى (٣٩٠٦) مناقب الأنصار - ومسلم (٢٠٠٩) الزهد.

(٤) تحمحم: تصدر صوتاً.

(٥) مسلحة: يدفع عنهما الأذى.

(٦) أخرجه البخارى فى مناقب الأنصار باب هجرة النبي ﷺ حديث رقم: (٣٩١١).



## قصة أم معبد الخزاعية

\* عن هشام بن حبيش عن أبيه حبيش بن خالد صاحب رسول الله ﷺ «أن رسول الله ﷺ خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة، وأبو بكر رضى الله عنه ومولى أبي بكر عامر بن فهيرة، ودليلهما الليثى عبد الله بن أريقط.. مروا على خيمتى أم معبد الخزاعية، وكانت امرأة برزة<sup>(١)</sup> جلدة<sup>(٢)</sup>، تحبى<sup>(٣)</sup> بفناء الخيمة، ثم تسقى وتطعم من مربها.

فسألوها لحمًا وتمرًا ليشتروا منها فلم يصيبوا عندها شيئًا من ذلك، وكان القوم مرملين مستتين<sup>(٤)</sup>. فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة فى كسر الخيمة، فقال: ما هذه الشاة يا أم معبد؟ قالت: شاة خلّفتها الجهد عن الغنم. قال: (هل بها من لبن؟) قالت: هى أجهد من ذلك، قال: (أتأذنين لى أن أحلبها؟) قالت: بأبى أنت وأمى إن رأيت بها حلبًا فاحلبها.

فدعا بها رسول الله ﷺ فمسح بيده ضرعها، وسمى الله تعالى ودعا لها فى شاتها فتفاجت<sup>(٥)</sup> عليه ودرت، فاجترت فدعا بإناء يربض<sup>(٦)</sup> الرهط، فحلب فيه ثجًا<sup>(٧)</sup> حتى علاه البهاء<sup>(٨)</sup>، ثم سقاها فشربت حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا، وشرب آخرهم حتى أراضوا<sup>(٩)</sup> ثم حلب فيه الثانية على بدء حتى ملأ الإناء، ثم غادره عندها، ثم بايعها - يعنى على الإسلام - ارتحلوا عنها، فقلما لبثت حتى جاءها زوجها أبو معبد يسوق أعنزًا عجافًا، يتساوكن هزالًا منخهن قليل.

فلما رأى أبو معبد اللبن أعجبه قال: «من أين لك هذا يا أم معبد، والشاء عازب حائل ولا حلوب<sup>(١٠)</sup> فى البيت؟» قالت: لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا قال: «صنّيه لى يا أم معبد؟».

(١) برزة: المرأة الطاعنة فى السن التى تبرز للرجال ولا تحتجب عنهم.

(٢) جلدة: قوية.

(٣) تحبى: الاحتباء هو تشبيك أصابع اليدين ووضعها على الركبتين.

(٤) مرملين مستتين: أى أنهم دخلوا سنة الجدب والقحط.

(٥) تفاجت: فرجت رجليها للحلب.

(٦) يربض الرهط: يبالغ فى ربهم ويقلهم حتى يلصقهم بالأرض.

(٧) الثج: السائل.

(٨) البهاء: رغبة الحليب.

(٩) أراضوا: كرروا الشرب حتى بالغوا فى الرى.

(١٠) عازب: بعيدة عن المرعى، وحائل: لم تحمل.

قالت: «رأيت رجلاً ظاهر الوضوء<sup>(١)</sup> أبلغ الوجه<sup>(٢)</sup>، حسن الخلق لم تعبهُ نُجْلة<sup>(٣)</sup>، ولم تزريه صُعلة<sup>(٤)</sup>، وسيم<sup>(٥)</sup> قسيم، في عينيه دعج<sup>(٦)</sup>، وفي أشفاره وطف<sup>(٧)</sup>، وفي صوته سهل<sup>(٨)</sup>، وفي عنقه سطع<sup>(٩)</sup>، وفي لحيته كثائة<sup>(١٠)</sup>، أزج أقرن<sup>(١١)</sup>، إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سماه وعلاه البهاء<sup>(١٢)</sup>، أجمل الناس وأبهاه من بعيد، وأحسنه وأجمله من قريب. حلوا المنطق، فصلاً لا نزر ولا هذر<sup>(١٣)</sup>، كأن منطقهم خرزات نظم يتحدثون، ربعة لا تشنأه من طول<sup>(١٤)</sup>، ولا تقحمه عين من قصر<sup>(١٥)</sup>، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظرًا، وأحسنهم قدرًا، له رفقاء يحفون<sup>(١٦)</sup> به، إن قال سمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره، محفود<sup>(١٧)</sup> محشود<sup>(١٨)</sup>، لا عابس ولا معتد».

قال أبو معبد: هذا والله صاحب قریش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر، ولقد هممت أن أصاحبه، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً، وأصبح صوت بمكة عاليًا، يسمعون الصوت، ولا يدرون صاحبه، وهو يقول:

جزى الله رب الناس خير جزائه  
رفيقين حلا خيمتى أم معبد

(١) ظاهر الوضوء: حسن الوجه.

(٢) أبلغ الوجه: مشرق الوجه.

(٣) نُجْلة: عظم البطن.

(٤) الصُعلة: صغر الرأس.

(٥) الوسيم: الجميل الخلق.

(٦) الدعج: شدة سواد العين.

(٧) الوطف: طول أشفار العيون.

(٨) سهل: ليس بحاد الصوت.

(٩) سطع: إشراق وطول.

(١٠) كثائة: دقة نبات شعر اللحية مع استدارة فيها.

(١١) أزج أقرن: دقة شعر الحاجبين مع طول فيهما واتصال ما بينهما من شعر.

(١٢) البهاء: حسن المظهر.

(١٣) فصلاً لا نزر ولا هذر: كلامه بين وواضح ليس كثيراً وليس قليلاً.

(١٤) لا تشنأه من طول: ليس طويلاً طولاً مفرطاً.

(١٥) لا تقحمه عين من قصر: لا يحتقر لقصره الشديد.

(١٦) يحفون به: يحيطون به.

(١٧) محفود: مخدوم.

(١٨) محشود: محفوف به ومحاط به.

هما نزلاها بالهدى واهتدت به  
 فيا لقصى ما زوى الله عنكم  
 ليهن أبا بكر سعادة جده  
 وليهن بنى كعب مقام فتاتهم  
 سلوا أختكم عن شاتها وإنائها  
 دعاها بشاة حائل فتحلبت  
 فغادره رهنا لديها لحالب  
 فقد فاز من أمسى رفيق محمد  
 به من فعال لا تجازى وسؤدد  
 بصحبته من يسعد الله يسعد  
 ومقعدهما للمؤمنين بمرصد  
 فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد  
 عليه صريما ضرة الشاة مزبد  
 يرددها في مصدر بعد مورد<sup>(١)</sup>

### موقف الزبير (رضى الله عنه) مع النبي ﷺ

#### وأبى بكر (رضى الله عنه)

\* قال ابن شهاب الزهري أخبرني عروة بن الزبير «أن رسول الله ﷺ لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام، فكسا الزبير رسول الله ﷺ ثياب بياض»<sup>(٢)</sup>.

#### سنة من سنن الأنبياء (صلوات ربي وسلامه عليهم)

وبهذه الهجرة تمت لرسولنا ﷺ سنة إخوانه من الأنبياء من قبله فما من نبي منهم إلا نبت به بلاد نشأته فهاجر عنها، من إبراهيم أبا الأنبياء و خليل الله إلى عيسى كلمة الله وروحه، كلهم على عظيم درجاتهم ورفعة مقامهم أهينوا من عشائهم فصبروا ليكونوا مثالاً لما يأتي بعدهم من متبعيهم في الثبات والصبر على المكاره مادام ذلك في ذات الله<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک: (٩/٣، ١٠) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه البخارى فى مناقب الأنصار باب هجرة النبى ﷺ: (٣٩٠٦) وقال الحافظ: وصورته مرسل لكن

وصله الحاكم من طريق معمر عن الزهري: ١١/٣ وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) نور اليقين/ للشيخ الحضري (ص: ٧٤).

## هجرة لا تنتهي إلى قيام الساعة

لو أننا فهمنا الحكمة التي انطوت عليها حادثة الهجرة، وعلمنا أن كتاب الله الذي نتلوه قد أنحى باللائمة على جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا في مكة يصلون ويصومون، ولكنهم ارتضوا البقاء تحت جناح أنظمة تخالف الإسلام، فلا قوة لهم على تغييرها، ولم يهاجروا إلى قلعة الإسلام ليكونوا من جنوده المتحفزين لتغيير تلك الأنظمة، لعلمنا أن الإسلام لا يكتفى من أهله بالصلاة والصوم، بل يريد منهم مع ذلك أن يقيموا أنظمتهم وأدابه في بيوتهم وأسواقهم وأنديتهم، ومجامعهم ودواوين حكمهم، وأن عليهم أن يتوسلوا بجميع الوسائل لتحقيق هذا الغرض الإسلامي بادئين به من البيت وملاحظين ذلك في تربية من تحت أمانتهم من بنات وبنين، ومتعاونين عليه مع من ينشد للإسلام الرفعة والازدهار من إخوانهم، حتى إذا عم هذا الإصلاح أرجاء واسعة. تلاشت تحت أشعته ظلمات الباطل، فكان لهذا الأسلوب من أساليب الهجرة مثل الآثار التي كانت لهجرة النبي ﷺ وأصحابه الأولين.

روى مسلم في كتاب الإمارة من صحيحه عن أبي عثمان النهدي أن مجاشع بن مسعود السلمي قال: جئت بأخي أبي معبد إلى رسول الله ﷺ بعد الفتح فقلت: يا رسول الله بايعه على الهجرة فقال ﷺ: «قد مضت الهجرة بأهلها»، قال مجاشع: فبأى شيء تبايعه؟ قال: «على الإسلام والجهاد والخير». قال أبو عثمان النهدي فلقيت أبا معبد فأخبرته بقول مجاشع فقال: صدق<sup>(١)</sup>.

وفي كتب السنة وبعضه في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو بن العاص ومقالة بن عبيد بن ناقد الأنصاري أن النبي ﷺ قال: «المهاجر من هجر السيئات»<sup>(٢)</sup>. فإلى الهجرة أيها المسلمون.

إلى هجر الخطايا والذنوب. إلى هجر ما يخالف أنظمة الإسلام في بيوتنا، وما نقوم به من أعمالنا، إلى هجر الضعف والبطالة والإهمال والترف والكذب والرياء ووضع الأشياء في غير موضعها<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه مسلم (٧/١٣) الإمارة.

(٢) رواه البخاري (٦٩/١) الإيمان، ومسلم (١٠/٢) الإيمان، وأبو داود (٢٤٦٤) الجهاد، والنسائي (١٠٥/٨) الإيمان.

(٣) باختصار من إلهامات الهجرة (١١، ١٤) للعلامة/ محب الدين الخطيب.

## وصول النبي ﷺ إلى المدينة

وسمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله ﷺ من مكة فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه، حتى يردهم حر الظهيرة، فانقلبوا يوماً بعدما أطالوا انتظارهم فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من يهود إلى أطم من أطامهم لأمر ينظر إليه، فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معاشر العرب، هذا جدكم الذي تنتظرون، فثار المسلمون إلى السلاح، فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الإثنين من شهر ربيع الأول فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله ﷺ صامتاً، فطفق من جاء من الأنصار - ممن لم ير رسول الله ﷺ يحيى أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك (١).

## النبي ﷺ يؤسس مسجد قباء

\* قال الإمام ابن القيم: وَسُمِعَتِ الرَّجَّةُ وَالتَّكْبِيرُ فِي بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ، وَكَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ فَرِحًا بِقُدُومِهِ، وَخَرَجُوا لِلِقَائِهِ، فَتَلَقَوْهُ وَحِيَّوَهُ بِتَحِيَّةِ النُّبُوَّةِ. فَأَحْدَقُوا بِهِ مَطِيفِينَ حَوْلَهُ، وَالسَّكِينَةَ تَغْشَاهُ، وَالْوَحْيَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحریم: ٤] فسار حتى نزل بقباء في بني عمرو بن عوف، فنزل على كَثُومِ بْنِ الْهَدْمِ. وقيل: بل على سَعْدِ بْنِ خَيْثَمَةَ، والأول أثبت، فأقام في بني عمرو ابن عوف أربع عشرة ليلةً وأسس مسجد قباء، وهو أول مسجد، أُسس بعد النبوة (٢).

(١) قال الحافظ: قوله: «يغدون» أي يخرجون غدوة. قوله: «حتى يردهم» وفي رواية ابن سعد: «إذا أحرقتهم الشمس رجعوا إلى منازلهم». قوله: «أوفى رجل من يهود» أي طلع إلى مكان عال فأشرف منه. قوله: «أطم» وهو الحصن ويقال كل بناء من حجارة كالقصر. قوله: «مبيضين» أي عليهم الثياب البيض التي كساهم إياها الزبير أو طلحة. قوله: «يزول بهم السراب» أي يزول السراب عن النظر بسبب عروضهم له. قوله: «يا معاشر العرب» وفي رواية عبد الرحمن بن عويم «يا بني قيلة»، وهي الجدة الكبرى للأنصار، والدة الأوس والخزرج، وهي قيلة بنت كاهل بن عذرة. قوله: «هذا جدكم» أي حظكم وصاحب دولتكم الذي تتوقعونه. قوله: «وذلك يوم الإثنين من شهر ربيع الأول» وهذا هو المعتمد، وشذ من قال يوم الجمعة، وفي رواية موسى بن عقبة عن ابن شهاب «قدمها لهلال ربيع الأول» أي أول يوم فيه. باختصار من الفتح (٧/٢٨٦، ٢٨٧).

(٢) زاد المعاد (٣/٥٨).

### أول جمعة صلاها رسول الله ﷺ

فلما كان يوم الجمعة ركب بأمر الله له، فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف، فجمع بهم في المسجد الذي في بطن الوادي<sup>(١)</sup>.

### متى دخل النبي ﷺ المدينة

\* عن عاصم بن عدي رضى الله عنه قال: «قدم رسول الله ﷺ يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول فأقام بالمدينة عشر سنين»<sup>(٢)</sup>.

### فرح أهل المدينة بمقدم رسول الله ﷺ

هل يستطيع إنسان في هذه الدنيا أن يتصور أو يتخيل مدى الفرح التي يشعر بها من رأى النبي ﷺ ولو مرة واحدة في منامه؟! فكيف بمن رآه حال اليقظة!!؟

\* عن البراء عن أبي بكر في حديث الهجرة فقال: «فقدنا المدينة ليلاً، فتنازعا أيهم ينزل عليهم رسول الله ﷺ فقال: (أنزل على بني النجار، أخوال عبد المطلب، أكرمهم بذلك) فصعد الرجال والنساء فوق البيوت وتفرق الغلمان والخدم في الطرق ينادون: يا محمد! يا رسول الله! يا محمد! يا رسول الله»<sup>(٣)</sup>.

\* فلما طلع الرسول ﷺ عليهم جاشت العواطف في صدورهم، وانطلقت ألسنتهم تهتف بالقصائد والأهازيج فرحاً لمرآه ﷺ ومقدمه عليهم، ولقد بادلهم رسول الله ﷺ نفس المحبة حتى إنه جعل ينظر إلى ولائد بني النجار من حوله وهم ينشدن ويتغنين بمقدمه قائلاً: أتحبينني؟ والله إن قلبي ليحبكن<sup>(٤)</sup>.

\*\*\*

(١) زاد المعاد (٣/٥٩).

(٢) قال الهيثمي في المجمع: (٦/٦٣) رواه الطبراني ورجاله ثقات، الطبراني في الكبير: (١٧/١٧٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٥٢) مناقب الصحابة - ومسلم (٢٠٠٩) الزهد - أما الروايات التي تفيد استقباله ﷺ بنشيد: «طلع البدر علينا..» فلم ترد بها رواية صحيحة.. انظر في ذلك ابن حجر [فتح الباري (٧/٢٦١)، (٢٦٢)].

(٤) فقه السيرة للبوطي (ص: ١٤٧).

### الحبشة يلعبون بالحراب فرحاً بالرسول ﷺ

\* عن أنس رضى الله عنه قال: «لما قدم رسول الله لعبت الحبشة بحرابهم فرحاً لقدمه»<sup>(١)</sup>.

### المدينة تضىء لمقدم النبي ﷺ

عن أنس بن مالك قال: لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضواء فيها كل شىء، فلما كان اليوم الذى مات فيه أظلم منها كل شىء، وما نفضنا عن النبي ﷺ الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا<sup>(٢)</sup>.

\* قال الغزالي: يا عجباً لتقائض الحياة واختلاف الناس، إن الذى شهرت مكة سلاحها لتقتله ولم ترجع عنه إلا مقهورة استقبلته المدينة وهى جزلانة طروب، وتنافس رجالها يعرضون عليه المنعة والعدة والعدد<sup>(٣)</sup>.

### نزول النبي ﷺ بفناء أبي أيوب (وبناء المسجد)

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة نزل فى علو المدينة، فى حى يُقال لهم بنو عمرو بن عوف، قال: فأقام فيهم أربع عشرة ليلة، ثم أرسل إلى ملاء بنى النجار<sup>(٤)</sup>، قال: فجاءوا متقلدى سيوفهم<sup>(٥)</sup>. قال: وكأنى أنظر إلى رسول الله ﷺ على راحلته وأبو بكر ردفه وملاء بنى النجار حوله حتى ألقى بفناء أبي أيوب<sup>(٦)</sup>، قال: فكان يُصلى حيث أدركته الصلاة ويُصلى فى مرائب الغنم<sup>(٧)</sup>. قال: ثم إنه أمر ببناء المسجد، فأرسل إلى ملاء بنى النجار، فجاءوا. فقال: يا بنى النجار ثامنوني<sup>(٨)</sup> بحائظكم هذا، فقالوا: لا. والله لا نطلبُ ثمنه إلا إلى الله. قال: فكان فيه ما أقول لكم: كانت فيه

(١) رواه أبو داود (٤٩٢٣) بإسناد صحيح.

(٢) رواه الترمذى (١٠٤ / ١٣ - ١٠٥) والحاكم مختصراً (٥٧ / ٣) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبى وصححه الألبانى فى مختصر الشمائل.

(٣) فقه السيرة للغزالي (ص: ١٨٣).

(٤) ملاء بنى النجار: أشرافهم.

(٥) متقلدى السيوف: حاملى السيوف خوفاً على النبي من غدر اليهود.

(٦) فناء أبي أيوب: الساحة الواسعة أمام البيت.

(٧) مرائب الغنم: مأواها ليلاً.

(٨) ثامنوني: ساوموني.

قبورُ المشركين، وكانت فيه خرب<sup>(١)</sup>، وكان فيه نخلٌ. فأمر رسولُ الله ﷺ بقبورِ المشركين فنبّشت، وبالخرب فسويت، وبالنخل ففُطِعَ، قال: فصفوا النخلَ قبلةَ المسجدِ. قال: وجعلوا عضادتيه<sup>(٢)</sup> حجارةً. قال: جعلوا ينقلون ذاك الصخرَ وهم يرتجزون ورسولُ الله ﷺ معهم يقولون:

اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة فانصر الأنصار والمهاجرة<sup>(٣)</sup>

\* وفي رواية: فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة، وأسس المسجد الذي أُسس على التقوى، وصلى فيه رسول الله ﷺ ثم ركب راحلته فسار يمشى معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة، وهو يصلى فيه يومئذ رجال من المسلمين، وكان مربداً للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة فقال رسول الله ﷺ حين بركت راحلته هذا إن شاء الله المنزل، ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذن مسجدًا، فقالا: لا، بل نهيه لك يا رسول الله، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما، ثم بناه مسجدًا.

\* قال الإمام ابن القيم: وجعل النبي ﷺ قبلته إلى بيت المقدس، وجعل له ثلاثة أبواب: باباً في مؤخره، وباباً يقال له: باب الرحمة، والباب الذي يدخل منه رسولُ الله ﷺ، وجعل عمده الجذوع، وسقفه بالجريد، وقيل له: ألا تسقفه، فقال: «لا، عريشُ كعريش موسى» وبني إلى جنبه بيوت أزواجه باللبن، وسقفها بالجريد والجذوع، فلما فرغ من البناء بني بعائشة في البيت الذي بناه لها شرقي المسجد قبله، وهو مكان حجرته اليوم، وجعل لسودة بنت زمعة بيتاً آخر<sup>(٤)</sup>.

### المشاركة في بناء المسجد

\* وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن في بنيانه ويقول - وهو ينقل اللبن:

هَذَا الْحِمَالُ لَا حِمَالَ خَيْرٍ      هَذَا أَبْرُ رَبَّنَا وَأَطْهَرُ  
اللَّهُمَّ إِنَّ الْأَجْرَ أَجْرُ الْآخِرَةِ      فَارْحَمِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ

(١) خرب: البناء التهدم.

(٢) عضادتيه: ما كان الباب يعتمد عليهما عند الاغلاق.

(٣) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب مقدم النبي وأصحابه إلى المدينة رقم: (٣٩٣٢).

(٤) زاد المعاد (٦٣/٣).



فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يُسمَّ لى. قال ابن شهاب: ولم يبلغنا - فى الأحاديث - أن رسول الله ﷺ تمثل بيت شعر تام غير هذه الأبيات<sup>(١)</sup>.

\* عن سفينة مولى رسول الله ﷺ قال: «لما بنى رسول الله ﷺ المسجد، جاء أبو بكر رضى الله عنه بحجر فوضعه، ثم جاء عمر بحجر فوضعه، ثم جاء عثمان بحجر فوضعه، فقال رسول الله ﷺ: (هؤلاء ولادة الأمر من بعدى)<sup>(٢)</sup>.

\* وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: «كنا نحمل لبنة لبنة، وعمار لبنتين لبنتين، فرآه النبى ﷺ، فينفض التراب عنه ويقول: (ويح عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار). قال: يقول عمار: أعود بالله من الفتن<sup>(٣)</sup>.

### صفة المسجد النبوى

\* عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: «كان المسجد على عهد رسول الله ﷺ مبنياً باللبن، وسقفه الجريد، وعمده خشب النخل» فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً، وزاد فيه عمر وبناه على بنيانه فى عهد رسول الله ﷺ باللبن والجريد وأعاد عمده خشباً، ثم غيرهُ عثمان فزاد فيه زيادة كثيرة، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة، وجعل عمده من حجارة منقوشة، وسقفه بالساج<sup>(٤)</sup>.

### النبى ﷺ ينزل فى ضيافة أبى أيوب الأنصارى

والأنصار إن لم يكونوا أصحاب ثروات طائلة، إلا أن كل واحد منهم كان يتمنى أن ينزل الرسول ﷺ عليه، فكان لا يمر بدار من دور الأنصار إلا أخذوا خطام راحلته: هَلُمَّ إلى العدد والعدة والسلاح والمنعة، فكان يقول لهم: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة»، فلم تزل سائرة به حتى وصلت إلى موضع المسجد النبوى اليوم فبركت، ولم ينزل عنها حتى نهضت وسارت قليلاً، ثم التفت ورجعت فبركت فى موضعها الأول، فنزل عنها وذلك فى ديار بنى النجار أخواله ﷺ. وكان من توفيق الله لها، فإنه أحب أن ينزل على أخواله يكرمهم بذلك، فجعل الناس يكلمون رسول الله ﷺ فى النزول عليهم، وبادر أبو أيوب

(١) أخرجه البخارى (٧/ ٢٨١، ٢٨٢) مناقب الأنصار.

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرک: (٣/ ١٣) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى وقال صحيح.

(٣) أخرجه البخارى (٤٤٧) الصلاة - ومسلم (٢٩١٥) الفتن.

(٤) أخرجه البخارى (٤٤٦) الصلاة.

الأَنْصَارِي إِلَى رَحْلِهِ، فَأَدْخَلَهُ بَيْتَهُ، فَجَعَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الْمَرْءُ مَعَ رَحْلِهِ»، وَجَاءَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ فَأَخَذَ بِزِمَامِ رَاحِلَتِهِ، وَكَانَتْ عِنْدَهُ (١).

وَفِي رِوَايَةِ أَنَسٍ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ، قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّ بَيْوتِ أَهْلِنَا أَقْرَبُ؟».

فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ دَارِي وَهَذَا بَابِي، قَالَ: «فَانْطَلِقْ فَهِيَءٌ لَنَا مَقِيلًا»، قَالَ: قَوْمًا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ (٢).

يَذْكُرُ لَوْ يَلْقَى حَبِيبًا مُوَاتِيَا	ثَوَى فِي قُرَيْشٍ بَضْعَ عَشْرَةَ حَجَّةً
فَلَمْ يَرَمَنْ يُؤْوِي وَلَمْ يَرِ دَاعِيَا	وَيَعْرِضُ فِي أَهْلِ الْمَوَاسِمِ نَفْسَهُ
وَأَصْبَحَ مَسْرُورًا بِطَيِّبَةِ رَاضِيَا	فَلَمَّا أَنَا وَأَسْتَقَرْتُ بِهِ النَّوَى
بَعِيدَ وَلَا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ بَاغِيَا	وَأَصْبَحَ لَا يَخْشَى ظُلَامَةَ ظَالِمٍ
وَأَنْفُسَنَا عِنْدَ الْوَعَى وَالنَّاسِيَا	بَدَلْنَا لَهُ الْأَمْوَالَ مِنْ حِلِّ مَالِنَا
جَمِيعًا وَإِنْ كَانَ الْحَبِيبَ الْمُصَافِيَا	نُعَادِي الَّذِي عَادَى مِنَ النَّاسِ كُلَّهُمْ
وَأَنَّ كِتَابَ اللَّهِ أَصْبَحَ هَادِيَا (٣)	وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرَهُ (٤)

### وهكذا يكون الأدب مع رسول الله ﷺ

ولنترك المجال لأبي أيوب رضي الله عنه يحدثنا عن تلك الفرحة الشديدة التي ملأت عليه جوانحه وجوارحه لنزول النبي ﷺ عليه في بيته.

عن أبي أيوب قال: لما نزل على رسول الله ﷺ في بيتي نزل في السفلى، وأنا وأم أيوب في العلو، فقلت له: يا نبي الله، بأبي أنت وأمي إني لأكره وأُعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي، فإظهر أنت فكن في العلو، ونزل نحن فنكون في السفلى، فقال: «يا أبا أيوب، إن أرفق بنا وبمن يغشانا أن نكون في سفلى البيت» (٤).

وفي رواية أخرى: أن رسول الله ﷺ لما نزل المدينة نزل على أبي أيوب فنزل النبي ﷺ

(١) السيرة لابن هشام (٢/٣٤٣) والطبقات لابن سعد (١/١٨٣) والبداية والنهاية (٣/٣٢٤) وزاد المعاد (٢/٥٥) ورحمة للعالمين (١/١٠٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٩١١) وأحمد (٣/١٢٢).

(٣) زاد المعاد (٣/٥٩، ٦٠).

(٤) أخرجه مسلم (٣/١٧١/١٦٢٣) كتاب الفتن.

أسفل، وأبو أيوب في العلو، فانتبه أبو أيوب ذات ليلة فقال: نمشى فوق رأس رسول الله ﷺ! فتحول فباتوا في جانب. فلما أصبح ذكر ذلك للنبي ﷺ. فقال النبي ﷺ: أسفل أرفق بي. فقال أبو أيوب: لا أعلو سقيفة أنت تحتها. فتحول أبو أيوب في السفلى، والنبي ﷺ في العلو<sup>(١)</sup>.

\* وعن أبي رهم: أن أبا أيوب حدثه: أن رسول الله ﷺ نزل في بيتنا الأسفل، وكنت في الغرفة، فأهريق ماءً في الغرفة، فقامت أنا وأمُّ أيوب بقطيفة لنا نتبع الماء، ونزلتُ فقلت: يا رسول الله، لا ينبغي أن نكون فوقك، انتقل إلى الغرفة، فأمر بمتاعه فُنقلَ ومتاعه قليلٌ قلتُ: يا رسول الله، كنت تُرسلُ بالطعام، فأنظر، فإذا رأيتُ أثر أصابعك، وضعتُ فيه يدي<sup>(٢)</sup>... يلتمس بركة الحبيب ﷺ.

### وهكذا اجتمع الأحاب

فأقام في منزل أبي أيوب حتى بنى حجره ومسجده، وبعث رسول الله ﷺ وهو في منزل أبي أيوب زيد بن حارثة وأبا رافع، وأعطاهما بغيرين وخمسمائة درهم إلى مكة فقدمًا عليه بفاطمة وأم كلثوم ابنتيه، وسودة بنت زمعة (زوجته)، وأسامة بن زيد، وأمّه أم أيمن، وأما زينب بنت رسول الله ﷺ فلم يُمكنها زوجها أبو العاص بن الربيع من الخروج، وخرج عبد الله بن أبي بكر معهم بعيال أبي بكر، ومنهم عائشة فنزلوا في بيت حارثة بن النعمان<sup>(٣)</sup>.

### قصة إسلام (عبد الله بن سلام)

عن عبد الله بن سلام، قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة، انحفل الناس عليه، وكنت فيمن انحفل، فلما رأيته، عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب. فكان أول شيء سمعته يقول: «يا أيها الناس، أفسحوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (١٧١/٣).

(٢) رواه أحمد (٤٢٠/٥) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٣) زاد المعاد (٦١/٣).

(٤) أخرجه أحمد (٤٥١/٥) والترمذي (٢٤٨٧) وصححه الحاكم (١٣/٣) ووافقه الذهبي.

وعن أنس: أن عبد الله بن سلام أتى رسول الله ﷺ مقدمه إلى المدينة، فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمها إلا نبي. ما أول أشراف الساعة؟ وما أول ما يأكل أهل الجنة؟ ومن أين يشبه الولد أباه وأمه؟

فقال: «أخبرني بهن جبريل آنفاً» قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة.

قال: «أما أول أشراف الساعة فنارٌ تخرج من المشرق، فتحشرُ الناس إلى المغرب، وأما أول ما يأكله أهل الجنة، فزيادةُ كبد حوت، وأما الشبه، فإذا سبق ماء الرجل، نزع إليه الولد. وإذا سبق ماء المرأة، نزع إليها» قال: أشهد أنك رسول الله

وقال: يا رسول الله، إن اليهود قومٌ بهتٌ؛ وإنهم إن علموا بإسلامي بهتوني، فأرسل إليهم، فسلمهم عنى.

فأرسل إليهم. فقال: «أى رجل ابن سلام فيكم؟» قالوا: حبرنا، وابن حبرنا؛ وعالمنا، وابن عالمنا. قال: «أرأيتم إن أسلم، تسلمون؟» قالوا: أعاده الله من ذلك. قال: فخرج عبد الله، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله؛ وأن محمداً رسول الله. فقالوا: شرنا وابن شرنا؛ وجاهلنا وابن جاهلنا. فقال: يا رسول الله، ألم أخبرك أنهم قومٌ بهتٌ<sup>(١)</sup>.

\* وفي رواية: قال: لما سمعتُ برسول الله ﷺ عرفتُ صفته واسمه وزمانه الذى كنا نتوكف له، فكنتُ مسراً لذلك، صامتاً عليه، حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة، فلما نزل بقباء، فى بنى عمرو بن عوف، أقبل رجلٌ حتى أخبر بقدمه، وأنا فى رأس نخلة لى أعمل فيها، وعمتى خالدة بنت الحارث تحتى جالسة فلما سمعت الخبر بقدم رسول الله ﷺ كبرتُ، فقالت لى عمتى، حين سمعت تكبيرى: خييك الله! والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادماً ما زدت، قال: فقلت لها: أى عمّة، هو والله أخو موسى بن عمران، وعلى دينه، بعث بما بعث به، قال: فقالت: أى ابن أخى، أهو النبى الذى كنا نُخبر أنه يبعث مع نفس الساعة؟ قال: فقلت لها: نعم. قال: فقالت: فذاك إذاً. قال: ثم خرجتُ إلى رسول الله، فأسلمتُ، ثم رجعتُ إلى أهل بيتى، فأمرتهم فأسلموا.

\*\*\*

## ريح صهيب.. ريح صهيب

كانت فتنة المسلمين من أصحاب النبي ﷺ في مكة فتنة الإيذاء والتعذيب وما يروونه من المشركين من ألوان الهزء والسخرية، فلما أذن لهم الرسول ﷺ بالهجرة أصبحت فتنهم في ترك وطنهم وأموالهم ودورهم وأمتعتهم. ولقد كانوا أوفياء لدينهم مخلصين لربهم، أمام الفتنة الأولى والثانية... قابلوا المحن والشدائد بصبر ثابت وعزم عنيد، حتى إذا أشار لهم الرسول ﷺ بالهجرة إلى المدينة توجهوا إليها وقد تركوا من ورائهم الوطن وما لهم فيه من مال ومتاع ونشب، ذلك أنهم خرجوا مستخفين متسللين، ولا يتم ذلك إلا إذا تخلصوا من الأمتعة والأثقال، فتركوا كل ذلك في مكة ليسلم لهم الدين، واستعاضوا عنه بالإخوة الذين ينتظرونهم في المدينة ليؤوهم وينصروهم<sup>(١)</sup>.

\* لما خرج صهيب مهاجراً تبعه أهل مكة فنزل كنانته فأخرج منها أربعين سهماً فقال: لا تصلون إلي حتى أضع في كل رجل منكم سهماً، ثم أصير بعد إلى السيف فتعلمون أني رجل، وقد خلفت بمكة قينتين فهما لكم.

ونزلت على النبي ﷺ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧] فلما رآه النبي ﷺ قال: «أبا يحيى ربح البيع» قال: وتلا عليه الآية<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي عثمان: أن صهيباً حين أراد الهجرة، قال له أهل مكة: أتيتنا صُعلوكاً حقيراً، فتغير حالك! قال: أرأيتم إن تركت مالي، أمخلون أتم سبيلي؟ قالوا: نعم. فخلع لهم ماله. فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: «ربح صهيب! ربح صهيب!»<sup>(٣)</sup>.

## إصابة المهاجرين بحمى المدينة

\* عن عائشة رضی الله عنها قالت: «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك أبو بكر وبلال، قالت: فدخلت عليهما، فقلت: يا أبت كيف تجدك؟ ويا بلال كيف تجدك؟ قالت: فكان أبو بكر رضی الله عنه إذا أخذته الحمى يقول:

كل امرئ مُصَبَّحٌ في أهله  
والموت أدنى من شراك نعله

(١) فقه السيرة للبطوني (ص: ١٣٠).

(٢) رواه الحاكم في المستدرک (٣/٣٩٨) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يُخرجاه.

(٣) قال الأرنؤوط: أخرجه ابن سعد (٣/٢٢٧ - ٢٢٨) ورجاله ثقات.

وكان بلال إذا اقلع عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة      بواد وحولى إذخر وجليل (١)  
 وهل أردن يوماً مياه مجنة (٢)      وهل يبدون لى شامة وطفيل (٣)

قالت عائشة فجنّت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: (اللهم حبّب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشدّ وصحّحها، وبارك لنا فى صاعها ومُدّها، وانقل حمّاهما، فاجعلها بالحنيفة).  
 وفى رواية للبخارى: «أن بلالاً قال بعد شعره: اللهم العن شيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة وأمّية بن خلف، كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء، ثم قال رسول الله ﷺ: (اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم بارك لنا فى صاعنا وفى مدنا وصححها لنا، وانقل حمّاهما إلى الحنيفة). قالت: وقدمنا المدينة وهى أوبأ أرض الله، قالت: فكان بطحان يجرى نجلاً، تعنى ماء آجناً» (٤).

### مرض أمنا عائشة (رضى الله عنها)

\* عن البراء عن أبى بكر رضى الله عنهما قال البراء: «فدخلت مع أبى بكر على أهله فإذا عائشة ابنته مضطبعة قد أصابتها حمى، فرأيت أباهما يقبل خدها، وقال: كيف أنت يا بنية» (٥).

### اللهم حبّب إلينا المدينة

ولما رأى النبى ﷺ أصحابه قد أُصيبوا بالحمى دعا ربه (عزّ وجلّ) بأنّه يُحبّب إليهم المدينة وأن ينقل منها الحمى إلى مكان آخر.  
 \* عن عائشة رضى الله عنها قالت: «قدمنا المدينة وهى وبيئة، فاشتكى أبو بكر، واشتكى بلال، فلما رأى رسول الله ﷺ شكوى أصحابه قال: (اللهم حبّب إلينا المدينة،

(١) الإذخر: عشب ينبت فى مكة.

(٢) مجنة: اسم سوق من أسواق العرب فى الجاهلية.

(٣) شامة وطفيل: جبلان بقرب مكة.

(٤) أخرجه البخارى (١٨٨٩) فضائل المدينة.

(٥) أخرجه البخارى (٣٩١٨) مناقب الأنصار.

كما حبيت مكة أو أشد وصححها، وبارك لنا في صاعها ومدّها<sup>(١)</sup>، وحول حماها إلى الجحفة<sup>(٢)</sup>.

\* فاستجاب الله تعالى دعاء النبي ﷺ وأخرج الحمى إلى الجحفة.

\* وعن عبد الله بن عمر رضی الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (رأيت كأن امرأة سوداء نائرة الرأس خرجت من المدينة، حتى قامت بهيعة وهي الجحفة، فأولت أن وباء المدينة نُقل إليها)<sup>(٣)</sup>.

### من فضائل المدينة المنورة

\* عن أنس رضی الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اللهم اجعل بالمدينة ضِعْفِيَّ ما جعلت بمكة من البركة»<sup>(٤)</sup>.

قال الحافظ: أي من بركة الدنيا بقريته قوله في الحديث الآخر: «اللهم بارك لنا في صاعنا ومدّنا» ويحتمل أن يريد ما هو أعم من ذلك، لكن يستثنى من ذلك ما خرج بدليل كتضعيف الصلاة بمكة على المدينة.

وقال النووي: الظاهر أن البركة حصلت في نفس المكيّل بحيث يكفى المدّ فيها ما لا يكفيه في غيرها، وهذا أمر محسوس عند من سكنها<sup>(٥)</sup>.

وقال ﷺ: «لا يكيد أهل المدينة أحدٌ إلا انماع كما ينماع الملح في الماء»<sup>(٦)</sup>.

وقال ﷺ: «لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال، لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان»<sup>(٧)</sup>.

والأحاديث في فضلها وفضل سكنائها كثيرة.

• قال الجزائري حفظه الله: ومما يزيد المدينة حباً في قلوب المؤمنين ورغبة في

(١) الصاع والمد: مكيالان يوزن بهما.

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٢٦) مناقب الأنصار - ومسلم (١٣٧٦) الحج.

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٣٨) التعبير - والترمذي (٢٢٩٠).

(٤) رواه البخاري (١١٧/٤) فضائل المدينة.

(٥) فتح الباري (١١٧/٤ - ١١٨) باختصار.

(٦) رواه البخاري (١١٢/٤) فضائل المدينة.

(٧) رواه البخاري (١١٣/٤) فضائل المدينة.

المقام بها حتى الموت قوله ﷺ: «من استطاع أن يموت في المدينة فليمت بها، فإنى أكون له شاهداً أو شفيعاً يوم القيامة»<sup>(١)</sup>. وعرف هذا عمر رضى الله عنه فكان يدعو ويقول: اللهم إنى أسألك شهادة فى سبيلك، وموتاً فى بلد رسولك.

### كيف أسس النبي ﷺ للإسلام دولة

ليست الأمة الإسلامية جماعة من الناس، همها أن تعيش بأى أسلوب، أو تخطُ طريقها فى الحياة إلى أى وجهة، وما دامت تجد القوت واللذة، فقد أراحت واستراحت. كلا كلا، فالمسلمون أصحاب عقيدة تحدد صلتهم بالله، وتوضح نظرهم إلى الحياة، وتنظم شئونهم فى الداخل على أنحاء خاصة، وتسوق صلاتهم بالخارج إلى غايات معينة.

وفرق بين امرىء يقول لك: همى فى الدنيا أن أحيأ فحسب! وآخر يقول لك: إذا لم أحرص الشرف، وأصن الحقوق، وأرض الله، وأغضب من أجله، فلا سعت بى قدم، ولا طرفت لى عين.

والمهاجرون إلى المدينة، لم يتحولوا عن بلدهم ابتغاء ثراء أو استعلاء.

والأنصار الذين استقبلوهم وناصبوا قومهم العدا، وأهدفوا أعناقهم للقاصى والدانى، لم يفعلوا ذلك ليعيشوا كيفما اتفق.

إنهم - جميعاً - يريدون أن يستضيئوا بالوحي، وأن يحصلوا على رضوان الله وأن يحققوا الحكمة العليا التى من أجلها خلُق الناس، وقامت الحياة.

من هنا شغل رسول الله ﷺ - أول مستقره - بالمدينة بوضع الدعائم التى لا بد منها لقيام رسالته. وتبين معالمها فى الشئون الآتية:

١ - صلة الأمة بالله

٢ - صلة الأمة بعضها ببعض الآخر

٣ - صلة الأمة بالأجانب عنها، من لا يدينون دينها.

\* ففى الأمر الأول بادر الرسول ﷺ إلى بناء المسجد، لتظهر فيه شعائر الإسلام التى

(١) رواه الترمذى (٢٧٤/١٣) المناقب وقال: هذا حديث حسن غريب من حديث أيوب السجستاني وابن ماجه (٣١١٢) وصححه الألبانى.



طالما حُوربت، وتتام فيه الصلوات التي تربط المرء برب العالمين، وتنقى القلب من أدران الأرض، ودسائس الحياة الدنيا..

❖ أما عن الأمر الثاني - وهو صلة الأمة بعضها ببعض الآخر - فقد أقامها الرسول ﷺ على الإخاء الكامل. الإخاء الذي تُمحي فيه كلمة «أنا» ويتحرك الفرد فيه بروح الجماعة ومصلحتها وآمالها، فلا يرى لنفسه كياناً دونها، ولا امتداداً إلا فيها.

ومعنى هذا الإخاء أن تذوب عصبية الجاهلية، فلا حمية إلا للإسلام. وأن تسقط فوارق النسب واللون والوطن. فلا يتأخر أحد أو يتقدم إلا بمروءته وتقواه.

وقد جعل الرسول ﷺ هذه الأخوة عقداً نافذاً. لا لفظاً فارغاً، وعملاً يرتبط بالدماء والأموال لا تحية تثرثر بها الألسنة ولا يقوم لها أثر..!!

وكانت عواطف الإيثار والمواساة والمؤانسة تمتزج في هذه الأخوة، وتملأ المجتمع الجديد بأروع الأمثال.

❖ أما الأمر الثالث، وهو صلة الأمة بالأجانب عنها، الذين لا يدينون بدينها، فإن الرسول عليه الصلاة والسلام قد سنَّ في ذلك قوانين السماح والتجاوز التي لم تُعهد في عالم ملئ بالتعصب والتغالي، والذي يظن أن الإسلام دين لا يقبل جوار دين آخر. وأن المسلمين قوم لا يستريحون إلا إذا انفردوا في العالم بالبقاء والتسلط هو رجل مخطيء بل متحامل جرىء!

عندما جاء النبي ﷺ إلى المدينة، وجد بها يهوداً توطنوا ومشركين مستقرين.

فلم يتجه فكره إلى رسم سياسة للإبعاد أو المصادرة والخصام، بل قبل - عن طيب خاطر - وجود اليهودية الوثنية، وعرض على الفريقين أن يعاهدتهم معاهدة الند للند، على أن لهم دينهم وله دينه.

واتفق المسلمون واليهود على الدفاع عن يثرب إذا هاجمها عدو. وأقرت حرية الخروج من المدينة لمن يتغى تركها، والقعود فيها لمن يحفظ حرمتها<sup>(١)</sup>.

• وقال الامام ابن القيم رحمه الله:

ووادع رسول الله من المدينة من اليهود، وكتب بينه وبينهم كتاباً، وبادر حبرهم

(١) بتصرف من فقه السيرة للغزالي.

وعالمهم عبد الله بن سلام فدخل في الإسلام وأبى عامتهم إلا الكفر. وكانوا ثلاث قبائل: بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة، وحاربه الثلاثة فمن على بنى قينقاع، وأجلى بنى النضير، وقتل بنى قريظة وسبى ذريتهم، ونزلت سورة الحشر في بنى النضير، وسورة الأحزاب في بنى قريظة<sup>(١)</sup>.

### المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

لقد مدح الله جلَّ وعلاً الأنصار بقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوَقِّ شَحْ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

فلقد آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، وذلك لتقوية الجبهة الداخلية وزيادة ترابطها، وحتى يواسى الأنصار إخوانهم المهاجرين الذين تركوا ديارهم وأموالهم لنصرة دين الله وإعزاز شرعه.

\* ورغم بذل الأنصار وكرمهم فإن الحاجة إلى إيجاد نظام يكفل للمهاجرين المعيشة الكريمة بقانون ظلت قائمة، خاصة وأن أنفة المهاجرين ومكانتهم تقتضى معالجة أحوالهم بتشريع يبعد عنهم أى شعور بأنهم عالة على الأنصار فكان أن شرع نظام المؤاخاة، ولا تختلف الروايات فى تاريخ تشريعه إلا اختلافاً يسيراً، فهى تُجمع على أن المؤاخاة وقعت فى السنة الأولى الهجرية، وتختلف إن كان ذلك بعد بناء المسجد فى المدينة أو خلال بنائه، وكان إعلان هذا التشريع فى دار أنس بن مالك كما صرحت الروايات، ووقعت المؤاخاة بين طرفين هما المهاجرين والأنصار، فأخى الرسول ﷺ بين كل مهاجرى وأنصارى اثنين اثنين. وقد شملت المؤاخاة تسعين رجلاً، خمسة وأربعين من المهاجرين، وخمسة وأربعين من الأنصار.

وقد ترتب على تشريع نظام المؤاخاة حقوق خاصة بين المتأخين كالمواساة بين الإثنين، والمواساة ليست محددة بأمر معينة، بل مطلقة لتعنى كل أوجه العون على مواجهة أعباء الحياة سواء كان عوناً مادياً، أو رعاية ونصيحة وتزاوراً ومحبة؛ كما ترتب على المؤاخاة أن يتوارث المتأخون دون ذوى أرحامهم مما يرقى بالعلاقات بين المتأخين إلى مستوى

أعمق وأعلى من أخوة الدم<sup>(١)</sup>. ثم نسخ هذا التوارث بقول الله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥]. وذلك بعد أن تغيرت أحوال المهاجرين بإصابة الغنائم، ومعرفة مسالك طلب الرزق في وطنهم الجديد. وهذه صورة مشرفة لمحبة الأنصار لإخوانهم المهاجرين.

\* عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قالت الأنصار للنبي ﷺ: أقسم بيننا وبين إخواننا النخيل. قال: لا. فقالوا: أتكفونا المؤنة ونُشرككم في الثمرة؟ قالوا: سمعنا وأطعنا<sup>(٢)</sup>.

\* وعن أنس رضى الله عنه: قال: «قالت المهاجرون: يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن بذلاً من كثير، ولا أحسن مواساة في قليل، قد كفونا المؤنة وأشركونا في المهنة<sup>(٣)</sup>، فقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله، قال: فقال رسول الله ﷺ: (كلا ما أثنتم عليهم به ودعوتم الله - عز وجل - لهم)<sup>(٤)</sup>».

\* وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ: «كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار أن يعتلوا معاقلهم<sup>(٥)</sup>، وأن يقدوا عانيهم<sup>(٦)</sup> بالمعروف، والإصلاح بين المسلمين<sup>(٧)</sup>».

### سعد بن الربيع.. وعبد الرحمن بن عوف

وها هو سعد بن الربيع الذى تعايش مع كل آية من آيات القرآن ومع كل حديث من أحاديث النبي ﷺ .. يحقق معنى الأخوة كما أرادها الحق - جل جلاله -.

فعن أنس رضى الله عنه أنه قال: قدم علينا عبد الرحمن بن عوف وأخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع - وكان كثير المال - فقال سعد: قد علمت الأنصار أنى من أكثرها مالاً سأقسم مالى بينى وبينك شطرين - نصفين - ولى امرأتان فانظر أعجبهما

(١) المجتمع المدني فى عهد النبوة خصائصه وتنظيماته الأولى (٧٤، ٧٦) باختصار/ د. أكرم العمرى.

(٢) رواه البخارى (١١٣/٧) مناقب الأنصار. إخوان النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار.

(٣) المهنة: الفرح والسرور.

(٤) أخرجه أحمد فى المسند: ٣/ ٢٠٤ وهو من ثلاثياته وسنده صحيح على شرط الشيخين.

(٥) معاقلهم: المعامل: الديات.

(٦) العانى: الأسير.

(٧) أخرجه أحمد فى المسند: ١/ ٢٧١، ٢/ ٢٠٤، الفتح الربانى: ١٠/ ٢١، وقال الساعى: لم أفق عليه لغير

الإمام أحمد وسنده صحيح.

إليك فأطلقها حتى إذا حَلَّتْ تزوجتها. فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك. فلم يرجع يومئذ حتى أفضل شيئاً من سمن وأقط<sup>(١)</sup> فلم يلبث إلا يسيراً حتى جاء رسول الله ﷺ وعليه وضرٌّ من صفرة فقال له رسول الله ﷺ: «مهيم؟» قال: تزوجت امرأة من الأنصار، قال: «ماسقت فيها؟» قال: وزن نواة من ذهب - أو نواة من ذهب - فقال: «أولم ولو بشاة»<sup>(٢)</sup>.

وإن إعجاب المرء بسماحة (سعد) لا يعدله إلا إعجابه بنبل (عبد الرحمن) الذي زاحم اليهود في سوقهم وبزهم في ميدانهم، واستطاع بعد أيام أن يكسب ما يعف به نفسه ويحصن به فرجه.. ذلك أن علو الهمة من خلائق الإيمان<sup>(٣)</sup>.

### أصحاب النبي ﷺ .. والعقيدة الراسخة

وتعرض الصحابة من المهاجرين والأنصار إلى امتحان شديد في عقيدتهم حين خبرهم الله بين الالتزام بمصالحهم الدنيوية وعلاقاتهم النسبية من جهة وبين الالتزام بالعقيدة فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

وقد نجح صحابة النبي ﷺ في هذا الامتحان العسير، وغلبوا حب الله ورسوله وأصرة العقيدة على كل ما سوى ذلك، فكان مجتمع المدينة الجديد مجتمعاً عقدياً يرتبط بالإسلام ولا يعرف الموالات إلا لله ولرسوله وللمؤمنين، ومع ذلك فهو مجتمع مفتوح لمن أراد أن يلتحق به فيؤمن بعقيدته بعد أن يخلع نفسه عن عقيدة الجاهلية وصفاتها ودون أى اعتبار لجنسه أو لونه أو انتمائه السابق<sup>(٤)</sup>.

\*\*\*

(١) الأقط: قطع الجبن.

(٢) أخرجه البخارى (٣٧٨١) والطبرانى فى الكبير (٥٤٠٤).

(٣) فقه السيرة للشيخ الغزالي (ص: ١٩٣).

(٤) نضرة النعيم (١/٢٦٨).

### النبي ﷺ يبني بعائشة (رضى الله عنها)

\* عن عائشة رضى الله عنها قالت: «تزوجني النبي وأنا بنت ست سنين، فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج، فوعكت<sup>(١)</sup> فتمزق شعري، فوفى جميمة<sup>(٢)</sup>، فأنتنى أمى - أم رومان - وإنى لفى أرجوحة ومعى صواحب لى، فصرخت بى فأنتيتها، لا أدرى ما تريد بى، فأخذت بيدي حتى أوقفتنى على باب الدار، وإنى لأنهج<sup>(٣)</sup> حتى سكن بعض نفسى، ثم أخذت شيئاً من ماء فمسحت به وجهى ورأسى، ثم أدخلتنى الدار، فإذا نسوة من الأنصار فى البيت، فقلن: على الخير والبركة، وعلى خير طائر، فأسلمتنى إليهن، فأصلحن من شأنى، فلم يرعنى إلا رسول الله ﷺ ضحى، فأسلمتنى إليه، وأنا يومئذ بنت تسع سنين»<sup>(٤)</sup>.

\* وعن عائشة. قَالَتْ: تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي شَوَّالٍ. وَبَنَى بِي فِي شَوَّالٍ. فَأَيُّ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ أَحْظَى عِنْدَهُ مِنِّي؟  
قَالَ: وَكَانَتْ عَائِشَةٌ تَسْتَحِبُّ أَنْ تُدْخَلَ نِسَاءَهَا فِي شَوَّالٍ<sup>(٥)</sup>.

### أول مولود فى دار الهجرة

\* من حديث أسماء رضى الله عنها أنها حملت بعبد الله بن الزبير، قالت: «فخرجت وأنا متم<sup>(٦)</sup>، فأتيت المدينة، فنزلت بقاء فولدته بقاء، ثم أتيت به النبي ﷺ فوضعتة فى حجره، ثم دعا بتمره فمضغها ثم تفل فى فيه - فمه - فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ، ثم حنكه بتمره، ثم دعا له وبرك عليه، وكان أول مولود وُلد فى الإسلام»<sup>(٧)</sup>.

(١) وعكت: مرضت.

(٢) الجميمة: الشعر القصير.

(٣) أنهج: اتنفس بسرعة.

(٤) أخرجه البخارى (٣٨٩٤) مناقب الأنصار - ومسلم (١٤٢٢) النكاح.

(٥) أخرجه مسلم (٧٣) (١٤٢٣) النكاح.

(٦) متم: أتمت شهور الحمل بعبد الله بن الزبير.

(٧) أخرجه البخارى (٣٩٠٩) مناقب الأنصار - ومسلم (٢١٤٦) الأدب.

## خبر الأذان

أورد ابن هشام رواية ابن إسحاق التي جاء فيها: «لما اطمأن رسول الله ﷺ بالمدينة، واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين، واجتمع إليه أمر الأنصار، استحکم أمر الإسلام، فقامت الصلاة، وفُرضت الزكاة والصيام، وقامت الحدود، وفرض الحلال والحرام وتبوءوا الإسلام بين أظهرهم، وكان هذا الحى من الأنصار هم الذين تبوءوا الدار والإيمان، وقد كان رسول الله ﷺ حينما قدمها إنما يجتمع الناس إليه للصلاة لحين موافقتها، بغير دعوة»<sup>(١)</sup>.

\* عن عبد الله بن زيد قال: «لما أمر رسول الله ﷺ بالناقوس<sup>(٢)</sup> ليضرب به للناس لجمع الصلاة، طاف بى وأنا نائم رجل يحمل ناقوساً: فقلت: يا عبد الله أتبيع الناقوس؟ فقال: وما تصنع به؟ فقلت: ندعو به إلى الصلاة. قال: أفلا أدلك على خير من ذلك؟ فقلت: بلى فقال: تقول الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حى على الصلاة، حى على الصلاة، حى على الفلاح، حى على الفلاح، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله. قال: ثم استأخر عنى غير بعيد ثم قال: وتقول إذا قمت إلى الصلاة: الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حى على الصلاة، حى على الفلاح، قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، فلما أصبحت أتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بما رأيت، فقال: (إنها لرؤيا حق إن شاء الله، فقم مع بلال، فألق عليه ما رأيت فليؤذن به، فإنه أندى صوتاً منك)<sup>(٣)</sup>.

وزاد أحمد فى رواية «فقمتم مع بلال، فجعلت ألقيه عليه، ويؤذن به، قال: فسمع ذلك عمر بن الخطاب وهو فى بيته، فخرج يجر رداءه ويقول: والذى بعثك بالحق يا رسول الله لقد رأيت مثل ما رأى، فقال رسول الله ﷺ: (فلله الحمد)<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن هشام - السيرة النبوة (١/٥٠٨) وقد رواه الترمذى وابن ماجه بإسناد صحيح كما قال الشيخ الألبانى

- صحيح سنن الترمذى (١/٦١، ٦٢) وقد ورد كذلك فى صحيح مسلم بشرح النووى (٤/٧٥).

(٢) الناقوس: الجرس.

(٣) أندى: أجمل.

(٤) رواه أبو داود (٤٩٩) وأحمد (٤/٤٣) والترمذى (١٨٩) وقد صححه جماعة من الأئمة كالبخارى

والذهبى والنووى وغيرهم.

## حادثة تحويل القبلة

\* عن أنس قال: «أن رسول الله ﷺ كان يصلي نحو بيت المقدس، فنزلت: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤] فمر رجل من بني سلمة وهم ركوع في صلاة الفجر وقد صلوا ركعة: فنأدى ألا إن القبلة قد حوَّلت. فمالوا كما هم نحو القبلة»<sup>(١)</sup>.

\* وعن البراء بن عازب رضى الله عنهما: «أن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده - أو قال أخواله - من الأنصار، وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن صلى معه، فمر على أهل مسجد وهم راكعون، فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قبل مكة، فداروا - كما هم - قبل البيت، وكانت اليهود قد أعجبهم إذا كان يصلى قبل بيت المقدس، وأهل الكتاب، فلما ولي وجهه قبل البيت أنكروا ذلك».

قال زهير، حدثنا إسحاق عن البراء في حديثه هذا: أنه مات على القبلة (قبل أن تُحوَّل) رجالاً وُقِّلتوا، فلم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]<sup>(٢)</sup>.

## الحكمة في تحويل القبلة

وكان لله في جعل القبلة إلى بيت المقدس ثم تحويلها إلى الكعبة حكمٌ عظيمٌ ومحنةٌ للمسلمين والمشركين واليهود والمنافقين. فأما المسلمون فقالوا: سمعنا وأطعنا وقالوا: ﴿أَمَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧] وهم الذين هدى الله ولم تكن كبيرة عليهم. وأما المشركون فقالوا كما رجع إلى قبلتنا يوشك أن يرجع إلى ديننا وما رجع إليها إلا أنه الحق. وأما اليهود فقالوا: خالف قبلة الأنبياء قبله، ولو كان نبياً لكان يصلى إلى قبلة الأنبياء. وأما المنافقون فقالوا: ما يدرى محمد أين يتوجه إن كانت الأولى حقاً فقد تركها، وإن كانت الثانية هي الحق فقد كان على باطل.

(١) أخرجه مسلم (٥٢٧) المساجد ومواضع الصلاة.

(٢) أخرجه البخارى (٤٠) الإيمان - ومسلم (٥٢٥) المساجد.

وكثر أقاويل السفهاء من الناس، وكانت كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٣]. وكانت محنة من الله امتحن بها عباده ليرى من يتبع الرسول منهم ممن يتقلب على عقبيه<sup>(١)</sup>.

\* وفي تحويل القبلة إشارة لطيفة إلى بداية دور جديد لا ينتهى إلا بعد احتلال المسلمين هذه القبلة، أو ليس من العجب أن تكون قبلة قوم بيد أعدائهم، وإن كانت بأيديهم فلا بد من تخليصها يوماً<sup>(٢)</sup>.

### مشروعية الصيام والزكاة وصدقة الفطر

وفي شعبان من هذه السنة (السنة الثانية من الهجرة) أوجب الله صوم شهر رمضان على الأمة الإسلامية، وكان ﷺ قبل ذلك يصوم ثلاثة أيام من كل شهر، والصيام من دعائم هذا الدين والفرائض التي يتم بها النظام، فإن الإنسان مجبول على حب نفسه والسعى فيما يعود عليها بالنفع الخاص تاركاً ما وراء ذلك من حاجات الضعفاء والمساكين، فلا بد من وازع يزعه لحاجات قوم أقعدتهم قواهم عن إدراك حاجاتهم، ولا أقوى من ذوق قوارص الجوع والعطش، إذ بهما تلين نفسه ويتهدب خلقه فيسهل عليه بذل الصدقات، ولذلك أوجب الشارع الحكيم عقب الصوم زكاة الفطر، فترى الإنسان يبذلها بسخاء نفس ومحبة خالصة<sup>(٣)</sup>.

### قريش تتصل برأس المنافقين للتعاون على إيذاء النبي ﷺ

قد أسلفنا ما كان يأتي به كفار مكة من التنكيلات، والويلات ضد المسلمين، وما فعلوا بهم عند الهجرة، مما استحقوا لأجلها المصادرة والقتال، إلا أنهم لم يكونوا ليفيقوا من غيهم، ويمتنعوا عن عدوانهم، بل زادهم غيظاً أن فاتهم المسلمون ووجدوا مأمناً ومقرراً بالمدينة، فكتبوا إلى عبد الله بن أبي ابن سلول، وكان إذ ذاك مشركاً بصفته رئيس الأنصار قبل الهجرة - فمعلوم أنهم كانوا مجتمعين عليه، وكادوا يجعلونه ملكاً على أنفسهم لولا أن هاجر رسول الله ﷺ، وآمنوا به - كتبوا إليه وإلى أصحابه المشركين يقولون لهم في كلمات باطة:

(١) زاد المعاد (٣/٦٦، ٦٧).

(٢) الرحيق المختوم (ص: ٢١١).

(٣) نور اليقين للشيخ محمد الحضري (ص: ٩٠، ٩١) بتصرف.



إنكم أويتم صاحبنا، وإنا نقسم بالله لَتُقَاتِلَنَّ أَوْ لَتُخْرِجَنَّ، أو لنسيرن إليكم بأجمعنا، حتى نقتل مقاتلتكم، ونستبيح نساءكم.

وبمجرد بلوغ هذا الكتاب قام عبد الله بن أبي ليثيمثل أوامر إخوانه المشركين من أهل مكة - وقد كان يحقد على النبي ﷺ لما يراه أنه استلبه ملكه - يقول عبد الرحمن بن كعب: فلما بلغ ذلك عبد الله بن أبي ومن كان معه من عبدة الأوثان؛ اجتمعوا لقتال رسول الله ﷺ فلما بلغ ذلك النبي ﷺ لقيهم، فقال: «لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، ما كانت تكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم، تريدون أن تقتلوا أبناءكم وإخوانكم؟!» فلما سمعوا ذلك من النبي ﷺ تفرقوا<sup>(١)</sup>.

\* امتنع عبد الله بن أبي ابن سلول عن إرادة القتال عند ذاك؛ لما رأى خوراً في أصحابه، ولكن يبدو أنه كان متواطئاً مع قريش، فكان لا يجد فرصة إلا ويتنزهها لإيقاع الشر بين المسلمين والمشركين، وكان يضم معه اليهود؛ ليعينوه على ذلك، ولكن تلك هي حكمة النبي ﷺ التي كانت تطفئ نار شرهم حيناً بعد حين<sup>(٢)</sup>.

\* عن أسامة بن زيد قال: «إن النبي، ركب حماراً، عليه إكاف<sup>(٣)</sup> تحته قطيفة فدكيه<sup>(٤)</sup>، وأردف وراءه أسامة، وهو يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج. وذاك قبل وقعة بدر، حتى مر بمجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان، واليهود، فيهم عبد الله بن أبي، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة<sup>(٥)</sup>، خمّر عبد الله بن أبي أنفه<sup>(٦)</sup> بردائه ثم قال: لا تغبروا علينا.

فسلم عليهم النبي ﷺ ثم وقف فنزل، فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن. فقال عبد الله بن أبي: أيها المرء! لا أحسن من هذا، إن كان ما تقول حقاً، فلا تؤذنا في مجالسنا، وارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه.

فقال عبد الله بن رواحة: اغشنا في مجالسنا، فإننا نحب ذلك، قال: فاستبَّ المسلمون

(١) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٩٧٣٣/٥)، ومن طريقه أبو داود (٣٠٠٤)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (١٧٨/٣) وإسناده صحيح.

(٢) انظر في هذا الصدد صحيح البخاري (٤٩٠٠/٨، ٤٩٠٧).

(٣) إكاف: هو للحمار بمنزلة السرج للفرس.

(٤) قطيفة: دثار مخمل.

(٥) عجاجة الدابة: ما ارتفع من غبار حوافرها.

(٦) خمّر أنفه: غطاه.

والمشركون واليهود، حتى هموا أن يتواثبوا. فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم<sup>(١)</sup>، ثم ركب دابته حتى دخل على سعد بن عباد، فقال: (أى سعد ألم تسمع إلى ما قال أبو حباب؟) ويريد عبد الله بن أبي (قال كذا وكذا) قال: اعف عنه يا رسول الله واصفح. فوالله! لقد أعطاك الله الذى أعطاك ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة أن يتوجوه، فيعصبوه بالعصاة، فلما ردّ الله ذلك بالحق الذى أعطاكه، شرق بذلك<sup>(٢)</sup>، فذلك فعل به ما رأيت، فعفا عنه النبي ﷺ<sup>(٣)</sup>.

### سعد بن معاذ (رضى الله عنه).. ومحاولة منعه من الطواف بالبيت

\* عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: انطلق سعد بن معاذ معتمراً، قال فنزل على أمية بن خلف أبي صفوان، وكان أمية إذا انطلق إلى الشام فمرّ بالمدينة نزل على سعد، فقال أمية لسعد: ألا انتظر حتى إذا انتصف النهار وغفل الناس انطلقت فطفت؟ فبينما سعد يطوف إذا أبو جهل، فقال: من هذا الذى يطوف بالكعبة؟ فقال سعد: أنا سعد. فقال أبو جهل: تطوف بالكعبة أمناً وقد آوئتم محمداً وأصحابه؟ فقال: نعم: فتلاحيا بينهما. فقال أمية لسعد: لا ترفع صوتك على أبي الحكم، فإنه سيد أهل الوادى. ثم قال سعد: والله لئن منعتنى أن أطوف بالبيت لأقطعن متجرك بالشام<sup>(٤)</sup>.

### والله يعصمك من الناس

ثم إن قريشاً أرسلت إلى المسلمين تقول لهم: لا يغرنكم أنكم أفلتمونا إلى يثرب وسنأتيكم فنستأصلكم ونبيد خضراءكم فى عقر داركم<sup>(٥)</sup>.

ولم يكن هذا كله وعيداً مجرداً، فقد تأكد عند رسول الله ﷺ من مكائد قريش وإرادتها على الشر ما كان لأجله لا يبيت إلا ساهراً، أو فى حرس من الصحابة، فقد روى مسلم فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها قالت: سهر رسول الله ﷺ مقدمه المدينة ليلة، فقال: «ليت رجلاً صالحاً من أصحابى يحرسنى الليلة»، قالت: فبينما نحن

(١) يخفضهم: يسكنهم ويسهل الأمر بينهم.

(٢) شرق بذلك: غص ومعناه حسد النبي.

(٣) أخرجه البخارى (٤٥٦٦) التفسير - ومسلم (١٧٩٨) الجهاد والسير.

(٤) أخرجه البخارى (٣٦٣٢) كتاب المناقب.

(٥) رحمة للعالمين (١/١١٦).

كذلك سمعنا خشخشة سلاح، فقال: «من هذا؟» قال: سعد بن أبي وقاص، فقال له رسول الله ﷺ: «ما جاء بك؟» فقال: وقع في نفسي خوف على رسول الله، فجئت أحرسه، فدعا له رسول الله ﷺ ثم نام<sup>(١)</sup>.

ولم تكن هذه الحراسة مختصة ببعض الليالي بل كان ذلك أمراً مستمراً، فقد روى عن عائشة، قالت: كان رسول الله ﷺ يُحرس ليلاً، حتى نزل: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة، وقال: «يا أيها الناس انصرفوا عني فقد عصمني الله عز وجل»<sup>(٢)</sup>.

ولم يكن الخطر مقتصرًا على رسول الله ﷺ بل على المسلمين كافة، فقد روى أبيُّ ابن كعب، قال: لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة وآوتهم الأنصار، رمتهم العرب عن قوس واحدة، وكانوا لا يبيتون إلا بالسلاح ولا يصبحون إلا فيه<sup>(٣)</sup>.

### الإذن بالقتال

\* قال الزهري أول آية نزلت في القتال كما أخبرني عروة عن عائشة رضی الله عنها ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾ [الحج: ٣٩]<sup>(٤)</sup>.

\* قال الإمام ابن القيم رحمه الله: فلما استقر رسول الله ﷺ بالمدينة، وأيده الله بنصره، وبعباده المؤمنين الأنصار، وألَّف بين قلوبهم بعد العداوة والإحن التي كانت بينهم، فمنعه أنصار الله وكتيبة الإسلام من الأسود والأحمر، وبذلوا نفوسهم دونه، وقدموا محبته على محبة الآباء والأبناء والأزواج، وكان أولى بهم من أنفسهم، رمتهم العرب واليهود عن قوس واحدة، وشمروا لهم عن ساق العداوة والمحاربة، وصاحوا بهم من كل جانب، والله سبحانه يأمرهم بالصبر والعفو والصفح، حتى قويت الشوكة، واشتد الجناح فأذن لهم حيثئذ في القتال، ولم يفرضه عليهم، فقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩].

وقالت طائفة: إن هذا الإذن كان بمكة، والسورة مكية، وهذا غلط لوجوه:

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٥)، ومسلم (٢٤١٠)، والترمذي (٣٧٥٧).

(٢) رواه الترمذي والحاكم (٣١٤/٢) وصححه ووافقه الذهبي وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٤٤٠).

(٣) الرحيق المختوم (ص: ٢٠٢، ٢٠٣).

(٤) فتح الباري (٧/ ٢٨٠) وقال: أخرجه النسائي وإسناده صحيح.

أحدها: أن الله لم يأذن بمكة لهم في القتال، ولا كان لهم شوكة يتمكنون بها من القتال بمكة.

الثاني: أن سياق الآية يدل على أن الإذن بعد الهجرة وإخراجهم من ديارهم فإنه قال: ﴿الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بغيرِ حَقِّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: ٤٠] وهؤلاء هم المهاجرون.

الثالث: قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩] نزلت في الذين تبارزوا يوم بدر من الفريقين.

الرابع: أنه قد خاطبهم في آخرها بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: ٧٧] والخطاب بذلك كله مدني، فأما الخطاب يا أيها الناس فمشارك.

الخامس: أنه أمر فيها بالجهاد الذي يعم الجهاد باليد وغيره، ولا ريب أن الأمر بالجهاد المطلق إنما كان بعد الهجرة، فأما جهاد الحجة فأمر به في مكة بقوله: ﴿فَلَا تَطْعَمُ الكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾ أي بالقرآن ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢]؛ فهذه سورة مكية، والجهاد فيها هو التبليغ وجهاد الحجة، وأما الجهاد المأمور به في سورة الحج فيدخل فيه الجهاد بالسيف.

السادس: أن الحاكم روى في مستدركه من حديث الأعمش عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: لما خرج رسول الله ﷺ من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم، إن الله وإنا إليه راجعون، ليهلكن فأنزل الله عز وجل: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾ [الحج: ٣٩] وهي أول آية نزلت في القتال<sup>(١)</sup>. وإسناده على شرط الصحيحين وسياق السورة يدل على أن فيها المكي والمدني.

ثم فرض عليهم القتال بعد ذلك لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم، فقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٠]؛ ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة، وكان محرماً، ثم مأذوناً به، ثم مأموراً به لمن بدأهم بالقتال، ثم مأموراً به لجميع المشركين، إما فرض عين على أحد القولين، أو فرض كفاية على المشهور<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه الحاكم (٦٦/٢) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وأحمد (٢١٦/١) والترمذي (٣١٧٠) شاكر.

(٢) زاد المعاد (٦٩/٣)، (٧١).

## الغزوات والسرايا قبل بدر

وكما هو معروف في فن الحرب أن الهجوم أقوى وسائل الدفاع، وقريش مصممة على خوض المعركة مع الرسول ﷺ، فلتكن المبادرة منه، ومن أجل هذا كانت السنة الأولى كلها سنة هجوم على قوافل قريش، فلقد جهز رسول الله ﷺ ثمانى سرايا وكانت كلها لاعتراض غير قريش ماعدا واحدة كانت رداً على هجوم قام به كرز بن جابر الفهري، واستمرت هذه السرايا من رمضان السنة الأولى للهجرة إلى رمضان فى السنة الثانية من الهجرة، وكان قادة هذه السرايا جميعا من المهاجرين، وكان لهذا معنى خاص فى هذه الحرب، فأصل العهد مع الأنصار هو حماية رسول الله ﷺ وصحبه فى المدينة، وهذه السرايا تعرض للقوافل خارج المدينة، هذا من جهة؛ ومن جهة ثانية فلا بد من تدريب شباب الدعوة على الحرب بعد أن أمروا بكف أيديهم خلال ثلاثة عشر عاماً من العهد المكي.

ومن جهة ثالثة، فلا بد أن تعرف قريش أن هؤلاء المهاجرين الفارين من اضطهادها فى مكة ليسوا موطن ضعف وهوان، بل هم قوة مرهوبة ذات شوكة عليها أن تحسب ألف حساب قبل أن تفكر فى مواجهتهم.

ومن جهة رابعة فعلى قريش أن تذوق وبال أمرها لموقفها المشين من الدعوة وأن تتجرع مرارة هذا الموقف، فتعلم أن مصالحها وتجارتهما صارت مهب الريح بعد أن سيطر المسلمون على شريان حياتها من خلال قوافلها إلى الشام، حيث أصبحت رحلة الصيف عندها وخيمة العواقب<sup>(١)</sup>.

### • غزوة ودان «الأبواء»:

وهى أول غزواته ﷺ، فقد خرج غازياً من المدينة فى الثانى عشر من شهر صفر بعد مضى سنة كاملة على قدومه إلى المدينة (سنة ٢هـ)، حتى بلغ ودان<sup>(٢)</sup>، وكان يستهدف قريشاً وبنى ضمرة بن بكر بن عبد مناه بن كنانة. وقد وادعه مخشى بن عمرو الضميرى عن بنى ضمرة «ألا يكثرُوا عليه ولا يعينوا عليه أحداً»<sup>(٣)</sup>. وقد عاد عليه الصلاة والسلام

(١) المنهج الحركى للسيرة النبوية (١/ ٢٣٢، ٢٣٣) أ/ منير محمد الغضبان.

(٢) إحدى القرى الجامعة فى منطقة الفرع، تبعد عن المدينة حوالى ٢٤ ميلاً.

(٣) أورده ابن سعد - الطبقات (١/ ٢٧٥).

بقواته إلى المدينة ولم يلق كيداً، «فأقام بها بقية صفر، وصدرًا من شهر ربيع الأول»<sup>(١)</sup>.

### • سرية عبيدة بن الحارث:

وكانت أول راية عقدتها النبي ﷺ هي راية سرية عبيدة بن الحارث الذي بعثه في ستين رجلاً من المهاجرين بعد عودته من غزوة ودان، فسار حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل ثنية المرأة، فلقى جمعاً عظيماً من قريش عليهم عكرمة ابن أبي جهل، فلم يكن بينهم قتال، إذ حصل تناوش وتراشق بالسهام، وكان سعد بن أبي وقاص أول من رمى بسهم في الإسلام في هذه السرية، ثم انصرف القوم بعضهم عن بعض، وللمسلمين حامية، وفر من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو البهراني حليف بنى زهرة، وعتبة بن غزوان بن جابر المازني حليف بنى نوفل بن عبد مناف وكانا مسلمين ولكنهما جعلتا خروجهما مع الكفار وسيلة للوصول إلى المسلمين<sup>(٢)</sup>.

### • سرية حمزة إلى سيف البحر:

وأرسل الرسول ﷺ سرية من ثلاثين رجلاً جعل عليهم عمه حمزة بن عبد المطلب، إلى سيف البحر ليعترضوا قافلة تجارية لقريش قادمة من الشام فيها أبو جهل في ثلاثمائة رجل، ولكنهم لم يشتبكوا مع قريش في قتال فقد حجز بينهم مجدى بن عمرو الجهني وكان حليفاً للطرفين<sup>(٣)</sup>.

### • غزوة بواط:

قاد الرسول ﷺ غزوة شارك فيها مائتين من الصحابة، استهدفت اعتراض قافلة تجارية لقريش يرأسها أمية ابن خلف ويرعاها مائة رجل من قريش، وفيها ألفان وخمسمائة بعير محملة بأنواع البضائع - وقد وصل النبي ﷺ بقواته إلى بواط، وهي من جبال جهينة من ناحية رضوى، ثم رجع حين لم يعثر على القافلة، ولم يلق حرباً. وكان قد استعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون<sup>(٤)</sup>.

(١) البخارى - الصحيح (فتح البارى ٧/٢٧٩).

(٢) الطبقات لابن سعد (٧/٢).

(٣) الطبقات لابن سعد (٦/٢).

(٤) السيرة لابن هشام (١/٥٩٨).

### • غزوة العشيرة.

وغزا رسول الله ﷺ قريشاً لاعتراض قوافلها التجارية، وكان معه مائة وخمسون من أصحابه، فبلغ العشيرة بناحية ينبع، وفاتته العير، ووادع في هذه الغزوة بنى مدلج وحلفاءهم من بنى ضمرة، ثم عاد إلى المدينة، ولم يلق حرباً<sup>(١)</sup>.

### • سرية سعد بن أبي وقاص إلى الخرار:

بلغ النبي ﷺ أن عيراً لقريش في طريقها إلى مكة، وأنها قد أخذت طريق الخرار، فانتدب سعد بن أبي وقاص لقيادة سرية لاعتراضها، يقول سعد: «فخرجت في عشرين رجلاً أو إحدى وعشرين على أقدامنا، نكمن بالنهار ونسير بالليل حتى صبّحناها صبح خمس، فوجد العير قد مرّت بالأمس، وقد كان النبي ﷺ عهد إلى ألا أجاوز الخرار، ولولا ذلك لرجوت أن أدركهم»<sup>(٢)</sup>.

### • غزوة بدر الأولى (الصغرى):

أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة المنورة في أعقاب غزوة العشيرة، ونهب بعض الإبل والمواشى، فخرج رسول الله ﷺ يطارده مع عدد من الصحابة، إلى أن وصلوا وادي سنوان من نواحي بدر، وتمكن كرز الفهري من الإفلات من حملة المطاردة، وقد تأكد من جراء هذا الحادث ضرورة توثيق المسلمين لعلاقاتهم مع القبائل المجاورة للمدينة. وكان النبي ﷺ قد استعمل زيد بن حارثة<sup>(٣)</sup>.

### • سرية عبد الله بن جحش:

وبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش بن رئاب الأسدي في رجب، مَقْفَلَهُ من بدر الأولى، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحد وكتب له كتاباً، وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه، فيمضى لما أمره به، ولا يستكره من أصحابه أحداً.

فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب، فنظر فيه، فإذا فيه: إذا نظرت في

(١) انظر البخارى (٣٩٤٩) غزوة العشيرة.

(٢) ابن هشام (١/٦٠٠).

(٣) ابن هشام (١/٦٠١).

كتابي هذا فامض حتى تنزل (نخلة) بين مكة والطائف، فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم، فلما نظر عبد الله بن جحش في الكتاب قال: سمعاً وطاعاً؛ ثم قال لأصحابه: قد أمرني رسول الله ﷺ أن أمضى إلى نخلة، أرصد بها قريشاً، حتى آتية منهم بخبر؛ وقد نهاني أن أستكره أحداً منكم، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع، فأما أنا فماض لأمر رسول الله ﷺ، فمضى ومضى معه أصحابه، لم يتخلف عنه منهم أحد.

وسلك على الحجاز، حتى إذا كان بمعدن، فوق الفرع، يقال له: بحران أضل سعد ابن أبي وقاص، وعتبة بن غزوان بعيراً لهما، كانا يعتقبانه فتخلفا عليه في طلبه. ومضى عبد الله بن جحش وبقيّة أصحابه حتى نزل بنخلة، فمرت به عير لقريش تحمل زبيباً وأدماً - الجلد - وتجارة من تجارة قريش فيها عمرو بن الحضرمي.

فلما رأهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريباً منهم، فأشرف لهم عكاشة بن محصن، وكان قد حلق رأسه، فلما رأوه أمنوا، وقالوا: عمار - أي جاءوا لأداء العمرة لا بأس عليكم منهم - وتشاور القوم فيهم، وذلك في آخر يوم من رجب؛ فقال القوم: والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم، فليمتنعن منكم به، ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام؛ فتردد القوم، وهابوا الإقدام عليهم، ثم شجعوا أنفسهم عليهم، وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم، وأخذ ما معهم فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو ابن الحضرمي بسهم فقتله، واستأسر عثمان بن عبد الله، والحكم بن كيسان - أخذهما أسرى - وأفلت من القوم نوفل بن عبد الله فأعجزهم، وأقبل عبد الله ابن جحش وأصحابه بالعيير وبالأسيرين حتى قدموا على رسول الله ﷺ المدينة.

وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش: أن عبد الله قال لأصحابه: إن لرسول الله ﷺ مما غنمنا الخمس - وذلك قبل أن يفرض الله تعالى الخمس من المغنم - فعزل لرسول الله ﷺ خمس العير، وقسم سائرهما بين أصحابه.

فلما قدموا على رسول الله ﷺ المدينة؛ قال: «ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام»، فوقف العير والأسيرين، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً؛ فلما قال ذلك رسول الله ﷺ سقط في أيدي القوم، وظنوا أنهم قد هلكوا، وعنفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا، وقالت قريش: قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام، وسفكوا فيه الدم، وأخذوا فيه الأموال، وأسروا فيه الرجال فقال: من يردّ عليهم من المسلمين، ممن كان



بمكة: إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان.

فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، أى إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام، فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به، وعن المسجد الحرام وإخراجكم منه وأنتم أهله أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم ﷻ والفتنة أكبر من القتل ﷻ أى قد كانوا يفتنون المسلم عن دينه حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه، فذلك أكبر عند الله من القتل ﷻ ولا يزالون يُقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﷻ أى ثم هم مقيمون على أخبث من ذلك وأعظمه، غير تائبين ولا نازعين.

فلما نزل القرآن بهذا الأمر، وفرج الله تعالى عن المسلمين ما كانوا فيه من الشَّقَقِ، قبض رسول الله ﷺ العير والأسيرين، وبعثت إليه قريش فداءً في عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان، فقال رسول الله ﷺ: «لا نُفديكموهما حتى يقدم صاحبانا - يعنى سعد بن أبى وقاص، وعتبة بن غزوان - فإننا نخشاكم عليهما، فإن تقتلوهما نقتل صاحبكم، فتقدم سعد وعتبة، فأفداهما رسول الله ﷺ منهم.

فأما الحكم بن كيسان فأسلم فحسن إسلامه، وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قُتل يوم بئر معونة شهيداً، وأما عثمان بن عبد الله فلاحق بمكة، فمات بها كافراً.

فلما تجلّى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن، طمعوا فى الأجر. فقالوا: يا رسول الله، أنطمع أن تكون لنا غزوة نُعطى فيها أجر المجاهدين؟ فأنزل الله عز وجل فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨] فوضعهم الله عز وجل من ذلك على أعظم الرجاء (١).

\*\*\*

(١) ذكره الهيثمى فى المجمع (١٩٨/٦) وقال: رواه الطبرانى ورجاله ثقات وأخرجه البيهقى فى السنن الكبرى (٥٨/٩، ٥٩) عن عروة وإسناده صحيح.

## غزوة بدر الكبرى<sup>(١)</sup>

قد أسلفنا في ذكر غزوة العشيرة أن عيراً لقريش أفلتت من النبي ﷺ في ذهابها من مكة إلى الشام، ولما قرب رجوعها من الشام إلى مكة بعث رسول الله ﷺ طلحة بن عبيد الله، وسعيد بن زيد إلى الشمال، ليقوما باكتشاف خبرها فوصلا إلى الروحاء، ومكثتا حتى مر بهما أبو سفيان بالعيير، فأسرعا إلى المدينة، وأخبرا رسول الله ﷺ بالخبر. كانت العير مركبة من ثروات طائلة من أهل مكة، ألف بعير موقرة بالأموال، لا تقل عن خمسين ألف دينار ذهبي، ولم يكن معها من الحرس إلا نحو أربعين رجلاً. إنها فرصة ذهبية لعسكر المدينة، وضربة عسكرية واقتصادية قاصمة ضد المشركين لو أنهم فتدوا هذه الثروة الطائلة، لذلك أعلن رسول الله ﷺ في المسلمين قائلاً: «هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها»<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: «التمسوها (يعنى ليلة القدر) في سبع عشرة، وتلاه هذه الآية ﴿يوم التتى الجمعان﴾ يوم بدر، قال: أو تسع عشرة، أو إحدى وعشرين» رواه أبو داود بإسناد صحيح. ومن حديث ابن مسعود أيضاً: قال في ليلة القدر (تحروها لإحدى عشرة يتيقن صيحتها يوم بدر). قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله: «أما غزوة بدر فمتفق عليه بين أهل السير: ابن إسحاق وموسى بن عقبة وأبو الأسود وغيرهم، وانفقوا على أنها كانت في رمضان، قال ابن عساکر: والمحفوظ أنها كانت في يوم الجمعة، وروى أنها كانت في يوم الاثنين وهو شاذ، ثم الجمهور على أنها كانت سابع عشر، وقيل ثاني عشرة، وجمع بينهما بأن الثاني ابتداء الخروج والسابع عشر يوم الواقعة» التلخيص الحبير (٤/٨٩).

قلت: وخلاصة الأمر كما جاء في قول ابن حجر أن الخروج كان في الثاني عشر، والسابع عشر يوم الوقفة، والتاسع عشر كما في قول ابن مسعود الثاني هو انتهاء الغزوة وخاصة أن الرسول عليه السلام كان يقم في عرصة أي قوم يغزوهم ثلاثاً، وكذا فعل في بدر كما سيأتي بيانه. [صحيح السيرة النبوية (ص ٢١٩)] لإبراهيم العلي.

(٢) أخرجه ابن هشام في «السيرة» (٢/٤٤٠)، والطبري في تفسيره (٩/١٨٥)، وابن المنذر - كما في الدر المنثور (٣/٣٠٦) بسند حسن عن ابن عباس.

## النبي ﷺ يرسل العيون ليأتوه بخبر العير

※ عن أنس: قال: «بعث رسول الله ﷺ بسيسة عيناً ينظر ما صنعت عير أبي سفيان، فجاء وما في البيت أحد غيري وغير رسول الله (قال: لا أدري ما استثنى بعض نسائه) قال: فحدثه الحديث قال: فخرج رسول الله ﷺ فتكلم فقال: (إن لنا طلبة فمن كان ظهره حاضراً فليركب معنا) فجعل رجال يستأذنونهم في ظهرانهم في علو المدينة فقال: (لا إلا من كان ظهره حاضراً)<sup>(١)</sup> - أي من كان معه دابته وسلاحه -.

### أحداث الغزوة

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

فلما كان في رمضان من هذه السنة، بلغ رسول الله ﷺ خبر العير المقبلة من الشام لقريش صحبة أبي سفيان، وهي العير التي خرجوا في طلبها لما خرجت من مكة، وكانوا نحو أربعين رجلاً، وفيها أموال عظيمة لقريش، فندب رسول الله ﷺ الناس للخروج إليها، وأمر من كان ظهره حاضراً بالنهوض، ولم يحتفل لها احتفالاً بليغاً، لأنه خرج مسرعاً في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، ولم يكن معهم من الخيل إلا فرسان: فرس للزبير بن العوام، وفرس للمقداد بن الأسود الكندي، وكان معهم سبعون بعيراً يعتقب الرجلان والثلاثة على البعير الواحد، فكان رسول الله ﷺ، وعلي، ومرثد بن أبي مرثد الغنوي. يعتقبون بعيراً<sup>(٢)</sup>.

※ وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الأخبار، ويسأل من لقي من الركبان خوفاً على أمر الناس، حتى أصاب خبراً من بعض الركبان: أن محمداً استنفر أصحابه لك ولعيرك فحذر عند ذلك. فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة، وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم، ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه الإمامة باب ثبوت اللجنة للشهيد رقم (١٩٠١).

(٢) هذا قول ابن إسحاق كما في «السيرة» (١/٦١٣، ١/٤١١) والذي جاء في «مسند» أحمد (٣٩٠١)،

(٣٩٦٥) من حديث ابن مسعود قال: كنا يوم بدر، كل ثلاثة على بعير - أي يتعاقبون - وكان أبو لبابة وعلي بن أبي طالب زميلي رسول الله ﷺ، قال: وكانت عقبه رسول الله ﷺ، قال: فقالا: نحن نمشي عنك. فقال: «ما أنتما بأقوى مني، ولا أنا بأعنى عن الأجر منكما» وسنده حسن، وصححه الحاكم

(٣/٢٠)، ووافقه الذهبي.

فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة (١).

### النبي ﷺ يشاور أصحابه بالمدينة

عن أنس؛ أن رسول الله ﷺ شاور، حين بلغه إقبال أبي سفيان. قال: فتكلم أبو بكر فأعرض عنه. ثم تكلم عمر فأعرض عنه. فقام سعد بن عبادة فقال: إيانا تريد؟ يا رسول الله! والذي نفسى بيده! لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها. ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا. قال: فندب رسول الله ﷺ الناس. فانطلقوا حتى نزلوا بدرًا. ووردت عليهم روايا قريش. وفيهم غلام أسود لبني الحجاج. فأخذوه. فكان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن أبي سفيان وأصحابه؟ فيقول: مالي علم بأبي سفيان. ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمية بن خلف. فإذا قال ذلك، ضربوه، فقال: نعم. أنا أخبركم. هذا أبو سفيان. فإذا تركوه فسألوه فقال: ما لي بأبي سفيان علم. ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمية بن خلف في الناس. فإذا قال هذا أيضاً ضربوه. ورسول الله ﷺ قائم يصلى. فلما رأى ذلك انصرف. قال: «والذى نفسى بيده! لتضربوه إذا صدقكم. وتتركوه إذا كذبتكم».

قال: فقال رسول الله ﷺ: «هذا مصرع فلان» قال: ويضع يده على الأرض، ههنا وههنا. قال: فما ماط أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ (٢).

### قوة الجيش.. وتوزيع القيادات

\* عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: «كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير، كان أبو لبابة وعلى بن أبي طالب زميلى رسول الله ﷺ قال: وقال: كانت عقبة رسول الله ﷺ قال: فقالوا: نحن نمشى عنك.

فقال: (ما أنتما بأقوى منى، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما) (٣).

\* وأما عن عدد المسلمين الذين خرجوا في غزوة بدر فلقد جاء في أحاديث صحيحة منها:

(١) أخرجه ابن هشام من طريق ابن إسحاق: (٢/٦٠٦ - ٦٠٧)، بسند صحيح فقد صرح ابن إسحاق بالتحديث والبيهقى فى الدلائل (٣/٣١ - ٣٥) بسنده لابن إسحاق وهو حسن.

(٢) أخرجه مسلم (٨٣) (١٧٧٩) كتاب الجهاد والسير/ باب: غزوة بدر.

(٣) رواه أحمد (١/٤١١) وحسنه أحمد شاكر - ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى.

\* عن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال: «كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، ولم يجاوز معه إلا مؤمن بضعة عشر وثلاثمائة»<sup>(١)</sup>.

\* وعن أبى موسى الأشعري رضى الله عنه قال: «كان عدة أهل بدر عدة أصحاب طالوت يوم جالوت ثلاثمائة وسبعة عشر»<sup>(٢)</sup>.

\* وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: «خرج رسول الله ﷺ يوم بدر فى ثلاثمائة وخمسة عشر رجلاً من أصحابه.. فذكر الحديث»<sup>(٣)</sup>.

وهذه الرواية لا تنافى التى قبلها لاحتمال أن تكون هذه الرواية لم يعد فيها النبى ﷺ ولا الرجل الذى لحق بهم.

\* واستخلف النبى ﷺ على المدينة وعلى الصلاة ابن أم مكتوم، فلما كان بالروحاء رد أبا لبابة بن عبد المنذر، واستعمله على المدينة.

ودفع لواء القيادة العامة إلى مصعب بن عمير القرشى العبدري، وكان هذا اللواء أبيض.

وقسم جيشه إلى كتيبتين:

١ - كتيبة المهاجرين، وأعطى علمها على بن أبى طالب.

٢ - كتيبة الأنصار، وأعطى علمها سعد بن معاذ.

وجعل على قيادة الميمنة الزبير بن العوام، وعلى المسيرة المقداد بن عمرو - وكانا هما الفارسين الوحيدين فى الجيش - وجعل على الساقة قيس بن أبى صعصعة، وظلت القيادة العامة فى يده ﷺ كقائد أعلى للجيش<sup>(٤)</sup>.

\*\*\*

(١) أخرجه البخارى فى المغازى باب عدة أصحاب بدر رقم (٣٩٥٨)، الترمذى فى السير باب ما جاء فى

عدة أصحاب بدر رقم (١٥٩٨) وقال حديث حسن صحيح.

(٢) كشف الأستار عن زوائد البزار رقم (١٧٨٤)، وقال الهيثمى (٩٣/٦) رواه البزار ورجاله ثقات.

(٣) رواه أبو داود (٢٧٤٧) وحسنه الحافظ فى الفتح (٧/٢٩٢).

(٤) الرحيق المختوم (ص: ٢١٣).

### النبي ﷺ يرد صفار السن

وكان الغلمان الذين لم يبلغوا تشتاق قلوبهم للجهاد في سبيل الله والفوز بالشهادة ولكن النبي ﷺ كان يرد كل من كان دون البلوغ.

\* عن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال: «استصغرت أنا وابن عمر يوم بدر، وكان المهاجرون يوم بدر نيفاً على ستين، والأنصار نيفاً وأربعين ومائتين»<sup>(١)</sup>.

\* وعن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه: «أن النبي ﷺ نظر إلى عمير بن أبي وقاص، فاستصغره حين خرج إلى بدر، ثم أجازه قال سعد: فيقال: أنه خانه سيفه قال عبد الله بن جعفر: قُتل يوم بدر»<sup>(٢)</sup>.

### ارجع فلن أستعين بمشرك

\* عن عائشة رضى الله عنها قالت: «خرج رسول الله ﷺ قبل بدر، فلما كان بحرة الوبرة أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة، ففرح أصحاب رسول الله ﷺ حين رأوه، فلما أدركه قال لرسول الله ﷺ جئت لأتبعك وأصيب معك، قال له رسول الله ﷺ: (تؤمن بالله ورسوله؟).

قال: لا. قال: (ارجع فلن أستعين بمشرك).

قالت: ثم مضى، حتى إذا كنا بالشجرة أدركه الرجل. فقال له كما قال أول مرة، فقال له النبي ﷺ: كما قال أول مرة: (قال: ارجع فلن أستعين بمشرك) قال: ثم رجعت فأدركه بالبيداء. فقال له كما قال أول مرة: (تؤمن بالله ورسوله؟) قال: نعم. فقال له رسول الله ﷺ: (فانطلق)<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١) أخرجه البخارى فى المغازى باب عدة أصحاب بدر رقم (٣٩٥٦).

(٢) كشف الاستار عن زوائد البزار: (١٧٧٠) قال الهيثمى فى المجمع (٦٩/٦) رواه البزار ورجاله ثقات.

(٣) أخرجه مسلم (١٨١٧) الجهاد والسير/ باب: كراهة الاستعانة فى الغزو بالكافر.

### الجيش الإسلامى يتحرك نحو بدر

سار رسول الله ﷺ فى هذا الجيش غير المتأهب، فخرج من نقب المدينة، ومضى على الطريق الرئيسى المؤدى إلى مكة، حتى بلغ بئر الروحاء ولما ارتحل منها، ترك طريق مكة ببسار، وانحرف ذات اليمين على النازية (يريد بدرًا)، فسلك فى ناحية منها، حتى جزع وادياً يقال له: رحقان، بين النازية وبين مضيق الصفراء، ثم مر على المضيق، ثم انصب منه حتى قرب من الصفراء، وهنالك بعث بسيس بن عمر الجهنى وعدى بن أبى الزغباء الجهنى إلى بدر، يتجسسان له أخبار العير<sup>(١)</sup>.

### خوف بعض أئمة الكفر من الخروج

※ عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه حدث عن سعد بن معاذ أنه: «كان صديقاً لأمية بن خلف، وكان أمية إذا مر بالمدينة نزل على سعد، وكان سعد إذا مر بمكة نزل على أمية، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة انطلق سعد معتمراً، فنزل على أمية بمكة، فقال لأمية: انظرنى ساعة خلوة لعلنى أن أطوف بالبيت، فخرج به قريباً من نصف النهار، فلقيهما أبو جهل فقال: يا أبا صفوان من هذا معك؟

فقال: هذا سعد. فقال له أبو جهل: ألا أراك تطوف بمكة آمناً وقد أويتم الصبابة، وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينوهم. أما والله لولا أنك مع أبى صفوان ما رجعت إلى أهلك سالمًا، فقال له سعد - ورفع صوته عليه -: أما والله لئن منعتنى هذا لأمنعك ما هو أشد عليك منه: طريقك على المدينة، فقال له أمية: لا ترفع صوتك يا سعد على أبى الحكم سيد أهل الوادى. فقال سعد: دعنا عنك يا أمية، فوالله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنهم قاتلونك). قال: بمكة؟ قال: لا أدرى، ففزع لذلك أمية فزعاً شديداً. فلما رجع أمية إلى أهله قال: يا أم صفوان، ألم ترى ما قال لى سعد؟ قالت: وما قال لك؟ قال: زعم أن محمداً أخبرهم أنهم قاتلى، فقلت له: بمكة؟ قال: لا أدرى. فقال أمية: والله لا أخرج من مكة.

فلما كان يوم بدر استنفر أبو جهل الناس قال: أدركوا غيركم، فكره أمية أن يخرج، فأتاه أبو جهل فقال: يا أبا صفوان إنك متى ما يراك الناس قد تخلفت، وأنت سيد أهل

(١) الرحيق المختوم (ص ٢١٤).

الوادى تخلفوا معك، فلم يزل به أبو جهل حتى قال: أما إذا غلبتني فوالله لأشترين أجود بغير بمكة. ثم قال أمية: يا أم صفوان جهزني. فقالت له: يا أبا صفوان وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربي؟ قال: لا ما أريد أن أجوز معهم إلا قريباً. فلما خرج أمية أخذ لا يترك منزلاً إلا عقل بغيره. فلم يزل بذلك حتى قتله الله - عز وجل - بيدر<sup>(١)</sup>.

### أهل مكة يخرجون للغزو

فتحفظ الناس سراعاً، وقالوا: أظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي؟ كلا، والله ليعلمن غير ذلك، فكانوا بين رجلين: إما خارج وإما باعث مكانه رجلاً، وأوعبوا في الخروج، فلم يتخلف من أشرفهم أحد سوى أبي لهب فإنه عوض عنه رجلاً كان له عليه دين، وحشدوا من حولهم من قبائل العرب، ولم يتخلف عنهم أحد من بطون قريش إلا بنى عدى، فلم يخرج منهم أحد.

### قوام الجيش المكي

وكان قوام هذا الجيش نحو ألف وثلاثمائة مقاتل في بداية سيره، وكان معه مائة فرس وستمائة درع، وجمال كثيرة لا يعرف عددها بالضبط، وكان قائده العام أبا جهل بن هشام، وكان القائمون بتسيونه تسعة رجال من أشرف قريش، فكانوا ينحرون يوماً تسعاً ويوماً عشرًا من الإبل<sup>(٢)</sup>.

### الشیطان يخدع قريشاً

\* قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير، قال: «لما أجمعت قريش المسير ذكرت ما كان بينها وبين بنى بكر، فكاد ذلك يشيهم، فتبدى لهم إبليس في صورة سراقه بن مالك بن جعشم المبدلجى، وكان من أشرف بنى كنانة، فقال لهم: أنا جار لكم من أن تأتكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه فخرجوا سراعاً»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخارى (٣٩٥٠) المغازى، وأحمد (٤٠٠/١).

(٢) الرحيق المختوم (ص ٢١٤: ٢١٥).

(٣) ابن هشام فى السيرة: (١/٦١١)، وسنده صحيح لكنه مرسل، ابن كثير من طريقه (٢/٤٣٢)، وقد جاء مرفوعاً من حديث ابن عباس بسند حسن أخرجه ابن جرير فى التفسير (٧/١٤) شاكر، والبيهقى فى الدلائل (٣/٧٨ - ٧٩) وله شاهد من حديث الحسن أخرجه ابن جرير فى التفسير (١٥/١٠) وإسناده صحيح رجاله كلهم ثقات، ومن مرسل قتادة عند ابن جرير فى التفسير (١٤/١٠) وإسناده صحيح.



### نفى لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم

\* عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما قال: «ما منعى أن أشهد بدرًا، إلا أنى خرجت أنا وأبى حسيل، قال فأخذنا كفار قريش، قالوا: إنكم تريدون محمداً؟ فقلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لنتصرفن إلى المدينة ولا نقاتل معه. فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه الخبر فقال: انصرفا، نفى لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم»<sup>(١)</sup>.

\* ويا له من درس عظيم.. فالتبى ﷺ يعلمنا الوفاء بالعهد حتى مع الأعداء.

### هذا مصرع فلان

\* عن أنس رضى الله عنه قال: «كنا مع عمر بين مكة والمدينة فترأينا الهلال».. إلى أن قال: «ثم أنشأ يحدثنا عن أهل بدر فقال: إن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس يقول (هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله) قال: فقال عمر: فوالذى بعته بالحق! ما أخطؤوا الحدود التى حد رسول الله ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

### ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد

وأما أبو سفيان، فإنه بلغه مخرج رسول الله ﷺ وقصده إياه، فاستأجر ضمضم بن عمرو الغنارى إلى مكة، مستصرخاً لقريش بالنفير إلى غيرهم، ليمنعوه من محمد وأصحابه، وبلغ الصريخ أهل مكة، فنهضوا مسرعين، وأوعبوا<sup>(٣)</sup> فى الخروج، فلم يتخلف من أشرفهم أحد سوى أبى لهب، فإنه عوض عنه رجلاً كان له عليه دين، وحشدوا فيمن حولهم من قبائل العرب، ولم يتخلف عنهم أحد من بطون قريش إلا بنى عدى، فلم يخرج معهم منهم أحد، وخرجوا من ديارهم كما قال تعالى: ﴿بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٤٧]، وأقبلوا كما قال رسول الله ﷺ: «بِحَدِّهِمْ

(١) أخرجه مسلم فى الجهاد والسير باب الوفاء بالعهد برقم (١٧٨٧)، وأحمد فى المسند (٣٩٥/٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٧٣) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٣) يقال: أوعب القوم: إذا خرجوا كلهم إلى الغزو.

وَحَدِيدِهِمْ، تُحَادَهُ وَتُحَادُ رَسُولَهُ»<sup>(١)</sup>، وجاؤوا على حرد قادرين، وعلى حمية، وغضب، وحنق على رسول الله ﷺ وأصحابه، لما يريدون من أخذ غيرهم، وقتل من فيها، وقد أصابوا بالأمس عمرو بن الحضرمي، والعيير التي كانت معه، فجمعهم الله على غير ميعاد كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافِمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٢].

فسار رسول الله ﷺ إلى بدر، وخفض أبو سفيان فلحق بساحل البحرين ولما رأى أنه قد نجا، وأحرز العير، كتب إلى قريش: أن ارجعوا، فإنكم إنما خرجتم لتحرزوا غيركم، فأتاهم الخير، وهم بالجحفة، فهموا بالرجوع، فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نقدم بدرًا فنقيم بها ونطعم من حضرنا من العرب، وتخافنا العرب بعد ذلك، فأشار الأحنس ابن شريق عليهم بالرجوع، فعصوه، فرجع هو وبنو زهرة، فلم يشهد بدرًا زهري، فاغتبطت بنو زهرة بعد برأى الأحنس، فلم يزل فيهم مطاعًا معظمًا<sup>(٢)</sup>.

### موقف حرج للجيش الإسلامي

أما استخبارات جيش المدينة فقد نقلت إلى رسول الله ﷺ وهو لا يزال في الطريق بوادي ذفران - خبر العير والنشير، وتأكد لديه بعد التدبر في تلك الأخبار أنه لم يبق مجال للاجتناح عن لقاء دام، وأنه لا بد من إقدام يبنى على الشجاعة والبسالة، والجرأة، والجسارة، فمما لا شك فيه أنه لو ترك جيش مكة يجوس خلال تلك المنطقة، يكون ذلك تدعيمًا لمكانة قريش العسكرية، وامتدادًا لسلطانها السياسي، وإضعافًا لكلمة المسلمين وتوهينًا لها، بل ربما تبقى الحركة الإسلامية بعد ذلك جسدًا لا روح فيه، ويجرؤ على الشر كل من فيه حقد أو غيظ على الإسلام في هذه المنطقة.

وبعد هذا كله فهل يكون هناك أحد يضمن للمسلمين أن يمنع جيش مكة عن مواصلة سيره نحو المدينة، حتى ينقل المعركة إلى أسوارها، ويغزو المسلمين في عقر

(١) في «السيرة (١/٦٢١) عن ابن إسحاق: فلما رأى رسول الله ﷺ قريشًا تصوب من العقنقل - وهو الكتيب الذي جاؤوا منه إلى الوادي - قال: «اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني، اللهم أحنهم الغداة».

(٢) زاد المعاد (٣/١٧٢: ١٧٤) بتصرف.

دارهم، كلا، فلو حدث من جيش المدينة نكولٌ ما، لكان له أسوأ الأثر على هيئة المسلمين وسمعتهم<sup>(١)</sup>.

### أشيروا على أيها الناس

لقد مدح الله نبيه ﷺ وأصحابه (رضى الله عنهم) بقوله: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى: ٣٨].. وها نحن نرى التزامه ﷺ بمبدأ التشاور مع أصحابه، وإذا استعرضنا حياته ﷺ وجدنا أنه كان يلتزم هذا المبدأ في كل أمر لا نص فيه من كلام الله تعالى، مما له علاقة بالتدبير والسياسة الشرعية، ومن أجل هذا أجمع المسلمون على أن الشورى في كل ما لم يثبت فيه نص ملزم من كتاب أو سنة، أساس تشريعي دائم لا يجوز إهماله. أما ما ثبت فيه نص من الكتاب أو حديث من السنة أبرم به الرسول ﷺ حكمه، فلا شأن للشورى فيه ولا ينبغي أن يقضى عليه بأى سلطان<sup>(٢)</sup>.

ونظراً إلى هذا التطور الخطير المفاجئ عقد رسول الله ﷺ مجلساً عسكرياً استشارياً أعلى، أشار فيه إلى الوضع الراهن، وتبادل فيه الرأي مع عامة جيشه، وقادته. وحينئذ تزعزع قلوب فريق من الناس، وخافوا اللقاء الدامي، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴾ [الأنفال: ٥٥]. ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون ﴿ [الأنفال: ٥٥].

\* في هذا الوقت أراد النبي ﷺ أن يعرف رأى الصحابة قبل الدخول في تلك المعركة الحاسمة بل أراد أن يعرف - على وجه الخصوص - رأى قادة الأنصار؛ لأنهم كانوا يمثلون أغلبية الجيش، ولأن ثقل المعركة سيدور على كواهلهم، مع أن نصوص العقبة - بيعة العقبة - لم تكن تلزمهم بالقتال خارج ديارهم<sup>(٣)</sup>.

\* يقول ابن عباس رضى الله عنهما: «.. وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا غيرهم، فاستشار الناس، وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر الصديق، فقال وأحسن. ثم قام عمر بن الخطاب، فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله، امض لما

(١) الرحيق المختوم (ص ٢١٦: ٢١٧) بتصرف.

(٢) فقه السيرة للبوطنى (ص ١٥٩).

(٣) أصحاب الرسول ﷺ / للمصنف (١/٤٠٦).

أراك الله، فنحن معك، والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤] ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، فقال له رسول الله خيراً، ودعا له به.

ثم قال رسول الله ﷺ: (أشيروا على أيها الناس)، وإنما يريد الأنصار، وذلك أنهم عدد الناس، وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: يا رسول الله: إنا برآء من ذمامك<sup>(١)</sup> حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا، فأنت في ذمتنا، نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا، فكان رسول الله ﷺ يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو في بلادهم.

فلما قال ذلك رسول الله ﷺ، قال سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: (أجل). قال: فقد آمانا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا وموآثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذى بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك<sup>(٢)</sup>، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبرٌ في الحرب، صدقٌ عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله، فسر رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه ذلك، ثم قال: (سيروا وابشروا، فإن الله تعالى قد وعدنى إحدى الطائفتين، والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم)<sup>(٣)</sup>.

\* وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: «شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً، لأن أكون صاحبه أحب إلى مما عدل به، أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال: لا نقول كما قال قوم موسى ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾ ولكننا نقاتل عن يمينك، وعن شمالك، وبين يديك وخلفك، فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسره... يعنى قوله»<sup>(٤)</sup>.

(١) الذمام: العهد.

(٢) خضناه معك: لو أمرتنا بدخول البحر لدخلناه.

(٣) أخرجه ابن هشام فى السيرة (١/ ٦١٤ - ٦١٥)، بإسناد صحيح وقد صرح ابن إسحاق بالسماع، وأخرجه الطبرانى وإسناده حسن كما فى المجمع (٦/ ٧٣).

(٤) أخرجه البخارى (٣٩٥٢) المغازى، أحمد (١/ ٣٩٠ - ٤٢٨).

ويقول الحافظ في فتح الباري:

ويمكن الجمع بأن النبي ﷺ استشارهم في غزوة بدر مرتين: الأولى: وهو بالمدينة أول ما بلغه خبر العير مع أبي سفيان، وذلك بين في رواية مسلم ولفظه «أن النبي ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان والثانية كانت بعد أن خرج» (١). (٢)

### النبي ﷺ يبعث استخباراته ليعرف أخبار العدو

وفي مساء ذلك اليوم بعث استخباراته من جديد، لبحث عن أخبار العدو، وقام لهذه العملية ثلاثة من قادة المهاجرين: علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه، ذهبوا إلى ماء بدر، فوجدوا غلامين يستقيان لجيش مكة، فألقوا عليهما القبض، وجاءوا بهما إلى الرسول ﷺ وهو في الصلاة، فاستخبرهما القوم، فقالا: نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء (٣). (٤)

(١) فتح الباري (٧/٢٨٨).

(٢) ولدى التأمل فيما أجاب به سعد بن معاذ، نعلم أن المبايعة التي ارتبط بها الأنصار مع رسول الله ﷺ في مكة قبل الهجرة، لم تكن إلا مبايعة مع الله تعالى، ولم يكونوا يتصورون وهم يلتزمون الدفاع عن رسول الله ﷺ حينما يهاجر إليهم إلا دفاعاً عن دين الله تعالى وشريعته. فليست القضية مسألة نصوص معينة اتفقوا مع رسول الله ﷺ عليها فهم لا يريدون أن يلتزموا بما وراءها، وإنما المسألة أنهم وإنما وقعوا بذلك تحت صك عظيم تضمن قوله تعالى: «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون..» [التوبة: ١١١].

ولذلك كان جواب سعد رضي الله عنه: «لقد آمننا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق.. فامض لما أردت فنحن معك». أي فنحن نسير معك وفق معاهدة أعظم من تلك التي اتفقنا عليها معاً، في بيعة العقبة. [فقه السيرة للبوطي (ص ١٦١)].

(٣) الرحيق المختوم (ص ٢١٩).

(٤) يجوز للإمام أن يستعين في الجهاد وغيره بالعيون والمراقبين، يبثهم بين الأعداء ليكتشف المسلمون خططهم وأحوالهم وليتبينوا ما هم عليه من قوة في العدة والعدد. ويجوز اتخاذ مختلف الوسائل لذلك، بشرط أن لا تنطوي الوسيلة على الإضرار بمصلحة هي أهم من مصلحة الاطلاع على حال العدو، وربما استلزمت الوسيلة تكتماً أو نوعاً من المخادعة أو التحايل. وكل ذلك مشروع وحسن من حيث إنه واسطة لا بد منها لمصلحة المسلمين وحفظهم [فقه السيرة للبوطي (ص ١٦١)].

\* وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: «لما قدمنا المدينة أصبنا من ثمارها فاجتويناها<sup>(١)</sup>، فأصابنا بها وعك، فكان النبي ﷺ يتخبر عن بدر، فلما بلغنا أن المشركين قد أقبلوا سار رسول الله ﷺ إلى بدر، (وبدر بئر)، فسبقنا المشركون إليها، فوجدنا فيها رجلين منهم رجل من قريش ومولى لعقبة بن أبي معيط، فأما القرشي فانفلت، وأما مولى عقبة فأخذناه، فجعلنا نقول له: كم القوم؟ فيقول: هم والله كثير عددهم، شديد بأسهم، فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه، حتى انتهوا به إلى النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ (كم القوم؟)، فقال: هم والله كثير عددهم شديد بأسهم، فجهد رسول الله ﷺ أن يخبره فأبى. ثم إن النبي ﷺ سأله: كم ينحرون من الجزر؟ قال: عشر كل يوم، فقال رسول الله ﷺ: (القوم ألف... كل جزور لمائة ونيفها)<sup>(٢)</sup>.

### الانشقاق بين صفوف المشركين

\* عن علي (رضى الله عنه) قال:

«فلما دنا القوم منا وصاففناهم إذا رجل منهم علي جمل أحمر يسير في القوم، فقال رسول الله ﷺ: (يا علي ناد حمزة)، وكان أقربهم من المشركين من صاحب الجمل الأحمر وماذا يقول لهم، ثم قال رسول الله ﷺ: (إن يكن في القوم أحد يأمر بخير فعسى أن يكون صاحب الجمل الأحمر)، قال: هو عتبة بن ربيعة، وهو ينهى عن القتال، ويقول لهم: يا قوم: إني أرى قوماً مستميتين لا تصلون إليهم، وفيكم خير، يا قوم: اعصبوها اليوم برأسى وقلولوا جبن عتبة بن ربيعة، وقد علمتم أني لست بأجبنكم، فسمع ذلك أبو جهل فقال: أنت تقول هذا، والله لو غيرك يقول لأغضضته<sup>(٣)</sup>، قد ملأت رئتك جوفك رعباً، فقال عتبة: إياي تعنى يا مصفر إسته، ستعلم اليوم أينا الجبان<sup>(٤)</sup>».

(١) اجتويناها: أصابهم الجوى وهو المرض وداء الجوف إذا تناول وذلك إذا لم يوافقهم هواؤها واستوخسوها.

(٢) رواه أحمد (١١٧/١) وصححه أحمد شاكر وحسنه ابن كثير في البداية (٣/ ٢٧٠ - ٢٧٧).

(٣) لأغضضته: قلت له اعضض هن أيبك - أى ذكر أيبك.

(٤) سبق تخريجه.

\* وقد جاء من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال: لما نزل المسلمون وأقبل المشركون، نشر رسول الله ﷺ إلى عتبة بن ربيعة وهو على جمل أحمر فقال: (إن يكن عند أحد من القوم خير فهو عند صاحب الجمل الأحمر إن يطيعوه يرشدوا) وهو يقول:

«يا قوم أطيعونى فى هؤلاء القوم، فإنكم إن فعلتم لن يزال ذلك فى قلوبكم، ينظر كل رجل إلى قاتل أخيه، وقاتل أبيه، فاجعلوا حقها برأسى وارجعوا، فقال أبو جهل: انتفخ والله سحره<sup>(١)</sup> حين رأى محمداً وأصحابه، إنما محمد وأصحابه كأكلة جزور ولو قد التتينا، فتال عتبة: ستعلم من الجبان المفسد لقومه، أما والله إنى لأرى قوماً يضربونكم ضرباً، أما ترون كأن رؤسهم الأفاعى، وكأن وجوههم السيوف، ثم دعا أخاه وابنه، فخرج يمشى بينهما ودعا بالمبارزة»<sup>(٢)</sup>.

### النبي ﷺ يصلى ويدعو حتى أصبح

وقد وصف على رضى الله عنه فى رواية صحيحة كيف بات المسلمون ليلة السابع عشر من رمضان ببدر وأمامهم معسكر المشركين، قال: «لقد رأيتنا يوم بدر، وما منا إلا نائم، إلا رسول الله ﷺ فإنه كان يصلى إلى شجرة ويدعو حتى أصبح ثم إنه أصابنا من الليل طش من مطر، فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر، وبات رسول الله ﷺ يدعو ربه ويقول: «اللهم إنك إن تهلك هذه الفئة لا تُعبد» فلما طلع الفجر نادى: «الصلاة عباد الله» فجاء الناس من تحت الشجر والحجف فصلى بنا رسول الله ﷺ وحرص على القتال»<sup>(٣)</sup>.

وعن ابن عباس: قال النبي ﷺ يوم بدر: اللهم إنى أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن

(١) انتفخ والله سحره: أثر السحر فيه الآن ويقصد الجلسة التى جلسها عتبة مع رسول الله يعرض عليه المفاوضات وتأثره بما سمع.

(٢) قال الهيثمى فى المجمع: (٧٦/٦) رواه البزار ورجاله ثقات، وانظر كشف الأستار (١٧٦٢)، والحاكم: (١٨٧/٣) وسنده حسن.

(٣) المجتمع المدنى فى عهد النبوة - الجهاد ضد المشركين (٤٦). د. أكرم العمرى. والحديث رواه أحمد فى المسند (الفتح الربانى ٢١/٣٠، ٣٦).

شئت لم تُعبد فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك. فخرج وهو يقول: «سيهزم الجمع ويولون الدبر»<sup>(١)</sup>.

### أهمية التضرع إلى الله وشدة الاستعانة به

لقد رأينا أن النبي ﷺ كان يُطمئن أصحابه بأن النصر لهم، حتى إنه كان يشير إلى أماكن متفرقة في الأرض ويقول: «هذا مصرع فلان»، ولقد وقع الأمر كما أخبر عليه الصلاة والسلام، فما تزحزح أحد في مقتله عن موضع يده كما ورد في الحديث الصحيح.

ومع ذلك فقد رأيناه يقف طوال ليلة الجمعة في العرش الذي أقيم له، يجأر إلى الله تعالى داعياً ومتضرعاً، باسطاً كفيه إلى السماء يناشد الله عز وجل أن يؤتبه نصره الذي وعد حتى سقط عنه رداؤه وأشفق عليه أبو بكر، والتزمه قائلاً: «كفى يا رسول الله، إن الله مُنجزٌ لك ما وعد». فلماذا كل هذه الضراعة ما دام أنه مطمئن إلى درجة أنه قال: «لكنني أنظر إلى مصارع القوم»، وأنه حدد مصارع بعضهم على الأرض؟

والجواب: أن اطمئنان النبي ﷺ وإيمانه بالنصر، إنما كان تصديقاً منه للوعد الذي وعد الله به رسوله، ولا شك أن الله لا يخلف الميعاد، وربما أوحى إليه بخبر النصر في تلك الموقعة.

أما الاستغراق في التضرع والدعاء وبسط الكف إلى السماء، فتلك هي وظيفة العبودية التي خلق من أجلها الإنسان، وذلك هو ثمن النصر في كل حال. فما النصر - مهما توفرت الوسائل والأسباب - إلا من عند الله وبتوقيفه، والله عز وجل لا يريد منا إلا أن نكون عبيداً له بالطبع والاختيار، وما تقرب متقرب إلى الله بصفة أعظم من صفة العبودية.

فهذه العبودية التي اتخذت مظهرها الرائع في طول دعاء النبي ﷺ وشدة ضراسته ومناشدته لربه أن يؤتبه النصر، هي الثمن الذي استحق به ذلك التأييد الإلهي العظيم في تلك المعركة. وقد نصت على ذلك الآية الكريمة إذ تقول:

﴿إِذْ تَسْتَعِينُونَ رَبِّكُمْ فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ﴾ [الأنفال: ٩].

(١) رواه البخاري (٣٣٥/٧) المغازي.



ويقيناً منه ﷺ بهذه العبودية لله عز وجل، كان واثقاً بالنصر مطمئناً إلى أن العاقبة للمسلمين. ثم قارن مظهر العبودية التي تجلت في موقفه ﷺ ونتائج ذلك، مع مظهر ذلك الطغيان والتجبر الذي تجلى في موقف أبي جهل حينما قال: «لن نرجع عن بدر أبداً حتى ننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب ويمسیرتنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا»، وتأمل في نتائج ذلك التجبر والجبروت!..

لقد كانت نتيجة العبودية والخضوع لله تعالى، عزة قعساء ومجداً شامخاً خضع لهما جبين الدنيا بأسرها. ولقد كانت نتيجة الطغيان والجبروت الزائفين قبراً من الضيعة والهوان أقيم لأربابهما حيث كانوا سيتساقون فيه الخمر وتعزف عليهم القيان. وتلك هي سنة الله في الكون كلما تلاقت عبودية لله خالصة مع جبروت وطغيان زائفين<sup>(١)</sup>.

### الله يرسل المطر ليربط على قلوب الموحدين

قال تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّكُمُ النُّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيُرِيبَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١].

\* قال الإمام ابن القيم: فأنزل الله في تلك الليلة مطراً واحداً، فكان على المشركين وبالأشدّ منعه من التقدم، وكان على المسلمين طلاً طهرهم به وأذهب عنهم رجس الشيطان، ووطأ به الأرض وصلب به الرمل، وثبت به الأقدام، ومهد به المنزل، وربط به على قلوبهم، فسبق رسول الله ﷺ وأصحابه إلى الماء فنزلوا عليه شطر الليل، وصنعوا الحياض، ثم غوروا ما عداها من المياه، ونزل رسول الله ﷺ وأصحابه على الحياض، وبني لرسول الله ﷺ عريش يكون فيها على تل يشرف على المعركة في موضع المعركة، وجعل يشير بيده: هذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان إن شاء الله، فما تعدى أحد منهم موضع إشارته<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) فقه السيرة للبطوي (ص ١٦٢ : ١٦٣).

(٢) زاد المعاد (٣/ ١٧٦).

## عريش القيادة النبوية يوم بدر

ثبت أن النبي ﷺ كان له عريش يدير منه المعركة يوم بدر، وقد شارك أيضاً صلوات الله عليه في الحرب والمعركة ونزل إلى ساحة القتال.

\* وعن ابن عباس رضى الله عنهما «أن النبي ﷺ قال وهو فى قبة له يوم بدر.. وذكر دعاء النبي ﷺ (١).

\* ومن طريق ابن إسحاق: أن رسول الله ﷺ لما حرض أصحابه على القتال، ورمى المشركين بما رماهم به من التراب، وهزمهم الله تعالى صعد إلى العريش أيضاً ومعه أبو بكر، ووقف سعد بن معاذ ومن معه من الأنصار على باب العريش، ومعهم السيوف خشية أن تكرر راجعة من المشركين إلى النبي ﷺ (٢).

## أردت أن يكون آخر العهد بك

\* عن محمد بن على بن الحسين أبى جعفر الباقر: «أن النبي ﷺ كان يتخطى بعرجون فأصاب به سواد بن غزوة الأنصارى فقال: «يا رسول الله أوجعتنى، وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقذنى» (٣)، فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه فقال: (استقد) قال: فاعتنقه فقبل بطنه، فقال: (ما حملك على هذا يا سواد؟).

قال يا رسول الله: «حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يحس جلدى جلدك، فدعا له رسول الله ﷺ بخير، وقال: له خيراً» (٤).

\*\*\*

(١) أخرجه البخارى فى المغازى باب إذ تستغيثون ربكم ... رقم: (٣٩٥٣) من طرق متعددة.

(٢) البداية والنهاية: (٢٨٤/٣)، وانظر سيرة ابن هشام: (١/٦٢٠).

(٣) أقذننى: خذلى الحق من نفسك.

(٤) الإصابة فى تمييز الصحابة (٢/٩٥)، وسنده حسن إلا أنه مرسل، ويسنده ما جاء عن عبد الله بن جبير الخزاعى فى مجمع الزوائد (٦/٢٨٩)، وقال الهيثمى: رواه الطبرانى ورجاله ثقات على ما فى عبد الله بن جبير من ضعف كما جاء فى التهذيب (٥/١٦٨).

### النبي ﷺ يدعو لأصحابه

\* وقد نظر رسول الله إلى مظاهر هذا البؤس على أصحابه وهم خارجون إلى بدر فرثى لحالهم وتألم لما بهم وسأل الله أن يكشف كرباتهم<sup>(١)</sup>.

\* عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: «خرج رسول الله ﷺ يوم بدر في ثلاثمائة وخمسة عشر رجلاً من أصحابه، فلما انتهى إليها قال: (اللهم إنهم جياع فأشبعهم، اللهم إنهم حفاة فاحملهم، اللهم إنهم عراة فاكسهم) ففتح الله له يوم بدر، فانقلبوا حين انقلبوا، وما منهم رجل إلا وقد رجع بحمل أو حملين واكتسوا وشبعوا»<sup>(٢)</sup>.

\* وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «قال النبي ﷺ يوم بدر (اللهم إنى أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تُعبد) فأخذ أبو بكر بيده، فقال حسبك فخرج وهو يقول: ﴿سَيَهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾<sup>(٣)</sup> [القمر: ٤٥].»

### وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم

\* عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]»<sup>(٤)</sup>.

\* وعن عبد الله بن ثعلبة بن صعير قال: «كان المستفتح يوم بدر أبا جهل قال: اللهم «أقطعنا للرحم وأتانا بما لم يعرف فأحنه»<sup>(٥)</sup> الغداة» فبينما هم على تلك الحال، وقد شجع الله المسلمين على لقاء عدوهم، وقللهم فى أعينهم حتى طمعوا فيهم، خفق<sup>(٦)</sup> رسول الله ﷺ خفقة فى العريش ثم انتبه فقال: (أبشر يا أبا بكر هذا جبريل معتمر)<sup>(٧)</sup>

(١) فقه السيرة للغزالي (ص ٢٧١).

(٢) رواه أبو داود وحسنه الحافظ فى الفتح (٢٩٢/٧).

(٣) أخرجه البخارى (٣٩٥٣) المغازى.

(٤) أخرجه البخارى (٤٦٤٩) التفسير - ومسلم (٢٧٩٦) صفة القيامة والجنة والنار.

(٥) أحنه: أقتله.

(٦) خفق: أغنى إغناءة.

(٧) معتمر: لابس عمامته.

بعمامته، أخذ بعنان فرسه يقوده، على ثناياه النقع<sup>(١)</sup>، آتاك نصر الله وعدته»<sup>(٢)</sup>.

### أول وقود المعركة

وكان أول وقود المعركة الأسود بن عبد الأسد المخزومي - وكان رجلاً شرساً سيئ الخلق - خرج قائلاً: أعاهد الله لأشربن من حوضهم، أو لأهدمنه أو لأموتن دونه، فلما خرج إليه حمزة بن عبد المطلب - رضى الله عنه - والتقى ضربه حمزة، فأطن قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض، فوقع على ظهره تشخب رجله دمًا نحو أصحابه، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه، يريد أن تبر يمينه، ولكن حمزة ثنى عليه بضربة أخرى أتت عليه وهو داخل الحوض<sup>(٣)</sup>.

### هذان خصمان اختصموا فى ربهم

\* من طريق ابن إسحاق قال حدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال:

«ثم خرج عتبة بن ربيعة، بين أخيه شيبه بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة، حتى إذا فصل من الصف دعا إلى المبارزة، فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة، وهم عوف، ومعوذ، أبناء الحارث - وأمهما عفراء - ورجل آخر يقال: هو عبد الله بن رواحة فقالوا: من أنتم؟ فقالوا: رهط من الأنصار. قالوا: ما لنا بكم من حاجة. ثم نادى مناديهم: يا محمد، أخرج إلينا أكفاءنا<sup>(٤)</sup> من قومنا.

فقال رسول الله ﷺ: قم يا عبيدة بن الحارث، قم يا حمزة، قم يا على، فلما قاموا ودنوا منهم.

قالوا: من أنتم؟ قال عبيدة: عبيدة، وقال حمزة: حمزة، وقال على: على، قالوا: نعم، أكفاء كرام.

فبارز عبيدة - وكان أسن القوم، عتبة بن ربيعة، وبارز حمزة شيبه بن ربيعة، وبارز

(١) النقع: الغبار.

(٢) رواه أحمد (٤٣١/٥)، والحاكم (٣٢٨/٢)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي.

(٣) الرحيق المختوم (ص ٢٢٦).

(٤) أكفاءنا: نظراءنا أو من يساونا في المكان.

(على) الوليد بن شيبة.

فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله، وأما (على) فلم يمهل الوليد أن قتله، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين، كلاهما أثبت صاحبه، وكر حمزة وعلى بأسيا فهما على عتبة فذففا<sup>(١)</sup> عليه، واحتملا صاحبهما، فحازاه إلى أصحابه<sup>(٢)</sup>.

وعن على بن أبي طالب قال: «تقدم يعنى عتبة بن ربيعة، وتبعه ابنه وأخوه، فنادى من يبارز فانتدب<sup>(٣)</sup> له شباب من الأنصار، فقال: من أنتم؟ فأخبروه فقال: لا حاجة لنا فيكم، إنما أردنا بنى عمنا، فقال رسول الله ﷺ: (قم يا حمزة، قم يا على، قم يا عبيدة بن الحارث) فأقبل حمزة إلى عتبة، وأقبلت إلى شيبة، واختلف بين عبيدة والوليد ضربتان، فأئخن<sup>(٤)</sup> كل واحد منهما صاحبه، ثم ملنا على الوليد فقتلناه، واحتملنا عبيدة<sup>(٥)</sup>.

وقد وافقت رواية حديث (على) هذه بأنه قتل شيبة وحمزة قتل عتبة ثم أعانا عبيدة على الوليد ما رواه الطبراني بإسناد حسن عن على قال: «أعنت أنا وحمزة عبيدة بن الحارث على الوليد بن عتبة، فلم يعب النبي ﷺ ذلك علينا<sup>(٦)</sup>.

وقال ابن حجر (بعد أن ذكر حديث على الذي رواه أبو داود): وهذا أصح الروايات، لكن الذي في السير أن الذي بارز على هو الوليد، وهو المشهور، وهو اللائق بالمقام لأن عبيدة وشيبة كانا شيخين كعتبة وحمزة، بخلاف الوليد وعلى فكانا شابين<sup>(٧)</sup>.

\* وعن على بن أبي طالب رضى الله عنه قال: «أنا أول من يجثو<sup>(٨)</sup> بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة، وقال قيس بن عباد: وفيهم أنزلت ﴿هَذَا نِ حَصْمَانِ

(١) فذففا: أسرع قتله.

(٢) أخرجه ابن هشام في السيرة بإسناد حسن عن ابن إسحاق: (١/٦٢٥)، ولكنه مرسل، وفتح الباري: (٧/٢٩٨)، وقد أخرجه الإمام أحمد بتحقيق أحمد شاكر (٢/١٩٣) من حديث على وإسناده صحيح.

(٣) انتدب: قام وخرج، أو بادر للخروج.

(٤) أئخن: جرح أو أصاب إصابة بليغة.

(٥) أخرجه أبو داود في الجهاد باب في المبارزة رقم (٢٦٦٥)، وإسناده صحيح كما قال ابن حجر في فتح الباري: (٧/٢٩٨)، وأحمد (١/١١٧)، وأخرجه الحاكم (٣/١٨٧ - ١٨٨)، عن ابن عباس وسنده

حسن وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٦) فتح الباري (٧/٢٩٨).

(٧) فتح الباري (٧/٢٩٨).

(٨) يجثو: يجلس على ركبته.

اِخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴿١٩﴾ [الحج: ١٩] قال: هم الذين تبارزوا يوم بدر، حمزة، وعلي، وعبيدة، أو أبو عبيدة بن الحارث، وشيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة<sup>(١)</sup>.

### كسر هجمات المشركين بالنبل

واستشاط الكفار غضباً للبداية السيئة التي صادفتهم فأمطروا المسلمين وابلاً من سهامهم، ثم حمى الوطيس وتهاوت السيوف، وتصايح المسلمون: أحد أحد. وأمرهم الرسول ﷺ أن يكسروا هجمات المشركين، وهم مرابطون في مواقعهم<sup>(٢)</sup>.

\* عن أبي أسيد الساعدي رضى الله عنه قال: «قال لنا رسول الله ﷺ يوم بدر: (إذا أكثبوكم<sup>(٣)</sup> فارموهم واستبقوا نبلكم)»<sup>(٤)</sup>.

وفى رواية أبي داود زيادة (إذا أكثبوكم فارموهم بالنبل، ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم)<sup>(٥)</sup>.

وكان رسول الله يباشر القتال بنفسه... قال على رضى الله عنه: «لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ، وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس بأساً»<sup>(٦)</sup>.

### وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى

\* عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لعلى: (ناولنى كفاً من حصى) فناوله، فرمى بها وجوه القوم، فما بقى أحد من القوم إلا امتلأت عيناه من الحصباء<sup>(٧)</sup>، فنزلت ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧]<sup>(٨)</sup>.

(١) أخرجه البخارى (٣٩٦٥) المغازى، ومسلم (١٨/١٦٦).

(٢) فقه السيرة للغزالي (ص ٢٦٢).

(٣) أكثبوكم: اقتربوا منكم.

(٤) أخرجه البخارى (٣٩٨٤) المغازى.

(٥) أخرجه أبو داود فى السنن طبعة الساعاتى: (٤٨/٢) وسكت عنه المنذرى والإسناد ضعيف والله أعلم، وفى إسناده إسحاق بن نجیح قال فى التقريب (٦١/١)، مجهول، ومالك بن حمزة بن أبى أسيد: التقريب (٢/٢٢٤). مقبول. ولكنه أخرجه بإسناد آخر وهو سند حسن فى نفس الصفحة.

(٦) رواه أحمد (٢/٢٢٨) وقال أحمد شاکر: صحيح.

(٧) الحصباء: الرمل.

(٨) قال الهيثمى فى المجمع: (٨٤/٦) رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح انظر الطبرانى (١١٧٥٠)، والبيهقى فى الدلائل (٧٨/٣)، والطبرى فى التفسير (١٣٦/٩).

\* وعن حكيم بن حزام رضى الله عنه قال: «لما كان يوم بدر أمر رسول الله ﷺ فأخذ كفاً من الحصى، فاستقبلنا به فرمى بها وقال: (شاهت الوجوه) (١) فانهمزنا فأنزل الله - عز وجل ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ (٢).

### النبي ﷺ يرتقى بأرواحهم إلى جنة الرحمن

ولما دنا العدو وتواجه القوم، قام رسول الله ﷺ في الناس، فوعظهم، وذكرهم بما لهم في الصبر والثبات من النصر، والظفر العاجل، وثواب الله الآجل، وأخبرهم أن الله قد أوجب الجنة لمن استشهد في سبيله (٣).

### الله (عز وجل) يؤيدهم بملائكته (٤)

ثم حمى الوطيس، واستدارت رحى الحرب، واشتد القتال، وأخذ رسول الله ﷺ في الدعاء والابتهاال، ومناشدة ربه عز وجل.

\* عن عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر، نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً. فاستقبل نبي الله القبلة. ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: «اللهم! أنجز لى ما وعدتنى. اللهم! آت ما وعدتنى. اللهم! إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد فى الأرض» فما زال يهتف بربه، ماداً يديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه. فأتاه أبو بكر. فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه. ثم التزمه من ورائه. وقال: يا نبي الله! كفاك مناشدتك ربك. فإنه سينجز لك ما وعدك. فأنزل الله عز وجل ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [الأنفال: ٩] فأمده الله بالملائكة.

(١) شاهت: قبحت.

(٢) قال الهيثمى فى المجمع (٦/ ٨٤) رواه الطبرانى وسنده حسن، انظر الطبرانى فى الكبير (٣١٢٧، ٣١٢٨)، ورواه الطبرانى فى الأوسط كما فى مجمع البحرين (٢٣٧)، وأخرجه الطبرى فى التفسير (٩/ ١٣٦).

(٣) زاد المعاد (٣/ ١٨١).

(٤) إن نزول الملائكة للقتال مع المسلمين - إنما هو مجرد تطمين لقلوبهم، واستجابة حسية لشدة استغاثتهم اقتضاها أنهم يقفون مع أول تجربة قتال فى سبيل الله، لأناس يبلغون ثلاثة أضعافهم فى العدة والعدد. وإلا فإن النصر من عند الله وحده، وليس للملائكة أى تأثير ذاتى فى ذلك. ومن أجل بيان هذه الحقيقة قال الله تعالى معللاً نزول الملائكة: ﴿ وما جعله الله إلا بشرى وتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم ﴾ [الأنفال: ١٠]. [فقه السيرة للبوطى (ص ١٦٤)].

قال أبو زميل: فحدثني ابن عباس قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه. إذ سمع ضربة بالسوط فوقه. وصوت الفارس يقول: أقدّم حيزوم<sup>(١)</sup>. فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقياً. فنظر إليه فإذا هو قد خُطم أنفه<sup>(٢)</sup>، وشق وجهه كضربة السوط. فاحضر ذلك أجمع. فجاء الأنصارى فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال: «صدقت. ذلك من مدد السماء الثالثة» فقتلوا يومئذ سبعين. وأسروا سبعين<sup>(٣)</sup>.

\* وأغفى رسول الله ﷺ إغفاءة واحدة ثم رفع رأسه فقال:

«أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده، على ثناياه النقع»<sup>(٤)</sup>.

\* وعن ابن عباس رضى الله عنهما أيضاً قال: «إن النبي ﷺ قال يوم بدر: (هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب)»<sup>(٥)</sup>.

\* وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: «فجاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبد المطلب أسيراً، فقال العباس: يا رسول الله إن هذا والله ما أسرنى، لقد أسرنى رجل أجلح<sup>(٦)</sup> من أحسن الناس وجهاً على فرس أبلق<sup>(٧)</sup> ما أراه فى القوم، فقال الأنصارى: أنا أسرته يا رسول الله فقال: (اسكت فقد أيدك الله بملك كريم)<sup>(٨)</sup>.

\* وعن أبي داود المازنى: قال: «إنى لأتبع رجلاً من المشركين لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفى فعرفت أنه قتله غيرى»<sup>(٩)</sup>.

(١) حيزوم: اسم الفرس الذى يركبه الملك.

(٢) خطم: الخطم الأثر على الأنف.

(٣) أخرجه مسلم (٥٨) (١٧٦٣) كتاب الجهاد والسير.

(٤) أورده ابن هشام فى «السيرة» (٤٥٧/٢) بلا سند، ووصله الأموى - كما فى «البداية والنهاية» (٣/٣٤٧).

- من طريق ابن إسحاق حدثنى الزهرى عن عبد الله بن ثعلبة به وهذا سند حسن.

(٥) رواه البخارى فى المغازى باب فضل من شهد بدرًا رقم (٣٩٩٥).

(٦) الأجلح: الذى انحسر الشعر عن جانبيه رأسه.

(٧) الأبلق: الذى ارتفع التحجيل إلى فخذه.

(٨) رواه أبو داود وإسناده صحيح كما قال ابن حجر فى فتح البارى (٧/٢٩٨).

(٩) أخرجه ابن هشام (١/٦٣٣)، وأحمد فى المسند (٥/٤٥٠) من طريق ابن إسحاق حدثنى أبى إسحاق بن

يسار عن رجال من بنى مازن عن أبى داود المازنى وسنده حسن - والبيهقى فى الدلائل (٣/٥٦)، والطبرى

فى التاريخ (٢/٤٥١). وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد: (٦/٨٣)، رواه أحمد وفيه رجل لم يُسم.



\* وعن البراء قال: «جاء رجل من الأنصار بالعباس قد أسره، فقال العباس، يا رسول الله ليس هذا من أسرنى، أسرنى رجل من القوم أنزع من هيئته كذا وكذا فقال رسول الله ﷺ: (قد آزرك الله بملك كريم)»<sup>(١)</sup>.

\* وعن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال: «قال لى النبى ﷺ ولأبى بكر يوم بدر (مع أحدكما جبريل، ومع الآخر ميكائيل، وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال، أو يكون فى الصف)»<sup>(٢)</sup>.

قال الحافظ فى الفتح: قال الشيخ تقى الدين السبكى:

«سُئلت عن الحكمة فى قتال الملائكة مع النبى ﷺ مع أن جبريل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه؟

فقلت: وقع ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبى وأصحابه، وتكون الملائكة مدداً على عادة مدد الجيوش، رعاية لصورة الأسباب وسنتها التى أجزاها الله تعالى فى عباده، والله تعالى هو فاعل الجميع والله أعلم»<sup>(٣)</sup>.

وجاء النصر، وأنزل الله جنده، وأيد رسوله والمؤمنين، ومنحهم أكتاف المشركين أسراً وقتلاً. فقتلوا منهم سبعين، وأسروا سبعين.

وما يعلم جنود ربك إلا هو

\* عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «أخذتهم ريح عقيم يوم بدر»<sup>(٤)</sup>.

قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض

\* عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «.. فانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر، وجاء المشركون، فقال رسول الله ﷺ (لا يقدمن أحد منكم

(١) قال الهيثمى (٦/ ٨٥)، رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) قال الهيثمى فى المجمع: (٦/ ٨٢)، رواه أحمد بنحوه والبخارى واللفظ له ورجاله رجال الصحيح، ورواه

أبو يعلى كشف الأستار رقم (١٤٦٧، ١٧٦٢)، أحمد: (١/ ١٤٧)، أبو يعلى رقم (٣٤٠)، الحاكم

(٣/ ١٣٤)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبى والحديث إسناده صحيح.

(٣) فتح البارى (٧/ ٣١٣)، فى التعليق على حديث رقم (٣٩٩٥).

(٤) قال الهيثمى فى المجمع (٦/ ٧٨) رواه البخارى ورجاله ثقات.

إلى شيء، حتى أكون أنا دونه) فدنا المشركون فقال رسول الله ﷺ (قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض).

قال: يقول عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال: «نعم» قال: يخ يخ<sup>(١)</sup>، فقال رسول الله ﷺ: (ما يحملك على قولك يخ يخ؟) قال: لا. والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: (فإنك من أهلها) فأخرج تمرات من قرنه<sup>(٢)</sup>، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه، إنها لحياة طويلة، قال: فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قُتل<sup>(٣)</sup>.

### ما الذي يضحك الرب من عبده؟

وكذلك سأله عوف بن الحارث - ابن عفراء - فقال: يا رسول الله ما يضحك الرب من عبده؟! قال: «غمسه يده في العدو حاسراً»، فنزع درعاً كانت عليه فلقها، ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قُتل<sup>(٤)</sup>.

فتأمل معي - أيها الأخ الحبيب - كيف كان حرص أصحاب النبي ﷺ على أي شيء يقربهم من رضوان الله (عز وجل) وجنته.

### مصراع أبي جهل

وحاول «أبو جهل» أن يوقف سيل الهزيمة النازل بقومه، فأقبل يصرخ بهم، وغشاوة الغرور لا تزال ضاربة على عينه: «واللات والعزى لا نرجع حتى نفرقهم في الجبال.. خذوهم أخذاً».

وماذا تفعل صيحات الطيش بإزاء الحقائق المكتسحة؟ لكن أبا جهل - والحق يقال - كان تمثالاً للعناد إلى آخر رمق، والطمس المنسوج على بصيرته جزء من كيانه لا ينفك أبداً، لذلك أقبل يقاتل في شراسة وغضب وهو يقول:

(١) يخ يخ: كلمة تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير.

(٢) قرنه: جعبة النشاب.

(٣) أخرجه مسلم (١٩٠١) الإمامة.

(٤) أخرجه ابن الأثير في «أسد الغابة» [٣١١/٤]، وابن هشام في «السيرة» [٤٥٧/٢، ٤٥٨] و«إسناده

ما تنقم الحرب الشموس منى؟ بازل عامين حديث سنى

لمثل هذا ولدتنى أمى (١)

ولكن سرعان ما تبدى له حقيقة هذه الغطسة، فما لبث إلا قليلاً حتى أخذت الصفوف تتصدع أمام تيارات هجوم المسلمين، نعم بقى حوله عصابة من المشركين، ضربت حوله سياجاً من السيوف وغابات من الرماح، ولكن عاصفة هجوم المسلمين بددت هذه السياج، وأقلعت هذه الغابات، وحينئذ ظهر هذا الطاغية، ورآه المسلمون يجول على فرسه، وكان الموت ينتظر أن يشرب من دمه بأيدي غلامين أنصاريين (٢).

\* عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه: قال: (بينما أنا واقف فى الصف يوم بدر، نظرت عن يمينى وشمالى، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثه أسنانهما، تمتيت لو كنت بين أضلع منهما (٣)، فغمزنى (٤) أحدهما فقال: يا عم هل تعرف أباً جهل؟ قال: قلت: نعم وما حاجتك إليه يا ابن أخى؟ قال: أخبرت أنه يسب رسول الله، والذى نفسى بيده لئن رأيت لا يفارق سوادى سواده، حتى يموت الأعجل منا. قال: فتعجبت لذلك، فغمزنى الآخر فقال مثلها.

قال: فلم أنشب (٥) أن نظرت إلى أبى جهل يزول فى الناس فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذى تسألان عنه، قال: فابتدراه بسيفيهما حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه، فقال: (أيكما قتله؟) فقال كل واحد منهما: أنا قتلته، فقال: (هل مسحتما سيفيكما؟) قالا: لا: فنظر فى السيفين فقال: (كلاكما قتله)، وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح... والرجلان معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعاذ بن عفرأ» (٦).

\*\*\*

(١) فقه السيرة للغزالي (ص ٢٦٥).

(٢) الرحيق المختوم (ص ٢٣٢).

(٣) أضلع: أقوى وأعظم وأشد.

(٤) غمزنى: قرصنى.

(٥) أنشب: ألبث.

(٦) أخرجه البخارى (٣٩٨٨) المغازى، ومسلم (١٧٥٢) الجهاد.

### فرعون هذه الأمة

\* عن أنس رضى الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ يوم بدر: (من ينظر ما صنع أبو جهل؟) فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضرباه «أبناء عفرأ حتى برد<sup>(١)</sup>، فأخذ بلحيته فقال: أنت أبو جهل، قال: وهل فوق رجل قتله قومه أو قال: قتلتموه»<sup>(٢)</sup>.

\* وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: «أدركت أبا جهل يوم بدر صريعاً، فقلت: أي عدو الله قد أخزأك الله؟

قال: وبما أخزاني: من رجل قتلتموه... ومعى سيف لى، فجعلت أضربه ولا يحتك فيه شيء، ومعها سيف له جيد، فضربت يده فوق السيف من يده فأخذته، ثم كشفت المغفر عن رأسه فضربت عنقه، ثم أتيت النبى ﷺ فأخبرته، فقال: (الله الذى لا إله إلا هو؟). قلت: الله الذى لا إله إلا هو.

قال: انطلق فاستثبت... فانطلقت وأنا أسعى مثل الطائر، ثم جئت وأنا أسعى مثل الطائر أضحك فأخبرته.

فقال رسول الله ﷺ (انطلق) فانطلقت معه فأريته، فلما وقف عليه ﷺ قال: (هذا فرعون هذه الأمة)<sup>(٣)</sup>.

### مصرع أمية بن خلف

لقد كان أمية بن خلف يعذب بلالاً (رضى الله عنه) فى رمضاء مكة عذاباً شديداً.. وتمر الأيام ويشاء الله (عز وجل) أن يقتص بلال من أمية بن خلف فيها هو الصحابى الجليل عبد الرحمن بن عوف (رضى الله عنه) يحكى كيف اقتص الله تعالى لبلال من أمية بن خلف.

\* عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال: «كاتب أمية بن خلف كتاباً بأن

(١) برد: قارب على الموت وكان فى النزاع الأخير.

(٢) أخرجه البخارى فى المغازى باب قتل أبى جهل رقم (٣٩٦٣) مسلم فى الجهاد، باب قتل أبى جهل رقم (١٨٠٠).

(٣) أخرجه الهيثمى فى المجمع (٧٩/٦) وقال رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن وهب بن أبى كريمة وهو ثقة، قال عنه فى التقريب (٢١٦/٢) صدوق من العاشرة فىكون الحديث حسناً.

يحفظنى فى صاغيتى<sup>(١)</sup> بمكة، وأحفظه فى صاغيته بالمدينة، فلما ذكرت «الرحمن» قال: لا أعرف الرحمن، كاتبنى باسمك الذى كان فى الجاهلية، فكاتبته (عبد عمرو).

فلما كان فى يوم بدر خرجت إلى جبل لأحرزته<sup>(٢)</sup> حين نام الناس، فأبصره بلال، فخرج حتى وقف على مجلس من الأنصار، فقال (بلال): أمية بن خلف لا نجوت إن نجا أمية، فخرج معه فريق من الأنصار فى آثارنا فلما خشيت أن يلحقونا خلفت لهم ابنه لأشغلهم فقتلوه، ثم أبوا حتى يتبعونا - وكان رجلاً ثقيلاً - فلما أدركونا قلت له: ابرك، فبرك، فألقيت عليه نفسى لأمنعه، فتجللوه<sup>(٣)</sup> بالسيوف من تحتى حتى قتلوه، وأصاب أحدهم رجلى بسيفه، وكان عبد الرحمن بن عوف يرينا ذلك الأثر فى ظهر قدمه<sup>(٤)</sup>.

\* وفى رواية: كان عبد الرحمن بن عوف، وأميه بن خلف صديقين فى الجاهلية بمكة، فلما كان يوم بدر مر به عبد الرحمن وهو واقف مع ابنه على بن أمية آخذاً بيده، ومع عبد الرحمن أذراع قد استلبها وهو يحملها، فلما رآه قال: هل لك فى؟ فأنا خير من هذه الأذراع التى معك، ما رأيت كالليوم قط، أما لك حاجة فى اللبن؟ - يريد أن من أسرنى افتديت منه بإبل كثيرة اللبن - فطرح عبد الرحمن الأذرع، وأخذهما يمشى بهما، قال عبد الرحمن: قال لى أمية بن خلف، وأنا بينه وبين ابنه: من الرجل منكم المعلم بريشة النعامة فى صدره؟ قلت: ذاك حمزة بن عبد المطلب، قال: ذاك الذى فعل بنا الأفاعيل. قال عبد الرحمن: فوالله إنى لأقودهما إذ رآه بلال معى، وكان أمية الذى يعذب بلالاً بمكة، فقال بلال: رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا، قلت: أى بلال، أسيرى، قال: لا نجوت إن نجا، قلت: أسمع يا ابن السوداء، قال: لا نجوت إن نجا، ثم صرخ بأعلى صوته: يا أنصار الله، رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا، قال: فأحاطوا بنا حتى جعلونا فى مثل المسكة، وأنا أذب عنه، قال: فأخلف رجل السيف فضرب رجل ابنه فوقع، وصاح أمية صيحة ما سمعت مثلها قط، فقلت: اتج بنفسك، ولا نجاء بك، فوالله ما أغنى عنك شيئاً، قال: فهبروهما بأسيافهم حتى فرغوا منهما، فكان عبد الرحمن يقول: يرحم الله بلالاً، ذهبت أذراعى، وفجعنى بأسيرى<sup>(٥)</sup>.

(١) الصاغية: صاغية الرجل: ما يميل إليه، ويطلق على الأهل والمال.

(٢) احرزته: أحميه.

(٣) تجللوه: طعنوه، أصابوه.

(٤) أخرجه البخارى (٢٣٠١) الوكالة - ومسلم (١٧٥٢).

(٥) إسناده حسن: أخرجه ابن هشام فى «السيرة» (٤٦٠/٢، ٤٦١) عن ابن إسحاق بأسانيد إلى عبد الرحمن ابن عوف، وأخرجه بنحوه البخارى فى صحيحه (٢٣٠١).

### إنا كفييناك المستهزئين

\* ولقد استجاب الله عز وجل في هذه الغزوة المباركة دعوة النبي ﷺ على مشركي قريش، كما في حديث ابن مسعود في إلقاء المشركين سلى الجزور على ظهر النبي ﷺ وهو يصلى عند البيت، فقال ﷺ «اللهم عليك بقريش ثلاث مرات، ثم سمى: «اللهم عليك بأبي جهل وعلبك بعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط»<sup>(١)</sup>.

فقتل هؤلاء الستة يوم بدر وأقر الله عز وجل عين نبيه بهلاكهم وتحقق قوله عز وجل: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥].

أما أبو لهب فقد كان بمكة ولم يخرج إلى بدر، وفجع بهلاك رؤوس الكفر ثم أهلكه الله عز وجل بعد ذلك بقليل وجعله عبرة للمعتبرين.

\* عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال: كنت غلاماً للعباس، وكان يكتم إسلامه مخافة قومه، وكان أبو لهب تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام، وكان له عليه دين فقال له اكفنى من هذا الغزو وأترك لك ما عليك، ففعل، فلما جاء الخبر وكبت الله أبا لهب... وكنت رجلاً ضعيفاً أنحت أقداحى في الحجره وعندى أم الفضل، إذا الفاسق أبو لهب يجر رجله أراه قال: حتى جلس عند طناب الحجره، فكان ظهره إلى ظهري فقال الناس: هذا أبو سفيان بن الحرث فقال أبو سفيان: هلم يا ابن أخي كيف كان أمر الناس؟ قال لا شيء، والله ما هو إلا أن لقيناهم فمئناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا ويأسروننا كيف شاءوا، وأيم الله ما لمت الناس قال: ولم؟ قال رأيت رجلاً بيضاً على خيل بلق، لا والله لا يليق شيئاً ولا يقوم لها شيء، قال فرفعت طناب الحجره فقلت: تلك والله الملائكة، فرفع أبو لهب يده فلطم وجهي وثاورته فاحتلمني فضرب بى الأرض حتى نزل على، وقامت أم الفضل فاحتجرت وأخذت عموداً من عمد الحجره فضربت به ففلقت فى رأسه شجة منكرة، وقالت: أى عدو الله استضعفته أن رأيت سيده غائباً عنه، فقام ذليلاً، فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى ضربه الله بالعدسة فقتله، فتركه ابنه يومان أو ثلاثة ما يدفناه حتى أنتن. فقال رجل من قريش لابنيه ألا

(١) أخرجه البخارى (٤١٦/١) الوضوء، ومسلم (١٢/١٥١ - ١٥٢) الجهاد والسير.

والسلى: هى الجلدة التى يكون فيها الولد يقال لها ذلك عند البهائم وأما من الأدميات فالشميمة.

تستحيان، أن أباكما قد أنتن في بيته. فقالوا: إنا نخشى هذه القرحة، وكانت قريش تتقى العدسة كما تتقى الطاعون، فقال رجل: انطلقا فأنا معكما، قال فوالله ما غسلناه إلا قذفاً بالماء من بعيد، ثم احتملوه فخذفوه في أعلى مكة إلى جدار، وقذفوا عليه الحجارة»<sup>(١)</sup>.

### إنه في جنة الفردوس

وفتح المسلمون عيونهم على بشاشة الفوز تضحك لهم خلال الأرض والسماء. إن هذا الظفر المتاح رد عليهم الحياة والأمل والكرامة، وخلصهم من أغلال ثقال. ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ آل عمران: ١٢٣.

وكانت عدة من استشهد منهم أربعة عشر رجلاً: استأثرت بهم رحمة الله فذهبوا إلى عليين... ثبت عن أنس بن مالك، أن حارثة بن سراقة، قُتل يوم بدر، وكان في النظارة، أصابه سهم طائش فقتله. فجاءت أمه فقالت يا رسول الله، قد عرفت منزلة حارثة مني، فإن يكن في الجنة أصير وأحتسب، وإن تكن الأخرى ترى ما أصنع؟. فقال: (ويحك - أو هبلت - أو جنة واحدة هي؟ إنها جنان كثيرة، وإنه في جنة الفردوس)<sup>(٢)</sup>.

### مصرع (عبيد بن سعيد بن العاص) على يد (الزبير)

\* عن الزبير بن العوام رضى الله عنه قال: «لقيت يوم بدر عبيد بن سعيد بن العاص وهو مدجج<sup>(٣)</sup> لا يرى منه إلا عيناه، وهو يكنى أبا ذات الكرش، فقال: أنا أبو ذات الكرش، فحملت عليه بالعنزة فطعنته في عينه فمات». قال هشام، فأخبرت أن الزبير قال: «لقد وضعت رجلى عليه ثم تمطأت فكان الجهد أن نزعته وقد انثني طرفاها». قال عروة: فسأله إياها رسول الله ﷺ فأعطاه، فلما قبض رسول الله ﷺ أخذها، ثم طلبها أبو بكر فأعطاه، فلما قبض أبو بكر سأله إياها عمر فأعطاه إياها، فلما قبض عمر أخذها، ثم طلبها عثمان منه فأعطاه إياها، فلما قتل عثمان وقعت عند آل علي، فطلبها عبد الله بن الزبير، فكانت عنده حتى قُتل»<sup>(٤)</sup>.

(١) قال الهيثمي: رواه الطبراني والبخاري وفي إسناده حسين بن عبد الله بن عبيد الله وثقه أبو حاتم وغيره وضعفه جماعة وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد (٦/٨٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٨٢) المغازي.

(٣) مدجج: مغطى ومحمل بالسلاح.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في المغازي باب شهود الملائكة بدرأ حديث رقم (٣٩٩٨).

### أسد الله الغالب.. على بن أبي طالب

وها هي صورة مشرقة من شدة بأس (على) - رضى الله عنه - يوم بدر.

\* عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال: «كنت على بئر فكنت يوم بدر أميح وأمتح منه<sup>(١)</sup>، فجاءت ريح شديدة، ثم جاءت ريح شديدة، فلم أر ريحاً، أشد منها إلا التى قبلها، ثم جاءت ريح شديدة، فكانت الأولى ميكائيل فى ألف من الملائكة عن يمين النبى ﷺ، والثانية إسرافيل فى ألف من الملائكة عن يسار النبى ﷺ، والثالثة جبريل فى ألف من الملائكة، وكان أبو بكر عن يمينه، وكنت عن يساره، فلما هزم الله الكفار حملنى رسول الله ﷺ على فرسه، فلما استويت عليه حمل بى، فصرت على عنقه فدعوت الله فثبتنى عليه، فطعنت برمحي حتى بلغ الدم إبطى»<sup>(٢)</sup>.

### (سعد) يقاتل قتال الفارس والراجل

\* عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: «كان سعد يقاتل مع رسول الله ﷺ يوم بدر، قتال الفارس والراجل»<sup>(٣)</sup>.

وهكذا تتضح لنا تلك الصورة الحية من حرص الصحابة (رضى الله عنهم) على الفور بالشهادة فى سبيل الله ومن ثم بجنته ورضوانه حيث النعيم المقيم والخلود فى النعيم.

### صور مشرقة من الولاء والبراء

وقد تجلت فى هذه المعركة مناظر رائعة، تبرز فيها قوة العقيدة وثبات المبدأ، وفى هذه المعركة التقى الآباء بالأبناء، والإخوة بالإخوة، خالفت بينهما المبادئ، ففصلت بينهما السيوف، والتقى المقهور بقاتله، فشفى منه غيظه.

\* قال صاحب الظلال - رحمه الله -:

فروابط الدم والقرباة هذه تنقطع عند حد الإيمان. إنها يمكن أن تُرعى إذا لم تكن

(١) متح الدلو: جذبها مستقيماً لها.

(٢) قال الهيثمى فى المجمع (٧٧/٦)، رواه أبو يعلى ورجاله ثقات.

(٣) كشف الأستار: (١٧٦٨ - ١٧٦٩)، وقال الهيثمى فى المجمع (٨٢/٦)، رواه البزار بإسنادين إحداهما متصل والآخر مرسل ورجالهما ثقات.



هناك محادة وخصومة بين اللواتين. لواء الله ولواء الشيطان. والصحة بالمعروف للوالدين المشركين مأمور بها حين لا تكون هناك حرب بين حزب الله وحزب الشيطان. فأما إذا كانت المحادة والمشاقة والحرب والخصومة فقد تقطعت تلك الأواصر التي لا ترتبط بالعروة الواحدة وبالجلب الواحد. ولقد قتل أبو عبيدة أباه في يوم بدر. وهم الصديق أبو بكر بقتل ولده عبد الرحمن. وقتل مصعب بن عمير أخاه عبيد بن عمير. وقتل عمر وجمزة وعلى وعبيدة والحارث أقرباءهم وعشيرتهم. متجردين من علائق الدم والقرابة إلى آصرة الدين والعقيدة. وكان هذا أبلغ ما ارتقى إليه تصور الروابط والقيم في ميزان الله<sup>(١)</sup>.

### موقف عظيم في الولاء والبراء لمصعب بن عمير (رضى الله عنه)

قال ابن إسحاق: وحدثني نبيه بن وهب أخو بني عبد الدار، أن رسول الله ﷺ حين أقبل بالأسارى فرقمهم بين أصحابه وقال: «استوصوا بالأسارى خيراً».

قال: وكان أبو عزيز بن عمير بن هشام أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه في الأسارى، قال فقال أبو عزيز: مرّ بي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرنى. فقال (مصعب): شد يدك به، فإن أمه ذات متاع، لعلها تفديه منك. قال: وكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدموا غداهم وعشاءهم خصّونى بالخبز وأكلوا التمر. لو صية رسول الله ﷺ إياهم بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحنى بها. قال: فأستحي فأردها على أحدهم. فيردها على ما يمسه.

قال ابن هشام: وكان أبو عزيز صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحارث، فلما قال أخوه مصعب بن عمير (لأبي اليسر) وهو الذى أسره ما قال: قال له أبو عزيز: يا أخى هذه وصاتك بي؟! فقال له مصعب: إنه أخى دونك. فسألت أمه عن أغلى ما فدى به قرشى، فقيل لها: أربعة آلاف درهم. فبعثت بأربعة آلاف درهم ففدته بها<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) فى ظلال القرآن (٦/٣٥١٤).

(٢) السيرة لابن هشام (٣/٥٤).

### أبو عبيدة (رضى الله عنه) ودرس في الولاء والبراء

وفى غزوة (بدر) قاتل أبو عبيدة رضى الله عنه قتالاً شديداً حتى كان المشركون يتعدون عن البقعة التي يقاتل فيها.. ولكن كان هناك فارسٌ يتصدى له كثيراً.. وأبو عبيدة يحيده عنه فلما أكثر الرجل من التصدى لأبى عبيدة هجم عليه كالأسد الضارى فقتله شر قتلة !!!

أتدرون من هو المقتول؟

إنه - والد أبى عبيدة -:

وأُنزل الله فى شأنه وشأن أبيه قرآناً يُتلى إلى يوم القيامة.

قال سعيد بن عبد العزيز وغيره أنزلت هذه الآية ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ... ﴾ [المجادلة: ٢٢] إلى آخرها - فى أبى عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح حين قتل  
أباه يوم بدر، ولهذا قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين جعل الأمر شورى بعده فى  
أولئك الستة رضى الله عنهم: ولو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته<sup>(١)</sup>.

### أنمة الكفر يقذفون فى القليب

\* عن أنس بن مالك (رضى الله عنه) عن أبى طلحة (رضى الله عنه):

«أن نبي الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش، فُقذوا فى  
طوى<sup>(٢)</sup> من أطواء بدر خبيث مخبث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة<sup>(٣)</sup> ثلاث  
ليال، فلما كان ببدر اليوم الثالث: أمر براحلته فشُدت عليها رحلها، ثم مشى واتبعه  
أصحابه وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته، حتى قام على شفى الركى<sup>(٤)</sup> فجعل  
يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: (يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، أيسركم أنكم  
أطعتم الله ورسوله؟ فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً).  
قال: فقال عمر: يا رسول الله، ما تكلم من أجساد لا أرواح لها.

(١) تفسير ابن كثير (٤/٣٢٩).

(٢) طوى: بئر خربة.

(٣) العرصة: الموضع الواسع الذى لا بناء فيه.

(٤) الركى: البئر.

فقال رسول الله ﷺ: «والذى نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم». قال قتادة: «أحياهم الله حتى أسمعهم قوله، تويخاً وتصغيراً ونقيمة وحسرة وندماً»<sup>(١)</sup>.

\* وعن أنس بن مالك رضى الله عنه: «أن رسول الله ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثاً، ثم أتاهم فقام عليهم فناداهم فقال: (يا أبا جهل بن هشام! يا أمية بن خلف! يا عتبة بن ربيعة! يا شيبة بن ربيعة! أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فإني قد وجدت ما وعدنى ربي حقاً) فسمع عمر قول النبي ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يسمعوا وأنى يجيبوا وقد جئوا<sup>(٢)</sup> قال: (والذى نفسى بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يقدر أن يجيبوا) ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا فى قلب بدر»<sup>(٣)</sup>.

### النبي ﷺ يدعو لأبى حذيفة

\* عن عائشة رضى الله عنها: أن رسول الله ﷺ أمر بالقلب - إلى أن قالت - فلما أمر بهم فسحبوا عرف فى وجه أبى حذيفة بن عتبة الكراهية، وأبوه يسحب إلى القلب فقال له رسول الله ﷺ: (يا أبا حذيفة لكأنه ساءك ما كان فى أبيك؟ فقال: والله يا رسول الله ما شككت فى الله وفى رسول الله ولكن إن كان حليماً سديداً ذا رأى، فكنت أرجو أن لا يموت حتى يهديه الله عز وجل إلى الإسلام، فلما رأيت أن قد فات ذلك ووقع حيث وقع أحزنتنى ذلك، قال: فدعا له رسول الله بخير)<sup>(٤)</sup>.

### هؤلاء خرجوا كرهاً

\* عن على بن أبى طالب قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: (إن استطعتم أن تأسروا من بنى عبد المطلب فإنهم خرجوا كرهاً)<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه البخارى (٣٩٧٦) المغازى، ومسلم (٢٨٧٤ - ٢٨٧٥) الجنة.

(٢) جئوا: أتوا وصاروا جيفاً.

(٣) أخرجه مسلم فى كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها رقم (٢٨٧٤).

(٤) أخرجه الحاكم (٢٢٤/٣) وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبى، وهو ليس كما قال، لأن فيه أحمد بن عبد الجبار العطاردى فيه ضعف ولم يخرج له مسلم لكن سماعه للسيرة صحيح كما فى التقريب، فالحديث حسن والله أعلم.

(٥) رواه أبو داود (٢٦٦٥) وإسناده صحيح كما قال ابن حجر فى الفتح (٢٩٨/٧).

### النبي ﷺ يقيم في بدر ثلاثاً

فمن أنس بن مالك (رضى الله عنه) - والحديث في الصحيح -: «أن النبي ﷺ كان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال..».

\* وعن أبي طلحة رضى الله عنه قال: «كان رسول الله إذا ظهر على قوم أقام بعرضتهم ثلاثاً»<sup>(١)</sup>.

قال بعض المؤرخين: إن العباس - رضى الله عنه - كان قد أسلم قبل الهجرة وكنم إسلامه، وقيل: إنه أسلم قبل الفتح. وكانت قريش تجد في قلبها شيئاً من ناحية العباس (كانت تشك في إسلامه) ولكنها لم تجد ما يؤيد ظنها، وبخاصة أنه كان في ظاهر أمره موافقاً لهم، فلما كانت غزوة بدر أرادت قريش أن تقطع الشك باليقين فجعلته يخرج معها في تلك الغزوة.

ولذلك نهى النبي ﷺ أصحابه عن قتل العباس - رضى الله عنه -.

عن ابن عباس: أن النبي ﷺ قال لأصحابه: «إني قد عرفت أن رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهاً، لا حاجة لهم بقتالنا، ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله، فإنه إنما أخرج مستكراً»، فقال أبو حذيفة بن عتبة: أنقتل آباءنا، وأبناءنا، وإخواننا، وعشيرتنا، وترك العباس؟! والله لئن لقيته لأحمنه - أو لأجمنه - بالسيف، فبلغت رسول الله ﷺ فقال لعمر بن الخطاب: «يا أبا حفص، أضرِب وجه عم رسول الله ﷺ بالسيف؟!» فقال عمر: يا رسول الله، دعني فلاضرب عنقه بالسيف، فوالله لقد نافق.

فكان أبو حذيفة يقول: ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ، ولا أزال منها خائفاً إلا أن تكفرها عنى الشهادة، فقتل يوم اليمامة شهيداً<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه الترمذى في السير (١٥٥١) وقال: حسن صحيح.

(٢) سيرة ابن هشام (٤٥٨/٢، ٤٥٩)، وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٨٠٧/٤) من طريق ابن إسحاق. قال: حدثني العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله عن عبد الله بن عباس، فذكر الحديث، وأخرجه الحاكم (٢٢٣/٣) مزيلاً لهذه الجهالة فقال: «عن أبيه عن ابن عباس»، ولذلك صححه على شرط مسلم، وحذفه الحافظ من تلخيصه، والعباس بن عبد الله وأبوه ثقتان، لكن يخشى أن يكون ذلك محرف في نسخة الحاكم، فقد أخرجه البيهقى في الدلائل (١٤٠/٣) من طريقه، وقال: «عن بعض أهله»، والله تعالى أعلم.

### القتلى من المشركين .. والشهداء من المسلمين

\* عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: «إن الثمانية عشر الذين قُتلوا من أصحاب رسول الله ﷺ يوم بدر جعل الله أرواحهم فى الجنة فى طير خُضر تسرح فى الجنة، فبينما هم كذلك إذ اطلع عليهم اطلاعة<sup>(١)</sup> فقال: يا عبادى ماذا تشتهون؟، فقالوا: يا ربنا هل فوق هذا شىء؟ قال: فىقول: عبادى ماذا تشتهون؟ فيقولون فى الرابعة: ترد أرواحنا فى أجسادنا فنقتل كما قُتلنا»<sup>(٢)</sup>.

\* وعن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال: «جعل النبى ﷺ على الرماة يوم أحد عبد الله بن جبير، فأصابوا منا سبعين، وكان النبى ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة، سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً، قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، والحرب سجال»<sup>(٣)</sup>.

### قتل النضر بن الحارث

وبعد أن أقام رسول الله ﷺ ببدر ثلاثة أيام تحرك بجيشه نحو المدينة ومعه الأسارى من المشركين، واحتمل معه النفل الذى أصيب من المشركين، وجعل عليه عبد الله بن كعب فلما خرج من مضيق الصفراء نزل على كئيب بين المضيق وبين النازية، وقسم هنالك الغنائم على المسلمين على السواء، بعد أن أخذ منها الخمس.

وعندما وصل إلى الصفراء أمر بقتل النضر بن الحارث - وكان هو حامل لواء المشركين يوم بدر، وكان من أكابر مجرمى قريش، ومن أشد الناس كيداً للإسلام، وإيذاء لرسول الله ﷺ فضرب عنقه على بن أبى طالب<sup>(٤)</sup>.

### قتل عقبة بن أبى معيط (فى طريق العودة إلى المدينة)

هذا الشقى الذى آذى رسول الله ﷺ، وانفرد بما لم يفعله أحد، ووضع رجله على عنق أطهر الخلق رسول الله ﷺ فقطعت عنقه جزاءً وفاً.

(١) اطلاعة: نظر إليهم نظرة.

(٢) قال الهيثمى فى المجمع: (٦/٩٠)، رواه الطبرانى ورجاله ثقات، وانظر الطبرانى فى الكبير (١٠٤٦٦).

(٣) أخرجه البخارى (٣٩٨٦) المغازى.

(٤) الرحيق المختوم (ص ٢٤١).

\* عن ابن عباس رضی الله عنهما قال: «فادی رسول الله ﷺ أسارى بدر، وكان فداء كل رجل منهم أربعة آلاف، وقُتل عقبة بن أبی معیط قبل الفداء قام إليه على بن أبی طالب فقتله صبراً، قال: من للصبية يا رسول الله؟ قال: (النار)» (١).

\* وعن مسروق أنه قال: - لابن أبی معیط - حدثنا عبد الله بن مسعود رضی الله عنه: «إن رسول الله ﷺ أمر بعنق أبیک أن تُضرب صبراً، ثم مر به فقال: من للصبية بعدی؟ قال (لهم النار) حسبك ما رضی لك رسول الله ﷺ» (٢).

وقال حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن الشعبي قال: لما أمر النبي ﷺ بقتل عقبة قال: أتقتلنی يا محمد، من بین قريش؟ قال «نعم، أتدرون ما صنع هذا بی، جاء وأنا ساجد خلف المقام، فوضع رجله على عنقي وغمزها فما رفعها حتى ظننت أن عيني ستندران، وجاء مرة أخرى بسلا شاة، فألقاه على رأسي وأنا ساجد، فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسي.

وذهب عقبة إلى مزبلة التاريخ، وأطیح بعنقه جزاء كفره وعناده وحسده للإسلام ورسوله ﷺ

### بشائر النصر تصل إلى المدينة المنورة

ولما تم الفتح للمسلمين أرسل رسول الله ﷺ يبشيرين إلى أهل المدينة، ليحملا لهم البشري، أرسل عبد الله بن رواحة بشيراً إلى أهل العالية، وأرسل زيد بن حارثة بشيراً إلى أهل السافلة.

وكان اليهود والمنافقون قد أرجفوا في المدينة بإشاعة الدعايات الكاذبة، حتى أنهم أشاعوا خبر مقتل النبي ﷺ ولما رأى أحد المنافقين زيد بن حارثة راكباً القصواء - ناقة رسول الله ﷺ قال: لقد قُتل محمد، وهذه ناقتة نعرفها، وهذا زيد لا يدري ما يقول من الرعب، وجاء فلا (٣).

(١) أخرجه الهيثمي في المجمع (٨٩/٦) وقال رواه الطبراني في الكبير (١٢١٥٢)، ورجاله رجال الصحيح، وانظر عبد الرزاق في المصنف (٩٣٩٤).

(٢) أخرجه أبو داود في سنة الجهاد باب في قتل الأسير صبياً رقم (٢٦٨٦)، وقال الهيثمي في المجمع: (٥٩/٦) رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات. وسند أبي داود حسن.

(٣) فلا: منهزماً.

فلما بلغ الرسولان أحاط بهما المسلمون ، وأخذوا يسمعون منهما الخبر حتى تأكد لديهم فتح المسلمين، فعمت البهجة والسرور، واهتزت أرجاء المدينة تهليلاً وتكبيراً، وتقدم رؤوس المسلمين - الذين كانوا بالمدينة - إلى طريق بدر، ليهتتوا رسول الله ﷺ بهذا الفتح المبين.

قال أسامة بن زيد: أتانا الخبر حين سوينا التراب على رقية بنت رسول الله ﷺ التي كانت عند عثمان بن عفان... كان رسول الله ﷺ خلفني عليها مع عثمان<sup>(١)</sup>.

\* عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال: «إن النبي ﷺ خلف عثمان بن عفان، وأسامة بن زيد على بنت رسول الله ﷺ فجاء زيد بن حارثة على العضباء ناقة رسول الله ﷺ بالبشارة، قال أسامة: فسمعت الهيعة<sup>(٢)</sup>، فخرجت فإذا زيد قد جاء بالبشارة، فوالله ما صدقت حتى رأينا الأسارى... وضرب رسول الله ﷺ لعثمان سهمه»<sup>(٣)</sup>.

\* وعن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة رضى الله عنهما: قال: «قدم بالأسارى حين قدم بهم المدينة، وسودة بنت زمعة زوج النبي ﷺ عند آل عفرأ في مناحتهم على عوف ومعوذ ابني عفرأ، وذلك قبل أن يضرب الحجاب.

قالت سودة: فوالله إنى لعندهم إذ أتينا فقيلاً: هؤلاء الأسارى قد أتى بهم فرجعت إلى بيتى ورسول الله ﷺ فيه، فإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو فى ناحية الحجرة ويدها مجموعتان إلى عنقه بحبل، فوالله ما ملكت حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلت: «أبا يزيد أعطيتم بأيديكم ألا متم كراماً».

فما انتبهت إلا بقول رسول الله ﷺ من البيت: (يا سودة... على الله وعلى رسوله؟!!!)، فقلت: يا رسول الله والذى بعثك بالحق ما ملكت حين رأيت أبا يزيد مجموعة يدها إلى عنقه بالحبل أن قلت ما قلت»<sup>(٤)</sup>.

(١) الرحيق المختوم (ص ٢٤٠).

(٢) الهيعة: الصوت الذى تفرع منه وتخاف.

(٣) أخرجه البيهقى (١٧٤/٩)، بسند صحيح، والحاكم فى المستدرک (٢١٧/٣، ٢١٨)، وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبى.

(٤) أخرجه الحاكم فى المستدرک (٢٢/٣)، وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبى، وابن جرير فى التاريخ (٤٦٠/٢)، وابن هشام فى السيرة (١/٦٤٥)، وسنده صحيح.

ودخل النبي ﷺ المدينة مؤيداً مظفراً منصوراً قد خافه كل عدو له بالمدينة وحولها، فأسلم بشرٌ كثيرٌ من أهل المدينة، وحينئذ دخل عبد الله بن أبي المنافق وأصحابه في الإسلام ظاهراً<sup>(١)</sup>.

\* وهكذا لم يكن بمكة إلا كفرٌ وإيمان أما في المدينة - وبخاصة بعد النصر في غزوة بدر - بدأ المنافقون يدخلون في هذا الدين العظيم ليعصموا دماءهم وأموالهم.

### قريش تتلقى نبأ الهزيمة

\* قال ابن إسحاق رحمه الله:

«وكان أول من قدم بمكة بمصاب قريش الجسيمان بن عبد الله الخزاعي فقالوا له: ما وراءك؟»

قال: قُتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو الحكم بن هشام، وأمّية بن خلف، وزمعة بن الأسود، ونيبه ومنبه ابنا الحجاج، وأبو البحتري بن هشام، فلما جعل يعدد أشراف قريش قال صفوان بن أمية: والله إن يعقل هذا فسلوه عليّ؟ فقالوا: ما فعل صفوان بن أمية؟

قال: هو ذاك جالس في الحجر، وقد والله رأيت أباه وأخاه حين قُتلا<sup>(٢)</sup>.

### تقسيم الغنائم

\* عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: «خرجنا مع النبي ﷺ فشهدت معه بدرًا، فالتقى الناس فهزم الله تبارك وتعالى العدو، فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون فأكبت<sup>(٣)</sup> طائفة على المعسكر يحوونه ويجمعونه، وأحدقت<sup>(٤)</sup> طائفة برسول الله ﷺ لا يصيب العدو منه غرة، حتى إذا كان الليل، وفاء الناس بعضهم إلى بعض، قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب، وقال الذين خرجوا

(١) زاد المعاد (٣/١٨٨).

(٢) إن كان أخرجه ابن إسحاق بسنده الصحيح الوارد في بداية غزوة بدر فالحادثة صحيحة والله أعلم وإلا فالحادثة بلا سند انظر سنده (ابن هشام في السيرة (١/٦٠٦)).

(٣) أكبت: عكفت أو قامت.

(٤) أحدقت: أحاطت.



فى طلب العدو: لستم بأحق بها منا.. وقال الذين أهدقوا برسول الله ﷺ: لستم بأحق بها منا، نحن أهدقنا برسول الله ﷺ وحقنا أن يصيب العدو منه غرة واشتغلنا به فنزلت ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرُّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١] فقسما رسول الله ﷺ على وفاق بين المسلمين»<sup>(١)</sup>.

### لولا كتاب من الله سبق

\* عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «لما كان يوم بدر تعجل الناس إلى الغنائم فأصابوها فقال رسول الله ﷺ: (إن الغنيمة لا تحل لأحد سود الرؤوس غيركم) وكان النبى وأصحابه إذا غنموا غنيمة جمعوها ونزلت نار فأكلتها، فأنزل الله هذه الآية ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ...﴾ [الأنفال: ٦٨] إلى آخر الآيتين»<sup>(٢)</sup>.

\* وعن مصعب بن سعد بن أبى وقاص عن أبىه قال: لما كان يوم بدر جئت بسيف فقلت: يا رسول الله ﷺ إن الله قد شفى صدرى من المشركين أو نحو هذا، هب لى هذا السيف فقال: (هذا ليس لى ولا لك)، فقلت: عسى أن يعطى هذا من لم يبيل بلائى، فجعانى رسول الله ﷺ فقال: (إنك سألتنى وليس لى، وإنه قد صار لى وهو لك) قال: فنزلت ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ [الأنفال: ٦٨] الآية<sup>(٣)</sup>.

### فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم

\* عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: إن النبى ﷺ قال: (من أتى مكان كذا وكذا فله كذا وكذا، أو فعل كذا وكذا فله كذا وكذا) فتسارع إليه الشبان وبقى الشيوخ عند الرايات فلما فتح الله عليهم، جاءوا يطلبون ما جعل لهم النبى ﷺ فقال لهم الأشياخ: لا تذهبوا به دوننا فأنزل الله تعالى ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه أحمد (٣٢٤/٥) والحاكم وصححه ووافقه الذهبى.

(٢) أخرجه الترمذى فى التفسير تفسير سورة الأنفال رقم (٣٠٨٥)، وقال حديث حسن صحيح غريب، وأبو داود الطيالسى فى مسنده (١٩/٢)، وابن حبان فى الموارد (١٦٦٨)، والبيهقى (٢٩٠/٦) وهو كما قال الترمذى.

(٣) أخرجه مسلم (١٧٤٨) الجهاد والسير.

(٤) رواه أبو داود والحاكم وصححه ووافقه الذهبى.

## ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض

\* عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: استشار رسول الله ﷺ في الأسارى أبا بكر فقال: قومك وعشيرتك فخلّ سبيلهم، فاستشار عمر فقال: أقتلهم، قال: ففداهم رسول الله ﷺ. فأنزل الله عز وجل ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ [الأنفال: ٦٧- ٦٩] قال: فلقى النبي ﷺ عمر قال: كاد أن يصيبنا بلاء في خلافاك (١).

\* وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه... الذي رواه عنه ابن عباس رضى الله عنهما قال: «فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين قال أبو زميل: قال ابن عباس: فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ يا أبا بكر وعلى وعمر ما ترون في هؤلاء الأسارى؟ فقال أبو بكر: يا نبي الله! هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية، فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام.

فقال رسول الله: ما ترى يا ابن الخطاب؟

قال: لا والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكنى أرى أن تمكناً فنضرب أعناقهم، فتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، وتمكنى من فلان (نسيباً لعمر) فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها.

فهوى (٢) رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت. فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدان يبكيان. قلت: يا رسول الله أخبرني من أى شيء تبكى أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاءً بكيت، وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما. فقال رسول الله ﷺ: (أبكى للذى عرض على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة) - شجرة قريبة من النبي ﷺ - وأنزل الله عز وجل ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ [الأنفال: ٦٧- ٦٩] فأحل الله الغنيمة لهم (٣).

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرک (٢/ ٣٢٩)، وقال الحاكم حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبى قلت: على شرط مسلم.

(٢) هوى: رغب.

(٣) أخرجه مسلم (١٧٦٣) كتاب الجهاد والسير.

## فداء الأسرى

\* عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «فادى رسول الله ﷺ أسارى بدر، وكان فداء كل رجل منهم أربعة آلاف»<sup>(١)</sup>.

\* وعن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما قال: «كانت قريش ناحت قتلاها ثم ندمت، وقالوا: لا تنوحوا عليهم، فيبلغ ذلك محمداً وأصحابه فيشمتوا بكم، وكان فى الأسرى أبو وداعة بن صبرة السهمى فقال رسول الله ﷺ (إن له بمكة ابناً تاجراً كَيْسًا، ذا مال، كأنكم قد جاءكم فى فداء أبيه) فلما قالت قريش فى الفداء ما قالت: قال المطلب: صدقتم والله لئن صدقتم ليثارين<sup>(٢)</sup> عليكم، ثم انسل فى الليل، فقدم المدينة ففدى أباه بأربعة آلاف درهم»<sup>(٣)</sup>.

## رحمة للعالمين

\* وها هو نهر الرحمة وينبوع الحنان محمد بن عبد الله ﷺ يعلم أن أناساً من المشركين لا يملكون ثمن الفداء وإذا به يجعل فداءهم أن يُعلموا أولاد الأنصار الكتابة ليسهل لهم طريقاً إلى الحرية وليعلموا قدر هذا الدين العظيم وقدر سيد المرسلين ﷺ

\* عن ابن عباس رضى الله عنهما قال:

«كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يُعلموا أولاد الأنصار الكتابة، قال: فجاء يوماً غلام ييكى إلى أبيه فقال: ما شأنك؟ قال: ضربنى معلمى».

قال: «الخبيث يطلب بذحل بدر»<sup>(٤)</sup> والله لا تأتیه أبداً»<sup>(٥)</sup>.

\*\*\*

(١) مجمع الزوائد (٦/٩٠) وقال الهيثمى رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط ورجاله رجال الصحيح.

(٢) ليثارين: ليرفعن عليكم سعر الفداء، ليزيدنكم فى قيمة الفداء.

(٣) قال الهيثمى فى المجمع (٦/٩٠) رواه الطبرانى ورجاله ثقات.

(٤) ذحل: نأر.

(٥) أخرجه أحمد فى المسند: (٤/٤٧)، تحقيق أحمد شاكر وقال: إسناده صحيح وقال البنا فى الفتح الربانى:

لم أقف عليه لغير الإمام أحمد وفى إسناده على بن عاصم فيه كلام لكن وثقه الإمام أحمد.

## زينب بنت رسول الله ﷺ تبعث بفداء زوجها أبي العاص بن الربيع

عن عائشة، قالت: لما بعث أهل مكة في فداء أسرائهم، بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص [ابن الربيع] بمال، وبعثت فيه بقلادة كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها، قالت: فلما رأها رسول الله ﷺ رق لها رقعة شديدة، وقال: «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها مالها، فافعلوا!» فقالوا: نعم يا رسول الله فأطلقوه، وردوا عليها الذي [كان] لها<sup>(١)</sup>.

وكان رسول الله ﷺ قد أخذ عليه: أو وعد رسول الله ﷺ ذلك، أن يخلى سبيل زينب إليه، أو كان فيما شرط عليه في إطلاقه، ولم يظهر ذلك منه ولا من رسول الله ﷺ فيعلم ما هو، إلا أنه لما خرج أبو العاص إلى مكة وخلى سبيله، بعث رسول الله ﷺ زيد ابن حارثة ورجلاً من الأنصار مكانه، فقال: كونا بيطن بأجج حتى تمر بكما زينب، فتصحبها حتى تأتياني بها<sup>(٢)</sup>، فخرجا مكانهما، وذلك بعد بدر بشهر أو شيعه، فلما قدم أبو العاص مكة أمرها باللحوق بأبيها فخرجت تجهز.

فبقيت عند أبيها إلى ما بعد الحديبية فأسر أبو العاص مرة أخرى ففر إلى المدينة واستجار بزوجه زينب - وكان الإسلام قد فرق بينه وبينها - فأجارتها، فأقر المسلمون إجارتها له، ورجع إلى مكة ومعه ماله، فأدى الأمانات إلى أصحابها، ثم عاد إلى المدينة مسلماً فردها النبي ﷺ إليه بعقد ومهر جديدين على الصحيح.

### قصة فداء العباس (عم النبي ﷺ)

لم يقاتل العباس - رضى الله عنه - في غزوة بدر فإنه خرج مستكراً ونهى النبي ﷺ عن قتله.. ثم وقع العباس في الأسر، فعن أبي اليسر أنه قال: نظرت إلى العباس يوم بدر، وهو واقف كأنه صنم، وعيناه تذرفان.

فقلت: جزاك الله من ذى رحم شراً! أتقاتل ابن أخيك مع عدوه؟

(١) أخرجه أبو داود في كتاب «الجهاد» باب «في فداء الأسير بالمال» (٣/٢٦٩٢)، وأحمد في «مسنده» (٦/٢٧٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/٣٢٢)، وإسناده حسن. والحاكم في مستدركه (٤/٤٥)، وقال: صحيح ووافقه الذهبي.

(٢) رواه أبو داود (٣/٢٦٩٢)، والحاكم (٣/٢٣٦) وصححه ووافقه الذهبي.

قال: ما فعل، أقتل؟ قلت: الله أعز له وأنصر من ذلك. قال: ما تريد إلي؟ قلت: الأسر؛ فإن رسول الله ﷺ نهى عن قتلك. قال: ليست بأول صلته... فأسرته، ثم جئت به إلى رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

وعن البراء أو غيره، قال: جاء رجل من الأنصار بالعباس، قد أسره، فقال: ليس هذا أسرنى، فقال النبى ﷺ «لقد أزرك الله بملك كريم»<sup>(٢)</sup>.

\* عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «إن رجالاً من الأنصار استأذنوا رسول الله ﷺ فقالوا: ائذن لنا فلتترك لابن أختنا عباس فداءه قال: (والله لا تذكرون منه درهما)<sup>(٣)</sup>.

\* وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «قال العباس: فى نزلت: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يَبْخُنَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧] فأخبرت النبى ﷺ بإسلامى، وسألته أن يحاسبنى بالعشرين الأوقية التى أخذت معى، فأعطانى بها عشرين عبداً كلهم قد تاجر بمال فى يده، مع ما أرجو من مغفرة الله تعالى»<sup>(٤)</sup>.

### لو كان حياً لأطلقتهم له

\* عن جبير بن مطعم رضى الله عنه: أن النبى ﷺ قال لأسارى بدر: (لو كان مطعم ابن عدى حياً، ثم كلمنى فى هؤلاء التتى لأطلقتهم له)<sup>(٥)</sup>.

### عدد من حضر بدراً

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

وجملة من حضر بدراً من المسلمين ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، من المهاجرين ستة وثمانون، ومن الأوس أحد وستون، ومن الخزرج مائة وسبعون، وإنما قلّ عدد الأوس عن الخزرج، وإن كانوا أشد منهم، وأقوى شوكة، وأصبر عند اللقاء، لأن منازلهم كانت

(١) أخرجه ابن سعد (١٢/٤).

(٢) أخرجه ابن سعد (١٢/٤) ورجاله ثقات.

(٣) أخرجه البخارى فى المغازى باب (١٢)، حديث رقم (٤٠١٨).

(٤) المطالب العالبة: (٤٣٠٠) وقال ابن حجر: هذا إسناد صحيح.

(٥) أخرجه أبو داود فى الجهاد باب المن على الأسير رقم (٢٦٨٩)، وإسناده صحيح، وأخرجه البخارى فى

المغازى باب (١٢) حديث رقم (٤٠٢٤).

فى عوالى المءىنة؁ وءاء النفىر بءة؁ وقال النبى ﷺ : «لا ىبءنا إلا من كان ظهره ءاضراً»؁ فاسأذنه رءالٌ ظهورهم فى علو المءىنة أن ىسأنى بهم ءى ىذهبوا إلى ظهورهم؁ فأبى<sup>(١)</sup> ولم ىكن عزمهم على اللقاء؁ ولا أعدوا له عءة؁ ولا تأهبوا له أهبة؁ ولكن ءمع الله بىنهم وىبن عءوهم على ءىر مىعاد.

واسأشهد من المسلمىن ىومئذ أربعة عشر رجلاً: سةٌ من المهاءرىن؁ وسة من ءءرء؁ وائنان من الأوس؁ وفرء رسول الله ﷺ من شأن بءر والأسارى فى شوال<sup>(٢)</sup>.

### فضل من شهد بءراً من المسلمىن

\* عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقى عن أبىه - وكان أبوه من أهل بءر - قال: ءاء ءبرىل إلى النبى ﷺ فقال: ما ءءون أهل بءر فىكم؟ قال: «من أفضل المسلمىن - أو كلمة نءوها» قال وكذلك من شهد بءراً من الملاءكة<sup>(٣)</sup>.

\* وفى قصة ءاطب بن أبى بلءة عءما قال عمر لرسول الله ﷺ : إنه قد ءان الله والمؤمنىن فءعنى فلأضرب عنقه فقال: «ألىس من أهل بءر؟» فقال: «لعل الله اطلع على أهل بءر فقال: اءملوا ما شئتم فقد ءبب لكم ءءة - أو فقد ءفرت لكم» فءمءت عىنا عمر وقال: الله ورسوله أعلم<sup>(٤)</sup>.

وعن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز ءجل اطلع على أهل بءر فقال: اءملوا ما شئتم فقد ءفرت لكم»<sup>(٥)</sup>.

\* وعن ءابىر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (لن ىءءل النار رءل شهد بءراً أو ءءىبىة)<sup>(٦)</sup>.

\*\*\*

(١) أءرءه مسلم (١٩٠١) فى الإمارة: باب ءبوت ءءة للشهىء؁ وأءمء (١٣٦/٣) من ءءىء أنس بن مالك.

(٢) أنظر أخبار ءءوة بءر فى ابن هشام (١/٦٠٦؁ ٧١٥؁ ٤٣/٢)؁ وابن سعد (١١/٢).

(٣) أءرءه البءارى (٣٩٩٢).

(٤) أءرءه البءارى (٣٩٨٣)؁ ومسلم (٢٤٩٤).

(٥) رواه أءمء (٢/٢٩٥)؁ وأبو ءاوء (٤٦٥٤)؁ وإسناءه ءسن.

(٦) أءرءه مسلم (٢٤٩٦) فضائل الصءابة؁ والءرمذى (٣٨٦٤) المناقب.

## يا له من عيد

وفي السنة الثانية من الهجرة فُرض صيام رمضان، وفرضت زكاة الفطر، وبيّنت أنصبة الزكاة الأخرى، وكانت فريضة زكاة الفطر وتفصيل أنصبة الزكاة الأخرى؛ تخفيفاً لكثير من الأوزار التي يعانيتها عدد كبير من المهاجرين اللاجئين، الذين كانوا فقراء لا يستطيعون ضرباً في الأرض.

ومن أحسن المواقع وأروع الصدقات أن أول عيد تعيّد به المسلمون في حياتهم هو العيد الذي وقع في شوال سنة ٢هـ إثر الفتح المبين الذي حصلوا عليه في غزوة بدر، فما أروع هذا العيد السعيد الذي جاء به الله بعد أن توجّ هامتهم بتاج الفتح والعز، وما أروق منظر تلك الصلاة التي صلوها بعد أن خرجوا من بيوتهم يرفعون أصواتهم بالتكبير والتوحيد والتحميد، وقد فاضت قلوبهم رغبة إلى الله، وحنيناً إلى رحمته ورضوانه بعد أن أولاهم من النعم، وأيدهم به من النصر، وذكرهم بذلك؛ قائلاً: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦] (١).

\*\*\*

(١) الرحيق المختوم (ص ٢٤٧).

## فى أعقاب بدر

شده العرب قاطبة للنصر الحاسم الذى ناله المسلمون فى بدر، بل إن أهل مكة استنكروا الخبر أول ما جاءهم: وحسبوه هزيان مجنون، فلما استبان صدقه صعق نفر منهم فهلك لتوّه. وماج بعضهم فى بعض من هول المصاب لا يدرى ما يفعل.

وكما استبعد أهل مكة الهزيمة على أنفسهم حتى جوبهوا بعارها. استبعد مشركوا المدينة ويهودها ما قرع أذهانهم من بُشريات الفوز. وذهب بعضهم إلى حد اتهام المسلمين بأن ما يذاع عن نصرهم محض اختلاق. وظلوا يكابرون حتى رأوا الأسرى مقرنين فى الأصفاد، فسقط فى أيديهم.

فأما أهل مكة فقد انطوا على أنفسهم يداوون جراحهم ويستعيدون قواهم ويستعدون لنيل ثأرهم. ويعلنون أن يوم الانتقام قريب. ولم تزدهم الهزيمة إلا كرهاً للإسلام. ونقمة على محمد وصحبه. واضطهاداً لمن يدخل فى دينه.

أما فى المدينة حيث المسلمون كثرة مكينة ظاهرة. فقد اتخذت العداوة للإسلام طريق الدس والنفاق والمخاتلة. فأسلم فريق من المشركين واليهود ظاهراً وقلوبهم تغلى حقدًا وكفرًا. وعلى رأس هؤلاء (عبد الله بن أبى بن سلول).

أما البدو الضاربون حول المدينة وعلى طريق القوافل، فهم قوم همل، لا يهتمهم شىء من قضايا الكفر والإيمان، إنما يهتمهم اكتساب القوت من أى وجه، والحصول عليه ولو عن طريق السلب والنهب<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) فقه السيرة للغزالي (٢٧٥: ٢٧٦) بتصرف.



المدينة فزلنا فى بنى الحارث بن الخزرج، فوعكت<sup>(١)</sup> فتمزق شعرى، فوفى جميمة<sup>(٢)</sup>، فأتنتى أمى - أم رومان - وإنى لفى أرجوحة ومعى صواحب لى، فصرخت بى فأتيتها، لا أدرى ما تريد بى، فأخذت بيدى حتى أوقفنتى على باب الدار، وإنى لأنهج<sup>(٣)</sup> حتى سكن بعض نفسى، ثم أخذت شيئاً من ماء فمسحت به وجهى ورأسى، ثم أدخلتني الدار، فإذا نسوة من الأنصار فى البيت، فقلن: على الخير والبركة، وعلى خير طائر، فأسلمتني إليهن، فأصلحن من شأنى، فلم يرعنى إلا رسول الله ﷺ ضحى، فأسلمتني إليه، وأنا يومئذ بنت تسع سنين<sup>(٤)</sup>.

\* وعن عائشة. قَالَتْ: تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي شَوَّالٍ. وَبَنَى بِي فِي شَوَّالٍ. فَأَيُّ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ أَحْظَى عِنْدَهُ مِنِّي؟<sup>(٥)</sup>

### النبي ﷺ يتزوج حفصة بنت عمر (رضى الله عنهما)

\* عن ابن عمر (رضى الله عنهما) أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «حين تأيمت<sup>(٦)</sup> حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمى، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ فتوفى فى المدينة، فقال عمر: أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة، فقال: سأنظر فى أمرى فلبست ليالى ثم لقينى فقال: قد بدا لى أن لا أتزوج يومى هذا. قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق، فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر فصمت أبو بكر رضى الله عنه فلم يرجع إلى شيئاً، فكنت عليه أوجد منى على عثمان.

فلبست ليالى ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحها إياه، فلقينى أبو بكر فقال: لعلك وجدت على حين عرضت على حفصة فلم أرجع إليك شيئاً؟ قال عمر: قلت: نعم، قال: فإنه لم ينعنى أن أرجع إليك فيما عرضت على، إلا أنى كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأقضى سر رسول الله ﷺ ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتها<sup>(٧)</sup>.

(١) وعكت: مرضت.

(٢) الجميمة: الشعر القصير.

(٣) أنهج: اتنفس بسرعة.

(٤) أخرجه البخارى (٣٨٩٤) مناقب الأنصار - ومسلم (١٤٢٢) النكاح.

(٥) أخرجه مسلم (٧٣) (١٤٢٣) النكاح.

(٦) تأيمت: مات عنها زوجها.

(٧) أخرجه البخارى (٥١٢٢) النكاح - وأحمد (٧٤).

أُفحمت، فوالله ما استطعت أن أتكلم بجلالة وهيبه.

فقال رسول الله ﷺ: (ما جاء بك؟ ألك حاجة؟) فسكت، فقال: (لعلك جئت تخطب فاطمة؟) فقلت: نعم، فقال: (وهل عندك من شيء تستحلها به؟) فقلت: لا والله يا رسول الله. فقال: (ما فعلت درعاً سلّحتكها؟)

فوالذي نفس علىّ بيده إنها الحطمية ما قيمتها أربعة دراهم، فقلت: عندي. فقال: (قد زوجتكها فابعث إليها بها فاستحلها بها) فإنها كانت لصدّاق فاطمة بنت رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

### وهذا جهازها (رضى الله عنها)

\* عن على (رضى الله عنه) قال: «جهز رسول الله ﷺ فاطمة في خميل<sup>(٢)</sup> وقربة ووسادة آدم<sup>(٣)</sup> حشوها إذخر<sup>(٤)</sup>»<sup>(٥)</sup>.

\* إنها فاطمة بنت رسول الله ﷺ - سيد الأولين والآخرين وعلى الرغم من ذلك كان مهرها (درع) علىّ الحطمية، وأهديت إليه ومعها خميلة ومرفقة من آدم حشوها ليف، وقربة ومنخل وقدح ورحى وجرابان، ودخلت عليه وما لها فراش غير جلد كبش ينامان عليه بالليل، وتعلف عليه الناضح بالنهار، وكانت هي خادمة نفسها.

قال ابن الجوزي: تالله ما ضرها ذلك<sup>(٦)</sup>.

أذهب الله عنها وعن بيتها الرجز وطهرها تطهيراً، «وقد كان النبي ﷺ يحبها ويكرمها ويُسّر إليها.. ومناقبها غزيرة، وكانت صابرة دينّة خيرة صنيّة قانعة شاكرة لله»<sup>(٧)</sup>.

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل: (٣/١٦٠) وإسناده حسن وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث، سيرة ابن كثير: (٢/٥٤٤).

(٢) خميل: القטיפّة.

(٣) الأدم: الجلد.

(٤) الإذخر: حشيشة رطبة طيبة الرائحة.

(٥) أخرجه أحمد في المسند: (١/١٤) ابن ماجه في السنن والزهد رقم (٤١٥٢)، البيهقي في الدلائل (٣/١٦١) والحديث إسناده صحيح.

(٦) التبصرة (١/٤٥٢).

(٧) السير (٢/١١٩).

## توثيق الصلوات بالرجال الأربعة

واتجاه الرسول ﷺ إلى مصاهرة عمر بعد مصاهرة أبي بكر. ثم تزويجه ابنته فاطمة لعلى بن أبي طالب وتزويجه ابنته أم كلثوم لعثمان - بعد وفاة رقية - يشير إلى أن النبي ﷺ يبغي من وراء ذلك توثيق الصلوات بالرجال الأربعة. الذين عُرف بلاؤهم وفداؤهم للإسلام، في الأزمات التي مرت به وشاء الله أن يجتازها بسلام<sup>(١)</sup>.

### مؤامرة لقتل النبي ﷺ

\* عن عروة بن الزبير مرسلًا قال: «جلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية في الحجر، بعد مصاب أهل بدر بيسير وكان عمير بن وهب شيطانًا من شياطين قريش، ومن كان يؤذى رسول الله ﷺ وأصحابه، ويلقون منه عناء<sup>(٢)</sup> وهو بمكة، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر، فذكر أصحاب القليب ومصابهم، فقال صفوان: «والله إن في العيش بعدهم خير».

قال له عمير: صدقت، أما والله لولا دين عليّ ليس عندي قضاؤه وعيال أخشى عليهم الضيعة<sup>(٣)</sup> بعدى، لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإن لى فيهم علة<sup>(٤)</sup>... ابني أسير في أيديهم.

قال: فاغتنمها صفوان بن أمية فقال:

على دينك أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أواسيهم<sup>(٥)</sup> ما بقوا، لا يسعنى شيء ويعجز عنهم، فقال له عمير: فاكتم على شأني وشأنك.

قال: سأفعل.

قال: ثم أمر عمير سيفه، فشحذ وسمّ، ثم انطلق حتى قدم المدينة، فبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر، ويذكرون ما أكرمهم الله به، وما

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ٢٨٦).

(٢) عناء: تعب.

(٣) الضيعة: الضياع والتشتت.

(٤) العلة: السبب.

(٥) أواسيهم: أفوم على أمرهم ومؤونتهم.

فى أيديهم.

قال: فاغتنمها صفوان بن أمية فقال:

على دينك أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالى أواسيهم<sup>(١)</sup> ما بقوا، لا يسعنى شىء ويعجز عنهم، فقال له عمير: فاكتم على شأنى وشأنك.

قال: سأفعل.

قال: ثم أمر عمير سيفه، فشحذ وسمّ، ثم انطلق حتى قدم المدينة، فبينما عمر بن الخطاب فى نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر، ويذكرون ما أكرمهم الله به، وما أراهم فى عدوهم، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب وقد أناخ راحلته على باب المسجد متوشحاً سيفه، فقال: هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب، ما جاء إلا لشرّ وهو الذى حرش بيننا، وحرزنا للقوم يوم بدر.

ثم دخل عمر على رسول الله ﷺ فقال: يا نبى الله، هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه.

قال: فأدخله على، قال: فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة<sup>(٢)</sup> سيفه فى عنقه فلبّيه<sup>(٣)</sup> بها، وقال لمن كان معه من الأنصار: أدخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده، واحذروا عليه من هذا الخبيث، فإنه غير مأمون.

ثم دخل به على رسول الله ﷺ، فلما رآه رسول الله ﷺ وعمر أخذ بحمالة سيفه فى عنقه قال: (أرسله يا عمر... ادن يا عمير).

فدنا ثم قال: انعموا صباحاً، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم، فقال رسول الله (قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير، بالسلام تحية أهل الجنة).

فقال: أما والله يا محمد إن كنت بها لحديث عهد.

قال: (فما جاء بك يا عمير؟) قال: جئت لهذا الأسير الذى فى أيديكم فأحسنوا فيه.

قال: (فما بال سيف فى عنقك؟) قال: قبحها الله من سيوف! وهل أغنت عنا

شيئاً؟

(١) أواسيهم: أقوم على أمرهم ومؤونتهم.

(٢) حمالة السيف: ما يربط به السيف على الجسم.

(٣) لبيه: قيده.

قال: (اصدقني، ما الذي جئت له؟) قال: ما جئت إلا لذلك.

قال: (بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر، فذكرتما أصحاب القليب من قريش، ثم قلت: لولا دين عليّ وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً، فتحمل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك، علي أن تقتلني له، والله حائل بينك وبين ذلك).

قال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إنني لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المساق، ثم شهد شهادة الحق.

فقال رسول الله ﷺ: (فقهوا أخاكم في دينه، وعلموه القرآن، وأطلقوا أسيره ففعلوا).

ثم قال: يا رسول الله، إنني كنت جاهداً على إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله - عز وجل -، وأنا أحب أن تأذن لي، فأقدم مكة، فأدعوهم إلى الله، وإلى رسوله، وإلى الإسلام، لعل الله يهديهم، وإلا أذيتهم في دينهم كما كنت أؤذي أصحابك في دينهم، قال: فأذن له رسول الله ﷺ فلحق بمكة. وكان صفوان بن أمية حين خرج عمير بن وهب، يقول: أبشروا بوقعة تأتكم الآن في أيام، تُنسيكم وقعة بدر، وكان صفوان يسأل عنه الركبان، حتى قدم راكب فأخبره بإسلامه، فحلف أن لا يكلمه أبداً، ولا ينفعه بنفع أبداً<sup>(١)</sup>.

### غزوة بنى سليم بالكدر

بعد عودة الحبيب محمد ﷺ من غزوة بدر وإجلاء بنى قينقاع من اليهود لغدرهم وخيانتهم بلغه أن بنى سليم قد تجمعوا لحرب رسول الله ﷺ علي ماء لهم يقال «الكدر» فسار إليهم ﷺ بعد أن استخلف على المدينة ابن أم مكتوم رضی الله عنه. وكان لواؤه عليه الصلاة والسلام مع علي بن أبي طالب رضی الله عنه فواصل سيره طالباً جموع

(١) ابن هشام في السيرة: (١/٦٦١ - ٦٦٣) عن ابن إسحاق بسند صحيح مرسلًا، وقال ابن حجر في الإصابة: (٣/٣٦) قال موسى بن عقبه في المغازي عن ابن شهاب مرسلًا وذكر قصة عمير، وقد أخرجه ابن منده من وجه آخر موصولًا، من طريق أبي الأزهر عن عبد الرزاق عن جعفر بن سليمان عن أبي عمران الجوني عن أنس أو غيره وإسناد ابن منده ظاهره أنه حسن.

ورأى أبو سفيان - حفظاً لمكانة قومه وإبرازاً لما لديهم من قوة - أن يتعجل عملاً قليل المغارم ظاهر الأثر، فقرر أن يفاجئ المدينة بغرة خاطفة يعود عقبيها وقد رد لقريش بعض سمعتها، وألحق بالمسلمين ما يستطيع من خسائر.

ثم إن أبا سفيان كان نذر ألا يمسه رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً ﷺ وينبغي أن يبر في قسمه.

فخرج في مائتي راكب حتى وصل إلى مساكن بني النضير في جنح الليل - بأطراف المدينة - ونزل على «سلام بن مشكم» من سادة اليهود. فتعرف منه أخبار المسلمين، وتدارسا أجدى الطرق لإيذائهم والإفلات من قراهم.

واهتدى أبو سفيان إلى العمل الذي وُفِّي به يمينه، وحقق به غايته؟ فهجم برجاله على ناحية يقال لها «العريض» وحرقوا أسواراً من نخيل بها ووجدوا رجلاً من الأنصار وحليفاً له في حرث لهما فقتلوهما. ثم لاذوا بالفرار عائدين إلى مكة..

وشعر المسلمون بما حدث، فانطلقوا وراء أبي سفيان ورجاله يطاردونهم، ويتبعون الإيقاع بهم. وأحس المشركون بالطلب فجدوا في الهرب. والمسلمون يقطعون الصحراء خلفهم راغبين في اللحاق بهم، فلما أحس أبو سفيان بالخطر، أخذ يتخفف من الأزواد التي يحملها حتى تمكن من النجاة. وعثر المسلمون في طريق المطاردة هذه المؤن وأكثرها من السويق فسموا هذه المناوشة الطريفة، غزوة السويق! (١).

### غزوة ذي أمر

وهي أكبر حملة عسكرية قادها رسول الله ﷺ قبل معركة أحد، وقادها في المحرم سنة ٣ هـ.

وسببها أن استخبارات المدينة نقلت إلى رسول الله ﷺ أن جمعاً كبيراً من بني ثعلبة ومحارب تجمعوا، يريدون الإغارة على أطراف المدينة، فندب رسول الله ﷺ المسلمين، وخرج في أربعمئة وخمسين مقاتلاً ما بين راكب وراجل، واستخلف على المدينة عثمان ابن عفان.

(١) فقه السيرة للقرطبي (ص: ٢٨٤) - وانظر السيرة لابن هشام (٣/٥ - ٦)، والطبري في التاريخ (٢/٥٠)، وابن سيد الناس في (عيون الأثر) (١/٤٤٦ - ٤٤٧).

وفى أثناء الطريق قبضوا على رجل يقال له جبار من بنى ثعلبة، فأدخل على رسول الله ﷺ فدعاه إلى الإسلام فأسلم، فضمه إلى بلال، وصار دليلاً لجيش المسلمين إلى أرض العدو.

وتفرق الأعداء فى رءوس الجبال حين سمعوا بقدوم جيش المدينة. أما النبى ﷺ فقد وصل بجيشه إلى مكان تجمعهم، وهو الماء المسمى «بذى أمر» فأقام هناك صفرًا كله - من سنة ٣ هـ - أو قريبًا من ذلك، ليشعر الأعراب بقوة المسلمين ويستولى عليهم الرعب والرهبه، ثم رجع إلى المدينة<sup>(١)</sup>.

### غزوة بجران

وأقام رسول الله ﷺ بالمدينة ربيعًا الأول، ثم خرج يريد قريشًا، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، فبلغ بجران معدنًا بالحجاز من ناحية الفرع، ولم يلق حربًا، فأقام هنالك ربيعًا الآخر، وجمادى الأولى، ثم انصرف إلى المدينة<sup>(٢)</sup>.

### سرية زيد بن حارثة إلى (القرد)

لما هُزمت قريش فى بدر وعرفت أنها غير قادرة على حماية قوافلها التجارية عبر طريق قوافلها القديم، والذى كان يمر قريبًا من المدينة إلى مكة غيرت طريقها الأول، وصارت تسلك طريق العراق إلى الشام.

قال صفوان بن أمية لقريش: «إن محمدًا ﷺ وصحبه عوروا علينا متجرنا. فما ندرى كيف نصنع بأصحابه وهم لا يبرحون الساحل؟ وأهل الساحل قد وادعوهم، ودخل عامتهم معه، فما ندرى أين نسلك؟. وإن أقمنا فى دارنا هذه أكلنا رؤوس أموالنا فلم يكن لها من بقاء. وإنما حياتنا بمكة على التجارة إلى الشام فى الصيف وإلى الحبشة فى الشتاء» فقال له الأسود بن عبد المطلب: تنكب الطريق على الساحل. وخذ طريق العراق. ودلّه على فرات بن حيان من بنى بكر بن وائل ليكون رائدهم فى هذه الرحلة.

وخرجت غير قريش يقودها صفوان بن أمية، آخذة الطريق الجديدة، إلا أن نعيم بن

(١) الرحيق المختوم (ص ٢٥٦).

(٢) زاد المعاد (٣/١٩٠)، وشرح المواهب (١/٤٥٦)، وابن سيد الناس (١/٢٩٤).

كيف نصنع بأصحابه وهم لا يبرحون الساحل؟ وأهل الساحل قد وادعوهم، ودخل عامتهم معه، فما ندري أين نسلك؟. وإن أقمنا في دارنا هذه أكلنا رؤوس أموالنا فلم يكن لها من بقاء. وإنما حياتنا بمكة على التجارة إلى الشام في الصيف وإلى الحبشة في الشتاء» فقال له الأسود بن عبد المطلب: تنكب الطريق على الساحل. وخذ طريق العراق. ودلّه على فرات بن حيان من بنى بكر بن وائل ليكون رائدهم في هذه الرحلة.

وخرجت غير قريش يقودها صفوان بن أمية، آخذة الطريق الجديدة، إلا أن نعيم بن مسعود، قدم المدينة يحمل أبناء هذه القافلة، وخطة سيرها. واجتمع في مجلس شرب - قبل تحريم الخمر - بسليط بن النعمان فباح له بسرها. فأسرع سليط إلى النبي ﷺ يروي له القصة، فبعث النبي لوقته «زيد بن حارثة» في مائة راكب يعترضون القافلة.. فلقبها «زيد» عند ماء يقال له «القردة»، فاستولى عليها كلها، وكانت تحمل مقادير كبيرة من الفضة، وفر المشركون مذعورين. فلم يقع في الأسر غير فرات بن حيان.

لما جئ به إلى المدينة دخل في الإسلام.

ولهذا حزن مكة لهذه النكبة الجديدة، وزادها ذلك إصراراً على المطالبة بثأرها، والتهيؤ للقاء المسلمين في تعبئة كاملة. فكان ذلك وما سبقه من أحداث التمهيد القوى لمعركة «أحد» في السنة الثالثة للهجرة<sup>(١)</sup>.

### هؤلاء هم اليهود

لم تُحدِّث المسلمين أنفسهم بنقض عهود اليهود، ولا فكروا في طردهم من أرض الجزيرة، بل على العكس، توقع المسلمون منهم أن يكونوا عوناً لهم في حرب الوثنية المخرفة وتدعيم عقيدة التوحيد، ورجا المسلمون أن يُصدِّق اليهود محمداً ﷺ فيما يشبهه لله من تنزيه ومجد، وأن تكون صلتهم بالكتب القديمة وألفتهم لأحاديث المرسلين سبباً في إقناع العرب الأميين بأن الرسالات السماوية حق والإيمان بها واجب.

وهذه المشاعر الحسنة تتمشى مع القرآن النازل يومئذ، يؤسسها ويؤكددها.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ

الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٤٣].

(١) فقه السيرة للغزالي (ص ٢٨٥)، وانظر السيرة لابن هشام (٣/١٠ - ١١)، ابن سعد في الطبقات

(٢/٣٦)، وابن الأثير في التاريخ (٢/١٤٥).



﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٦].  
بيد أن اليهود كانوا عند أسوأ الظن. فلم تمض أيام على اختلاطهم بالمسلمين في المدينة حتى شرعوا يخرجون صدورهم ويعينون عليهم<sup>(١)</sup>.

### إجلاء يهود بنى قينقاع

وفي فرحة المسلمين بانتصارهم في بدر، لم يستح أولئك اليهود أن يقولوا لرسول الله عليه الصلاة والسلام: «لا يغررك أنك لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة. أما والله لئن حاربناك لتعلمن أننا نحن الناس!»!

\* عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «كان من حديث بنى قينقاع أن رسول الله ﷺ جمعهم بسوق بنى قينقاع ثم قال: يا معشر يهود، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النعمة وأسلموا، فإنكم قد عرفتم أنى نبي مرسل، تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله إليكم... قالوا: يا محمد إنك ترى أننا قومك، لا يغررك أنك لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة، إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أننا نحن الناس.

ثم قال ابن عباس: فما نزل هؤلاء الآيات إلا فيهم. ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْيُونَ وَتَحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبئس المهاد ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فَمَثَلٌ تَقَاتَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلِيهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران: ١٢، ١٣] (٢).

\* وورد فى سبب ذلك ما رواه ابن هشام قال: كان أمر بنى قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوق بنى قينقاع، وجلست إلى صائغ هناك منهم فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعمده إلى ظهرها فلما قامت انكشفت سوائها فضحكوا بها، فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهوديا فشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فأغضب المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بنى قينقاع<sup>(٣)</sup>.

(١) فقه السيرة للزغالى (ص ٢٧٧).

(٢) أخرجه أبو داود فى كتاب الخراج باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة رقم (٣٠٠١)، وابن هشام فى السيرة (٤٧/٢) بسند ابن إسحاق، وحسن إسناده الحافظ ابن حجر فى فتح البارى (٧/٣٣٢).

(٣) سيرة ابن هشام مع الروض الأنف (٣/١٣٧).

## أين الرجال

تلك الصرخة التي أطلقتها تلك المرأة سمعتها آذان تسمع وقلوب تنبض فيها الدماء تترج مع الغيرة والشهامة، تلك الصرخة تلقفها رجال وليسوا أشباه رجال، فكانت أن أصلت إغاثة الأعراض في نفوس المسلمين، فمنذ ذلك التاريخ، والمرأة مصانة عرضها، يُسمع لصرختها إذا استنجدت الملايين من المسلمين، كلُّ منهم يحسب أن كل امرأة مسلمة هي عرضه، وإن كانت لا تمت له بصلة إلا صلة العقيدة، حتى جاء زمن المعتصم، ويسمع عن امرأة يُعتدى عليها وتهان كرامتها فتصرخ «وامعتصماه»

فتهز قلبه تلك الاستغاثة، وتغلي الدماء في قلبه، فيعد العدة، ويجهز الجيش ليسيّره من أرض الخلافة إلى الأرض التي صرخت منها تلك المرأة ليؤدب العدو، ويرد للمرأة اعتبارها وكرامتها، ثم يرجع منصوراً على عدوه الذي استهان بأعراض المسلمين، أما الآن فكم من صرخات تتلاشى وتتفتت على جدار الصامتين من الأنظمة، صرخات أخواتنا في فلسطين كل يوم على أيدي اليهود، وصرخاتهن في مخيمات لبنان على أيدي الكتائب الباطنيين، وصرخاتهن في الفلبين وفي بلغاريا... صرخات وصرخات في كل مكان ولا مجيب، فلقد مات رواد الجيل الأول، ومات جيل المعتصم فلا معتصم، وتظل صيحات النساء المسلمات لا ترى لها صدى ولا ترى غيرة تتحرك أو دماً ينفور<sup>(١)</sup>.

## موقف رأس المنافقين

قال ابن إسحاق: فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه، فقام إليه عبد الله ابن أبي بن سلول، حين أمكنه الله منهم، فقال: يا محمد، أحسن في موالى (وكانوا حلفاء الخزرج) قال: فأبى عليه رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، أحسن في موالى، قال فأعرض عنه، فأدخل يده في جيب درع رسول الله ﷺ .

فقال له رسول الله ﷺ: «أرسلنى»، وغضب رسول الله ﷺ حتى رأوا لوجهه ظللاً، ثم قال: ويحك! أرسلنى، قال: لا، والله لا أرسلك حتى تحسن في موالى، أربع مئة حاسر وثلاث مئة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود، تحصدهم في غداة واحدة، إنى

(١) مواقف تربوية من السيرة النبوية (٢٤، ٢٥). عبد الحميد جاسم البلالى.

والله امرؤ أخشى الدوائر؛ قال: فقال رسولُ الله ﷺ «هُم لَك» (١).

قال ابن هشام: واستعمل رسول الله ﷺ على المدينة فى مُحاصرته إياهم بشير بن عبد المنذر، وكانت مُحاصرته إياهم خمسَ عشرةَ ليلةً (٢).

### مقتل كعب بن الأشرف

\* أما عن سبب قتله فقد جاء ذلك فى حديث كعب بن مالك (رضى الله عنه) أنه قال:

إن كعب بن الأشرف اليهودى كان شاعراً وكان يهجو رسول الله ﷺ ويحرض عليه كفار قريش فى شعره، وكان رسول الله ﷺ قدم المدينة وأهلها أخلاط منهم المسلمون الذين تجمعهم دعوة رسول الله ﷺ ومنهم المشركون الذين يعبدون الأوثان، ومنهم اليهود، وهم أهل الحلقة والحصون، وهم حلفاء للحيين الأوس والخزرج، فأراد رسول الله ﷺ حين قدم المدينة استصلاحهم كلهم، وكان الرجل يكون مسلماً وأبوه مشرك، والرجل يكون مسلماً وأخوه مشرك.

وكان المشركون واليهود من أهل المدينة حين قدم رسول الله ﷺ يؤذون رسول الله ﷺ وأصحابه أشد الأذى، فأمر الله تعالى رسوله والمسلمين بالصبر على ذلك، والعفو عنهم، ففيهم أنزل الله جل ثناؤه ﴿وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أذىً كثيراً﴾ [آل عمران: ١٨٦].

وفيهم أنزل الله ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [البقرة: ١٠٩].

فلما أبى كعب بن الأشرف أن ينزع عن أذى رسول الله ﷺ وأذى المسلمين، أمر رسول الله ﷺ سعد بن معاذ أن يبعث رهطاً ليقتلوه، فبعث إليه سعد... (٣).

\* \* \*

(١) تاريخ الطبرى (٤٩/٢)، إمتاع الأسماع للمقريزى (ص ١٠٤).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٩/٣).

(٣) أخرجه أبو داود فى الخراج والإمارة والفيء (٣٠٠٠)، والهيثمى فى المجمع (٦/١٩٥ - ١٩٦)، وقال رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، فتح البارى (٧/٣٣٧)، وعزاه إلى أبى داود والترمذى.

### النبي ﷺ يودعهم ويدعو لهم

\* عن جابر بن عبد الله أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد أذى الله ورسوله» فقام محمد بن مسلمة فقال: يا رسول الله أتحب أن أقتله؟ قال: «نعم» قال: فأذن لي أن أقول شيئاً - يعني لخداع كعب بن الأشرف - قال: «قل» فأتاه محمد بن مسلمة فقال: إن هذا الرجل قد سألنا صدقة (يقصد النبي ﷺ)، وإنه قد عنانا - أتعبنا - وإنني قد أتيتك أستسلفك - أقترض منك - قال وأيضاً والله لتملن قال: إنا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أى شيء يصير شأنه، وقد أردنا أن تسلفنا وسقاً أو وسقين، فقال: نعم ارهنوني قالوا: أى شيء تريد؟ قال: ارهنوني نساءكم، قالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟ قال: فارهنوني أبناءكم. قالوا: كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم، فيقال: رهن بوسق أو وسقين هذا عار علينا، ولكننا نرهنك الأمة. قال سفيان: يعنى السلاح. فوعده أن يأتيه، فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة - وهو أخو كعب من الرضاعة - فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟ فقال: إنما هو محمد بن مسلمة وأخى أبو نائلة - وفي رواية - قالت:

أسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدم. قال: إنما هو أخى محمد بن مسلمة ورضيعى أبو نائلة، إن الكريم لو دُعِيَ إلى طعنة بليل لأجاب قال: ويدخل محمد بن مسلمة معه رجلين، فقال: إذا ما جاء فإني قائل بشعره فأشمه فإذا رأيتمنى استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه.. ثم أشمكم فنزل إليهم متوحشاً وهو ينفخ منه ريح الطيب، فقال: ما رأيت كالיום ريحاً - أى أطيب - فقال: أتأذن لي أن أشم رأسك؟ قال: نعم. فشمه ثم أشم أصحابه ثم قال: أتأذن لي؟ قال: نعم. فلما استمكن منه قال: دونكم فقتلوه. ثم أتوا النبي ﷺ فأخبروه<sup>(١)</sup>.

فيا له من موقف يظهر فيه الولاء والبراء جلياً واضحاً كالشمس فى رابعة النهار. فهو يقتل قريبه من أجل أنه أذى الله ورسوله ﷺ .

قال الحافظ فى الفتح: قوله (فأذن: لى أن أقول شيئاً، قال: قل) كأنه استأذنه أن يفتعل شيئاً يحتال به، ومن ثم بوب عليه المصنف «الكذب فى الحرب» وقد ظهر من سياق ابن سعد للقصة أنهم استأذنوا أن يشكوا منه ويعيبوا رأيه، ولفظه «فقال له: كان

(١) أخرجه البخارى (٤٠٣٧).

قدوم هذا الرجل علينا من البلاء، حاربنا العرب، ورمتنا عن قوس واحدة» وعند ابن إسحاق بإسناد حسن عن ابن عباس «أن النبي ﷺ مشى معهم إلى بقيع الغرقد ثم وجههم فقال: انطلقوا على اسم الله، اللهم أعنهم»<sup>(١)</sup>.

### شبهة.. والردة عليها

\* استدل بعض الشباب الذى يتعجل الصدام المسلح بمثل هذه الحادثة على ما يذهبون إليه ولا حجة لهم فيها لأن ذلك كان بالمدينة، وللمسلمين دولة وشوكة، أما هم فليس لهم دولة ولا شوكة، ثم كان ذلك إعزازاً للدين وإرهاباً للكافرين وكانت كلها مصالح لا مفسدة معها أما ما يحدث فى فترات الاستضعاف من هذه الحوادث فإنها يعقبها من الشر والفساد واستباحة دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم ما لا يخفى على بصير وبلا مصلحة حقيقية مرجوة وإنما هى مصالح متوهمة، ومثل هذه الأعمال لا يبيحها الشرع، ولا يفتى بجوازها من عنده مسكة من علم وخبرة بواقع الدعوة والله المستعان<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) فتح البارى (٧/٣٩٢).

(٢) وقفات تربوية (ص ٢٠٦).

## غزوة أحد

كانت مكة تحترق غيظاً على المسلمين مما أصابها في معركة بدر من مأساة الهزيمة وقتل الصناديد والأشراف، وكانت ت جيش فيها نزعات الانتقام وأخذ الثأر، حتى إن قريشاً كانوا قد منعوا البكاء على قتلاهم في بدر، ومنعوا من الاستعجال في فداء الأسارى؛ حتى لا يتفطن المسلمون مدى مأساتهم وحزنهم.

وعلى إثر غزوة بدر اتفقت قريش على أن تقوم بحرب شاملة ضد المسلمين، تشفى غيظها، وتروى غلة حقدتها، وأخذت في الاستعداد للخوض في مثل هذه المعركة.

وكان عكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، وأبو سفيان بن حرب وعبد الله بن أبي ربيعة أكثر زعماء قريش نشاطاً وتحمساً لخوض المعركة.

وأول ما فعلوه بهذا الصدد أنهم احتجزوا العير التي كان قد نجا بها أبو سفيان والتي كانت سبباً لمعركة بدر، وقالوا للذين كانت فيها أموالهم: يا معشر قريش، إن محمداً قد وتركم وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه؛ لعلنا أن ندرك منه ثأراً، فأجابوا لذلك، فباعوها، وكانت ألف بعير، والمال خمسين ألف دينار<sup>(١)</sup>.

\* وقام أبو سفيان يؤلب على رسول الله ﷺ .

فاجتمعت قريشٌ لحرب رسول الله ﷺ حين فعل ذلك أبو سفيان بن حرب، وأصحاب العير بأحبيشها<sup>(٢)</sup>، ومن أطاعها من قبائل كنانة، وأهل تهامة. وكان الشاعر أبو عزة عمرو بن عبد الله الجُمَحِيّ قد منّ عليه رسول الله ﷺ يوم بدر، وكان فقيراً ذا عيال وحاجة، [وكان] في الأسارى فقال: يا رسول الله، إني فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتها فامننْ عليّ صلى الله عليك [وسلم] فمنّ عليه رسول الله ﷺ. فقال له صفوان ابن أمية: يا أبا عزة إنك امرؤ شاعرٌ، فأعنا بلسانك، فأخرج معنا؛ فقال: إن محمداً قد منّ

(١) الرحيق المختوم (ص: ٢٦٢).

(٢) أحبيشها: أحياء من القارة انضموا إلى بني ليث في الحرب التي وقعت بينهم وبين قريش قبل الإسلام.

على فلا أريد أن أظاهر عليه؛ قال: [بلى] فأعناً بنفسك، فلك الله على إن رجعت أن أغنيك، وإن أصبت أن أجعل بناتك مع بناتي، يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر<sup>(١)</sup>. فخرج أبو عزة في تهامة، يدعو بنى كنانة ويحرضهم على حرب رسول الله ﷺ.. كما اختاروا شاعراً آخر يقوم بنفس المهمة وهو مسافع بن عبد مناف الجمحي فذهب إلى بنى مالك بن كنانة يحرضهم ويدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، فخرجت قريش بحدّها وجدّها وحديدها وأحايبشها، ومنّ تابعها من بنى كنانة، وأهل تهامة وخرجوا معهم بنسائهم لثلا يفرّوا ويتركوا نساءهم وليكون ذلك أدعى لثباتهم في القتال.

### النبي ﷺ يستشير أصحابه.. والرؤيا التي رآها

\* واستشار رسول الله ﷺ أصحابه أيخرج إليهم، أم يمكث في المدينة؟ وكان رأيه ألا يخرجوا من المدينة، وأن يتحصنوا بها، فإن دخلوها، قاتلهم المسلمون على أفواه الأزقة، والنساء من فوق البيوت، ووافق على هذا الرأي عبد الله بن أبي، وكان هو الرأي، فبادر جماعة من فضلاء الصحابة ممن فاتته الخروج يوم بدر، وأشار عليه بالخروج، وألحوا عليه في ذلك<sup>(٢)</sup>.

\* عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: رأيت كأني في درع حصينة، ورأيت بقرًا منحرّة<sup>(٣)</sup> فأولت أن الدرع الحصينة المدينة، وأن البقر هو والله خير، قال فقال لأصحابه: لو أنا أقمنا بالمدينة فإن دخلوا علينا فيها قاتلناهم. فقالوا: يا رسول الله والله ما دخل علينا فيها في الجاهلية فكيف يدخل علينا فيها في الإسلام (قال عفان في حديثه) فقال: شأنكم إذا... قال: فلبس لأمته<sup>(٤)</sup>. - يعني النبي ﷺ - قال فقالت الأنصار: ردنا على رسول الله ﷺ رأيه، فجاؤوا فقالوا: يا نبي الله شأنك إذا. فقال: إنه ليس لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل<sup>(٥)</sup>.

\* وفي رواية: عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «رأيت في المنام أني أهاجر من مكة

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٣/٢٠ - ٢١) بتصرف.

(٢) زاد المعاد (٣/١٩٣).

(٣) منحرّة: مذبوحة.

(٤) اللأمة: الدرع.

(٥) رواه أحمد (٣/٣٥١) وله شاهد عن ابن عباس رواه الحاكم (٢/١٢٩) وقال: هذا حديث صحيح

الإسناد ووافقه الذهبي والألباني.

إلى أرض بها نخل، فذهب وهللى إلى أنها اليمامة أو هجر، فإذا هى المدينة يثرب، ورأيت فى رؤياى هذه أنى هزرت سيفاً فانقطع صدره، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد، ثم هزرته أخرى فعاد أحسن ما كان، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين، ورأيت فيها أيضاً بقرأً والله خير فإذا هم النفر من المؤمنين يوم أحد، وإذا الخير ما جاء الله به من الخير بعد وثواب الصدق الذى آتانا الله بعد»<sup>(١)</sup>.

### جحافل الشرك تتحرك

واستكملت جحافل الشرك عدتها وخرجوا فى ثلاثة آلاف مقاتل ومعهم ثلاثة آلاف بعير ومائتا فرس وكانت القيادة العامة لأبى سفيان بن حرب وجعلوا على ميمتهم خالد ابن الوليد وعلى الميسرة عكرمة بن أبى جهل وأما اللواء فكان إلى بنى عبد الدار وتحرك الجيش المكي نحو المدينة.

### العباس يخبر النبى ﷺ بتحركات المشركين

وكان العباس (عم النبى ﷺ) يرقب تحركات قريش فلما علم بتحركهم نحو المدينة أرسل رسالة عاجلاً ليخبر النبى ﷺ بذلك فأعطاها لرجل وأمره أن يسرع السير إلى النبى ﷺ فقطع هذا الرجل تلك المسافة التى تبلغ خمسمائة كيلو متراً فى ثلاثة أيام فوجد النبى ﷺ فى مسجد قباء فأعطاه الرسالة فقرأها له أبى بن كعب (رضى الله عنه) وعاد الرجل إلى العباس (رضى الله عنه) مرة أخرى.

### الحالة فى المدينة

وأصبح النبى ﷺ وأصحابه فى حالة استعداد تام حتى إن الرجل منهم كان لا يفارق سلاحه أبداً.. وقام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وسعد بن عباد (رضى الله عنهم) بحراسة النبى ﷺ فكانوا يبيتون على بابه وعليهم سلاحهم بينما كانت الحراسة على أبواب المدينة فى حالة تأهب كامل حتى لا يفاجأهم العدو فى أى لحظة.

\*\*\*

(١) أخرجه البخارى (٤٢١/١٢) التبعير - ومسلم (٣١/١٥، ٣٢) الرؤيا.



## وخرج النبي ﷺ لملاقاة قريش

وخرج رسول الله ﷺ في ألفٍ من الصحابة واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بمن بقي في المدينة.

وقسم النبي ﷺ جيشه إلى ثلاث كتائب:

- ١ - كتيبة المهاجرين، وأعطى لواءها مصعب بن عمير العبدري.
- ٢ - كتيبة الأوس من الأنصار، وأعطى لواءها أسيد بن حضير.
- ٣ - كتيبة الخزرج من الأنصار، وأعطى لواءها الحباب بن المنذر.

## ظاهر النبي ﷺ بين درعين أخذاً بالأسباب

وها هو النبي ﷺ يعلمنا أن نأخذ بالأسباب في كل شيء نفعه وأن تتعلق قلوبنا بمسبب الأسباب (جلّ وعلاً) لأن الأسباب وحدها لا تنفع ولا تضر إلا بإذن الله (جلّ وعلاً) فها هو النبي ﷺ يظهر بين درعين في يوم أحد.

\* عن السائب بن يزيد رضى الله عنه قال: «إن النبي ﷺ يوم أحد أخذ درعين كأنه ظاهر<sup>(١)</sup> بينهما»<sup>(٢)</sup>.

\* وعن الزبير بن العوام رضى الله عنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ حين ذهب لينهض إلى الصخرة وكان رسول الله ﷺ قد ظاهر بين درعين فلم يستطع أن ينهض... وذكر الحديث»<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١) ظاهر: لبسهما فوق بعضهما.

(٢) أخرجه أبو داود في الجهاد باب لبس الدرع رقم: (٢٥٩٠)، وابن ماجه في الجهاد باب في السلاح رقم:

(٢٨٠٦)، وقال البوصيرى في الزوائد: إسناده صحيح على شرط البخارى، قلت: ورجال ابن ماجه

كلهم ثقات.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک (٢٥/٣) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

## إنا لا نستعين بالمشركين على المشركين

ولما جاوز النبي ﷺ ثنية الوداع رأى كتيبة حسنة التسليح منفردة عن سواد الجيش فسأل عنها فعلم أنهم من اليهود - من حلفاء الخزرج - ويرغبون في المساهمة في القتال ضد المشركين فأبى النبي ﷺ ذلك.

\* عن أبي حميد الساعدي رضى الله عنه قال: «خرج رسول الله ﷺ يوم أحد حتى إذا خلف ثنية الوداع نظر وراءه فإذا كتيبة خشناء<sup>(١)</sup> (قال: من هذا؟ قال: هو عبد الله بن أبي بن سلول في مواليه من اليهود من بنى قينقاع وهم رهط عبد الله بن سلام فقال: أو قد أسلموا؟ فقال: إنهم على دينهم قال: قل لهم فليرجعوا، إنا لا نستعين بالمشركين على المشركين)<sup>(٢)</sup>.

## النبي ﷺ يستعرض الجيش

وقام النبي ﷺ يستعرض الجيش فأعطى اللواء مصعب بن عمير وجعل على إحدى المحنيتين الزبير بن العوام، وعلى الأخرى المنذر بن عمرو، واستعرض الشباب يومئذ، فرد من استصغره عن القتال، وكان منهم عبد الله بن عمر، وأسامة بن زيد، وأسيد بن ظهير، والبراء بن عازب، وزيد بن أرقم، وزيد بن ثابت، وعرابة بن أوس، وعمرو ابن حزم، وأجاز من رآه مطيقاً، وكان منهم سمرة بن جندب، ورافع ابن خديج، ولهما خمس عشرة سنة. فقليل: أجاز من أجاز لبلوغه بالسنة خمس عشرة سنة، ورد من رد لصغره عن سن البلوغ<sup>(٣)</sup>.

\* عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: «إن رسول الله ﷺ عرضني يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزني وعرضني يوم الخندق وأنا ابن خمسة عشرة سنة فأجازني»<sup>(٤)</sup>.

(١) خشناء: كثيرة السلاح خشنة.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤٨/٢)، والطحاوي في مشكل الآثار (٢٤١/٣)، وصححه الحاكم (١٢٢/٢)، وانظر المطالب العالية (٤٣١٩)، وعزه الحافظ ابن حجر لإسحاق بن راهوية وحسن إسناده، وقال البوصيري: رواه إسحاق بإسناد حسن.

(٣) زاد المعاد (١٩٥/٣).

(٤) أخرجه البخاري (٤٠٩٧) المغازي - ومسلم (١٨٦٨) الإمامة.

### انخذال المنافقين ورجوعهم

ولما كان النبي ﷺ بالشوط بين المدينة وأحد انخذل عبد الله بن أبي بن سلول - رأس المنافقين - بثلاث الجيش ورجع بدعوى أنه لن يقع قتال ومعتزلاً على رأى قرار الرسول ﷺ بالخروج من المدينة لملاقاة المشركين بقوله: أطاع الولدان وعصاني، ما ندرى علام تقتل أنفسنا ههنا أيها الناس! فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب، وأتبعهم عبد الله ابن عمرو بن حرام يقول:

«يا قوم، أذكركم الله ألا تخذلوا قومكم ونبىكم عند من حضر من عدوهم، فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم، ولكننا لا نرى أنه يكون قتال، قال: فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف:

قال: أبعدم الله، أعداء الله، فسيغنى الله عنكم نبيه»<sup>(١)</sup>.

### فما لكم فى المنافقين فئتين

وقد انقسم الصحابة فى مسألة قتال هؤلاء المنافقين فمنهم من يقول: نقاتلهم ومنهم من يقول: لا نقاتلهم.

\* عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال: « لما خرج رسول الله ﷺ إلى غزوة أحد رجع ناس عن خرج معه، وكان أصحاب النبى ﷺ فرقتين، فرقة تقول نقاتلهم، وفرقة تقول: لا نقاتلهم. فنزلت ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا﴾ [النساء: ٨٨]، وقال: (إنها طيبة تنفى الذنوب، كما تنفى النار خبث الفضة)<sup>(٢)</sup>.

### إذ همّت طائفتان منكم أن تضلّا... والله وليهما

ولا شك أن سبب هذا الانعزال لم يكن هو ما أبداه هذا المنافق من رفض رسول الله ﷺ رأيه، وإلا لم يكن لسيره مع الجيش النبوى إلى هذا المكان معنى. بل لو كان هذا هو السبب لانعزال عن الجيش منذ بداية سيره، بل كان هدفه الرئيسى من هذا التمرد - فى ذلك الظرف الدقيق - أن يحدث البلبلة والاضطراب فى جيش المسلمين على مرأى

(١) رواه ابن هشام (٢/٦٠ - ٦٤) وسنده حسن وهو مرسل.

(٢) أخرجه البخارى (٤٠٥٠) المغازى - ومسلم (٢٧٧٦) صفات المنافقين.

ومسمع من عدوهم حتى ينحاز عامة الجيش عن النبي ﷺ وتنهار معنويات من يبقى معه، بينما يتشجع العدو، وتعلو همته لرؤية هذا المنظر. فيكون ذلك أسرع إلى القضاء على النبي ﷺ وأصحابه المخلصين، ويصفو بعد ذلك الجو لعودة الرياسة إلى هذا المنافق وأصحابه.

وكاد المنافق ينجح في تحقيق بعض ما كان يهدف إليه، فقد همت طائفتان - بنو حارثة من الأوس وبنو سلمة من الخزرج أن تفشلا ولكن الله تولاهما<sup>(١)</sup>. وثبت قلوبهم مع الرسول ﷺ ومع إخوانهم المؤمنين، وفيهم قال تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فليتوكّل المؤمنون﴾ [آل عمران: ١٢٢].

\* عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: «نزلت هذه الآية فينا ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ [آل عمران: ١٢٢] بنى سلمة وبنى حارثة وما أحب أنها لم تنزل والله يقول: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ [آل عمران: ١٢٢]<sup>(٢)</sup>.

### الجيش الإسلامى يواصل سيره إلى العدو

وبعد انسحاب رأس المنافقين بثلك الجيش واصل النبي ﷺ سيره إلى العدو بياقى الجيش وهم سبعمائة مقاتل، وكان معسكر المشركين يحول بينه وبين أحد في مناطق كثيرة، فقال: «من رجل يخرج بنا على القوم من كذب (أى: من طريق) لا يمر بنا عليهم؟».

فخرج به بعض الأنصار حتى سلك في حائط لبعض المنافقين، وكان أعمى، فقام يحثو التراب في وجوه المسلمين ويقول: لا أحلُّ لك أن تدخل في حائطى إن كنت رسول الله، فابتدره القوم ليقتلوه، فقال: «لا تقتلوه فهذا أعمى القلب أعمى البصر».

ونفذ رسول الله ﷺ حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادى، وجعل ظهره إلى أحد، ونهى الناس عن القتال حتى يأمرهم، فلما أصبح يوم السبت، تعبى للقتال، وهو في سبعمائة، فيهم خمسون فارساً<sup>(٣)</sup>.

(١) الرحيق المختوم (ص: ٢٦٨).

(٢) أخرجه البخارى (٤٠٥١) المغازى - ومسلم (٢٥٠٥) فضائل الصحابة.

(٣) زاد المعاد (٣/ ١٩٤).

## وصية النبي ﷺ للرماة

واختار النبي ﷺ ثلثة من الرماة الماهرين قوامها خمسون مقاتلاً وجعل القيادة لعبد الله بن جبير وأمرهم ألا يبرحوا أماكنهم مهما كانت ظروف تلك المعركة.. وأمرهم أن ينضحوا المشركين بالنبل لثلاثاً يأتوا المسلمين من ورائهم.

\* عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال: «لقينا المشركين يومئذ، وأجلس النبي ﷺ جيشاً من الرماة، وأمر عليهم عبد الله وقال: (لا تبرحوا، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا)، فلما لقينا هربوا، حتى رأيت النساء يشتددن<sup>(١)</sup> فى الجبل رفعن عن سوقهن<sup>(٢)</sup> قد بدت خلاخلهن، فأخذوا يقولون: الغنيمة الغنيمة فقال عبد الله: عهد إلى النبي ﷺ أن لا تبرحوا، فأبوا، فلما أبوا صرف وجوههم... فذكر الحديث».

\* وفى رواية أبى داود: «جعل رسول الله ﷺ على الرماة يوم أحد - وكانوا خمسين رجلاً - عبد الله بن جبير قال: ووضعهم موضعاً، وقال: (إن رأيتمونا تخطفنا الطير، فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا ظهرنا على العدو وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم)<sup>(٣)</sup>.

## حقاً إنها خطة حكيمة

ولقد كانت خطة حكيمة ودقيقة جداً، تتجلى فيها عبقرية قيادة النبي ﷺ - العسكرية - وأنه لا يمكن لأى قائد مهما تقدمت كفاءته أن يضع خطة أدق وأحكم من هذا - فقد احتل أفضل موضع من ميدان المعركة، مع أنه نزل فيه بعد العدو، فقد حمى ظهره ويمينه بارتفاعات الجبل، وحمى ميسرته وظهره - حين يحتدم القتال - بسد الثلثة الوحيدة التى كانت توجد فى جانب الجيش الإسلامى، واختار لمعسكره موضعاً مرتفعاً يحتمى به - إذا نزلت الهزيمة بالمسلمين - ولا يلتجئ إلى الفرار، حتى يتعرض للوقوع فى قبضة الأعداء المطاردين وأسرههم، ويلحق مع ذلك خسائر فادحة إلى أعدائه إن أرادوا احتلال

(١) يشتددن: يسرعن المشى.

(٢) سوقهن: ظهرت سيقانهن.

(٣) أخرجه البخارى (٤٠٤٣) المغازى - وأبو داود (٢٦٦٢).

معسكره وتقدموا إليه... وألجأ أعداءه إلى قبول موضع منخفض يصعب عليهم جداً أن يحصلوا على شيء من فوائد الفتح إن كانت الغلبة لهم، ويصعب عليهم الإفلات من المسلمين المطاردين إن كانت الغلبة للمسلمين، كما أنه عوض النقص العددي في رجاله باختيار نخبة ممتازة من أصحابه الشجعان البارزين<sup>(١)</sup>.

### من يأخذ هذا السيف بحقه

ثم تدانت الفتان وأذن النبي ﷺ لرجاله أن يجالدا العدو، وبدأت مراحل القتال الأولى تثير الغرابة. كأن ثلاثة آلاف مشرك يواجهون ثلاثين ألف مسلم، لا بضع مئات قتائل! وظهر المسلمون في أعلى صور الشجاعة واليقين.

وسادت روح الإيمان المحض صفوف المجاهدين فانطلقوا خلال جنود الشرك انطلاق الفيضان تقطعت أمامه السدود<sup>(٢)</sup>.

\* وأخذ النبي ﷺ ينفث روح البسالة في الجيش الإسلامي.

\* عن أنس رضى الله عنه قال: «إن رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أحد، فقال: (من يأخذ منى هذا السيف بحقه؟) فبسطوا أيديهم كل إنسان فيهم يقول: أنا أنا، فقال: (من يأخذه بحقه؟) فأحجم القوم فقال له سماك أبو دجاجة: أنا أخذه بحقه، قال فأخذه ففلق به هام المشركين»<sup>(٣)</sup>.

\* وعن الزبير رضى الله عنه قال: عرض رسول الله ﷺ سيفاً يوم أحد فقال: (من يأخذ هذا السيف بحقه؟) فقامت فقلت: أنا يا رسول الله، فأعرض عني، ثم قال: (من يأخذ هذا السيف بحقه؟) فقامت فقلت: أنا يا رسول الله فأعرض عني ثم قال: من يأخذ هذا السيف بحقه، فقام أبو دجاجة سماك بن خرشة فقال: أنا أخذه يا رسول الله بحقه؟ قال: (ألا تقتل به مسلماً ولا تغربه عن كافر)، قال: فدفعه إليه وكان إذا أراد القتال أعلم بعصابه، قال: «لأنظرن إليه اليوم كيف يصنع، قال: فجعل لا يرتفع له شيء إلا هتكه وأفراه»<sup>(٤)</sup>، حتى انتهى إلى نسوة في سفح جبل معهن دفوف لهن، فيهن امرأة وهى تقول:

(١) الرحيق المخوم (ص: ٢٧١).

(٢) فقه السيرة للغزالي (ص: ٢٩٠-٢٩١) بتصرف.

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٧٠) فضائل الصحابة - والحاكم (٣/ ٢٣٠).

(٤) هتكه وأفراه: قطعه وقده.

نحن بنات طارق نمشى على النمارق<sup>(١)</sup>  
 إن تقبلوا نعانق ونبسط النمارق  
 وإن تدبروا نفارق فراق غير وامق<sup>(٢)</sup>

قال: فأهوى بالسيف إلى امرأة ليضربها، ثم كف عنها، فلما انكشف القتال قلت له: كل عملك قد رأيت ما خلال رفعك السيف على المرأة، ثم لم تضربها، قال: أى والله أكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أقتل به امرأة<sup>(٣)</sup>.

### أبو عامر الفاسق يحرض على المسلمين

واقتربت ساعة الصفر واقتربت الفتتان وقام عميلٌ خائنٌ يُسمى أبو عامر الفاسق - وكان اسمه أبو عامر الراهب فسماه النبي ﷺ فاسقًا - قام ليحرض على المسلمين فى يوم أُحد.

\* من طريق ابن إسحاق قال: وحدثنى عاصم بن قتادة: «أن أبا عامر، عبد عمرو بن صيفى بن مالك بن النعمان، أحد بنى ضبيعة، وقد كان خرج حين خرج إلى مكة مباعداً لرسول الله ﷺ، معه خمسون غلاماً من الأوس، وبعض الناس كان يقول: كانوا خمسة عشرة رجلاً، وكان يعدُّ قريشاً أن لو قد لقي قومه لم يختلف عليه منهم رجلان، فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر فى الأحابيش وعبدان أهل مكة، فنادى: يا معشر الأوس أنا أبو عامر، قالوا: فلا أنعم الله بك عينا يا فاسق - وكان أبو عامر يسمى فى الجاهلية: الراهب، فسماه رسول الله ﷺ: الفاسق - فلما سمع ردهم عليه، قال: لقد أصاب قومي بعدى شر، ثم قاتلهم قتالاً شديداً، ثم راضخهم بالحجارة»<sup>(٤)</sup>.

\*\*\*

(١) النمارق: البسط والسجاد.

(٢) وامق: مشتاق.

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة (٢٣٣/٣)، والبزار. انظر كشف الأستار رقم (١٧٨٧)، وقال الهيثمى فى المجمع (١٠٩/٦): رواه البزار ورجاله ثقات.

(٤) أخرجه ابن هشام (٦٧/٢)، والطبرى فى تاريخه (٥١٢/٢)، وسنده حسن ورجاله ثقات، وصرح ابن إسحاق بالتحديث.

### جهود نسوة قريش في التحميس

فلما التقى الناس، ودنا بعضهم من بعض، قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال، ويحرضنهم، فقالت هند فيما تقول:

وَيَهَّأَ بَنَى عَبْدِ الدَّارِ وَيَهَّأَ حُمَاةَ الأَدْبَارِ<sup>(١)</sup>

ضَرْبًا بِكُلِّ بَتَّارٍ<sup>(٢)</sup>

وتقول:

إِنْ تُقْبَلُوا نَعَانِقُ وَنَفْرَشُ النَّمَارِقِ<sup>(٣)</sup>

أَوْ تُدْبِرُوا نَفَارِقُ فِرَاقٍ غَيْرِ وَاِمِقِ<sup>(٤)(٥)</sup>

### هذا هو الزبير بن العوام (رضى الله عنه)

وتقارب الجمعان وتدانى الفتان، وبدأت مراحل القتال، وكان أول وقود المعركة حامل لواء المشركين طلحة بن أبي طلحة العبدري، وكان من أشجع فرسان قريش، يسميه المسلمون كبش الكتبية، خرج وهو راكب على جمل يدعو إلى المبارزة، فأحجم عنه الناس لفرط شجاعته، ولكن تقدم إليه الزبير، ولم يمهل بل وثب إليه وثبة الليث حتى صار معه على جملة، ثم اقتحم به الأرض، فألقاه عنه وذبحه بسيفه.

ورأى النبي ﷺ هذا الصراع الرائع فكبر وكبر المسلمون<sup>(٦)</sup>.

### واندلعت نيران المعركة

ثم اندلعت نيران المعركة واشتد القتال بين الفريقين في كل نقطة من نقاط الميدان، وكان ثقل المعركة يدور حول لواء المشركين.

(١) حماة الأدبار: أى الذين يحمون أدبار الناس.

(٢) بتَّار: البتَّار أى القاطع.

(٣) النمارق: جمع نمرقة وهى الوسادة الصغيرة.

(٤) وامق: ومقه ومقاً أى أحبه والتومق التودد. [لسان/ ومق].

(٥) السيرة النبوية لابن هشام (٢٩/٣).

(٦) الرحيق المختوم (ص: ٢٧٤).



وبينما كان ثقل المعركة، يدور حول لواء المشركين، كان القتال المرير يجري في سائر نقاط المعركة، وكانت روح الإيمان قد سادت صفوف المسلمين، فانطلقوا خلال جنود الشرك انطلاق الفيضان تتقطع أمامه السدود وهم يقولون: «أمت، أمت»، كان ذلك شعاراً لهم يوم أحد<sup>(١)</sup>.

### وكانت الدولة أول النهار للمسلمين

وكانت الدولة أول النهار للمسلمين على الكفار، فانهمز عدو الله، وولوا مدبرين حتى انتهوا إلى نساءهم.

\* وأقبل أبو دجانة معلماً بعصابته الحمراء، آخذاً بسيف رسول الله ﷺ مصمماً على أداء حقه فقاتل حتى أمعن في الناس وجعل لا يلقي مشرماً إلا قتله، وأخذ يهد صفوف المشركين هدأً.

\* عن الزبير بن العوام رضى الله عنه قال: «والله لقد رأيتني أنظر إلى خد مهند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ما دون أخذهن قليل ولا كثير، إذ مالت الرماة إلى العسكر حين كشفنا القوم عنه، وخلوا ظهورنا للنخيل، فأتينا من خلفنا، وصرخ صارخ ألا إن محمداً قُتل، فانكفأنا، وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء، حتى ما يدنوا منه أحد من القوم»<sup>(٢)</sup>.

وقد جاء بزيادة في رواية إسحاق بن راهويه عن الزبير فقال: «والله إنى لأنظر يومئذ إلى خدم<sup>(٣)</sup> النساء مشمرات يسعين حين انهزم القوم، وما أرى دون أخذهن شيئاً، وإنما لنحسبهم قتلى ما يرجع إلينا منهم أحد، ولقد أصيب أصحاب اللواء، وصبروا عنده حتى صار إلى عبد لهم حبشى يقال له (صواب)، ثم قُتل صواب، فطرح اللواء فلم

(١) ورد في هذا الشعار حديث أخرجه أبو داود (٢٥٩٦، ٢٦٣٨)، والنسائي في الكبرى (٨٨٦٢/٥)، وابن ماجه (٢٨٤٠)، وأحمد (١٦٥٥٠) [٤٦/٤] من حديث سلمة بن الأكوع قال: غزونا مع أبي بكر رضى الله عنه زمن النبي ﷺ فكان شعارنا أمت أمت، وصححه ابن حبان (٤٧٤٤/١١)، والحاكم (١٠٧/٢، ١٠٨)، ووافقه الذهبي وإسناده حسن.

(٢) أخرجه ابن إسحاق بإسناد صحيح. انظر سيرة ابن هشام (٧٧/٢)، والبيهقى في الدلائل (٢٢٨/٣)، والطبرى في تاريخه (٥١٣/٢) من طريق ابن إسحاق به.

(٣) الخدم: الخلاخيل.

يقربه أحد من خلق الله، حتى وثبت إليه عمرة بنت علقمة الحارثية، فرفعته لهم، وثاب إليه الناس، قال: الزبير: فوالله إنا لكذلك قد علوناهم وظهرنا عليهم<sup>(١)</sup>.

### الأسد في أرض المعركة يقاتل بسيفين

\* وقام أسد الله (حمزة) يصول ويجول في أرض المعركة يشق الصفوف شقاً ويهدد المشركين بسيفه هدأً.

بل لقد كان يقاتل قتال الليوث المهتاجة فصدَّ حَمَلَةَ اللّوَاء من بني عبد الدار واقتنص أرواحهم فرداً فرداً.

عن سعد بن أبي وقاص قال: كان حمزة يُقاتل يوم أحد بين يدي رسول الله ﷺ بسيفين ويقول: أنا أسدُ الله<sup>(٢)</sup>.

### النبي ﷺ يعلم أصحابه في أرض الجهاد

\* عن عقبة مولى جبر بن عتيك الأنصاري رضى الله عنه قال: «شهدتُ أحدًا مع مولاى، فضربت رجلاً من المشركين، فلما قتلته، قلت: خذها منى وأنا الرجل الفارسى، فبلغت رسول الله ﷺ فقال: (ألا قال: خذها وأنا الرجل الأنصاري، فإن مولى القوم من أنفسهم)<sup>(٣)</sup>.

### ولقد صدقكم الله وعده

عن ابن عباس قال: «ما نُصِرَ النبي ﷺ في موطن كما نُصِرَ يومُ أحدٍ قال الراوى عنه - عبيد الله بن عتبة - فأنكرنا ذلك فقال ابن عباس بينى وبين من أنكر ذلك كتاب الله (جلاً وعلاً) إن الله (جلّ وعلاً) يقول في يوم أحد: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾ يقول ابن عباس: والحسُّ: القتل ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ

(١) أخرجه إسحاق بن راهويه كما فى المطالب العالمة رقم (٤٣١٣)، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: هذا إسناده صحيح له شاهد من حديث البراء فى الصحيح.

(٢) أخرجه ابن سعد (٦/١/٣)، والحاكم (٣/١٩٤)، وصححه ووافقه الذهبى.

(٣) أخرجه أحمد فى المسند (٥/٢٩٥)، وأبو داود فى الأدب (٥١٢٣) باب فى العصبية، وابن ماجه فى الجهاد باب النية فى القتال (٢٧٨٤) وإسناده حسن، وقال الهيثمى فى المجمع (٦/١٥٥): رواه أبو يعلى ورجاله ثقات، وانظر العالمة رقم (٤٣٢٤).

وَعَصِيَّتُمْ مَنْ بَعْدَ مَا أَرَاكُمْ مَا تَحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَنْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ [آل عمران: ١٥٢]، وإنما عنى بهذا الرماة وذلك أن النبي ﷺ أقامهم فى موضع ثم قال: احموا ظهورنا، فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا، فلما غنم رسول الله ﷺ وأباحوا عسكر المشركين انكشف الرماة جميعاً فدخلوا فى العسكر يتتهبون وقد التقت صفوف أصحاب النبي ﷺ فهم هكذا... وشبك بين أصابع يديه والتبسوا، فلما أخل الرماة تلك الخلة التى كانوا فيها دخل الخيل من ذلك الموضع على أصحاب النبي ﷺ فضرب بعضهم بعضاً والتبسوا، وقتل من المسلمين ناس كثير، وقد كان لرسول الله ﷺ وأصحابه أول النهار حتى قتل من أصحاب لواء المشركين سبعة أو تسعة، وجال المسلمون جولة نحو الجبل»<sup>(١)</sup>.

### كافرٌ خُسف به

\* عن بريدة رضى الله عنه قال: «أن رجلاً قال يوم أحد: اللهم إن كان محمداً على الحق فاخسف به قال: فخسف به»<sup>(٢)</sup>.

### غلطة الرماة التى غيرت سير المعركة

لقد علمت كيف شدد الرسول عليه الصلاة والسلام على الرماة أن يلزموا أماكنهم صيانة لمؤخرة المسلمين، وأوصاهم ألا يبرحوها أبداً، ولو رأوا الجيش تتخطفه الطير؟ غير أن أثاراً من حب الدنيا عصفت بهذه الوصاية فى ساعة غفلة؟ فما أن رأى الرماة الهزيمة حلت بقريش والنساء يهمن فى الجبل، والرجال يولون الأدبار، والغنائم التى خلفها ثلاثة آلاف مشرك تزحم الوادى.. حتى غادروا مواقعهم هابطين إلى الميدان، يبعون إمتهاًب أنصبتهم من الأسلاب والأموال!<sup>(٣)</sup>.

\* عن البراء رضى الله عنه قال: «جعل رسول الله ﷺ على الرماة يوم أحد وكانوا خمسين رجلاً - عبد الله بن جبير قال: ووضعهم موضعاً، وقال: (إن رأيتمونا تخطفنا

(١) رواه الحاكم (٢/٢٩٦) التفسير، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبى: صحيح.  
(٢) كشف الأستار عن زوائد البزار رقم (١٧٩٩)، وقال الهيثمى فى المجمع (٦/١٢٢): رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

(٣) فقه السيرة للغزالي (ص: ٢٩٣).

الطير فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم، إن رأيتمونا ظهرنا على العدو وأوطاناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم)، قال: فهزموهم.

قال: فأنا والله رأيت النساء يشتدن على الجبل وقد بدت سوقهن وخالخلهن رافعات ثيابهن فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة، أى قوم الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنظرون؟

قال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ، قالوا: إنا والله لنأتين الناس فلننصيب من الغنيمة، فلما أتوهم صُرفت وجوههم، فأقبلوا منهزمين، فذلك الذى يدعوهم الرسول ﷺ فى أخراهم، فلم يبق مع رسول الله ﷺ غير اثنى عشر رجلاً، فأصابوا منا سبعين رجلاً، وكان رسول الله ﷺ وأصحابه، أصاب من المشركين يوم بدر أربعين ومائة، سبعين أسيراً، وسبعين قتيلاً...<sup>(١)</sup>.

### خالد بن الوليد يغتتم تلك الفرصة

وكان فرسان المشركين بقيادة (خالد بن الوليد) محصورين، لا يجدون ثغرة ينفذون منها إلى قلب المسلمين إلى أن حلت الهزيمة، فلما رأى خالد أن مؤخرة المسلمين انكشفت. فلم يبق عليها حارس اغتتم الفرصة على عجل، فاستدار بالخييل وأحدق بخصومه منحدرًا عليهم من حيث لا يحتسبون. ورأى الفارون من قريش بوادر هذا التغير الطارىء، فترجعوا حتى أن امرأة تدعى عمرة بنت علقمة الحارثية، هى التى رفعت لواء قريش من التراب بعد أن سقط وصُرع حملته! وثاب المشركون إلى رايتهم وخيالتهم. فأحيط بالصحابة من الأمام والخلف ووقعوا بين شقى الرحى<sup>(٢)</sup>.

### إشاعة خبر مقتل النبي ﷺ

\* فصرخ صارخ يرون أنه الشيطان: ألا إن محمداً قد قُتل. فأعظم الناس وركب بعضهم بعضاً فصاروا أثلاثاً: ثلثاً جريحاً، وثلثاً مقتولاً، وثلثاً منهزماً<sup>(٣)</sup>.

ودلَّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ

(١) أخرجه البخارى (٤٠٤٣) المغازى - وأحمد (٤/ ٢٩١).

(٢) فقه السيرة للغزالي (ص: ٢٩٣).

(٣) سبق تخريجه.

قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنَ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ [آل عمران: ١٤٤].

### إصابة النبي ﷺ

\* عن سهل بن سعد الساعدي رضى الله عنه قال: «حين سُئِلَ عن جُرحِ الرسول ﷺ يوم أحد - جُرح وجه رسول الله ﷺ وكُسرت ربايعيته، وهُشمت البيضة على رأسه، فكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسل الدم، وكان على بن أبي طالب يسكب عليها بالمجن، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة، أخذت قطعة من حصير فأحرقته حتى صار رماداً ثم ألصقته بالجرح، فاستمسك الدم»<sup>(١)</sup>.

\* وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: (اشتد غضب الله على قوم فعلوا بنبيهم - يشير إلى ربايعيته - اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله ﷺ في سبيل الله)<sup>(٢)</sup>».

\* وعن أنس رضى الله عنه قال: «إن رسول الله ﷺ كُسرت ربايعيته يوم أحد وشُجَّ في رأسه، فجعل يسלט الدم عنه ويقول: (كيف يُفْلح قوم شجوا نبيهم وكسروا ربايعيته وهو يدعوهم إلى الله) فأنزل الله عز وجل: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]<sup>(٣)</sup>».

\* وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: «كأنى أنظر إلى النبي ﷺ يحكى نبياً من الأنبياء ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: (اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون)<sup>(٤)</sup>».

\* ومضى النبي ﷺ يدعو المسلمين إليه، واستطاع - بالرجال القلائل الذين معه - أن يصعد فوق الجبل، فانهزت إليه الطائفة التي اعتصمت بالصخرة وقت الفرار.

وفرح النبي عليه الصلاة والسلام أن وجد بقية من رجاله يمتنع بهم، وعاد لهؤلاء صوابهم إذ وجدوا الرسول حياً، وهم يحسبون مات<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه البخارى (٤٠٧٥) المغازى - ومسلم (١٧٩٠) الجهاد والسير - واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه البخارى (٤٠٧٣) المغازى - ومسلم (١٧٩٣) الجهاد والسير.

(٣) أخرجه البخارى (٣٦٥/٧) المغازى - ومسلم (١٧٩١) الجهاد والسير.

(٤) أخرجه البخارى (٣٤٧٧) أحاديث الأنبياء - ومسلم (١٧٩٢) الجهاد والسير.

(٥) فقه السيرة للغزالي (ص: ٢٩٤).

### الذين ثبتوا مع النبي ﷺ

وثبت مع النبي ﷺ نفرٌ قليل منهم سعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله وأبو دجانة وأبو طلحة الأنصاري (رضى الله عنهم).

ولما سمع المشركون صوت النبي ﷺ وهو ينادى على أصحابه «هلمَّ إليَّ أنا رسول الله» هاجموا وأرادوا أن يقتلوه فقام تسعة من أصحابه يدافعون عنه بكل حُبٍ وتفانى وبطولة لم يعرف التاريخ لها مثيلاً.

### سبعة من الأنصار يبذلون حياتهم دفاعاً عن النبي ﷺ

\* عن أنس رضى الله عنه قال: (أن رسول الله ﷺ أُفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش فلما رهقوه<sup>(١)</sup>)، قال: (من يردهم عنا وله الجنة، أو هو رفيقى في الجنة)، فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قُتل، ثم رهقوه أيضاً، فقال: (من يردهم عنا وله الجنة، أو هو رفيقى في الجنة) فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك، حتى قتل السبعة، فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه: (ما أنصفنا أصحابنا)<sup>(٣)</sup>.

\* وكان آخر هؤلاء السبعة هو عمارة بن يزيد بن السكن قاتل حتى أثبتته الجراحة فسقط<sup>(٣)</sup>... وبعد ما قُتل عمارة بن يزيد لم يبق مع النبي ﷺ سوى طلحة وسعد (رضى الله عنهما)

### سعد بن أبي وقاص يدافع عن النبي ﷺ يوم أحد

وكان سعد - رضى الله عنه - يرمى بالنبل دفاعاً عن رسول الله ﷺ. قال سعد: «فلقد رأيته ﷺ يناولنى النبل وهو يقول: ارم فداك أبى وأمى، حتى إنه ليناولنى السهم ما له من نصل، فيقول: ارم به»<sup>(٤)</sup>.

وعن (على) - رضى الله عنه - قال: «ما سمعت النبي ﷺ جمع أبويه لأحد إلا لسعد

(١) رهقوه: غشوه وقربوا منه وأدركوه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الجهاد والسير باب غزوة أحد رقم (١٧٨٩).

(٣) وبعد لحظة فاءت إلى الرسول ﷺ، فئة من المسلمين فأجهضوا الكفار عن عمارة، وأدنوه من رسول الله ﷺ، فوسده قدمه، فمات وخده على قدم رسول الله ﷺ. [ابن هشام ٢/ ٨١].

(٤) أخرجه البخارى (٦/ ٢٩٠٥ فتح الجهاد - ومسلم (٤/ ١٨٧٦ ح ٤١) فضائل الصحابة.

ابن مالك<sup>(١)</sup> فإنى سمعته يقول يوم أحد: يا سعد ارم فداك أبى وأمى<sup>(٢)</sup>.

وعن سعد - رضى الله عنه - قال: كان رجل من المشركين قد أحرق المسلمين، فقال رسول الله ﷺ: «ارم فداك أبى وأمى»، فنزعت بسهم ليس فيه نصل، فأصبت جبهته، فوقع وانكشفت عورته، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه<sup>(٣)</sup>.

\* وعن أبى عثمان النهدي قال: «لم يبق مع النبى ﷺ فى بعض تلك الأيام التى قاتل فيها رسول الله ﷺ غير طلحة وسعد عن حديثهما<sup>(٤)</sup>».

### أوجب طلحة (رضى الله عنه) يوم أحد

وعن جابر قال: لما كان يوم أحد وولّى الناس كان رسول الله ﷺ فى ناحية فى اثنى عشر رجلاً منهم طلحة، فأدركه المشركون، فقال النبى ﷺ: «مَن للقوم؟» قال طلحة: أنا قال: «كما أنت» فقال رجل: أنا قال: «أنت» فقاتل حتى قُتل ثم التفت، فإذا المشركون فقال: «من لهم؟» قال طلحة: أنا قال: «كما أنت» فقال رجل من الأنصار: أنا قال «أنت» فقاتل حتى قُتل، فلم يزل كذلك حتى بقى مع نبى الله (طلحة) فقال: «مَن للقوم؟» قال طلحة: أنا فقاتل طلة قتال الأحد عشر، حتى قُطعت أصابعه فقال: «حسن». فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت: بسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون».. ثم ردّ الله المشركين<sup>(٥)</sup>.

وعند الطبرانى: «لو قلت: بسم الله لطارت بك الملائكة والناس ينظرون إليك».

وعند النسائى والبيهقى فى الدلائل: «حتى تلج بك فى جو السماء».

وعند أحمد: فقال له النبى ﷺ: «لو قلت بسم الله لرأيت يبنى لك بها بيت فى الجنة

(١) هو سعد بن أبى وقاص، وقال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى (٧/ ٨٤): وفى هذا الحصر نظر لما تقدم فى ترجمة الزبير أنه ﷺ جمع له أبويه يوم الخندق.. ويجمع بينهما بأن علياً - رضى الله عنه - لم يطلع على ذلك أو مراده بذلك بقاء يوم أحد. والله أعلم.

(٢) أخرجه البخارى (٤٠٥٩) - ومسلم (٢٤١١)، والترمذى (٣٧٥٥).

(٣) أخرجه مسلم (٢٤١٢) الفضائل.

(٤) أخرجه البخارى فى الفضائل (٣٧٢٣)، وفى المغازى باب غزوة أحد رقم (٤٠٦٠، ٤٠٦١)، ومسلم فى الفضائل رقم (٢٤١٤).

(٥) رواه الحاكم مختصراً (٣/ ٣٦٩) معرفة الصحابة، وله طرق، قال الألبانى فى الصحيحة رقم (٢١٧١): فالحديث حسن بمجموع هذه الطرق.

وأنت حيٌّ في الدنيا»<sup>(١)</sup>.

وعن قيس بن حازم قال: رأيت يد طلحة شلاء وقي بها النبي يوم أحد<sup>(٢)</sup>.  
وجرح في تلك الغزوة تسعاً وثلاثين أو خمساً وثلاثين وشلت أصبعه أى السبابة  
والتي تليها<sup>(٣)</sup>. وقال النبي ﷺ فيه يومئذ: «من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه  
الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله»<sup>(٤)</sup>.

وروى أبو داود الطيالسي عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: كان أبو بكر إذا ذكر  
يوم أحد قال: ذلك اليوم كله لطلحة<sup>(٥)</sup>.

\* وعن عائشة وأم إسحاق بنتي طلحة قالتا: جرح أبونا يوم أحد أربعاً وعشرين  
جراحة، وقع منها في رأسه شجرةً مربعة، وقُطع نساها - يعنى العرق - وشلت أصبعه،  
وكان سائر الجراح في جسده وغلبه الغشى - الإغماء - ورسول الله ﷺ مكسورة ربايعته  
مشجوج في وجهه، قد علاه الغشى، وطلحة محتمله - أى يحمل النبي ﷺ - يرجع به  
القهقري، كلما أدركه أحد من المشركين، قاتل دونه، حتى أسنده إلى الشعب<sup>(٦)</sup>.

حتى قال عنه ﷺ: «أوجب طلحة حين صنع برسول الله ﷺ ما صنع»<sup>(٧)</sup>.

وعن موسى وعيسى ابني طلحة عن أبيهما أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لأعرابي  
جاء<sup>(٨)</sup> يسأله عنم قضى نحب من هو؟ فكانوا لا يجترئون على مسألته يوقرونه ويهابونه  
قال: فسأله الأعرابي فأعرض عنه ثم سأله فأعرض عنه ثم إنى اطلعت من باب المسجد -  
يعنى طلحة - وعلى ثياب خضر فلما رأتى رسول الله ﷺ قال: «أين السائل عنم قضى  
نحبه؟» قال الأعرابي: أنا يا رسول الله قال: «هذا من قضى نحب»<sup>(٩)</sup>.

(١) رواه أحمد في فضائل الصحابة (١٢٩٤) وإسناده صحيح.

(٢) رواه البخارى عن قيس بن حازم - حديث رقم (٤٠٦٣).

(٣) البخارى (٣٦١/٧).

(٤) رواه الترمذى والحاكم عن جابر، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٩٦٢).

(٥) فتح البارى (٣٦١/٧).

(٦) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبى (٣٢/١).

(٧) أخرجه أحمد والترمذى وابن حبان والحاكم عن الزبير، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٥٤٠)

بلفظ: «أوجب طلحة حين صنع برسول الله ﷺ ما صنع» الصحيحة (٩٤٥)،

(٨) فى رواية الترمذى.. قالوا لأعرابي جاهل: سله عنم قضى نحب من هو؟

(٩) النحب: الندر، وقيل: الموت، وقيل: العهد، وقيل غير ذلك - قال شعيب الأرنؤوط: والحديث رواه أبو

يعلى (٢٦-٢٧) والترمذى (٣٧٤٢) بإسناد حسن.



## أبو طلحة (رضى الله عنه) ودفاعه عن النبي ﷺ

لقد كان أبو طلحة - رضى الله عنه - ممن شهدوا بدرًا وأبلى في تلك الغزوة بلاءً حسنًا.

وفي يوم (أحد) كان من الأبطال الذين ثبتوا مع النبي ﷺ ودافع عنه بكل ما يملك.

\* عن أنس قال: لما كان يوم أحد، انهزم ناسٌ عن رسول الله، وأبو طلحة بين يديه مُجَوِّبًا عليه بحجفة، وكان رامياً شديد النزع، كسر يومئذ قوسين أو ثلاثة. وكان الرجلُ يمر معه الجعبةُ من النبل، فيقول ﷺ: «انثرها لأبى طلحة». ثم يُشرفُ إلى القوم. فيقول أبو طلحة: يا نبي الله، بأبى أنت، لا تُشرف، لا يُصيبك سهم، نحري دون نحرك.

قال: فلقد رأيتُ عائشةَ وأم سليم وإنهما لمُشمِرات<sup>(١)</sup>، أرى خدم سوقهما، تنقران القربُ على متونهما، وتُفرغانها في أفواه القوم، وترجعان، فتملأنها. فلقد وقع السيفُ من يد أبى طلحة مرتين أو ثلاثاً من النعاس<sup>(٢)</sup>.

\* وعن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال: «كان أبو طلحة يترسُّ مع النبي ﷺ بترس واحد، وكان أبو طلحة حسن الرمي، فكان إذا رمى يشرف النبي ﷺ فينظر إلى موضع نبله»<sup>(٣)</sup>.<sup>(٤)</sup>

\* عن أنس - رضى الله عنه - أن أبا طلحة كان يرمى بين يدي رسول الله ﷺ يوم أحد، وكان رجلاً رامياً، وكان رسول الله ﷺ إذا رمى أبو طلحة، رفع بصره ينظر أين يقع سهمه. وكان يدفع صدر رسول الله ﷺ بيده، ويقول: يا رسول الله، هكذا لا يُصيبك سهم<sup>(٥)</sup>.

(١) المشمرات: من التشمير.

(٢) أخرجه البخارى (٢٧٨/٧، ٢٧٩) فى المغازى: باب غزوة أحد. والحجفة: الترس. ومُجَوِّبًا: بضم الميم وفتح الجيم وتشديد الواو المكسورة، أى مترسًا عليه. وخدم سوقهما، هى الخلاخيل، جمع خدمة. تنقران: تثنان، والنقر: الوثب والقفز، كناية عن سرعة السير.

(٣) عند عبد بن حميد فى المنتخب من الزيادة (من طريق ثابت عن أنس) وكان أبو طلحة يدفع صدر رسول الله ﷺ بيده ويقول يا رسول الله هكذا لا يصيبك سهم، وكان أبو طلحة يسور نفسه بين يدي رسول الله ﷺ يقول: يا رسول الله إني قوى جلد فوجهني فى حوائجك وابعثنى حيث شئت. وسندها صحيح.

(٤) أخرجه البخارى (٢٩٠٢)، وأحمد (٢٦٥/٣).

(٥) قال الأرنؤوط: إسناده صحيح: أخرجه أحمد (٢٨٦/٣، ٢٨٧)، وابن سعد (٥٠٦/٣).

وكان إذا بقي مع النبي ﷺ ، جثا بين يديه، وقال: نفسي لنفسك الفداء، ووجهي لوجهك الوقاء.

### هذا هو على بن أبي طالب (رضى الله عنه)

\* عن على كرم الله وجهه قال: «لما انجلى الناس عن رسول الله ﷺ يوم أحد نظرت إلى القتلى فلم أر رسول الله ﷺ فيهم، فقلت: والله ما كان ليفر وما أراه في القتلى، ولكن أرى الله غضب علينا بما صنعنا فرفع نبيه ﷺ، فما في خير من أن أقاتل حتى أقتل، فكسرت جفن سيفي، ثم حملته على القوم فأفرجوا لي، فإذا أنا برسول الله ﷺ بينهم»<sup>(١)</sup>.

### فطنة وذكاء... وحب ووفاء

\* عن كعب بن مالك رضى الله عنه قال: «لما كان يوم أحد وصرنا إلى الشعب كنت أول من عرفته فقلت: هذا رسول الله ﷺ.

فأشار إلى بيده أن اسكت، ثم ألبسني لأمته<sup>(٢)</sup>، ولبس لأمتي، فلقد ضربت حتى جرحت عشرين جراحة أو قال بضعة وعشرين جرحاً كل من يضربني يحسبني رسول الله ﷺ»<sup>(٣)</sup>.

\* فتأمل معي إلى فطنة وذكاء النبي ﷺ في هذا الموقف الجليل.. وتأمل أيضاً تلك الصورة المشرفة من محبة هذا الصحابي الجليل للنبي ﷺ فهو يستعذب كل هذا الضرب من أجل أن يفدى النبي ﷺ

\*\*\*

(١) المطالب العالية (٤٣٢٣) قال البوصيري: رواه أبو يعلى برقم (٥٤٦) بإسناد حسن، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٢/٦): فيه محمد بن مروان العقيلي، وثقه أبو داود وابن حبان وضعفه أبو زرعة وغيره، وإسناده حسن كما قال البوصيري، والله أعلم.

(٢) لأمته: درعه.

(٣) قال الهيثمي في المجمع (١١٢/٦): رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار ورجال الأوسط ثقات، ورواه أبو نعيم في الدلائل (٤٨٢/٢) من طريق ابن إسحاق، وقد صرح عنده بالسماع وسنده متصل، فالحديث صحيح.

### الملائكة يدافعون عن النبي ﷺ

\* عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال: «رأيت رجلين عن يمين رسول الله ﷺ ويساره يوم أحد عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد»<sup>(١)</sup>.

### طلحة ينهض بالنبي ﷺ

\* وجاء (عليّ) إلى رسول الله ﷺ بماء ليشرب منه، فوجده آجناً، فردّه، وغسل عن وجهه الدم، وصبّ على رأسه. فأراد رسول الله ﷺ أن يعلو صخرةً هنالك، فلم يستطع لما به، فجلس طلحةً تحته حتى صعدّها، وحانت الصلاة، فصلّى بهم جالساً، وصار رسول الله ﷺ فى ذلك اليوم تحت لواء الأنصار<sup>(٢)</sup>.

### هكذا كانت المرأة المسلمة

\* خرجت الأسرة المؤمنة: أم عمارة وولداها عبد الله وحبيب وزوجها واندفع زوجها وأولادها يجاهدون فى سبيل الله، بينما ذهبت أم عمارة تسقى العطشى وتضمّد الجرحى، ولكن ظروف المعركة جعلتها تقبل على محاربة المشركين، وتقف وقفة الأبطال تدافع عن رسول الله ﷺ غير هيابة ولا وجلّة وذلك عندما تفرق الناس من هول ما أصابهم فى ذلك اليوم... عندها أخذت سيفاً وترساً ووقفت بجانب رسول الله ﷺ تقيه بنفسها<sup>(٣)</sup>.

\* وقاتلت أم عمارة، فاعترضت لابن قمئة فى أناس من المسلمين، فضربها ابن قمئة على عاتقها ضربة تركت جرحاً أجوف، وضربت هى ابن قمئة عدة ضربات بسيفها، لكن كانت عليه درعان فنجا، وبقيت أم عمارة تقاتل حتى أصابها اثنا عشر جرحاً<sup>(٤)</sup>.

\* وجاءت نسوة من المؤمنين إلى ساحة القتال بعد نهاية المعركة، قال أنس: لقد رأيت عائشة بنت أبى بكر وأم سليم، وأنها لمشمرتان - أرى خدم سوقهما - تنقران

(١) أخرجه البخارى (٥٨٢٦) اللباس - ومسلم (٢٣٠٦) الفضائل.

(٢) زاد المعاد (٣/١٩٩).

(٣) نساء مبشرات بالجنة (ص: ٦٥).

(٤) البداية والنهاية لابن كثير (٤/٣٨).

القرب على متونهما، تفرغانه في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملاّنهما، ثم تحيئان فتنفرغانه في أفواه القوم<sup>(١)</sup> ... وقال عمر: كانت (أم سَلِيط) تزفر لنا القرب يوم أحد<sup>(٢)</sup>.

### ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة نعاساً

وبعد أن اشتد الكرب والغم بالمؤمنين ومحّص الله قلوبهم، وابتلى ما في صدورهم واتخذ ما شاء من الشهداء، أنزل عليهم أمانةً ونعاساً أصاب الصادقين منهم فخفف عنهم مصابهم وربط به على قلوبهم وأما أصحاب الريب والشكوك والظنون السيئة، فقد أهتمتهم أنفسهم، وتلاعبت بهم الشياطين، قال الله تعالى:

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّو كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

\* قال صاحب الظلال رحمه الله: ولقد أعقب هول الهزيمة وذعرها وهرجها ومرجها سكون عجيب، سكون في نفوس المؤمنين الذين تابوا إلى ربهم، وثابوا إلى نبيهم، لقد شملهم نعاس لطيف يستسلمون إليه مطمئنين! ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِّنكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وهي ظاهرة عجيبة، تشي برحمة الله التي تحف بعباده المؤمنين، والنعاس حين يلم بالمجاهدين المرهقين المفزعين ولو لحظة واحدة يفعل في كيانهم فعل السحر، ويردهم خلقاً جديداً. أما الطائفة الأخرى: فهم ذوو الإيمان المزعزع الذين شغلتهم أنفسهم وأهمتهم، والذين لم يتخلصوا من تصورات الجاهلية، ولم يسلموا أنفسهم كلها لله خالصة، ولم يستسلموا بكليتهم لقدره، ولم تظمن قلوبهم إلى أن ما أصابهم إنما هو ابتلاء للتمحيص وليس تخلياً من الله عن أوليائه لأعدائه، ولا قضاء منه سبحانه للكفر والشر والباطل بالغلبة الأخيرة والنصر الكامل.

إن هذه العقيدة تعلم أصحابها - فيما تعلم - أن ليس لهم في أنفسهم شيء، فهم

(١) أخرجه البخارى (٤٠٦٤) - ومسلم (١٣٦) (١٨١١).

(٢) صحيح البخارى (٤٠١/١).

كلهم لله، وأنهم حين يخرجون للجهاد في سبيله يخرجون له، ويتحركون له ويقاتلون له بلا هدف آخر لذواتهم في هذا الجهاد<sup>(١)</sup>. عن أبي طلحة رضى الله عنه قال: كنت فيمن تغشاه النعاس يوم أحد حتى سقط سيفي من يدي مراراً، يسقط وآخذه، ويسقط فأخذه<sup>(٢)</sup>.

### صفحات مضيئة مع باقة من شهداء أحد

وها هي باقة عطرة من تلك الصفحات الناصعة التي سطرها هؤلاء الشهداء من أصحاب سيد الأنبياء ﷺ على جبين التاريخ بسطور من النور.

### استشهاد حمزة أسد الله وأسد رسول الله ﷺ

وها هي رياح الموت تهب على أرض المعركة... وها هي اللحظة التي قدرها الله (جلَّ وعلاً) ليرحل حمزة - رضى الله عنه - عن الدنيا وليصبح سيد الشهداء.

وها هو (وحشى) يحكى كيف استطاع أن يقتل (حمزة).

\* يقول وحشى: كُنتُ غلاماً لجبير بن مطعم، وكان عمه طُعيمة بن عدى قد أُصيب يوم بدر - قُتل - فلما سارت قريش إلى أحد، قال لي جبير: إن قتلت حمزة عم محمد بعمى فانت عتيق، قال: فخرجت مع الناس، وكنت رجلاً حبشياً أقذف بالحربة قذف الحبشة، فلما أخطىء بها شيئاً، فلما التقى الناسُ خرجت أنظر حمزة، وأتبصره، حتى رأيته في عرض الناس مثل الجمل الأورق، يهد الناس بسيفه هدأً، ما يقوم له شيء، فوالله إنى لأنتهياً له، أريده وأستتر منه بشجرة أو حجر ليدنو منى إذ تقدمنى إليه سباع بن عبد العزى؛ فلما رآه حمزة قال: هلم يا ابن مقطعة البطور. قال: فضربه ضربة كأن ما أخطأ رأسه. قال: وهزرتُ حربتي، حتى إذا رضيتُ منها، دفعتها عليه، ف وقعت في ثنته، حتى خرجت من بين رجله، وذهب لينوء نحوى، فغلب، وتركتُه وإياها حتى مات، ثم أتيتُه فأخذتُ حربتي، ثم رجعت إلى العسكر، فقعدتُ فيه... ولم يكن لى بغيره حاجة وإنما قتلته لأعتق فلما قدمت مكة أعتقت، ثم أقمتُ حتى إذا افتتح رسولُ الله ﷺ مكة هربتُ إلى الطائف، فمكثت بها، فلما خرج وفدُ الطائف إلى رسول الله ﷺ لیسلموا

(١) باختصار من الظلال (١/٤٨٩).

(٢) رواه البخارى (٧/٤٢٢) المغازى.

تعيّت على المذاهب فقلت: ألحق بالشام، أو باليمن، أو ببعض البلاد؛ فوالله إنى لفى ذلك من همى إذ قال لى رجل: ويحك! إنه والله ما يقتل أحداً من الناس دخل فى دينه، وتشهد شهادته.

فلما قال لى ذلك، خرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ المدينة، فلم يرعه إلا بى قائماً على رأسه أتشهد بشهادة الحق، [فلما] رأتى قال: «أوحشى؟» قلت: نعم يا رسول الله، قال: «أفعد فحدثنى كيف قتلت حمزة»، قال: فحدثته. فلما فرغت من حديثى قال: «ويحك غيب عنى وجهك فلا أرينك». قال: فكنت أنتكب رسول الله ﷺ حيث كان ثلاث يرانى، حتى قبضه الله<sup>(١)</sup> - أى حتى توفاه الله -.

فلما خرج المسلمون إلى مسيلمة! خرجت معهم بحربتى التى قتلت بها حمزة. فلما التقى الناس، نظرت إلى مسيلمة وفى يده السيف، فوالله ما أعرفه، وإذا رجل من الأنصار يريد من ناحية أخرى، فكلانا يتهايا له. حتى إذا أمكنتى، دفعت عليه حربتى، ف وقعت فيه. وشد الأنصارى عليه، فضربه بالسيف، فربك أعلم أينما قتله، فإن أنا قتلته، فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله ﷺ، و قتلت شر الناس<sup>(٢)</sup>.

### التمثيل بجسده الطاهر - رضى الله عنه -

ولم يكتف أعداء الله بقتله، بل مثلوا بجسده، فإنه عندما بحث الصحابة ومعهم الحبيب ﷺ عن (حمزة) وجدوه قد بقر بطنه، واحتمل وحشى كبدته إلى (هند) فى نذر نذرتة حين قتل أبوها يوم بدر فدفن فى نمرّة كانت عليه، إذا رفعت إلى رأسه، بدت قدماه، فغطوا قدميه بشيء من الشجر<sup>(٣)</sup>.

وعن أنس قال: لما كان يوم أحد وقف رسول الله ﷺ على حمزة وقد جُدع ومثل به، فقال: «لولا أن تجد صفة فى نفسها، لتركته حتى يحشره الله من بطون السباع والطيور».

(١) أخرجه البخارى فى كتاب «المغازى» باب «قتل حمزة بن عبد المطلب» (٧/٤٠٧٢/فتح)، وأحمد فى «مسنده» (٥٠١/٣) من حديث جعفر بن عمرو بن أمية الضمري وليس فيه ذكر أنه غلب عليه الخمر، وأخرجه أبو داود الطيالسى فى «مسنده» (ص: ١٨٦/١٣١٤) بلفظه. وإسناده صحيح.

(٢) قال الأرنؤوط: إسناده قوى إلى وحشى. وأخرجه ابن هشام (٧٠/٢ - ٧٣)، وابن الأثير فى «أسد الغابة» (٥/٣٨ - ٤٤٠)، وابن عبد البر فى «الاستيعاب» (٥١/١١) وكلهم من هذا الطريق. وأخرجه البخارى

(٤٠٧٢) فى المغازى: باب قتل حمزة - رضى الله عنه -.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (١/١٧٩).

وكُفِّنَ فِي نَمْرَةٍ إِذَا خُمِرَ رَأْسُهُ، بَدَتْ رِجْلَاهُ، وَإِذَا خُمِرَتْ رِجْلَاهُ بَدَا رَأْسُهُ. وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الشَّهَدَاءِ. وَقَالَ: «أَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ» وَكَانَ يَجْمَعُ الثَّلَاثَةَ فِي قَبْرِ، وَالْاِثْنَيْنِ فَيَسْأَلُ: أَيُّهُمَا أَكْثَرُ قَرَأْنَا فَيَقْدِمُهُ فِي اللَّحْدِ، وَكَفَنَ الرَّجْلَيْنِ وَالثَّلَاثَةَ فِي ثَوْبٍ<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أَحَدٍ، فَسَمِعَ نِسَاءَ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ يَبْكِينَ عَلَى هَلِكَاھُنَّ. فَقَالَ: «لَكِنَّ حَمْزَةَ لَا بَوَاكِي لَهُ» فَجَثْنَ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ، فَبَكِينَ عَلَى حَمْزَةَ عِنْدَهُ، فَرَقَدَ، فَاسْتَيْقِظَ وَهْنٌ يَبْكِينَ. فَقَالَ: «يَا وَيْحَهُنَّ! أَهْنُ هَا هُنَا حَتَّى الْآنَ، مُرُوهُنَّ، فَلْيَرْجِعْنَ، وَلَا يَبْكِينَ عَلَى هَالِكٍ بَعْدَ الْيَوْمِ»<sup>(٢)</sup>.

قَالَ ﷺ: «رَأَيْتِ الْمَلَائِكَةَ تُغَسِّلُ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَحَنْظَلَةَ بْنَ الرَّاهِبِ»<sup>(٣)</sup>.

### قصة استشهاد أنس بن النضر (رضى الله عنه)

يَقُولُ «أَنْسُ بْنُ مَالِكٍ» غَابَ عَمِي «أَنْسُ بْنُ النَّضْرِ» عَنِ الْقِتَالِ يَوْمَ بَدْرٍ فَقَالَ: غَبْتُ عَنِ أَوَّلِ قِتَالٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِئَن أَشْهَدَنِي اللَّهُ قِتَالاً لِيرِيَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ أَحَدٍ انْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ - انْهَزَمُوا - فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا فَعَلْتُ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي الْمَشْرِكِينَ - وَأَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعْتُ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي الْمُسْلِمِينَ - ثُمَّ مَشَى بِسَيْفِهِ فَلَقِيَهُ (سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ) فَقَالَ: أَيُّ سَعْدٍ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأَجِدُ رِيحَ الْجَنَّةِ دُونَ أَحَدٍ! ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَقَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَصْنَعُ مَا صَنَعَ. قَالَ أَنْسُ بْنُ مَالِكٍ: فَوَجَدْنَاهُ بَيْنَ الْقَتْلَى وَبِهِ بَضْعٌ وَثَمَانُونَ جِرَاحَةً بَيْنَ ضَرْبَةِ سَيْفٍ أَوْ طَعْنَةِ بَرْمِجٍ أَوْ رَمِيَةِ بِسَهْمٍ، فَمَا عَرَفْنَاهُ حَتَّى جَاءَتْ أُخْتُهُ فَعَرَفْتَهُ بَيْنَانِهِ - رُؤُوسِ الْأَصَابِعِ - قَالَ أَنْسُ فَكُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الْأَحْزَاب: ٢٣] نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَصْحَابِهِ<sup>(٤)</sup>.

\* وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهُ لَمَّا شَاعَ خَيْرٌ مَقْتَلِ النَّبِيِّ ﷺ انْهَارَتْ الرُّوحُ الْمَعْنَوِيَّةُ أَوْ كَادَتْ تَنْهَارُ فِي نَفُوسٍ كَثِيرَةٍ مِنَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَتَوَقَّفَ مِنْهُمْ مَن تَوَقَّفَ عَنِ الْقِتَالِ وَأَلْقَى أَسْلِحَتَهُ مَسْتَكِينًا وَمَرَّ بِهَؤُلَاءِ أَنْسُ بْنُ النَّضْرِ وَقَدْ أَلْقَوْا مَا بِأَيْدِيهِمْ فَقَالَ: مَا تَنْتَظِرُونَ؟ فَقَالُوا: قُتِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: مَا تَصْنَعُونَ بِالْحَيَاةِ بَعْدَهُ؟ قَوْمُوا فَمُوتُوا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ رَسُولُ

(١) قَالَ الْأَرْنَؤُوطُ: إِسْنَادُهُ حَسَنٌ: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣/١٢٨)، وَأَبُو دَاوُدَ (٣١٣٦) الْجَنَائِزُ.

(٢) قَالَ الْأَرْنَؤُوطُ: سَنَدُهُ قَوِيٌّ: وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢/٨٤)، وَابْنُ مَاجَةَ (١٥٩١).

(٣) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَحَسَنَةُ الْأَلْبَانِيِّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ (٣٤٦٣).

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٠٤٧) - وَمُسْلِمٌ (كِتَابُ الْجِهَادِ).

الله. ثم قال: اللهم إني أعتذر إليك بما صنع هؤلاء - يعنى المسلمين - وأبرأ إليك بما صنع هؤلاء - يعنى المشركين - ثم تقدم فلقية سعد بن معاذ فقال أين يا أبا عمر؟ فقال أنس: واهأ لريح الجنة يا سعد إني أجده دون أحد... ثم مضى فقاتل القوم حتى قُتل فما عُرف حتى عرفته أخته بعد نهاية المعركة بينانه وبه بضع وثمانون ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم<sup>(١)</sup>.

### هكذا كان أصحاب النبي ﷺ

\* عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: «قال رجل يوم أحد: يا رسول الله إن قُتلت فأين أنا؟ قال: (فى الجنة)، فألقى تمرات فى يديه وقاتل حتى قُتل»<sup>(٢)</sup>.

قال الحافظ فى الفتح «وزعم ابن بشكوال أنه عمير بن الحمام، وسبقه إلى ذلك الخطيب، واحتج بما أخرجه مسلم من حديث أنس (أن عمير بن الحمام أخرج تمرات فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتى هذه إنها حياة طويلة، ثم قاتل حتى قُتل».

قلت: لكن وقع التصريح فى حديث أنس أن ذلك كان يوم بدر، والقصة التى فى الباب وقع التصريح فى حديث جابر أنها كانت يوم أحد، فالذى يظهر أنهما قصتان وقعتا لرجلين، والله أعلم، وفيه (الحديث) ما كان عليه الصحابة من حب نصر الإسلام، والرغبة فى الشهادة ابتغاء مرضاة الله<sup>(٣)</sup>.

### قصة استشهاد عبد الله بن حرام (والد جابر) - رضى الله عنهما.

فعن جابر رضى الله عنه قال: «لما حضر (أحد) دعانى أبى من الليل فقال: ما أرانى إلا مقتولاً فى أول من يُقتل من أصحاب النبى ﷺ، وإنى لا أتركُ بعدى أعزَّ علىَّ منك غير نفس رسول الله ﷺ، وإن علىَّ ديناً فاقض واستوص بأخواتك خيراً.. فأصبحنا فكان أول قتيل، ودُفن معه آخرُ فى قبر ثم لم تطب نفسى أن أتركه مع الآخر فاستخرجته بعد ستة أشهر فإذا هو كيوم وضعتُه هنيئاً غير أذنه»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخارى برقم (٤٠٤٨)، ومسلم فى كتاب الإمارة رقم (١٤٨/١٩٠٣).

(٢) أخرجه البخارى (٤٠٤٦) المغازى - ومسلم (١٨٩٩) الإمارة.

(٣) فتح البارى (٧/٣٥٤).

(٤) أخرجه البخارى (١٣٥١).



## الملائكة تظله بأجنحتها

وها هي ملائكة الرحمن (جلّ وعلاً) تتفاعل مع هذا الصحابي الجليل وتتنزل بأمر الملك (جلّ وعلاً) لتظله بأجنحتها بعد موته.

فعن جابر بن عبد الله قال: لما كان يوم أحد، جرى بأبي مسجى - مُعطى - وقد مُثّل به، قال: فأردت أن أرفع الثوب، فنهاني قومي، ثم أردت أن أرفع الثوب فنهاني قومي، فرفعه رسول الله ﷺ، أو أمر به فرفع. فسمع صوت باكية أو صائحة. فقال: «من هذه؟» فقالوا: بنت عمرو، أو أخت عمرو. فقال: «ولم تبكى؟ فما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رُفع»<sup>(١)</sup>.

وفى رواية أخرى عند مسلم قال ﷺ: «تبكيه أو لا تبكيه ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه».

قال الإمام النووي: قوله ﷺ: «فما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رُفع» قال القاضى: يحتمل أن ذلك لتزاحمهم عليه لبشارته بفضل الله ورضاه عنه وما أعد له من الكرامة عليه، ازدحموا عليه إكراماً له وفرحاً به أو أظلموه من حر الشمس لثلا يتغير ريحه أو جسمه... قوله: فقال رسول الله ﷺ: «تبكيه أو لا تبكيه ما زالت الملائكة تظله» معناه: سواء بكت عليه أم لا فما زالت الملائكة تظله أى فقد حصل له من الكرامة هذا وغيره فلا ينبغى البكاء على مثل هذا.. وفى هذا تسلية لها<sup>(٢)</sup>.

## الله يكلمه بغير حجاب

وها هي أعظم منقبة لهذا الصحابي الجليل الذى جمع الله له مناقب كثيرة.. ها هو بعد موته يكلمه ربه بغير حجاب.

فعن جابر بن عبد الله، قال: لما قُتل عبد الله بن عمرو بن حرّام، يوم أحد، قال رسول الله ﷺ: «يا جابر! ألا أخبرك ما قال الله - عز وجل - لأبيك؟» قلت: بلى، قال: «ما كَلَّمَ الله أحداً إلا من وراء حجاب، وكَلَّمَ أباك كفاحاً»<sup>(٣)</sup>، فقال: يا عبدى تمنّ علىّ

(١) أخرجه مسلم (٢٤٧١)، والنسائى (١٢-١١/٤).

(٢) مسلم بشرح النووي (٣٧/١٦ - ٣٩) بتصرف.

(٣) كفاحاً: أى مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول.. وهذا بعد موته أما قبله فلا.

أعطك، قال: يارب فأبلغ من ورائي»، فأنزل الله - عز وجل - هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسِنَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] (١).

وفى رواية: أن جابر قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا جابر أما علمت أن الله - عز وجل - أحيأ أباك فقال له: تَمَنَّ عَلَيَّ، فقال: أُرَدُّ إِلَى الدُّنْيَا فَأُقْتَلُ مَرَّةً أُخْرَى فَقَالَ: إِنِّي قَضَيْتُ الْحُكْمَ أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يَرْجِعُونَ» (٢).

\* والمرء يَحَارُّ من كرامة الشهيد على الله... إن أبا جابر لم يستشعر وحشة لفراق أولاده، ولم تَسْتَشْرِف نفسه للاطمئنان على فلذات كبده، بل تَطَلَّع للعودة إلى الدنيا كيما يذهل مرةً أُخْرَى عن أحبِّ شَيْءٍ فيها، ويتمشَّى بخطى ثابتة إلى ساحة القتال (٣).

### استشهد حنظلة (رضى الله عنه) فغسلته الملائكة

\* عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول عند قتل حنظلة بن أبي عامر بعد أن التقى هو وأبو سفيان بن الحارث حين علاه شداد بن الأسود بالسيف فقتله، فقال رسول الله ﷺ: «إن صاحبكم تغسله الملائكة فسألوا صاحبه عنه - زوجته - فقالت: إنه خرج لما سمع الهائعة وهو جنب، فقال رسول الله ﷺ: لذلك غسلته الملائكة» (٤).

\* وقال ﷺ: «رأيت الملائكة تغسل حمزة بن عبد المطلب وحنظلة بن الراهب» (٥).

### دخل الجنة.. وما صلى لله صلاة واحدة

\* عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: «إن عمرو بن أقيش كان له رباً فى الجاهلية، فكره أن يسلم حتى يأخذه فجاء يوم أحد، فقال: أين بنو عمى؟ قالوا: بأحد، قال: أين فلان قالوا: بأحد، قال: أين فلان؟ قالوا: بأحد. فلبس لأمته وركب فرسه، ثم توجه قبلهم فلما رآه المسلمون قالوا: إليك عنا يا عمرو، قال: إنى قد آمنت، فقاتل حتى جرح،

(١) أخرجه الترمذى (٣٠١٣) وصححه الحاكم (٢٠٤/٣) ووافقه الذهبى.

(٢) رواه أحمد (٣/٣٦١)، وقال العدوى فى فضائل الصحابة: هو صحيح لشواهد.

(٣) فى موكب الدعوة للشيخ محمد الغزالي (ص: ٥٣).

(٤) رواه الحاكم (٢٠٤/٣) وقال: هذا حديث على شرط مسلم ولم يُخرجاه وسكت عليه الذهبى. وقال

الشيخ مصطفى العدوى فى فضائل الصحابة: إسناده حسن.

(٥) رواه الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٤٦٣).

فحمل إلى أهله جريحاً، فجاء سعد بن معاذ، فقال لأخته: سليه: حمية لقومك، أو غضباً لهم، أم غضباً لله عز وجل، قال: بل غضباً لله - عز وجل - ورسوله، فمات فدخل الجنة وما صلى لله صلاة»<sup>(١)</sup>.

### استشهاد اليمان (والد حذيفة) - رضى الله عنهما -

\* وفى يوم أحد كان حذيفة يقاتل قتال من يبحث عن الشهادة ويشتاق إليها، وأما أبوه فقد استشهد يومئذ. قتله بعض الصحابة غلطاً، ولم يعرفه؛ لأن الجيش يختفون فى لأمة الحرب، ويسترون وجوههم؛ فإن لم يكن لهم علامة بيّنة، وإلا ربما قتل الأخ أخاه، ولا يشعر.

\* عن عائشة رضى الله عنها قالت: «لما كان يوم أحد هُزم المشركون، فصرخ إبليس لعنة الله عليه: أى عباد الله، أخراكم، فرجعت أولاهم فاجتلدت هى وأخراهم، فبصر حذيفة فإذا هو بأبيه اليمان فقال: أى عباد الله أبى أبى. قال: قالت: فوالله ما احتجزوا حتى قتلوه، فقال حذيفة: يغفر الله لكم، قال عروة: فوالله مازالت فى حذيفة بقية خير حتى لحق بالله»<sup>(٢)</sup>.

وعن محمود بن لبيد قال: لما خرج رسول الله ﷺ إلى أحد وقع اليمان بن جابر أبى حذيفة وثابت بن وقش بن زعوراء فى الآطام مع النساء والصبيان، فقال أحدهما لصاحبه وهما شيخان كبيران: لا أبأ لك ما ننتظر فوالله ما بقى لواحد منا من عمره إلا ظمأ حمار<sup>(٣)</sup>، إنما نحن هامة القوم<sup>(٤)</sup>، ألا نأخذ أسيفنا ثم نلحق برسول الله ﷺ، فدخلوا فى المسلمين ولا يعلمون بهما، فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون، وأما أبو حذيفة فاختلفت عليه أسياف المسلمين فقتلوه، ولا يعرفونه. فقال حذيفة: أبى أبى فقالوا: والله ما عرفناه، (وصدقوا). فقال حذيفة: يغفر الله لكم وهم أرحم الراحمين،

(١) رواه أبو داود وأحمد وقال الحافظ فى الإصابة (٥١٩/٢): هذا إسناد حسن.

(٢) أخرجه البخارى (٤٠٦٥) المغازى - والحاكم (٣٧٩/٣) فى المستدرک.

(٣) ظمء الحمار: الظمء: مقدار ما يكون بين الشربتين وأقصر الإظماء ظمء الحمار؛ لأنه لا يصبر عن الماء فضرب مثلاً بقرب الأجل.

(٤) الهامة: طائر يخرج من رأس القتل إذا قُتل «فزعموا» أنه لا يزال يصيح اسقونى - اسقونى - اسقونى - حتى يؤخذ بثأره فضرته العرب مثلاً للموت.

فأراد رسول الله ﷺ أن يديه - يعطيه اللدية - فتصدق به حذيفة على المسلمين، فزاده ذلك عند رسول الله ﷺ (١) (٢).

### استشهاد عبد الله بن جحش (رضى الله عنه)

\* عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه: «أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد ألا تدعو الله... فخلوا في ناحية فدعا سعد فقال: يارب إذا لقيت العدو، فلقني رجلاً شديداً بأسه، شديداً حرده، أقاتله ويقاتلني، ثم ارزقني الظفر عليه حتى أقتله، وأخذ سلبه، فأمن عبد الله بن جحش، ثم قال: اللهم ارزقني رجلاً شديداً حرده، شديداً بأسه، أقاتله فيك ويقاتلني، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني، فإذا لقيت غداً، قلت: من جدع أنفك وأذنك، فأقول: فيك وفي رسولك، فتقول صدقت: قال سعد: يا بني كانت دعوة عبد الله بن جحش خيراً من دعوتي، لقد رأيت آخر النهار وإن أنفه وأذنه لمعلقان في خيط» (٣).

وعن سعيد بن المسيب قال: قال عبد الله بن جحش: اللهم إنني أقسم عليك أن ألقى العدو غداً فيقتلونى ويجدعوا أنفى وأذنى ثم تسألنى بم ذلك فأقول فيك. قال سعيد بن المسيب: إنى لأرجو أن يبر الله آخر قسمه كما بر أوله (٤).

\* هذه صورة للرجولة الفارعة التى اصطدم بها الكفر أول المعركة وأخرها فماد

(١) قيل إن الذى قتله خطأ هو عتبة بن مسعود أخو عبد الله بن مسعود، وعتبة هو أول من سمي المصحف مصحفاً.

(٢) رواه الحاكم (٢٠٢/٣) معرفة الصحابة، وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وأخرج البخارى الجزء الأخير فى قتل اليمان فى صحيحه (٤١٨/٧) المغازى.

(٣) أخرجه البيهقى فى السنن (٢٤/٩) والدلائل (٢٥٠/٣)، وأبو نعيم فى الحلية: (١٠٩/١) والحاكم: ١٩٩/٣ - ٢٠٠، وقال صحيح على شرطهما لولا إرساله، ووافقه الذهبى وقال: صحيح مرسل وابن سعد: ٦٣/٣، وقال الهيثمى فى المجمع (٣٠١/٩ - ٣٠٢): رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح، وله شواهد متصلة من طريق إسحاق بن سعد بن أبى وقاص كما فى الإصابة ترجمة رقم: ٤٥٨٣، والبيهقى فى السنن الكبرى: ٣٠٧/٦ - ٣٠٨، والحاكم: ٧٦/٢ - ٧٧، وأبو نعيم فى الحلية (١٠٩/١)، وصححه الحاكم وأقره الذهبى موصولاً من حديث إسحاق بن سعد.

(٤) رواه الحاكم (٢٠٠ - ١٩٩/٣) معرفة الصحابة، وقال: صحيح على شرط الشيخين لولا إرسال فيه. ووافقه الذهبى. وقال الألبانى: لكن له شاهد موصول وأخرجه البغوى كما فى الإصابة من طريق إسحاق ابن سعد بن أبى وقاص: حدثنى أبى أن عبد الله بن جحش قال فذكره بنحوه وزاد فى آخره قال سعد: «فلقد رأيت آخر النهار وإن أنفه وأذنه معلقتان فى خيط».

أمامها، واضطربت من تحت أقدامه الأرض، فما ربح شيئاً في بداية القتال، ولا انتفع بما ربح آخره.

وهذا اللون من البطولة مدفون تحت جدران التاريخ الإسلامي القائم إلى اليوم، وما يقوم للإسلام صرح، ولا ينكشف عنه طغيان، إلا بهذه القوى المذخورة المضغوطة في أفئدة الصديقين والشهداء..

من سر هذا الإلهام؟ من مشرق هذا الضياء؟

إنه محمد ﷺ، إنه هو الذي ربي ذلك الجليل الفذ، ومن قلبه الكبير أترعت هذه القلوب، تفانياً في الله، وإيثاراً لما عنده<sup>(١)</sup>.

### عمرو بن الجموح يظاً برجله في الجنة

لقد كان - رضى الله عنه - أعرج شديد العرج، وكان له أربعة أبناء شباب يغزون مع رسول الله ﷺ، فلما توجه إلى أحد أراد أن يخرج معهم فقال له بنوه: إن الله جعل لك رخصة فلو قعدت ونحن نكفيك، وقد وضع الله عنك الجهاد فأتى عمرو رسول الله ﷺ فقال: إن بنى هؤلاء يمنعونني أن أجاهد معك، ووالله إنى لأرجو أن أستشهد، فأطأ بمرجتي في الجنة. فقال له رسول الله ﷺ: «أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد» وقال لنيه: «وما عليكم أن تدعوه، لعل الله عز وجل أن يرزقه الشهادة» فخرج مع رسول الله ﷺ، فقتل يوم أحد شهيداً<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية: أنه «أتى عمرو بن الجموح إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! أرأيت إن قاتلتُ في سبيل الله حتى أقتل، أأمشى برجلي هذه صحيحة في الجنة؟ وكان رجله عرجاء، فقال رسول الله ﷺ: «نعم». فقتل يوم أحد هو وابن أخيه ومولى له. فمر رسول الله ﷺ، فقال: «كأنى أظن إليك تمشى برجلك هذه صحيحة في الجنة». فأمر رسول الله ﷺ بهما وبمولاهما فجعلوا في قبر واحد<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ٣٠١: ٣٠٢).

(٢) رواه ابن هشام (١٣٩/٢) عن ابن إسحاق، وبعضه في المسند (٥/٢٩٩) من حديث أبي قتادة، وصحح الألباني إسناده في تحقيق فقه السيرة. هامش (٢٨١).

(٣) قال الحافظ في الفتح (٣/١٧٣): سنده حسن - رواه أحمد (٥/٢٩٩).

### «سعد بن الربيع... ووصيته الغالية للأنصار»

قال زيد بن ثابت: بعثنى رسول الله ﷺ يوم أُحد أطلب (سعد بن الربيع) فقال لى: «إن رأيته فأقرئه منى السلام، وقل له: يقول لك رسول الله ﷺ كيف تجدك؟» قال: فجعلت أطوف بين القتلى، فأتيته وهو بأخر رمق، وفيه سبعون ضربة: ما بين طعنة برمخ، وضربة بسيف، ورمية بسهم، فقلت: يا سعد، إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام، ويقول لك: «أخبرنى كيف تجدك؟» فقال: وعلى رسول الله ﷺ السلام، قل له: يا رسول الله أجد ريح الجنة، وقل لقومى الأنصار: لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله ﷺ مكرهه وفيكم عينٌ تطرف. وفاضت نفسه من وقته (١).

### مصعب بن عمير.. والشهادة فى سبيل الله

قال ابن اسحق: وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله ﷺ حتى قُتل، قتله ابن قمئة الليثى، وهو يظنه رسول الله فرجع إلى قريش فقال: قتلت محمداً (٢).  
 \* وقال خباب بن الأرت: هاجرنا مع النبى ﷺ نريد وجه الله فوق أجرتنا على الله فمننا من مضى لم يأخذ من أجره شيئاً منهم مصعب بن عمير، قُتل يوم أُحد وترك نمرَةً فكنا إذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا رجليه بدا رأسه ونجعل على رجليه شيئاً من إذخر، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها (٣).  
 وظل أصحاب الحبيب ﷺ يذكرون مصعباً فى كل وقت ولم يغب وجهه عنهم لحظة واحدة.

فهذا عبد الرحمن بن عوف - رضى الله عنه - أتى بطعام - وكان صائماً - فقال: قُتل مصعب بن عمير - وهو خير منى - كُفِّن فى بُردة إن غُطى رأسه بدت رجلاه، وإن غُطى رجلاه بدا رأسه، وأراه قال: وقُتل حمزة - وهو خير منى - ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط أو قال: أُعطينا من الدنيا ما أُعطينا - وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا - ثم جعل يبيكى حتى ترك الطعام (٤).

(١) رواه ابن هشام (٩٤/٢ - ٩٥) والحاكم (٢٠١/٣) وصححه ووافقه الذهبى.

(٢) رواه ابن هشام (٧٣/٢)، ابن سعد (٨٥/١/٣) وانظر سير أعلام النبلاء (١٤٨/١).

(٣) أخرجه البخارى (٣٨٩٧) ومسلم (٩٤٠).

(٤) أخرجه البخارى (١٢٧٥).

\* وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: «إن رسول الله ﷺ حين انصرف من أحد مرَّ على مصعب بن عمير وهو مقتول على طريقه، فوقف عليه، ودعا له، ثم قرأ هذه الآية ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾ [الأحزاب: ٢٣]. ثم قال رسول الله ﷺ: (أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة، فاتوهم وزوروهم... والذى نفسى بيده لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه)<sup>(١)</sup>.

### قصة قزمان

\* عن سهل بن سعد الساعدي رضى الله عنه قال: «إن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون فاقتتلوا، فلما مال رسول الله ﷺ إلى عسكره، ومال الآخرون إلى عسكرهم - وفي أصحاب رسول الله ﷺ رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذة<sup>(٢)</sup> إلا اتبعها يضربها بسيفه - فقيل: ما أجزأنا اليوم أحد كما أجزأ فلان، فقال رسول الله ﷺ: (أما إنه من أهل النار)، فقال رجل من القوم: أنا صاحبه. قال فخرج معه كلما وقف وقف معه، وإذا أسرع أسرع معه، قال: فجرح الرجل جرحاً شديداً، فاستعجل الموت فوضع سيفه بالأرض وذبابه بين ثديه، ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه، فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله، قال: (وما ذلك؟).

قال: الرجل الذى ذكرت آنفاً أنه من أهل النار فأعظم الناس ذلك. فقلت: أنا لكم به، فخرجت فى طلبه، ثم جرح جرحاً شديداً فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه فى الأرض وذبابه<sup>(٣)</sup> بين ثديه، ثم تحامل عليه<sup>(٤)</sup> فقتل نفسه، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: (إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة)<sup>(٥)</sup>.<sup>(٦)</sup>

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرک: ٣/٢٠٠، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى.

(٢) لا يدع لهم شاذة ولا فاذة: شجاع لا يستطيع أحد أن يلقاه.

(٣) ذبابه: رأسه.

(٤) تحامل عليه: اتكأ عليه.

(٥) أخرجه البخارى فى المغازى باب غزوة خيبر رقم: ٤٢٠٢، ومسلم فى الإيمان باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه رقم: ١١٢ وفى رواية عند مسلم وقع أن الغزوة «حنين» وفى رواية أخرى أبهمت وأخرجه أحمد فى المسند: ٤/١٣٥، وفيه أن الغزوة هى خيبر.

(٦) وقد جاء عند ابن هشام فى سيرته التصريح بأن هذا الرجل هو قزمان، وأنه قتل نفسه يوم أحد، كما ورد =

## أبو سفيان يتفاخر على المسلمين بعد المعركة

ولما انقضت الحرب أشرف (أبو سفيان) على الجبل ونادى: أفى القوم محمد؟ أفى القوم محمد؟ أفى القوم محمد؟ ثلاثاً، فنهاهم رسول الله ﷺ أن يجيبوه، ثم قال: أفى القوم ابن أبي قحافة؟ أفى القوم ابن أبي قحافة؟ أفى القوم ابن الخطاب؟ أفى القوم ابن الخطاب؟ ثم أقبل على أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قُتلوا وقد كفيتموهم، فما ملك عمر نفسه أن قال: كذبت والله يا عدو الله إن الذين عددت لأحياء كلهم، وقد بقي لك ما يسوؤك، فقال - يعنى أبو سفيان - : يوم بيوم بدر والحرب سجال، إنكم ستجدون فى القوم مثله لم أمر بها، ولم تسؤنى ثم أخذ يرتجز: أعل هبل. أعل هبل.

فقال رسول الله ﷺ: (ألا تحبونهم؟) قالوا: يا رسول الله ما نقول؟ قال: (قولوا الله أعلى وأجل)، قال - يعنى أبو سفيان - : إن العزى لنا ولا عزى لكم، فقال رسول الله ﷺ: (ألا تحبونهم؟) قالوا: يا رسول الله وما نقول؟ قال: (قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم)<sup>(١)</sup>.

\* وفى رواية أنه قال: أين ابن أبى كبشة؟ (يقصد النبى ﷺ) ... أين ابن أبى قحافة؟ أين ابن الخطاب؟ فقال عمر: هذا رسول الله ﷺ، وهذا أبو بكر، وهذا أنا عمر. قال: فقال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، الأيام دول وإن الحرب سجال<sup>(٢)</sup> قال: فقال عمر: لا

= من طريق ابن إسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة والإسناد حسن ورجاله ثقات، إلا أنه مرسل وهو يعتد به كشاهد للمتابعة والله أعلم [السيرة لابن هشام (٢/٨٨)].

وقال الحافظ فى الفتح «جزم ابن الجوزى فى مشكلة بأن القصة التى حكاها سهل بن سعد وقعت بأحد، قال: واسم الرجل قزمان الظفرى، وكان قد تخلف عن المسلمين يوم أحد فغيرته النساء، فخرج حتى صار فى الصف الأول، فكان أول من رمى بسهم، ثم صار إلى السيف ففعل العجائب، فلما انكشف المسلمون كسر جفن سيفه وجعل يقول: الموت أحسن من الفرار، فمر به قتادة بن النعمان فقال له: هنيئاً لك الشهادة، قال: والله إنى ما قاتلت على دين، وإنما قاتلت على حسب قومي، ثم ألقته الجراحة فقتل نفسه». وعقب الحافظ على ذلك بقوله: «قلت وهذا الذى نقله أخذه من مغازى الواقدي، وهو لا يحتاج به إذا انفرد فكيف إذا خالف» [فتح البارى (٧/٤٧٣)].

قلت: وقد سبق من طريق ابن إسحاق عند ابن هشام التصريح بأنه قزمان وبأنه قتل نفسه يوم أحد، وقول الحافظ لا يعارض ذلك المروى خاصة وأنه مرسل وإسناده ثقات، فالظاهر هو كما قال ابن الجوزى وابن إسحاق إمام أهل السير والله أعلم» [صحيح السيرة النبوية (ص: ٣٠١)].

(١) أخرجه البخارى (٤٣/٤٠) المغارى - وأحمد (٤/٢٩٣).

(٢) سجال: أى مرة لنا ومرة علينا.



سواء، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار، قال: إنكم لتزعمون ذلك، لقد خبنا إذاً وخسرنا<sup>(١)</sup>.

### النبي ﷺ يتثبت من عودة المشركين إلى مكة

ولما انقضت الحرب، انكفأ المشركون، فظنَّ المسلمون أنهم قصدوا المدينة لإحراز الذراري والأموال، فشَقَّ ذلك عليهم، فقال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «أخْرَجُ فِي آثَارِ الْقَوْمِ فَنَنْظُرُ مَاذَا يَصْنَعُونَ وَمَاذَا يُرِيدُونَ، فَإِنْ هُمْ جَنَّبُوا الْخَيْلَ وَامْتَطَوْا الْإِبِلَ، فَإِنَّهُمْ يُرِيدُونَ مَكَّةَ، وَإِنْ رَكَبُوا الْخَيْلَ وَسَاقُوا الْإِبِلَ فَإِنَّهُمْ يُرِيدُونَ الْمَدِينَةَ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ أَرَادُوهَا، لَأَسِيرَنَّ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ لَأَنَاجِزَنَّهُمْ فِيهَا». قال علي: فخرجتُ في آثارهم أنظر ماذا يصنعون، فجنبوا الخيل، وامتطوا الإبل، ووجهوا إلى مكة، ولما عزموا على الرجوع إلى مكة، أشرف على المسلمين أبو سفيان، ثم ناداهم: موعِدُكُمْ الْمَوْسِمُ بيدر، فقال النبي ﷺ: «قولوا: نَعَمْ قَدْ فَعَلْنَا» قال أبو سفيان: «فَدَلِكُمُ الْمَوْعِدُ» ثم انصرف هو وأصحابه<sup>(٢)</sup>.

### صلاة النبي ﷺ على شهداء أحد

عن جابر بن عبد الله: لما كان يوم أحد جاءت عمتي بأبي لتدفنه في مقابرنا، فنادى منادى رسول الله ﷺ: ردوا القتلى إلى مضاجعهم<sup>(٣)</sup>. وكان رسول الله ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول: «أيهم أكثر أخذًا للقرآن» فإن أشير إلى أحدهما قدمه في اللحد، وقال: «أنا شهيد على هؤلاء، وأمر بدفنتهم بدمائهم، ولم يصل عليهم ولم يُغسلهم»<sup>(٤)</sup>.<sup>(٥)</sup>

(١) أخرجه أحمد في المسند: (٢٨٧/١، ٢٨٨) ٤٦٣، والحاكم في المستدرک: (٢/٢٩٦، ٢٩٧) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) زاد المعاد (٣/٢٤١).

(٣) رواه أحمد (٣/٣٩٨) بطوله ومختصراً في (٣/٣٠٨)، والنسائي (٤/٧٩) مختصراً في الجنائز، وابن ماجه (١٥١٦) الجنائز، وصححه الألباني.

(٤) رواه البخاري (٧/٤٣٣) المغازي، والترمذي (٤/٢٥٣) الجنائز.

(٥) قال الحافظ ابن حجر: قوله فيه (ولم يصل عليهم) تقدم الكلام عليه في الجنائز، وقد أجاب بعض الحنفية عنه بأنه ناف وغيره مثبت. وأجيب بأن الإثبات مقدم على النفي غير المحصور، وأما نفي الشيء المحصور إذا كان راويه حافظاً فإنه يترجح على الإثبات إذا كان راويه ضعيفاً كالحديث الذي فيه إثبات الصلاة =

\* وعن عقبه بن عامر رضى الله عنه قال: «صلى رسول الله ﷺ على قتلى أحد بعد ثمانى سنين كالمودع للأحياء والأموات، ثم طلع المنبر فقال: (إنى بين أيديكم فرط، وأنا عليكم شهيد، وإن موعدكم الحوض، وإنى لأنظر إليه من مقامى هذا، وإنى لست أخشى عليكم أن تشركوا، ولكنى أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها)، قال: فكانت آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ» (١). (٢)

وقد وردت الأحاديث والسنن الصحيحة عن رسول الله ﷺ تدل على الصلاة على الشهداء، أورد بعضها هنا:

\* عن شداد بن الهاد رضى الله عنه أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ فأمن به واتبعه، ثم قال: أهاجر معك، فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه، فلما كانت غزوة غنم النبي ﷺ سبياً فقسّم، وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوا إليه، فقال: ما هذا؟ قال: قَسَمْتُ قسمه لك النبي ﷺ .

فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ فقال: ما هذا؟ قال: «قسمته لك». قال: ما على هذا اتبعتك، ولكن اتبعتك على أن أرمى ها هنا - وأشار إلى حلقه - بسهم فأموت فأدخل الجنة، فقال: «إن تصدق الله يصدقك».

فلبثوا قليلاً ثم نهضوا فى قتال العدو، فأتى به النبي ﷺ يُحملُ قد أصاب السهم حيث أشار، فقال النبي ﷺ: «أهو هو؟» قالوا: نعم. قال: «صدق الله فصدقه». ثم كَفَنَهُ النبي ﷺ فى جُبة النبي ﷺ ، ثم قدّمه فصلى عليه، فكان فيما ظهر من

= على الشهيد، وعلى تقدير التسليم فالأحاديث التى فيها ذلك إنما هى قصة حمزة فيحتمل أن يكون ذلك مما خص به حمزة من الفضل. وأجيب بأن الخصائص لا تثبت بالاحتمال. ويجب بأنه يوقف الاستدلال. قالوا: ويمكن الجمع بأنه لم يصل عليهم ذلك اليوم كما قال جابر ثم صلى عليهم ثانى يوم كما قال غيره [فتح البارى (٧/٤٣٥)].

(١) أخرجه البخارى (١٣٤٤) الجنائز مومسلم (٢٢٩٦) الفضائل.

(٢) قال الماوردى عن أحمد: الصلاة على الشهيد أجود، وإن لم يصلوا عليه أجزأ، وقال الطحاوى: «معنى صلاته ﷺ عليهم لا يخلو من ثلاثة معان: إما أن يكون ناسخاً لما تقدم من ترك الصلاة عليهم، أو يكون من سنتهم أن لا يصلوا عليهم إلا بعد هذه المدة المذكورة، أو تكون الصلاة عليهم جائزة بخلاف غيرهم فإنها واجبة، وأبها كان فقد ثبت بصلاته عليهم الصلاة على الشهداء، ثم كان الكلام بين المختلفين فى عصرنا، إنما هو فى الصلاة عليهم قبل دفنهم، وإذا ثبتت الصلاة عليهم بعد الدفن كانت قبل الدفن أولى» انتهى [فتح البارى (٣/٢١٠-٢١١)].

صلاته: «اللهم هذا عبدك. خرج مهاجرًا، فقتل شهيدًا، أنا شهيد على ذلك»<sup>(١)</sup>.

\* وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «لما كان يوم أحد مر رسول الله ﷺ بحمزة ابن عبد المطلب وقد جُدع ومثّل به، فقال: لولا أن تجد صفة في نفسها تركته حتى تأكله العافية<sup>(٢)</sup>، حتى يحشره الله من بطون الطير والسباع، فكفنه في نمره، وكانت إذا خُمرت رأسه بدت رجلاه وإذا خُمرت رجلاه بدا رأسه، فخمر رأسه، ولم يُصلّ على أحد من الشهداء غيره»<sup>(٣)</sup>.

\* وعن عبد الله بن الزبير قال: «أن رسول الله ﷺ أمر يوم أحد بحمزة فسُجّي ببرد، ثم صلى عليه، فكبر تسع تكبيرات، ثم أتى بالقتلى يُصفون، ويصلى عليهم، وعليه معهم»<sup>(٤)</sup>.

\* قال ابن القيم: «والصواب في المسألة أنه مخير بين الصلاة عليهم وتركها، لمجىء الآثار بكل واحد من الأمرين، وهذا إحدى الروايات عن الإمام أحمد، وهو الأليق بأصوله ومذهبه»<sup>(٥)</sup>.

### عدد الشهداء من الصحابة (رضى الله عنهم)

\* عن أبي بن كعب رضى الله عنه قال: «إنه أصيب من الأنصار يوم أحد أربعة وستون، وأصيب من المهاجرين ستة فيهم حمزة، فمثلوا بقتلاهم فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوماً من الدهر لنربين عليهم - أى لنزيدن عليهم فى التمثيل بهم -، فلما كان يوم فتح مكة، نادى رجل لا يعرف: لا قريش بعد اليوم، (مرتين) فأنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦] فقال النبي ﷺ: (كفوا عن القوم)<sup>(٦)</sup>.

\* وعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال: «جعل رسول الله ﷺ على الرماة يوم

(١) رواه النسائي (٤/٦١٤٦٠) إجماعًا، وصححه الألباني فى صحيح سنن النسائي (١٨٤٥).

(٢) العافية: السباع والطيور التى تقع على الجيف فتأكلها.

(٣) رواه أبو داود (٣١٣٧) والحاكم (١/٣٦٥) وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى.

(٤) أخرجه الطحاوى فى شرح معانى الآثار: (١/٥٠٣) وإسناده حسن رجاله كلهم ثقات وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث.

(٥) تهذيب السنن (٤/٢٩٥).

(٦) رواه الترمذى (٣١٢٩) والحاكم (٢/٣٥٩، ٤٤٦) وقال فى الموضعين: صحيح الإسناد ووافقه الذهبى.

أحد.. (فذكر الحديث) إلى أن قال: فأصابوا منا سبعين، وكان رسول الله ﷺ وأصحابه قد أصابوا من المشركين، أراه قال: يوم بدر أربعين ومائة: سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً<sup>(١)</sup>.

### بل أحياء عند ربهم يُرزقون

\* عن ابن مسعود رضى الله عنه. قال مسروق: سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، قال: أما إنا سألنا عن ذلك فقال: (أرواحهم كطير خُضر تسرح في أيها شاءت، ثم تأوى إلى قناديل معلقة بالعرش، قال: فبينما هم كذلك، إذ اطلع عليهم ربهم اطلاعة، فقال: سلوني ما شئتم؟! فقالوا: يا ربنا! وما نسألك، ونحن نسرح في الجنة في أيها شئنا، فلما رأوا أن لا يُتركوا من أن يُسألوا، قالوا: نسألك أن تردّ أرواحنا إلى أجسادنا في الدنيا، حتى نُقتل في سبيلك، قال: فلما رأى أنهم لا يسألون إلا هذا تركوا<sup>(٢)</sup>.

\* وعن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ «لما أُصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خُضر تردُّ أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أننا أحياء في الجنة نرزق لئلا ينكلوا عند الحرب ولا يزهدوا في الجهاد، قال الله: أنا أبلغهم عنكم. فأنزلت ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ [آل عمران: ١٦٩]<sup>(٣)</sup>.

### دفن الشهداء وتقديم الأحفظ للقرآن

\* عن هشام بن عامر رضى الله عنه قال: شكى إلى رسول الله ﷺ الجراحات يوم أُحد فقال: (احفروا وأوسعوا وأحسنوا وادفنوا الاثنين والثلاثة في قبر واحد، وقدموا أكثرهم قرآناً) فمات أبي فقدم بين رجلين<sup>(٤)</sup>.

\* وعن أنس رضى الله عنه قال: «وكثر القتلى وقلت الثياب، قال: وكان يجمع الثلاثة والاثنين في قبر واحد، ويسأل أيهم أكثر قرآناً فيقدم في اللحد، وكفن الرجلين

(١) أخرجه البخارى (٤٠٤٣) المغازى - وأحمد (٢٩٣/٤).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٨٧) الإمارة - والترمذى (٣٠١١).

(٣) رواه أبو داود (٢٥٢٠) والحاكم (٨٨/٢) وقال الأرئوط: رجاله ثقات.

(٤) رواه الترمذى (٧١٣) وأبو داود (٣٢١٥) بإسناد صحيح.

والثلاثة في الثوب الواحد»<sup>(١)</sup>.

\* وعن جابر بن عبد الله (رضى الله عنهما) قال: «إن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد، ثم يقول: (أيهم أكثر أخذًا للقرآن؟) فإذا أشير له إلى أحد قدمه في اللحد، وقال: (أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة) وأمر بدفنهم بدمائهم، ولم يُصلِّ عليهم ولم يُفسلوا»<sup>(٢)</sup>.

\* وكان النبي ﷺ إذا ذكر شهداء أحد يتمنى هذه الأمنية... فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ إذا ذكر أصحاب أحد قال: (والله لو ددت أنى غودرت مع أصحاب فحص الجبل)<sup>(٣)</sup> يقول: قُتلت معهم ﷺ»<sup>(٤)</sup>.

### النبي ﷺ يثنى على الله (عز وجل)

\* عن عبید الله بن رفاعة الزرقى رضى الله عنه قال: لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون قال رسول الله ﷺ: (استووا حتى أثنى على ربي، فصاروا خلفه صفوفًا فقال: اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسماً لما قبضت، ولا هادى لما أضللت، ولا مضل لمن هديت، ولا معطى لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما باعدت، ولا مبعد لما قربت، اللهم ابسط علينا من بركاتك، ورحمتك، وفضلك، ورزقك، اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذى لا يحول ولا يزول، اللهم إني أسألك النعيم يوم العيلة، والأمن يوم الخوف، اللهم عائدك من شر ما أعطيتنا، وشر ما منعت منا، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه فى قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين، اللهم توفنا مسلمين، وأحينا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك، ويصدون عن سبيلك، واجعل عليهم رجزك وعذابك، اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب، إله الحق)<sup>(٥)</sup>.

\* وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «إن رسول الله ﷺ كان يقول يوم أحد

(١) رواه أبو داود (٣١٣٧) وأحمد (١٢٨/٣) والحاكم (٣٦٥/١) وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه البخارى (١٣٤٣) الجناز.

(٣) فحص الجبل: أسفل الجبل.

(٤) أخرجه أحمد فى المسند (٣٧٥/٣) وفى سيرة ابن كثير: (٨٩/٣) وقال الهيثمى فى المجمع: (١٢٣/٦)

رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع فالحديث بذلك صحيح.

(٥) قال الهيثمى فى المجمع (١٢١/٦): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

اللهم إنك إن تشأ لا تعبد في الأرض»<sup>(١)</sup>.

### هذا جبل يحبنا ونحبه

وفى طريق العودة يمر النبي ﷺ وأصحابه بجوار جبل أحد فيخبر النبي ﷺ أصحابه بأن هذا الجبل يحبهم وأنهم يحبونه.

\* عن أنس رضى الله عنه قال: «أن رسول الله ﷺ طلع له أحد فقال: (هذا جبل يحبنا ونحبه، اللهم إن إبراهيم حرم مكة، وإنى حرمت ما بين لابتيتها)<sup>(٢)</sup> - المدينة -».

### من نوادر الحب والتضحية

ولما فرغ رسول الله ﷺ من دفن الشهداء والثناء على الله والتضرع إليه، انصرف راجعاً إلى المدينة، وقد ظهرت له نوادر الحب والتفاني من المؤمنين الصادقات، كما ظهرت من المؤمنين فى أثناء المعركة.

\* عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال: «مر رسول الله ﷺ بامرأة من بنى ديار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد، فلما نعو لها، قالت: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيراً يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين قالت: أرونيه حتى أنظر إليه؟، قال: فأشير لها إليه، حتى إذا رآته، قالت: كل مصيبة بعدك جليل! تريد صغيرة»<sup>(٣)</sup>.

### النبي ﷺ يشهد لهؤلاء شهادة غالية

\* عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «جاء (على) رضى الله عنه بسيفه يوم أحد قد انحنى، فقال لفاطمة رضى الله عنها: هاكى السيف حميداً، فإنها قد شفتنى فقال رسول الله ﷺ: (لئن كنت أجدت الضرب بسيفك، لقد أجاده سهل بن حنيف، وأبو دجانة، وعاصم بن ثابت بن الأقلح، والحارث بن الصمة)<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (١٧٤٣) الجهاد والسير.

(٢) أخرجه البخارى (٤٠٨٤) المغازى - ومسلم (١٣٦٥) الحج.

(٣) ابن هشام فى السيرة (٩٩/٢) والبيهقى فى الدلائل: (٣٠٢/٣) والطبرى فى تاريخه: (٥٣٣/٢) بسند

ابن إسحاق إلى سعد بن أبى وقاص وسنده حسن وقد صرح بالتحديث فزالت شبهة تدليسه.

(٤) أخرجه الحاكم فى المستدرک: (٢٤/٣) وقال صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه ووافقه الذهبى

وقال الهيمى فى المجمع: (١٢٣/٦) رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح.

## غزوة حمراء الأسد

لما عاد أبو سفيان وأصحابه نظر بعضهم إلى بعض وتلاوموا فيما بينهم وقال بعضهم لبعض: لم تصنعوا شيئاً، أصبتم شوكتهم وهدمتم، تم تركتموهم، وقد بقي منهم رؤوسٌ يجمعون لكم، فارجعوا حتى نستأصل شأفتهم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فنادى في الناس، وندبهم إلى المسير إلى لقاء عدوهم، وقال: «لَا يَخْرُجُ مَعَنَا إِلَّا مَنْ شَهِدَ الْقِتَالَ»، فقال له عبد الله بن أبي: أركبُ معك؟ قال: «لا، فاستجاب له المسلمون على ما بهم من القرح الشديد والخوف، وقالوا: سمعاً وطاعةً. واستأذنه جابر بن عبد الله، وقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي أَحِبُّ أَلَّا تَشْهَدَ مَشْهَدًا إِلَّا كُنْتُ مَعَكَ، وَإِنَّمَا خَلَفْنِي أَبِي عَلَى بَنَاتِهِ، فَأَذَنْ لِي أَسِيرُ مَعَكَ، فَأَذَنْ لَهُ، فَسَارَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ حَتَّى بَلَغُوا حَمْرَاءَ الْأَسَدِ»<sup>(١)</sup>، وأقبل معبد بن أبي معبد الخزاعي إلى رسول الله ﷺ، فأسلم، فأمره أن يلحق بأبي سفيان، فيخذه، فلحقه بالروحاء، ولم يعلم بإسلامه، فقال: ما وراءك يا معبد؟ فقال: محمدٌ وأصحابه، قد تحرقوا عليكم، وخرجوا في جمع لم يخرجوا في مثله. وقد ندم من كان تخلف عنهم من أصحابهم... فقال: ما تقول؟ فقال: ما أرى أن ترتحل حتى يطلع أول الجيش من وراء هذه الأكمة. فقال أبو سفيان: والله لقد أجمعنا الكفرة عليهم لنستأصلهم. قال: فلا تفعل، فإنني لك ناصح، فرجعوا على أعقابهم إلى مكة، ولقى أبو سفيان بعض المشركين يريد المدينة، فقال: هل لك أن تبلي محمدًا رسالة، وأوقر لك راحلتك زيبًا إذا أتيت إلى مكة؟ قال: نعم. قال: أبلغ محمدًا أنا قد أجمعنا الكفرة لنستأصله ونستأصل أصحابه، فلما بلغهم قوله، قالوا: ﴿حَسْبِنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾<sup>(٢)</sup> فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوءٌ واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم. [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤] (٢).

\*\*\*

(١) موضع على ثمانية أميال من المدينة عن يسار الطريق إذا أردت ذا الحليفة.

(٢) انظر الدر المنثور (٢/١٠١، ١٠٣) وشرح المواهب (٢/٥٩، ٦٤) وزاد المعاد (٣/٢٤١، ٢٤٢).

## شبهة... والرد عليها

\* عن عروة بن الزبير (رضى الله عنها) أن عائشة (رضى الله عنها) قالت له: يا ابن أختي! كان أبوك - يعنى الزبير وأبا بكر - من ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ [آل عمران: ١٧٢].

لما انصرف المشركون من أحد، وأصاب النبي ﷺ وأصحابه ما أصابهم، خاف أن يرجعوا، فقال: من يتدب لهؤلاء فى آثارهم، حتى يعلموا أن بنا قوة، فانتدب أبو بكر والزبير فى سبعين، فخرجوا فى آثار المشركين، فسمعوا بهم، فانصرفوا، قال تعالى: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَقَضِيَ لَهُمْ سُنُوءُهُمْ سَوْءٌ﴾ الآية [آل عمران: ١٧٤] لم يلقوا عدواً<sup>(١)</sup>.

\* قال الحافظ ابن كثير عقب ذكر هذا الحديث: «وهذا السياق غريب جداً، فإن المشهور عند أصحاب المغازى أن الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد كل من شهد أحد، وكانوا سبعمائة قُتل منهم سبعون وبقي الباقيون»<sup>(٢)</sup>. وقال الشامى: «والظاهر أنه لا تخالف بين قولى عائشة وأصحاب المغازى، لأن معنى قولها فانتدب لها سبعون أنهم سبقوا غيرهم، ثم تلاحق الباقيون»<sup>(٣)</sup>.

## الاحكام الفقهية التى اشتملت عليها الغزوة

ولقد أورد الإمام القيم (ابن القيم) فى كتابه القيم (زاد المعاد) كلاماً قيماً عن بعض الأحكام الفقهية التى اشتملت عليها غزوة أحد فكان منها:

\* أن الجهاد يلزم بالشروع فيه، حتى إن من لبس لأمته وشرع فى أسبابه، وتأهب للخروج، ليس له أن يرجع عن الخروج حتى يُقاتل عدوه.

\* ومنها: أنه لا يجب على المسلمين إذا طرقتهم عدوهم فى ديارهم الخروج إليه، بل يجوز لهم أن يلزموا ديارهم، ويُقاتلوهم فيها إذا كان ذلك أنصر لهم على عدوهم، كما أشار به رسول الله ﷺ عليهم يوم أحد.

(١) أخرجه البخارى (٤٠٧٧) المغازى.

(٢) سيرة ابن كثير (١٠١/٣).

(٣) زاد المعاد (٢٤٣/٣).



ومنها: جوازُ سُلُوكِ الإمامِ بالعسكرِ في بعضِ أملاكِ رعيتهِ إذا صادفَ ذلكَ طريقه، وإن لم يرضَ المالكُ.

ومنها: أنه لا يأذنُ لمن لا يطيقُ القتالَ من الصبيانِ غيرِ البالغين، بل يردُّهم إذا خرجوا، كما رد رسولُ الله ﷺ ابنَ عمرٍ ومن معه.

ومنها: جوازُ الغزوِ بالنساءِ، والاستعانةُ بهنَّ في الجهادِ.

ومنها: جوازُ الانغماسِ في العدو، كما انغمسَ أنسُ بنُ النضرِ وغيره.

ومنها: أن الإمامَ إذا أصابته جراحةٌ صلى بهم قاعداً، وصلوا وراءه قعوداً، كما فعلَ رسولُ الله ﷺ في هذه الغزوة، واستمرت على ذلك سنته إلى حين وفاته<sup>(١)</sup>.

ومنها: جوازُ دعاءِ الرجل أن يُقتل في سبيلِ الله، وتمنيهِ ذلك، وليس هذا من تمنى الموت المنهي عنه.

ومنها: أن السنة في الشهداء أن يُدفنوا في مصارعهم ولا يُنقلوا إلى مكانٍ آخر.

ومنها: جوازُ دفنِ الرجلين أو الثلاثة في القبر الواحد.

ومنها: أن من عذره الله في التخلف عن الجهاد لمرضٍ أو عرج، يجوز له الخروجُ إليه، وإن لم يجب عليه، كما خرج عمرو بن الجموح، وهو أعرج.

ومنها: أن المسلمين إذا قتلوا واحداً منهم في الجهاد يظنونُه كافرًا، فعلى الإمام ديتُه من بيت المال، لأن رسولَ الله ﷺ أراد أن يديَ اليمانَ أبا حذيفة، فامتنع حذيفةٌ من أخذِ الدية، وتصدقَ بها على المسلمين<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) وهو مذهب أسيد بن حضير، وجابر بن عبد الله، وأبي هريرة، وبه قال الأوزاعي وأحمد وحماد بن زيد، وإسحاق وابن المنذر، وقال مالك في إحدى روايته: لا تصح صلاة القادر على القيام خلف القاعد، وهو قول محمد بن الحسن، وقال الثوري والشافعي وأصحاب الرأي: يصلون خلفه قيامًا. انظر «المغنى» (٢/٢٢٠، ٢٢١) لابن قدامة، و«المحلى» (٣/٥٩) ونيل الأوطار (٣/١٥٩).

(٢) زاد المعاد (٣/٢١١: ٢١٨) بتصرف.

## الحكم والغايات المحمودة التي كانت في غزوة أحد

وقد أشار الله - سبحانه وتعالى - إلى أمهاتها وأصولها في سورة (آل عمران) حيث افتتح القصة بقوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران: ١٢١]، إلى تمام ستين آية.

فمنها: تعريفهم سوء عاقبة المعصية، والفشل، والتنازع، وأن الذي أصابهم إنما هو بشؤم ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تحَسُونَهُمْ بِأَذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّن بَعْدَ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

فلما ذاقوا عاقبة معصيتهم للرسول، وتنازعهم، وفشلهم، كانوا بعد ذلك أشد حذرًا ويقظة، وتحرزًا من أسباب الخذلان.

ومنها: أن حكمة الله وسنته في رسله، وأتباعهم، جرت بأن يدألوا مرةً، ويدأل عليهم أخرى، لكن تكون لهم العاقبة، فإنهم لو انتصروا دائماً، دخل معهم المؤمنون وغيرهم، ولم يتميز الصادق من غيره، ولو انتصر عليهم دائماً، لم يحصل المقصود من البعثة والرسالة.

ومنها: أن هذا من أعلام الرسل، كما قال هرقل لأبي سفيان: هل قاتلتموه؟ قال: نعم. قال: كيف الحرب بينكم وبينه؟ قال: سجال، يدأل علينا المرة، ونُدأل عليه الأخرى. قال: كذلك الرسل تبتلى، ثم تكون لهم العاقبة.

ومنها: أن يتميز المؤمن الصادق من المنافق الكاذب، فإن المسلمين لما أظهرهم الله على أعدائهم يوم بدر، وطار لهم الصيت، دخل معهم في الإسلام ظاهراً من ليس معهم فيه باطنًا، فاقتضت حكمة الله عز وجل أن سبب لعباده محنة ميزت بين المؤمن والمنافق.

✽ قال الله تعالى:

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِيٰ مِنْ رُسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

ومنها: استخراج عبودية أوليائه وحزبه في السراء والضراء، وفيما يحبون وما

يكرهون، وفي حال ظفرهم وظفر أعدائهم بهم، فإذا ثبتوا على الطاعة والعبودية فيما يحبون وما يكرهون، فهم عبيدهُ حقاً، وليسوا كمن يعبد الله على حرف واحد من السراء والنعمة والعافية.

ومنها: أنه سبحانه لو نصرهم دائماً، وأظفرهم بعدوهم في كل موطن، وجعل لهم التمكن والقهر لأعدائهم أبداً، لطغت نفوسهم، وشمخت وارتفعت، فلو بسط لهم النصر والظفر، لكانوا في الحال التي يكونون فيها لو بسط لهم الرزق، فلا يصلح عباده الا السراء والضراء، والشدة والرخاء، والقبض والبسط، فهو المدبر لأمر عباده كما يليق بحكمته، إنه بهم خبير بصير.

ومنها: أنه إذا امتحنهم بالغلبة، والكسرة، والهزيمة، ذلوا وانكسروا، وخضعوا، فاستوجبوا منه العز والنصر، فإن خلعة النصر إنما تكون مع ولاية الذل والانكسار، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، وقال: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثَرْتُمْ فَلَمْ تَغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً﴾ [التوبة: ٢٥].

ومنها: أنه سبحانه هياً لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته، لم تبلغها أعمالهم، ولم يكونوا بالغيها إلا بالبلاء والمحنة، فقيض لهم الأسباب التي توصلهم إليها من ابتلائه وامتحانه.

ومنها: أن النفوس تكتسب من العافية الدائمة والنصر والغنى طغياناً وركوناً إلى العاجلة، وذلك مرض يعوقها عن جدّها في سيرها إلى الله والدار الآخرة.

ومنها: أن الشهادة عنده من أعلى مراتب أوليائه، والشهداء هم خواصه والمقربون من عباده، وليس بعد درجة الصّدّيقية إلا الشهادة، وهو سبحانه يحب أن يتخذ من عباده شهداء.

ومنها: أن الله سبحانه إذا أراد أن يهلك أعداءه ويمحقهم، قيض لهم الأسباب التي يستوجبون بها هلاكهم ومحقهم، ومن أعظمها بعد كفرهم بغيهم، وطغيانهم، ومبالغتهم في أذى أوليائه، ومحاربتهم، وقتالهم، والتسلط عليهم، فيتمحص بذلك أولياؤه من ذنوبهم وعيوبهم، ويزداد بذلك أعداؤه من أسباب محقهم وهلاكهم.

ومنها: أن وقعة أحد كانت مقدمة وإرهاصاً بين يدي موت رسول الله ﷺ، فثبتهم،

ووبَّخهم على انقلابهم على أعقابهم أن مات رسولُ الله ﷺ ، أو قُتِلَ ، بل الواجبُ له عليهم أن يثبُتوا على دينه وتوحيده ويموتوا عليه، أو يُقتلُوا، فإنهم إنما يعبدون ربَّ محمد، وهو حيٌّ لا يموت.

\* قال تعالى:

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤] (١).

\*\*\*

## من آثار غزوة أحد

لقد كان لغزوة أحد من الآثار الشئ الكثير إذ انتقض على الإسلام وأهله كثير ممن هادنهم أو مالأهم خوفاً منهم، وعلى الرغم مما فعله النبي عليه السلام وأصحابه من الخروج إلى حمراء الأسد وما أظهره من مظاهر البأس، إلا أن ما حدث في أحد جعل الأعراب يتجرعون ويبدءون بمحاولة مهاجمة المدينة والإغارة عليها ونهب أموالها وخيراتها.

ولقد جرأت الحادثة أيضاً اليهود في المدينة ليظهروا حقدهم الدفين على الإسلام وأهله، ويسخرون من المسلمين علانية، ويكررون محاولاتهم الغادرة للكيد للإسلام وأهله، ولقد جرأت الحادثة أيضاً المنافقين ليظهروا نفاقهم، وينبثوا بين صفوف المسلمين يشيعون الشائعات والدسائس محاولين بذلك تمزيق الصف الإسلامي<sup>(١)</sup>.

**(عبد الله بن أنيس) يقتل عدو الله (خالد بن سفيان الهذلي)**

قال عبد الله بن أنيس: دعاني رسول الله ﷺ، فقال: «إنه قد بلغني أن ابن سفيان بن نبيح الهذلي يجمع لى الناس ليغزوني، وهو بنخلة أو بعُرنة، فأتته فاقتله». قلت: يا رسول الله، انعتهُ لى حتى أعرفه. قال: «إنك إذا رأيته أذكرك الشيطان، وآية ما بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدت له قشعريرة». قال: فخرجت متوشحاً سيفى، حتى دُفعت إليه وهو فى ظُعن يرتاد لهنّ منزلاً وحيث كان وقت العصر؛ فلما رأيته وجدتُ ما قال رسول الله ﷺ من القشعريرة، فأقبلت نحوه، وخشيتُ أن تكون بينى وبينه بمحاولة تشغلنى عن الصلاة، فصلّيتُ وأنا أمشى نحوه، وأومىء برأسى، فلما انتهيتُ إليه، قال: من الرجلُ؟ قلت: رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل، فجاءك لذلك. قال: أجل، إنى لفى ذلك. قال: فمشيتُ معه شيئاً، حتى إذا أمكنتى حملت عليه بالسيف، فقتلته، ثم

(١) صحيح السيرة النبوية (ص: ٣١٨).

خرجت، وتركت ظعائنه - نساءه - منكبآت عليه؛ فلما قدمت على رسول الله ﷺ فرأني، قال: «أفلح الوجه»؛ قلت: قد قتلته يا رسول الله، قال: «صدقت».

ثم قام، فأدخلني بيته، فأعطاني عصاً، فقال: «أمسك هذه العصا عندك يا عبد الله بن أنيس» قال: فخرجتُ بها على الناس، فقالوا: ما هذه العصا؟ قلت: أعطانيها رسول الله ﷺ. وأمرني أن أمسكها عندي. قالوا: أفلا ترجع إلى رسول الله ﷺ فتسأله لم ذلك؟ قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ. فقلت: يا رسول الله، لم أعطيتني هذه العصا؟ قال: «آية بيني وبينك يوم القيامة، إن أقل الناس المتخضرون<sup>(١)</sup> يومئذ»، قال: فقرنها عبد الله ابن أنيس بسيفه، فلم تزل بسيفه حتى مات، ثم أمر بها فضُمَّت في كفته، ثم دفنا جميعاً<sup>(٢)</sup>.

### يوم الرجيع

وقبل أن أذكر تفاصيل حادث يوم الرجيع أود أن أقدم بين يدي هذا الحادث قصة لعاصم بن ثابت - وهو أحد الذين قُتلوا في يوم الرجيع - لنعلم كيف يُكرم الله أوليائه وينصرهم إذا نصروا شرعه ودينه وسنة نبيه ﷺ.

\* فعاصم بن ثابت: هو جد عاصم بن عمر بن الخطاب. كان ممن أبلى وجالد يوم أحد.

وقد كان له مع (سلافة بنت سعد) شأن أي شأن؛ فقد خرجت مشركة مع زوجها طلحة وأولادها الثلاثة: (مسافع، والجلاس، وكلاب) إلى أحد، وبعد أن اشتد وطيس الحرب رأتهم مُمددين على سفوح أحد.

أما مسافع وكلاب، فكانا قد فارقا الحياة، وأما الجلاس فوجدته وما تزال به بقية من دماء.

أكبَّت سلافة على ابنها الذي يعالج سكرات الموت، ووضعت رأسه في حجرها،

(١) المتخضرون: أو المتخضرون: المتكثون على المخاض: جمع مخضرة وهي ما يمسكه الإنسان بيده من عصا وغيرها. والمراد هنا: الذين يأتون يوم القيامة ومعهم أعمال صالحة يتكثون عليها.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الصلاة باب صلاة الطالب حديث رقم: (١٢٤٩) باختصار أحمد المسند:

(٣/٤٩٦) البيهقي في السنن: (٣/٢٥٦) وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره: (١/٢٩٥) إسناده جيد،

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: (٢/٣٥٠) إسناده حسن.

وجعلت تمسح الدماء عن جبينه وفمه، وقد يبس الدمع في عينيها من هول الكارثة، ثم أقبلت عليه وهى تقول: من صرعتك يا بنى؟ فهم أن يجيبها، لكن حشرجة الموت منعتهم، فألحت عليه بالسؤال، فقال: صرعتنى عاصم بن ثابت، وصرع أخى مسافعاً و... ثم لفظ آخر أنفاسه.

جُنَّ جُنُونٌ سِلاَفَةُ بِنْتِ سَعْدٍ وَجَعَلَتْ تَعُولُ وَتَنْشِجُ، وَأَقْسَمَتْ بِاللَّاتِ وَالْعَزَىٰ أَلَا تَهْدَأُ لَهَا لَوْعَةً، أَوْ تَرَقَأُ لِعَيْنَيْهَا دَمْعَةً إِلَّا إِذَا تَأَثَّرَتْ لَهَا قَرِيشٌ مِنْ عَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ، وَأَعْطَتْهَا قَحْفَ رَأْسِهِ لِتَشْرَبَ فِيهِ الْخَمْرَ<sup>(١)</sup>.

※ قال أبو جعفر الطبرى:

وجعلت لمن جاء برأسه مائة ناقة، وشاع خبر نذرهما فى قريش، وجعل كل فتى من فتيان مكة يتمنى أن لو ظفر بعاصم بن ثابت وقدّم رأسه لسلافة، حتى كان يوم الرجيع فى السنة الرابعة من الهجرة<sup>(٢)</sup>.

### وها هى تفاصيل يوم الرجيع

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «بعث النبى ﷺ سرية عينا، وأمر عليهم عاصم بن ثابت - وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب - فانطلقوا حتى إذا كان بين عسفان ومكة ذكروا لحنى من هذيل يقال لهم بنو لحيان، فتبعوهم بقريب من مائة رام فاقتصوا آثارهم حتى أتوا منزلاً نزلوه، فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة، فقالوا: هذا تمر يثرب، فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم، فلما انتهى عاصم وأصحابه لجأوا إلى فدفد وجاء القوم فأحاطوا بهم، فقالوا: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم رجلاً، فقال عاصم: أما أنا فلا أنزل فى ذمة كافر، اللهم أخبر عنا نبيك... فقاتلوهم حتى قتلوا عاصماً فى سبعة نفر بالنبل، وبقي خبيب وزيد ورجل آخر، فأعطوهم العهد والميثاق فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا إليهم، فلما استمكنوا منهم حلّوا أوتار قسيهم فربطوهم بها فقال الرجل الثالث الذى معهما: هذا أول الغدر فأبى أن يصحبهم فجرّوه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل فقتلوه، وانطلقوا بخبيب وزيد، حتى باعوهما بمكة، فاشترى خبيبا بنو الحارث بن عامر بن نوفل، وكان خبيب هو قاتل الحارث يوم بدر، فمكث

(١) صور من حياة الصحابة (٢٢، ٢٣).

(٢) الجزء من جنس العمل / د. سيد حسين (٢/٤١، ٤٢).

عندهم أسيراً حتى إذا أجمعوا قتله استعار موسى - يعنى الموس أو شفرة الخلاقة - من بعض بنات الحارث ليستحدّ به - ليحلق شعر العانة - فأعارته قالت: ففعلت عن صبيّ لى فدرج إليه حتى أتاه فوضعه على فخذه فلما رأيته فزعت فرعة عرف ذلك منى وفى يده الموسيقى، فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله.

وكانت تقول: ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب، لقد رأيته يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمرة، وإنه لموثق فى الحديد، وما كان إلا رزق رزقه الله، فخرجوا به من الحرم ليقتلوه فقال: دعونى أصلى ركعتين، ثم انصرف إليهم فقال: لولا أن تروا أن ما بى جزع من الموت لزدت: فكان أول من سنّ الركعتين عند القتل هو، ثم قال: اللهم أحصهم عدداً ثم قال (١):

لقد أجمع الأحزاب حولى وألبوا	قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وقد قربوا أبناءهم ونساءهم	وقربت من جذع طويل ممنع
إلى الله أشكو غربتى بعد كرتى	وما جمع الأحزاب لى عند مضجعى
فذا العرش صبرنى على ما يراد بى	فقد بضعوا لحمى وقد بؤس مطمعى
وقد خيرونى الكفر والموت دونه	فقد ذرفت عيناي من غير مدمع
ولست أبالى حين أقتل مسلماً	على أى شق كان فى الله مضجعى
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ	يبارك على أوصال شلو ممزع

### احفظ الله يحفظك

نرجع مرة أخرى إلى عاصم بن ثابت (رضى الله عنه) فإنه قبل أن يقتل تذكر نذر (سلافة) الذى نذرتة وهو أنها نذرت أن تشرب الخمر فى رأس عاصم بعد قتله فقام عاصم وجرّد سيفه وهو يقول: اللهم إنى أحمى لدينك وأدافع عنه، فاحم لحمى وعظمى، ولا تظفر بهما أحداً من أعداء الله.

اللهم إنى حميت دينك أول النهار فاحم جسدى آخره. قال ابن إسحق: فلما قُتل عاصم أرادت هذيل أخذ رأسه؛ لبيعهوه من سلافة بنت سعد، فمنعتة الدبر (٢)، فلماً

(١) أخرجه البخارى (٤٣٧/٧، ٤٣٨) المغازى - وأحمد (٣١٠/٢).

(٢) الدبر بالفتح: جماعة النحل والزنابير، ولذلك كان يقال: حمى الدبر، وكان ذلك صار مثلاً.



حالت بينهم وبينه قالوا: دعوه حتى يمسي فيذهب عنه فنأخذه، فبعث الله الوادى فاحتمل عاصمًا فذهب به. وكان عاصم قد أعطى عهداً أن لا يمسه مشركٌ ولا يمَسَّ مشركًا أبداً تَنَجُّسًا. فكان عمر بن الخطاب يقول حين بلغه أن الدبَّيرَ منعه: يحفظ الله العبد المؤمن، كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك، ولا يمَسَّ مشركًا أبداً في حياته، فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع في حياته<sup>(١)</sup>.

والجزاء عند الله من جنس العمل.

يقول ابن سيد الناس في المقامات العلية في الكرامات الجليلة: أعطى الله عهداً أن لا يمَسَّ مشركًا.

وعناية الرحمن تعصم عاصمًا      عَنْ أَنْ يُنَالَ بِرَاحَةٍ أَوْ أَصْبِعِ  
بالسيل بعد الدبَّير من أعدائه      فِي مَصْرَعٍ أَكْرَمَ بِهِ مِنْ مَصْرَعِ<sup>(٢)</sup>  
أخذه السيل بعيداً بعيداً، ومضى به إلى حيث لا يعلمون.  
وصان الله رأس عاصم الكريمة من أن يُشْرَبَ فِي قَحْفِهَا الْخَمْرُ.  
حمى دينه، فحمى جسده.  
لم يمَسَّ مشركًا في دنياه، فلم يمسه مشرك بعد موته<sup>(٣)</sup>.<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

(١) البداية والنهاية (٦٧/٣).

(٢) المقامات العلية (ص: ٧٢).

(٣) الجزاء من جنس العمل (٤٣/٢، ٤٤).

(٤) قال الحافظ: وفي الحديث أن للأسير أن يمتنع من قبول الأمان ولا يمكن من نفسه ولو قُتل، أنفة من أن يجرى عليه حكم كافر، وهذا إذا أراد الأخذ بالشدة، فإن أراد الأخذ بالرخصة فله أن يستأن. قال الحسن البصرى: لا بأس بذلك. وقال سفیان الثوري: أكره ذلك... وفيه الوفاء للمشركين بالعهد، والتورع عن قتل أولادهم، والتلطف بمن أريد قتله، وإثبات كرامة الأولياء، والدعاء على المشركين بالتعميم، والصلاة عند القتل، وفيه إنشاد الشعر، وإنشاده عند القتل دلالة على قوة يقين خبيب وشدة في دينه.

وفيه أن الله يتلى عبده المسلم بما شاء كما سبق في علمه ليثيبه، ولو شاء ربك ما فعلوه، وفيه استجابة دعاء المسلم وإكرامه حيا وميتاً، وغير ذلك من الفوائد مما يظهر بالتأمل. وإنما استجاب الله له في حماية لحمه من المشركين ولم يمنعه من قتله لما أراد من إكرامه بالشهادة ومن كرامته حمايته من هتك حرمة بقطع لحمه. وفيه ما كان عليه مشركو قريش من تعظيم الحرم والأشهر الحرم. [فتح الباري (٧/٤٤٤)،

## حادثة بئر معونة

ومع أن واقعة (يوم الرجيع) توجب على المسلمين أن يتبصروا قبل بعث أى وفد لنشر الإسلام بين القبائل البعيدة والمجاهل المريية، إلا أن ضرورة بث الدعوة - مهما فدحت الحسائر - جعلت النبي ﷺ ينظر إلى هذه التضحيات على أنها أمرٌ لا بد منه.

كالتاجر الذى يتحمل المغارم الثقيلة حيناً من الدهر، لأن الإنسحاب من السوق بغية تجنبها - قضاء عليه - فهو يبقى متحملاً حتى تهب الريح من جديد رخاء تعوض ما فقد. وذلك سر استجابة الرسول لأبى براء عامر بن مالك الملقب بـ «ملاعب الأستة» حين عرض عليه أن يرسل وفداً من الدعوة ينشرون الإسلام بين قبائل نجد<sup>(١)</sup>.

\* عن أنس بن مالك رضى الله عنه: «أن رجلاً وذكوان وعصىً وبني لحيان استمدوا رسول الله ﷺ على عدوٍّ فأمدهم بسبعين من الأنصار كنا نسميهم القراء فى زمانهم، كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل، حتى كانوا بيئر معونة قتلوهم، وغدروا بهم، فبلغ النبي ﷺ فقنت شهراً يدعو فى الصبح على أحياء من أحياء العرب على رعل وذكوان وعصية وبني لحيان، قال أنس فقرأنا فيهم قرآناً، ثم إن ذلك رُفع: بلَغُوا عَنَا قَوْمَنَا أَنَا لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِي عَنَا وَأَرْضَانَا»<sup>(٢)</sup>.

## هكذا قتلوا غدراً

\* عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك وغيره أن عامر بن مالك الذى يدعى مُلاعب الأستة قدم على رسول الله ﷺ (بهدية) وهو مشرك، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام وقال رسول الله ﷺ: «إني لا أقبل هدية مشرك فقال عامر بن مالك ابعث يا رسول الله من رسلك من شئت فأنا لهم جارٌ، فبعث رسول الله ﷺ رهطاً فيهم المنذر بن عمرو الساعدي، (وهو الذى يقال له أُعتق ليموت) عيناً فى أهل نجد، فسمع بهم عامر ابن الطفيل، فاستنفر لهم من بنى سليم فنفروا معه، فقتلهم بيئر معونة غير عمرو بن أمية الضميرى...»<sup>(٣)</sup>.

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ٣١٦).

(٢) أخرجه البخارى (٤٤٥/٧) المغازى - ومسلم (٤٦/١٣، ٤٧) الإمارة.

(٣) ذكره الهيثمى فى المجمع (١٢٧/٦) وقال رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح ورواه أحمد عن أنس (٣/٢١٠، ٢٧٠، ٢٨٩).

## (عامر بن فهيرة) رُفِعَ إلى السماء بعدما قُتِلَ

وفى الصحيح عن هشام بن عروة قال أخبرني أبي قال: لما قُتِلَ الذين بيئر معونة وأسر عمرو بن أمية الضمري قال له عامر بن الطفيل: من هذا؟.. فأشار إلى قتيل فقال له عمرو بن أمية: هذا عامر بن فهيرة فقال: لقد رأيته بعد ما قُتِلَ رُفِعَ إلى السماء حتى إني لأنظر إليه بين السماء والأرض، ثم وضع، فأتى النبي ﷺ خبرهم فنعاهم، فقال: إن أصحابكم قد أصيبوا، وإنهم قد سألوا ربهم فقالوا: ربنا أخبر عنا إخواننا بما رضينا عنك ورضيت عنا، فأخبرهم عنهم، وأصيب فيهم عروة بن أسماء بن الصلت فسُمِّيَ عروه به، ومنذر بن عمرو سمي به منذراً<sup>(١)</sup>.

\* وفى هذه القصة كرامة ظاهرة لعامر بن فهيرة (رضى الله عنه) ولعلكم تذكرون عامر بن فهيرة فهو مولى أبي بكر الصديق (رضى الله عنه) الذى كان يرعى له الغنم وكان يأتى باللبن إلى النبي ﷺ وصاحبه - عندما هاجرا من مكة إلى المدينة - .

\* فها هو يُقتل فيُرفع إلى السماء.. والجزء من جنس العمل.. فقد كان عامر يرفع الطعام إلى فم النبي ﷺ فُرُفِعَ إلى السماء.

## كانوا يقولون: إن الملائكة دفنته

ففى حديث عبد الرحمن بن كعب بن مالك أنه لما أخبر بحادثة بئر معونة ومقتل أصحاب النبي ﷺ قال:

«.. وكان فيهم عامر بن فهيرة فزعم لى عروة - أحد الرواة - أنه قُتِلَ يومئذ فلم يوجد جسده حين دفنوه كانوا يرون الملائكة هى دفنته..»<sup>(٢)</sup>.

والجزء أيضاً من جنس العمل.. فكما كان عامر يدفن سر النبي ﷺ ويخفى آثاره - فى قصة الهجرة - فتولت الملائكة دفنه.

\*\*\*

(١) أخرجه البخارى (٤٠٩٣) المغازى.

(٢) سبق تخريجه.

## فزت ورب الكعبة

وكان من بين الذين قُتلوا (حرام بن ملحان) - رضى الله عنه - الذى لما قُتل قال: فُزت ورب الكعبة.

\* عن أنس رضى الله عنه قال: «جاء ناس إلى النبى ﷺ فقالوا: أن ابعث معنا رجلاً يعلمونا القرآن والسنة، فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم القراء فيهم خالى (حرام) يقرءون القرآن، ويتدارسون بالليل يتعلمون، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه فى المسجد، ويحتطبون فيبيعونه، ويشترون به الطعام لأهل الصفة والفقراء، فبعثهم النبى ﷺ إليهم، فعرضوا لهم فقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان، فقالوا: اللهم بلغ عنا نبينا، أنا قد لقيناك فرضينا عنك، ورضيت عنا، قال: وأتى رجل (حراماً) خال أنس من خلفه فطعنه برمح حتى أنفذه، فقال حرام: فزت ورب الكعبة، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: (إن إخوانكم قد قُتلوا، وإنهم قالوا: اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك، فرضينا عنك ورضيت عنا)<sup>(١)</sup>.

وعن أنس رضى الله عنه قال: «لما طعن حرام بن ملحان - وكان خاله - يوم بئر معونة قال بالدم هكذا، فنضح على وجهه ورأسه، ثم قال: فزت ورب الكعبة»<sup>(٢)</sup>.

## ما الذى فعله (عمرو بن أمية) فى طريق عودته

ورجع عمرو بن أمية الضمرى إلى النبى ﷺ حاملاً معه أبناء المصاب الفادح: مصرع سبعين من أفاضل المسلمين، تُذكر نكبتهم الكبيرة بنكبة أحد؛ إلا أن هؤلاء ذهبوا فى قتال واضح؛ وأولئك ذهبوا فى غدر شائنة.

ولما كان عمرو بن أمية فى الطريق بالقرقرة من صدر قناة، نزل فى ظل شجرة وجاء رجلان من بنى كلاب فنزلا معه، فلما ناما فتك بهما عمرو، وهو يرى أنه قد أصاب ثأر أصحابه، وإذا معهما عهد من رسول الله ﷺ لم يشعر به.

\*\*\*

(١) أخرجه مسلم (٦٧٧) الإمامة - والبيهقى فى الدلائل (٣/٣٤٧).

(٢) أخرجه البخارى (٤٤٦/٧) المغازى.

## النبى ﷺ يدعو على قتلة القراء

لقد تألم النبى ﷺ لأجل هذه المأساة، ولأجل مأساة الرجيع اللتين وقعتا خلال أيام معدودة تألماً شديداً وتغلب عليه الحزن والقلق، حتى دعا على هؤلاء الأقوام والقبائل التى قامت بالعدو والفتك فى أصحابه.

فى الصحيح عن أنس قال: «دعا النبى ﷺ على الذين قتلوا أصحابه بيئر معونة ثلاثين صباحاً، يدعو فى صلاة الفجر على رعل وذكوان ولحيان وعصية، ويقول: «عصية عصت الله ورسوله، فأنزل الله تعالى على نبيه قرآناً قرآناه حتى نُسَخ بعد: «بلغوا قومنا أنا لقينا ربنا فرضى عنا ورضينا عنه» فترك رسول الله ﷺ قنوته»<sup>(١)</sup>.

## غزوة بنى النضير

وتفصيل ذلك الغزو أن النبى عليه الصلاة والسلام ذهب إلى منازل بنى النضير ليستعين بهم فى دية القتيلين اللذين قتلتهما «عمرو بن أمية» لدى مرجعه من بئر معونة، فلما فاوضهم الرسول ﷺ فى الأمر أظهروا الرضا بمعونته.

قال ابن إسحاق: ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بنى النضير يستعينهم فى دية ذينك القتيلين من بنى عامر، اللذين قتلتهما عمرو بن أمية الضمري، للجوار الذى كان رسول الله ﷺ عقد لهما، وكان بين بنى النضير وبين بنى عامر عقد وحلف. فلما أتاهم رسول الله ﷺ يستعينهم فى ذينك القتيلين، قالوا: نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه - ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد - فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب (أحدهم) فقال: أنا لذلك فصعد ليلقى عليه صخرة كما قال، ورسول الله ﷺ فى نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلى (رضوان الله عليهم) فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة، فلما استلبث النبى ﷺ أصحابه، قاموا فى طلبه، فلقوا رجلاً من المدينة فسألوه عنه فقال: رأيتُه داخلاً المدينة، فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه ﷺ فأخبرهم الخبر بما كانت اليهود أرادت من

(١) أخرجه البخارى (٢٨١٤) ومسلم (٢٩٧) (٦٧٧).

الغدر به، وأمر رسول الله ﷺ بالتهيو لحربهم والسير إليهم.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، قال ابن اسحاق: ثم سار بالناس حتى نزل بهم.

قال ابن هشام: وذلك في شهر ربيع الأول فحاصروهم ست ليالٍ ونزل تحريم الخمر. قال ابن إسحاق: فتحصنوا منه في الحصون، فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخيل والتحريق فيها، فنادوه: أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعييه على من صنعه فما بال قطع النخيل وتحريقها.

وقال: كان رهط من بني عوف بن الخزرج منهم عبد الله بن أبي بن سلول ووديعة ومالك بن أبي قوئل وسويد وداعس قد بعثوا إلى بني النضير أن اثبتوا فإننا لن نُسلمكم، إن قوتلتم قاتلنا معكم وإن أخرجتم خرجنا معكم... فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا، وقذف الله في قلوبهم الرعب، وسألوا رسول الله ﷺ أن يُجليهم ويكف عن دمائهم، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة ففعل، فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل، فكان الرجل منهم يهدم بيته على نجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به، فخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام<sup>(١)</sup>.

\* وفي رواية: فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلت الإبل إلا الحلقة - والحلقة: السلاح - فجاءت بنو النضير، واحتملوا ما أقلت الإبل من أمتعتهم، وأبواب بيوتهم، وخشبها، فكانوا يُحربون بيوتهم، فيهدمونها فيحملون ما وافقهم من خشبها، وكان جلاؤهم ذلك أول حشر الناس إلى الشام، وكان بنو النضير من سبط من أسباط بني إسرائيل، لم يُصبهم جلاءٌ منذ كتب الله على بني إسرائيل الجلاء، فلذلك أجلاهم رسول الله ﷺ، فلولا ما كتب الله عليهم من الجلاء لعذبهم في الدنيا كما عذبت بنو قريظة، فأنزل الله ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ حتى بلغ ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر: ١-٦] وكان نخل بني النضير لرسول الله ﷺ خاصة، فأعطاه الله إياها، وخصه بها، فقال: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ [الحشر: ٦] يقول: بغير قتال، قال فأعطى النبي ﷺ أكثرها للمهاجرين،

(١) السيرة لابن هشام (٣/١٥٨، ١٥٩).

وقسمها بينهم، «و» لرجلين من الأنصار كانا ذوى حاجة، لم يقسم لرجل من الأنصار غيرهما، وبقي منها صدقة رسول الله ﷺ فى يد بنى فاطمة<sup>(١)</sup>.

### ونزلت سورة الحشر فى بنى النضير

\* عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «قال سعيد بن جبير: قلت لابن عباس: سورة التوبة قال: التوبة هى الفاضحة ومازالت تنزل حتى ظنوا أنها لم تُبق أحداً منهم إلا ذُكر فيها، قال: قلت: سورة الأنفال قال: نزلت فى بدرٍ قالت: سورة الحشر، قال: نزلت فى بنى النضير»<sup>(٢)</sup>.

### اليهود هم اليهود

هذه صورة ثابتة من الغدر والخيانة المتأصلة فى نفوس اليهود، وقد رأينا من قبلها صورة أخرى من خيانتهم فيما أقدم عليه يهود بنى قينقاع، وتلك حقيقة تاريخية صدقتها الوقائع التى لا تحصى، وذلك هو سر اللعنة الإلهية التى حاقت بهم، وسجلها بيان الله تعالى فى قوله: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨].

قطع نخيل بنى النضير وإحراقها ثبت بالاتفاق، والذى أتلفه الرسول ﷺ من ذلك إنما هو البعض ثم ترك الباقي، وقد نزل القرآن تصويباً لما أقدم عليه النبى ﷺ من ذلك قطعاً وإبقاءً، وذلك فى قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٥] وقد استدلل عامة العلماء بذلك على أن الحكم الشرعى فى أشجار العدو وإتلافها منوط بما يراه الإمام أو القائد من مصلحة النكاية بأعدائهم. وهذا الذى قلناه من إباحة قطع شجر الكفار أو إحراقه إذا اقتضت المصلحة هو مذهب نافع مولى ابن عمر، ومالك والثورى وأبى حنيفة والشافعى وأحمد وإسحاق وجمهور الفقهاء. وروى عن الليث بن سعد وأبى ثور والأوزاعى القول بعدم جوازه<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه عبد الرزاق (٩٧٣٣) وأبو داود (٢٠٠٤) والحاكم (٤٨٣/٢) وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه البخارى (٤٠٢٩) المغازى - ومسلم (٣٠٣١) التفسير.

(٣) باختصار من فقه السيرة للبوطنى (٢٠٤، ٢٠٥) والجزء الأخير من شرح النووى على صحيح مسلم

اتفق الأئمة على أن ما غنمه المسلمون من أعدائهم بدون قتال وهو الفيء يعود النظر والتصرف فيه إلى ما يراه الإمام من المصلحة، وأنه لا يجب عليه تقسيمه بين الجيش كما تُقسَّم عليهم الغنائم التي غنموها بعد قتال وحرب، مستدلين على ذلك بسياسة ﷺ في تقسيم فيء بني النضير، فقد خص به كما رأيت المهاجرين وحدهم وقد نزل القرآن تصويماً لذلك<sup>(١)</sup>.

### غزوة بدر الثانية

وقد تقدّم أن أبا سفيان قال عند انصرافه من أحد: مَوْعِدُكُمْ وإيانا العامُ القابلُ ببدر، فلما كان شعبان، من العامِ القابل، خرج رسولُ الله ﷺ لموعده في ألف وخمسمائة، وكانت الخيلُ عشرةَ أفراس، وحملَ لواءهُ عليُّ بنُ أبي طالب، واستخلفَ على المدينة عبدُ الله بنُ رواحة، فانتهى إلى بدر، فأقام بها ثمانيةَ أيامٍ ينتظرُ المشركين، وخرج أبو سفيان بالمشركين من مكة، وهم ألفان، معهم خمسون فرساً، فلما انتهوا إلى مرِّ الظهران - على مرَّحلةٍ من مكة - قال لهم أبو سفيان: إن العامَ عامٌ جدب، وقد رأيتُ أني أرجعُ بكم، فانصرفوا راجعين وأخلفوا الموعد، فسُميت هذه بدرَ الموعد، وتسمى بدرَ الثانية<sup>(٢)</sup>.

### غزوة دومة الجندل

خرج إليها رسولُ الله ﷺ في ربيعِ الأولِ سنة خمس، وذلك أنه بلغه أن بها جمعاً كثيراً يريدون أن يَدنُوا من المدينة، وبينها وبين المدينة خمسَ عشرةَ ليلة، وهي من دمشق على خمسِ ليالٍ، فاستعمل على المدينة سباع بن عُرْفطة الغفاري وخرج في ألف من المسلمين ومعه دليل من بني عُدرة، يقال له: مذكور، فلما دنا منهم، إذا هم مُغربون، وإذا آثارُ النعمِ والشاء فهجم على ماشيتهم ورُعَاتهم، فأصابَ من أصاب، وهربَ من هرب، وجاء الخبرُ أهلِ دومةِ الجندل، فتفرَّقوا، ونزل رسولُ الله ﷺ بساحتهم، فلم يجد فيها أحداً، فأقام بها أياماً، وبثَّ السرايا، وفرق الجيوش، فلم يصبَ منهم أحداً، فرجع رسولُ الله ﷺ إلى المدينة، ووادع في تلك الغزوة عيينةَ بنَ حصن<sup>(٣)</sup>.

(١) فتحه السيرة للبوطي (٢٠٥) باختصار - نقلاً من وقفات تربوية.

(٢) الطبري (٤١/٣) وابن سيد الناس (٥٣/٢) وشرح المواهب (٩٣/٢، ٩٥) وزاد المعاد (٣/٢٥٥).

(٣) شرح المواهب (٩٤/٢، ٩٥) وزاد المعاد (٣/٢٥٥ - ٢٥٦).



## غزوة بنى المصطلق (المريسيع)

كان الإسلام دعوة تغالب النظام السائد... كانت مخاصمته تتخذ طريق الهجرة والتهجم دون مبالاة، فلما استقر له الأمر وتوفرت لأبنائه أسباب القوة، سلكت عداوته المسارب التي تسلكها الغرائز المكبوتة، فأسمى الكيد له يقوم على المكر والدس إلى جانب الوسائل الأخرى التي يعالن بها الأقوياء. وائتمار الضعفاء في جُح الظلام لا يقل خطورة عن نكاية الأقوياء في ميادين الصدام. بل إن المرء قد يألم لإشاعة ملفقة أكثر مما يألم لطعنة مواجهة.

وفى الحروب الفاجرة تُستخدم جميع الوسائل التي تصيب العدو، وإن كان بعضها يستحى من استخدامه الرجل الشريف!

وقد لجأ المنافقون في المدينة إلى مناوأة النبي ﷺ ودعوته بأسلوب تظهر فيه خسة النفس الإنسانية عندما يستبد بها الحقد، ويغلب عليها الضعف، أسلوب اللمز والتعريض حيناً، والإفك والافتراء حيناً آخر.

وكلما توطدت سلطة المسلمين ورسخت مكانتهم ازداد خصومهم المنافقون ضغناً عليهم وتربصاً بهم. وقد حاولوا تأييد اليهود عندما تأذنتهم الرسول ﷺ بالجللاء، فلما لم يقف أمام المد الإسلامي شيء، ولم تهده هزيمة. وأخذت القبائل العادية تختفي واحدة تلو أخرى، التحق أولئك المنافقون بصفوف المسلمين وام تنكشف نياتهم السوء إلا على فلتات الألسنة ومزالق الطباع فكانت سيرتهم تلك مثار فتن شداد تأذى منها رسول الله والمؤمنون شيئاً غير قليل.

وظهر ذلك جلياً في غزوة «بنى المصطلق»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) فقه السيرة / للغزالي (ص: ٣٢٦).

## دور المنافقين قبل غزوة بنى المصطلق

قدمنا مراراً أن عبد الله بن أبيّ كان يحقن على الإسلام والمسلمين، ولا سيما على رسول الله ﷺ حنقا شديداً، لأن الأوس والخزرج كانوا قد اتفقوا على سيادته، وكانوا ينظمون له الخرز؛ ليتوجوه؛ إذ دخل فيهم الإسلام، فصرفهم عن ابن أبيّ، فكان يرى أن رسول الله ﷺ هو الذي استلبه ملكه.

وقد ظهر حنقه هذا وتحرقه منذ بداية الهجرة قبل أن يتظاهر بالإسلام، وبعد أن تظاهر به... ركب رسول الله ﷺ مرة على حمار؛ ليعود - أى ليزور - سعد بن عبادة، فمر بمجلس فيه عبد الله بن أبيّ، فخمّر ابن أبيّ أنفه وقال: لا تُغبروا علينا. ولما تلا رسول الله ﷺ على المجلس القرآن، قال: اجلس في بيتك ولا تغشنا في مجلسنا<sup>(١)</sup>.

وهذا قبل أن يتظاهر بالإسلام، ولما تظاهر به بعد بدر، لم يزل إلا عدواً لله ولرسوله وللمؤمنين، ولم يكن يفكر إلا في تشتيت المجتمع الإسلامي، وتوهين كلمة الإسلام، وكان يوالى أعداءه.

وكانت له اتصالات بيني النصير يؤامر معهم ضد المسلمين، حتى قال لهم: لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولئن قوتلتم لننصرنكم.

وكذلك فعل هو وأصحابه في غزوة الأحزاب من: إثارة القلق والاضطراب، وإلقاء الرعب والدهشة في قلوب المؤمنين ما قد قص الله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢] إلى قوله: ﴿يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٠].

بيد أن جميع أعداء الإسلام من اليهود والمنافقين والمشركين كانوا يعرفون جيداً أن سبب غلبة الإسلام ليس هو التفوق المادى، وكثرة السلاح والجيش والعدد؛ وإنما السبب هي القيم والأخلاق، والمثل التي يتمتع بها المجتمع الإسلامي، وكل من يمت بصلة إلى هذا الدين، وكانوا يعرفون أن منبع هذا الفيض إنما هو رسول الله ﷺ الذي هو المثل الأعلى - إلى حد الإعجاز - لهذه القيم.

(١) أخرجه البخارى (٤٥٦٦)، ومسلم (١١٦) (١٧٩٨).

كما عرفوا بعد إدارة دفعة الحروب طيلة خمس سنين، أن القضاء على هذا الدين وأهله لا يمكن بطريق استخدام السلاح، فقرروا أن يشنوا حرباً دعائية واسعة ضد هذا الدين من ناحية الأخلاق والتقاليد، وأن يجعلوا شخصية الرسول أول هدف لهذه الدعاية، ولما كان المنافقون هم الطابور الخامس في صفوف المسلمين، ولكونهم سكان المدينة، كان يمكن لهم الاتصال بالمسلمين واستفزاز مشاعرهم كل حين... تحمل فريضة الدعاية هؤلاء المنافقون، وعلى رأسهم ابن أبي<sup>(١)</sup>.

### متى كانت تلك الغزوة (٢)

واختلف أهل العلم في وقت تلك الغزوة... وحرصاً على تيسير مادة هذا الكتاب فلقد أوردت هذا المبحث في الهامش لمن أراد أن يقرأه.

(١) الرحيق المختوم (ص: ٣٥٤: ٣٥٦) بتصرف.

(٢) اختلف العلماء في ذلك وانحصرت أقوالهم فيها في ثلاثة أقوال، فمن قائل أنها سنة ست، قال بذلك ابن إسحاق إمام المغازي، وتبعه على ذلك خليفة بن خياط، وابن جرير الطبري، وابن حزم، وابن عبد البر، وابن العربي، وابن الأثير، وابن خلدون، فقد صرح كل منهم بأن غزوة بنى المصطلق كانت في شعبان من السنة السادسة للهجرة. ولابن حزم رأى آخر، وافقه عليه عدد من العلماء، منهم مالك بن أنس وموسى بن عقبة، والبخاري، وابن قتيبة ويعقوب بن سفيان الفسوي والنووي، وابن خلدون أنها كانت في شعبان من العام الرابع للهجرة.

وذهبت طائفة إلى أنها كانت في شعبان من السنة الخامسة للهجرة وذهب إلى هذا القول: موسى بن عقبة، وابن سعد، وابن قتيبة، والبلاذري، والذهبي، وابن القيم وابن حجر العسقلاني، وابن كثير رحمهم الله ومن المحدثين الخضرى بك، والغزالي، والبوطي، وأبو شعبة والشيخ الساعاتي، وهذا القول هو الأصح والأظهر، والله أعلم، لأن الأدلة كلها متظاهرة ومتفقة على تأييد هذا القول، ومن هذه الأدلة: أ- روى البيهقي عن عروة، وموسى بن عقبة عن ابن شهاب الزهري أنه قال: «ثم قاتل بنى المصطلق وبنى لحيان في شعبان سنة خمس».

ب- قال ابن كثير: قال موسى بن عقبة عن الزهري: «هذه مغازى رسول الله ﷺ التي قاتل فيها، يوم بدر في رمضان سنة ثنتين، ثم قاتل يوم أحد في شوال سنة ثلاث، ثم قاتل يوم الخندق - وهو يوم الأحزاب وبنى قريظة - في شوال سنة أربع، ثم قاتل بنى المصطلق وبنى لحيان في شعبان سنة خمس».

ثم أورد ابن كثير قول البخاري عن موسى بن عقبة «أنها سنة أربع» وعقب عليه بقوله: هكذا رواه البخاري عن مغازى موسى بن عقبة أنها سنة أربع، والذي حكاه موسى بن عقبة، عن الزهري وعن عروة أنها كانت في شعبان سنة خمس».

وعقب ابن حجر العسقلاني في فتح الباري على قول البخاري «وقال موسى ابن عقبة سنة أربع» بقوله: «كذا ذكره البخاري، وكأنه سبق قلم أراد أن يكتب سنة خمس، فكتب سنة أربع، والذي في مغازى =

## أحداث الغزوة

وسببها: أنه بلغه ﷺ أن رئيس بنى المصطلق (الحارث بن أبي ضرار) سار في قومه ومن قدر عليه من العرب يريدون حرب رسول الله ﷺ فبعث (بريدة بن الحصيب الأسلمي) للتحقق من الخبر، فأتاهم، ولقى الحارث بن أبي ضرار وكلمه ورجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر.

وبعد أن تأكد لديه ﷺ صحة الخبر ندب الصحابة، وأسرع في الخروج، وكان خروجه لليلتين خلتا من شعبان، وخرج معه جماعة من المنافقين لم يخرجوا في غزاة قبلها واستعمل على المدينة زيد بن حارثة، وقيل أبا ذر، وقيل نميلة بن عبد الله الليثي، وكان الحارث بن أبي ضرار قد وجه عيناً لياتيه بخبر الجيش الإسلامي، فألقى المسلمون عليه القبض وقتلوه.

ولما بلغ الحارث بن أبي ضرار ومن معه مسير رسول الله ﷺ وقتله عينه، خافوا خوفاً شديداً، وتفرق عنهم من كان معهم من العرب، وانتهى رسول الله ﷺ إلى المريسيع - اسم لواء من مياههم في ناحية قديد إلى الساحل - فتهيئوا للقتال، وصف رسول الله ﷺ

= موسى بن عقبة من عدة طرق، أخرجها الحاكم، وأبو سعيد النيسابوري، والبيهقي في الدلائل، وغيرهم سنة خمس.

ولفظه عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب «ثم قاتل رسول الله ﷺ بنى المصطلق وبنى لحيان في شعبان سنة خمس» ويؤيده ما أخرجه البخاري في الجهاد (عن ابن عمر أنه غزا مع النبي ﷺ بنى المصطلق في شعبان سنة أربع) ولم يؤذن له في القتال، لأنه إنما أذن له فيه في الخندق كما تقدم، وهي بعد شعبان سواء قلنا أنها كانت خمس أو سنة أربع.

وقال الحاكم في الإكليل: قول عروة وغيره أنها كانت في سنة خمس أشبه من قول ابن إسحاق.

قلت: ويؤيده ما ثبت في حديث الإفك: أن سعد بن معاذ تنازع هو وسعد بن عباد في أصحاب الإفك كما سيأتي، فلو كانت المريسيع في شعبان سنة ست مع كون الإفك كان فيها، لكان ما وقع في الصحيح من ذكره سعد بن معاذ غلطاً، لأن سعد بن معاذ مات أيام قريظة، وكانت سنة خمس على الصحيح كما تقدم تقريره، وإن كانت كما قيل سنة أربع.

فيظهر أن المريسيع كانت سنة خمس في شعبان، لتكون قد وقعت قبل الخندق، لأن الخندق كانت في شوال من سنة خمس أيضاً، فتكون بعدها، فيكون سعد بن معاذ موجوداً في المريسيع ورُمى بعد ذلك بسهم ومات من جراحته في قريظة، ويؤيده أيضاً أن حديث الإفك كان سنة خمس، إذ الحديث فيه التصريح بأن القصة وقعت بعد نزول الحجاب، والحجاب كان في ذي القعدة سنة أربع عند جماعة، فيكون المريسيع بعد ذلك فيرجح أنها سنة خمس [فتح الباري (٧/٤٣٠)].

أصحابه، وراية المهاجرين مع أبي بكر الصديق، وراية الأنصار مع سعد بن عباد، فتراموا بالنبل ساعة، ثم أمر رسول الله ﷺ فحملوا حملة رجل واحد، فكانت النصره. وانهزم المشركون، وقُتل من قُتل وسبى رسول الله ﷺ النساء والذراري والنعم والشاء، ولم يُقتل من المسلمين إلا رجل واحد، قتله رجل من الأنصار ظناً منه أنه من العدو<sup>(١)</sup>.

وروى البخارى عن ابن عون أنه قال: «كُتبت إلى نافع فكتب إلى: إن النبى ﷺ أغار على بنى المصطلق وهم غارون وأنعامهم تسقى على الماء فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وأصاب يومئذ جويرية.. حدثنى به ابن عمر وكان فى ذلك الجيش»<sup>(٢)</sup>.

\* وكان مسافع بن صفوان زوج جويرية بنت الحارث من العشرة الذين جندلتهم السيوف المسلمة، وأسروا سائرهم، وكانوا سبعمائة رجل، وغنموا أموالهم، وسبوا نساءهم وذراريهم، واستاقوا نعمهم وشاءهم، ونصر الله عز وجل رسوله نصراً عزيزاً. وكان من جملة السبى جويرية بنت الحارث - بنت زعيم القبيلة -.

### شعار المسلمين فى غزوة بنى المصطلق

وعن سنان بن وبرة قال: «كنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة المريسيع غزوة بنى المصطلق فكان شعارهم: «يا منصور أمت أمت»<sup>(٣)</sup>.

### كان إسلامها وزواجها سبباً فى حصول الخير لقومها

عن عائشة أم المؤمنين قالت: لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بنى المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث فى السهم لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عم له وكاتبته على نفسها، وكانت امرأة حلوة ملاحه لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فأنت رسول الله ﷺ تستعيه فى كتابتها قالت:

(١) زاد المعاد (٣/٢٥٦: ٢٥٧).

(٢) أخرجه البخارى (٥/٢٠٢) العتق، ومسلم (١٢/٣٥: ٣٦) الجهاد والسير.

(٣) مجمع الزوائد (٦/١٤٢)، وقال الهيثمى: رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير وإسناده حسن، وهو كما قال الهيثمى وإن كان فيه الحارث بن رافع الجهنى قال فيه فى التقريب مقبول عملاً بقاعدة تحسين الحديث للمستور إذا كان من التابعين كما هو مذهب ابن كثير وابن رجب رحمهما الله تعالى.

فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها وعرفت أنه سيرى منها ما رأيت فدخلت عليه فقالت: يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عم له، فكاتبته على نفسي، فجتتك أستعينك على كتابتي قال: «فهل لك في خير من ذلك؟» قالت وما هو يا رسول الله.. «أقضى كتابتك وأتزوجك» قالت: نعم يا رسول الله قال: «قد فعلت» قالت: وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله تزوج جويرية بنت الحارث فقال الناس: أصهار رسول الله فأرسلوا ما بأيديهم قالت: فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها<sup>(١)</sup>.

الله أكبر.. أى نعيم وأى فخر هذا الذى نالته أم المؤمنين (جويرية). فمنذ لحظات كانت امرأة فى السبى وفجأة تنزل المنحة الإلهية لتجعلها مؤمنة تسير بقلبها وجوارحها فى قافلة الإيمان بل تجعلها فى مقدمة القافلة مع زوجها الذى قاد الكون كله للإيمان برب هذا الكون... محمد بن عبد الله ﷺ .

### ودخلت بيت النبوة

وبعد ما كانت جويرية (رضى الله عنها) تعيش فى قصر أبيها ثم فى قصر زوجها (مسافع) انتقلت الآن إلى بيت أعظم زوج فى الدنيا كلها - محمد بن عبد الله ﷺ - الذى لم يكن يملك قصرًا ولا متاعًا زائلًا وإنما كان يملك سعادة الدنيا والآخرة - بإذن الله - تلکم السعادة التى تكمن فى شيء واحد ألا وهو: أن نحقق العبودية لله (جل وعلا).

\* ودخلت (رضى الله عنها) إلى خدرها لتكون أمًا للمؤمنين وزوجًا لسيد الأولين والآخرين.

وعاشت أجمل أيام عمرها فى هذا البيت المتواضع ونسيت حياة الترف والثراء التى كانت تحياها من قبل.. فالدنيا كلها لا تساوى لحظة واحدة تقضيها بجوار الحبيب ﷺ الذى لو خير أى مسلم بين دنياه كلها وبين نظرة واحدة فى وجه الحبيب ﷺ لاختار تلك

(١) رواه أحمد (٢٧٧/٦) وأبو داود (٣٩٣١) وإسناده صحيح.

النظرة الغالية فكيف بمن تعيش معه وتصيح زوجة له لتكون من أهل البيت اللاتي قال الله تعالى فيهن: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ [الأحزاب: ٣٣] (١).

### محاولة المناهقين إثارة الفتنة بين المسلمين فى هذه الغزوة

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: «كنا فى غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار. فقال الأنصارى: يا للأنصار، وقال المهاجرى: يا للمهاجرين فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: ما بال دعوى جاهلية؟ قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال: دعوها فإنها منتنة فسمع بذلك عبد الله بن أبى فقال: فعلوها؟ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجن الأعرز منها الأذل، فبلغ النبى ﷺ فقال عمر: يا رسول الله دعنى أضرب عنق هذا المنافق. فقال النبى ﷺ: دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه، وكانت الأنصار أكثر من المهاجرين حين قدموا المدينة، ثم إن المهاجرين كثروا بعد» (٢).

### إن الله قد صدقك يا زيد

عن زيد بن أرقم رضى الله عنه: قال: «خرجنا مع النبى ﷺ فى سفر أصاب الناس فيه شدة، فقال عبد الله بن أبى لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفصوا من حوله. وقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجن الأعرز منها الأذل. فأتيت النبى ﷺ فأخبرته، فأرسل إلى عبد الله بن أبى فسأله، فاجتهد يمينه ما فعل، قالوا: كذب زيد رسول الله ﷺ فوقع فى نفسى ما قالوا شدة حتى أنزل الله - عز وجل - تصديقى فى قوله: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ﴾ [المنافقون: ١] فبعث إلى النبى ﷺ فقرأ فقال: (إن الله قد صدقك يا زيد) (٣).

\*\*\*

(١) صحابيات حول الرسول ﷺ للمصنف (ص: ٢٣٠: ٢٣٢) بتصرف.

(٢) رواه البخارى (٥١٦/٧)، المغازى، ومسلم (١٧/١٢٠) صفات المنافقين وأحكامهم.

(٣) أخرجه البخارى (٤٩٠٥) التفسير، ومسلم (٢٥٨٤) البر والآداب والصلة.

## لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمرى

ففى بعض الروايات:

فبينما رسول الله ﷺ على ذلك الماء، وَرَدَّتْ وَارِدَةُ النَّاسِ، ومع عمر بن الخطاب أجير له من بنى غفار، يقال له: جَهْجَاهُ بن مسعود<sup>(١)</sup>، يقود فرسه، فازدحم جهجاه وسان بن وبر الجهنى<sup>(٢)</sup>، حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء، فاقتتلا، فصرخ الجهنى: يا معشر الأنصار، وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين، فغضب عبد الله بن أبى بن سلول، وعنده رهط من قومه فيهم: زيد بن أرقم، غلام حدث، فقال: أو قد فعلوها، قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا، والله ما أعدنا وجلايب قريش إلا كما قال الأول: سَمَّنَ كَلْبِكَ يَأْكُلُكَ، وأما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخْرِجَنَّ الأَعْرَجَ منها الأذْلَ.

ثم أقبل على من حضره من قومه، فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم: أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم... فسمع ذلك زيد بن أرقم، فمشى به إلى رسول الله ﷺ، وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ من عدوه، فأخبره الخبر، وعنده عمر بن الخطاب، فقال: مرُّ به (عباد بن بشر) فليقتله، فقال له رسول الله ﷺ: «فكيف يا عمر إذا تحدّث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟ لا، ولكن أَدِّنْ بالرحيل»، وذلك فى ساعة لم يكن رسولُ الله ﷺ يرتحل فيها، فارتحل الناس<sup>(٣)</sup>.

وقد مشى عبد الله بن أبى بن سلول إلى رسول الله ﷺ حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه، فحلف بالله: ما قلت ما قال، ولا تكلمت به - وكان فى قومه شريفاً عظيماً - فقال من حضر رسول الله ﷺ من الأنصار من أصحابه: يا رسول الله، عسى أن يكون الغلام قد أوهم فى حديثه، ولم يحفظ ما قال الرجل، ... حذباً على ابن

(١) جهجاه بن مسعود: وقيل ابن قيس وقيل ابن مسعود الغفارى شهد بيعة الرضوان بالحديبية عاش إلى خلافة عثمان وقال ابن السكن مات بعد عثمان بأقل من سنة. [الإصابة ١/٢٦٥، أسد الغابة ١/٣٦٥].

(٢) سنان بن وبر الجهنى: سنان بن وبرة أو وبر الجهنى حليف بنى الحارث بن الخزرج. قال ابن أبى حاتم عن أبيه هو الذى سمع عبد الله بن أبى يقول: لئن رجعنا إلى المدينة (الإصابة: ١٣٥/٣)، (أسد الغابة: ٤٦٣/٢).

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب المناقب (٦/٣٥١٨) ومسلم فى كتاب البر والصلوة (٤/٦٣/١٩٩٨) بنحوه - وأخرجه الطبرى فى تفسيره (٧٥/٢٨) بطوله من طريق ابن إسحاق.



أبي بن سلول، ودفعا عنه.

قال ابن إسحاق: فلما استقلَّ رسول الله ﷺ وسار، لقيه أسيد بن حضير، فحيَّاه بتحية النبوة وسلَّم عليه، ثم قال: يا نبي الله، والله لقد رُحِتَ في ساعة مُنكرة، ما كنت تروح في مثلها، فقال له رسول الله ﷺ: «أو ما بلغَكَ ما قال صاحبكم؟» قال: وأى صاحب يا رسول الله؟ قال: عبد الله بن أبيّ، قال: وما قال؟ قال: زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليُخرجنَّ الأعز منها الأذلَّ، قال: فأنت يا رسول الله، والله تُخرجه منها إن شئت، هو والله الذليلُّ وأنت العزيز، ثم قال: يا رسول الله، أرفُقُ به، فوالله لقد جاءنا الله بك، وإنَّ قومه لينظّمون له الخرز ليتوجوه، فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكاً<sup>(١)</sup>.

ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدر يومهم ذلك، حتى أذتهم الشمس، ثم نزل بالناس، فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياماً، وإنما فعل ذلك رسول الله ﷺ ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس، من حديث عبد الله بن أبيّ إلى أن قال: وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه، ويأخذونه ويعنفونه، فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم: (كيف ترى يا عمر، أما والله لو قتلته يوم قلت لى اقتله لأرعدت<sup>(٢)</sup> له أنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته).

قال: قال عمر: «قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمرى»<sup>(٣)</sup>.

### موقف عظيم في الولاء والبراء

وها هو موقف عظيم في الولاء والبراء يسطّره على جبين التاريخ هذا الصحابي الجليل عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول - وهو ابن رأس المنافقين - ومع ذلك كان صحابياً جليلاً.

قال عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول، يا رسول الله بلغنى أنك تريد قتل أبي فإن

(١) السيرة لابن هشام (٣/٢٦٥).

(٢) لأرعدت له أنف: انتفخت واضطربت أنوفهم حمية وعصية.

(٣) سيرة ابن هشام: ٢/٢٩٠ - ٢٩٢ والحديث رجاله ثقات ولكنه مرسل، وابن جرير الطبري في تاريخه: ٦٠٥/٢، وله شاهد مرسل من طريق عروة عند ابن أبي حاتم قال فيه ابن حجر، أنه مرسل جيد فتح الباري: ٨/٦٤٩، وأصله في الصحيحين كما سبق من حديث زيد بن أرقم، وجابر بن عبد الله وبهذا يكون الحديث حسناً لغيره.

كنت تريد ذلك فمرني بقتله فوالله إن أمرتني بقتله لأقتلته، وإنى أخشى يا رسول الله، إن قتله غيرى أن لا أصبر عن طلب الثأر فأقتل به مسلماً فأدخل النار، وقد علمت الأنصار أنى من أبر أبنائها بأبيه. فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له وقال له: بر أباك، ولا يرى منك إلا خيراً، فلما وصل رسول الله ﷺ والمسلمون إلى المدينة من تلك الغزاة وقف عبد الله بن عبد الله بن أبي لأبيه بالطريق وقال: والله لا تدخل المدينة حتى يأذن لك رسول الله ﷺ بالدخول. فأذن رسول الله ﷺ بدخوله<sup>(١)</sup>.

\* بل هناك موقف آخر نذكره - مع أنه لم يكن فى تلك الغزوة -.

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: مرَّ رسول الله ﷺ بعبد الله بن أبى بن سلول وهو فى ظل أطم<sup>(٢)</sup> فقال ابن سلول: غير علينا ابن أبى كبشة<sup>(٣)</sup> فقال ابنه عبد الله بن عبد الله ابن أبى بن سلول رضى الله عنه، يا رسول الله والذى أكرمك لئن شئت لآتينك برأسه؟ فقال: «لا. ولكن بر أباك وأحسن صحبته»<sup>(٤)</sup>.

### فوائد جليلة

\* فى هذه القصة بيان عزة الإيمان وأن الكافر ذليل والمنافق ذليل وكيف أن العزة لله جميعاً ولا تطلب هذه العزة إلا بطاعة الله عز وجل ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]. ولا أذل لعبد الله بن أبى رأس النفاق من وقوف ولده له وعدم سماحه بدخول المدينة حتى يأذن رسول الله ﷺ فبان بذلك من العزيز ومن الذليل.

\* فى القصة كذلك بيان أن المشروع أن يدفع بالفسدة الصغرى المفسدة الكبرى، فادعاء الناس أن محمدًا ﷺ يقتل أصحابه ممن يظهر الإسلام لا شك مفسدة عظيمة، فتحمل النبي ﷺ دسائس وغدرات ابن أبى وهى مفاسد دفعا لهذه المفسدة والله أعلم.

\* وفى القصة كذلك شرف النبي ﷺ وصبره على أذى المنافقين وهى أشرف النبيين وإمام المرسلين ولو أمر عبد الله بن عبد الله بن أبى بقتل أبيه لفعل وابتغى بذلك رضا

(١) الدرر فى اختصار المغازى والسير (١٨٩: ١٩٠).

(٢) الأطم: البناء المرتفع. انظر المعجم الوسيط ج١ ص ٢٠.

(٣) أبى كبشة: أبو كبشة هو زوج حليلة السعدية مرضعة الرسول وذلك من باب التنقيص.

(٤) أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد (ج ٩/ ٣١٨) وقال رواه البزار ورجاله ثقات.

الله عز وجل ورضا رسوله ﷺ ولكنه قال له: «بر أباك»، فصلى الله عليه وسلم تسليماً. ثم هو ﷺ لم يكن ليتنقم لنفسه ولا ليغضب لنفسه بل يغضب لله عز وجل ولا شك أن ما لاقاه النبي ﷺ من إيذاء واستهزاء وصبره على ذلك من أسباب رفعة النبي ﷺ وعلو درجته زاده الله عز وجل تشريفاً وتكريماً وصلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليماً<sup>(١)</sup>.

### والله يعصمك من الناس

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: «غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة نجد، فلما أدركنا القائلة، وهو واد كثير العضاء، فنزل تحت شجرة واستظل بها وعلق سيفه، ففترق الناس في الشجر يستظلون، وبينما نحن كذلك إذ دعانا رسول الله ﷺ فجبنا فإذا أعرابي قاعد بين يديه، فقال: إن هذا أتاني وأنا نائم فاخترط سيفي، فاستيقظت وهو قائم على رأسي مخترط سيفاً صلنا قال: من يمنعك مني؟ قلت: الله. فشامه ثم قعد، فهو هذا... قال ولم يعاقبه رسول الله ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

في هذه القصة تصديق لقول الله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]. وقد سبق ذلك كثيراً في سيرة النبي ﷺ منها قصة أبي جهل قبحه الله عندما أراد أن يظأ النبي ﷺ، وهي في صحيح مسلم، وقصة سراقه، وما حدث يوم أحد، وقصة إجلاء بنى النضير، وقصة الشاة المسمومة وستأني في غزوة خيبر.

وفيها قوة إيمان النبي ﷺ ورباطة جأشه، وثقته بربه، فكم من إنسان يتحقق صدق وعد الله عز وجل إلا أنه في المواقف الحرجة تنزع هذه الثقة ويدخله الشك والخوف. وفيها ما جُبِل عليه النبي ﷺ من الأخلاق العالية، وعفوه عن الجاهلين، وعدم الانتصار لنفسه، والغضب لها، وعلى ذلك ينبغي أن يتربى الدعاة إلى الله عز وجل، فإنه قدوتهم ومثلهم الأعلى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ  
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]<sup>(٣)</sup>.

(١) وقفات تربوية مع السيرة النبوية/ أحمد فريد (ص: ٢٧٥: ٢٧٦).

(٢) رواه البخارى (٤٩٤/٧) المغازى.

(٣) وقفات تربوية (ص: ٢٧٧).

## هبوب ريح شديدة لموت عظيم من المنافقين

عن عاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر، ومحمد بن يحيى بن حبان. «أن رسول الله ﷺ لما قفل من غزوة بني المصطلق سلك بالناس طريق الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فويق النقيع يقال له نعاء، فلما راح رسول الله ﷺ هبت على الناس ريح شديدة أذنتهم، وتخوفوها، فقال رسول الله ﷺ: (لا تخافوها، فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار، فلما قدموا المدينة، وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت أحد بني قينقاع، وكان عظيمًا من عظماء يهود، وكهفًا للمنافقين، مات في ذلك اليوم...)»<sup>(١)</sup>.

وقد وصله الإمام مسلم، وعبد بن حميد، وأحمد من طريق آخر عن جابر دون ذكر أن الريح كانت في غزوة بني المصطلق وسأكتفى هنا بإيراد رواية مسلم.

وعن جابر رضى الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ قدم من سفر، فلما كان قرب المدينة هاجت ريح شديدة تكاد أن تدفن الراكب، فزعم أن رسول الله ﷺ قال: (بُعِثت هذه الريح لموت منافق، فلما قدم المدينة، فإذا منافق عظيم من المنافقين قد مات)<sup>(٢)</sup>. وبهذا الشاهد يُعلم أن حديث ابن إسحاق يصبح حسناً لغيره.

## قصة الإفك

إن الابتلاء سنة ثابتة لا تبدل ولا تتغير... ولكن الابتلاء الذى تعرضت له أمنا عائشة (رضى الله عنها) كان ابتلاء يفتت الصخور والجبال ويعصف بالقلوب فلقد اتهمت فى أعز شيء تملكه المرأة - اتهمت فى عرضها - !!! . إن هذا لهو البلاء العظيم ... عائشة (رضى الله عنها) تُتهم فى عرضها وهى الزهرة التقية النقية التى نبتت فى حقل الإسلام وسُقيت بماء الوحي... ورسول الله ﷺ يُتهم فى عرضه وهو القائم على صيانة حُرُمات الأمة وأعراض المسلمين... والصدِّيق (رضى الله عنه) يُتهم فى عرض ابنته الغالية !!! . وكان لحديث الإفك وقع أليم على قلب أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها... ومرت عليها وعلى البيت النبوى الطاهر والبيت البكرى الصادق أوقات قاسية حرجة، امتدت إلى شهر من الزمن، حتى نزل القرآن الكريم بالبراءة للعفيفة الصديقة بنت الصديق،

(١) سيرة ابن هشام: ٢/٢٩٢ وهو مرسل رجاله ثقات وصرح ابن إسحاق بالتحديث.

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب صفة المنافقين رقم: ٢٧٨٢ أحمد فى المسند: ٣/٣١٥، ٣٤١، ٣٤٦، وأبو يعلى

فى مسنده: ٤/٢٠١، والطبرى فى تاريخه: ٢/٦٠٧، والبيهقى فى الدلائل ٤/٦١.

وتحمل هذه البراءة شهادة مباركة للمؤمن صفوان بن المعطل الذى رُمى بالحديث الآثم، كما وسمت المنافقين بميسم الزور والبهتان الذى ظل يلاحقهم إلى النهاية.

لم تسترح نفوس المنافقين الذى رأوا انتصارات الإسلام تتوسع يوماً بعد يوم، ووجدوا أن مكانتهم بدأت تنحسر وتتلاشى إلى أن مقتهم مجتمعهم، فأرادوا - بزعمهم - أن يوجهوا ضربة قاصمة إلى النبي الكريم ﷺ، فرموا أمنا الطاهرة الصديقة بنت الصديق بالبهتان العظيم.

وكان عبد الله بن أبى بن سلول قد تولد النفاق والحسد فى قلبه من أول يوم سمع فيه بالإسلام، وطفق يكيد للنبي ﷺ وللإسلام المكيدة تلو الأخرى، ولكن حكمة الله سبحانه كانت له وللمنافقين بالمرصاد، فكانت تلجمهم وتكبتهم<sup>(١)</sup>.

### الصديقة وشدة البلاء

فى حادثة الإفك كادت تكون فتنة عمياء، فقد أصابت المسلمين بهزة عنيفة زلزلت كيانهم، ولم يكن الناس فيها سواسية، ولكنهم كانوا مختلفين فى آرائهم تجاه حادثة الافتراء والظلم.

فقد سكت بعضهم، فلم يدر من شدة الدهش والذهول ما يقول، وأفصح بعضهم بعظمة العظام، وقبيحة القبايح، وكع أناس عن الإفصاح بالحق فى تنزيه حليمة النبي ﷺ الطاهرة المطهرة عائشة رضى الله عنها. وأنزل الله عز وجل عقابه على من جبن وسكت ولم يدفع الإفك والبهتان عن ساحة الطهر والكمال، الساحة النبوية البكرية، وادخر للمنافقين الذين صرحوا وكذبوا جهنم كلما خبت زادها سعيراً وتوقداً.

أجل لقد كان فى هذا الحدث الجلل، من خطر الحديث وشدة البلاء، لرسول الله ﷺ ما لم يعلم مداه إلا العليم الخبير، ولكن رسول الله ﷺ كان إمام الصابرين، صبر أجمل الصبر، وعالج الأمر بحكمة هادئة، فقد كان همه أن يقى المجتمع المسلم من عواصف الفتن، وهزات المحن، وقواصم المكائد النفاقية المنبثقة عن بعض الرواسب الجاهلية.

كان هذا الحدث الخطير، لأم المؤمنين رضى الله عنها، زوجة سيد الخلق، وأحب الناس إليه، وأبويها وآلها، وخاصة المسلمين ما أقض مضاجعهم، ونشف الدمع فى مآقيهم، وخصوصاً عائشة رضى الله عنها، حتى من الله عليها وعلى المؤمنين، فكشف

(١) نساء مبشرات بالجنة (ص: ١٨٠) بتصرف.

الغمة، وفرج الكربة، وأنزل وحيه بالقرآن المجيد على رسوله الكريم محمد ﷺ بما لم يكن لأحد في الحسبان، حيث كان يظن أن يرى الرسول ﷺ رؤيا منامية في تبرئة أطهر الطاهرات، وأفقه الفقيهات، أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق رضى الله عنهما.

لكن الله عز وجل أراد أن يجعل منها خصيصة ليرفع من شأن عائشة رضى الله عنها إظهاراً لشرفها الذاتى والاجتماعى، وتوضيحاً لمكانتها فى أهل البيت طهراً وفضلاً وشرقاً وثقلاً فى ميزان الفضائل والمكارم الإنسانية والإيمانية لمكانتها من قلب رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

### المبرة من فوق سبع سماوات

فتعالوا بنا لنعرف القصة كاملة ونرى مكانة أمنا عائشة عند الله (عز وجل) الذى أنزل براءتها من فوق سبع سماوات.

فمن عائشة رضى الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه. قالت عائشة: فأقرع بيننا فى غزوة غزاها فخرج سهمى، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعدما نزل الحجاب فأنا أحمل فى هودجى وأنزل فيه. فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل، فقمنا حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأنى أقبلت إلى رحلى، فإذا عقد لى من جزع أظفار قد انقطع، فالتمست عقدى وحبسنى ابتغاؤه.

وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لى فاحتملوا هودجى، فرحلوه على بعيرى الذى كنت ركبته وهم يحسبون أنى فيه وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلهن اللحم إنما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الحمل وساروا، فوجدت عقدى بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فأمت منزلى الذى كنت به وظننت أنهم سيفقدونى فيرجعون إلى، فبينما أنا جالسة فى منزل غلبتنى عينى فممت وكان صفوان بن المعطل السلمى من وراء الجيش فأدلىج، فأصبح عند منزلى، فرأى سواد إنسان نائم، فأتانى فعرفنى حين رأتى، وكان يرانى قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه<sup>(٢)</sup> حين عرفنى، فخمرت وجهى بجلبابى،

(١) نساء أهل البيت (ص: ١٢٨ - ١٢٩).

(٢) أى بقوله: إنا لله وإنا إليه راجعون.

والله ما كلمنى كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتها، فانطلق يقود بى الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين فى نجر الظهيرة، فهلك من هلك، وكان الذى تولى الإفك عبد الله بن أبى بن سلول، فقدمنا المدينة، فاشتكت حين قدمت شهراً، والناس يفيضون فى قول أصحاب الإفك، ولا أشعر بشيء من ذلك، وهو يرينى فى وجعى أنى لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذى كنت أرى منه حين أشتكى، إنما يدخل على رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول: كيف تيكم، ثم ينصرف، فذاك الذى يرينى ولا أشعر بالشر، حتى خرجت بعدما نقهت، فخرجت معى أم مسطح قبل المناصع، وهو متبرزنا وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن تتخذ الكنف قريباً من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول فى التبرز قبل الغائط، فكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا.

فانطلقت أنا وأم مسطح - وهى ابنة أبى رهم بن عبد مناف، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبى بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثانة - فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتى وقد فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح فى مرطها، فقالت: تعس مسطح. فقلت لها: بش ما قلت، أتسبين رجلاً شهد بدرًا؟ قالت: أى هنتاه أو لم تسمعى ما قال؟ قالت قلت: وما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضاً على مرضى. فلما رجعت إلى بيتى ودخل على رسول الله ﷺ تعنى سلم ثم قال: كيف تيكم؟ فقلت: أتأذن لى أن أتى أبوى قالت: وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما قالت: فأذن لى رسول الله ﷺ .

### هموم وأحزان تفتت الجبال

قالت: فجئت أبوى، فقلت لأمى: يا أمته ما يتحدث الناس؟ قالت: يا بنية هونى عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها. قالت فقلت: سبحان الله، أو لقد تحدث الناس بهذا؟ قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لى دمع، ولا أكتحل بنوم حتى أصبحت أبكى.

فدعا رسول الله ﷺ على بن أبى طالب وأسامة بن زيد رضى الله عنهما حين استلبت الوحى يستأمرهما فى فراق أهله. قالت: فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذى يعلم من براءة أهله، وبالذى يعلم لهم فى نفسه من الود فقال: يا رسول الله، أهلك، وما نعلم إلا خيراً.

وأما علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك. قالت فدعا رسول الله ﷺ بريرة. فقال أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك؟ قالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق، إن رأيت عليها أمراً أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله فقام رسول الله ﷺ فاستعذر يومئذ من عبد الله بن أبي بن سلول.

### والله ما علمت على أهلي إلا خيراً

قال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي؟ فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً وما كان يدخل على أهلي إلا معي فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: يا رسول الله وأنا أعذرك منه، إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك. قالت: فقام سعد بن عباد - وهو سيد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية - فقال لسعد: كذبت لعمر الله، لا تقتله ولا تقدر على قتله.

فقام أسيد بن حضير - وهو ابن عم سعد بن معاذ - فقال لسعد بن عباد: كذبت لعمر الله لنقتله، فإنك منافق تجادل عن المنافقين. فتساور الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت.

قالت: فمكثت يومى ذلك لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم.

قالت فأصبح أبواى عندى وقد بكيت ليلتين ويوماً لا أكتحل بنوم ولا يرقأ لى دمع يظنان أن البكاء فالق كبدى. قالت: فبينما هما جالسان عندى وأنا أبكى فاستأذنت على امرأة من الأنصار فأذنت لها، فجلست تبكى معى.

### كلمات تجعل القلب يبكى الدماء بدل الدموع

قالت: فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس، قالت ولم يجلس عندى منذ قيل ما قيل قبلها، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه فى شأنى قالت: فتشهد رسول الله ﷺ وسلم حين جلس ثم قال: أما بعد، يا عائشة فإنه بلغنى عنك كذا وكذا،



فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألمت بذنب فاستغفري الله وتوبى إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه.

### فصبر جميل

قالت: فلما قضى رسول الله مقالته قلص دمعى حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبى: أجب رسول الله ﷺ فيما قال. قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ. فقلت لأمى: أجبى رسول الله ﷺ قالت ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ. قالت فقلت - وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن -: إنى والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر فى أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم إنى بريئة - والله يعلم أنى بريئة - لا تصدقونى بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر - والله يعلم أنى منه بريئة - لتصدقنى. والله ما أجد لكم مثلاً إلا قول أبى يوسف، قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

### هكذا نزلت براءتها من فوق سبع سماوات

قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشى قالت وأنا حيثئذ أعلم أنى بريئة وأن الله مبرئى ببراءتى، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزلٌ فى شأنى وحيّاً يتلى ولشأنى فى نفسى كان أحقر من أن يتكلم الله فىّ بأمر يتلى ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ فى النوم رؤيا يبرؤنى الله بها. قالت: فوالله ما رام رسول الله ﷺ ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق وهو فى يوم شاتٍ من ثقل القول الذى ينزل عليه.

قالت: فلما سرى عن رسول الله ﷺ سرى عنه وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها: يا عائشة، أما الله عز وجل فقد برأك. فقالت أمى: قومى إليه قالت فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله عز وجل. وأنزل الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تحْسِبُوهُ﴾ [النور: ١١ - ٢٠] العشر الآيات كلها. فلما أنزل الله فى براءتى قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه وكان ينفق على مسطح بن أثانة لقربته منه وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذى قال لعائشة ما قال فأنزل الله ﴿وَلَا يَأْتِلْ أَوْلُوا الْفُضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أَوْلَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَيَلِصُّوا أَلَا

تُجِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾ [النور: ٢٢] قال أبو بكر: بلى والله، إنى أحب أن يغفر الله لى. فرجع إلى النفقة التى كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبدا. قالت عائشة: وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب ابنة جحش عن أمرى فقال: يا زينب، ماذا علمت أو رأيت؟ فقالت: يا رسول الله، أحمى سمعى وبصرى، ما علمت إلا خيراً. قالت - وهى التى كانت تسامينى من أزواج رسول الله ﷺ فعصمها الله بالورع، وطفقت أختها حمنة تحارب لها، فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك»<sup>(١)</sup>.

### ساعات المحنة

عندما يقف الإنسان يتدبر معانى الآيات الكريمة التى برأت عائشة (رضى الله عنها)، تجول فى خاطره تلك الساعات التى مر بها البيت النبوى، والبيت البكرى، وكيف تلقى النبى ﷺ هذا الخبر، وكيف صبر رسول الله ﷺ وآل أبى بكر تحت وطأة بلاء حديث الإفك؟!!

نعم لقد آذى رسول الله ﷺ ما بلغه عن عائشة أظهر الصادقات وأصدق الطاهرات، من أحبها مع أبيها حباً يفوق تصور المتصورين، فهو لا يعلم عن زوجه عائشة إلا خيراً، ولكن ما بال الناس يقولون عليها؟

لقد لبث رسول الله ﷺ تحت وطأة بلاء هذه المحنة القاسية صابراً صبراً لم يُعرف فى تاريخ النوازل والبلايا والخطوب لأحد من قبله، ولا لأحد من بعده، حتى نزلت آيات براءة عائشة بعد سبع وثلاثين ليلة من بداية المحنة، فقد بلغه ﷺ حديث الإفك عند وصوله إلى المدينة، بعد ظفره بينى المصطلق، تحدث به أهل النفاق ومرضى القلوب. ولاكته ألسنتهم وهم يعلمون أنهم كاذبون مفترون، يحسبونه هينا وهو عند الله عظيم.

وما بالك بحال آل أبى بكر؟!!

لم يكن حالهم أقل حزناً من حزن رسول الله ﷺ، فإنهم منذ بلغهم الإفك، وما تحدث به المنافقون وأتباعهم، وهم يرزحون تحت فجيعة هذا البلاء العاصف، لا يدرون ما يقولون، ولا ما يفعلون، تلاحقهم النظرات المتنوعة من كل مكان، وفى كل مكان.

ولك أن تتخيل تلك اللحظات الحرجة، بل الساعات والأيام التى قضوها، وهم

(١) أخرجه البخارى (٤٧٥٠) كتاب التفسير - ومسلم (٢٧٧٠) وأحمد (٦/١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧).

يعيشون مرارة المحنة، ولكنهم استسلموا لقضاء العزيز الحميد الذى له ملك السماوات والأرض، منتظرين حكمه بكشف الغمة التى أحاطت أثقالها بأكنافهم، وكان أمر النبى ﷺ لهم لديهم من أمر أنفسهم.

وصفت أم المؤمنين عائشة حالها، وحال أبويها فى أخرج لحظات البلاء التى أذابت فيهم عناصر الحركة النفسية والفكرية.. تقول عائشة: والله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبى بكر فى تلك الأيام<sup>(١)</sup>.

### وقفة غالية

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: فما بال رسول الله ﷺ توقف فى أمرها وسأل عنها واستشار. وهو أعرف بالله وبمنزلته عنده وبما يليق به، وهلا قال: سبحانك هذا بهتان عظيم كما قاله فضلاء الصحابة. فالجواب: أن هذا من تمام الحكم الباهرة التى جعل الله هذه القصة سبباً لها وامتحاناً وابتلاء لرسوله ﷺ ولجميع الأمة إلى يوم القيامة، ليرفع بهذه القصة أقواماً، ويضع بها آخرين، ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وإيماناً، ولا يزيد الظالمين إلا خساراً، واقتضى تمام الامتحان والابتلاء أن حبس عن رسول الله ﷺ الوحي شهراً فى شأنها ولا يوحى إليه فى ذلك شئ لتتم حكمته التى قدرها وقضاها وتظهر على أكمل الوجوه، ويزداد المؤمنون الصادقون إيماناً وثباتاً على العدل والصدق وحسن الظن بالله ورسوله وأهل بيته والصدّيقين من عباده، ويزداد المنافقون إفكاً ونفاقاً، ويظهر لرسوله وللمؤمنين سرائرهم ولتتم العبودية المرادة من الصديقة وأبويها، وتتم نعمة الله عليهم ولتشتد الفاقة والرغبة منها ومن أبويها والافتقار إلى الله، والذل له، وحسن الظن به، والرجاء له، ولينقطع رجاؤها من المخلوقين، وتيأس من حصول النصر والفرج على يد أحد من الخلق، ولهذا وفّت هذا المقام حقه، لما قال لها أبواها: قومى إليه وقد أنزل الله عليه براءتها، فقالت: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله هو الذى أنزل براءتى.

وأيضاً فكان من حكمة حبس الوحي شهراً أن القضية مُحصت وتمحصت، واستشرفت قلوب المؤمنين أعظم استشراف إلى ما يوحىه الله إلى رسوله فيها، وتطلعت إلى ذلك غاية التطلع، فوافى الوحي أحوج ما كان إليه رسول الله ﷺ وأهل بيته والصدّيق وأهله وأصحابه والمؤمنون، فورد عليهم ورود الغيث على الأرض أحوج ما

(١) نساء أهل البيت (ص: ١٣٧-١٣٨).

كانت إليه، فوق منهم أعظم موقع وألطفه، وسرّوا به أتم السرور، وحصل لهم به غاية الهناء، فلو أطلع الله رسوله على حقيقة الحال من أول وهلة، وأنزل الوحي على الفور بذلك لفاتت هذه الحكم وأضعافها، بل أضعاف أضعافها. وأيضاً فإن الله سبحانه وتعالى أحب أن يُظهر منزلة رسوله وأهل بيته عنده وكرامتهم عليه، وأن يخرج رسوله عن هذه القضية ويتولى هو بنفسه الدفاع والمنافحة عنه والرد على أعدائه وذمهم وعييبهم بأمر لا يكون له فيه عمل، ولا ينسب إليه بل يكون هو وحده المتولى كذلك الدفاع لرسوله وأهل بيته<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) زاد المعاد (٣/٢٦١: ٢٦٣) نقلاً من كتاب «صحابيات حول الرسول ﷺ» للمصنف (ص: ١٣٤: ١٤٤).

## غزوة الخندق (الأحزاب)

وما أشبه اليوم بالأمس... فكما اجتمعت الأحزاب حول مدينة رسول الله ﷺ يريدون أن يستأصلوا شأفة الإسلام والمسلمين فما هم اليوم يجتمعون مرة أخرى لإبادة المسلمين ولكن ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، ﴿وَاللَّهُ مِنْ ورائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ [البروج: ٢٠].

### سبب تسميتها بالخندق أو الأحزاب

قال الحافظ ابن حجر (رحمه الله):

فأما تسميتها الخندق فلأجل الخندق الذي حفر حول المدينة بأمر النبي ﷺ وكان الذي أشار بذلك سلمان فيما ذكر أصحاب المغازي منهم أبو معشر قال «قال سلمان للنبي ﷺ إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا، فأمر النبي ﷺ بحفر الخندق حول المدينة، وعمل فيه بنفسه ترغيباً للمسلمين، فسارعوا إلى عمله حتى فرغوا منه، وجاء المشركون فحاصروهم... وأما تسميتها الأحزاب فلاجتماع طوائف من المشركين على حرب المسلمين، وهم قريش وغطفان واليهود ومن تبعهم، وقد أنزل الله تعالى في هذه القصة صدر سورة الأحزاب، وذكر موسى بن عقبة في المغازي قال «خرج حبي بن أخطب بعد قتل بنى النضير إلى مكة يحرض قريشاً على حرب رسول الله ﷺ، وخرج كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق يسعى في بنى غطفان ويخضهم على قتال رسول الله ﷺ على أن لهم نصف ثمر خيبر، فأجابه عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري إلى ذلك، وكتبوا إلى حلفائهم من بنى أسد فأقبل إليهم طلحة بن خويلد فيمن أطاعه، وخرج أبو سفيان بن حرب بقريش فنزلوا بمر الظهران، فجاءهم من أجابهم من بنى سليم مدداً لهم فصاروا في جمع عظيم، فهم الذين سماهم الله تعالى الأحزاب»<sup>(١)</sup>.

(١) فتح الباري (٧/٤٥٣: ٤٥٤).

## متى كانت

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

وكانت في سنة خمس من الهجرة في شوال على أصح القولين، إذ لا خلاف أن أحدًا كانت في شوال سنة ثلاث، وواعد المشركون رسول الله ﷺ في العام المقبل، وهو سنة أربع، ثم أخلفوه لأجل جدب تلك السنة، فرجعوا، فلما كانت سنة خمس، جاؤوا لحربه... هذا قول أهل السير والمغازي.

وخالفهم موسى بن عقبة وقال: بل كانت سنة أربع. قال أبو محمد بن حزم: وهذا هو الصحيح الذي لا شك فيه، واحتج عليه بحديث ابن عمر في «الصحيحين» أنه عرض على النبي ﷺ يوم أحد، وهو ابن أربع عشرة سنة، فلم يجزه، ثم عرض عليه يوم الخندق، وهو ابن خمس عشرة سنة، فأجازه<sup>(١)</sup>.

قال: فصح أنه لم يكن بينهما إلا سنة واحدة<sup>(٢)</sup>.

وأجيب عن هذا بجوابين، أحدهما: أن ابن عمر أخبر أن النبي ﷺ، رده لما استصغره عن القتال، وأجازه لما وصل إلى السن التي رآه فيها مطيقًا، وليس في هذا ما ينفي تجاوزها بسنة أو نحوها.

الثاني: أنه لعله كان يوم أحد في أول الرابعة عشرة ويوم الخندق في آخر الخامسة عشرة<sup>(٣)</sup>.

وقد رجح الحافظ ابن حجر أنها كانت في السنة الخامسة وقال: وهو المعتمد<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخاري ٣٠٢/٧ في المغازي: باب غزوة الخندق، ومسلم (١٨٦٨) في الإمارة: باب بيان سن البلوغ.

(٢) «جوامع السيرة» ص ١٥٨، ونقل ابن كثير في كتاب «الفصول» ٥٦ قول ابن حزم هذا واحتجاه بحديث ابن عمر، وعلق عليه بقوله: هذا الحديث مخرج في «الصحيحين» وليس يدل على ما ادعاه ابن حزم، لأن مناط إجازة الحرب كانت عنده ﷺ خمس عشرة سنة، فكان لا يجيز من لم يبلغها، ومن بلغها، أجازه، فلما كان ابن عمر يوم أحد من لم يبلغها، لم يجزه، ولما كان قد بلغها يوم الخندق أجازه، وليس ينفي هذا أن يكون قد زاد عليها بسنة أو سنتين أو ثلاث أو أكثر من ذلك، فكأنه قال: وعرضت عليه يوم الخندق، وأنا بالغ أو من أبناء الحرب.

(٣) زاد المعاد (٣/٢٦٩: ٢٧٠).

(٤) فتح الباري (٧/٤٥٤).

### بين يدي الغزوة

عاد السلام والأمن، وهدأت الجزيرة العربية بعد الحروب والبعثات التي استغرقت أكثر من سنة كاملة، إلا أن اليهود - الذين كانوا قد ذاقوا ألواناً من الذلة والهوان نتيجة غدرهم وخيانتهم ومؤامراتهم ودسائسهم - لم يفيقوا من غيهم، ولم يستكينوا ولم يتعظوا بما أصابهم نتيجة الغدر والتآمر، فبعد نفيهم إلى خيبر ظلوا ينتظرون ما يحل بالمسلمين نتيجة المناوشات التي كانت قائمة بين المسلمين والوثنيين. ولما تحول مجرى الأيام لصالح المسلمين، وتمخضت الليالي والأيام عن بسط نفوذهم، وتوطد سلطانهم - تحرق هؤلاء اليهود أى تحرق. وشرعوا فى التآمر من جديد على المسلمين، وأخذوا يعدون العدة لهيئة ضربة إلى المسلمين تكون قاتلة لا حياة بعدها<sup>(١)</sup>.

فلقد أيقنت طوائف الكفار أنها لن تستطيع مغالبة الإسلام إذا حاربه كل طائفة منفردة وأنها ربما تبلغ أملها إذا رمت الإسلام كتلة واحدة، وكان زعماء يهود فى جزيرة العرب أبصر من غيرهم بهذه الحقيقة، فأجمعوا أمرهم على تأليب العرب ضد الإسلام وحشدهم فى جيش كثيف ينازل محمداً ﷺ وصحبه فى معركة حاسمة<sup>(٢)</sup>.

### سبب الغزوة

وكان سبب غزوة الخندق أن اليهود لما رأوا انتصار المشركين على المسلمين يوم أحد، وعلموا بميعاد أبى سفيان لغزو المسلمين، فخرج لذلك، ثم رجع للعام المقبل؛ خرج أشرفهم، كسلاَم بن أبى الحقيق، وسلاَم بن مشكَم، وكنانة بن الربيع وغيرهم إلى قريش بمكة يحرضونهم على غزو رسول الله ﷺ، ويؤلبونهم عليه، ووعدوهم من أنفسهم بالنصر لهم، فأجابتهم قريش، ثم خرجوا إلى غطفان فدعوهم، فاستجابوا لهم، ثم طأفوا فى قبائل العرب، يدعونهم إلى ذلك، فاستجاب لهم من استجاب، فخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان فى أربعة آلاف، ووافتهم بنو سليم بمر الظهران، وخرجت بنو أسد، وفزارة، وأشجع، وبنو مرة، وجاءت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن. وكان من وافى الخندق من الكفار عشرة آلاف<sup>(٣)</sup>.

(١) الرحيق المختوم (ص: ٣٢٣).

(٢) فقه السيرة / للغزالي (ص: ٣٣٥).

(٣) زاد المعاد (٣/ ٢٧٠: ٢٧١).

## حضر الخندق

وسارع رسول الله ﷺ إلى عقد مجلس استشاري أعلى، تناول فيه موضع خطة الدفاع عن كيان المدينة، وبعد مناقشات جرت بين القادة وأهل الشورى، اتفقوا على قرار قدمه الصحابي النبيل سلمان الفارسي - رضی الله عنه - قال سلمان: يا رسول الله، إنا كنا بأرض فارس إذا حوصرنا خندقنا علينا، وكانت خطة حكيمة لم تكن تعرفها العرب قبل ذلك.

وأسرع رسول الله ﷺ إلى تنفيذ هذه الخطة، فوكل إلى كل عشرة رجال أن يحفروا من الخندق أربعين ذراعاً<sup>(١)</sup>.

ولما كانت المدينة تحيط بها الحرّات والجبال وبساتين من النخيل من كل جانب سوى الشمال، وكان النبي ﷺ يعلم كخبير عسكري حاذق أن زحف مثل هذا الجيش الكبير، ومهاجمة المدينة - لا يمكن إلا من جهة الشمال، اتخذ الخندق في هذا الجانب.

وواصل المسلمون عملهم في حفره، فكانوا يحفرونه طول النهار، ويرجعون إلى أهليهم في المساء حتى تكامل الخندق حسب الخطة المنشودة قبل أن يصل الجيش الوثني العرمرم إلى أسوار المدينة<sup>(٢)</sup>.

\* وعن أنس (رضي الله عنه) قال: «خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة، فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من النَّصَب والجوع قال: (اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة) فقالوا مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً

وفي لفظ آخر قال: «جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة، وينقلون التراب على متونهم وهم يقولون:

نحن الذين بايعوا محمداً على الإسلام ما بقينا أبداً

قال يقول النبي ﷺ وهو يجيبهم (اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة، فبارك في الأنصار

(١) الرحيق المختوم (ص: ٣٢٧).

(٢) ابن هشام (٣/ ٣٣١).



والمهاجرة) قال: يؤتون بملء كفى من الشعر، فيصنع لهم ياهالة<sup>(١)</sup> سنخ توضع بين يدي القوم، والقوم جياع، وهى بشعة فى الخلق ولها ريح منتن<sup>(٢)</sup>... وكان النبى ﷺ ينقل معهم التراب - وياله من تواضع -.

وعن البراء بن عازب قال: «لما كان يوم الأحزاب، وخندق رسول الله ﷺ، رأيتُه ينقل من تراب الخندق، حتى وارى عنى التراب جلدة بطنه - وكان كثير الشعر - فسمعتُه يرتجز بكلمات ابن رواحة، وهو ينقل من التراب يقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينه علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الألى قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا

قال: ثم يمد صوته بآخرها<sup>(٣)</sup>.

\* إن الدفاع عن الإسلام ومخافة الفتنة لو انتصر المشركون جعلت الرسول ﷺ وصحابته يعالجون هذا العمل الثقيل، ونفوسهم راضية مغتبطة مع ما يلقون فيه من عناء وصعوبة.

ولا تحسبن عمل رسول الله ﷺ فى تعميق الخندق وقذف أثرته من قبيل التمثيل الذى يحسنه بعض الزعماء فى عصرنا. كلا.. كلا.

إن الرجولة الكادحة الجادة فى أنبل صورها. كانت تُقتبس من مسلك الرسول ﷺ فى هذه المعركة<sup>(٤)</sup>.

إن العدالة والمساواة هما الأساس الواقعى الذى تنبثق منه القيم والمبادئ الإسلامية عامة ظاهراً وباطناً.

فأنت تجد أن رسول الله ﷺ لم يندب المسلمين إلى حفر الخندق، ثم ذهب يراقبهم فى قصر منيف له مستريحاً هادئاً، ولا أقبل إليهم فى احتفال صاحب رنان ليمسك معول

(١) الإهالة: الدهن الذى يؤدم به سواء كان زيتاً أو سمناً أو شحمًا.

(٢) أخرجه البخارى فى المغازى باب غزوة الخندق حديث رقم: ٤٠٩٩ - ٤١٠٠، مسلم فى صحيحه الجهاد والسير باب غزوة الأحزاب وهى الخندق حديث رقم: ١٨٠٥، الفتح الربانى: ٧٧/٢١.

(٣) أخرجه البخارى فى المغازى باب غزوة الخندق حديث رقم: ٤١٠٦، ٤١٠٤، مسلم فى صحيحه الجهاد والسير باب غزوة الأحزاب رقم: ١٨٠٣.

(٤) فقه السيرة/ للغزالي (ص: ٣٣٧).

أحدهم بأطراف أصابعه، فيضرب به ضربة واحدة في الأرض إيداناً بيدء العمل وتخيبلاً لهم أنه قد شاركهم في ذلك، ثم يلقي المعول ويدير إليهم ظهره، ينفض عن حُلته ما قد علق بها من ذرات غبار..

ولكن رسول الله ﷺ قد انخرط في العمل كأى واحد من أصحابه، حتى لبس ثوباً من الأتربة والغبار على جسمه فما تفرقه عن أى عامل آخر من صحبه وإخوانه، يرتجزون لينشط بعضهم بعضاً، فيرتجز معهم، ويتعبون ويَجوعون فيكون أولهم تعباً وجوعاً. وتلك هى حقيقة ما أقامته الشريعة الإسلامية من مساواة بين الحاكم والمحكوم والغنى والفقير والصلعوك والأمير<sup>(١)</sup>.

### معجزات الرسول ﷺ فى غزوة الخندق

عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال: «لما كان حين أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق عرضت لنا فى بعض الخندق صخرة لا تأخذ فيها المعاول، فاشتكىنا إلى رسول الله ﷺ فجاءنا فأخذ المعول فقال: (بسم الله، فضرب ضربة فكسر ثلثها، وقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام، والله إنى لأبصر قصورها الحمر الساعة، ثم ضرب الثانية، فقطع الثلث، الآخر فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس، والله إنى لأبصر قصر المدائن أبيض، ثم ضرب الثالثة، وقال: بسم الله فقطع بقية الحجر فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله إنى لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا الساعة)<sup>(٢)</sup>.

وعن جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - قال: «لما حفر الخندق رأيت بالنبي ﷺ خَمْصاً شديداً - من أثر الجوع - فانكفيتُ إلى امرأتى فقلت: هل عندك شئ؟ فإنى رأيت برسول الله ﷺ خَمْصاً شديداً. فأخرجت إلى جراباً فيه صاعٌ من شعير، ولنا بُهيمَةٌ داجن فذبحتها، وطحنت الشعير، وفرغت إلى فراغى، وقطعتها فى بُرمتها. ثم وليتُ إلى رسول الله ﷺ فقالت: لا تفضحنى برسول الله ﷺ وبمن معه. فجئته فساررته - كلمته سراً - فقلت: يا رسول الله ذبحنا بُهيمَةً لنا وطحننا صاعاً من شعير كان عندنا، فتعال أنت ونفر معك، فصاح النبى ﷺ يا أهل الخندق، إن جابراً قد صنع سوراً، فحى هلا بكم

(١) فقه السيرة النبوية/ للبوطفى (ص: ٢١٨: ٢١٩).

(٢) أخرجه أحمد فى المسند: (٤/ ٣٠٣) والنسائى فى الجهاد باب غزوة الترك: (٦/ ٤٣ - ٤٤) والبيهقى فى

الدلائل: (٣/ ٤١٧ - ٤١٨) وحسن إسنادة الحافظ فى الفتح (٧/ ٣٩٧).

فقال رسول الله ﷺ: لا تُتزلنَّ برمتكم، ولا تخبرنَّ عجبتكم حتى أجيء، فجئتُ وجاء رسول الله ﷺ يقدمُ الناس، حتى جئتُ امرأتى فقالت: بك وبك - تعاتبه - فقلت: قد فعلتُ الذى قلت. فأخرجت له عجبتاً، فبصق فيه وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك. ثم قال: ادعُ خابزةً فلتخبز معى. واقدحى من برمتكم ولا تنزلوها، (وهم ألف)، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإن برمتنا لتغطُّ كما هى، وإن عجبتنا ليُخبز كما هو<sup>(١)</sup>.

✽ لقد كان الذى دفع جابراً إلى دعوته ﷺ، ما اكتشفه من شدة جوعه عليه الصلاة والسلام حينما رأى الحجر المربوط على بطنه الشريف، ولم يكن فى بيته من الطعام إلا ما يكفى لبضعة أشخاص، فاضطر إلى أن يجعل الدعوة على قدر ما عنده من الطعام. ولكن كيف يتصور أن يترك النبى ﷺ أصحابه فى غمرة العمل وهم يتضورون مثله جوعاً، لينفرد عنهم مع ثلاثة أو أربعة من أصحابه يستريحون ويأكلون، وإنه لأشفق على أصحابه من شفقة الأم على أولادها؟!

أما جابر فقد كان مضطراً إلى ما فعل، وكان ذلك منه طبيعياً، إذ إنه - كأى مفكر من الناس - لم يكن يملك إلا أن يتصرف حسب ما لديه من الأسباب المادية، والطعام الذى لديه، لا يكفى فيما يُجمع عليه عرف البشر إلا لهذا العدد اليسير، فليختص به إذن رسول الله ﷺ ومن يشاء من بعض أصحابه فى حدود ضيقة.

ولكنه عليه الصلاة والسلام، لم يكن من شأنه أن يتأثر بنظرة جابر هذه، فهو أولاً لا يمكن أن يتميز عن أصحابه بشيء من النعمة أو الراحة. وهو ثانياً لا يمكن أن يأسر نفسه تحت سلطان الأسباب المادية وحدودها التى ألفها البشر، فالله وحده مسبب الأسباب وخالقها، ومن اليسير عليه سبحانه أن يجعل من الطعام اليسير كثيراً، وأن يبارك فى القليل منه حتى يكفى القوم كلهم.

ومهما يكن، فقد رأى النبى ﷺ أنه وأصحابه متضامنون متكافلون يتقاسمون النعمة بينهم مهما قلَّت كما يتقاسمون بينهم المحنة مهما عظمت وكثرت!.. فمن أجل ذلك أرسل جابراً إلى داره ليهيئ لهم الطعام، وانفتل هو إلى عامة القوم يناديهم أن يقبلوا جميعاً إلى صنعة كبرى لهم فى دار جابر<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخارى (٤١٠٢) كتاب المغازى.

(٢) فقه السيرة النبوية/ للبوطنى (ص: ٢٢٠).

### موقف المؤمنين والمنافقين عند رؤية الأحزاب

فلما انسابت الأحزاب حول المدينة وضيقوا عليها الخناق لم تطر نفوس المسلمين بل جابهوا الحاضر المر وهم موطدو الأمل في غد كريم.

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

أما الواهون والمرتابون ومرضى القلوب. فقد تندروا بأحاديث الفتح، وظنوها أمانى المغرورين، وقالوا عن رسول الله ﷺ يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأتم تحفرون الخندق لا تستطيعون أن تذهبوا للغائط.

وفيهم قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢] (١).

### موقف مخز للمنافقين

ولما شرع الرسول ﷺ والمؤمنون في حفر الخندق كان المؤمنون يواصلون العمل، وإن كانت لأحدهم حاجة ضرورية استأذن رسول الله ﷺ فأذن له فيذهب إلى أهله فيقضى حاجته ويعود، أما المنافقون فإن أحدهم يُورَى بقليل من العمل ثم يذهب إلى أهله بدون إذن ولا استئذان في خفاء فأنزل الله تعالى فيهم قوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذٍ﴾ (٢) فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ [النور: ٦٣].

ونزل في المؤمنين الصادقين ثناء الله عليهم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٦٢]. (٣)

(١) فقه السيرة/ للغزالي (ص: ٣٣٨: ٣٣٩).

(٢) مستترين بشيء عند الهرب من العمل حتى لا يروا.

(٣) هذا الحبيب يا محب/ الجزائري (ص: ٣٠٣).

## والله لا نعطيهم إلا السيف

ولما تكالبت قُوى الشرك بكتائبها الهائجة، وكادت تُغرق القلة المؤمنة، أراد رسول الله ﷺ أن يعقد صلحاً منفرداً بينه وبين غطفان، وسيديها: عيينة بن حصن والحارث بن عوف، على أن تفك غطفان الحصار عن المدينة، وتنسحب بجيوشها وتخذل الأحزاب، على أن يعطيهم رسول الله ﷺ ثلث ثمار نخل المدينة، واستشار رسول الله السعديين (سعد بن معاذ وسعد بن عباد)، فقال سعد بن معاذ: يا رسول الله، قد كنا نحن وهؤلاء القوم - يعني غطفان - لا يطمعون أن يأكلوا منا ثمرة، إلا قرى<sup>(١)</sup> أو بيعاً، وإن كانوا ليأكلون العلهز<sup>(٢)</sup> في الجاهلية في الجهد، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له، وأعزنا بك وبه نَقَطَهم أموالنا؟! ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف، حتى يحكم الله بيننا وبينهم. ثم خرج سعد إلى سيدي غطفان وقد رفع صوته في تحدٍّ: ارجعوا، ليس بيننا وبينكم غير السيف<sup>(٣)</sup>.

يا للرجال! في وقت بلغت فيه القلوب الحناجر من شدة الكرب وتقاطر البلايا؟! كلمات تصدر من فم الصادق سعد، تتفجر منها ينابيع الرجولة والشجاعة والأنفة، فبث الأمل في نفوس المسلمين، وتدهش سيدي غطفان؛ فيفيقوا، ويعلمهم سعد أن الذي يصنع النصر قوة العقيدة، وزخم الإيمان بالله والثقة به<sup>(٤)</sup>.

## شغلهم المشركون عن الصلاة

وقد حاول المشركون في بعض الأيام محاولة بليغة لاقتحام الخندق أو لبناء الطرق فيها، ولكن المسلمين كافحوا مكافحة مجيدة، ورشقوهم بالنبل وناضلوهم أشد النضال حتى فشل المشركون في محاولتهم.

ولأجل الاشتغال بمثل هذه المكافحة الشديدة فات بعض الصلوات عن رسول الله ﷺ والمسلمين<sup>(٥)</sup>.

(١) (٢) القرى: الضيافة، والعهز: وبر يُخلط بدماء اللحم، كانت العرب في الجاهلية تأكله في الجدب.

(٣) زاد المعاد (٣/٢٧٣).

(٤) علو الهمة/ د. سيد حسين (٣/٣٧٢).

(٥) الرحيق المختوم (ص: ٣٣٣).

\* عن علي رضي الله عنه «عن النبي ﷺ أنه قال يوم الخندق: مَلَأَ اللهُ عَلَيْهِمُ بُيُوتَهُمْ وَقَبُورَهُمْ نَارًا كَمَا شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوَسْطَى حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ» (١).

وعن جابر بن عبد الله «أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاء يوم الخندق بعد ما غرَبَتِ الشَّمْسُ جَعَلَ يَسْبُ كَفَّارَ قُرَيْشٍ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا كَدْتُ أَنْ أُصَلِّيَ حَتَّى كَادَتِ الشَّمْسُ أَنْ تَغْرُبَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَاللَّهِ مَا صَلَّيْتُهَا: فَتَزَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِطُحَانٍ، فَتَوْضَأْنَا لَهَا، فَصَلَّى الْعَصْرَ بَعْدَ مَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى بَعْدَهَا الْمَغْرِبَ» (٢).

\* ومن هنا يؤخذ أن محاولة العبور من المشركين، والمكافحة المتواصلة من المسلمين دامت أيامًا، إلا أن الخندق لما كان حائلًا بين الجيشين لم يجز بينهما قتال مباشر وحرب دامية، بل اقتصروا على المراماة والمناضلة.

وفي هذه المراماة قُتِلَ رِجَالٌ مِنَ الْجَيْشَيْنِ، يُعَدُّونَ عَلَى الْأَصْبَاعِ سِتَّةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَعَشْرَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ، بَيْنَمَا كَانَ قَتْلُ وَاحِدٍ أَوْ اثْنَيْنِ مِنْهُمْ بِالسَّيْفِ (٣).

### هكذا تكون البطولة

وكره فوارس من قريش أن يقفوا حول المدينة على هذا النحو، فإن فرض الحصار وترقب نتائجه ليس من شيمتهم. فخرج عمرو بن ودّ، وعكرمة بن أبي جهل، وضرار بن الخطاب، وأقبلوا تمنق بهم خيلهم حتى وقفوا على حافة الخندق. فلما رأوه قالوا: والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها.

ثم تيمموا مكانًا ضيقًا من الخندق. وضربوا خيلهم فاقتحمته، وأحس المسلمون الخطر المقرب، فأسرع فرسانهم يسدون هذه الشجرة يقودهم علي بن أبي طالب.

وقال (علي) لعمر بن ودّ، وهو فارس شجاع معلّم: يا عمرو.. إنك عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه. قال: أجل. فقال له علي: فإني أدعوك إلى الله ورسوله وإلى الإسلام. قال عمرو:

لا حاجة لي بذلك. قال علي: فإني أدعوك إلى النزال. فأجاب عمرو: ولم يا ابن

(١) أخرجه البخاري (٤١١١) كتاب المغازي.

(٢) أخرجه البخاري (٤١١٢) كتاب المغازي.

(٣) الرحيق المختوم (ص: ٣٣٤).

أخى؟ فوالله ما أحب أن أقتلك - استصغاراً لشأنه - قال علي: لكنى والله أحب أن أقتلك. فحمى عمرو، واقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ثم أقبل على علي، فتنازلا وتجاوزا. فقتله علي، وخرجت خيل المشركين من الخندق منهزمة حتى اقتحمته هاربة<sup>(١)</sup>. وكان شعار المسلمين يومئذ «حم لا ينصرون»<sup>(٢)</sup>.

### سعد بن أبي وقاص يرمى رجلاً فيضحك النبي ﷺ

عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال: «لما كان يوم الخندق ورجل يتترس جعل يقول بالترس هكذا، فوضعه فوق أنفه، ثم يقول هكذا يسفله، بعد... قال: فأهويت إلى كنانتي، فأخرجت منها سهماً مدمى، فوضعت في كبد القوس، فلما قال هكذا يسفل الترس رميت، فما نسيت وقع القدح على كذا وكذا من الترس، قال: وسقط فقال برجله هكذا، فضحك نبي الله ﷺ أحسبه قال حتى بدت نواجذه، قال: قلت: لم فعل، قال لفعل الرجل»<sup>(٣)</sup>.

### خيانة اليهود

وانطلق حبي بن أخطب إلى بنى قريظة، فدنا من حصنهم، فأبى كعب بن أسد أن يفتح له، فلم يزل يكلمه حتى فتح له، فلما دخل عليه، قال: لقد جئتك بعز الدهر، جئتك بقريش وغطفان وأسد على قادتها لحرب محمد، قال كعب: جئتني والله بذلك الدهر، وبجهام<sup>(٤)</sup> قد هراق مأوه، فهو يرعد ويبرق ليس فيه شيء. فلم يزل به حتى نقض العهد الذي بينه وبين رسول الله ﷺ، ودخل مع المشركين في محاربتة، فسر بذلك المشركون، وشرط كعب على حبي أنه إن لم يظفروا بمحمد أن يجيء حتى يدخل

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ٣٤٠).

(٢) أخرجه أحمد (٤/٦٥، ٢٨٩، ٣٧٧/٥)، وأبو داود (٢٥٩٧)، والترمذي (١٦٨٢) من حديث أبي إسحاق، عن المهلب بن أبي سفرة أخبرني من سمع النبي ﷺ يقول: «إن بينكم العدو، فقولوا: «حم لا ينصرون» وسنده حسن. وصححه الحاكم (٢/١٠٧).

(٣) قال الهيثمي في المجمع: ٦/١٣٥ - ١٣٦، رواه أحمد والبخاري إلا أنه قال كان رجل معه ترسان وكان سعد رامياً فكان يتول كذا وكذا بالترسين يغطي جبهته فنزع له سعد بسهم فلما رفع رأسه رماه فلم يخطئ هذه منه يعني جبهته والباقي بنحوه ورجالهما رجال الصحيح غير محمد بن محمد بن الأسود وهو ثقة، وانظر كشف الأستار: ١٨٠٨.

(٤) هو السحاب الرقيق الذي لا ماء فيه.

معه في حصنه، فيصيبه ما أصابه، فأجابه إلى ذلك، ووفى له به.

وبلغ رسول الله ﷺ خبرُ بنى قريظة ونقضهم للعهد، فبعث إليهم السَّعْدِينُ (١)، وخواتِ بنِ جبير، وعبدُ الله بنِ رواحة ليَعرِفُوا: هل هم على عهدهم، أو قد نقضوه؟ فلما دَنُوا منهم، فوجدوهم على أخْبِث ما يكون، وجاهروهم بالسبِّ والعداوة، ونالوا من رسول الله ﷺ فانصرفوا عنهم، ولحَنُوا إلى رسول الله ﷺ لِحْنًا يُخبرونه أنهم قد نَقَضُوا العَهْدَ، وغَدَرُوا، فعَظَّمَ ذلك على المسلمين، فقال رسولُ الله ﷺ عند ذلك: «اللَّهُ أَكْبَرُ أبشِرُوا يا معشرَ المسلمين»، واشتدَّ البلاءُ، ونَجِمَ النَّفَاقُ، واستأذَن بعضُ بنى حارثة رسولَ الله ﷺ في الذهابِ إلى المدينة وقالوا: ﴿إِنَّ بِيوتَنَا عَوْرَةً وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: ١٣] وهم بنو سلمة بالفشل، ثم ثَبَّتَ اللهُ الطائفتين (٢).

### إصابة سعد بن معاذ (رضى الله عنه)

عن عائشة - رضى الله عنها - فى قصة جرح سعد بن معاذ وغزوة الخندق قالت - رضى الله عنها -: خرجت يوم الخندق أفتو آثار الناس، فسمعت وئيد الأرض من ورائى - يعنى حس الأرض - قالت: فإذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجنة. قالت: فجلست إلى الأرض فمر (سعد) وعليه درع من حديد قد خرجت منه أطرافه، فأنا أتخوف على أطراف سعد، وكان سعد من أعظم الناس وأطولهم فمر وهو يرتجز ويقول:

لَبَّثْتُ قَلِيلًا يُدْرِكُ الهِجَا حَمْلُ  
ما أحسن الموت إذا حان الأجلُ

قالت: فافتحمت حديقة فإذا فيها نفر من المسلمين، وإذا فيها عمر بن الخطاب وفيهم رجل عليه تسبغة (٣) له يعنى المغفر، فقال عمر (لعائشة): ما جاء بك لعمرى إنك لجرية، وما يؤمنك أن لا يكون تجوز. قالت: فما زال يلومنى حتى تمنيت أن الأرض انشقت لى ساعتي فدخلت فيها قال: فرغ الرجل التسبغة عن وجهه فإذا طلحة بن عبيد الله. فقال: ويحك يا عمر إنك قد أكثرت منذ اليوم، وأين التجوز والفرار إلا إلى الله تعالى. قالت: ويرمى سعداً رجلٌ من المشركين من قريش يقال له ابن العرقة بسهمٍ له فقال له: خذها

(١) سعد بن معاذ وسعد بن عباد.

(٢) زاد المعاد (٣/ ٢٧١: ٢٧٢).

(٣) التسبغة: شىء من حلق الدروع والزردي يعلق بالخوذة دائراً معها ليستر الرقبة وجيب الدرع.



وأنا ابن العرقة، فأصاب أكله فقطعه - العرق - فدعا الله سعد فقال: اللهم لا تُمتنى حتى تُقرَّ عيني من بنى قريظة فيخرجوا من صياصبيهم<sup>(١)</sup>، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة وأمر بقبة من آدم فضربت على سعد في المسجد.

\* ودعوة سعد الأخيرة تصور مبلغ ما انطوت عليه قلوب المسلمين من غيظ لخيانة يهود وتمزيقها المعاهدة القائمة .

ومسلك بنى إسرائيل بإزاء المعاهدات التي أمضوها قديماً وحديثاً يجعلنا نجزم بأن القوم لا يدعون خستهم أبداً، وأنهم يراعون المواثيق ما بقيت هذه المواثيق متمشية مع أطماعهم ومكاسبهم وشهواتهم، فإذا تعارضت مع تطلعاتهم المحرمة نبذوها نبذ النواة... ولو تركت الحمير نهيقها، والأفاعى لدغها، لترك اليهود نقضهم للعهود. وقد نبه القرآن إلى هذه الخصلة الشنعاء في بنى إسرائيل، وأشار إلى أنها أحالتهم حيواناً لا أناسي، فقال: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٥٥) الَّذِينَ عَاهَدتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿ [الأنفال: ٥٥، ٥٦] (٢).

### محاولة فاشلة عند حصون النساء

عن رافع بن خديج رضى الله عنه قال: «لم يكن حصن أحصن من حصن بنى حارثة، فجعل النبي ﷺ النساء والصبيان والذراري فيه، وقال: (إن ألم بكن أحد فالمن بالسيف) فجاءهن رجل من بنى ثعلبة بن سعد يقال له نجدان أحد بنى حشاش على فرس، حتى كان في أصل الحصن ثم جعل يقول للنساء: انزلن إلى خير لكن، فحركن السيف فأبصره أصحاب رسول الله ﷺ، فابتدر الحصن قوم فيهم رجل من بنى الحارثة يقال له: ظهير بن رافع، فقال: يا نجدان ابرز، فبرز إليه، فحمل على فرسه، فقتله وأخذ رأسه فذهب به إلى النبي ﷺ» (٣).

\* وفي رواية: أنه لما خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق؛ جعل نساءه في أطم<sup>(٤)</sup> يقال له: فارع. قال عروة: «كان النبي ﷺ إذا خرج لقتال عدوه رفع نساءه في أطم حسان

(١) أى حصونهم، وكل شيء امتنع به وتحصن فهو صيص.

(٢) فقه السيرة/ للغزالي (ص: ٣٤٥).

(٣) قال الهيثمي في المجمع: (٦/ ١٣٣) رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٤) أطم: كل حصن مبنى من الحجارة.

(رضى الله عنه)؛ لأنه كان من أحسن الآطام.. فجاء يهودى فلصق بالأطم لسمع. قالت صفية: فأخذت عموداً فنزلت إليه، حتى فتحت الباب قليلاً قليلاً، فحملت عليه فضربته بالعمود فقتلته»<sup>(١)</sup>.

وعند ابن إسحاق: وهى أول امرأة قتلت رجلاً من المشركين.

وفى رواية: «فجاء إنسان من اليهود فرقى فى الحصن، حتى أطلّ عليهن. قالت صفية بنت عبد المطلب: فقتت إليه، فضربته حتى قطعت رأسه، فأخذت رأسه فرميت به عليهم»<sup>(٢)</sup>.

وقد كان لهذا الفعل الجيد من عمة الرسول ﷺ أثر عميق فى حفظ ذرارى المسلمين ونسائهم، ويبدو أن اليهود ظنوا أن هذه الآطام والحصون فى منعة من الجيش الإسلامى - مع أنها كانت خالية عنهم تماماً - فلم يجترئوا مرة ثانية للقيام بمثل هذا العمل، إلا أنهم أخذوا يمدون الغزاة الوثنيين بالمؤن كدليل عملى على انضمامهم إليهم ضد المسلمين، حتى أخذ المسلمون من مؤنهم عشرين جملاً<sup>(٣)</sup>.

### إنها لم تكن معركة خسائر بل معركة أعصاب

إن معركة الأحزاب لم تكن معركة خسائر بل معركة أعصاب.

فقتلى الفريقين من المؤمنين والكفار يعدون على الأصابع. ومع تلك الحقيقة فهى من أحسم المعارك فى تاريخ الإسلام، إذ أن مصير هذه الرسالة العظمى كان فيها أشبه بمصير رجل يمشى على حافة قمة سامقة، أو جبل ممدود، فلو اختل توازنه لحظة وفقد السيطرة على موقفه، لهوى من مرتفعه إلى وادٍ سحيق، ممزق الأعضاء، ممزق الأشلاء. ولقد أمسى المسلمون وأصبحوا فإذا هم كالجزيرة المنقطعة وسط طوفان يتهددها بالغرق ليلاً أو نهاراً. وبين الحين والحين يتطلع المدافعون. هل اقتحمت خطوطهم فى ناحية ما من منطقة الدفاع؟ وكان المشركون يدورون حول المدينة غضاباً يتحسسون نقطة ضعيفة لينحدروا منها فينفسوا عن حنقهم المكتوم، ويقطعوا أوصال هذا الدين الثائر.

وعرف المسلمون ما يتربص بهم وراء هذا الحصار، فقرروا أن يرابطوا فى مكانهم

(١) انظر طبقات ابن سعد (٢٧/٨) والمستدرک (٥١/٤).

(٢) الإصابة (٧/٧٤٤).

(٣) الرحيق المختوم (ص: ٣٣٦).

ينضحون بالنبل كل مقرب، ويتحملون لأواء هذه الحراسة التي تتنظم السهل والجبل، وتتسع ثغورها يوماً بعد يوم وهم كما وصف الله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب: ١٠: ١١] (١).

### رجل المهمات الصعبة

عن عبد الله بن الزبير (رضى الله عنهما) قال: «لما كان يوم الخندق كنت أنا وعمر بن أبي سلمة في الأطم الذي فيه نساء رسول الله ﷺ، أطم حسان، فكان يرفعني وأرفعه، فإذا رفعتني عرفت أبي حين يمر إلى بني قريظة، وكان يقاتل مع رسول الله ﷺ يوم الخندق فقال: «من يأتي بني قريظة فيقاتلهم؟» فقلت له حين رجع: يا أبت تالله إن كنت لأعرفك حين تمر ذاهباً إلى بني قريظة فقال: «يا بني أما والله إن كان رسول الله ﷺ ليجمع لى أبويه جميعاً يفديني بهما، يقول: «فداك أبى وأمى» (٢).

وعن جابر بن عبد الله (رضى الله عنهما) قال: «اشتد الأمر يوم الخندق فقال رسول الله ﷺ ألا رجل يأتينا بخبر بني قريظة؟ فانطلق الزبير فجاء بخبرهم، ثم اشتد الأمر أيضاً فذكر ثلاث مرات فقال رسول الله ﷺ: (إن لكل نبي حوارى والزيبر حوارى) (٣).

### نعيم بن مسعود ... ودوره الخالد

إن الله يغرس لهذا الدين غرساً يعز الله به الإسلام فى كل زمان ومكان. ومن بين هؤلاء الذين نفع الله بهم الإسلام بطلنا اليقظ الذكى الذى حباه الله بسرعة البديهة وشدة الذكاء.

إنه نعيم بن مسعود الذى كان فى الجاهلية على صلة وثيقة بيهود بنى قريظة وغيرهم.

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ٣٣٩: ٣٤٠).

(٢) أخرجه البخارى فى مناقب الصحابة باب مناقب الزبير (٣٧٢٠) مسلم فى فضائل الصحابة باب فضائل طلحة والزبير (٢٤١٦).

(٣) أخرجه البخارى فى فضائل الصحابة باب مناقب الزبير (٣٧١٩) مسلم فى فضائل طلحة والزبير حديث (٢٤١٥).

وكان يجلس فى مجالسهم يسمر ويشرب معهم وكانوا يحبونه ويثقون فيه تمام الثقة.  
وفى الوقت المناسب الذى قدره الله - جل وعلا - فتح الله قلب (نعيم) للهدى ودين الحق فبدأ نعيم صفحة جديدة فى يوم غزوة الأحزاب، واستطاع أن يسطر على جبين التاريخ صفحة لا تُنسى أبداً مع مرور الأيام والليالى.  
إنها صفحة ناصعة بيضاء... فقد جعله الله سبباً لإنقاذ الأمة المسلمة بأسرها وعلى رأسها رسول الله ﷺ.

### ماذا قدمت لدين الله؟

تدبر معى أيها الأخ الكريم كيف استطاع نعيم بن مسعود - رضى الله عنه - أن يكون سبباً فى إجلاء تلك الحشود التى تجمعت للقضاء على الإسلام (فى غزوة الأحزاب).  
وسل نفسك هذا السؤال: «ماذا قدمت لدين الله؟!!!».

فهذا هو نعيم بن مسعود ذلكم الفدائى البطل الذى جاء للمصطفى ﷺ فى وقت عصيب رهيب كادت فيه القلوب أن تخرج من الصدور.

أحاط المشركون بالمدينة من كل ناحية من حول الخندق وفى لحظات حرجة قاسية. نقض يهود بنى قريظة العهد مع رسول الله ﷺ وشكلوا تهديداً داخلياً خطيراً على النساء والأطفال، وتعاهدوا مع المشركين أن يحاربوا معهم محمداً ﷺ، وهذا هو فعل اليهود وهذه هى صفة اليهود. فاليهود لا يجيدون إلا الغدر ونقض العهود.

نقضوا العهد مع رسول الله ﷺ فى وقت حرج.. ولك أن تتصور الحالة النفسية التى مر بها المصطفى ﷺ مع أصحابه وقد وصفها الله وصفاً بليغاً دقيقاً. فقال تعالى: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ [الأحزاب: ١٠-١٢].

تصور هذه الحالة.. فلقد كان هناك مع رسول الله ﷺ من يقول: ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً! المشركون يحيطون بنا واليهود نقضوا العهد وسيدمرونا من الداخل ويقتلون نساءنا وأطفالنا!!

حالة قاسية حتى قام المصطفى ﷺ يتضرع إلى الله: «اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم»<sup>(١)</sup>.

وبينما رسول الله ﷺ وأصحابه فيما وصف الله - عز وجل - من الخوف والشدة، لتظاهر عدوهم عليهم وإتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفل منهم.

أتى نعيم بن مسعود إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنى قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمُرني بما شئت؛ فقال رسول الله ﷺ: «إنما أنت رجلٌ واحدٌ، فخذلّ عنا إن استطعت، فإن الحرب خُدعة».

فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بنى قُرَيْظَةَ، وكان لهم نديماً في الجاهلية، فقال: يا بنى قُرَيْظَةَ، قد عرفتم وُدِّي إياكم، وخاصة ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت، لست عندنا بمتهم، فقال لهم: إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم، فيه أموالكم وأبناؤكم ونسأؤكم، لا تقدرون على أن تحولوا منه إلى غيره، وإن قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدكم وأموالهم ونسأؤهم بغيره، فليسوا كأنتم، فإن رأوا نُهْزَةً<sup>(٢)</sup> أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلصوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم، يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تنجزوه، فقالوا له: لقد أشرت بالرأى.

ثم خرج حتى أتى قُرَيْشاً، فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: قد عرفتم وُدِّي لكم وفراقى محمداً، وإنه قد بلغنى أمرٌ قد رأيت على حقاً أن أبلغكموه، نُصْحاً لكم، فاكنتموا عني، فقالوا: نفعل.

قال: تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه: إنا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين، من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم فنُعطيكمهم، فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم؟ فأرسل إليهم: أن نعم. فإن بعثت إليكم يهودٌ يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً.

(١) أخرجه البخاري (١٠٩/٦ - ١١٠) المغازي - ومسلم (١٧٤٢) الجهاد.

(٢) النهزة: انتهاز الشيء واختلاسه.

ثم خرج حتى أتى غطفان، فقال: يا معشر غطفان، إنكم أصلى وعشيرتى، وأحبّ الناس إليّ، ولا أراكم تتهمونى، قالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمتهم، قال: فاكتموا عني، قالوا: ننعل، فما أمرك؟ ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم.

فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس، وكان من صنع الله لرسوله ﷺ أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورعوس غطفان إلى بنى قريظة عكرمة بن أبى جهل، فى نفر من قريش وغطفان، فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام، قد هلك الخفّ والحافر<sup>(١)</sup>، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً، ونفرغ مما بيننا وبينه، فأرسلوا إليهم: إن اليوم يوم السبت، وهو [يوم] لا نعمل فيه شيئاً. وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً، فأصابه ما لم يخف عليكم، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تُعطونا رهناً من رجالكم، يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً، فإننا نخشى إن ضرستكم الحرب<sup>(٢)</sup>، واشتد عليكم القتال أن تنشمروا<sup>(٣)</sup> إلى بلادكم وتتركونا، والرجل فى بلدنا، ولا طاقة لنا بذلك منه. فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة، قالت قريش وغطفان: والله إن الذى حدثكم (نعيم بن مسعود) لحقّ، فأرسلوا إلى بنى قريظة: إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا، فقالت بنو قريظة، حين انتهت الرسل إليهم بهذا: إن الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحقّ، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا، فإن رأوا فرصة انتهزوها، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم، وخلوا بينكم وبين الرجل فى بلدكم، فأرسلوا إلى قريش وغطفان: إنا والله لا نقاتل معكم محمداً حتى تُعطونا رهناً، فأبوا عليهم... وخذّل الله بينهم، وبعث الله عليهم الريح فى ليل شاتية باردة شديدة البرودة، فجعلت تكفأ قدورهم، وتطرح أبنيتهم<sup>(٤)</sup>.<sup>(٥)</sup>

\*\*\*

(١) أراد بالخفّ: الإبل... وأراد بالحافر: الخيل.

(٢) ضرستكم الحرب: نالت منكم. كما يصيب ذو الأضراس بأضراسه.

(٣) أن تنشمروا: أن تنقبضوا وتسرعوا إلى بلادكم.

(٤) أخرجه ابن سعد (٦٩/٢) والطبرى (٥٧٨/٣ - ٥٧٩) فى تاريخه، وابن كثير فى البداية والنهاية

(٤/١١١) وابن حجر فى الفتح (٤٠٢/٧).

(٥) أصحاب الرسول ﷺ / للمصنف (٢/٣٦١: ٣٦٥).

## حذيفة يأتيهم بخبر القوم

فعن محمد بن كعب القرظي قال: «قال فتى منا من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبد الله لقد رأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه؟ قال: نعم يا ابن أخي، قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نجهد<sup>(١)</sup>».

قال: والله لو أدركناه ما تركناه يمشى على الأرض، ولجعلناه على أعناقنا، قال: فقال حذيفة: يا ابن أخي والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق، وصلى رسول الله ﷺ من الليل هويًا<sup>(٢)</sup>، ثم التفت إلينا فقال: (من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم، يشترط له رسول الله ﷺ أنه يرجع... أدخله الله الجنة)، فما قام رجل، ثم صلى رسول الله ﷺ هويًا، ثم التفت إلينا فقال: (من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع، يشترط له رسول الله ﷺ الرجعة، أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة) فما قام رجل من القوم من شدة الخوف، وشدة الجوع، وشدة البرد.

فلما لم يقيم أحد دعاني رسول الله ﷺ فلم يكن لي بدُّ في القيام حين دعاني فقال: (يا حذيفة فاذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون ولا تُحدثن شيئًا حتى تأتينا)، قال: فذهبت فدخلت في القوم، والريح وجنود الله تفعل ما تفعل، لا تقر لهم قدر، ولا نار، ولا بناء، فقام أبو سفيان بن حرب فقال: يا معشر قريش لينظر امرؤ إلى جلسه، فقال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي جنبي، فقلت: من أنت؟ قال: أنا فلان بن فلان، ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع<sup>(٣)</sup> وأخلتتنا بنو قريظة، بلغنا منهم الذي نكره، ولقينا من هذه الريح ما ترون، والله ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل، ثم قام إلى جملة وهو معقول، فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث، فما أطلق عقله، إلا وهو قائم، ولولا عهد رسول الله: لا تُحدث شيئًا حتى تأتيني ثم سئت لآتلته بسهم.

قال حذيفة، ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي في مرط<sup>(٤)</sup> لبعض نسائه

(١) نجهد: في مشقة شديدة.

(٢) هويًا: الحين الطويل من الزمان.

(٣) الكراع: اسم لجمع الخيل.

(٤) مرط: كساء من صوف أو خز يؤتزر به وتنفخ به المرأة.

مرجل<sup>(١)</sup>، فلما رآني أدخلني إلى رحله، وطرح عليه طرف المرط، ثم ركع وسجد وإنه لفيه، فلما سلم أخبرته الخبر، وسمعت غطفان بما فعلت قريش وانشروا إلى بلادهم).  
 هذا اللفظ لأحمد وفي لفظ مسلم بعض الزيادة أذكرها هنا لاكتمال المعنى والفائدة فيبعد أن ذكر حذيفة استنفار الرسول عليه السلام للصحابة ثلاثاً ثم قوله قم يا حذيفة قال: (.. فمضيت كأنما أمشي في حمام<sup>(٢)</sup>) حتى أتيتهم، فإذا أبو سفيان يصلي ظهره بالنار فوضعت سهمي في كبد قوسي<sup>(٣)</sup> وأردت أن أرميه، ثم ذكرت قول رسول الله ﷺ: (لا تدعهم علي) ولو رميته لأصبته، قال: فرجعت كأنما أمشي في مثل الحمام، فأتيت رسول الله ﷺ ثم أصابني البرد حين فرغت وقررت<sup>(٤)</sup>. فأخبرت رسول الله ﷺ فألبسني رسول الله ﷺ من فضل عبادة كانت عليه يصلي فيها، فلم أزل نائماً حتى الصباح، فلما أن أصبحت، قال رسول الله ﷺ: قم يا نومان<sup>(٥)</sup>.

### الدعاء .. ومفاتيح النصر

وما لا شك فيه أن الدعاء كان من أعظم أسباب النصر في تلك الغزوة.

\* عن إسماعيل بن أبي خالد قال سمعتُ عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما يقول «دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال: اللهم منزل الكتاب سريع الحساب، اهزم الأحزاب. اللهم اهزمهم وزلزلهم»<sup>(٦)</sup>.

\* وعن سالم ونافع عن عبد الله رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ كان إذا قفل من الغزو أو الحج أو العمرة يبدأ فيكبر ثلاث مرار ثم يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. آيئون، تائبون، عابدون، ساجدون، لربنا حامدون. صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»<sup>(٧)</sup>.

(١) مرجل: فيه خطوط وأرقام.

(٢) كأنما أمشي في حمام: أي أنه لم يجد من البرد ما يجد الناس.

(٣) كبد القوس: مقبضه.

(٤) قررت: بردت.

(٥) أخرجه أحمد في المستند: (٣٩٢/٥ - ٣٩٣) مسلم في كتاب الجهاد والسير باب غزوة الأحزاب رقم

(١٧٨٨) الحاكم في المستدرک: (٣/٣١)، وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

(٦) أخرجه البخاري (٤١١٥) كتاب المغازي.

(٧) أخرجه البخاري (٤١١٦) كتاب المغازي.



\* وعن أبي هريرة رضى الله عنه «إن رسول الله ﷺ كان يقول: لا إله إلا الله وحده، أعزّ جنده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده، فلا شيء بعده»<sup>(١)</sup>.

### العناية الإلهية تتدخل لتحسم الأمر

وجاء المسلمون إلى رسول الله ﷺ يسألونه: هل من شيء نقوله؟ فقد بلغت القلوب الحناجر؟ قال: «نعم.. اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا»<sup>(٢)</sup>.

وعن عبد الله بن أبي أوفى: دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال: «اللهم منزل الكتاب سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم»<sup>(٣)</sup>.

\* والله تبارك وتعالى لا يقبل الدعاء من متواكل كسول، وما يستمع لشيء استماعه لهتاف مجتهد: أن يبارك له سعيه. أو دعاء صابر: أن يجمل له العاقبة.

وقد أفرغ المسلمون جهدهم في الدفاع عن رسالتهم ومدينتهم، حتى لم يبق في طوق البشر مدخر، فبقى أن تتدخل العناية العليا لتقمع صعر الظالم وتقيم جانب المظلوم.

ومن ثم أخذ سير المعركة يتطور على نحو لا يدرك الناس كنهه.

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشْرِ﴾ [المدثر: ٣١] <sup>(٤)</sup>.

وقد سمع الله دعاء رسوله والمسلمين، فبعد أن دبت الفرقة في صفوف المشركين، وسرى بينهم التخاذل، أرسل الله عليهم جنداً من الريح، فجعلت تقوض خيامهم، ولا تدع لهم قدراً إلا كفأتها، ولا طنباً إلا قلعته، ولا يقر لهم قرار، وأرسل جنداً من الملائكة يزلزلونهم، ويلتقون في قلوبهم الرعب والخوف<sup>(٥)</sup>.

لقد رأينا أن الوسيلة التي التجأ إليها رسول الله ﷺ وأصحابه في غزوة بدر، هي نفسها التي التجأ إليها في الخندق.. إنها وسيلة التضرع إلى الله والإكثار من الإقبال عليه بالدعاء والاستغاثة، بل لقد كان هو العمل المتكرر الدائم الذي ظل يفزع إليه رسول الله ﷺ، كلما لقي عدواً أو سار إلى جهاد، وهي الوسيلة التي تعلقو في تأثيرها على كل

(١) أخرجه البخارى (٤١١٤) كتاب المغازى.

(٢) أخرجه أحمد (٣/٣) بإسناد حسن.

(٣) أخرجه البخارى ومسلم.

(٤) فقه السيرة للقرظي (ص: ٣٤٦).

(٥) الرحيق المختوم (ص: ٣٣٩).

الأسباب والوسائل المادية الأخرى، وهى الوسيلة التى لا تصلح حال المسلمين إلا إذا قامت على أساسها بعناية كاملة.

إن هذا المعنى الذى يتكرر فى غزوات الرسول ﷺ، ليس يعنى إغراء المسلمين بالمغامرة والجهاد دون استعداد ولا تأهب، وإنما هو لإيضاح أن على المسلم أن يعلم أن فى مقدمة أسباب النصر المختلفة، صدق الالتجاء إلى الله وإخلاص العبودية له، فلن تجدى وسائل القوة كلها إذا لم تتوفر هذه الوسيلة بعينها. وإذا تحققت فى أعمال المسلمين هذه الوسيلة فحدث عن معجزات النصر ولا حرج<sup>(١)</sup>.

### نصر الله رسوله ﷺ بريح الصبا

عن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال: «أتت الصبا الشمال ليلة الأحزاب، فقالت: مرى حتى نصر رسول الله ﷺ، فقالت الشمال: إن الحرة لا تسرى بالليل، فكانت الريح التى نصر بها رسول الله ﷺ الصبا»<sup>(٢)</sup>.

وعن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ «نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور»<sup>(٣)</sup>.

وهكذا أفلح المسلمون فى فصم عرى التحالف بين الأحزاب المجتمعة عليهم. فما مضت أسابيع ثلاثة على ذلك الحصار المضروب حتى دب القنوط والتخاذل فى صفوف المهاجمين على حين بقيت جبهة المدافعين سليمة لم تتلم.

### الآن نغزوهم ولا يغزونا

وكانت هذه آخر مرة يأتى فيها المشركون لغزو المسلمين فى عقر دارهم. عن سليمان بن صرد قال: «سمعتُ النبي ﷺ يقولُ حينَ أجلىَ الأحزابُ عنه: الآن نغزوهم ولا يغزونا نحنُ نسيرُ إليهم»<sup>(٤)</sup>.

(١) فقه السيرة النبوية للبيوطى (ص: ٢٢٢).

(٢) قال الهيثمى فى المجمع: ٦/ ١٣٤٩ - ١٤٠: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح، كشف الأستار: ١٨١١ وقال البزار: رواه جماعة عن داود عن عكرمة مرسلًا، ولا نعلم أحدًا وصله إلا حفص ورجل من أهل البصرة وكان ثقة يقال له: خلف بن عمرو.

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب الاستسقاء باب قول النبي ﷺ نصرت بالصبا حديث (١٠٣٥) مسلم فى كتاب صلاة الاستسقاء باب فى ريح الصبا والدبور حديث (٩٠٠).

(٤) أخرجه البخارى (٤١١٠) كتاب المغازى.

## غزوة بنى قريظة

بنو قريظة إحدى طوائف اليهود الثلاث الذين كانوا يسكنون حول المدينة النبوية ووادعهم رسول الله ﷺ ونقضوا عهدهم واحدة بعد واحدة، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٠] فاليهود إلى اليوم لا يفون بعهد، ولا يلتزمون بميثاق، فكان النكث والغدر وصفاً لازماً لهم إلا من شاء الله منهم.

فبنو قريظة نقضوا عهدهم وانضموا إلى معسكر المشركين المحاصرين للمدينة الذين جاءوا لاستتصال الرسول والمؤمنين - خيب الله مسعاهم - فهذا وجب قتالهم وتعيين قتلهم أو إجلاؤهم عن البلاد وإخراجهم منها.

كان هذا سبب غزوة بنى قريظة وهو نقضهم للمعاهدة وانضمامهم إلى المشركين الغزاة الظالمين المعتدين<sup>(١)</sup>.

\* وكانت مشاعر التغيظ في أفئدة المسلمين نحو أولئك اليهود قد بلغت ذروتها، إنهم هم الذين استخرجوا العرب استخراجاً، واستقدموهم إلى دار الهجرة ليجتاحوها من أقطارها، ويستأصلوا المسلمين فيها، إن جراحات المسلمين لطردهم من ديارهم ومطاردتهم في عقيدتهم، واستباحة أموالهم ودمائهم لكل ناهب ومغتال، لما تندمل بعد، بل لن تندمل أبداً، فكيف ساغ لأولئك الخونة من بنى إسرائيل أن يرسموا بأنفسهم الخطة لإهلاك الإسلام وأبنائه على هذا النحو الذليل؟.

ثم ما الذي يجعل بنى قريظة خاصة - وهم لم يروا في جوار محمد إلا البر والوفاء - يستديرون بأسلحتهم منضمين إلى أعداء الإسلام كي يشركوهم في قتل المسلمين وسلبهم؟<sup>(٢)</sup>.

(١) هذا الحبيب يا محب/ الجزائرى (ص: ٣١٢: ٣١٣).

(٢) فقه السيرة للغزالي (ص: ٣٥١).

### مشاركة جبريل (عليه السلام) في محاربتهم

عن أنس رضى الله عنه قال: «كأنى أنظر إلى الغبار ساطعاً فى زقاق بنى غنم موكب جبريل حين سار رسول الله ﷺ إلى بنى قريظة»<sup>(١)</sup>.

\* وفى رواية ابن سعد أنه قال: «فجاء جبريل ومن معه من الملائكة فقال: يا رسول الله انهض إلى بنى قريظة، فقال: إن فى أصحابى جهداً قال: انهض إليهم فلاضععنهم. قال فأدبر جبريل ومن معه من الملائكة حتى سطع الغبار فى زقاق بنى غنم من الأنصار»<sup>(٢)</sup>.

### لا يصلين أحدُ العصر إلا فى بنى قريظة

والأذان للقتال فى هذه الصحوة المشرقة بالظفر والنجاة قرع مسامع المسلمين ندياً جلياً، فهم فى غمرة من الشعور بتأييد الله وملائكته لهم، أين هم اليوم مما كانوا عليه بالأمس القريب؟ إنهم مدينون بحياتهم وكرامتهم للعناية العليا وحدها.

وقد صدع الرسول بالأمر وشدّد على المسلمين أن يسارعوا فى إنفاذه.

\* روى البيهقى أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: عزمت عليكم أن لا تصلوا صلاة العصر حتى تأتوا بنى قريظة، فغربت الشمس قبل أن يأتوهم، فقالت طائفة من المسلمين: إن رسول الله لم يُرد أن تدعوا الصلاة فصلوا. وقالت طائفة: والله إنا لفى عزيمة رسول الله، وما علينا من إثم، فصلت طائفة إيماناً واحتساباً، وتركت طائفة إيماناً واحتساباً، ولم يعنف رسول الله واحداً من الفريقين<sup>(٣)</sup>.

وذلك يمثل احترام الإسلام لاختلاف وجهات النظر ما دامت عن اجتهاد برىء سليم، والناس غالباً أحد رجلين، رجل يقف عند حدود النصوص الظاهرة لا يعدوها، ورجل يتبين حكمتها ويستكشف غايتها، ثم ينصرف فى نطاق ما وعى من حكمتها

(١) أخرجه البخارى (٧/ ٤٧٠) المغازى.

(٢) فتح البارى (٧/ ٤٧١).

(٣) حديث صحيح رواه البيهقى فى «دلائل النبوة» من حديث عبيد الله بن كعب، وحديث عائشة، وأخرجه عنها الحاكم (٣/ ٣٤ - ٣٥) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبى.

وغايتها، ولو خالف الظاهر القريب.

وكلاً من الفريقين يشفع له إيمانه، واحتسابه، سواء أصاب الحق أو ندَّ عنه<sup>(١)</sup>!

### يا إخوان القردة .. هل أخزاكم الله؟

واستعمل النبي ﷺ على المدينة ابن أم مكتوم، وأعطى الراية على بن أبي طالب، وقدمه إلى بنى قريظة فسار (على) حتى إذا دنا من حصونهم سمع منها مقالة قبيحة في حق رسول الله ﷺ .

\* وخرج الحبيب ﷺ مع بعض أصحابه فإذا (بعلى) رضى الله عنه عائد من بنى قريظة وقال للرسول ﷺ لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخباث فقال الرسول ﷺ: «لم؟ أظنك سمعت منهم لى أذى؟» قال: نعم. قال: «لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً»، وكانوا قد نالوا من الرسول شيئاً لما دنا منهم (على) وخاطبهم. وسار الحبيب ﷺ حتى وصل إلى ديارهم ودنا من حصونهم وناداهم قائلاً: «يا إخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمه!» قالوا يا أبا القاسم ما كنت فاحشاً<sup>(٢)</sup>.

### فى الطريق إليهم

وأثناء مسيره ﷺ إلى بنى قريظة مرَّ على بنى غنم، وهم جيران المسجد، فقال: من مر بكم؟ فقالوا: مر بنا دحية الكلبي، وكان دحية تشبه لحيته ووجهه جبريل عليه السلام.

\* ونزل الحبيب ﷺ وأصحابه على بئر من آبار بنى قريظة يقال لها: أنا أو أنى، ولما تلاحق المسلمون حاصرهم ﷺ، وطلب منهم النزول فأبوا أن ينزلوا وفى هذه الأثناء، وعندما جهدهم الحصار وأيقنوا أن النبى ﷺ لا يفلت منهم قام فيهم كعب بن أسد أحد أشرافهم، وهو صاحب الحل والعقد بينهم ليشاورهم فى الأمر - كما سيأتى -.

\*\*\*

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ٣٥٢).

(٢) أخرجه البيهقي فى الدلائل (٤/١٠٨)، والحاكم فى المستدرک (٣/٣٤: ٣٥) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يُخرجاه وأقره الذهبى - وقال ابن كثير فى البداية (٤/٨: ١٠): ولهذا الحديث طرق جيدة عن عائشة وغيرها وبهذا يكون الحديث حسناً.

## النبي ﷺ يحاصرهم... وكعب بن أسد يشاورهم

وحاصرهم رسول الله ﷺ خمساً وعشرين ليلة، حتى جهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب.

وقد كان حبيُّ بن أخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم، حين رجعت عنهم قريش وغطفان، وفاءً لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه. فلما أيقنوا بأن رسول الله ﷺ غير مُنصرف عنهم حتى يُناجزهم، قال كعب بن أسد لهم: يا معشر يهود، قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإنني عارض عليكم خلافاً ثلاثاً، فخذوا أيها شتمتم، قالوا: وما هي؟ قال: تُتابع هذا الرجل ونصده فوالله لقد تبين لكم أنه لنبيُّ مُرسل، وأنه للذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم؛ قالوا: لا نُفارقُ حكمَ التوراة أبداً، ولا نستبدل به غيره، قال: فإذا أبيتم على هذه، فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مُصلتين السيوف لم نترك وراءنا ثقلاً، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه، وإن نظهر فلعمري لنجدن النساء والأبناء، قالوا: نقتل هؤلاء المساكين! فما خير العيش بعدهم؟ قال: فإن أبيتم على هذه فإن الليلة ليلة السبت، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد آمنونا فيها، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة، قالوا: نُفسد سبتنا علينا، ونُحدث فيه ما لم يُحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت، فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ! قال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً<sup>(١)</sup>.

### دعوه حتى يتوب الله عليه

وأرسل اليهود إلى النبي ﷺ ليعث إليهم أبا لُبابة بن عبد المنذر ليستشيروه في أمرهم.. فأرسله النبي ﷺ إليهم فلما رأوه قاموا في وجهه يبكون، وقالوا: يا أبا لُبابة! كيف ترى لنا أن نزل على حكم محمد؟ فقال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه يقول: إنه الذبح، ثم علم من فوره أنه قد خان الله ورسوله، فمضى على وجهه، ولم يرجع إلى رسول الله ﷺ حتى أتى المسجد مسجداً المدينة، فربط نفسه بسارية المسجد، وحلف ألا يحلّه إلا رسولُ الله ﷺ بيده، وأنه لا يدخل أرض بني قريظة أبداً، فلما بلغ رسول الله

(١) السيرة النبوية/ لابن هشام (٣/٢٠٥).

ﷺ ذلك، قال: «دَعُوهُ حَتَّى يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيْهِ» ثم تاب الله عليه، وحلّه رسولُ الله ﷺ بيده<sup>(١)</sup>.

### لقد حكمت فيهم بحكم الله

ولما سمع اليهود مقالة أبي لبابة اختاروا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ لأنه كان صديقاً لهم في الجاهلية - قبل أن يُسلم - ظناً منهم أنه سيخفف عليهم الحكم ويرحمهم. فقالوا: ننزل على حكم سعد بن معاذ، وبعث رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ فأتى به على حمار عليه إكاف من ليف قد حُمِلَ عليه وحَفَّ به قومه، وقالوا له (يعنى اليهود): يا أبا عمرو حلفاؤك ومواليك وأهل النكاية ومن قد علمت، فلم يرجع إليهم شيئاً ولا يلتفت إليهم، حتى إذا دنا من دورهم التفت إلى قومه فقال: قد أتى لى أن لا يأخذنى فى الله لومة لائم. قال أبو سعيد: فلما طلع قال رسول الله ﷺ قوموا إلى سيدكم<sup>(٢)</sup> فأنزلوه.

(١) أخرجه ابن جرير الطبرى فى «تفسيره» (٩٧/٢١) من طريق محمد بن إسحاق عن ابن شهاب الزهرى به. وذكره الواحدى فى «أسباب النزول» (١٩٣).

(٢) (حكم القيام إكراماً للقدام)، أمر النبى ﷺ الأنصار حينما أقبل نحوهم سعد بن معاذ راكباً دابته أن يقوموا إليه تكريماً له، ودل على هذا التعليل قوله: لسيدكم أو خيركم، وقد استدل عامة العلماء بهذا وغيره على شروعية إكرام الصالحين والعلماء بالقيام إليهم فى المناسبات الداعية إلى ذلك عرفاً. يقول الإمام النووى فى تعليق على هذا الحديث: «فيه إكرام أهل الفضل وتلقيهم بالقيام لهم إذا أقبلوا. هكذا احتج به جماهير العلماء لاستحباب القيام. قال القاضى: وليس هذا من القيام المنهى عنه، وإنما ذلك فىمن يقومون عليه وهو جالس ويمثلون قياماً طول جلوسه. قلت: القيام للقدام من أهل الفضل مستحب، وقد جاء فيه أحاديث، ولم يصح فى النهى عنه شىء صريح». [مسلم بشرح النووى (٩٣/١٢)].

ومن الأحاديث الثابتة الدالة أيضاً على ذلك، ما جاء فى حديث كعب بن مالك المتفق عليه، وهو يقص خبر تخلفه عن غزوة تبوك، قال: «فانطلقت أتأمم رسول الله ﷺ. فتلقانى الناس فوجاً فوجاً يهتنونى بالتوبة، ويقولون لى: لتهنك توبة الله عليك، حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله جالس حوله الناس، فقام إلى طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه يهرول حتى صافحنى وهنأتى، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره - فكان كعب لا ينسأها لطلحة.

ومن ذلك أيضاً ما رواه الترمذى وأبو داود والبخارى فى الأدب المفرد عن عائشة رضى الله عنها قالت: «ما رأيت أحداً من الناس كان أشبه بالنبى ﷺ كلاماً ولا حديثاً ولا جلسة من فاطمة، قالت: وكان النبى ﷺ إذا رآها أقبلت رحب بها ثم قام إليها فقبلها، ثم أخذ بيدها فجاء بها حتى يجلسها فى مكانه، وكانت إذا أتاها النبى ﷺ رحبت به ثم قامت إليه فقبلته» (أخرجه البخارى).

واعلم أن هذا كله لا يتنافى مع ما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أحب أن يتمثل له الناس قياماً =

قال عمر: سيدنا الله. قال أنزلوه فأنزلوه. قال رسول الله ﷺ: احكم فيهم. قال سعد: فإني أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتُسبى ذراريهم وتقسّم أموالهم، فقال رسول الله ﷺ: لقد حكمت فيهم بحكم الله - عز وجل - وحكم رسوله. قال: ثم دعا سعد فقال: اللهم إن كنت أبقيت على نبيك من حرب قريش شيئاً فأبقني لها، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني إليك. قالت: فانفجر كلمه - جرحه - وكان قد برأ إلا مثل الخرص<sup>(١)</sup>.

قالت عائشة: ورجع إلى قبته التي ضرب عليه رسول الله ﷺ قالت عائشة: فحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر. قالت: فوالذي نفس محمد بيده إنني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وأنا في حجرتي، وكانوا كما قال الله - عز وجل -: ﴿رَحَمَاءَ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]. قال علقمة: فقلت: أي أمه فكيف كان رسول الله ﷺ يصنع؟ قالت: كانت عينه لا تدمع على أحد، ولكنه كان إذا وجد فإنما هو آخذ بلحيته<sup>(٢)</sup>.

وفى بنى قريظة نزل قول الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صِيَابِهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّوها وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٦، ٢٧].

### أدب صديق الأنصار (سعد بن معاذ) مع النبي ﷺ

وفى رواية: أنه لما وصل سيد الأوس سعد بن معاذ إلى مقر قيادة النبي ﷺ في بنى قريظة؛ قال له النبي ﷺ: «احكم فيهم يا سعد». فقال: إن رسول الله ﷺ أحق بالحكم. فقال النبي ﷺ: «قد أمرك الله أن تحكم فيهم». غير أن سعداً - وقد علم حرص قومه الأوس على التساهل في الحكم على حلفائهم اليهود - أحب أن يستوثق من الجميع، ويأخذ عليهم العهد - الأوس وبنى قريظة - بأن حكمه إذا صدر يكون غير قابل للنقض أو النقاش. ووقف سعد بن معاذ في المعسكر النبوي، ووجه حديثه إلى قومه الأوس

= فليتوبأ مقعده من النار». لأن مشروعية إكرام الفضلاء وتوقيرهم لا تستدعي السعى منهم إلى ذلك أو تعلق قلوبهم بمحبته، بل إن من أبرز صفات الصالحين والفضلاء أن يكونوا متواضعين لإخوانهم زهاداً في طلب هذا الشيء. [فقه السيرة للبوطي (ص: ٢٢٧: ٢٢٨)].

(١) الحلقة الصغيرة من الحلمة.

(٢) قال الهيثمي: في الصحيح بعضه.. رواه أحمد وفيه محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث وبقيته. رجاله ثقات. مجمع الزوائد (٦/ ١٣٧، ١٣٨). وقال الحافظ في الفتح (١١/ ٥٣): وإسناده حسن.



خاصة، وإلى مَنْ في المعسكر عامة قائلاً: عليكم بذلك - عهد الله وميثاقه - أن الحكم كما حكمت؟ قالوا: نعم. ثم اتجه إلى النبي ﷺ وأشار إلى الناحية التي هو فيها، ثم قال وهو معرض عن رسول الله ﷺ إجلالاً وإكباراً: وعلى مَنْ هاهنا؟ وأشار إلى الخيمة التي فيها رسول الله ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام: «نعم»<sup>(١)</sup>. ثم أشار إلى بنى قريظة المحجوزين جانباً في المعسكر؛ ليستوثق منهم قائلاً: أترضون بحكمي؟ قالوا: نعم. فحكم أن تقتل المقاتلة، وأن تُسبى النساء والذرية، وأن تقسم أموالهم. ولما نطق سعد بن معاذ بالحكم، قال له النبي ﷺ: «حكمت فيهم بحكم الله».

فانظر إلى أدب سعد أثناء الحكم، وإشارته إلى خيمة رسول الله ﷺ وهو معرض عنها إجلالاً لرسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>.

### كيف ميز النبي ﷺ بين الصغار والبالغين من بنى قريظة

عن عطية القرظي، قال: «كنت من سبى بنى قريظة، فكانوا ينظرون، فمن أنبت الشعر قُتل، ومن لم يُنبت لم يُقتل، فكنت فيمن لم يُنبت» وفي رواية أخرى زاد (فكشفوا عاني، فوجدوها لم تنبت، فجعلوني في السبي)<sup>(٣)</sup>.

### عدد بنى قريظة الذين قتلهم النبي ﷺ

\* قال الحافظ في الفتح «واختلف في عدتهم، فعند ابن إسحاق أنهم كانوا ستمائة، وبه جزم أبو عمرو في ترجمة سعد بن معاذ، وعند ابن عائذ من مرسل قتادة وكانوا سبعمائة، وقال السهيلي: الأكثر يقول إنهم ما بين الثمانمائة إلى التسعمائة، وفي حديث جابر عند الترمذي والنسائي وابن حبان بإسناد صحيح أنهم كانوا أربعمائة مقاتل، فيحتمل في طريق الجمع أن يقال إن الباقي كانوا أتباعاً، وقد حكى ابن إسحاق أنه قيل: إنهم كانوا تسعمائة»<sup>(٤)</sup>.

\*\*\*

(١) السيرة النبوية / لابن هشام (٢/٢٤٠).

(٢) أصحاب الرسول ﷺ / للمصنف (١/٤١٠).

(٣) أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي بإسناد حسن.

(٤) فتح الباري (٧/٤١٤).

### إسلام بعض يهود بنى قريظة

وفي ليلة نزول قريظة على حكم رسول الله ﷺ أكرم الله أربعة أنفار من اليهود فأسلم ثلاثة منهم ليسوا من بنى قريظة والرابع قرظي، فغير القرظيين هم ثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد وهم من بنى هذل فليسوا قرظيين ولا نضريين. والقرظي هو عمرو بن سعدى القرظي فإنه أبى أن يدخل مع قريظة في غدرها لرسول الله ﷺ، وقال لا أغدر محمداً أبداً، ومرّ في الليل بحرس رسول الله ﷺ الذي عليه محمد بن مسلمة فعرفه محمد بن مسلمة، وقال اللهم لا تحرمنى إقالة عثرات الكرام وخلقى سبيله فذهب على وجهه حتى أتى مسجد الرسول ﷺ فبات به تلك الليلة. ثم ذهب فلم يدر أين توجه من الأرض إلى يومنا هذا. ولما ذكر لرسول الله ﷺ قال: «ذاك رجل نجاه الله بوفائه».

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: «حاربت قريظة والنضير، فأجلى بنى النضير، وأقر قريظة، ومن عليهم حتى حاربت قريظة، فقتل رجالهم، وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين، إلا بعضهم لحقوا بالنبي فأمنهم، وأسلموا، وأجلى يهود المدينة كلهم: بنى قينقاع وهم رهط عبد الله بن سلام، ويهود بنى حارثة، وكل يهود المدينة»<sup>(١)</sup>.

### كيف نزل اليهود من حصونهم

إنه لما صدر حكم الله تعالى على لسان سعد بن معاذ في بنى قريظة، ورضى الحكم رسول الله ﷺ والمؤمنون ووافقوا عليه مجتمعين كان القرظيون ساعئذ في حصونهم، وقد أبوا أن ينزلوا على حكم سعد، فصاح على بن أبى طالب قائلاً يا كتيبة الإيمان، وتقدم هو والزبير بن العوام، وقال: والله لأذوقنّ ما ذاق حمزة أو لأقتحننّ حصنهم فصاح اليهود وقالوا يا محمد نزل على حكم سعد بن معاذ، ونزلوا فاقْتيدوا إلى المدينة وحبسوا في دار بنت الحارث: امرأة من بنى النجار يقال لها: نُسَيْبَةُ بنتُ الحارث.

#### تنفيذ الحكم:

ثم خرج الحبيب محمد ﷺ إلى سوق المدينة وأمر بحفر أخاديد فيها، ثم أمر أن يؤتى بهم أرسالاً فتضرب أعناقهم ويلقون في تلك الأخاديد، وكانوا قرابة السبعمائة رجل من

(١) أخرجه البخارى (٤٠٢٨) المغازى - ومسلم (١٧٦٦) الجهاد.

بينهم كعب بن أسد رئيسهم، وعدو الله حُيى بن أخطب النضرى محزَّب الأحزاب لحرب رسول الله ﷺ والمؤمنين وقد قالوا لكعب وهم يساقون أرسالاً إلى رسول الله ﷺ إلى أين يذهب بنا يا كعب؟ فقال لهم أفى كل موطن لا تعقلون؟ ألا ترون الداعى لا ينزع، وأنه من ذهب به منكم لا يرجع؟ هو والله القتل!! وأخيراً جىء بعدو الله حىي ابن أخطب عليه حلة فقاحية<sup>(١)</sup> قد شقها من كل جهاتها حتى لا ينتفع بها المسلمون جىء به مجموعة يدها إلى عنقه فلما نظر إلى رسول الله ﷺ قال: أما والله ما لمت نفسى فى عداوتك، ولكنه من يخذل الله يخذل ثم أقبل على الناس، وقال أيها الناس إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقدر، وملحمة كتبها الله على بنى إسرائيل، ثم جلس فضربت عنقه<sup>(٢)</sup>.

\* إن موقف اليهود من الإسلام بالأمس، هو موقفهم من المسلمين اليوم.

فألوف من إخواننا ذبحهم اليهود فى صمت وهم يحتلون فلسطين.

والغريب أن اليهود تركوا من نصب لهم المجازر فى أقطار أوروبا، وجبنوا عن مواجهتهم بشر! واستضعفوا المسلمين الذين لم يسيئوا إليهم من اثنى عشر قرناً، فنكلوا بهم على النحو المخزى الفاضح، الذى لا يزال قائماً فى فلسطين.. تشهده وتؤيده وتسانده، دول الغرب<sup>(٣)</sup>.

### قصة المرأة العجيبة التى قتلت من بنى قريظة

عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها: قالت: «لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة قالت: والله إنها لعندى تتحدث معى تضحك ظهراً وبطناً<sup>(٤)</sup> ورسول الله ﷺ يقتل رجالهم بالسوق إذ هتف هاتف باسمها: أين فلانة؟ قالت: أنا والله، قالت: قلت: ويملك ومالك؟ قالت: أقتل، قالت: قلت: ولم؟ قالت: حدثاً أحدثته<sup>(٥)</sup>، قالت: فانطلق بها، فضربت عنقها، وكانت عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها تقول: والله ما أنسى عجبى من طيب نفسها، وكثرة ضحكها، وقد عرفت أنها تُقتل<sup>(٦)</sup>».

(١) موشاة بالحمرة كالورد.

(٢) هذا الحبيب يا محب / الجزائرى (ص: ٣١٨: ٣١٩).

(٣) فقه السيرة / للغزالي (ص: ٣٥٨).

(٤) ظهراً وبطناً: لا يبدو على ملامحها أثر الحزن.

(٥) الحدث الذى أحدثته، طرحت الرحا على خلاد بن سويد فقتلته، فقتلها رسول الله به.

(٦) أخرجه أحمد فى المسند: ٦/ ٢٧٧، أبو داود فى السنن رقم: ٢٦٧١، والبيهقى فى السنن: ٨٢/ ٩، وابن =

### قسم فيء بنى قريظة

ثم إن رسول الله ﷺ قسم أموال بنى قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين، وأعلم في ذلك اليوم سهمان الخيل وسهمان الرجال، وأخرج منها الخمس، فكان للفارس ثلاثة أسهم: للفارس سهمان وفارسه سهم، وللراجل - من ليس له فرس - سهم، وكانت الخيل يوم بنى قريظة ستة وثلاثين فرساً، وكان أول فيء وقعت فيه السهمان، وأخرج منها الخمس، فعلى سنتها وما مضى من رسول الله ﷺ فيها وقعت المقاسم، ومضت السنة في المغازي<sup>(١)</sup>.

ثم بعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد الأنصاريّ أخا بنى عبد الأشهل بسبأيا من بنى قريظة إلى نجد، فابتاع لهم بها خيلاً وسلاحاً<sup>(٢)</sup>.

### ريحانة الحبيب ﷺ

وكان رسول الله ﷺ قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن جُفاعة، إحدى نساء بنى عمرو بن قريظة، فكانت عند رسول الله ﷺ حتى توفى عنها وهي في ملكه، وقد كان رسول الله ﷺ عرض عليها أن يتزوجها، ويضرب عليها الحجاب، فقالت: يا رسول الله، بل تتركني في ملكك، فهو أخف عليّ وعليك، فتركها. وقد كانت حين سبأها قد تعصت بالإسلام، وأبت إلا اليهودية، فعزلها رسول الله ﷺ، ووجد في نفسه لذلك من أمرها. فبينما هو مع أصحابه، إذ سمع وقع نعلين خلفه، فقال: «إن هذا لثعلبة بن سعية يبشرني بإسلام ريحانة»، فجاءه فقال: يا رسول الله، قد أسلمت ريحانة، فسرّه ذلك من أمرها<sup>(٣)</sup>.

= هشام في السيرة: ٢/٢٤٢، والحاكم في المستدرک: ٣/٣٥ - ٣٦، وقال: صحيح على شرط مسلم: ولم يخرجاه، والطبري في التاريخ: ٢/٥٨٩، جميعاً من طريق ابن إسحاق، وقد صرح بالسماع فسند صحيح، وقال الساعاتي في الفتح الرباني ٢١/٨٥: سنده صحيح ورجاله ثقات.

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في «تاريخه» (٢/١٠٣) والبيهقي في «الدلائل» (٤/٢٤) من حديث ابن إسحاق... به وأخرجه البخاري في كتاب «الجهاد» باب «سهام الفرس» (٦/٢٨٦٣/فتح) وفي كتاب «المغازي» (٧/٤٢٢٨) ومسلم في كتاب «الجهاد» باب «كيفية قسمة الغنيمة بين الحاضرين» (٣/١٣٨٣/٥٧).

(٢) السيرة النبوية/ لابن هشام (٣/٢١٣: ٢١٤).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تاريخه (٢/١٠٣) وابن كثير في البداية (٤/١٢٦).

### عرش الرحمن يهتز لموت سعد بن معاذ

فها هو الحبيب ﷺ يدخل على سعد وهو يكيد نفسه فقال: «جزاك الله خيراً من سيد قوم، فقد أنجزت ما وعدته. ولينجزنك الله ما وعدك»<sup>(١)</sup>.  
فها هو سعد بن معاذ يهتز لموته عرش الرحمن - جل جلاله - .  
قال ﷺ: «اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ»<sup>(٢)</sup>.

وعن أسماء بنت يزيد بن سكن قالت: لما توفي سعد بن معاذ صاحت أمه فقال النبي ﷺ: «ألا يرقا دمعك ويذهب حزنك بأن ابنك أول من ضحك الله له واهتز له العرش؟»<sup>(٣)</sup>.

قال الإمام النووي - رحمه الله -: قوله ﷺ: «اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ» اختلف العلماء في تأويله. فقالت طائفة هو على ظاهره واهتزاز العرش: تحركه فرحاً بقدم روح سعد وجعل الله تعالى في العرش تمييزاً، حصل به هذا ولا مانع منه كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْهَا لَمَّا يَغِيظُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤] وهذا القول هو ظاهر الحديث وهو المختار<sup>(٤)</sup>.

### الملائكة تحمل جنازة سعد

عن محمود بن لبيد قال: لما أُصيب أكحلُ سعد، فثقل، حوّلوه عند امرأة يقال لها ربيعة تُداوي الجرحى. فكان النبي ﷺ إذا مر به يقول: كيف أمسيت، وكيف أصبحت؟ فيخبره حتى كانت الليلة التي نقله قومه فيها وثقل، فاحتملوه إلى بنى عبد الأشهل إلى منازلهم، وجاء رسول الله، فقيل: انطلقوا به. فخرج وخرجنا معه، وأسرع حتى تقطعت شسوع نعالنا، وسقطت أرديتنا، فشكا ذلك إليه أصحابه، فقال: «إني أخاف أن تسبقنا إليه الملائكة فتغسله كما غسلت حظلة» فانتهى إلى البيت، وهو يُغسل، وأمّه تبكيه وتقول:

(١) قال الأرنؤوط: رجاله ثقات - أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/٢/٩).

(٢) متفق عليه عن جابر - وأخرجه مسلم وأحمد عن أنس.

(٣) قال الهيثمي في المجمع (٣٠٩/٩) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي في تلخيصه.

(٤) مسلم بشرح النووي (٣٢/١٦).

ويل أم سعد سعداً حزاماً وجداً

فقال: «كُلُّ باكية تكذبُ إلا أم سعد» ثم خرج به. قال: يقول له القوم: ما حملنا يا رسول الله ميتاً أخفَ علينا منه. قال: «ما يمنعه أن يخفَّ وقد هبط من الملائكة كذا وكذا لم يهبطوا قطُّ قبل يومهم، قد حملوه معكم»<sup>(١)</sup>.

### سعد بن معاذ وضمة القبر

عن جابر - رضى الله عنه - قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ يوماً إلى سعد بن معاذ حين تُوفى. قال: فلما صلى عليه رسول الله، ووضع في قبره، وسوى عليه سبَّح رسول الله ﷺ تسبيحاً طويلاً. ثم كبر فكبرنا. فقيل: يا رسول الله، لم سبَّحت ثم كبرت؟ قال: لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرجه الله - عز وجل - عنه<sup>(٢)</sup>.

وعن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «هذا العبد الصالح الذى تحرك له العرش، وفتحت أبواب السماء، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة لم ينزلوا إلى الأرض قبل ذلك، لقد ضُمَّ ضُمَّة ثم أُفْرَج عنه» يعنى سعداً<sup>(٣)</sup>.

قال الإمام الذهبى - رحمه الله -: قلت: هذه الضمة ليست من عذاب القبر فى شىء، بل هو أمر يجده المؤمن كما يجد ألم فقد ولده وحميمه فى الدنيا، وكما يجد من ألم مرضه، وألم خروج نفسه، وألم سؤاله فى قبره وامتحان، وألم تأثره ببكاء أهله عليه، وألم قيامه من قبره، وألم الموقف وهوله، وألم الورود على النار، ونحو ذلك. فهذه الأراجيفُ كلها قد تنال العبد وما هى من عذاب القبر، ولا من عذاب جهنم قط، ولكن العبد التقى يرفقُ الله به فى بعض ذلك أو كله، ولا راحة للمؤمن دون لقاء ربه. قال الله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ [مريم: ٣٩]، وقال: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ [غافر: ١٨]، فنسأل الله تعالى العفو واللفظ الخفى.

ومع هذه الهزات، فسعدٌ ممن نعلم أنه من أهل الجنة، وأنه من أرفع الشهداء - رضى

(١) أخرجه ابن سعد (٣/٧/٢، ٨) وحسنه الأرئووط فى السير (١/٢٨٧).

(٢) رواه أحمد (٣/٣٦٠، ٣٧٧) وصححه الحاكم (٣/٣٠٦) مختصراً ووافقه الذهبى.

(٣) أخرجه النسائى (٤/١٠٠) فى الجائز: باب ضمة القبر وضغطه، وابن سعد (٣/٩/٢) - وصححه

الألبانى فى صحيح الجامع (٦٩٨٧).

الله عنه - كأنك يا هذا تظن أن الفائز لا يناله هولٌ في الدارين، ولا روع ولا ألم، ولا خوف. سل ربك العافية، وأن يحشرنا في زمرة سعد<sup>(١)</sup>.

### مناديل سعد بن معاذ في الجنة

عن أبي إسحاق قال: سمعتُ البراء يقول: أُهديت لرسول الله ﷺ حُلَّةً حرير، فجعل أصحابه يلمسونها، ويعجبون من لينها، فقال: «أتعجبون من لين هذه؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة، خيرٌ منها وألين»<sup>(٢)</sup>.

وعن أنس - رضى الله عنه - أنه أُهدى لرسول الله ﷺ جُبَّةً من سندس، وكان ينهى عن الحرير، فعجب الناس منها، فقال: «والذي نفسُ محمدٍ بيده! إن مناديل سعد بن معاذ في الجنة، أحسنُ من هذا»<sup>(٣)</sup>.

قال الإمام النووي - رحمه الله -: قال العلماء هذه إشارة إلى عظيم منزلة سعد في الجنة، وأن أدنى ثيابه فيها خير من هذه؛ لأن المنديل أدنى الثياب؛ لأنه مُعد للوسخ والامتهان فغيره أفضل، وفيه إثبات الجنة لسعد<sup>(٤)</sup>.

\* وقال القاسمي: وبتمام تلك الغزوة أراح الله المسلمين من شر مجاورة اليهود الذين تعودوا الغدر والخيانة، ولم يبق إلا بقية من كبارهم بخير مع أهلها، وهم الذين كانوا السبب في إثارة الأحزاب<sup>(٥)</sup>.

\*\*\*

(١) السير للإمام الذهبي (١/٢٩٠: ٢٩١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٦٨) عن البراء - رضى الله عنه -.

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٦٩) عن البراء - رضى الله عنه -.

(٤) مسلم بشرح النووي (٣٤/١٦).

(٥) محاسن التأويل (٢٤٦/١٣).

## أحداث وقعت بعد غزوة بني قريظة

زواج النبي ﷺ بزَيْنَب بنت جحش (رضى الله عنها)

وها هي قصة زواج النبي ﷺ بزَيْنَب بنت جحش رضى الله عنها:  
 قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ  
 وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا  
 زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ  
 اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿[الأحزاب: ٣٧].

قال الحافظ ابن حجر في الفتح:

وقد أخرج ابن أبي حاتم هذه القصة من طريق السدي فساقها سياقا واضحا حسنا  
 ولفظه «بلغنا أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش، وكانت أمها أيممة بنت عبد  
 المطلب عمه رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ أراد أن يزوجه زيد بن حارثة مولاه  
 فكرهت ذلك، ثم إنها رضيت بما صنع رسول الله ﷺ فزوجها إياه، ثم أعلم الله عز  
 وجل نبيه ﷺ بعد أنها من أزواجه فكان يستحي أن يأمر بطلاقها، وكان لا يزال يكون  
 بين زيد وزينب ما يكون من الناس، فأمره رسول الله ﷺ أن يمسك عليه زوجه وأن  
 يتقى الله، وكان يخشى الناس أن يعيبوا عليه ويقولوا تزوج امرأة ابنه، وكان قد تبنى  
 زيدا». وعنده من طريق علي بن زيد عن علي بن الحسين بن علي قال: أعلم الله نبيه ﷺ  
 أن زينب ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها، فلما أتاه زيد يشكوها إليه وقال له اتق الله  
 وأمسك عليك زوجك قال الله: قد أخبرتك أنني مزوجكها، وتُخْفَى في نفسك ما الله  
 مبديه<sup>(١)</sup>.

(١) فتح الباري (٨/ ٣٨٤).



## وهكذا أصبحت أمًا للمؤمنين

فلما طلق (زيد) (زينب) - رضى الله عنهما - وانقضت عدتها تزوجها رسول الله ﷺ لتتال أعظم منقبة في الكون كله فتكون زوجة لسيد الأولين والآخرين ﷺ ولتكون أمًا للمؤمنين.

عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن هذه الآية ﴿ وَتَخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة<sup>(١)</sup>.

وعن أنس (رضى الله عنه) قال: لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد: «فاذكريها علي» قال: فانطلق زيد حتى أتاها وهي تخمر عجينها قال: فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها أن رسول الله ﷺ ذكرها، فوليتها ظهري ونكصت على عقبي فقلت: يا زينب أرسل رسول الله ﷺ يذكرك قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن، وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن قال فقال: ولقد رأيتنا أن رسول الله ﷺ أطعمنا الخبز واللحم حين امتد النهار، فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله ﷺ واتبعته فجعل يتبع حُجر نسائه يسلم عليهن ويقلن: يا رسول الله، كيف وجدت أهلك؟ قال: فما أدري أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أخبرني قال: فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه فألقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب. قال: ووَعظ القوم بما وعظوا به.

زاد ابن رافع في حديثه ﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاطِرِينَ إِيَّاهُ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ﴾ [الأحزاب: ٥٣] (٢).

## نزول الحجاب

عن أنس رضى الله عنه قال: «أنا أعلم الناس بالحجاب، لقد كان أبي بن كعب يسألني عنه قال أنس: أصبح رسول الله ﷺ عروساً بزينب بنت جحش. قال: وكان تزوجها بالمدينة، فدعا الناس للطعام بعد ارتفاع النهار، فجلس رسول الله ﷺ، وجلس

(١) أخرجه البخارى (٤٧٨٧) والترمذى (٣٢١٣) والحاكم (٤١٧/٢).

(٢) أخرجه مسلم (١٤٢٨) والنسائى (٨٠٧٩/٦) وأحمد (١٩٥/٣ - ١٩٦).

معهم رجال بعد ما قام القوم، حتى قام رسول الله ﷺ، فمشى، فمشيت معه حتى بلغ باب حجرة عائشة ثم ظن أنهم قد خرجوا، فرجع ورجعت معه، فإذا هم جلوس مكانهم، فرجع فرجعت الثانية، حتى بلغ حجرة عائشة، فرجع فرجعت، فإذا هم قد قاموا فضرب بيني وبينه بالستر، وأنزل الله آية الحجاب»<sup>(١)</sup>.

فكان من بركات زينب (رضى الله عنها) ومن فضائلها نزول آية الحجاب بسببها وذلك في صبيحة عرسها.

### الله يأمر بزواجها من فوق سبع سماوات

والله لكأنى أجد الكلمات تتوارى خجلاً وحياءً أمام تلك المنقبة العظيمة ... فالله هو الذى أمر بزواجها من فوق سبع سماوات ولذلك كانت تفتخر أمنا زينب (رضى الله عنها) بهذه المنقبة التى لا توازيها الدنيا بكل ما فيها.

عن أنس قال جاء زيد بن حارثة يشكو فجعل النبي ﷺ يقول: اتق الله وأمسك عليك زوجك». قال أنس: لو كان رسول الله ﷺ كاتمًا شيئاً لكتم هذه قال: فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول زوجكن أهاليكن وزوجنى الله تعالى من فوق سبع سموات<sup>(٢)</sup>.

وعن عيسى بن طهمان قال: سمعت أنس بن مالك رضى الله عنه يقول: نزلت آية الحجاب فى زينب بنت جحش، وأطعم عليها يومئذ خبزاً ولحماً، وكانت تفخر على نساء النبي ﷺ وكانت تقول: «إن الله أنكحنى فى السماء»<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١) أخرجه البخارى فى الأئمة باب قوله تعالى «فإذا طعمتم فانتشروا» حديث رقم: (٥٤٦٦)، مسلم فى

النكاح باب زواج زينب بنت جحش رقم: ٩٣/١٤٢٨.

(٢) أخرجه البخارى (٧٤٢٠) والترمذى (٣٢١٣).

(٣) أخرجه البخارى (٧٤٢١) وأحمد (٢٢٦/٣).

## مقتل أبي رافع (سلام بن أبي الحقيق)

ولم تنته الخصومة بين المسلمين واليهود بانهزام قريظة وإنكسار شوكتها، فإن بعض مؤلبي الأحزاب على الإسلام فرَّ إلى خيبر لائثاً بحصونها مستظهاً بإخوانه فيها، مثل أبي رافع بن أبي الحقيق، وهو شريك (حبي) في التطواف بالقبائل يستجلبها إلى يثرب بغية الإتيان على الإسلام وأهله، وليس يؤمن لليهود شر ما بقيت لهم قدرة على فعله<sup>(١)</sup>.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وقد قدمنا أن أبا رافع كان ممن ألب الأحزاب على رسول الله ﷺ، ولم يقتل مع بني قريظة كما قُتل صاحبه حبي بن أخطب، ورغبت الخزرج في قتله مساواة للأوس في قتل كعب بن الأشرف، وكان الله - سبحانه وتعالى - قد جعل هذين الحيين يتصاولان بين يدي رسول الله ﷺ في الخيرات، فاستأذنه في قتله، فأذن لهم، فانتدب له رجال كلهم من بني سلمة، وهم عبد الله بن عتيك وهو أمير القوم، وعبد الله بن أنيس، وأبو قتادة الحارث بن ربيعي، ومسعود بن سنان، وخزاعي بن أسود<sup>(٢)</sup>.

وعن البراء بن عازب رضی الله عنهما قال: «بعث رسول الله ﷺ رهطاً إلى أبي رافع، فدخل عليه عبد الله بن عتيك بيته ليلاً، وهو نائم فقتله»<sup>(٣)</sup>.

وعن البراء بن عازب رضی الله عنهما قال: «بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهودي رجلاً من الأنصار، فأمر عليهم عبد الله بن عتيك، وكان أبو رافع يؤذى رسول الله ﷺ، ويعين عليه، وكان في حصن له بأرض الحجاز، فلما دنوا منه، وقد غربت الشمس، وراح الناس بسرهم، فقال عبد الله لأصحابه: اجلسوا مكانكم، فإني منطلق ومتلطف للبواب لعلني أن أدخل، فأقبل حتى دنا من البواب، ثم تقنع بثوبه كأنه يقضى حاجة، وقد دخل الناس، فهتف به البواب: يا عبد الله إن كنت تريد أن تدخل فادخل، فإني أريد أن أغلق الباب، فدخلت، فكمنت، فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الأغاليق<sup>(٤)</sup> على عود.

(١) فقه السيرة / للغزالي (ص: ٣٥٩).

(٢) زاد المعاد (٣/ ٢٧٥ : ٢٧٦).

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٣٨) المغازي.

(٤) الأغاليق: جمع غلق ما يغلق به الباب وهو المفتاح.

قال: فقمتم إلى الأقاليد<sup>(١)</sup> فأخذتها، ففتحت الباب، وكان أبو رافع يُسمرُ عنده، وكان في علالي له، فلما ذهب عنه أهل سمره، صعدت إليه فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت على من داخل، قلت: إن القوم نذروا بي لم يخلصوا إليّ حتى أقتله، فانتهيت إليه، فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله، لا أدري أين هو من البيت، فقلت: أبا رافع؟ قال: من هذا؟ فأهويت نحو الصوت، فأضربه ضربة بالسيف، وأنا دهش فما أغنيت شيئاً، وصاح، فخرجت من البيت، فأمكث غير بعيد، ثم دخلت إليه فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع؟

فقال: لأمك الويل، إن رجلاً في البيت ضربني قبل بالسيف، قال: فأضربه ضربة أثختته، ولم أقتله، ثم وضعت خبيب السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره، فعرفت أني قتلتها، فجعلت أفتح الأبواب باباً باباً حتى انتهيت إلى درجة له فوضعت رجلى، وأنا أرى أني قد انتهيت إلى الأرض فوقعت في ليلة مقمرة، فانكسرت ساقى فعصبتها بعمامة، ثم انطلقت حتى جلست على الباب فقلت: لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته أم لا، فلما صاح الديك قام الناعي على السور، فقال: أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز، فانطلقت إلى أصحابي فقلت: النجاء، فقد قتل الله أبا رافع، فانتهيت إلى النبي ﷺ فحدثته، فقال لي: (إسبط رجلك)، فبسطت رجلى فمسحها فكأنها لم أشتكها قط<sup>(٢)</sup>.

\* وعاد القوم إلى المدينة يبشرون من وراءهم أنهم أزاحوا من طريق الدعوة عقبة كأداء.

تضعض الكفر بعد هذه الوقعات الغليظة. ورست أصول الإسلام واطمأنت دولته. فما انتهت السنة الخامسة للهجرة حتى أصبح المسلمون قوة تفرض نفسها وتذيق المعاندين بأسها. واستيقنت قريش وأحلافها أن رد المسلمين إلى عبادة الأوثان ضربٌ من المستحيل، كما استيقن اليهود أن خصامهم الخبيث للمدين الجديد والرسالة الخاتمة لم يزداهم إلا خبالاً<sup>(٣)</sup>.

\* قال الحافظ ابن حجر (رحمه الله): في هذا الحديث من الفوائد جواز اغتيال المشرك الذي بلغته الدعوة وأصر، وقتل من أعان على رسول الله ﷺ بيده أو ماله أو

(١) الأقاليد: جمع إقليد وهو المفتاح.

(٢) أخرجه البخارى (٤٠٣٩) المغازى.

(٣) فقه السيرة/ للغزالي (ص: ٣٦٠: ٣٦١).

لسانه، وجواز التجسس على أهل الحرب وتطلب غرتهم، والأخذ بالشدّة في محاربة المشركين، وجواز إيهام القول للمصلحة، وتعرض القليل من المسلمين للكثير من المشركين، والحكم بالدليل والعلامة لاستدلال أبي عتيك على أبي رافع بصوته، واعتماده على صوت الناعي بموته، والله أعلم<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) فتح الباري (٧/٤٠٠).

## غزوة بنى لحيان

كانت في أوائل السنة السادسة للهجرة على الصحيح كما قاله ابن كثير<sup>(١)</sup>.

وقد صلى النبي ﷺ بأصحابه صلاة الخوف لأول مرة بعسفان كما جاء في حديث أبي عياش الزرقى (رضى الله عنه) قال: «كنا مع رسول الله ﷺ بعسفان، فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد، وهم بيننا وبين القبلة، فصلى رسول الله ﷺ الظهر فقالوا: قد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم، ثم قالوا: تأتي عليهم الآن صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم.

قال: فنزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات بين الظهر والعصر ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ [النساء: ١٠٢] قال: فحضرت، فأمرهم رسول الله ﷺ، فأخذوا السلاح، قال: فصففنا صفين، قال: ثم ركع، فركعنا جميعاً، ثم رفع، فرفعنا جميعاً، ثم سجد النبي ﷺ بالصف الذي يليه، والآخرين قيام يحرسونهم فلما سجدوا وقاموا جلس الآخرون، فسجدوا في مكانهم، ثم تقدم هؤلاء إلى مصاف هؤلاء، وجاء هؤلاء إلى مصاف هؤلاء قال: ثم ركع فركعوا جميعاً، ثم رفع فرفعوا جميعاً، ثم سجد النبي ﷺ والصف الذي يليه، والآخرين قيام يحرسونهم، فلما جلس، جلس الآخرون فسجدوا فسلم عليهم ثم انصرف، قال: فصلاها رسول الله ﷺ مرتين، مرة بعسفان ومرة بأرض بنى سليم<sup>(٢)</sup>.

\* وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: (إن رسول الله ﷺ نزل بين ضجنان وعسفان، فقال المشركون: إن لهم صلاة هي أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم، وهي العصر، فأجمعوا أمرهم، فميلوا عليهم ميلاً واحدة، وإن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فأمره أن يقسم أصحابه شطرين، فيصلى ببعضهم، وتقوم الطائفة الأخرى وراءهم ليأخذوا حذرهم وأسلحتهم، ثم تأتي الأخرى فيصلون معه، ويأخذ هؤلاء حذرهم وأسلحتهم، لتكون لهم ركعة ركعة مع رسول الله ﷺ، ولرسول الله ﷺ ركعتان)<sup>(٣)</sup>.

(١) السيرة النبوية/ لابن كثير (٣/ ٢٨٥).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٥٩: ٦٠) وأبو داود (١٢٣٦) والحاكم (١/ ٣٣٧: ٣٣٨) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وهو كما قال.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٥٢٢) والترمذي (٣٠٣٨) وقال الترمذي: حسن صحيح.

وبنو لحيان هم الذين كانوا قد غدروا بعشرة من أصحاب رسول الله ﷺ بالرجيع، وتسببوا في إعدامهم، ولكن لما كانت ديارهم متوغلة في الحجاز إلى حدود مكة، والتارات الشديدة قائمة بين المسلمين وقريش والأعراب، لم يكن يرى رسول الله ﷺ أن يتوغل في البلاد بمقربة من العدو الأكبر، فلما تخاذلت الأحزاب، واستوهنت عزائمهم، واستكانوا للظروف الراهنة إلى حد ما، رأى أن الوقت قد آن لأن يأخذ من بنى لحيان ثأر أصحابه المقتولين بالرجيع<sup>(١)</sup>.

قال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفرًا وشهرى ربيع، وخرج في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح قريظة إلى بنى لحيان يطلب بأصحاب الرجيع: خبيب بن عدى وأصحابه، وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غرّه<sup>(٢)</sup>.

#### • قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بنى لحيان بعد قريظة بستة أشهر ليغزوهم، فخرج رسول الله ﷺ في مائتي رجل، وأظهر أنه يريد الشام، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، ثم أسرع السير حتى انتهى إلى بطن غُرَّان<sup>(٣)</sup> واد من أودية بلادهم، وهو بين أمج وعسفان حيث كان مُصابُ أصحابه، فترحم عليهم ودعا لهم، وسمعت بنو لحيان فهربوا في رؤوس الجبال، فلم يقدر منهم على أحد، فأقام يومين بأرضهم، وبعث السرايا، فلم يقدروا عليهم، فسار إلى عسفان، فبعث عشرة فوارس إلى كُراع الغميم لتسمع به قريش، ثم رجع إلى المدينة، وكانت غيبته عنها أربع عشرة ليلة<sup>(٤)</sup>.

\*\*\*

(١) الرحيق المختوم (ص: ٣٤٩).

(٢) تهذيب السيرة (ص: ١٨٤) لعبد السلام هارون.

(٣) بضم الغين والتخفيف: اسم وادى الأزرق خلف أمج، وقال المجدد: علم مرتجل لواد ضخم وراء وادى ساية (من أعمال المدينة) وفيه كانت منازل بنى لحيان.

(٤) انظر ابن هشام (٢/٢٧٩، ٢٨١)، وشرح المواهب (٢/١٤٦، ١٥٣)، وابن سعد (٢/٧٨، ٨٠) والطبرى

(٣/٥٩) وابن سيد الناس (٢/٨٣) وابن كثير (٣/١٥٦).

### سرية نجد وقصة إسلام ثمامة بن أثال

خرج ثمامة من أرض اليمامة مولياً وجهه شطر مكة المكرمة يريد الطواف حول الكعبة والذبح لأصنامها. وإذا بالنبي ﷺ يرسل سرية إلى أرض نجد فيأتوا به أسيراً.

فعن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال: بعث النبي ﷺ خيلاً قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ فقال: «ماذا عندك يا ثمامة؟» فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكرك، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت. فترك حتى كان الغد ثم قال له: «ما عندك يا ثمامة؟» فقال: ما قلت لك: إن تنعم تنعم على شاكرك، فتركه حتى كان بعد الغد، فقال: «ما عندك يا ثمامة؟» فقال: عندي ما قلت. فقال: «أطلقوا ثمامة».

فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل، ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إليّ، والله ما كان من دين أبغض إليّ من دينك فأصبح دينك أحب الدين إليّ، والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إليّ. وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره رسول الله ﷺ: وأمره أن يعتمر - وفي رواية: فاغتسل وصلى ركعتين فقال رسول الله ﷺ: لقد حسن إسلام صاحبكم»<sup>(١)</sup>.

فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت؟ قال: لا والله، ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>.  
الله أكبر... يدخل ثمامة مكة ملبياً فيكون أول مسلم على وجه الأرض يدخل مكة ملبياً ورافعاً صوته بالتلبية.

«لييك اللهم لبيك... لبيك لا شريك لك لبيك. إن الحمد والنعمة لك والملك.. لا شريك لك».

إن قريشاً تعلم أن ثمامة سيد من سادات بني حنيفة المرموقين وملك من ملوك اليمامة الذين لا يعصى لهم أمر.

(١) رواه ابن حبان (موارد الظمان ٣٢٨١) قال العدوي: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٧٢) ومسلم (١٧٦٤).



ولقد أقسم بالله ليمنعن عن قريش الطعام حتى يتبعوا محمداً ﷺ .  
ولقد عاد ثمامة إلى بلاده (اليمامة) التي كانت بمثابة الريف لأهل مكة، فأمر قومه أن  
يجسوا الميرة - الطعام - عن قريش فاستجابوا لأمره، وحبسوا الطعام عن أهل مكة حتى  
جهدت قريش وكتبوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه بأرحامهم أن يكتب إلى ثمامة يخلى  
إليهم حمل الطعام ففعل رسول الله ﷺ (١).

### ثبات على المبدأ

هكذا استطاع ثمامة - رضى الله عنه - أن يقف هذا الموقف الإيجابي للذود عن  
حياض الإسلام فيمنع الخير عن أعداء الله رغبة في إسلامهم ليحقق بذلك تلك الخيرية  
التي امتن الله بها على تلك الأمة الميمونة حيث يقول: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ  
تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ويا له من درس عظيم ... فلو أن الأمة منعت خيرها عن اليهود وسائر أعداء هذا  
الدين لجاؤوا جميعاً ووضعوا رؤوسهم على عتبة الإسلام بدلاً من الذل الذي تعيشه  
الأمة المسلمة في ظل التخاذل الجماعي من أبنائها - إلا من رحم الله - عن نصره دين الله  
وعن العمل لهذا الدين العظيم.  
فيا ليتنا نعى هذا الدرس جيداً (٢).

### • قال الحافظ ابن حجر (رحمه الله):

وفي قصة ثمامة من الفوائد ربط الكافر في المسجد، والمن على الأسير الكافر،  
وتعظيم أمر العفو عن المسيء لأن ثمامة أقسم أن بغضه انقلب حباً في ساعة واحدة لما  
أسداه النبي ﷺ من العفو والمن بغير مقابل ... وفيه الاغتسال عند الإسلام وأن الإحسان  
يزيل البغض ويثبت الحب، وأن الكافر إذا أراد عمل خير ثم أسلم شرع له أن يستمر في  
عمل ذلك الخير، وفيه الملائمة بمن يرجى إسلامه من الأسرى إذا كان في ذلك مصلحة  
للإسلام، ولا سيما من يتبعه على إسلامه العدد الكثير من قومه، وفيه بعث السرايا إلى  
بلاد الكفار، وأسر من وجد منهم، والتخيير بعد ذلك في قتله أو الإبقاء عليه (٣).

(١) زاد المعاد (١١٩/٢) ومختصر سيرة الرسول للشيخ عبد الله النجدى (ص: ٢٩٢ - ٢٩٣) بتصرف.

(٢) أصحاب الرسول / للمصنف (٢/٩٧: ٩٩) بتصرف.

(٣) فتح الباري (٧/٦٩٠).

### قصة العُرنيين

عن أنس (رضى الله عنه) قال: «إن ناساً من عُكل وعرينة<sup>(١)</sup> قدموا المدينة على النبي ﷺ، وتكلموا بالإسلام فقالوا: يا نبي الله إنا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف، واستوخموا المدينة<sup>(٢)</sup>، فأمر لهم رسول الله ﷺ بذود وراع، وأمرهم أن يخرجوا فيه، فيشربوا من ألبانها وأبوالها، فانطلقوا، حتى إذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد إسلامهم، وقتلوا راعي النبي ﷺ، واستاقوا الذود<sup>(٣)</sup>، فبلغ النبي ﷺ، فبعث الطلب في آثارهم، فأمر بهم، فسمروا أعينهم<sup>(٤)</sup>، وقطعوا أيديهم، وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم). واللفظ للبخارى.

وأما رواية مسلم «أن نفراً من عكل، ثمانية، قدموا على رسول الله ﷺ، فبايعوه على الإسلام، فاستوخموا الأرض، وسقمت أجسامهم، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال: ألا تخرجون مع راعينا في إبله، فتصيرون من أبوالها وألبانها؟ فقالوا: بلى، فخرجوا فشربوا من أبوالها وألبانها، فصحوا، فقتلوا الراعي وطرذوا الإبل، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فبعث في آثارهم، فأدركوا فجيء بهم، فأمر فقتل أيديهم وأرجلهم، وسمروا أعينهم، ثم نبذوا في الشمس حتى ماتوا»<sup>(٥)</sup>.

وهكذا تكون عاقبة الخيانة.

\*\*\*

(١) عكل وعرينة: حى من قحطان.

(٢) استوخموا: لم يوافقهم جوها وكرهوها لسقم أصابهم.

(٣) الذود: الإبل.

(٤) سمروا: سمر: كحلها بمسامير محمية، وفي لفظ سمل: فقأها وأذهب ما فيها.

(٥) أخرجه البخارى فى المغازى باب قصة عكل وعرينة حديث رقم ٤١٩٢.

## صلح الحديبية

جاء تفكير المسلمين في زيارة المسجد الحرام بداية لمرحلة متميزة في تاريخ دعوتهم. ليسوا يعالنون بعزمهم على دخول مكة وهم الذين طردوا منها بالأمس وحُوربوا حيث استقرت بهم النوى؟ وظلت حالة الحرب قائمة بينهم وبين قريش لم تسفر عن نتيجة حاسمة؟ فكيف ينوون العمرة في هذه الظروف؟.

والجواب أن النبي ﷺ أراد بهذا النسك المنشود إقرار حق المسلمين في أداء عبادتهم، وإفهام المشركين أن المسجد الحرام ليس ملكاً لقبيل يحتكر القيام عليه ويمكنه الصد عنه، فهو ميراث الخليل إبراهيم. والحج إليه واجب على كل من بلغه أذان أبي الأنبياء من قرون:

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ [الحج: ٢٦، ٢٧].

ومن ثم فليس يجوز لأهل مكة أن يحجبوا المسلمين عنه، ولئن استطاعوا قديماً إقصاءهم، فإنهم - بعد ما وقع من قتال - لن يصروا على خطئهم القديم<sup>(١)</sup>.

### لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق

قال تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفتح: ٢٧].

كان رسول الله ﷺ قد رأى في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت، فأخبر أصحابه

(١) فقه السيرة/ للغزالي (ص: ٣٦٥).

بذلك وهو في المدينة، فلما ساروا عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تنفسر هذا العام، فلما وقع ما وقع من قضية الصلح ورجعوا عامهم ذلك على أن يعودوا من قابل، وقع في نفس بعض الصحابة رضى الله عنهم من ذلك شيء حتى سأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه في ذلك فقال له فيما قال [أفلم تكن تخبرنا أنا سنأتى البيت ونطوف به؟ قال «بلى أفأخبرت أنك تأتية عامك هذا؟» قال: لا. قال النبي ﷺ: «فإنك آتية ومطوف به»] ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ (١).

### وقت الغزوة

كانت غزوة الحديبية سنة ست للهجرة في ذى القعدة، وهذا هو الصحيح، وهو قول الزهرى، ونافع مولى ابن عمر، وقتادة، وموسى بن عقبة، ومحمد بن إسحاق وغيرهم وهذا هو رأى الجمهور في ذلك (٢).

\* وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «اعتمر رسول الله ﷺ أربع عمر كلهن في ذى القعدة إلا التي كانت مع حجته، عمرة من الحديبية في ذى القعدة، وعمرة من العام المقبل في ذى القعدة، وعمرة من الجعرانة حيث قسم غنائم حنين في ذى القعدة وعمرة مع حجته» (٣). (٤)

\*\*\*

(١) مختصر تفسير ابن كثير (٤/٢٠٩: ٢١٠).

(٢) زاد المعاد: (٣/٢٨٦) دلائل النبوة للبيهقى: ٤/٩٠، السيرة النبوية ابن كثير: ٣/٣١٢.

(٣) أخرجه البخارى في الحج باب كم اعتمر النبي ﷺ رقم: ١٧٨٠، وفي المغازى باب غزوة الحديبية رقم: ٤١٤٨، ومسلم في الحج باب بيان عدد عمر النبي ﷺ رقم: ١٢٥٣.

(٤) وقد شذ عن الجمهور في رواية عنه عروة بن الزبير فيما روى عنه ابنه هشام بن عروة: «أن النبي ﷺ خرج إلى الحديبية في رمضان وكانت الحديبية في شوال». وقد قال الحافظ ابن كثير فيما ذهب إليه عروة: وهذا غريب جداً عن عروة، وقال ابن القيم: هذا وهم، وقد جاء عن عروة من طريق أبى الأسود عنه: أنها كانت في ذى القعدة، وهذا هو الصواب. والله أعلم [زاد المعاد (٣/٢٨٧)].

## عدد المسلمين الذين كانوا مع النبي ﷺ

جاءت الروايات فى عددهم على ثلاثة أوجه:

فمن قائل إنهم كانوا ألفاً وثلاثمائة، ومن قائل أنهم كانوا ألفاً وأربعمائة، ومن قائل أنهم كانوا ألفاً وخمسمائة، وكلها فى الصحيح<sup>(١)</sup>، نذكر بعض هذه الروايات، ثم نحرر الخلاف بينها ووجه الجمع بين هذه الأقوال:

أ- أنهم كانوا ألفاً وثلاثمائة:

عن عبد الله بن أبي أوفى (رضى الله عنهما) قال: «كان أصحاب الشجرة ألفاً وثلاثمائة وكانت أسلم تُمن المهاجرين»<sup>(٢)</sup>.

ب- أنهم كانوا ألفاً وأربعمائة:

عن جابر بن عبد الله (رضى الله عنهما) قال: «قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية أتم خير أهل الأرض وكنا ألفاً وأربعمائة، ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة»<sup>(٣)</sup>.

ج- أنهم كانوا ألفاً وخمسمائة:

عن جابر (رضى الله عنه) قال: «لو كنا مائة ألف لكفانا»<sup>(٤)</sup>: كنا خمس عشرة مائة»<sup>(٥)</sup>.

قال الحافظ رحمه الله تعالى: «والجمع بين هذا الاختلاف أنهم كانوا أكثر من ألف وأربعمائة، فمن قال ألفاً وخمسمائة جبر الكسر، ومن قال ألفاً وأربعمائة ألغاه، ويؤيده

(١) السيرة النبوية ابن كثير: ٣/٣١٢ زاد المعاد: ٣/٢٨٧.

(٢) أخرجه البخارى فى المغازى باب غزوة الحديبية حديث رقم: ٤١٥٥، ومسلم فى الإمارة باب استحباب مبايعة الإمام رقم: ١٨٥٧.

(٣) أخرجه البخارى فى المغازى باب غزوة الحديبية حديث رقم: ٤١٥٤، ومسلم فى الإمارة باب استحباب مبايعة الإمام رقم: ١٨٥٦، ٧١ وأحمد فى المسند: ٣/٣٩٦.

(٤) معناه أن الصحابة لما وصلوا الحديبية وجدوا بئراً تنزّ مثل الشراك فبصق النبي ﷺ فيها ودعا بالبركة فجاشت بالماء، فقال جابر لو كنا مائة ألف لكفانا.

(٥) أخرجه البخارى فى المغازى باب غزوة الحديبية حديث رقم: ٤١٥٢، ومسلم فى الإمارة باب استحباب مبايعة الإمام رقم: ١٨٥٦، ٧٢، ٧٣.

قوله في الرواية الثالثة من حديث البراء وألفاً وأربعمائة أو أكثر» واعتمد هذا الجمع النووى.

وأما البيهقى فمال إلى الترجيح، وقال إن رواية من قال ألف وأربعمائة أصح.

### تخلف المنافقين عن الخروج

فالأعراب المنتشرون حول يثرب، ومن كان على شاكلتهم من المنافقين.

عرفوا أن أهل مكة سوف يقاتلون محمداً عليه الصلاة والسلام، وأنه إذا أبى إلا زيارة البيت - كما أعلن - فلن تدعه قريش حتى تهلكه أو تهلك هي دون إبلاغه مأربه.. فهي عمرة محفوفة بالأخطار في نظرهم، والفرار منها أجدى!!.

ولو فرض أن الرسول عليه الصلاة والسلام نجح في مقصده هذا، فالاعتذار إليه بعد عودته سهل.

﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيْنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَ السَّوِّءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾ [الفتح: ١١، ١٢].

وخرج المؤمنون الواثقون مع رسول الله عليه الصلاة والسلام وعددهم قريب من ألف وأربعمائة، وذلك في ذى القعدة من السنة السادسة للهجرة. وساروا ملبين يطوون الطريق إلى البيت العتيق فلما بلغوا «عسفان» على مرحلتين من مكة جاء الخبر إلى المسلمين أن قريشاً خرجت عن بكرة أبيها، وقد أقسمت ألا يدخل بلدهم مسلم، وأن جيشهم استعد للنضال، ويقود خيله خالد بن الوليد<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) فقه السيرة/ للغزالي (ص: ٣٦٦: ٣٦٧).

### النبي ﷺ يحرم من ذى الحليفة

عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم (يصدق حديث كل منهما حديث صاحبه) قالوا: «خرج رسول الله ﷺ زمان الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه، حتى إذا كانوا بذى الحليفة<sup>(١)</sup> قلد رسول الله ﷺ الهدى وأشعره<sup>(٢)</sup>، وأحرم بالعمرة، وبعث بين يديه عيناً<sup>(٣)</sup> له من خزاعة يخبره عن قريش»<sup>(٤)</sup>.

### المسلمون يتحركون إلى مكة

وتحرك في اتجاه مكة، فلما كان بذى الحليفة قلد الهدى وأشعره، وأحرم بالعمرة، ليأمن الناس من حربه، وبعث بين يديه عيناً له من خزاعة يخبره عن قريش، حتى إذا كان قريباً من عسفان أتاه عينه، فقال: إني تركت كعب بن لؤى قد جمعوا لك الأحابيش، وجمعوا لك جموعاً وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت. واستشار النبي ﷺ أصحابه، وقال: «أترون نميل إلى ذراري هؤلاء الذين أعانوهم فنصيبهم؟ فإن قعدوا قعدوا موتورين محزونين، وإن نجوا يكن عنق قطعها الله، أم تريدون أن نؤم هذا البيت، فمن صدنا عنه قاتلناه؟» فقال أبو بكر: الله ورسوله أعلم، إنما جئنا معتمرين، ولم نجئ لقتال أحد، ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه، فقال النبي ﷺ: «فروحوا» فراحوا<sup>(٥)</sup>.

### محاولة قريش صد المسلمين عن البيت

وكانت قريش لما سمعت بخروج النبي ﷺ عقدت مجلساً استشارياً، قررت فيه صد المسلمين عن البيت كيفما يمكن فبعد أن أعرض رسول الله ﷺ عن الأحابيش، نقل إليه رجل من بني كعب أن قريشاً نازلة بذى طوى، وأن مائتي فارس في قيادة خالد بن الوليد مرابطة بكراع الغميم، في الطريق الرئيسي الذي يوصل إلى مكة. وقد حاول خالد

(١) ذى الحليفة: ماء لبني جشم على ستة أميال عن المدينة وهو ميقات أهل المدينة للحج وهو ما يسمى آبار على.

(٢) أشعار الهدى: شق أحد جنبي سنام البدنة حتى يسيل دمها ويجعل ذلك علامة لها لتعرف بأنها هدى.

(٣) العين: الجاسوس.

(٤) أخرجه البخارى في المغازى باب غزوة الحديبية حديث رقم: ٤١٧٨، ٤١٧٩، ٤١٨٠، ٤١٨١، وأبو داود

في الجهاد باب صلح العدو: ٢٧٦٥.

(٥) أخرجه البخارى (٣٥٧٦)، ومسلم (١٨٥٦)، والنسائي [٦٠/١].

صد المسلمين، فقام بفرسانه إزاءهم يتراءى الجيشان، ورأى خالد المسلمين فى صلاة الظهر يركعون ويسجدون، فقال: لقد كانوا على غرة، لو كنا حملنا عليهم لأصبنا منهم، ثم قرر أن يميل على المسلمين - وهم فى صلاة العصر - ميلاً واحدة، ولكن الله أنزل حكم صلاة الخوف، ففادت الفرصة خالداً<sup>(١)</sup>.

### حبسها حابس الفيل

من حديث مروان والمسور السابق: «... فراحوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبى ﷺ: (إن خالد بن الوليد بالغميم)<sup>(٢)</sup>، فى خيل لقريش طليعة<sup>(٣)</sup>، فخذوا ذات اليمين)، فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة<sup>(٤)</sup> الجيش، فانطلق يركض نذيراً لقريش، وسار النبى ﷺ حتى إذا كان بالثنية<sup>(٥)</sup> التى يهبط عليهم منها، بركت راحلته، فقال الناس: «حل حل»<sup>(٦)</sup> فألحت، فقالوا: خلأت القصواء، فقال ﷺ: (ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل)<sup>(٧)</sup>.<sup>(٨)</sup>

### تعظيم حرمان الله تعالى

من حديث مروان والمسور السابق: «... فقال النبى ﷺ: (ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل)، ثم قال: (والذى نفسى بيده، لا يسألوننى خطة يعظمون فيها حرمان الله إلا أعطيتهم إياها). ثم زجرها فوثبت. قال: فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمذ قليل الماء»<sup>(٩)</sup>.

\*\*\*

(١) الرحيق المختوم (ص: ٣٦٥).

(٢) الغميم: موضع قريب من مكة بين رابع والجحفة.

(٣) طليعة: مقدمة الجيش لاستكشاف العدو.

(٤) قتره الجيش: غبار الجيش.

(٥) الثنية: هى ثنية المرار موضع بين مكة والمدينة من طريق الحديبية.

(٦) حل حل: لفظ يزجر به الدابة إذا حملت على السير.

(٧) حبسها حابس الفيل: حبسها الله عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها.

(٨) أخرجه البخارى فى كتاب الشروط باب الشروط فى الجهاد، والمصالحة مع أهل الحرب الشروط رقم:

٢٧٣١، ٢٧٣٢، بلفظ أطول من لفظه فى المغازى.

(٩) سبق تخريجه.



### لا يجوز أحد الليلة هذه الثانية إلا غفر له

عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ، حتى إذا كنا بعسفان قال لنا رسول الله ﷺ: إن عيون المشركين الآن على ضجنان فأياكم يعرف طريق الحنظل؟ فقال رسول الله ﷺ حين أمسى: (هل من رجل فينزل فيسعى بين يدي الركاب؟) فقال رجل: أنا يا رسول الله فنزل: فجعلت الحجارة تنكبه<sup>(١)</sup>، والشجر يتعلق بثيابه، فقال رسول الله ﷺ: (اركب)، ثم نزل آخر، فجعلت الحجارة تنكبه، والشجر يعلق بثيابه، فقال رسول الله ﷺ: (اركب)، ثم وقعنا على الطريق حتى سرنا في ثنية يقال لها الحنظل، فقال رسول الله ﷺ: (ما مثل هذا الثانية إلا كمثل الباب الذى دخل فيه بنو إسرائيل، قيل لهم: ادخلوا الباب سجداً، وقلوا حطة نغفر لكم خطاياكم... لا يجوز أحد الليلة هذه الثانية إلا غفر له)، فجعل الناس يسرعون ويجوزون، وكان آخر من جاز قتادة بن النعمان فى آخر القوم، قال: فجعل الناس يركب بعضهم بعضاً حتى تلاحقنا، قال: فنزل رسول الله ونزلنا<sup>(٢)</sup>.

### معجزات النبي ﷺ فى قصة الحديدية

\* عن البراء بن عازب (رضى الله عنهما) قال: «تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعد الفتح: بيعة الرضوان يوم الحديدية، كنا مع النبي ﷺ أربع عشرة مائة، والحديدية بئر فنزحناها، فلم نترك فيها قطرة، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتى فجلس على شفيرها، ثم دعا بإناء من ماء منها، فتوضأ، ثم مضمض، ودعا، ثم صبه فيها، فتركها غير بعيد، ثم إنها أصدرتنا نحن وركائبنا<sup>(٣)</sup>.

وفى رواية: «فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديدية على ثمذ قليل الماء يتبرضه الناس تبرضاً فلم يلبثه الناس حتى نزحوه، وشكى إلى رسول الله ﷺ العطش، فانتزع سهماً من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيش لهم بالرى حتى صدروا عنه<sup>(٤)</sup>.

(١) تنكبه: تناله وتصيبه.

(٢) أخرجه البزار كما فى كشف الأستار: (١٨١٢، ٢/٣٧٧ - ٣٣٨) وقال الهيثمى فى المجمع: (١٤٤/٦) رواه البزار ورجاله ثقات.

(٣) أخرجه البخارى فى المغازى باب غزوة الحديدية حديث: (٤١٥٠، ٤١٥١).

(٤) سبق تخريبه.

\* وعن جابر رضى الله عنه قال: «عطش الناس يوم الحديبية، ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة، فتوضأ منها، ثم أقبل الناس نحوه، فقال رسول الله ﷺ: مالكم؟ قالوا: يا رسول الله، ليس عندنا ماء نتوضأ به ولا نشرب إلا ما فى ركوتك. قال: فوضع النبى ﷺ يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون قال فشربنا وتوضأنا»<sup>(١)</sup>.

\* وعن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة، فأصابنا جهد<sup>(٢)</sup> حتى هممنا أن ننحر بعض ظهرنا، فأمر نبى الله ﷺ فجمعنا مزادنا<sup>(٣)</sup> فبسطنا له نطعاً<sup>(٤)</sup>، فاجتمع زاد القوم على النطع، قال: فتناولت لأحزره<sup>(٥)</sup> كم هو؟ فحزرتة كربضة العنز<sup>(٦)</sup> ونحن أربع عشرة مائة، قال: فأكلنا حتى شبعنا جميعاً، ثم حشونا جربنا<sup>(٧)</sup>»<sup>(٨)</sup>.

### بديل بن ورقاء يتوسط بين النبى ﷺ وقريش

من حديث مروان والمسور الذى سبق بعضه «... فبينما هم كذلك، إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعى فى نفر من قومه من خزاعة - وكانوا عيبة نصح<sup>(٩)</sup> رسول الله ﷺ من أهل تهامة، فقال: إني تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى نزلوا أعداد مياه الحديبية<sup>(١٠)</sup>، ومعهم العوذ المطافيل<sup>(١١)</sup>، وهم مقاتلوك، وصادوك عن البيت، فقال رسول الله ﷺ: (إنا

(١) رواه البخارى (٥٠٥/٧) المغازى، ومسلم مختصراً (٤/١٣) الإمامة، وأحمد (٣/٣٢٩).

(٢) الجهد: المشقة.

(٣) مزادنا: جمع مزود وهو الوعاء الذى يحمل فيه الزاد.

(٤) بسطنا له نطعاً: وضعنا له بساطاً أى لما معنا من الزاد.

(٥) تناولت لأحزره: أى لأقدره وأخمنه.

(٦) ربضة العنز: مبركها أو كقدرها وهى رابضة.

(٧) جربنا: جمع جراب: الوعاء من الجلد يجعل فيه الزاد.

(٨) أخرجه البخارى فى الشركة باب الشركة فى الطعام والنهد والعروض رقم: (٢٤٨٤، ٢٩٨٢) - مسلم فى اللقطة باب استحباب خلط الأزواد إذا قلت والمؤاساة فيها حديث رقم: (١٧٢٩) (٣/١٣٥٤).

(٩) عيبة نصح: موضع الأمانة والسر والنصيحة.

(١٠) نزلوا أعداد مياه الحديبية: الماء الذى لا انقطاع له، وهذا يدل على أنه كان بالحديبية ماء كثير، ولكن سبقت إليه قريش ولذلك عطش المسلمون حين نزلوا على التمد.

(١١) العوذ المطافيل: العوذ جمع عائذ وهى الناقة ذات اللبن، والمطافيل: الأمهات اللائى معهن أولادها: كناية أنهم خرجوا معهم يتزودون الألبان يتزودوا بألبانها ولا يرجعوا حتى يمنعوه.

لم نجئ لقتال أحد، ولكننا جئنا معتمرين، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب، وأضرت بهم، فإن شاءوا ماددتهم مدة، ويخلوا بيني وبين الناس، فإن أظهر، فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جموا<sup>(١)</sup>، وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمرى حتى تنفرد سالفتى. ولينفذن الله أمره)، فقال بديل: سأبلغهم ما تقول.

قال: فانطلق حتى أتى قريشاً قال: إنا جئناكم من عند هذا الرجل، وسمعناه يقول قولاً: فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا، فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن نخبرونا عنه بشيء، وقال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته يقول: قال: سمعته يقول: كذا وكذا، فحدثهم بما قال النبي ﷺ.

### سفارة قريش

وبعثت قريش سفيرها مكرز بن حفص بن الأخيف، ولما وصل ورآه النبي ﷺ وهو يتقدم نحوه حتى قال ﷺ: «هذا رجل غادر» ولما انتهى إلى رسول الله ﷺ وكلمه قال له نحواً مما قال لبديل بن ورقاء وأصحابه فرجع السفير الغادر فبلغ قريشاً ما سمعه من رسول الله ﷺ.

### إرسال سيد الأحابيش للتفاوض مع النبي ﷺ

من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم الأنف الذكر «... فقال رجل من بني كنانة دعوني آتية؟ فقالوا: آتته، فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه قال رسول الله ﷺ: (هذا فلان: وهو من قوم يعظمون البدن، فابعثوها له)، فبعثت له، واستقبله الناس يلبنون، فلما رأى ذلك قال: سبحان الله، ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت، فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البدن قد قلدت وأشعرت: فما أرى أن يصدوا عن البيت».

وقد صرح ابن إسحاق - رحمه الله - في روايته لهذا الحديث باسم ذلك الرجل، وإسناد ذلك الحديث صحيح، وها أنذا أسوق لفظه ذلك... قال ابن إسحاق «... ثم بعثوا إليه الخليس بن علقمة أو ابن زبان، وكان يومئذ سيد الأحابيش، وهو أحد بني الحارث ابن عبد مناة بن كنانة، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: (إن هذا من قوم يتألهون<sup>(٢)</sup>)، فابعثوا

(١) جموا: استراحوا من القتال.

(٢) يتألهون: يتعبدون ويعظمون أمر الإله.

الهدى فى وجهه حتى يراه)، فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادى<sup>(١)</sup> فى قلاتده<sup>(٢)</sup> وقد أكل أوباره من طول الحبس عن محله<sup>(٣)</sup>، رجع إلى قريش، ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظاماً لما رأى فقال لهم ذلك. قال: فقالوا له: اجلس فإنما أنت أعرابى لا علم لك».

قال ابن إسحاق: فحدثنى عبد الله بن أبى بكر: «أن الحليس غضب عند ذلك وقال: يا معشر قريش، والله ما على هذا حالناكم، ولا على هذا عاقدناكم، أئصد عن بيت الله من جاء مُعظماً له! والذى نفس الحليس بيده، لتخلن بين محمد وبين ما جاء له، أو لأنفرن بالأحاييش نفرة رجل واحد، قال: فقالوا له: صه، كُف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى»<sup>(٤)</sup>.

### عروة بن مسعود يفاوض النبى ﷺ

فقام عروة بن مسعود فقال: أى قوم، أُلستم بالوالد<sup>(٥)</sup>؟ قالوا: بلى، قال: أو لست بالولد<sup>(٦)</sup>؟ قالوا: بلى، قال: فهل تتهمونى، قالوا: لا، قال: أُلستم تعلمون أنى استنفرت أهل عكاظ، فلما بلحوا على<sup>(٧)</sup> جئتكم بأهلى وولدى ومن أطاعنى؟ قالوا: بلى قال: فإن هذا قد عرض عليكم خطة رشد اقبلوها، ودعونى آته، قالوا: آتته، فأتاه، فجعل يكلم النبى ﷺ فقال النبى ﷺ: نحوا من قوله لبديل، فقال عروة عند ذلك: أى محمد، أ رأيت إن استأصلت أمر قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى، فإنى والله لا أرى وجوهاً<sup>(٨)</sup> وإنى لأرى أشواباً<sup>(٩)</sup> من الناس خليقاً أن يفروا

(١) عرض الوادى: جانبه.

(٢) القلاتد: ما يعلق فى أعناق الهدى ليعلم أنه هدى.

(٣) محله: موضعه الذى ينحر فيه من الحرم.

(٤) سيرة ابن هشام: ٣/٣١٢، المجلد الثانى من طريق ابن إسحاق بسند صحيح صرح فيه بالتحديث وهو قطعة من حديث طويل فى صلح الحديبية.

(٥) أُلستم بالوالد: مثل الأب فى الشفقة لولده.

(٦) أولست بالولد: مثل الابن فى النصح لأبيه.

(٧) بلحوا على: امتنعوا وعجزوا.

(٨) وجوهاً: الوجوه: يعنى الأعيان والأشراف.

(٩) الأشواب: الأخلاط.

ويدعوك، فقال له أبو بكر رضى الله عنه: امصص بظر اللات<sup>(١)</sup>، أنحن نفر عنه وندعه؟ فقال: من ذا؟ قالوا: أبو بكر، قال: أما والذي نفسى بيده، لولا يد<sup>(٢)</sup> كانت لك عندى لم أجرك بها لأجبتك.

### هكذا يكون الولاء والبراء لله ولرسوله ﷺ

وها هى صورة مضيئة للولاء والبراء يقفها الصحابى الجليل المغيرة بن شعبة (رضى الله عنه) أمام عمه عروة بن مسعود ليعلمه أن الأنساب تنقطع إذا اختلفت العقائد فإن الإيمان هو الذى يجمع بين القلوب.

\* فبينما عروة بن مسعود يكلم النبى ﷺ فكان كلما تكلم كلمة أخذ بلحيته، والمغيرة ابن شعبة قائم على رأس النبى ﷺ، ومعه السيف، وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبى ﷺ، ضرب يده بنعل السيف، وقال له: أحرَّ يدك عن لحية رسول الله ﷺ، فرفع عروة رأسه فقال: من هذا؟ قال: المغيرة بن شعبة، فقال: أى عُدر<sup>(٣)</sup> أأست أسعى فى عُدرتك؟

وكان المغيرة صحب قومًا فى الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم<sup>(٤)</sup>، فقال النبى ﷺ (أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه فى شىء)، ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبى ﷺ بعينه، قال: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم، فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيمًا له.

### شىء يفضوق خيال المشركين

فرجع عروة إلى أصحابه، فقال: أى قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشى، والله إن رأيت مليكًا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ﷺ محمداً... والله إن يتنخم نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم، فذلك بها

(١) امصص بظر اللات: البظر ما تقطعه الخافضة من بظر المرأة عند الختان وكان هذا يستعمل عند العرب للشم، لكن بلفظ الأم فاستعار الصديق ذلك مبالغة فى سب عروة وإهانة لمعبوده.

(٢) اليد: النعمة.

(٣) أى عُدر: أى يا غادر.

(٤) فكان عمه عروة قد تحمل دفع الدية عن ابن أخيه.

وجبه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضع كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا أخفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها»<sup>(١)</sup>.

\* إن الرجال الذين تكلموا باسم قريش في هذه المفاوضات لم تنهض لهم حجة، بل إنهم عادوا إلى أهل مكة وهم أميل إلى ملاينة المسلمين وتمكينهم من أداء نُسكهم، ولم يلحف بعضهم في التصريح بذلك إلا لما لمسه من كبرياء قريش وعزوفها عن الحق<sup>(٢)</sup>.

### سفير النبي ﷺ

ولما لم تنتج سفارات قريش شيئاً يذكر أرسل النبي ﷺ خراش بن أمية الخزاعي إلى قريش بمكة وحمله على بعير له يقال له الثعلب ليلتغ أشرافهم عنه ما جاء له فعقروا به جمل رسول الله ﷺ وأرادوا قتله فممنعته الأحابيش فخلوا سبيله.

فلما فعلت قريش ما فعلت بسفير رسول الله ﷺ إليها حيث عقرت بعيره، وأرادت قتله، ولم تقبل منه قولاً ولا رأياً عاد إلى النبي ﷺ هارباً بنفسه.

\* ولما رأى شباب قريش الطائشون الطامحون إلى الحرب، رغبة زعمائهم في الصلح، فكروا في خطة تحول بينهم وبين الصلح، فقرروا أن يخرجوا ليلاً ويتسللوا إلى معسكر المسلمين، ويحدثوا أحداثاً تشعل نار الحرب، وفعلاً قد قاموا بتنفيذ هذا القرار، فقد خرج سبعون أو ثمانون منهم ليلاً فهبطوا من جبل التنعيم، وحاولوا التسلل إلى معسكر المسلمين، غير أن محمد بن مسلمة قائد الحرس اعتقلهم جميعاً. ورغبة في الصلح أطلق سراحهم النبي ﷺ وعفا عنهم، وفي ذلك أنزل الله: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤] (٣). (٤)

\* هكذا عفا النبي ﷺ عنهم وخلق سبيلهم فتحقق وصفه في التوراة وأنه لا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح فصلى الله عليه وسلم، وهكذا يتجلى الإحسان المحمدي، وتتكشف إساءة المشركين<sup>(٥)</sup>.

(١) سبق تخريجه.

(٢) فقه السيرة للغزالي (ص: ٣٧٠).

(٣) الرحيق المختوم (ص: ٣٦٨).

(٤) أخرجه مسلم (١٣٣) (١٨٠٨) وأبو داود (٢٦٨٨) والترمذي (٣٢٦٠).

(٥) هذا الحبيب يا محب/ الجزائري (ص: ٣٤٢).

## النبي ﷺ يرسل عثمان بن عفان إلى قريش

ولم يكلّ الحبيب ﷺ ولم يملّ في سبيل تحقيق السلم، وإخماد نار الحرب التي يشعلها الكافرون.

\* فيها هو ﷺ يدعو عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) لبعثه إلى مكة، فقال: يا رسول الله إنى أخاف قريشاً على نفسى، وليس بها من بنى عدى أحد يمنعنى، وقد عرفت قريش عداوتى إياها، وغلظتى عليها، ولكن أدلك على رجل هو أعز منى، عثمان ابن عفان.

قال: فدعاه رسول الله ﷺ، فبعثه إلى قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وأنه جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمة، فخرج عثمان حتى أتى مكة، ولقيه أبان بن سعيد بن العاص فنزل عن دابته وحمله بين يديه وردف خلفه، وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ. فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش، فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به، فقالوا لعثمان: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به، فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ (١).

ويا له من أدبٍ عظيمٍ وحبٍ شديدٍ لشخص رسول الله ﷺ  
\* وما يذكر هنا أن مكة لم تخل من رجال مؤمنين ونساء مؤمنات.

كانت قلوبهم معلقة بالمسلمين المحجوزين خارج مكة.

لقد انتشر الإسلام سرّاً في بيوت كثيرة طالما تشوقت إلى اليوم الذى تستطيع فيه أن تظهر إيمانها، وتتخلص من سطوة الكفر عليها.

ويظهر أن عثمان اتصل بأولئك نفر المؤمن وبشرهم بقرب الفتح، فرأت قريش أن عثمان قد عدا الحدود المعهودة، وأمرت باحتباسه عندها، وشاع - لدى المسلمين - أن عثمان قُتل (٢).

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٤/ ٣٢٣ - ٣٢٦، وابن هشام: ٣/ ٣٠٨ المجلد الثانى وابن سعد فى الطبقات: ٢/ ٩٦ - ٩٧، والطبرى فى تاريخه: ٢/ ٦٣١، جميعاً من طريق ابن إسحاق بسند صحيح قد صرح فيه ابن إسحاق بالتحديث، وهو قطعة من حديث طويل فى صلح الحديبية.

(٢) فقه السيرة للغزالي (ص: ٣٧٢).

### إشاعة مقتل عثمان... وبيعة الرضوان

واحتبسته قريش عندها - ولعلمهم أرادوا أن يتشاوروا فيما بينهم فى الوضع الراهن، ويبرموا أمرهم، ثم يردوا عثمان بجواب ما جاء به من الرسالة - وطال الاحتباس، فشاع بين المسلمين أن عثمان قُتل، فقال رسول الله ﷺ لما بلغته تلك الإشاعة: «لا تبرح حتى نناجز القوم»<sup>(١)</sup>، ثم دعا أصحابه إلى البيعة، فثاروا إليه يبايعونه على أن لا يفروا، وبايعته جماعة على الموت.

### قيام معقل بن يسار برفع أغصان الشجرة

#### لئلا تصطدم بالرسول عليه السلام

عن معقل بن يسار (رضى الله عنه) قال: «لقد رأيتنى يوم الشجرة، والنبي ﷺ يبايع الناس، وأنا رافع غصناً من أغصانها عن رأسه، ونحن أربع عشرة مائة، قال: لم نبايعه على الموت، ولكن بايعناه أن لا نفر»<sup>(٢)</sup>.

### أول من بايع رسول الله ﷺ

عن الشعبي قال: «أتانى عامرى وأسدى يعنى كانا متفاخرين، فقلت: كان لبنى أسد ست خصال ما كانت لحنى من العرب... أول من بايع بيعة الرضوان أبو سنان عبد الله ابن وهب الأسدى قال: يا رسول الله ابسط يدك أبايعك قال: (على ماذا؟) قال: على ما فى نفسى قال: (فتح وشهادة) قال: نعم، فبايعه قال: فخرج الناس يبايعون على بيعة أبى سنان»<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١) أخرجه ابن هشام فى «السيرة» [٣/٧٨٠] عن ابن إسحاق حدثنى عبد الله بن أبى بكر مرسلأ.

(٢) أخرجه مسلم فى الإمارة باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال رقم: ٧٦/١٨٥٨ - وأحمد فى المسند انظر الفتح الربانى: ١٠٦/٢١.

(٣) الإصابة: (٩٦/٤) ترجمة رقم (٥٧١)، وقال أخرجه الحسن بن على الحلوانى، ومحمد بن إسحاق والسراج من طرفه عن إسماعيل بن أبى خالد عن الشعبي، وأخرجه ابن منده من طرق عن عاصم عن زر ابن حبيش قال: «أول من بايع تحت الشجرة أبو سنان بن وهب» انتهى. قلت: وقد جاء أيضاً فى دلائل البيهقى: (١٣٧/٤) من طريق ابن أبى خالد عن الشعبي.



### من تخلف عن البيعة

«قال أبو الزبير أنه سمع جابراً يُسأل: كم كانوا يوم الحديبية قال: كنا أربع عشرة مائة، فبايعناه، وعمر أخذ بيده تحت الشجرة، وهى سمرة<sup>(١)</sup>، فبايعناه غير جد بن قيس الأنصارى، اختبأ تحت بطن بعيره»<sup>(٢)</sup>.

\* وهكذا يتخلف المنافقون عن نصره دين الله فى كل زمان ومكان.

### سلمة بن الأكوع يبايع رسول الله ﷺ ثلاث مرات

وعلى الوجه المقابل فيها هو الصحابى الجليل سلمة بن الأكوع (رضى الله عنه) يبايع رسول الله ﷺ ثلاث مرات.

\* عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه «... قال: ثم إن رسول الله ﷺ دعانا إلى البيعة فى أصل الشجرة فبايعه أول الناس، ثم بايع وبايع، حتى إذا كان فى وسط الناس قال: (بايعنى يا سلمة) قال: قلت: يا رسول الله قد بايعتك أول الناس، قال: (وأيضاً)، قال: ورأتى رسول الله ﷺ عزلاً<sup>(٣)</sup>، فأعطانى جحفة أو درقة<sup>(٤)</sup>، ثم بايع حتى إذا كان فى آخر الناس قال: (ألا تبايع يا سلمة؟) قال: قلت: يا رسول الله قد بايعتك فى أول الناس وأوسطهم، قال: (وأيضاً) فبايعته الثالثة فقال: (يا سلمة أين جحفتك أو درقتك التى أعطيتك؟) قال: قلت: يا رسول الله لقينى عامر عزلاً فأعطيتها إياه، فضحك رسول الله ﷺ، ثم قال: (إنك كالذى قال الأول<sup>(٥)</sup>)، اللهم ابغنى<sup>(٦)</sup> حبيباً هو أحب إلى من نفسى<sup>(٧)</sup>.

\*\*\*

(١) سمرة: شجر الطلع.

(٢) أخرجه مسلم فى الإمارة باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال رقم: ٦٩ / ١٨٥٦.

(٣) عزلاً: الذى لا سلاح معه.

(٤) الجحفة أو الدرقة: الترس.

(٥) إنك كالذى قال الأول: إن شأنك مع عمك يشبه فحوى القول الذى قال الرجل المتقدم زمانه.

(٦) ابغنى: أعطنى.

(٧) سبق تخريجه.

## النبي ﷺ يبايع عن عثمان (رضى الله عنه)

وأخذ رسول الله ﷺ بيد نفسه وقال: «هذه عن عثمان»<sup>(١)</sup>، ولما تمت البيعة جاء عثمان فبايعه.

ولقد أخذ رسول الله ﷺ هذه البيعة تحت شجرة، وكان عمر أخذاً بيده، ومعقل بن يسار أخذاً بغصن الشجرة يرفعه عن رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>. وهذه هي بيعة الرضوان التي أنزل الله فيها: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ الآية [الفتح: ١٨].

## على أى شىء بايع الصحابة رسول الله ﷺ يوم الحديبية

اختلف الصحابة فى ذلك على ثلاثة أقوال:

الأول: قالوا بايعنا على الموت، وهو قول سلمة بن الأكوع، وعبد الله بن زيد بن عاصم.

\* حديث سلمة بن الأكوع رضى الله عنه أن يزيد بن أبى عبيد - رحمه الله - قال: «قلت لسلمة بن الأكوع: على أى شىء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحديبية؟ قال: على الموت»<sup>(٣)</sup>.

الثانى: قالوا أنهم بايعوه على عدم الفرار وهو قول جابر بن عبد الله ومعقل بن يسار.

\* من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: «كنا يوم الحديبية ألقاً وأربع مائة، فبايعناه، وعمر رضى الله عنه أخذ بيده تحت الشجرة، وهى سمرة قال: بايعناه على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخارى (٣٦٩٨) - وانظر أطرافه عند رقم (٣١٣٠) - وأحمد [١٠١/٢، ١٢٠] من حديث ابن عمر.

(٢) أخرجه مسلم (٧٦) (١٨٥٨)، وأحمد (٢٠٣٤٤) [٢٥/٥].

(٣) أخرجه البخارى فى المغازى باب غزوة الحديبية رقم: (٤١٦٩) ومسلم فى الإمارة باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال رقم: (١٨٦٠).

(٤) أخرجه مسلم فى الإمارة باب استحباب مبايعة الجيش عند إرادة القتال حديث: (٦٧/١٨٥٦) والترمذى فى السير باب ما جاء فى بيعة النبي ﷺ حديث رقم: (١٥٩٤) وقال: حسن صحيح.

الثالث: أنهم بايعوه على الصبر، وقد جاء هذا من حديث ابن عمر.

\* من حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال: «رجعنا من العام المقبل، فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التى بايعنا تحتها» كانت رحمة من الله فسألنا نافعاً: على أى شىء بايعهم؟ على الموت؟ قال: لا، بل بايعهم على الصبر» (١). (٢).

\*\*\*

(١) أخرجه البخارى فى الجهاد باب البيعة فى الحرب أن لا يفروا، وقال بعضهم على الموت حديث رقم: (٢٩٥٨).

(٢) وفى التوفيق بين هذه الأقوال الثلاثة أسوق قولين للإمام النووى وابن حجر العسقلانى رحمهما الله تعالى وبين يدي قوليهما أقول: «إن رسول الله ﷺ تكررت منه البيعة للصحابة رضوان الله عليهم فى مواطن عديدة كان هذا الموطن من بينها، فتارة كان يبايع الصحابة على الجهاد كما حصل يوم الخندق، وتارة على الإسلام والجهاد كما حصل مع مجاشع بن مسعود يوم فتح مكة، وتارة على النصح لكل مسلم كما حصل مع جرير بن عبد الله البجلي، وتارة على عدم الفرار، وعلى الموت، وعلى الصبر كما حصل يوم الحديبية فقد بايع قسماً من الصحابة على عدم الفرار، والآخرى على الموت، وقسم على الصبر» [صحيح السيرة النبوية لإبراهيم العلى (ص: ٤٠٦: ٤٠٧)].

\* يقول الإمام النووى رحمه الله تعالى: «قوله فى رواية جابر ومعقل بن يسار بايعناه يوم الحديبية على أن لا نفر، ولم نبايعه على الموت.

وفى رواية سلمة: أنهم بايعوه يومئذ على الموت، وهو معنى رواية عبد الله بن زيد بن عاصم، وفى رواية مجاشع بن مسعود: البيعة على الهجرة والبيعة على الإسلام والجهاد، وفى حديث ابن عمر وعبادة بايعنا على السمع والطاعة، وأن لا ننازع الأمر أهله، وفى رواية ابن عمر فى غير صحيح مسلم: البيعة على الصبر.

قال العلماء: هذه الرواية تجمع المعانى كلها، وتبين مقصود كل الروايات، فالبيعة على أن لا نفر معناه الصبر حتى نظفر بعدونا أو نقتل، وهو معنى البيعة على الموت، أى نصبر وإن آل بنا ذلك إلى الموت، لا أن الموت مقصود فى نفسه، وكذا البيعة على الجهاد أى والصبر فيه والله أعلم» [مسلم بشرح النووى (٣: ٢/١٣)].

قال الحافظ ابن حجر فى الفتح: «إن المبايع فيها مطلقة، وقد أخبر سلمة بن الأكوع، وهو ممن بايع تحت الشجرة أنه بايع على الموت، فدل ذلك على أنه لا تنافى بين قولهم بايعوه على الموت، وعلى عدم الفرار، لأن المراد بالمبايع على الموت أن لا يفروا ولو ماتوا، وليس المراد أن يقع الموت ولا بد، وهو الذى أنكره نافع وعدل إلى قوله (بل بايعهم على الصبر) أى على الثبات وعدم الفرار سواء أفضى بهم ذلك إلى الموت أم لا، والله أعلم» [فتح البارى (٦/١١٨)].

### نزول المطر على المسلمين يوم الحديبية

عن زيد بن خالد الأنصاري رضى الله عنه قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية، فأصابنا مطر ذات ليلة، فصلى لنا رسول الله ﷺ الصبح، ثم أقبل علينا فقال: (أتدرون ماذا قال ربكم؟) قلنا: الله ورسوله أعلم، فقال: (قال الله: أصبح من عبادى مؤمن وكافر يى، فأما من قال مطرنا برحمة الله وبرزق الله وبفضل الله، فهو مؤمن بى كافر بالكوكب، وأما من قال مطرنا بنجم كذا، فهو مؤمن بالكوكب كافر بى) (١).

### سهل لكم من أمركم

إنها الكلمة المشهورة التي قالها النبي ﷺ فى صلح الحديبية عندما رأى سهيل بن عمرو قد أرسلته قريش لإبرام الصلح مع النبي ﷺ.

كما جاء فى رواية البخارى أنه لما جاء سهيل بن عمرو قال النبي ﷺ سهل لكم من أمركم. (قال معمر قال الزهرى فى حديثه). فجاء سهيل بن عمرو فقال: هات اكتب بيننا وبينك كتاباً، فدعا النبي ﷺ الكاتب، فقال النبي ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم» فقال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدرى ما هو، ولكن اكتب (باسمك اللهم) كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي ﷺ: «اكتب باسمك اللهم» ثم قال: «هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ﷺ» فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب «محمد بن عبد الله» فقال النبي ﷺ: والله إنى لرسول الله وإن كذبتونى. اكتب: محمد بن عبد الله... قال الزهرى: وذلك لقوله: «لا يسألوننى خطة يعظمون فيها حرّمات الله إلا أعطيتهم إياها»، فقال له النبي ﷺ: على أن تخلوا بيننا وبين البيت فتطوف به، فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة، ولكن ذلك من العام المقبل، فكتب، فقال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك منا رجل - وإن كان على دينك - إلا رددته إلينا. قال المسلمون: سبحان الله، كيف يُرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟

\* وكان الذى يكتب بنود الصلح على بن أبى طالب (رضى الله عنه).

(١) أخرجه البخارى فى المغازى باب غزوة الحديبية رقم: ٤١٤٧، مسلم فى الإيمان باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء حديث رقم: ٧١.

## اعتذار (على) عن محو الشهادة للنبي بالرسالة

عن البراء بن عازب (رضى الله عنه) قال: «كتب على بن أبي طالب الصلح بين النبي ﷺ وبين المشركين يوم الحديبية، فكتب «هذا ما كاتب عليه محمد رسول الله، فقالوا: لا تكتب رسول الله فلو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك، فقال النبي ﷺ لعلى: (امحُه) فقال: ما أنا بالذى أمحه، فمحاها النبي ﷺ بيده»<sup>(١)</sup>.

## شروط الصلح وبنوده

\* لقد وجدت هذه الشروط مفرقة في أحاديث متعددة، ومن طرق عن صحابة متعددين، ولكن وجودها في حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم بصورة جامعة يجعلني أقدم هذه الرواية.

\* من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم «.. باسمك اللهم هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو على وضع الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس، ويكف بعضهم عن بعض على أنه من أتى رسول الله ﷺ من أصحابه بغير إذن وليه رده عليهم، ومن أتى قريشاً ممن مع رسول الله ﷺ لم يردوه عليه، وإن بيننا عيبة<sup>(٢)</sup> مكفوفة<sup>(٣)</sup>، وأنه لا إسلال<sup>(٤)</sup>، ولا إغلال<sup>(٥)</sup>، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد ﷺ وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، وإنك ترجع عنا عامنا هذا، فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك، فتدخلها بأصحابك، وأقمت فيها ثلاثاً معك سلاح الراكب، لا تدخلها بغير السيوف في القرب<sup>(٦)</sup>»<sup>(٧)</sup>.

(١) رواه أحمد في المسند (٣٢٥/٤) وأبو داود في السنن (٢٧٦٦) ورجاله ثقات.

(٢) عيبة: مستودع الثياب، والعرب تكني عن القلوب والصدور بالعياب لأنها مستودع السرائر، ويريد بذلك أن بينهم صدرًا نقيًا من الغل والخداع مطويًا على الوفاء بالصلح.

(٣) مكفوفة: المشدودة، وقيل أراد أن بينهم موادة ومكافة عن الحرب تجريان مجرى المودة التي تكون بين المتخاصمين.

(٤) إسلال: السرقة الخفية.

(٥) إغلال: الحقد والشحناء.

(٦) القرب: ما يوضع فيه السيوف وهو الغمد.

(٧) سبق تخريجه.

### أبو جندل... وثباته على الحق

وبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده<sup>(١)</sup>، وقد خرج من أسفل الكعبة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إلي.

فقال النبي ﷺ: (إنا لم نقض الكتاب بعد)<sup>(٢)</sup>، قال: فوالله إذا لم أصالحك على شيء أبداً قال النبي ﷺ: (فأجزه لي)، قال: ما أنا بمجيزه لك، قال: (بلى فافعل)، قال: ما أنا بفاعل، قال مكرز: بل قد أجزناه لك. قال أبو جندل: أي معشر المسلمين أُرِد إلى المشركين وقد جئت مسلماً؟ ألا ترون ما لقيت؟ وكان قد عذب عذاباً شديداً في الله<sup>(٣)</sup>.

وفي الطريق الآخر عند الإمام أحمد وابن إسحاق زيادة لطيفة أوردتها هنا، وهي أيضاً من طريق مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة «... فبينما رسول الله ﷺ يكتب الكتاب إذ جاءه أبو جندل بن سهيل بن عمرو في الحديد قد انفلت إلى رسول الله ﷺ وقال: وقد كان أصحاب رسول الله خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله ﷺ، فلما رأوها رأوا من الصلح والرجوع، وما تحمل رسول الله ﷺ على نفسه دخل الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا أن يهلكوا، فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه ثم قال: «يا محمد قد لجت القضية<sup>(٤)</sup> بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا»، قال: (صدقت)، فقام إليه، فأخذ بتليبيه<sup>(٥)</sup>.

قال: وصرخ أبو جندل بأعلى صوته يا معاشر المسلمين أتردونني إلى أهل الشرك فيفتنونني في ديني، قال: فزاد الناس شراً إلى ما بهم، فقال رسول الله ﷺ: (يا أبا جندل اصبر واحتسب، فإن الله عز وجل جاعل لك ولن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً، فأعطيناهم على ذلك، وأعطينا عليه عهداً، وإنا لن نغدر بهم).

(١) يرسف في قيوده: يمشى بطيئاً بسبب قيوده.

(٢) إنا لم نقض الكتاب بعد: أي لم نفرغ من كتابته.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) لجت القضية: وجبت.

(٥) تليبيه: يقال أخذت بتلييب فلان: إذا جمعت عليه ثوبه الذي هو لابسه وقبضت عليه....

قال: فوثب إليه عمر بن الخطاب مع أبي جندل، فجعل يمشى إلى جنبه، وهو يقول: اصبر أبا جندل، فإنما هم المشركون، وإنما دم أحدهم دم كلب، قال: ويدنى قائم السيف منه، قال: يقول: رجوت أن يأخذ السيف، فيضرب به أباه قال: فضن الرجل بأبيه ونفذت القضية<sup>(١)</sup>.

ثم تمت كتابة الصحيفة، ولما تم الصلح دخلت خزاعة في عهد رسول الله ﷺ وكانوا حليف بنى هاشم منذ عهد عبد المطلب، فكان دخولهم في هذا العهد؛ تأكيداً لذلك الحلف القديم، ودخلت بنو بكر في عهد قريش.

### اعتراض عمر بن الخطاب على بنود الصلح

لقد كان المسلمون يعلوهم الحزن الشديد لسببين اثنين:

الأول: أن النبي ﷺ كان قد أخبرهم أنهم سيطوفون بالبيت.

والثاني: أن النبي ﷺ قبل ضغط قريش في هذا الصلح.

\* كانت هاتان الظاهرتان مثار الريب والشكوك والوساوس والظنون.

وصارت مشاعر المسلمين لأجلهما جريحة، بحيث غلب الهم والحزن على التفكير في عواقب بنود الصلح، لعل أعظمهم حزناً كان عمر بن الخطاب، فقد جاء إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله: ألسنت نبى الله حقاً؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى.

قلت: فلم نعطى الدنية في ديننا إذاً؟ قال: إني رسول الله ولست أعصيه، وهو ناصرى.

قلت: أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت فنطوف به؟ قال: بلى، فأخبرتكم أنا نأتية العام؟ قال: قلت: لا.. قال فإنك آتية ومطوف به. قال فأتيت أبا بكر فقلت يا أبا بكر أليس هذا نبى الله حقاً؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلم نعطى الدنية في ديننا إذاً؟ قال: أيها الرجل، إنه لرسول الله ﷺ، وليس يعصى ربه وهو ناصره، فاستمسك بغرزه فوالله إنه على الحق. قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتى البيت ونطوف به؟ قال بلى، فأخبرك أنه تأتية العام؟ قلت: لا. قال: فإنك آتية

(١) سبق تخريجه.

ومطوّف به... قال الزهري قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً<sup>(١)</sup> - أى عمل أعمالاً صالحة كثيرة ليُكفّر عن مجادلته للنبي ﷺ - .

وقد كان موقف بعض الصحابة شبيهاً بموقف عمر بن الخطاب، ولكنهم لم يستطيعوا التعبير عن أنفسهم كما عبر عمر بن الخطاب رضى الله عنه كما يتضح لنا من موقف سهل بن حنيف.

\* فعن سهل بن حنيف رضى الله عنه قال: بصفين: «أيها الناس! اتهموا رأيكم والله لقد رأيتنى يوم أبى جندل، ولو أنى أستطيع أن أرد أمر رسول الله ﷺ لرددته، والله! ما وضعنا سيوفنا على عواتقنا إلى أمر قط، إلا أسهلنا بنا إلى أمر نعرفه إلا أمركم هذا»<sup>(٢)</sup>.

### أم سلمة (رضى الله عنها)... صاحبة الراى السديد

ولما فرغ رسول الله ﷺ من قضية الكتاب، قال: «قوموا، فانحروا»، فوالله ما قام منهم أحد، حتى قال ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد قام فدخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت: يا رسول الله أتحب ذلك؟ اخرج، ثم لا تكلم أحداً كلمة حتى تنحر بطنك وتدعو حالقك فيحلقك، فقام فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بطنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأى الناس ذلك قاموا فانحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمًا، وكانوا نحروا البدنة عن سبعة، والبقرة عن سبعة، ونحر رسول الله ﷺ جملاً كان لأبى جهل، كان فى أنفه برة من فضة، ليغيظ به المشركين، ودعا رسول الله ﷺ للمحلقين ثلاثاً بالمغفرة وللمقصرين مرة. وفى هذا السفر أنزل الله فدية الأذى لمن حلق رأسه بالصيام أو الصدقة، أو النسك فى شأن كعب بن عجرة<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١) أخرجه البخارى (٣٨٨/٥ - ٣٩٢) الشروط - وأبو داود

(٢) أخرجه البخارى (٣١٨١) الجزية - وفى المغازى (٤١٨٩) - ومسلم (٩٥/١٨٧٥) الجهاد.

(٣) أخرجه البخارى (١٨١٤). ومسلم (١٢٠١)، وأبو داود (١٨٥٦)، والترمذى (٩٥٣).



## كان صلح الحديبية فتحاً عظيماً

لقد نظر المسلمون إلى عواقب التسامح البعيد الذي أبداه النبي ﷺ فوجدوا من بركاته ما ألهمهم بالحمد.

لقد انفرط عقد الكفار في الجزيرة منذ تم هذا العقد. فإن قريشاً كانت تُعتبر رأس الكفر وحاملة لواء التمرد والتحدى للدين الجديد. وعندما شاع نبأ تعاهدها مع المسلمين خمدت فتن المنافقين الذين يعملون لها، وتبعثرت القبائل الوثنية في أنحاء الجزيرة وخصوصاً لأن قريشاً جمدت على سياستها النفعية واهتمت بشئونها التجارية فلم تجتهد في ضم أحلاف لها، في الوقت الذي اتسع فيه نشاط المسلمين الثقافي والسياسي والعسكري، ونجحت دعايتهم في تألف قبائل غفيرة وإدخالها في الإسلام.

وكثير من المؤرخين يُعدُّ صلح الحديبية فتحاً، بل إن الزهري يقول فيه: ما فُتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه. إنما كان القتال حيث التقى الناس.

فلما كانت الهدنة ووضعت الحزب، وأمن الناس بعضهم بعضاً، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، لم يُكلم أحداً بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه ولقد دخل في تينك الستين - بعد الحديبية - مثل ما كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر.

قال ابن هشام: والدليل على قول الزهري أن رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية ألف وأربعمائة، ثم خرج عام فتح مكة - بعد ذلك بستين - في عشرة آلاف<sup>(١)</sup>.

### اسلام أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط

لما كاتب سهيل بن عمرو يومئذ كان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبي ﷺ أن لا يأتيك منا أحد - وإن كان على دينك، إلا رددته إلينا، وخلت بيننا وبينه، فكره المؤمنون ذلك، وامتعضوا منه، وأبى سهيل إلا ذلك، فكاتب النبي ﷺ على ذلك، فرد يومئذ أبا جندل إلى أبيه سهيل بن عمرو، ولم يأتئه أحد من الرجال إلا رده في تلك المدة، وإن كان مسلماً.

وجاءت المؤمنات مهاجرات وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى

(١) فقه السيرة / للغزالي (ص: ٣٧٨: ٣٧٩).

رسول الله ﷺ يومئذ، وهى عاتق، فجاء أهلها يسألون النبي ﷺ أن يرجعها إليهم، فلم يرجعها إليهم لما أنزل الله فيهن ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مَهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [المتحنة: ١٠] (١).

### النبي ﷺ يبايع النساء

\* عن عائشة (رضى الله عنها) قالت: «كانت المؤمنات إذا هاجرن إلى رسول الله ﷺ يمتحن بقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْتَصِبْنَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايَعَهُنَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المتحنة: ١٢].

قالت عائشة: فمن أقر بهذا من المؤمنات فقد أقر بالمحنة.

وكان رسول الله ﷺ إذا أقرن بذلك من قولهن، قال لهن رسول الله ﷺ: (انطلقن فقد بايعتكن)، ولا والله: ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط. غير أنه يبايعن بالكلام.

قالت عائشة: والله ما أخذ رسول الله ﷺ على النساء قط، إلا بما أمره الله تعالى، وما مست كف رسول الله ﷺ كف امرأة قط، وكان يقول لهن إذا أخذ عليهن: (قد بايعتكن) كلاماً اللفظ لمسلم (٢).

### قصة أبي بصير (رضى الله عنه)

ففى الحديث الذى رواه البخارى عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة: «... ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة، فجاءه أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم (وقال يحيى عن ابن المبارك) فقدم عليه أبو بصير بن أسيد الثقفى مسلماً مهاجراً.

(١) أخرجه البخارى فى الشروط باب ما يجوز من الشروط فى الإسلام والأحكام والمبايعة رقم (٢٧١١) (٢٧١٢).

(٢) أخرجه البخارى فى الطلاق باب إذا أسلمت المشتركة أو النصرانية تحت الذمى أو الحربى رقم: (٥٢٨٨) مسلم فى الإمارة باب كيفية بيعة النساء رقم: (١٨٦٦).

فاستأجر الأخنس بن شريق رجلاً كافراً من بنى عامر بن لؤى ومولى معه، وكتب معهما إلى رسول الله ﷺ يسأله الوفاء، فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا: العهد الذي جعلت لنا فيه، فدفعه إلى الرجلين.

فخرجا به حتى بلغا به ذا الحليفة، فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إنى لأرى سيفك يا فلان هذا جيداً، فاستله الآخر فقال: أجل والله إنه لجيد لقد جربت به، ثم جربت، فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه، فأمكنه منه، فضربه به حتى برد<sup>(١)</sup>، وفر الآخر حتى أتى المدينة، فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله ﷺ (لقد رأى هذا ذعراً)<sup>(٢)</sup>.

فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال: قُتل والله صاحبي وإنى لمقتول، فجاء أبو بصير فقال: يا نبي الله قد والله أوفى الله ذمتك قد رددتني إليهم، ثم أنجاني الله منهم، فقال النبي ﷺ (ويل أمه<sup>(٣)</sup> مسعر حرب لو كان له أحد)<sup>(٤)</sup> فلما عرف ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر<sup>(٥)</sup> قال: وينفلت أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير، جعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت فيهم عصابة<sup>(٦)</sup>.

قال: فوالله لا يسمعون بغير<sup>(٧)</sup> خرجت لقريش إلى الشام إلا اعتراضوا لها، فقتلوهم، وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لما أرسل إليهم فمن أتاه فهو آمن، فأرسل النبي ﷺ إليهم، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤] حتى بلغ ﴿الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: ٢٦].

وكانت حميتهم أنهم لم يَقْرُوا أنه نبي الله ﷺ، ولم يَقْرُوا بسم الله الرحمن الرحيم،

(١) برد: مات.

(٢) ذعراً: خوفاً.

(٣) ويل أمه: كلمة ذم تقولها العرب ولا يقصدون معنى لها من الذم لأن الويل الهلاك كقولهم لأمه الويل. والمراد هنا التعجب من إقدامه إلى الحرب والنهوض لها وإسعار نارها.

(٤) لو كان له أحد ينصره ويؤازره على إيقاد نار الحرب لأثار الفتنة وأفسد الصلح.

(٥) سيف البحر: ساحل البحر وهو طريق قريش إلى الشام.

(٦) عصابة: الجماعة وهي ما بين العشر إلى الأربعين.

(٧) العير: القافلة.

وحالوا بينهم وبين البيت».

\* وقصة أبي بصير وأبي جندل وإخوانهما لها دلالة مثيرة، فهي قصة العقيدة المكافحة - في لؤم من الأعداء ووحشة من الأصحاب! - وهي توضيح أن الإيمان بالله أخذ طريقه إلى قلوب أولئك النفر مجرداً من كل شيء إلا سلامة جوهره. إنهم قد فقدوا الأمداد الروحية التي تهيئهم من مخالطة الرسول ﷺ والإصغاء إليه وهو يتلو وينصح، بيد أنهم عوضوا عنها من الاتصال بكتابه والاقتباس من آدابه، فكانوا - في اهتدائهم للحق وإبائهم للضميم وإيثارهم للمغامرة - مثلاً حسنى للإسلام المكافح العزيز. ولم يعد أبو بصير إلى رسول الله ﷺ، ذلك أن الإذن بالمقام معه جاء وهو يحضر.

فلقد جاء كتاب رسول الله ﷺ إلى أبي بصير ليرتك مكانه ويرجع حيث يحب، وكان أبو بصير يجود بأنفاسه الأخيرة. فمات والكتاب على صدره ودفنه أبو جندل<sup>(١)</sup>.

### إسلام (أبي العاص بن الربيع)

وروى موسى بن عقبة أن رجال أبي بصير صادروا قافلة كان فيها أبو العاص بن الربيع صهر النبي ﷺ - وهو لما يدخل الإسلام بعد - وأسروا من فيها ماعداً أبا العاص لمكانته، فذهب أبو العاص إلى زينب امرأته، وشكا لها ما وقع لأصحابه وما ضاع لهم من أموال، وحدثت زينب رسول الله في ذلك. فقام رسول الله ﷺ فخطب الناس قائلاً: «إن هذا الرجل منا حيث علمتم، وقد أصبتم له مالاً، فإن تحسنوا وتردوا عليه الذي له، فإننا نحب ذلك، وإن أبيتم فهو فيء الله الذي أفاء عليكم، فأنتم أحق به»؛ فقالوا: يا رسول الله، بل نرده عليه، فردوه عليه، حتى إن الرجل ليأتي بالدلو ويأتي الرجل بالشنّة وبالإداوة، حتى إن أحدهم ليأتي بالشظاظ، حتى ردوا عليه ماله بأسره، لا يفقد منه شيئاً. ثم احتمل إلى مكة. فأدى إلى كل ذي مال من قريش ماله، ومن كان أبضع معه، ثم قال: يا معشر قريش، هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: لا، فجزاك الله خيراً! فقد وجدناك وفيّاً كريماً؛ قال: فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، والله ما منعني من الإسلام إلا تخوف أن تظنوا أنني إنما أردت أن أكل أموالكم، فلما أداها الله إليكم وفرغت منها أسلمت. ثم خرج حتى قدم على رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>.

(١) فقه السيرة/ للغزالي (ص: ٣٨٠: ٣٨١) بتصرف.

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٣/ ٢٣٧) وإسناده صحيح، والبيهقي في «الدلائل» (٤/ ٨٥).

قال المسور بن مخرمة: أثنى النبي ﷺ على أبي العاص في مصاهرته خيراً، وقال: «حدثني فصدقني، ووعدني، فوقى لي»<sup>(١)</sup>.

وهكذا تكون الأمانة، وهكذا يكون الوفاء بالوعد... وهكذا تكون مراقبة الله - عز وجل -.

فلقد ضرب (أبو العاص) - رضى الله عنه - المثل في الوفاء والأمانة<sup>(٢)</sup>.

### ماذا يتمخض عن بنود المعاهدة

هذه هي هدنة الحديبية، ومن سبر أغوار بنودها مع خلفياتها لا يشك أنها فتح عظيم للمسلمين، فقريش لم تكن تعترف بالمسلمين أى اعتراف، بل كانت تهدف إلى استئصال شأفتهم، وتنتظر أن تشهد يوماً ما نهايتهم، وكانت تحاول بأقصى قوتها الحيلولة بين الدعوة الإسلامية، وبين الناس، بصفتها ممثلة الزعامة الدينية والصدارة الدنيوية في جزيرة العرب، ومجرد الجنوح إلى الصلح اعتراف بقوة المسلمين، وأن قريشاً لا تقدر على مقاومتهم، ثم البند الثالث يدل لفحواه على أن قريشاً نسيت صدارتها الدنيوية وزعامتها الدينية، وأنها لا تهمها الآن إلا نفسها، أما سائر الناس وبقية جزيرة العرب فلو دخلت في الإسلام بأجمعها، فلا يهم ذلك قريشاً، ولا تتدخل في ذلك بأى نوع من أنواع التدخل. أليس هذا فشلاً ذريعاً بالنسبة إلى قريش؟ وفتحاً مبيئاً بالنسبة إلى المسلمين؟ إن الحروب الدامية التي جرت بين المسلمين وبين أعدائهم لم تكن أهدافها - بالنسبة إلى المسلمين - مصادرة الأموال وإبادة الأرواح وإفناء الناس، أو إكراه العدو على اعتناق الإسلام، وإنما كان الهدف الوحيد الذى يهدفه المسلمون من هذه الحروب هو الحرية الكاملة للناس فى العقيدة والدين ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، لا يحول بينهم وبين ما يريدون أى قوة من القوات، وقد حصل هذا الهدف بجميع أجزائه ولوازمه، وبطريق ربما لا يحصل بمثله فى الحروب مع الفتح المبين، وقد كسب المسلمون لأجل هذه الحرية نجاحاً كبيراً فى الدعوة، فبينما كان عدد المسلمين لا يزيد على ثلاثة آلاف قبل الهدنة؛ صار عدد الجيش الإسلامى فى سنتين عند فتح مكة عشرة آلاف.

(١) أخرجه البخارى (٣٧٢٩) فضائل الصحابة (٥٢٣٠) النكاح.

(٢) أصحاب الرسول ﷺ / للمصنف (٤٥٨/٢).

أما البند الثانى، فهو جزء ثان لهذا الفتح المبين، فالمسلمون لم يكونوا بادئين بالحروب، وإنما بدأتها قريش، يقول الله تعالى: ﴿وَهُمْ بَدَعُوكُمْ أُولَِّ مَرَّةً﴾ [التوبة: ١٣] أما المسلمون فلم يكن المقصود من دورياتهم العسكرية إلا أن تفيق قريش عن غطرستها، وصددها عن سبيل الله، وتعمل معهم بالمساواة، كل من الفريقين يعمل على شاكلته فالتقد بوضع الحرب عشر سنين حد لهذه الغطرسة والصد، ودليل على فشل من بدأ الحرب وضعفه وانهاره.

أما البند الأول؛ فهو حدٌ لصد قريش عن المسجد الحرام، فهو أيضاً فشل لقريش، وليس فيه ما يشفى قريشاً سوى أنها نجحت فى الصد لذلك العام الواحد فقط.

أعطت قريش هذه الخلال الثلاث للمسلمين، وحصلت بإزائها خلة واحدة فقط، وهى ما فى البند الرابع، ولكن تلك الخلة تافهة جداً، ليس فيها شىء يضر بالمسلمين، فمعلوم أن المسلم ما دام مسلماً لا يفر عن الله ورسوله، وعن مدينة الإسلام، ولا يفر إلا إذا ارتد عن الإسلام ظاهراً أو باطناً، فإذا ارتد فلا حاجة إليه للمسلمين وانفصاله من المجتمع الإسلامى خير من بقاءه فيه، وهذا الذى أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله: «إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله»، وأما من أسلم من أهل مكة - فهو وإن لم يبق للجوئه إلى المدينة سبيل - لكن أرض الله واسعة، ألم تكن الحبشة واسعة للمسلمين حينما لم يكن يعرف أهل المدينة عن الإسلام شيئاً؟ وهذا الذى أشار إليه النبى ﷺ بقوله: «ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجاً ومخرجاً»<sup>(١)</sup>.

والأخذ بمثل هذا الاحتفاظ، وإن كان مظهر الاعتزاز لقريش، لكنه فى الحقيقة يبنى عن شدة انزعاج قريش وهلعهم وخورهم، وعن شدة خوفهم على كيانهم الوثنى، كأنهم كانوا قد أحسوا أن كيانهم اليوم على شفا جُرف هار، لا بد له من الأخذ بمثل هذا الاحتفاظ وما سمح به النبى ﷺ من أنه لا يسترد من قريش من المسلمين، فليس هذا إلا دليلاً على أنه يعتمد على تثبيت كيانه وقوته كمال الاعتماد، ولا يخاف عليه من مثل هذا الشرط<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) أخرجه مسلم (٩٣) (١٧٨٤) وأحمد (١٣٨٥٥) [٢٦٨/٣] من حديث أنس.

(٢) الرحيق المختوم (ص: ٣٧٢: ٣٧٣).

## منزلة أهل الحديبية

عن جابر بن عبد الله (رضى الله عنهما) قال: «كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة فقال لنا النبي ﷺ: (وأنتم اليوم خير أهل الأرض) وقال جابر: لو كنت أبصر لأريتكم موضع الشجرة»<sup>(١)</sup>.

\* وعن جابر أيضاً قال: «أن عبداً لحاطب جاء إلى رسول الله ﷺ يشكو حاطباً فقال: يا رسول الله! ليدخلن حاطب النار، فقال رسول الله ﷺ: (كذبت لا يدخلها، فإنه شهد بدرًا والحديبية)»<sup>(٢)</sup>.

وعن جابر بن عبد الله أيضاً قال: أخبرتنى أم مبشر، أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة (لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد... الذين بايعوا تحتها) قالت: بلى يا رسول الله! فانتهرها. فقالت: حفصة: ﴿وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] فقال النبي ﷺ: (قد قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا﴾ [مريم: ٧٢])<sup>(٣)</sup>.

## بعض الفوائد الفقهية المستفادة من قصة الحديبية

ذكر الإمام ابن القيم - رحمه الله - بعض الفوائد الفقهية المستفادة من قصة الحديبية..  
وها نحن نذكرها باختصار:

- فمنها اعتمار النبي ﷺ في أشهر الحج فإنه خرج إليها في ذى القعدة.
- ومنها أن الإحرام بالعمرة من الميقات أفضل كما أن الإحرام بالحج كذلك.
- ومنها أن سوق الهدى مسنون في العمرة المفردة، كما هو مسنون في القران.

(١) أخرجه البخارى فى المغازى باب غزوة الحديبية حديث رقم: ٤١٥٤، مسلم فى الصحيح كتاب الإمارة باب استحباب مبايعة الإمام للجيش عند إرادة القتال حديث رقم: ٧١/١٨٥٦.

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أهل بدر حديث رقم: ٢٤٩٥، والترمذى فى المناقب باب ٥٩، حديث رقم: ٣٨٦٤، وأحمد فى المسند: ٢/٣٢٥، ٣٤٩، والحاكم: ٣/٣٠١. والبيهقى فى الدلائل: ٣/١٥٣، ٤/١٤٤.

(٣) أخرجه مسلم فى الصحيح كتاب فضائل الصحابة باب عن فضائل أصحاب الشجرة حديث رقم: ٢٤٩٦، وابن ماجه رقم: ٤٢٨١.

- ومنها: أن إشعار الهدى سنة لا مثلة منهي عنها.

- ومنها: استحباب مُغَايَظَةِ أعداء الله، فإن النبي ﷺ أهدى في جُملة هديه جملاً لأبي جهل في أَنفِهِ بُرَّةٌ مِنْ فِضَّةٍ يَغِيظُ بِهِ الْمُشْرِكِينَ، وقد قال تعالى في صفة النبي ﷺ وأصحابه: ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ يُعْجَبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال عز وجل: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٢٠].

- ومنها: أن أمير الجيش ينبغي له أن يبعث العيون أمامه نحو العدو.

- ومنها: أن الاستعانة بالمُشْرِكِ المأمون في الجهاد جائزة عند الحاجة، لأن عينته الخزاعيَّ كَانَ كَافِرًا إِذْ ذَٰكَ، وفيه من المصلحة أنه أقرب إلى اختلاطه بالعدو، وأخذه أخبارهم.

- ومنها: استحباب مشورة الإمام رعيته وجيشه، استخراجاً لوجه الرأي، واستطابةً لنفوسهم، وأمثاً لعبيتهم، وتعرفاً لمصلحة يختص بعلمها بعضهم دون بعض، وامثالاً لأمر الرب في قوله تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقد مدح سبحانه وتعالى عباده بقوله: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى: ٣٨].

- ومنها: جواز سبي ذراري المشركين إذا انفردوا عن رجالهم قبل مقاتلة الرجال.

- ومنها رد الكلام الباطل ولو نسب إلى غير مكلف كما رد عليهم ﷺ قولهم خلأت القصواء فقال: ما خلأت وما ذاك لها بخلق.

- ومنها أن تسمية ما يلبسه الرجل من مراكبه ونحوها سنة.

- ومنها أن المشركين وأهل البدع والفجور إذا طلبوا أمراً يعظمون فيه حرمان الله تعالى أُجِيبُوا إِلَيْهِ، وَأَعْطَوْهُ، وَأَعِينُوا عَلَيْهِ.

- ومنها أن من نزل قريباً من مكة فإنه ينبغي له أن ينزل في الحل ويصلى في الحرم.

- ومنها جواز ابتداء الإمام بطلب صلح العدو إذا رأى المصلحة للمسلمين فيه.

- ومنها أن الفخر والخيلاء في الحرب ليس مذموماً فإن المغيرة بن شعبة لم يكن عادته



أن يقوم على رأس النبي ﷺ .

\* وفي قول النبي ﷺ للمغيرة: «أَمَّا الْإِسْلَامُ فَأَقْبَلُ، وَأَمَّا الْمَالُ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ»، دليل على أن مال المشرك المعاهد معصوم، وأنه لا يملك، بل يُرد عليه، فإن المغيرة كان قد صحبهم على الأمان، ثم غدر.

- ومنها: احتمال قلة أدب رسول الكفار، وجهله وجفوته، ولا يقابل على ذلك لما فيه من المصلحة العامة.

- ومنها: طهارة النخامة، سواء كانت من رأسٍ أو صدر.

- ومنها: طهارة الماء المستعمل.

- ومنها استحباب التفاؤل، وأنه ليس من الطيرة المكروهة، لقوله لما جاء سهيل: «سَهْلٌ أَمْرٌ كَمٌ».

- ومنها أن من حلف على شيء أو وعد بشيء ولم يُعَيِّن وقتاً كان على التراخي لا الفور.

- ومنها أن المحصر ينحر هديه حيث أُحصِر من الحلّ أو الحرم. فقوله تعالى: ﴿وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ﴾ [الفتح: ٢٥] يدل على أن الموضع الذي نحر فيه الهدى كان من الحلّ لا من الحرم.

- ومنها أن المحصر لا يجب عليه القضاء، ولم يأمر النبي ﷺ أحداً بالقضاء.

- ومنها أن الأمر المطلق على الفور، وإلا لم يغضب ﷺ لتأخرهم.

- ومنها أن الأصل مشاركة أمته له في الأحكام إلا ما خصّه الدليل، ولذلك قالت أم سلمة: «أخرج ولا تكلم أحداً حتى تخلق رأسك وتنحر هديك» وعلمت أن الناس سيتابعونه<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) زاد المعاد (٣/ ٣٠٠: ٣٠٩) بتصرف.

### بعض الحكيم التي تضمنتها هذه الهدنة

وهي أكبر وأجل من أن يُحيط بها إلا الله الذي أحكم أسبابها، فوقعت الغاية على الوجه الذي اقتضته حكمته وحمده.

فمنها: أنها كانت مقدمةً بين يدي الفتح الأعظم الذي أعزَّ الله به رسوله وجنده، ودخل الناس به في دين الله أفواجاً، فكانت هذه الهدنة باباً له، ومفتاحاً، ومؤذناً بين يديه.

ومنها: أن هذه الهدنة كانت من أعظم الفتوح، فإن الناس أمنَ بعضهم بعضاً، واختلط المسلمون بالكفار، وبادؤوهم بالدعوة، وأسمعوهم القرآن، وناظروهم على الإسلام جهرةً آمينين، وظهر من كان مختفياً بالإسلام، ودخل فيه في مدة الهدنة من شاء الله أن يدخل، ولهذا سماه الله فتحاً مبيناً.

ومنها: ما سببه سبحانه للمؤمنين من زيادة الإيمان والإذعان، والانقياد على ما أحبوا وكرهوا، وما حصل لهم في ذلك من الرضى بقضاء الله.

ومنها: أنه سبحانه جعل هذا الحكم الذي حكم به لرسوله وللمؤمنين سبباً لما ذكره من المغفرة لرسوله ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وإتمام نعمته عليه، ولهدايته الصراط المستقيم، ونصره النصر العزيز.

※ ثم ذكر حال من تخلف عنه من الأعراب، وظنهم أسوأ الظن بالله: أنه يخذل رسوله وأوليائه، وجنده، ويظفر بهم عدوهم، فلن ينقلبوا إلى أهلهم، وذلك من جهلهم بالله وأسمائه وصفاته، وما يليق به، وجهلهم برسوله وما هو أهل أن يعامله به ربه ومولاه.

ثم أخبر سبحانه عن رضاه عن المؤمنين بدخولهم تحت البيعة لرسوله، وأنه سبحانه علم ما في قلوبهم حينئذ من الصدق والوفاء، وكمال الانقياد، والطاعة، وإيثار الله ورسوله على ما سواه، فأنزل الله السكينة والطمأنينة، والرضى في قلوبهم، وأثابهم على الرضى بحكمه، والصبر لأمره فتحاً قريباً، ومغانم كثيرة يأخذونها، وكان أول الفتح والمغانم فتح خيبر، ومغانمها، ثم استمرت الفتوح والمغانم إلى انقضاء الدهر.

ووعدهم سبحانه مغانم كثيرة يأخذونها، وأخبرهم أنه عجل لهم هذه الغنيمة، وفيها قولان. أحدهما: أنه الصلح الذي جرى بينهم وبين عدوهم، والثاني: أنها فتح خيبر وغنائمها<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) زاد المعاد (٣/٣٠٩: ٣١٢) بتصرف.

## مكاتبة الملوك والأمراء

وفي هذه السنة السادسة من الهجرة وبعد عقد الصلح مع قريش كاتَبَ الرسول ﷺ الملوك والرؤساء يدعوهم إلى الإسلام الدين الحق الذي أرسل به لهداية الناس كل الناس أبيضهم وأصفرهم إلى ما يكملهم عقولاً وأخلاقاً ويسعدهم أجساماً وأرواحاً في الحياتين: الدنيا والآخرة<sup>(١)</sup>.

فكتب إلى ملك الروم فقبل له: إنهم لا يقرؤون كتاباً إلا إذا كان مختوماً فاتخذ خاتماً من فضة، ونقشَ عليه ثلاثة أسطر: محمد سطر، ورسول سطر، والله سطر<sup>(٢)</sup>.  
وختم به الكتب إلى الملوك، وبعث ستة نفر في يوم واحد في المحرم سنة سبع<sup>(٣)</sup>.  
\* وهذه صورة تقريبية للخاتم النبوي:



الخاتم النبوي

### كتابه ﷺ إلى النجاشي (ملك الحبشة)

وهذا النجاشي اسمه أصحمة بن الأبجر، كتب إليه النبي ﷺ مع عمرو بن أمية الضمري في آخر سنة ست، أو في المحرم سنة سبع من الهجرة.

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى النجاشي عظيم الحبشة، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد

(١) هذا الحبيب يا محب (ص: ٣٥١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٣/١٠) اللباس / باب: الخاتم في الخنصر.

(٣) زاد المعاد (١/ ١١٩: ١٢٠).

فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته. ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده، وإني أدعو إلى الله وحده لا شريك له، والموالة على طاعته، وأن تتبعني، وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله ﷺ وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت فاقبل نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى<sup>(١)</sup>.

\* ذكر الواقدي وغيره أنه أسلم وشهد شهادة الحق.

قال الإمام ابن القيم:

وليس كما قال هؤلاء، فإن أصحمة النجاشي الذي صلى عليه رسول الله ﷺ ليس هو الذي كتب إليه... هذا الثاني لا يُعرف إسلامه، بخلاف الأول، فإنه مات مسلماً<sup>(٢)</sup>. وقد روى مسلم في «صحيحه» من حديث قتادة عن أنس قال: كَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى كَسْرَى، وَإِلَى قَيْصَرَ، وَإِلَى النَّجَاشِيِّ، وَإِلَى كُلِّ جَبَّارٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَلَيْسَ بِالنَّجَاشِيِّ الَّذِي صَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ<sup>(٣)</sup>، وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ حَزْمٍ: إِنَّ هَذَا النَّجَاشِيَّ الَّذِي بَعَثَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عمرو بن أمية الضمري، لم يُسلم<sup>(٤)</sup>.

### كتابه ﷺ إلى كسرى (ملك فارس)

وكتب النبي ﷺ كتابه إلى كسرى (ملك فارس) فقال فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى، وأمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة، لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، فأسلم تسلم، فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك.

(١) زاد المعاد (٣/٦٨٩) - نصب الراية للزيلعي (٤/٤٢١).

(٢) أخرج البخاري (٣/١٦٣) في الجنازات: باب التكبير على الجنائز أربعاً عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ

نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه، وخرج بهم إلى المصلى، فصف بهم، وكبر عليه أربع تكبيرات.

(٣) رواه مسلم (١٧٧٤) في الجهاد: باب كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عز وجل،

والترمذي في الاستئذان (٢٨٥٩). وكسرى: لقب لكل ملك من ملوك الفرس. وقيصراً: لقب لكل من

ملك الروم. والنجاشي لكل من ملك الحبشة.

(٤) زاد المعاد (١/١٢٠).

واختار لحمل هذا الكتاب عبد الله بن حذافة السهمي، فدفعه السهمي إلى عظيم البحرين فلما قرئ الكتاب على كسرى مزقه، وقال في غطرسة: عبد حقير من رعيتي يكتب اسمه قبلي، ولما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: «مزق الله ملكه»، وقد كان كما قال، فقد كتب (كسرى) إلى (باذان) عامله على اليمن: ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جلدتين، فليأتينى به، فاختر (باذان) رجلين ممن عنده، وبعثهما بكتاب إلى رسول الله ﷺ يأمره أن ينصرف معه إلى كسرى، فلما قدما المدينة، وقابلا النبي ﷺ قال أحدهما إن شاهنشاه (ملك الملوك) كسرى قد كتب إلى الملك باذان يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك، وبعثني إليك لتنتقل معي، وقال قولاً تهديدياً، فأمرهما ﷺ أن يلاقياه غدًا.

وفي ذلك الوقت كانت قد قامت ثورة كبيرة ضد كسرى من داخل بيته بعد أن لاقى جنوده هزيمة منكرة أمام جنود قيصر، فقد قام شيرويه بن كسرى على أبيه فقتله، وأخذ الملك لنفسه، وكان ذلك في ليلة الثلاثاء لعشر مضين من جمادى الأولى سنة سبع<sup>(١)</sup>، وعلم رسول الله ﷺ الخبر من الوحي، فلما غدوا عليه أخبرهما بذلك فقالا: هل تدري ما تقول؟ إنا قد نعمنا عليك ما هو أيسر، أفنكتب هذا عنك، ونخبره الملك. قال: «نعم أخبراه ذلك عنى، وقولا له: إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ كسرى! ويتتهى إلى منتهى الخف والحافر، وقولا له: إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك، وملكتك على قومك من الأبناء»، فخرجا من عنده حتى قدما على (باذان) فأخبراه الخبر، وبعد قليل جاء كتاب بقتل شيرويه لأبيه، وقال له شيرويه في كتابه: انظر الرجل الذي كان كتب فيه أبى إليك فلا تهجه حتى يأتيك أمرى.

وكان ذلك سبباً في إسلام باذان ومن معه من أهل فارس باليمن<sup>(٢)</sup>.

### كتابه ﷺ إلى قيصر (ملك الروم)

وكتب النبي ﷺ كتابه إلى قيصر (ملك الروم) - واسمه هرقل - وأرسل إليه الكتاب مع الصحابي الجليل دحية الكلبي - رضى الله عنه -.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ أَنَّ أَبَا سَفْيَانَ أَخْبَرَهُ، مِنْ فِيهِ إِلَيَّ فِيهِ. قَالَ: انْطَلَقْتُ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي

(١) فتح الباري (٨/١٢٧).

(٢) إعلام السائلين (ص: ٦٦) - المصباح المضيء (٢/١٥٣: ١٥٤) - زاد المعاد (٣/٦٨٨).

كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا بِالشَّامِ، إِذْ جِيَءَ بَكْتَابٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى هِرَقْلَ. يَعْنِي عَظِيمَ الرُّومِ. قَالَ: وَكَانَ دَحِيَّةُ الْكَلْبِيِّ جَاءَ بِهِ. فَدَفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ بَصْرَى فَدَفَعَهُ عَظِيمُ بَصْرَى إِلَى هِرَقْلَ فَقَالَ هِرَقْلُ: هَلْ هَهُنَا أَحَدٌ مِنْ قَوْمِ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَدُعِيْتُ فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ. فَدَخَلْنَا عَلَى هِرَقْلَ. فَأَجْلَسَنَا بَيْنَ يَدَيْهِ. فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا مِنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ: أَنَا. فَأَجْلَسُونِي بَيْنَ يَدَيْهِ. وَأَجْلَسُوا أَصْحَابِي خَلْفِي. ثُمَّ دَعَا بِتَرْجُمَانِهِ فَقَالَ لَهُ: قُلْ لَهُمْ: إِنِّي سَأَلْتُ هَذَا عَنِ الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ. فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذَّبُوهُ. قَالَ: فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: وَآيْمُ اللَّهِ! لَوْلَا مَخَافَةٌ أَنْ يُؤَثَّرَ عَلَى الْكُذْبِ لَكَذَّبْتُ. ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: سَلْهُ: كَيْفَ حَسَبُهُ فَيُكِّمُ؟ قَالَ: قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو حَسَبٍ. قَالَ: فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مَلِكٌ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذْبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: وَمَنْ يَتَّبِعُهُ؟ أَشْرَافُ النَّاسِ أَمْ ضَعَفَاؤُهُمْ؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلْ ضَعَفَاؤُهُمْ. قَالَ: أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا. بَلْ يَزِيدُونَ. قَالَ: هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ دِينِهِ، بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ، سَخَطَةً لَهُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ قَاتَلِكُمْ إِيَّاهُ؟ قَالَ: قُلْتُ: تَكُونُ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سَجَالًا. يُصِيبُ مِنَّا وَنُصِيبُ مِنْهُ. قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟ قُلْتُ: لَا. وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ صَانِعٌ فِيهَا.

قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا أَمْكَنَنِي مِنْ كَلِمَةٍ أَدْخَلْتُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرَ هَذِهِ.

قَالَ: فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ أَحَدٌ قَبْلَهُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا. قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُ: إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ حَسَبِهِ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ فَيُّكُمْ ذُو حَسَبٍ. وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تَبْعَتْ فِي أَحْسَابِ قَوْمِهَا. وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كَانَ فِي آبَائِهِ مَلِكٌ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا. فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مَلِكٌ قُلْتُ: رَجُلٌ يَطْلُبُ مَلِكَ آبَائِهِ. وَسَأَلْتُكَ عَنْ أَتْبَاعِهِ أَضَعَفَاؤُهُمْ أَمْ أَشْرَافُهُمْ؟ فَقُلْتُ: بَلْ ضَعَفَاؤُهُمْ. وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ. وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذْبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا. فَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَدْعَ الْكُذْبَ عَلَى النَّاسِ ثُمَّ يَذْهَبَ فَيَكْذِبُ عَلَى اللَّهِ. وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ دِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَهُ سَخَطَةً لَهُ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ

لَا. وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ إِذَا خَالَطَ بِشَاشَةَ الْقُلُوبِ. وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَزِيدُونَ أَوْ يَنْقُصُونَ؟ فَرَعَمْتُ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ. وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حَتَّى يَتِمَّ. وَسَأَلْتُكَ: هَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ فَرَعَمْتُ أَنَّكُمْ قَدْ قَاتَلْتُمُوهُ. فَتَكُونُ الْحَرْبُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ سَجَالًا يَنَالُ مِنْكُمْ وَتَنَالُونَ مِنْهُ. وَكَذَلِكَ الرَّسُلُ تُبْتَلَى نُمَّ تَكُونُ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ. وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَغْدُرُ؟ فَرَعَمْتُ أَنَّهُ لَا يَغْدُرُ. وَكَذَلِكَ الرَّسُلُ لَا تَغْدُرُ. وَسَأَلْتُكَ: هَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ أَحَدٌ قَبْلَهُ؟ فَرَعَمْتُ أَنْ لَا. فَقُلْتُ: لَوْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ أَحَدٌ قَبْلَهُ، قُلْتُ: رَجُلٌ أَتَمَّ بِقَوْلِ قَيْلٍ قَبْلَهُ. قَالَ: ثُمَّ قَالَ: بِمَ يَا مَرُومُ؟ قُلْتُ: يَا مَرُومُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّلَاةِ وَالْعِفَافِ. قَالَ: إِنْ يَكُنْ مَا تَقُولُ فِيهِ حَقًّا، فَإِنَّهُ نَبِيٌّ. وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ.

وَلَمْ أَكُنْ أَظُنُّهُ مِنْكُمْ. وَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ، لَأَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ. وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمَيْهِ. وَلَيَبْلُغَنَّ مَلِكُهُ مَا تَحْتَ قَدَمَيَّ.

قَالَ: ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَرَأَهُ. فَإِذَا فِيهِ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرْقَلِ عَظِيمِ الرُّومِ. سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى. أَمَّا بَعْدُ. فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ. أَسْلَمَ تَسْلَمَ. وَأَسْلَمَ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ. وَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ. ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]. فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ ارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ عِنْدَهُ وَكَثُرَ اللَّغَطُ. وَأَمَرَ بَنَاءً فَأَخْرَجْنَا. قَالَ: فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ خَرَجْنَا: لَقَدْ أَمَرَ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ. إِنَّهُ لِيَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ.

قَالَ: فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ سَيَطْهَرُ، حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) أخرجه مسلم (٧٤) (١٧٧٣) كتاب الجهاد والسير.



## كتابه ﷺ إلى المقوقس (ملك مصر)

وكتب النبي ﷺ كتابه إلى المقوقس (ملك مصر والإسكندرية) فقال فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإنني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم أهل القبط: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (١) [آل عمران: ٦٤].

واختار لحمل هذا الكتاب حاطب بن أبي بلتعة، فلما دخل حاطب على المقوقس قال له: إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى، فانتقم به ثم انتقم منه، فاعتبر بغيرك، ولا يعتبر بغيرك بك. فقال المقوقس: إن لنا ديناً لن ندعه إلا لما هو خير منه.

فقال حاطب: ندعوك إلى دين الإسلام الكافي به الله فقد ما سواه، إن هذا النبي دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش، وأعداهم له اليهود، وأقربهم منه النصارى، ولعمري ما بشارة موسى بعمسى إلا كبشارة عيسى بمحمد ﷺ، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل، فكل نبي أدرك قومًا فهم أمته، فالحق عليهم أن يطيعوه، وأنت ممن أدركه هذا النبي، ولسنا ننهاك عن دين المسيح، ولكننا نأمرك به.

قال المقوقس: إنني قد نظرت في أمر هذا النبي، فوجدته لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهى عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضال، ولا الكاهن الكاذب، ووجدته معه آية النبوة بإخراج الحبء والإخبار بالنجوى وسأنظر.

وأخذ كتاب النبي ﷺ فجعله في حُقٍّ من عاج، وختم عليه ودفع به إلى جارية له، ثم دعا كاتباً له يكتب بالعربية، فكتب إلى رسول الله ﷺ:

بسم الله الرحمن الرحيم

لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط، سلام عليك، أما بعد، فقد قرأت

كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه، وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبياً بقى، وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت إليك بجاريتين، لهما مكان فى القبط عظيم، وبكسوة، وأهديت إليك بغلة لتركبها، والسلام عليك.

ولم يزد على هذا ولم يسلم، والجاريتان مارية وسيرين، والبغلة دُلْدُلٌ بقيت إلى زمن معاوية<sup>(١)</sup>، واتخذ النبي ﷺ مارية سرية له، وهى التى ولدت له إبراهيم. وأما سيرين فأعطاهما لحسان بن ثابت الأنصارى<sup>(٢)</sup>.

### كتابه ﷺ إلى الحارث الغسانى (صاحب دمشق)

كتب إليه النبي ﷺ :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبى شمّر، سلام على من اتبع الهدى، وأمن به وصدق، وإنى أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، يبقى لك ملكك.

واختار لحمل هذا الكتاب شجاع بن وهب من بنى أسد بن خزيمة، ولما أبلغه الكتاب، قال: من ينزع ملكى منى؟ أنا سائر إليه، ولم يسلم<sup>(٣)</sup>.

### كتابه ﷺ إلى هودّة بن على (صاحب اليمامة)

وكتب النبي ﷺ إلى هودّة بن على صاحب اليمامة:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى هودّة بن على، سلام على من اتبع الهدى، واعلم أن دينى سيظهر إلى منتهى الخف والحافر فأسلم تسلم، وأجعل لك ما تحت يديك».

واختار لحمل هذا الكتاب سَلَيْط بن عمرو العامرى، فلما قدم سَلَيْط على هودّة بهذا الكتاب مختوماً أنزله، وقرأ عليه، فرد عليه ردّاً دون رد، وكتب إلى النبي ﷺ : ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، والعرب تهاب مكاني، فأجعل لى بعض الأمر أتبعك،

(١) زاد المعاد (٣/٦٩٢).

(٢) إعلام السائلين (ص: ٨٢) - المصباح المضيء (٢/١١٠).

(٣) زاد المعاد (٣/٦٩٧) - نصب الراية (٤/٤٢٥).

وأجاز سليطاً بجائزة، وكساه أثواباً من نسج هجر، فقدم بذلك كله على النبي ﷺ فأخبره، وقرأ النبي ﷺ كتابه فقال: «لو سألتني سيابةً من الأرض ما فعلت... باد، وباد ما فيه يديه» فلما انصرف رسول الله ﷺ من الفتح، جاءه جبريل عليه السلام بأن هودة مات، فقال النبي ﷺ: «أما إن اليمامة سيخرج بها كذاب يتنبي، يُقتل بعدى»، فقال قائل: يا رسول الله من يقتله؟ فقال: «أنت وأصحابك»، فكان ذلك<sup>(١)</sup>.

### كتابه ﷺ إلى المنذر بن ساوى (حاكم البحرين)

وكتب النبي ﷺ إلى المنذر بن ساوى حاكم البحرين كتاباً يدعو فيه إلى الإسلام، بعث إليه العلاء بن الحضرمي بذلك الكتاب، فكتب المنذر إلى رسول الله ﷺ: أما بعد، يا رسول الله، فإنني قرأت كتابك على أهل البحرين، فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه، ودخل فيه، ومنهم من كرهه، وبأرضي مجوس ويهود، فأحدث إليّ في ذلك أمرك، فكتب إليه رسول الله ﷺ.

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى سلام عليك، فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد: فإنني أذكرك الله عز وجل، فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه وإنه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني، ومن نصح لهم فقد نصح لي، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيراً، وإني قد شفعتك في قومك، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوت عن أهل الذنوب، فاقبل منهم، وإنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك، ومن أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية<sup>(٢)</sup>.

### كتابه ﷺ إلى ملك عمان

وكتب النبي ﷺ كتاباً إلى ملك عمان جيفر وأخيه عبد ابني الجلندي، ونصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندي، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد. فإنني أدعوكما بدعاية الإسلام، أسلما تسلما، فإنني رسول الله ﷺ إلى الناس كافة،

(١) زاد المعاد (٣/٦٩٦).

(٢) زاد المعاد (٣/٦٩٢)، شرح المواهب (٣/٣٥٠: ٣٥٢).

لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، فإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما أن تقررا بالإسلام فإن ملككما زائل، وخيلى تحمل بساحتكما، وتظهر نبوتى على ملككما.

واختار لحمى هذا الكتاب عمرو بن العاص - رضى الله عنه - قال عمرو: فخرجت حتى انتهيت إلى عمان، فلما قدمتها عمدت إلى (عبد) - وكان أحلم الرجلين، وأسهلها خلقاً - فقلت: إني رسول رسول الله ﷺ إليك وإلى أخيك. فقال: أخى المقدم على بالسن والملك، وأنا أوصلك إليه حتى يقرأ كتابك، ثم قال: وما تدعو إليه؟ قلت: أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وتخلع ما عبد من دونه، وتشهد أن محمداً عبده ورسوله. قال: يا عمرو، إنك ابن سيد قومك، فكيف صنع أبوك فإن لنا فيه قدوة؟ قلت: مات ولم يؤمن بمحمد ﷺ وودت أنه كان أسلم وصدق به، وقد كنت أنا على مثل رأيه حتى هدانى الله للإسلام. قال: فمتى تبعته؟ قلت: قريباً، فسألنى: أين كان إسلامك؟ قلت: عند النجاشى، وأخبرته أن النجاشى قد أسلم، قال: وكيف صنع قومه بملكه، فقلت: أقروه واتبعوه. قال: والأساقفة والرهبان تبعوه؟ قلت: نعم. قال: انظر يا عمرو ما تقول، إنه ليس من خصلة فى رجل أفضح له من الكذب. قلت: ما كذبت، وما نستحله فى ديننا، ثم قال: ما أرى هرقل علم بإسلام النجاشى؟ قلت: بلى. قال: فبأى شىء علمت ذلك؟ قلت: كان النجاشى يُخرج له خرجاً، فلما أسلم وصدق بمحمد ﷺ قال: لا والله لو سألتى درهماً واحداً ما أعطيته، فبلغ هرقل قوله فقال له النياقُ أخوه: أتدع عبدك لا يُخرج لك خرجاً، ويدين بدين غيرك ديناً محدثاً؟ قال هرقل: رجل رغب فى دين، فاختره لنفسه، ما أصنع به؟ والله لولا الضن بلكى لصنعت كما صنع. قال: انظر ما تقول يا عمرو؟ قلت: والله صدقتك، قال عبد: فأخبرنى ما الذى يأمر به وينهى عنه؟ قلت: يأمر بطاعة الله عز وجل، وينهى عن معصيته، ويأمر بالبر وصلة الرحم، وينهى عن الظلم والعدوان، وعن الزنا، وعن الخمر، وعن عبادة الحجر، والوثن والصليب، قال: ما أحسن هذا الذى يدعو إليه، لو كان أخى يتابعنى عليه لركبنا حتى نؤمن بمحمد ﷺ ونصدق به، ولكن أخى أضن بملكه من أن يدعه ويصير ذنباً. قلت: إنه إن أسلم ملكه رسول الله ﷺ على قومه. فأخذ الصدقة من غنيهم فبردها على فقيرهم، قال: إن هذا لخلق حسن، وما الصدقة؟ فأخبرته بما فرض رسول الله ﷺ فى الصدقات فى الأموال حتى انتهت إلى الإبل، قال: يا عمرو، ويؤخذ من سوائم مواشينا التى ترعى

الشجر وترد المياه؟ فقلت: نعم، فقال: والله ما أرى قومي في بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون لهذا. قال: فمكثت بيابه أياماً، وهو يصل إلى أخيه فيخبره كل خبرى، ثم إنه دعاني يوماً فدخلت عليه، فأخذ أعوانه بضبعي، فقال: دعوه، فأرسلت، فذهبت لأجلس، فأبوا أن يدعوني أجلس، فنظرت إليه، فقال: تكلم بحاجتك، فدفعت إليه الكتاب مختوماً، ففرض خاتمه، وقرأ حتى انتهى إلى آخره، ثم دفعه إلى أخيه فقرأه مثل قراءته، إلا أنني رأيت أخاه أرق منه، قال: ألا تخبرني عن قریش كيف صنعت؟ فقلت: اتبعوه، إما راغب في الدين، وإما مقهور بالسيف. قال: ومن تبعه؟ قلت: الناس قد رغبوا في الإسلام واختاروه على غيره، وعرفوا بعقولهم مع هدى الله إياهم، أنهم كانوا في ضلال، فما أعلم أحداً بقى غيرك في هذه الحرّجة، وأنت إن لم تسلم اليوم وتتبعه توطئك الخيل وتبيد خضراءك، فأسلم تسلم، ويستعملك على قومك، ولا تدخل عليك الخيل والرجال، قال: دعني يومي هذا، وارجع إلى غدًا.

فرجعت إلى أخيه، فقال: يا عمرو، إنى لأرجوه أن يسلم إن لم يرضن بملكه. حتى إذا كان الغد أتيت إليه، فأبى أن يأذن لى، فانصرفت إلى أخيه، فأخبرته أنى لم أصل إليه، فأوصلنى إليه، فقال: إنى فكرت فيما دعوتنى إليه، فإذا أنا أضعف العرب إن ملّكت رجلاً ما فى يدى، وهو لا تبلغ خيله ههنا، وإن بلغت خيله ألفت قتالاً ليس كقتال من لاقى. قلت: أنا خارج غدًا، فلما أيقن بمخرجى خلا به أخوه، قال: ما نحن فيما قد ظهر عليه، وكل من أرسل إليه قد أجابه، فأصبح فأرسل إلى، فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعاً، وصدقا النبى ﷺ وخلياً بينى وبين الصدقة، وبين الحكم فيما بينهم، وكانا لى عوناً على من خالفنى<sup>(١)</sup>

### غزوة ذى قرد (غزوة الغابة) (٢)

وهذه أول غزوة بعد صلح الحديبية. وهى الغزوة التى أغاروا فيها على لقاح النبى ﷺ.  
● وقتها:

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

وهذه الغزوة كانت بعد الحديبية وقد وهم فيها جماعة من أهل السير فذكروا أنها

(١) زاد المعاد (٣/٦٩٣: ٦٩٦) بتصرف، ابن سيد الناس (٢/٢٦٧: ٢٦٩).

(٢) موضع قرب المدينة من ناحية الشام فيه أموال لأهل المدينة.

كانت قبل الحديبية، والدليل على صحة ما قلناه ما رواه الإمام أحمد والحسن بن سفيان عن أبي بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا هشام بن القاسم قال: حدثنا عكرمة بن عمار قال: حدثني إياس بن سلمة عن أبيه قال: قدمت المدينة زمن الحديبية مع رسول الله ﷺ قال: خرجت أنا ورباح بفرس لطلحة أُنديه مع الإبل فلما كان بغلس أغار عبد الرحمن بن عيينة على إبل رسول الله ﷺ فقتل راعيها... وساق القصة رواها مسلم في صحيحه بطولها<sup>(١)</sup>.

\* وقال الإمام البخارى بأنها قبل خيبر بثلاث - يعنى ليال - أى بعد الحديبية، وجزم بذلك، ورجح ذلك الإمام ابن حجر العسقلانى فى الفتح، وأيده فى ذلك البيهقى فى الدلائل، وابن القيم فى زاد المعاد<sup>(٢)</sup>.

### أحداث الغزوة

والقصة رواها البخارى ومسلم مختصرة ورواها مسلم كذلك مع قصة مبايعة سلمة بالحديبية وكذلك غزوة خيبر فى خبر واحد. أما القصة مختصرة:

\* فعن سلمة بن الأكوع - رضى الله عنه - من طريق يزيد بن أبى عبيد: قال: «سمعت سلمة بن الأكوع يقول خرجت قبل أن يؤذن بالأولى<sup>(٣)</sup>. وكانت لقاح<sup>(٤)</sup> رسول الله ﷺ ترعى بذى قرد قال: فلقينى غلام لعبد الرحمن بن عوف فقال: أخذت لقاح رسول الله ﷺ فقلت: من أخذها؟ قال: غطفان، قال: فصرخت ثلاث صرخات: يا صباحاه! قال: فأسمعت ما بين لابتى المدينة<sup>(٥)</sup>، ثم اندفعت على وجهى حتى أدركتهم بذى قرد، وقد أخذوا يسقون من الماء فجعلت أرميهم بنبلى، وكنت رامياً وأقول:

أنا ابن الأكوع      واليوم يوم الرُّضْع<sup>(٦)</sup>

(١) زاد المعاد (٣/ ٢٧٨ : ٢٧٩).

(٢) فتح البارى (٧/ ٤٦٠).

(٣) قبل أن يؤذن بالأولى: أى الصلاة الأولى يريد بها صلاة الصبح.

(٤) لقاح: واحدها لقحة وهى ذات اللبن قريبة العهد بالولادة.

(٥) ما بين لابتى المدينة: اللابة: أكرة الأرض ذات الحجارة السوداء، والمدينة واقعة بين حرتين عظيمتين يريد أنه أسمع بصرخاته جميع أهل المدينة.

(٦) يعنى يوم هلاك اللثام من قولهم: لثيم راضع، أى رضع اللؤم فى بطن أمه، والأصل فيه أن رجلاً كان شديد البخل فكان إذا أراد حلب ناقته ارتضع من ثديها لثلا يحلبها فيسمع جيرانه أو من يمر به صوت =

فارتجز، حتى استنقذت<sup>(١)</sup> اللقاح منهم، واستلبت منهم ثلاثين بُرْدَةً، قال: وجاء النبي ﷺ والناس، فقلت: يا نبي الله! إنى قد حميت<sup>(٢)</sup> القوم الماء، وهم عطاش، فابعث إليهم الساعة. فقال: (يا ابن الأكوع! ملكت فاسجح)<sup>(٣)</sup>، قال: ثم رجعنا، ويردنى رسول الله ﷺ على ناقته حتى دخلنا المدينة<sup>(٤)</sup>.

\* أما الرواية المطولة فعن إياس بن سلمة عن أبيه في قصة الحديبية وذات قرد وخير، وسوف نقتصر على الجزء من الحديث الخاص بذات قرد.

قال سلمة - رضى الله عنه -: ثم خرجنا راجعين إلى المدينة فنزلنا منزلاً بيننا وبين لحيان جبلٌ وهمُ المشركون، فاستغفر رسول الله ﷺ لمن رقى هذا الجبل الليلة كأنه طليعةٌ للنبي ﷺ وأصحابه .. قال سلمة: فرقيتُ تلك الليلة مرتين أو ثلاثاً، ثم قدمنا المدينة فبعث رسول الله ﷺ بظهره<sup>(٥)</sup> مع رباح غلام رسول الله ﷺ وأنا معه، وخرجت معه بفرس طلحة أُنْدِيَه<sup>(٦)</sup> مع الظهر، فلما أصبحنا إذا عبد الرحمن الفزاري قد أغار على ظهر رسول الله ﷺ فاستاقه أجمع وقتل راعيه.

قال: فقلت: يا رباحُ! خذُ هذا الفرس فأبلغه بن طلحة بن عبيد الله، وأخبر رسول الله ﷺ أن المشركين قد أغاروا على سرحه قال ثم قمتُ على أكمة فاستقبلت المدينة فناديتُ ثلاثاً: يا صباحاه ثم خرجتُ في آثار القوم أرميهم بالنبل وأرتجز أقول:

أنا ابن الأكوع      واليوم يوم الرضع

فألحق رجلاً منهم فأصك<sup>(٧)</sup> سهماً في رحله حتى خلص نصلُ السهم إلى كتفه قال

= الخلب، فيطلبون منه، وقيل: معناه: هذا يوم شديد عليكم تفارق فيه المرضعة من أرضعته، فلا يجد من يرضعه [هامش زاد المعاد (٣/٢٧٨)].

- (١) استنقذت: أنقذت.
- (٢) حميت القوم: منعتهم الماء.
- (٣) اسجح: أحسن وارفق، والسجاجة السهولة.
- (٤) أخرجه البخارى فى المغازى باب غزوة ذات القرد رقم (٤١٩٤)، ومسلم فى الجهاد والسير باب غزوة ذى قرد وغيرها حديث رقم (١٨٠٦).
- (٥) قال ابن عبد الباقي: الظهر الإبل تعد للركوب وحمل الأتقال.
- (٦) قال النووى: ومعناه أن يورد الماشية الماء فتسقى قليلاً ثم ترسل فى المرعى ثم ترد الماء فتد قليلاً ثم ترد إلى المرعى.
- (٧) أصك: أضرب.

قلت: خذُها: وأنا ابن الأكوخ واليوم يوم الرُّضْع قال: فوالله ما زلت أرميهم وأعقرُ بهم<sup>(١)</sup> فإذا رجع إلى فارس أتيتُ شجرةً فجلستُ في أصلها ثم رميتهُ فعقرتُ به حتى إذا تضايقُ الجبل فدخلوا في تضايقه علوتُ الجبلُ فجعلتُ أُرديهم بالحجارة<sup>(٢)</sup> قال: فما زلتُ كذلك أتبعهمُ حتى ما خلق الله من بعير من ظهر رسول الله ﷺ إلا خلَّفته وراء ظهرى وخلَّوا بينى وبينه ثم اتبعتهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردةً وثلاثين رمحاً يستخفُّون<sup>(٣)</sup>، ولا يطرحدون شيئاً إلا جعلتُ عليه آراماً<sup>(٤)</sup> من الحجارة يعرفها رسول الله وأصحابه، حتى أتوا متضايقاً من ثنية<sup>(٥)</sup> فإذا هم قد أتاهم فلان بن بدر الفزاري فجلسوا يتضحون (يعنى يتغدَّون)، وجلست على رأس قرن<sup>(٦)</sup>.

قال الفزاري: ما هذا الذى أرى؟ قالوا: لقينا من هذا البرح<sup>(٧)</sup> والله ما فارقنا منذ غلس يرمينا حتى انتزع كل شيء فى أيدينا قال: فليقم إليه نفر منكم أربعة قال: فصعد إلى منهم أربعة فى الجبل قال: فلما أمكنونى من الكلام قال: قلت: هل تعرفونى؟ قالوا: لا ومن أنت؟ قال: قلت: أنا سلمة بن الأكوخ.. والذى كرم وجه محمد ﷺ لا أطلب رجلاً منكم إلا أدركته ولا يطلبنى رجلٌ منكم فيدركنى قال أحدهم: أنا أظن. قال: فرجعوا فما برحتُ مكاني حتى رأيتُ فوارس رسول الله ﷺ يتخللون الشجر قال: فإذا أولهم الأخرمُ الأسدى على إثره أبو قتادة الأنصارى، وعلى إثره المقدادُ بن الأسود الكندى قال فأخذتُ بعنان الأخرم قال: فولوا مدبرين قلتُ: يا أخرم احذرهم لا يقتطعوك حتى يلحق رسول الله ﷺ وأصحابه قال: يا سلمة إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر وتعلم أن الجنة حق والنار حق فلا تحل بينى وبين الشهادة قال فخليته، فالتقى هو وعبد الرحمن قال: فعقر بعبد الرحمن فرسه وطعنه عبد الرحمن فقتله وتحول على فرسه، ولحق أبو قتادة فارس رسول الله ﷺ بعبد الرحمن فقتله.. فوالذى كرم وجه محمد ﷺ لتبعتهم أعدو على رجلى حتى ما أرى ورائى من أصحاب محمد ﷺ ولا غبارهم شيئاً حتى يعدلوا قبل غروب الشمس إلى شعبٍ فيه ماء يقال له (ذا قرد)

(١) أعقر بهم: أقتل رواحلهم.

(٢) أى: أسقطهم عن رواحلهم بضرهم بالحجارة.

(٣) أى: يطلبون الخفة.

(٤) أى أعلاماً من الحجارة.

(٥) أى العقبة والطريق فى الجبل.

(٦) القرن: جبل صغير منقطع عن الجبل الكبير.

(٧) البرح: الشدة.



ليشربوا منه وهم عطاش. قال: فنظروا إلى أعدو وراءهم فحليتهم عنه (يعنى أجليتهم عنه) فما ذاقوا منه قطرة قال: فيخرجون فيشتدون في ثنية قال: فأعدو فألحق رجلاً منهم فأصكه بسهم في نُغص كتفه قال: قلت: خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع.

قال: يا ثكلته أمه أكوعه بكرة<sup>(١)</sup> قال: قلت: نعم يا عدو نفسه! أكوعك بكرة قال: وأردوا<sup>(٢)</sup> فرسين على ثنية قال: فجئت بهما أسوقهما إلى رسول الله ﷺ قال: ولحقتني عامر بسطيحة فيها مذقة من لبن وسطيحة فيها ماء فتوضأت وشربت، ثم أتيت رسول الله ﷺ وهو على الماء الذي حلاّتهم عنه فإذا رسول الله ﷺ قد أخذ تلك الإبل وكل شيء استنقذته من المشركين وكل رمح وبردة، وإذا بلال نحر ناقة من الإبل التي استنقذت من القوم، وإذا هو يشوى لرسول الله ﷺ من كبدها وسنامها قال: قلت: يا رسول الله! خلني فأتخب من القوم مائة رجل فأتبع القوم فلا يبقى منه مُخبرٌ إلا قتلته قال: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه في ضوء النار فقال يا سلمة أتراك كنت فاعلاً؟ قلت: نعم. والذي أكرمك! فقال: «إنهم الآن يُقرون»<sup>(٣)</sup> في أرض غطفان» قال: فجاء رجل من غطفان فقال: نحر لهم فلان جزوراً فلما كشفوا جلدتها رأوا غباراً فقالوا: أتاكم القوم فخرجوا هارين. فلما أصبحنا قال رسول الله ﷺ «كان خير فرساننا اليوم أبو قتادة وخير رجالتنا سلمة» قال: ثم أعطاني رسول الله ﷺ سهمين: سهم الفارس وسهم الرّاجل فجمعهما لي جميعاً، ثم أردفني رسول الله ﷺ وراءه على العضباء - الدابة، راجعين إلى المدينة.

فيا لبديع صنع ابن الأكوع!! يطارد جيشاً بمفرده حتى يستردّ منهم ما سلبوه، وهو راجلٌ - يجرى على رجله - بل ويأخذ منهم السلب والغنيمة، ولا يسمح لهم حتى يشرب الماء!!.

وعلى النقيض.. تطارد ملايين العرب شرذمة من اليهود، تأخذ منهم كل شيء، ولا تُبقى لهم إلا العطش، تأخذ أغلى مقدساتهم، ولا تعطيتهم إلا الذبح.. وهتك الأعراض وبقر البطون.. ومع هذا فالمسلمون نائمون.. ومن لم توقظه النوائب وتعلّى همته.. فليطل نومه<sup>(٤)</sup>.

(١) قال النووي: معناه أي أنت الأكوع الذي كنت بكرة هذا النهار.

(٢) قال النووي: معناه أهلكوهما وأنعبوهما حتى أسقطوهما وتركوهما.

(٣) يقرون: أي يضيعون.

(٤) علو الهمة/ د. سيد حسين (٣/٣٦٥).

### سباق بين سلمة بن الأكوع ورجل من الأنصار

«قال: فبينما نحن نسير. قال: وكان رجل من الأنصار لا يسبق شداً<sup>(١)</sup>، قال: فجعل يقول: ألا مسابق إلى المدينة؟ هل من مسابق؟ فجعل يعيد ذلك قال: فلما سمعت كلامه قلت: أما تكرم كريماً ولا تهاب شريفاً؟ قال: لا. إلا أن يكون رسول الله ﷺ. قال: قلت: يا رسول الله بأبي وأمي! ذرني فلأسابق الرجل. قال: (إن شئت). قال: قلت: أذهب إليك. وثبتت رجلى فطفرت<sup>(٢)</sup> فعدوت. قال: فربطت عليه شرفاً أو شرفين أستبقى نفسي<sup>(٣)</sup>، ثم عدوت في إثره، فربطت عليه شرفاً أو شرفين، ثم إنى رفعت حتى ألحقته<sup>(٤)</sup>. قال: فأصكه بين كتفيه. قال: قلت: قد سبقت والله! قال: أنا أظن. قال: فسبقته إلى المدينة<sup>(٥)</sup>».

### قصة المرأة التي أسرت مع ناقة رسول الله ﷺ

عن عمران بن حصين - رضى الله عنه - قال: «كانت ثقيف حلفاء لبني عقيل، فأسرت ثقيف رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ، وأسر أصحاب رسول الله ﷺ رجلاً من بني عقيل، وأصابوا معه العضباء<sup>(٦)</sup>. فأتى عليه رسول الله ﷺ وهو في الوثاق. قال: يا محمد! فأتاه فقال: (ما شأنك؟) قال: بم أخذتني، وبم أخذت سابقة الحاج<sup>(٧)</sup>؟ فقال: (إعظماً لذلك): (أخذتك بجريرة حلفائك ثقيف) ثم انصرف عنه فناداه، فقال: يا محمد! يا محمد! وكان رسول الله ﷺ رحيماً رقيقاً، فرجع إليه فقال: (ما شأنك؟) قال: إنى مسلم. قال: (لو قلتها وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح) ثم انصرف فناداه فقال: يا محمد! يا محمد! فأتاه فقال: (ما شأنك؟) قال: إنى جائع فأطعمنى، وظمآن

(١) شداً: عدواً على الرجلين.

(٢) طفرت: وثبتت وقفزت.

(٣) ربطت شرفاً أو شرفين أستبقى نفسي: ربطت: حبست نفسي عن الجرى الشديد.. والشرف ما ارتفع من الأرض، أستبقى نفسي: أى لئلا يقطعنى البهر.

(٤) رفعت حتى ألحقته: أسرع.

(٥) أخرجه مسلم فى الجهاد باب غزوة ذى قرد وغيرها رقم: ١٨٠٧، وأبو داود فى الجهاد باب فى السرية ترد على أهل العسكر رقم: ٢٧٥٢.

(٦) العضباء: ناقة نجبية كانت لرجل من بني عقيل ثم انتقلت إلى رسول الله ﷺ.

(٧) سابقة الحاج: أراد بها العضباء فإنها كانت لا تسبق، ولا تكاد تسبق. معروفة بذلك.

فاسقنى قال: (هذه حاجتك)، ففدى الرجلين.

قال: وأسرت امرأة من الأنصار، وأصيبت العضباء، فكانت المرأة فى الوثاق. وكان القوم يريحون نعمهم بين يدى بيوتهم. فانفلتت ذات ليلة من الوثاق فأنت الإبل. فجعلت إذا دنت من البعير رغا فتركه. حتى تنتهى إلى العضباء. فلم ترغ. قال: وناقاة منوقة<sup>(١)</sup> فقعدت فى عجزها، ثم زجرتها، فانطلقت ونذروا بها<sup>(٢)</sup>، فطلبوها، فأعجزتهم، وقال: ونذرت لله! إن نجها الله عليها لتنحرنها، فلما قدمت المدينة رآها الناس. فقالوا: العضباء ناقاة رسول الله ﷺ. فقالت: إنها نذرت إن نجها الله عليها لتنحرنها. فأتوا رسول الله ﷺ، فذكروا ذلك له فقال: (سبحان الله! بئسما جزتها، نذرت لله إن نجها عليها لتنحرنها. لا وفاء لنذر فى معصية، ولا فيما لا يملك العبد)<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١) وناقاة منوقة: مذلة.

(٢) نذروا بها: علموا وأحسوا بهربها.

(٣) أخرجه مسلم فى كتاب النذور باب لا وفاء لنذر فى معصية الله رقم: (١٦٤١)، أحمد فى المسند:

(٤/٤٣٣ - ٤٣٤)، الدارمى فى السنن كتاب السير باب إذا أحرز العدو من مال المسلمين: (٢/٢٣٦).

## غزوة خيبر

لقد كانت خيبر هي من أكبر مراكز الشر اليهودية التي كانت قد تجمعت لحرب الإسلام والمسلمين وكانت مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع وهي على بُعد ستين أو ثمانين ميلاً من المدينة من جهة الشمال.

### سبب الغزوة

\* لما اطمأن رسول الله ﷺ من أقوى أجنحة الأحزاب الثلاثة، وأمن منه أمناً باتاً بعد الهدنة، أراد أن يحاسب الجناحين الباقين - اليهود وقبائل نجد - حتى يتم الأمن والسلام، ويسود الهدوء في المنطقة، ويفرغ المسلمون من الصراع الدامي المتواصل إلى تبليغ رسالة الله والدعوة إليه.

ولما كانت خيبر هي وكرة الدس والتآمر، ومركز الاستفزازات العسكرية ومعادن التحرشات وإثارة الحروب، كانت هي الجديرة بالتفات المسلمين أولاً.

أما كون خيبر بهذه الصفة، فلا ننسى أن أهل خيبر هم الذين حزّبوا الأحزاب ضد المسلمين، وأثاروا بني قريظة على الغدر والخيانة، ثم أخذوا في الاتصالات بالمنافقين - الطابور الخامس في المجتمع الإسلامي - وبغطفان وأعراب البادية - الجناح الثالث من الأحزاب - وكانوا هم أنفسهم يهيئون للقتال، فألقوا المسلمين بإجراءاتهم هذه في محن متواصلة، حتى وضعوا خطة لاغتيال النبي ﷺ وإزاء ذلك اضطر المسلمون إلى بعبوث متوالية، وإلى الفتك برأس هؤلاء المتآمرين، مثل سلام بن أبي الحقيق، وأسير بن زارم، ولكن الواجب على المسلمين إزاء هؤلاء اليهود كان أكبر من ذلك. وإنما أبطأوا في القيام بهذا الواجب؛ لأن قوة أكبر وأقوى وألد وأعد منهم - وهي قريش - كانت مجابهة للمسلمين، فلما انتهت هذه المجابهة صفا الجو لمحاسبة هؤلاء المجرمين، واقترب لهم يوم الحساب<sup>(١)</sup>.

(١) الرحيق المختوم (ص: ٣٩١: ٣٩٢).

## متى كانت تلك الغزوة

اختلف أهل السير في وقتها على قولين:

الأول: قول ابن إسحاق في المغازي وموسى بن عقبة بأنها كانت في آخر شهر المحرم من السنة السابعة للهجرة، وقال ابن القيم: والجمهور على أنها في السابعة، وأيده أيضاً الحافظ ابن حجر في الفتح.

ويؤيد هذا القول ما أورده ابن إسحاق في المغازي قال: حدثني الزهري، عن عروة، عن مروان بن الحكم، والمسور بن مخرمة أنهما قالا:

«انصرف رسول الله ﷺ من الحديبية، فنزلت عليه سورة الفتح فيما بين مكة والمدينة، فأعطاه الله فيها خيبر بقوله: ﴿وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ [الفتح: ٢٠] يعني خيبر فقدم المدينة في ذي الحجة، فأقام بها حتى سار إلى خيبر في المحرم»، ورجاله ثقات، وسنده حسن<sup>(١)</sup>.

ويؤيده أيضاً ما جاء في حديث سلمة بن الأكوع أنها كانت بعد غزوة ذي قرد بثلاث ليال كما جاء في نص الحديث بقوله «قال فسبقته إلى المدينة. قال: فوالله ما لبثنا إلا ثلاث ليال حتى خرجنا إلى خيبر مع رسول الله ﷺ».

الثاني: قول مالك بأنها كانت في السنة السادسة وأيده ابن حزم في ذلك.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: «وهذه الأقوال متقاربة، والراجح منها ما ذكره ابن إسحاق، ويمكن الجمع بينها بأن من أطلق سنة ست بناء على أن ابتداء السنة من شهر الهجرة الحقيقي وهو ربيع الأول»<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) فتح الباري: (٤٦٤/٧) دلائل النبوة للبيهقي: (٤/١٩٧)، زاد المعاد: (٣/٣١٧)، السيرة النبوية لابن كثير: (٣/٢٤٤).

(٢) فتح الباري (٤٦٤/٧).

## وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها

قال المفسرون<sup>(١)</sup>: إن خير كانت وعداً وعدها الله تعالى بقوله: ﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ [الفتح: ٢٠] يعني صلح الحديبية، وبالمغانم الكثيرة خير. وعن عروة، عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة، أنهما حدثاه جميعاً، قالا: انصرف رسول الله ﷺ عام الحديبية، فنزلت عليه سورة الفتح فيما بين مكة والمدينة، فأعطاه الله عز وجل فيها خير ﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ [الفتح: ٢٠] خير، فقدم رسول الله ﷺ المدينة في ذي الحجة، فأقام بها حتى سار إلى خيبر في المحرم، فنزل رسول الله ﷺ بالرجيع: (واد بين خيبر وغطفان)، فتخوف أن تمدهم غطفان، فبات به حتى أصبح، فغدا إليهم<sup>(٢)</sup>.

ولما كان المنافقون وضعفاء الإيمان تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة الحديبية، أمر الله تعالى نبيه ﷺ فيهم قائلاً: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ [الفتح: ١٥].

فلما أراد رسول الله ﷺ الخروج إلى خيبر، وأعلن أن لا يخرج معه إلا راغب في الجهاد، فلم يخرج إلا أصحاب الشجرة وهم ألف وأربعمائة.

## النبى ﷺ يستعمل على المدينة (سباع بن عرفطة)

\* واستخلف النبى ﷺ على المدينة سباع بن عرفطة، وقدم أبو هريرة حينئذ المدينة مسلماً فوافى سباع بن عرفطة في صلاة الصبح، فسمعه يقرأ في الركعة الأولى: ﴿كَهَيْعَتِ﴾ وفى الثانية ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾، فقال فى نفسه: ويل لأبى فلان، له مكيلان إذا اکتال اکتال بالوافى، وإذا كال كال بالناقص، فلما فرغ من صلاته، أتى سباعاً، فزوده حتى قدم على رسول الله ﷺ، وكلم المسلمين، فأشركوه وأصحابه فى سهمانهم<sup>(٣)</sup>.

(١) السيرة لابن هشام (٣/ ٧٩١).

(٢) زاد المعاد (٣/ ٣١٧) وقال الأرئؤوط: رجاله ثقات.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٣٤٥: ٣٤٦) وإسناده قوى.

## رأس المنافقين يخبر اليهود بمقدم النبي ﷺ

وقد قام المنافقون يعملون لليهود، فقد أرسل رأس المنافقين (عبد الله بن أبي) إلى يهود خيبر: أن محمداً قصد قصدكم وتوجه إليكم، فخذوا حذركم، ولا تخافوا منه، فإن عددكم وعدتكم كثيرة، وقوم محمد شرذمة قليلون، عَزَلْ لا سلاح معهم إلا قليل، فلما علم ذلك أهل خيبر، أرسلوا كنانة بن أبي الحقيق وهوذة بن قيس إلى غطفان، يستمدونهم؛ لأنهم كانوا حلفاء يهود خيبر، ومظاهرين لهم على المسلمين، وشرطوا لهم نصف ثمار خيبر إن هم غلبوا على المسلمين<sup>(١)</sup>.

### خطة مباركة

ولم يَقْتُ المسلمین، قبل مسيرهم، أن يفصموا الجبهة المؤلفة ضدهم من يهود وغطفان فأوهموا غطفان أن الهجوم متجه إليهم، وأن قوة المسلمين توشك أن تلتف بهم... قال ابن إسحاق: بلغني أن غطفان لما سمعت بمنزّل رسول الله ﷺ من خيبر جمعت له، ثم خرجوا ليظاهروا يهود عليه، حتى إذا ساروا مرحلة سمعوا خلفهم في أموالهم وأهلهم حساً فظنوا أن القوم خالفوهم إليهم فرجعوا على أعقابهم، وأقاموا في أهليهم وأموالهم، وخَلُّوا بين رسول الله وبين خيبر!!.

وهكذا نجحت الخطة في عزل يهود خيبر عن حلفائهم المشركين<sup>(٢)</sup>.

\* ثم دعا رسول الله ﷺ الدليلين اللذين كانا يسلكان بالجيش - وكان اسم أحدهما حسيل - ليدلاه على الطريق الأحسن، حتى يدخل خيبر من جهة الشمال - أي: جهة الشام - فيحول بين اليهود وبين طريق فرارهم إلى الشام، كما يحول بينهم وبين غطفان. قال أحدهما: أنا أدلك يا رسول الله، فأقبل حتى انتهى إلى مفرق الطرق المتعددة، وقال: يا رسول الله هذه طرق يمكن الوصول من كل منها إلى المقصد، فأمر أن يسميها له واحداً واحداً. قال: اسم واحد منها حزن، فأبى النبي ﷺ من سلوكه، وقال: اسم الآخر شاش، فامتنع منه أيضاً، وقال: اسم آخر حاطب، فامتنع منه أيضاً، وقال حسيل: فما بقى إلا واحداً، قال عمر: ما اسمه؟ قال: مرحب، فاختر النبي ﷺ سلوكه<sup>(٣)</sup>.

(١) الرحيق المختوم (ص: ٣٩٣).

(٢) فقه السيرة/ للغزالي (ص: ٣٨٣ - ٣٨٤) بتصرف.

(٣) الرحيق المختوم (ص: ٣٩٣ - ٣٩٤).

## حذاء (عامر بن الأكوع) بجيش المسلمين

\* عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال: «خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر، فسرنا ليلاً، فقال رجل من القوم لعامر: يا عامر ألا تُسمعنا من هنيهاتك؟ وكان عامر رجلاً شاعراً فنزل يحدو بالقوم يقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا      ولا تصدقنا ولا صلينا  
فاغفر فداء لك ما اتقينا      وثبت الأقدام إن لاقينا  
وألقين سكيناً علينا      إنا إذا صيح بنا أيينا  
وبالصياح عولوا علينا

فقال رسول الله ﷺ: (من هذا السائق؟) قالوا: عامر بن الأكوع، قال: (يرحمه الله). قال رجل من القوم: وجبت يا نبي الله، لولا أمتعتنا به...»<sup>(١)</sup>.  
وفى رواية أخرى لسلمة بن الأكوع رضى الله عنه انفرد بها الإمام مسلم فى صحيحه من ضمن حديث طويل،

«... قال: فسبقته إلى المدينة. قال: فوالله! ما لبثنا إلا ثلاث ليال حتى خرجنا إلى خيبر مع رسول الله ﷺ، قال: فجعل عمى عامر يرتجز بالقوم:

تالله لولا الله ما اهتدينا      ولا تصدقنا ولا صلينا  
ونحن عن فضلك ما استغنينا      فثبت الأقدام إن لاقينا  
وأنزلن سكيناً علينا

فقال رسول الله ﷺ: (من هذا؟) قال: أنا عامر، قال: (غفر لك ربك) قال: وما استغفر رسول الله ﷺ لإنسان يخصه إلا استشهد، قال: فنأدى عمر بن الخطاب، وهو على جملة: يا نبي الله؟ لولا ما متعتنا بعامر...».

\* وقد جاء من حديث دهر الأسلمى رضى الله عنه «أنه سمع رسول الله ﷺ يقول فى مسيره إلى خيبر لعامر بن الأكوع، وهو عم سلمة بن عمرو بن الأكوع، وكان اسم

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه المغازى باب غزوة خيبر (٤١٩٦) مسلم فى الصحيح الجهاد باب غزوة خيبر (١٨٠٢).



الأكوع سنان: (انزل يا ابن الاكوع، فخذ لنا من هناتك)، قال: فنزل يرتجز برسول الله ﷺ فقال:

والله لو لا الله ما اهتدينا      ولا تصدقنا ولا صلينا  
 إنا إذا قوم بغوا علينا      وإن أرادو فتنة أبينا  
 فأنزلن سكيناً علينا      وثبت الأقدام إن لاقينا

زاد الطبري في روايته «فقال رسول الله ﷺ: (يرحمك الله) فقال عمر: وجبت والله يا رسول الله، لو أمتعتنا به، فقتل يوم خيبر شهيداً»<sup>(١)</sup>.

### إنكم تدعون سميعاً قريباً

عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه: «قال: لما غزا رسول الله ﷺ خيبر. أو قال لما توجه رسول الله ﷺ - أشرف الناس على واد، فرفعوا أصواتهم بالتكبير: الله أكبر، الله أكبر، فقال رسول الله ﷺ: «أربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً قريباً، وهو معكم»... وأنا خلف دابة رسول الله ﷺ، فسمعني وأنا أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال لى: «يا عبد الله بن قيس»، قلت: لبيك رسول الله. قال: «ألا أدلك على كلمة من كنز من كنوز الجنة؟» قلت: بلى يا رسول الله، فذاك أبى وأمى. قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله»<sup>(٢)</sup>.

### طعام المسلمين في طريقهم إلى خيبر

عن سويد بن النعمان رضى الله عنه: «أنه خرج مع النبي ﷺ عام خيبر... قال: حتى إذا كنا بالصهباء - وهى من أدنى خيبر - صلى العصر ثم دعا بالأزواد، فلم يؤت إلا بالسويق، فأمر به فثرى، فأكل وأكلنا، ثم قام إلى المغرب فمضمض ومضمضنا، ثم صلى ولم يتوضأ»<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١) أخرجه أحمد في المسند: (٤٣١/٣) وابن هشام في السيرة: (٤٥٥/٣) قال الهيثمى في المجمع:

(١٤٨/٦ - ١٤٩) رواه أحمد والطبرانى، ورجالهما ثقات.

(٢) أخرجه البخارى (٤٢٠٥) المغازى - ومسلم (٧٠٤) الذكر والدعاء والتوبة.

(٣) أخرجه البخارى (٢٠٩) الوضوء - وأحمد (٤٦٢/٣) وابن ماجه (٤٩٢).

## الجيش الإسلامى يتحرك إلى أسوار خيبر

بات المسلمون قريباً من خيبر فى تلك الليلة الأخيرة التى بدأ فى صباحها القتال ولم تشعر بهم اليهود فى تلك الليلة.

\* فعن أنس (رضى الله عنه) أنه قال: «إن رسول الله ﷺ أتى خيبر ليلاً - وكان إذا أتى قومًا بليل لم يقربهم حتى يصبح - فلما أصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم، فلما رأوه قالوا: محمد والله، محمد والخميس. فقال النبي ﷺ: خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين»<sup>(١)</sup>.

\* ومن حديث أبى طلحة رضى الله عنه قال: كنت رديف رسول الله ﷺ، فسكت عنهم حتى إذا كان عند السحر، وذهب ذو الضرع إلى ضرعه، وذو الزرع إلى زرعه أغار عليهم، وقال: «إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين»<sup>(٢)</sup>.

\* ويظهر أن اليهود ظنوا - أول وهلة - أن زحف المسلمين صوب غطفان فلم يعيروا الأمر التفاتاً بل أصبحوا غادين إلى حقولهم بمساحيهم ومكاتلهم حتى فوجئوا بالمسلمين يسرون نحوهم، فارتدوا إلى حصونهم فزعين، وهم يقولون: محمد والخميس!<sup>(٣)</sup>.

### وأمرهم شورى بينهم

وكان النبي ﷺ اختار لمعسكره منزلاً، فأتاه حباب بن المنذر فقال: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أنزلكه الله، أم هو الرأى فى الحرب؟ قال: «بل هو الرأى»، فقال: يا رسول الله إن هذا المنزل قريب جداً من حصن (نظاة)، وجميع مقاتلى خيبر فيها، وهم يدرون أحوالنا، ونحن لا ندرى أحوالهم، وسهامهم تصل إلينا وسهامنا لا تصل إليهم، ولا نأمن من بياتهم، وأيضاً هذا بين النخلات، ومكان غائر، وأرضٌ وخيمة، لو أمرت بمكان خال عن هذه المفاسد نتخذة معسكراً. قال ﷺ: «الرأى ما أشرت»، ثم تحول إلى مكان آخر.

(١) أخرجه البخارى فى المغازى باب غزوة خيبر رقم (٤١٩٧، ٤١٩٨) - مسلم فى الجهاد باب غزوة خيبر رقم (١٣٦٥).

(٢) أخرجه أحمد فى المسند: (٢٨/٤، ٢٩) والطبرانى برقم: (٤٧٠٣، ٤٧٠٤، ٤٧٠٥) قال الهيثمى فى المجمع: (١٤٨/٦) رواه الطبرانى، ورجاله رجال الصحيح» وقال أيضاً: (١٤٩/٦) رواه أحمد والطبرانى بأسانيد ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٣) فقه السيرة/ للغزالي (ص: ٣٨٤).

ولما دنا من خيبر وأشرف عليها قال: «قفوا»، فوقف الجيش فقال: «اللهم رب السماوات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، فإننا لنسألك خير هذه القرية، وخير أهلها، وخير ما فيها، ونعوذ بك من شر هذه القرية وشر أهلها، وشر ما فيها، أقدمووا بسم الله»<sup>(١)</sup>.<sup>(٢)</sup>

### حصون خيبر

وكانت خيبر منقسمة إلى شطرين، شطر فيها خمسة حصون:

١ - حصن ناعم.

٢ - حصن الصعب بن معاذ.

٣ - حصن قلعة الزبير.

٤ - حصن أبيّ.

٥ - حصن النزار.

والحصون الثلاثة الأولى تقع في منطقة يقال لها (النطاة)، وأما الحصنان الآخريان فيقعان في منطقة تسمى بالشق.

أما الشطر الثاني ويعرف بالكتيبة، ففيه ثلاثة حصون فقط:

١ - حصن القموص (كان حصن ابن أبي الحقيق من بني النضير).

٢ - حصن الوطيح.

٣ - حصن السالم.

وفي خيبر حصون وقلاع غير هذه الثمانية، إلا أنها كانت صغيرة لا تبلغ إلى درجة هذه القلاع في مناعتها وقوتها.

والقتال المرير إنما دار في الشطر الأول منها، أما الشطر الثاني فحصونها الثلاثة مع كثرة المحاربين فيها سلمت دونما قتال<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه ابن هشام في السيرة (٧٩٢/٣) والطبراني في الكبير (٧٢٩٩/٨) وصححه ابن خزيمة (٢٥٦٥/٤) والحاكم (٤٤٦/١) ووافقه الذهبي وحسنه الحافظ ابن حجر كما في الفتوحات الربانية (١٥٤/٥) والألباني في تحقيقه لفقه السيرة (ص: ٣٥٣).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٣٢٩/٢).

(٣) الرحيق المختوم (ص: ٣٩٧).

## صاحب الراية الذى يفتح الله على يديه حصون خيبر

عن سهل بن سعد - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطينَّ هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحبُّ الله ورسوله ويحبه الله ورسوله». قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم، أيُّهم يُعطاها؟ فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلُّهم يرجو أن يُعطاها، فقال: «أين على بن أبى طالب؟» فقيل: هو يا رسول الله يشتكى عينيه. قال: فأرسلوا إليه فأتى به. فبصق رسول الله ﷺ فى عينيه ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجعٌ، فأعطاه الراية، فقال على: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حقِّ الله فيه، فوالله؛ لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من أن يكون لك حمر النعم»<sup>(١)</sup>.

وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطينَّ هذه الراية رجلاً يحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه». قال عمر بن الخطاب: ما أحببتُ الإمارة إلا يومئذ. قال: فتساورتُ لها رجاءً أن أدعى لها، قال: فدعا رسول الله ﷺ على بن أبى طالب فأعطاه إياها. وقال: «امش ولا تلتفت، حتى يفتح الله عليك». فسار (على) شيئاً، ثم وقف ولم يلتفت، فصرخ: يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس؟ قال: «قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله»<sup>(٢)</sup>.

وإنما سابق رسول الله بهذا النصح الرشيد حتى يقطع النفوس عن المغانم المعجلة، فإن ثروة يهود - إذا هزموا - ضخمة. ولكن ثواب مقاتليهم - إذا اهدوا - أضخم.

وعند البخارى عن سلمة، قال: «كان على قد تخلف عن النبي ﷺ فى خيبر، وكان به رمدٌ، فقال: أنا أتخلف عن رسول الله ﷺ؟! فخرج على فلحق بالنبي ﷺ، فلما كان مساء الليلة التى فتحها الله فى صباحها، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لأعطينَّ الراية - أو ليأخذنَّ الراية - غداً رجلاً يحبُّ الله ورسوله - أو قال: يحبُّ الله ورسوله - يفتح الله عليه». فإذا نحن بعلى، وما نرجوه، فقالوا: هذا على: فأعطاه

(١) أخرجه البخارى (٤٢١٠) ومسلم (٢٤٠٦) والنسائى فى فضائل الصحابة (٤٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٠٥) - وأحمد (٣٨٤/٢) والطيالسى (٢٤٤١).

رسول الله ﷺ الراية، ففتح الله عليه»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي سعيد الخدرى، قال: إن رسول الله ﷺ أخذ الراية فهزّها، ثم قال: «مَنْ يأخذها بحقّها؟» فجاء فلان فقال: أنا. قال: أمط. ثم جاء رجلٌ فقال: أمط. ثم قال النبي ﷺ: «والذى كرّم وجه محمد، لأعطينّها رجلاً لا يفرّ، هاك يا على» فأنطلق حتى فتح الله عليه خيبر وفدك، وجاء بعجوتهما وقديدهما<sup>(٢)</sup>.

### (على) (٣) يقتل (مرحب اليهودى)

وأول حصن هاجمه المسلمون من هذه الحصون الثمانية هو حصن ناعم، وكان خط الدفاع الأول لليهود لمكانه الاستراتيجى، وكان هذا الحصن هو حصن مرحب البطل اليهودى الذى كان يُعد بالألف.

خرج على بن أبى طالب - رضى الله عنه - بالمسلمين إلى هذا الحصن، ودعا اليهود إلى الإسلام، فرفضوا هذه الدعوة، وبرزوا إلى المسلمين ومعهم ملكهم مرحب، فلما خرج إلى ميدان القتال دعا إلى المبارزة.

\* فعن سلمة بن الأكوع (رضى الله عنه) «... قال: فلما قدمنا خيبر قال: خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه ويقول:

قد علمت خيبر أنى مرحب

شاكى السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلهب

قال: وبرز له عمى عامر فقال:

قد علمت خيبر أنى عامر

شاكى السلاح بطل مغامر

(١) أخرجه البخارى (٣٧٠٢) - ومسلم (٢٤٠٧).

(٢) رواه أحمد (١٦/٣) وفى فضائل الصحابة (٩٨٧) وإسناده حسن.

(٣) قال الإمام النووى فى تهذيب الأسماء واللغات ما نصه: «اختلفوا فى قاتل مرحب، فقيل على بن أبى طالب، وقال ابن عبد البر فى كتابه الدرر فى مختصر السير، قال محمد بن إسحاق: أن محمد بن مسلمة هو الذى قتل مرحباً اليهودى بخيبر، قال وخالفه غيره، فقال: بل قتله على بن أبى طالب، قال ابن عبد البر: هذا هو الصحيح عندنا، ثم روى ذلك بإسناده عن بريدة وسلمة بن الأكوع. [الفتح الربانى (١٢١/٢١)].

قال الحاكم فى المستدرک: «الأخبار متواترة بأسانيد كثيرة أن قاتل مرحب أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه»، ووافقه الذهبى على ما قال (٤٣٧/٣).

قال: فاختلفا ضربتين، فوق سيف مرحب في ترس عامر، وذهب عامر يسفل له فرجع سيفه على نفسه، فقطع أكحله، فكانت فيها نفسه.

قال سلمة: فخرجت فإذا نفر من أصحاب النبي ﷺ يقولون: بطل عمل عامر، قتل نفسه. قال: فأتيت النبي ﷺ وأنا أبكي، فقلت: يا رسول الله! بطل عمل عامر؟ قال رسول الله ﷺ: «من قال ذلك؟» قلت: ناس من أصحابك قال: «كذب من قال ذلك. بل له أجره مرتين».

\* قال سلمة (رضى الله عنه): «ثم أرسلني رسول الله ﷺ إلى (علي) وهو أرمدم، فقال: «لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، أو يحبه الله ورسوله». قال: فأتيت علياً فبجئت به أقوده وهو أرمدم، حتى أتيت به رسول الله ﷺ، فبصق في عينيه فبرأ، وأعطاه الراية. وخرج «مرحب» فقال:

قد علمتُ خيرٌ أني مرحبٌ      شاكي السلاحِ بطلٌ مُجربٌ  
إذا الحروبُ أقبلتُ تلَهَّبُ

فقال عليٌّ:

أنا الذي سمَّتي أُمِّي حَيْدَرَةَ<sup>(١)</sup>      كلَّيتُ غاباتِ كَرِيهِ المنظَرَةِ  
أوفِّيهمُ بالصاعِ كَيْلَ السَّنَدَرَةِ

قال: فضرب رأس «مرحب» فقتله، وكان الفتح على يديه<sup>(٢)</sup>.

\* مرحب هذا: فارس فرسان اليهود، وكان مكتوباً على سيفه بالعبرية:

هذا سيفُ مرحبٍ      من يذُقُه يعطِبُ

فضربه عليٌّ فقدَّ الحجرَ والمغفرَ ورأسه، ووقع السيفُ في الأضراس.

وقبله قتل (علي) أخا مرحب، وهو الحارث. وبارز عليٌّ قائداً يهودياً - بعد مبارزة الزبير لياسر - وكان هذا القائد الفارس يُسمَّى عامراً، فقتله عليٌّ أمام الحصن. قال رسول الله ﷺ: «حين طلع عامرٌ: «تروئنه خمسة أذرع؟» وكان طويلاً جسيماً، فلما دعا للبراز، وخطر بسيفه، وعليه درعان، وهو مُقنَّعٌ في الحديد يصيح: من يبارز؟ فأحجم

(١) حيدة: هو الأسد.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٠٧) عن سلمة بن الأكوع.

الناس عنه، فبرز إليه (عليّ) فضربه ضربات، كل ذلك لا يصنع شيئاً، حتى ضرب ساقه فبرك، ثم ذقّف<sup>(١)</sup> عليه فأخذ سلاحه<sup>(٢)</sup>.

وفتح الله على يديه حصن (ناعم) وهو من أقوى حصون خيبر.  
فيا لها من صفحات مشرقة لا ننساها أبداً ما دامت أرواحنا في أبداننا.

### فتح حصن الصعب بن معاذ

وكان حصن الصعب الحصن الثاني من حيث القوة والمناعة بعد حصن ناعم، قام المسلمون بالهجوم عليه تحت قيادة الحباب بن المنذر الأنصاري، ففرضوا عليه الحصار ثلاثة أيام، وفي اليوم الثالث، دعا رسول الله ﷺ لفتح هذا الحصن دعوة خاصة.

ولما ندب النبي ﷺ المسلمين بعد دعائه لمهاجمة هذا الحصن كان بنو أسلم هم المقاديم في المهاجمة، ودار البراز والقتال أمام الحصن. ثم فُتِح الحصن في ذلك اليوم قبل أن تغرب الشمس، ووجد فيه المسلمون بعض المنجنيقات والدبابات.

ولأجل هذه المجاعة الشديدة كان رجال من الجيش قد ذبحوا الحمير، ونصبوا القدور على النيران، فلما علم رسول الله ﷺ بذلك نهى عن لحوم الحمر الإنسية<sup>(٣)</sup>.<sup>(٤)</sup>

(١) أجهز عليه.

(٢) سلسلة معارك الإسلام الفاصلة - خيبر - لمحمد أحمد بشاميل (ص ١٢٢).

(٣) أخرجه البخاري (٤٢١٦) ومسلم (١٤٠٧) وابن ماجه (١٩٦١).

(٤) عن علي بن أبي طالب رضی الله عنه: أن رسول الله ﷺ نهى عن متعة النساء يوم خيبر، وعن أكل لحوم الحمر الإنسية. (أخرجه البخاري) وعن ابن عباس رضی الله عنهما: أن النبي ﷺ نهى عن المتعة، وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر. (أخرجه البخاري).

قال الحافظ: قال الماوردي في الحاوي في تعيين موضع تحريم المتعة وجهان: أحدهما: أن التحريم تكرر ليكون أظهر وأنشر حتى يعلمه من لم يكن علمه، لأنه قد يحضر في بعض المواطن من لا يحضر في غيرها. والثاني أنها أبيحت مراراً، ولهذا قال في المرة الأخيرة «إلى يوم القيامة» إشارة إلى أن التحريم الماضي كاف مؤذناً بأن الإباحة تعقبه، بخلاف هذا، فإنه تحريم مؤبد لا تعقبه إباحة أصلاً. وهذا الثاني هو المعتمد، ويرد الأول التصريح بالإذن فيها في الموطن المتأخر عن الموطن الذي وقع التصريح فيه بتحريمها كما في غزوة خيبر ثم الفتح.

وقال النووي: الصواب أن تحريمها وإباحتها وقما مرتين فكانت مباحة قبل خيبر ثم حرمت فيها، ثم أبيحت عام الفتح وهو عام أوطاس، ثم حرمت تحريماً مؤبداً، قال ولا مانع من تكرير الإباحة. [فتح الباري (٧٥/٩)]. أما تحريم الحمر الإنسية، وفي رواية الأهلية، فقيل الحكمة فيها أنها تأكل العذرة، وقيل: لأنها كانت حمولة الناس فكره أن تذهب حمولتهم.

### فتح قلعة الزبير

وبعد فتح حصن ناعم والصعب تحول اليهود من كل حصون النظاة إلى قلعة الزبير، وهو حصن منيع في رأس قلة، لا تقدر عليه الخيل والرجال لصعوبته وامتناعه، ففرض عليه رسول الله ﷺ الحصار، وأقام محاصراً ثلاثة أيام لهم فجاء رجل من اليهود، وقال: يا أبا القاسم إنك لو أقمت شهراً ما بالوا، إن لهم شراباً وعيوناً تحت الأرض، يخرجون بالليل ويشربون منها، ثم يرجعون إلى قلعتهم فيمتنعون منك، فإن قطعت مشربهم عليهم أسحروا لك، فقطع ماءهم عليهم، فخرجوا فقاتلوا أشد القتال، قُتل فيه نفر من المسلمين وأصيب نحو العشرة من اليهود، وافتتحه رسول الله ﷺ.

### فتح قلعة أبيّ

وبعد فتح قلعة الزبير انتقل اليهود إلى قلعة أبيّ وتحصنوا فيه، وفرض المسلمون عليهم الحصار وقام بطلان من اليهود واحد بعد الآخر بطلب المبارزة، وقد قتلها أبطال المسلمين، وكان الذي قتل المبارز الثاني هو البطل المشهور أبو دجانة سماك بن خرشة الأنصاري صاحب العصابة الحمراء، وقد أسرع أبو دجانة بعد قتله إلى اقتحام القلعة، واقتحم معه الجيش الإسلامي، وجرى قتال مرير ساعة داخل الحصن، ثم تسلل اليهود من القلعة، وتحولوا إلى حصن النزار آخر حصن في الشطر الأول.

### فتح حصن النزار

كان هذا الحصن أمنع حصون هذا الشطر، وكان اليهود على شبه اليقين بأن المسلمين لا يستطيعون اقتحام هذه القلعة، وإن بذلوا قصارى جهدهم في هذا السبيل، ولذلك أقاموا في هذه القلعة مع الذراري والنساء، بينما كانوا قد أخذوا منها القلاع الأربعة السابقة.

وفرض المسلمون على هذا الحصن أشد الحصار وصاروا يضغطون عليهم بعنف، ولكون الحصن يقع على جبل مرتفع منيع لم يكونوا يجدون سبيلاً للاقتحام فيه، أما اليهود فلم يجترئوا للخروج من الحصن، للاشتباك مع قوات المسلمين، ولكنهم قاوموا المسلمين مقاومة عنيدة برشق النبال، وبإلقاء الحجارة.



وعندما استعصى حصن النزار على قوات المسلمين، أمر النبي ﷺ بنصب آلات المنجنيق، ويبدو أن المسلمين قذفوا بها القذائف، فأوقعوا الخلل في جدران الحصن، واقتحموه، ودار قتال مرير في داخل الحصن، انهزم أمامه اليهود هزيمة منكرة، وذلك لأنهم لم يتمكنوا من التسلل من هذا الحصن كما تسللوا من الحصون الأخرى بل فروا من هذا الحصن تاركين للمسلمين نساءهم وذرايرهم .

وبعد فتح هذا الحصن المنيع تم فتح الشطر الأول من خيبر، وهى ناحية النطاة والشق، وكانت فى هذه الناحية حصون صغيرة أخرى إلا أن اليهود بمجرد فتح هذا الحصن المنيع أخلوا هذه الحصون، وهربوا إلى الشطر الثانى من بلدة خيبر.

### فتح الشطر الثانى من خيبر

ولما فتح ناحية النطاة والشق، تحوّل رسول الله ﷺ إلى أهل الكتيبة والوطيح والسلالم حصن أبى الحقيق من بنى النضير، وجاءهم كل من كان انهزم من النطاة والشق، وتحصّن هؤلاء أشد التحصن.

فلما أتى رسول الله ﷺ إلى هذه الناحية - الكتيبة - فرض على أهلها أشد الحصار، ودام الحصار أربعة عشر يوماً، واليهود لا يخرجون من حصونهم، حتى همّ رسول الله ﷺ أن ينصب عليهم المنجنيق، فلما أيقنوا بالهلكة سألوا رسول الله ﷺ الصلح<sup>(١)</sup>.

### النبي ﷺ يعالج سلمة بن الأكوع

\* عن يزيد بن أبى عبيد قال: «رأيت أثر ضربة فى ساق (ابن الأكوع) فقلت: يا أبا مسلم ما هذه الضربة؟ فقال: هذه ضربة أصابها يوم خيبر، فقال الناس: أصيب سلمة، فأتيت النبي ﷺ، فنفت فيه ثلاث نفثات، فما اشتكيت حتى الساعة»<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) بتصرف من الرحيق المختوم.

(٢) أخرجه البخارى فى المغازى باب غزوة خيبر حديث رقم (٤٢٠٦) أبو داود فى الطب، باب كيف الرقى حديث رقم (٣٨٩٤).

### إِنْ تَصَدَّقَ اللَّهُ يَصَدِّقَكَ

\* عن شداد بن الهاد (رضى الله عنه): «أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ، فأمن به، واتبعه، ثم قال: أهاجر معك، فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه، فلما كانت غزوة (خيبر أو حنين)<sup>(١)</sup>، غنم النبي ﷺ سبيًا، فقسم، وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قَسَمَ قَسَمَهُ لَكَ النَّبِيُّ ﷺ، فأخذته، فجاء به إلى النبي ﷺ فقال: ما هذا؟ قال: «قسمته لك»، قال: ما على هذا اتبعتك، ولكنى اتبعتك على أن أرمى إلى ههنا (وأشار إلى حلقه) بسهم، فأموت، فأدخل الجنة. فقال: «إن تصدق الله يصدقك»، فلبثوا قليلاً، ثم نهضوا في قتال العدو، فأتى به النبي ﷺ يُحْمَلُ قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ، فقال النبي ﷺ: «أهو هو؟» قالوا: نعم. قال: «صدق الله، فصدقه»، ثم كفنه النبي ﷺ في جبة النبي ﷺ، ثم قدمه فصلى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته: «اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك، فقتل شهيداً أنا شهيد على ذلك»<sup>(٢)</sup>.

### أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ

عن سهل بن سعد الساعدي رضى الله عنه قال: «إن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون، فاقتتلوا. فلما مال رسول الله ﷺ إلى عسكره، مال الآخرون إلى عسكرهم، وفي أصحاب رسول الله ﷺ رجل لا يدع لهم شاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه، فقالوا: ما أجزأنا اليوم أحد كما أجزأ فلان، فقال: رسول الله ﷺ: «أما إنه من أهل النار»، فقال رجل من القوم: أنا صاحبه أبداً.

قال: فخرج معه، كلما وقف وقف معه، وإذا أسرع أسرع معه، قال فجرح الرجل جرحاً شديداً، فاستعجل الموت فوضع نصل السيف بالأرض، وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل على سيفه، فقتل نفسه، فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله، قال: «وما ذاك؟» قال: الرجل الذي ذكرت أنك من أهل النار، فأعظم الناس

(١) ما بين الخاصرتين من رواية الحاكم (٣/٥٩٥).

(٢) أخرجه النسائي في كتاب الجنائز باب الصلاة على الشهداء: ٤/٦٠، والطحاوي في شرح معاني الآثار:

١/٢٩١، والبيهقي في السنن: ٤/١٥-١٦، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (١٨٤٥).

ذلك، فقلت: أنا لكم به، فخرجت في طلبه حتى جرح جرحاً شديداً، فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه بالأرض، وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل عليه فقتل نفسه.

فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة»<sup>(١)</sup>.

وقد جاء من حديث أبي هريرة رضى الله عنه بنفس المعنى وجاء التصريح فيه بأن الغزوة كانت غزوة خيبر، وكانت غزوة خيبر<sup>(٢)</sup> أول الغزوات التي حضرها، مع رسول الله ﷺ.

### قصة عبد الله بن مغفل (وجراب الشحم)

\* عن عبد الله بن مغفل رضى الله عنه فى الصحيحين قال: «أصبت جراباً من شحم يوم خيبر، قال: فالتزمته، فقلت: لا أعطى اليوم أحداً من هذا شيئاً، قال: فالتفت فإذا رسول الله ﷺ مبتسماً» واللفظ لمسلم، وفى اللفظ المتفق عليه، «رمى إلينا جراب فيه طعام وشحم يوم خيبر، فوثبت لآخذه، قال: فالتفت فإذا رسول الله ﷺ فاستحييت منه»<sup>(٣)</sup>.

### إن صاحبكم غلّ فى سبيل الله

\* عن زيد بن خالد الجهنى (رضى الله عنه): «أن رجلاً من أصحاب النبى ﷺ توفى يوم خيبر، فذكروا لرسول الله ﷺ، فقال: «صلوا على صاحبكم»، فتغيرت وجوه الناس لذلك، فقال: «إن صاحبكم غلّ فى سبيل الله» ففتشنا متاعه فوجدنا خرزاً من خرز يهود لا يساوى درهمين»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخارى فى المغازى باب غزوة خيبر حديث رقم: (٤٢٠٢، ٤٢٠٧) مسلم فى صحيحه كتاب الإيمان باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه حديث (١١٢).

(٢) أخرجه البخارى فى المغازى باب غزوة خيبر (٤٢٠٣) مسلم فى الإيمان باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه حديث رقم (١١١).

(٣) أخرجه البخارى (٤٢١٤) المغازى - ومسلم (١٧٧٢) الجهاد والسير.

(٤) رواه أبو داود (٢٧١٠)، والنسائى (٦٤/٤)، والحاكم (١٢٧/٢)، وصححه، ووافقه الذهبى.

## وبذلك تم فتح خيبر

وأرسل ابن أبي الحقيق إلى رسول الله ﷺ: «انزل فأكلّمك؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم»، فنزل ابن أبي الحقيق، فصالح رسول الله ﷺ على حغن دماء من في حصونهم من المقاتلة وترك الذرية لهم، ويخرجون من خيبر وأرضها بذرايرهم، ويخلون بين رسول الله ﷺ وبين ما كان لهم من مال وأرض، وعلى الصفراء والبيضاء، والكراع والحلقة، فقال رسول الله ﷺ: «وبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كنتمونى شيئاً»، فصالحوه على ذلك<sup>(١)</sup>.

وبعد هذه المصالحة تم تسليم الحصون إلى المسلمين وبذلك تم فتح خيبر.

\* عن ابن عمر رضى الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ قاتل أهل خيبر حتى ألجأهم إلى مقرهم، فغلب على الأرض والنخل والزرع، فصالحوه على أن يجلوها منها، ولهم ما حملت ركابهم، ولرسول الله ﷺ الصفراء والبيضاء (والحلقة)، ويخرجون منها. فاشتراط عليهم أن لا يكتموا شيئاً، ولا يغيّبوا شيئاً، فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عصمة، فغيّبوا مسكاً فيه مال وحلياً لحبي بن أخطب كان احتمله معه إلى خيبر حين أجليت النضير، فقال رسول الله ﷺ لعمر حبي (سعية): «ما فعل مسك حبي الذي جاء به من النضير؟» فقال: أذهبته النفقات والحروب، فقال رسول الله ﷺ: «العهد قريب، والمال أكثر من ذلك».

فدفعه رسول الله ﷺ إلى الزبير فمسّه بعذاب، وكان حبي قبل ذلك قد دخل خربة، فقال: قد رأيت حياً يطوف في خربة ها هنا، فذهبوا، فطافوا، فوجدوا المسك في الخربة، فقتل رسول الله ﷺ ابني أبي الحقيق، وأحدهما زوج صفية بنت حبي بن أخطب، وسبى رسول الله ﷺ نساءهم وذرايرهم، وقسم أموالهم للثك الذي نكثوا، وأراد أن يجليهم منها، فقالوا: يا محمد دعنا نكون في هذه الأرض نصلحها، ونقوم عليها، ولم يكن لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه غلمان يقومون عليها، وكانوا لا يتفرغون أن يقوموا عليها. فأعطاهم خيبر على أن لهم الشطر من كل نخل وزرع وشيء ما بدا لرسول الله ﷺ.

وكان عبد الله بن رواحة يأتيهم كل عام يخرصها عليهم، ويضمنهم الشطر، قالوا: فشكوا إلى رسول الله ﷺ شدة خرصه، وأرادوا أن يرشوه، فقال: يا أعداء الله أتطمعونى السحت؟ والله لقد جئتكم من عند أحب الناس إليّ، ولأنتم أبغض الناس إليّ من عدتكم من القردة والخنازير ولا يحملنى بغضى إياكم، وحبي إياه على أن لا أعدل عليكم، فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض».

وكان رسول الله ﷺ يعطى كل امرأة من نسائه ثمانين وسقاً من تمر كل عام، وعشرين وسقاً من شعير، فلما كان زمان عمر بن الخطاب غشوا المسلمين، وألقوا ابن عمر من فوق بيت، ففدغوا يديه، فقال عمر بن الخطاب: من كان له سهم من خير، فليحضر حتى نقسمها بينهم، فقسمها بينهم وقال رئيسهم: لا تُخرجنا دعنا نكون فيها كما أقرنا رسول الله ﷺ وأبو بكر، فقال عمر: لرئيسهم: أترأه سقط عنى قول رسول الله ﷺ: «كيف بك إذا رقصت بك راحلتك تخوم الشام يوماً ثم يوماً ثم يوماً»، وقسمها عمر بين من كان شهد خيبر من أهل الحديبية<sup>(١)</sup>.

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله:-

ولم يقتل رسول الله ﷺ بعد الصلح إلا ابني أبي الحقيق للنكت الذى نكثوا، فإنهم شرطوا إن غيبوا، أو كتموا، فقد برئت منهم ذمة الله وذمة رسوله، فغيبوا، فقال لهم: أين المال الذى خرجتم به من المدينة حين أجلبناكم؟ قالوا: ذهب، فحلفوا على ذلك، فاعترف ابن عم كنانة عليهما بالمال حين دفعه رسول الله ﷺ إلى الزبير يعذبه، فدفع رسول الله ﷺ كنانة إلى محمد بن مسلمة فقتله ويقال: إن كنانة هو كان قتل أخاه محمود بن سلمة<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) الحديث أخرجه أبو داود منه الشطر الأول فى كتاب الخراج باب ما جاء فى حكم أرض خيبر حديث رقم: ٣٠٠٦، موارد الظمان حديث رقم: ١٦٩٧، المغازى باب ما جاء فى خيبر وفى سنن البيهقى: ١١٤/٦، وفى دلائل البيهقى: ٢٢٩/٤ - ٢٣١، والحديث إسناده صحيح وقد أخرجه مختصراً أحمد: ١٧/٢، ٢٢، ٣٧، البخارى: ٣٢٨، ومسلم برقم: ١٥٥١، وأبو داود برقم: ٣٤٠٨، الترمذى برقم: ١٣٨٣، وابن ماجه برقم: ٢٤٦٧.

(٢) زاد المعاد (٣/٣٢٦: ٣٢٧) بتصرف.

## النبي ﷺ يتزوج صفية بنت حَيِّ بن أخطب

وكانت صفية بنت حَيِّ بن أخطب (زعيم اليهود) بين من أُسرن من نساء خيبر، وقعت في يد أحد الصحابة. فاستردها منه الرسول. ثم اعتقها وبنى بها، وجعل مهرها عتقها.

\* عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «قدمنا خيبر، فلما فتح الله عليه الحصن ذُكر له جمال صفية بنت حَيِّ بن أخطب وقد قُتل زوجها، وكانت عروساً، فاصطفاها رسول الله ﷺ لنفسه، فخرج بها، حتى بلغنا سد الصهباء، حلَّت، فبنى بها رسول الله ﷺ، ثم صنع حيساً في نطع صغير، ثم قال لى: «أذن من حولك»، فكانت تلك وليمة على صفية، ثم خرجنا إلى المدينة، فرأيت النبي ﷺ يحوى لها وراءه بعباءة، ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته، وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب»<sup>(١)</sup>.

\* وقد جاء هذا الحديث بلفظ آخر من حديث أنس أكثر تفصيلاً، «صارت صفية لدحية في مقسمه، وجعلوا يمدحونها عند رسول الله ﷺ قال: ويقولون: ما رأينا فى السبي مثلاً، قال: فبعث إلى دحية، فأعطاه بها ما أراد، ثم دفعها إلى أمى فقال: «أصلحها».

قال: ثم خرج رسول الله ﷺ من خيبر، حتى إذا جعلها فى ظهره نزل، ثم ضرب عليها القبة. فلما أصبح قال رسول الله ﷺ «من كان عنده فضل زاد فليأتنا به» قال: فجعل الرجل يجىء بفضل التمر، وفضل السوق، حتى جعلوا من ذلك سواداً حيساً<sup>(٢)</sup>، فجعلوا يأكلون من ذلك الحيس ويشربون من حياض إلى جنبهم من ماء السماء، قال: فقال أنس: فكانت تلك وليمة رسول الله ﷺ عليها.

قال: فانطلقنا، حتى إذا رأينا جدر المدينة هششنا<sup>(٣)</sup> إليها، فرفعنا مطينا<sup>(٤)</sup> ورفع رسول الله ﷺ مطيته، قال: وصفية خلفه قد أردفها رسول الله ﷺ قال: فعثرت مطية رسول الله ﷺ، فصُرُع وصرعت، قال: فليس أحد من الناس ينظر إليه ولا إليها، حتى

(١) أخرجه البخارى فى المغازى باب غزوة خيبر حديث رقم (٤٢١١) وتفرد به دون مسلم.

(٢) سواداً حيساً: كوماً مرتفعاً فخلطوه وجعلوه حيساً.

(٣) هششنا: نشطنا وخففنا.

(٤) رفعنا مطينا: أسرعنا بها.

قام رسول الله ﷺ فسترها، قال: فأتيناها فقال: لم تُضر، قال: فدخلنا المدينة، فخرج جوارى نسائه يتراءينها، ويشمتن بصرعتها<sup>(١)</sup>» (٢). (٣)

\* ومن حديث أنس أيضاً قال: «أقام النبي ﷺ بين خيبر والمدينة ثلاث ليال يبنى عليه بصفية، فدعوت المسلمين إلى وليمته، وما كان فيها من خبز ولا لحم، وما كان فيها إلا أن أمر بلالاً بالأنطاع، فبُسطت، فألقى عليها التمر والأقط والسمن، فقال المسلمون: إحدى إمهات المؤمنين أو ما ملكت يمينه؟ قالوا: إن حجبها فهي إحدى أمهات المؤمنين، وإن لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه، فلما ارتحل واطأ خلفه، ومد الحجاب»<sup>(٤)</sup>.

### مهرها

\* عن أنس رضى الله عنه قال: «سبى النبي ﷺ صفية، فأعتقها، وتزوجها، فقال ثابت لأنس: ما أصدقها؟ قال: أصدقها نفسها فأعتقها»<sup>(٥)</sup>.

\*\*\*

(١) يشمتن بصرعتها: يظهرن السرور بوقعتها.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب النكاح، باب فضيلة إعتاقه أمة ثم يتزوجها، حديث (١٣٦٥) ٢/٤٧-١٠٤٨، وقد جاء بزيادات بسيرة انظرها في هذا الرقم عند مسلم.

(٣) قال الإمام النووي: قال المازرى وغيره: يحتمل ما جرى مع دحية وجهين أحدهما: أن يكون رد الجارية برضاء وأذن له في غيرها.

والثاني: أنه إنما أذن له في جارية له من حشو السبى لا أفضلهن، فلما رأى النبي ﷺ أنه أخذ أنفسهن وأجودهن نسباً وشرقاً في قومها وجمالاً استرجعها؛ لأنه لم يأذن فيها، ورأى في إبقائها لدحية مفسدة لتمييزه على باقى الجيش، ولما فيه من انتهاكها مع مرتبتها، وكونها بنت سيدهم، ولما يخاف من استعلائها على دحية بسبب مرتبتها، وربما ترتب على ذلك شقاق أو غيره، فكان أخذه ﷺ إيها لنفسه قاطعاً لكل هذه المفاسد المتخوفة، ومع هذا ففوض دحية عنها... وقوله في الرواية الأخرى (أنها وقعت في سهم دحية فاشتراها رسول الله ﷺ بسبعة أرؤس) يحتمل أن المراد بقوله: (وقعت في سهمه) أى حصلت بالإذن في أخذ جارية، ليوافق باقى الروايات وقوله: (اشتراها) أى أعطاه بدلها سبعة أنفس تطيباً لقلبه، لا أنه جرى عقد بيع، وعلى هذا تتفق الروايات. وهذا الإعطاء لدحية محمول على التثليل: [مسلم بشرح النووي (٣١٣/٩: ٣١٤)].

(٤) أخرجه البخارى فى المغازى باب غزوة خيبر حديث رقم: ٤٢١٣، وقد تفرد به دون مسلم.

(٥) أخرجه البخارى فى المغازى باب غزوة خيبر حديث: ٤٢٠١، وقد انفرد به البخارى من هذا الوجه.

### بالمؤمنين رءوف رحيم

\* وما أجمل أن تدبر سويًا كيف كان الحبيب ﷺ رحيمًا متواضعًا يخاطب كل من حوله برحمة وحنان ويدع له المجال ليعبر عما يجيش في نفسه ثم يخاطبه بكل رحمة ليزيل الشبه ويحلّي الحقائق.. وهذا هو الذى حدث مع أمنا صفية (رضى الله عنها).

\* فعن ابن عمر (رضى الله عنهما) قال:

كان بعينى صفية خُصرة، فقال لها النبي ﷺ: «ما هذه الخصرة بعينيك؟».

قالت: قلت لزوجي: إنى رأيت فيما يرى النائم كأن قمرًا وقع في حجرى، فلطمنى، وقال: أتريدين ملك يثرب؟ قالت: وما كان أبغض إليّ من رسول الله ﷺ قتل أبى وزوجى، فما زال يعتذر إليّ وقال: يا صفية إن أباك ألب على العرب وفعل وفعل «حتى ذهب ذلك من نفسى»<sup>(١)</sup>.

ولا نجد تعليقًا على هذا الموقف العظيم إلا أن نتذكر قول الله (عز وجل) حيث يقول: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]<sup>(٢)</sup>.

### فى بيت النبوة

وعادت صفية (رضى الله عنها) مع الحبيب ﷺ بعد أن بنى بها فى طريق العودة إلى المدينة المنورة.. وكانت فى قمة السعادة فهى التى لم يخطر ببالها أن تكون واحدة من نساء المؤمنين فكيف وهى الآن من أمهات المؤمنين.

يا لها من لحظة سعيدة يعجز القلم عن وصفها!!!<sup>(٣)</sup>.

جاء البشير إلى أهل المدينة يعلمهم بقدم رسول الله ﷺ، فخرجت المدينة تستقبل رسول الله ﷺ عند عودته من هذه الغزاة... كانت وجوه الرجال تهلل بالبشر، والولدان

(١) قال الهشمى فى المجمع (١٥٣٧٣): رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح - وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٧٩٣).

(٢) صحايبات حول الرسول ﷺ / للمصنف (ص: ٢٥٩، ٢٦٠).

(٣) صحايبات حول الرسول ﷺ / للمصنف (ص: ٢٦٠).



يغمرهم الفرح، بينما كانت النساء على أسطح المنازل، وقد عمرت أفئدتهن بالسرور. أما المنافقون، فقد كانوا في كمد رهيب، يُظهرون غير ما تخفى الصدور، غصت حلاقيمتهم بنصر رسول الله ﷺ، وفضحهم الله عز وجل، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، وكلمة الله هي العليا<sup>(١)</sup>.

### يهودية تضع للنبي ﷺ شاة مسمومة

ولما اطمأن رسول الله ﷺ بخيبر بعد فتحها أهدت له زينب بنت الحارث - امرأة سلام ابن مشكم - شاة مسمومة.

\* عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «إن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة، فأكل منها، فجىء بها إلى رسول الله ﷺ، فسألها عن ذلك، قالت: أردت لأقتلك، فقال: «ما كان ليلطك على ذلك، أو على»، قال: قالوا: ألا تقتلها، قال: لا، فما زالت أعرفها في لهوات<sup>(٢)</sup> رسول الله ﷺ»<sup>(٣)</sup>.

\* وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: «لما فُتحت خيبر، أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم، فقال رسول الله ﷺ: (اجمعوا لى من ها هنا من اليهود). فجمعوا له، فقال لهم رسول الله ﷺ: (إنى سائلكم عن شىء فهل أنتم صادقونى عنه؟) فقالوا: نعم يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ: (من أبوكم؟) قالوا: أبونا فلان، فقال رسول الله ﷺ: (كذبتم بل أبوكم فلان) فقالوا: صدقت وبررت.

فقال: (هل أنتم صادقونى عن شىء إن أنا سألتكم عنه؟) فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبتك عرفت كما عرفته فى آيينا، فقال لهم رسول الله ﷺ: (من أهل النار؟) فقالوا: نكون فيها يسيراً، ثم تخلفونا فيها، فقال لهم رسول الله ﷺ: (اخسؤوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبداً).

ثم قال لهم: (هل أنتم صادقونى عن شىء إن سألتكم عنه؟) فقالوا: نعم، فقال: (هل جعلتم فى هذه الشاة سمًا؟) فقالوا: نعم، فقال: (ما حملكم على ذلك؟) فقالوا: أردنا

(١) نساء أهل البيت (ص: ٣٥٢).

(٢) لهوات: جمع لهاة، اللحمة الحمراء المعلقة فى أصل الحنك، كأنه بقى للسم علامة، سواداً وغيره.

(٣) أخرجه البخارى فى الهبة باب قبول الهدية من المشركين حديث رقم: ٢٦١٧، مسلم فى السلام حديث

رقم: ٢١٩٠، أبو داود فى الديات رقم: ٤٥٠٨.

إن كنت كذاباً أن نستريح منك، وإن كنت نبياً لم يضرك»<sup>(١)</sup>.

\* وفي رواية ابن اسحاق أن الذي أهدى الشاة زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم وقد سألت: أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ فقبل لها: الذراع، فأكثرت فيها من السم، ثم سمت سائر الشاة ثم جاءت بها، فأما النبي ﷺ فلاك منها شيئاً فلم يسغها وأما بشر بن البراء بن معرور فأساغها، وقال النبي ﷺ: إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم، ثم دعا بها فاعترفت<sup>(٢)</sup>.

### هل قتل النبي ﷺ المرأة التي وضعت السم

قال القاضي عياض: واختلفت الآثار والعلماء هل قتلها النبي ﷺ أم لا، فوقع في مسلم أنهم قالوا ألا نقتلها؟ قال: (لا) ومثله عن أبي هريرة وجابر.

وعن جابر من رواية أبي سلمة أنه قتلها، وفي رواية ابن عباس أنه دفعها إلى أولياء بشر بن البراء بن معرور، وكان أكل منها، فمات بها، فقتلواها.

وقال السهيلي قيل: إنه صفح عنها... قال القاضي: وجه الجمع بين هذه الروايات والأقويل أنه لم يقتلها حين اطلع على سمها، وقيل له: اقتلها فقال: لا، فلما مات بشر ابن البراء بن معرور من ذلك سلمها لأولياءه، فقتلوا قصاصاً، فصح قولهم لم يقتلها أي في الحال، ويصح قولهم قتلها أي بعد ذلك والله أعلم<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١) أخرجه البخاري في الطب باب ما يذكر في سم النبي ﷺ رقم: ٥٧٧٧، وأبو داود في سننه اللديات باب فيمن سقى رجلاً سمّاً حديث رقم: ٤٥٠٩، وأحمد في المسند: ٤٥١/٢.

(٢) قال الحافظ: وفي الحديث إخباره ﷺ عن الغيب، وتكليم الجماد له، ومعاندة اليهود له لاعتراضهم بصدقه فيما أخبر به عن اسم أبيهم، وبما وقع منهم من دسيسة السم، ومع ذلك فعاندوا واستمروا على تكذيبه، وفيه قتل من قتل بالسم قصاصاً، وعن الحنفية إنما تجب فيه الدية، ومحل ذلك إذا استكرهه عليه اتفاقاً وأما إذا دسه عليه ففيه اختلاف للعلماء، فإن ثبت أنه ﷺ قتل اليهودية ببشر بن البراء، ففيه حجة لمن يقول بالقصاص في ذلك والله أعلم، وفيه أن الأشياء - كالسموم وغيرها - لا تؤثر بذواتها بل بإذن الله، لأن السم أثر في بشر فقيل: إنه مات في الحال، وقيل إنه بعد حول. [فتح الباري (٧/٢٥٧: ٢٥٨)].

(٣) شرح صحيح مسلم (١٤/١٧٩).

### شدة تأثر النبي ﷺ بالسم

وقد ورد أن هذه الأكلة كانت من أسباب مرض النبي ﷺ - مرض الوفاة -  
 \* عن عائشة رضی الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يقول في مرضه الذي مات  
 فيه: (يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع  
 أبهرى من ذلك السم)»<sup>(١)</sup>.

### قسمة الغنائم

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وقسم رسول الله ﷺ خيبر على ستة وثلاثين سهماً  
 جمع كل سهم مائة سهم فكانت ثلاثة آلاف وستمائة سهم وكان لرسول الله ﷺ  
 وللمسلمين النصف من ذلك وهو ألف وثلثمائة سهم لرسول الله ﷺ سهم كسهم أحد  
 المسلمين وعزل النصف الآخر، وهو ألف وثمانمائة سهم لنوابه وما ينزل به من أمور  
 المسلمين<sup>(٢)</sup>. وقال البيهقي: وهذا لأن خيبر فُتِحَ شطرها عنوة وشرطها صلحاً.

قال الإمام ابن القيم: وهذا بناء منه على أصل الشافعي رحمه الله أنه يجب قسم  
 الأرض المفتوحة عنوة كما تقسم سائر المغنم، فلما لم يجده قسم النصف من خيبر قال:  
 إنه فتح صلحاً، ومن تأمل السير والمغازي حق التأمل تبين له أن خيبر إنما فُتِحَت عنوة،  
 وأن رسول الله ﷺ استولى على أرضها كلها بالسيف عنوة ولو فُتِحَ شيء منها صلحاً لم  
 يُجلبهم رسول الله ﷺ منها، فإنه لما عزم على إخراجهم منها قالوا: نحن أعلم بالأرض  
 منكم دعونا نكون فيها ونعمرها لكم بشرط ما يخرج منها، وهذا صريح جداً في أنها إنما  
 فُتِحَت عنوة... إلى أن قال رحمه الله فالصواب الذي لا شك فيه: أنها فُتِحَت عنوة،  
 والإمام مخير في أرض العنوة بين قسمتها ووقفها أو قسم بعضها ووقف البعض، وقد  
 فعل رسول الله ﷺ الأنواع الثلاثة: فقسم قريظة والنضير، ولم يقسم مكة، وقسم شطر

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب مرض النبي ﷺ ووفاته برقم (٤٤٢٨) معلقاً، أحمد في المسند (١٨/٦) والدارمي: (٣٣، ٣٢/١).

وقد أخرجه الحاكم في المستدرک: ٢٠٩/٣، عن أم بشر بن البراء بن معرور قريباً من هذا الحديث، وقال:  
 صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، ومن حديث أبي هريرة عند ابن سعد.

(٢) رواه أبو داود (٢٩٩٤، ٢٩٩٥) الخراج: باب ما جاء في حكم أرض خيبر. وقال الألباني صحيح بما قبله  
 رقم ٢٦٠٥ صحيح أبي داود.

خير وترك شطرها.

وقسم للفارس ثلاثة أسهم وللراجل سهمًا، وكانوا ألفًا وأربعمائة، وفيهم مائتا فارس، هذا هو الصحيح الذي لا ريب فيه<sup>(١)</sup>.

### كيفية القسمة

\* عن ابن عمر رضِيَ اللهُ عنهما قال: «قسم رسول الله ﷺ يوم خيبر للفارس سهمين وللراجل سهمًا، قال: فسره نافع فقال: إذا كان مع الرجل فرس فله ثلاثة أسهم، فإن لم يكن له فرس فله سهم»<sup>(٢)</sup>.

\* وعن بشير بن أبي حثمة قال: «قسم رسول الله ﷺ خيبر نصفين، نصفًا لنوابه وحاجته، ونصفًا بين المسلمين، قسمها بينهم على ثمانية عشر سهمًا»<sup>(٣)</sup>.

### سهم ذوى القربى

\* عن جبير بن مطعم رضِيَ اللهُ عنه: «أنه جاء هو وعثمان بن عفان يكلمان رسول الله ﷺ فيما قسم الخمس بين بنى هاشم وبنى المطلب، فقلت: يا رسول الله قسمت لإخواننا بنى المطلب ولم تعطنا شيئًا، وقرابتنا وقرابتهم منك واحدة، فقال النبي ﷺ: (إنما بنو هاشم وبنو المطلب واحد) قال جبير: ولم يقسم لبنى عبد شمس، ولا لبنى نوفل من ذلك الخمس، كما قسم لبنى هاشم وبنى المطلب، قال: وكان أبو بكر يقسم الخمس نحو قسم رسول الله ﷺ غير أنه لم يكن يعطى قربي رسول الله ﷺ ما كان النبي ﷺ يعطيهم، قال: وكان عمر بن الخطاب يعطيهم منه، وعثمان بعده»<sup>(٤)</sup>.

\*\*\*

(١) باختصار من زاد المعاد (٣/٣٢٨، ٣٢٩).

(٢) أخرجه البخارى (٤٢٢٨) المغازى - ومسلم (١٧٦٢) الجهاد والسير.

(٣) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الخراج والفقهاء... باب ما جاء فى حكم خيبر حديث رقم (٣٠١٠) سنده حسن.

(٤) أخرجه البخارى (٤٢٢٩) المغازى - أبو داود (٢٩٧٨) الخراج والإمارة والفقهاء - واللفظ لأبى داود.

### إعطاء العبيد من الغنائم وعدم الإسهام لهم

\* عن عمير مولى أبي اللحم قال: «شهدت خيبر مع سادتي، فكلموا في رسول الله ﷺ، فأمرني فقلدت سيفاً، فإذا أنا أجْرُهُ، فأخبر أني مملوك، فأمر لي بشيء من خرثي المتاع» (١) (٢).

### إعطاء النبي عليه السلام للنساء من الغنائم والإسهام لهن من الثمار

\* عن ثابت بن الحارث الأنصاري قال: «قسم رسول الله ﷺ يوم خيبر لسهلة بنت عاصم بن عدى، ولابنة لها ولدت» (٣).

\* وعن زينب بنت أبي معاوية الثقفية «أن النبي ﷺ أعطاها بخيبر خمسين وسقاً تمرّاً، وعشرين وسقاً شعيراً بالمدينة» (٤).

### قصة أبي هريرة مع أبان بن سعيد بن العاص في قسمة الغنائم

\* عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: «بعث رسول الله ﷺ أبان على سرية من المدينة قبل نجد، قال أبو هريرة: فقدم أبان وأصحابه على النبي ﷺ بخيبر بعدما افتتحها، وإن حُرْمَ خيلهم لليف، قال أبو هريرة: قلت: يا رسول الله، لا تقسم لهم، قال أبان: وأنت بهذا يا وبر تحدر من رأس ضأن، فقال النبي ﷺ: (يا أبان اجلس فلم يقسم له)» (٥).

(١) خرثي المتاع: أثاث البيت كالقدر ونحوه.

(٢) أخرجه أبو داود في الجهاد باب في المرأة والعبد يحذيان من الغنيمة حديث رقم: ٢٧٣٠، الترمذى في السير باب هل يسهم للعبد: ١٥٥٧، وقال حسن صحيح، ابن ماجه حديث رقم: ٢٨٥٥، ابن حبان: ١٦٦١، الدارمى: ٢٢٦/٢، البيهقى: ٣٣٢/٦، والحاكم: ١٣١/٢، وقال صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه الطبرانى برقم: ١٣٦٩، قال الهيثمى في المجمع: ٧/٦: رواه الطبرانى، وفيه ابن لهيعة، وفيه ضعف، وحديثه حسن، وقد أخرجه الطبرانى في الكبير: برقم: ١٣٦٩، قال: حدثنا على بن عبد العزيز الحسن بن الربيع الكوفى عن ابن المبارك عن ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد الحضرمى عن ثابت... ورواية العبادة عن ابن لهيعة صحيحة فسنده الحديث صحيح رجاله ثقات.

(٤) أخرجه الطبرانى في الكبير: ٢٨٧/٢٤ - ٢٨٨، رقم: ٧٣٢، قال الهيثمى في المجمع: ٧/٦: رواه الطبرانى، ورجاله رجال الصحيح.

(٥) أخرجه البخارى في المغازى باب غزوة خيبر تعليقاً رقم: ٤٢٣٨، ووصله أبو داود من طريق إسماعيل بن عياش في الجهاد باب فيمن جاء بعد الغنيمة لا سهم له حديث رقم: ٢٧٢٣، ووصلها أبو نعيم في =

\* ويدل على كثرة مغنم خيبر ما رواه البخارى<sup>(١)</sup> عن ابن عمر قال: ما شبعنا حتى فتحنا خيبر... وما رواه عن عائشة، قالت: لما فتحت خيبر قلنا: الآن نشبع من التمر<sup>(٢)</sup>. ولما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة رد المهاجرون إلى الأنصار منائحهم التي كانوا منحوهم إياها من النخيل، حين صار لهم بخيبر مال ونخيل<sup>(٣)</sup>.

### رد المهاجرين المنائح التي أعطاهم إياها الأنصار

\* عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «لما قدم المهاجرون من مكة إلى المدينة، قدموا وليس بأيديهم شيء، وكان الأنصار أهل الأرض والعقار، فقاسمهم الأنصار على أن أعطوهم أنصاف ثمار أموالهم، كل عام، ويكفونهم العمل والمؤونة، وكانت أم أنس بن مالك وهي تدعى أم سليم، وكانت أم عبد الله ابن أبي طلحة، كان أختاً لأنس لأمه، وكانت أعطت أم أنس رسول الله ﷺ عذاقاً<sup>(٤)</sup> لها. فأعطاها رسول الله ﷺ أم أيمن مولاته، أم أسامة بن زيد.

قال ابن شهاب: فأخبرني أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ لما فرغ من قتال أهل خيبر وانصرف إلى المدينة، رد المهاجرون إلى الأنصار منائحهم<sup>(٥)</sup> التي كانوا منحوهم من ثمارهم. قال: فرد رسول الله ﷺ إلى أمى عذاقها. وأعطى رسول الله ﷺ أم أيمن مكانهن من حائطه<sup>(٦)</sup>.

### تأمير أحد الأنصار على خيبر

\* عن أبي سعيد وأبي هريرة رضى الله عنهما قالوا: (إن النبي ﷺ بعث أبا بنى عدى من الأنصار إلى خيبر، فأمره عليها<sup>(٧)</sup>).

= المستخرج من طريق إسماعيل بن عياش أيضاً، ومن طريق عبد الله بن سالم، كلاهما عن الحميدى كما أشار إلى ذلك الحافظ فى الفتح: ٤٩١/٧.

(١) أخرجه البخارى (٤٢٤٢، ٤٢٤٣).

(٢) صحيح البخارى (٦٠٩/٢).

(٣) زاد المعاد (١٤٨/٢) - صحيح مسلم (٩٦/٢).

(٤) العذاق: جمع عذق وهى النخلة.

(٥) منائحهم: جمع منيحة والمنيحة هى المنحة.

(٦) أخرجه مسلم (١٧٧١) الجهاد والسير - والبخارى (٢٦٣٠) الهبة.

(٧) أخرجه البخارى (٤٢٤٦ - ٤٢٤٧) المغازى.

### قدوم جعفر بن أبي طالب والأشعريين

وفي هذه الغزوة، قدم عليه ﷺ ابن عمه جعفر بن أبي طالب وأصحابه، ومعهم الأشعريون، عبد الله بن قيس (أبو موسى)، وأصحابه، وكان فيمن قدم معهم أسماء بنت عميس. قال أبو موسى: بلغنا مخرج النبي ﷺ ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين أنا وأخوان لي، أنا أصغرهما، أحدهما أبو رهم، والآخر أبو بردة، في بضع وخمسين رجلاً من قومي، فركبنا سفينة، فألقنا سفيتنا إلى النجاشي بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده، فقال جعفر: إن رسول الله ﷺ بعثنا، وأمرنا بالإقامة، فأقيموا معنا، فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً، فوافقنا رسول الله ﷺ حين افتتح خيبر، فأسهم لنا، وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر شيئاً إلا لمن شهد معه، إلا لأصحاب سفيتنا مع جعفر وأصحابه، قسم لهم معهم، وكان ناس يقولون لنا: سبقناكم بالهجرة، قال: ودخلت أسماء بنت عميس على حفصة، فدخل عليها عمر، فقال: من هذه؟ قالت: أسماء. فقال عمر: سبقناكم بالهجرة، نحن أحق برسول الله ﷺ منكم، فغضبت، وقالت: يا عمر! كلا والله، لقد كنتم مع رسول الله ﷺ، يطعم جائعكم، ويعظ جاهلكم، وكنا في أرض البعداء البغضاء، وذلك في الله، وفي رسوله، وإيم الله، لا أطعم طعاماً، ولا أشرب شرباً حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ، ونحن كنا نُؤذي ونخاف، وسأذكر ذلك لرسول الله ﷺ، والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد على ذلك فلما جاء النبي ﷺ قالت: يا رسول الله إن عمر قال كذا وكذا. فقال رسول الله ﷺ: ما قلت له؟ قالت: قلت له: كذا وكذا. فقال: «ليس بأحق بي منكم، وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان»، وكان أبو موسى وأصحاب السفينة يأتون أسماء أرسالاً يسألونها عن هذا الحديث، ما من الدنيا شيء، هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم رسول الله ﷺ» (١).

ولما قدم جعفر على النبي ﷺ، تلقاه وقبل جبهته، وقال: «والله ما أدري بأيهما أفرح، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟» (٢).

(١) أخرجه البخاري (٣٧١/٧: ٣٧٢) المغازي - ومسلم (٢٥٠٢) و(٢٥٠٣) فضائل الصحابة.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (٢١١/٤) عن الشعبي مرسلًا وقال الحاكم صحيح ووافقه الذهبي ووصله =

## قصة الحجاج بن علاط مع أهل مكة

✽ عن أنس بن مالك رضى الله عنه: قال: «لما افتتح رسول الله ﷺ خيبر قال الحجاج ابن علاط: يا رسول الله! إن لى بمكة مالا، وإن لى بها أهلاً، وإنى أريد أن آتيهم، فأنا فى حل إن أنا نلت منك؟ وقلت شيئاً؟ فأذن له رسول الله ﷺ أن يقول ما شاء، فأتى امرأته حين قدم، فقال: اجمعى لى ما كان عندك، فإنى أريد أن أشتري من غنائم محمد وأصحابه، فإنهم قد استبيحوا، أو أصيبت أموالهم، قال: ففشا ذلك فى مكة فانقمع المسلمون، وأظهر المشركون فرحاً وسروراً، قال: وبلغ الخبر العباس (رضى الله عنه) فعقر، وجعل لا يستطيع أن يقوم.

قال معمر: فأخبرنى عثمان الجزرى عن مقسم قال: فأخذ ابناً له يشبه رسول الله ﷺ يقال له قثم، فاستلقى فوضعه على صدره وهو يقول:

حبي قثم ، حبي قثم      شبيه ذى الأنف الأشم  
نبي رب ذى النعم      برغم أنف من رغم

قال ثابت عن أنس: ثم أرسل غلاماً له إلى الحجاج: ويملك ما جئت به؟ وماذا تقول؟ فما وعد الله خير مما جئت به، قال: فقال الحجاج بن علاط لغلامه: اقرأ على أبى الفضل السلام، وقل له: فليخل لى فى بعض بيوته لآتيه، فإن الخبر على ما يسره، فجاءه غلامه، فلما بلغ باب الدار قال: أبشر يا أبا الفضل، قال: فوثب العباس فرحاً، حتى قبل بين عينيه، فأخبره بما قال الحجاج، فأعتقه. قال: ثم جاء الحجاج فأخبره أن رسول الله ﷺ قد افتتح خيبر، وغنم أموالهم، وجرت سهام الله فى أموالهم، واصطفى رسول الله ﷺ صفية بنت حبي، فأخذها لنفسه وخيرها أن يعتقها، وتكون زوجته، أو تلحق بأهلها، فاخترت أن يعتقها، وتكون زوجته، ولكنى جئت لما كان لى ههنا أردت أن أجمعه، فاذهب به، فاستأذنت رسول الله ﷺ، فأذن لى أن أقول ما شئت، فأخف عنى ثلاثاً ثم اذكر ما بدا لك، قال: فجمعت امرأته ما كان عندها من حلى ومتاع فجمعه، فدفعته إليه

= الحاكم من طريق آخر (٢٠٨/٣) وسكت عليه وتعقبه الذهبي بقوله متقطعاً وفيه الواقدى.

وأخرج البيهقي فى السنن (١٠١/٧) عن الشعبي مرسلأً فله شاهد من حديث أبى جحفة أخرجه الطبرانى فى المعجم الصغير (ص: ٨) وسنده ضعيف. وله طريق آخر فى المعجم الكبير كما ذكر الهيثمى فى المجمع (٢٧٢/٩) وقال: رواه الطبرانى مرسلأً ورجاله رجال الصحيح وقال الألبانى: وبالجملة فالحديث قوى بهذه الطرق وقد صححه الحاكم.



ثم انشمر به.

فلما كان بعد ثلاث أتى العباس امرأة الحجاج، فقال: ما فعل زوجك؟ فأخبرته أنه ذهب يوم كذا وكذا، وقالت: لا يخزيك الله يا أبا الفضل، لقد شق علينا الذي بلغك، قال: أجل، لا يخزيني الله، ولم يكن بحمد الله إلا ما أحببنا، فتح الله خيبر على رسول الله ﷺ، وجرت فيها سهام الله، واصطفى رسول الله ﷺ صفيّة بنت حيى لنفسه، فإن كانت لك حاجة فى زوجك فالحقى به، قالت: أظنك والله صادقاً، قال: فإنى صادق، الأمر على ما أخبرتك.

فقال: ثم ذهب حتى أتى مجالس قريش، وهم يقولون إذا مر بهم: لا يصيبك إلا خير يا أبا الفضل، قال لهم: لم يصبنى إلا خير بحمد الله، قد أخبرنى الحجاج بن علاط أن خيبر قد فتحها الله على رسوله ﷺ، وجرت فيها سهام الله، واصطفى صفيّة لنفسه، وقد سألتنى أن أخفى عليه ثلاثاً، وإنما جاء ليأخذ ماله، وما كان له من شىء ها هنا، ثم يذهب. قال: فرد الله الكآبة التى كانت بالمسلمين على المشركين، وخرج المسلمون ومن كان دخل بيته مكتئباً حتى أتوا العباس، فأخبرهم الخبر وسرّ المسلمون، ورد الله - تبارك وتعالى - ما كان من كآبة أو غيظ أو حزن على المشركين»<sup>(١)</sup>.

### الأحكام الفقهية المستفادة من غزوة خيبر

• قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

«فصل فيما كان فى غزوة خيبر من الأحكام الفقهية»:

- فمنها محاربة الكفار ومقاتلتهم فى الأشهر الحرم ولا خلاف فى جواز القتال فى الشهر الحرام إذا بدأ العدو، وإنما الخلاف أن يقاتل فيه ابتداءً، فالجمهور جوزوه وقالوا: تحريم القتال فيه منسوخ، وهو مذهب الأئمة الأربعة رحمهم الله.
- ومنها قسمة الغنائم للفارس ثلاثة أسهم وللرجال سهم.
- ومنها أنه يجوز لأحد الجيش إذا وجد طعاماً أن يأكله ولا يخمسه كما أخذ عبد الله

(١) أخرجه أحمد (٣/١٣٨: ١٣٩) بسند صحيح.

وقال الهيثمى فى المجمع: ٦/١٥٤ - ١٥٥، رواه أحمد، وأبو يعلى، والبزار، والطبرانى، ورجاله رجال الصحيح وقال ابن كثير فى البداية: ٤/٢٣، عن سند أحمد: وهذا الإسناد على شرط الشيخين.

- ابن المغفل جراب الشحم الذى دُلِّيَ يوم خيبر، واختص به بمحضر النبي ﷺ (١).
- ومنها: أنه إذا لحق بالجيش مدد بعد تقضى الحرب فلا سهم لهم إلا بإذن الجيش ورضاهم فإن النبي ﷺ كلم أصحابه فى أهل السفينة حين قدموا عليه بخيبر - جعفر وأصحابه - أن يسهم لهم، فأسهم لهم.
- ومنها جواز المساقاة والمزارعة بجزء مما يخرج من الأرض من ثمر أو زرع، كما عامل رسول الله ﷺ أهل خيبر على ذلك وهو من باب المشاركة وهو نظير المضاربة سواء.
- ومنها أنه دفع إليهم الأرض على أن يعملوها من أموالهم ولم يدفع إليهم البذر، ولا كان يحمل إليهم البذر من المدينة قطعاً، فدل على أن هديه عدم اشتراط كون البذر من رب الأرض.
- ومنها: أن أهل الذمة إذا خالفوا شيئاً مما شرط عليهم لم يبق لهم ذمة وحلَّت دماؤهم وأموالهم، لأن رسول الله ﷺ عقد لهؤلاء الهدنة وشرط عليهم أن لا يُغيَّبوا ولا يكتُموا فإذا فعلوا حلت دماؤهم وأموالهم، فلما لم يفوا بالشرط استباح دماءهم وأموالهم.
- ومنها أن ما لا يؤكل لحمه لا يطهر بالذكاة لا جلده ولا لحمه، وأن ذبيحته بمنزلة موته وأن الزكاة إنما تعمل فى مأكول اللحم.
- ومنها أن من أخذ من الغنيمة شيئاً قبل قسمته لم يملكه وإن كان دون حقه، وأنه إنما يملكه بالقسمة، ولهذا قال فى صاحب الشملة التى غلَّها: «إنها تشتعل عليه ناراً» وقال لصاحب الشراك الذى غله «شراك من نار» (٢).
- ومنها أن الإمام مخير فى أرض العنوة بين قسمتها وتركها وقسم بعضها وترك بعضها.
- ومنها جواز إجلاء أهل الذمة من دار الإسلام إذا استغنى عنهم، كما قال النبي ﷺ: «نقركم ما أقركم الله» وأجلهم عمر بعد موته ﷺ وهو قول قوى يسوغ العمل به إذا رأى الإمام فيه المصلحة.

(١) أخرجه البخارى (٥٤٩/٧) المغازى.

(٢) أخرجه البخارى (٥٥٨/٧) المغازى - ومسلم (٢٩/٢) الإيمان.

- ومنها جواز عتق الرجل أمته وجعل عتقها صداقاً لها ويجعلها زوجته بغير إذنها، ولا شهود، ولا ولي غيره ولا لفظ إنكاح ولا تزويج كما فعل ﷺ بصفية ولم يقل قط هذا خاص بى ولا أشار إلى ذلك والقياس الصحيح يقتضى جواز ذلك فإنه يملك رقبته ومنفعة وطئها وخدمتها فله أن يسقط حقه من ملك الرقبة ويستبقى ملك المنفعة أو نوعاً منها.

- ومنها قبول هدية الكافر<sup>(١)</sup>.

• وقال الجزائري حفظه الله تحت عنوان نتائج وعبر:

أ - جواز الحداء والأناشيد الحسنة الخالية من السوء والبذاء.

ب - بيان آية النبوة المحمدية فى نعى عامر بن الأكوع قبل استشهاده ودخوله المعركة.

ج - بيان فضل على بن أبى طالب وما فاز به من حب الله ورسوله.

د - بيان صدق وعد الله تعالى فى غنائم خيبر إذ وعد المؤمنين بها فأنجزها لهم وله الحمد والمنة<sup>(٢)</sup>.

• وقال محمد سعيد رمضان:

ثم إن فى هذه الغزوة حادثين كل منهما ثابت بالحديث الصحيح تعدان من الخوارق العظيمة التى أيد الله بها محمداً ﷺ.

أولاهما - أنه ﷺ نفل فى عين على رضى الله عنه وقد كان يشتكى منها فبرأت فى الوقت نفسه حتى كأن لم يكن به وجع.

الثانية - ما أوحى الله إليه من أمر الشاة المسمومة عندما أراد الأكل منها ولأمر ما سبق قضاء الله تعالى فابتلع بشر بن البراء لقمته قبل أن ينطق رسول الله ﷺ بأنها مسمومة فكان قضاؤه فى ذلك، ولعل فى ذلك مزيداً من بيان ما اختص الله تعالى به نبيه عليه الصلاة والسلام من الحفظ والعصمة من أيدي الناس وكيدهم تنقيداً لوعده جل جلاله:

﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] (٣). (٤)

(١) زاد المعاد (٣/ ٣٣٩ - ٣٥٤) باختصار.

(٢) هذا الحبيب يا محب (٣٦٤، ٣٦٥).

(٣) فقه السيرة للبوطنى (٢٦٢ - ٢٦٣).

(٤) نقلاً من وفتات تربوية.

### فتح فدك

ولما بلغ رسول الله ﷺ إلى خيبر، بعث محيصة بن مسعود إلى يهود فدك، ليدعوهم إلى الإسلام فأبطأوا عليه، فلما فتح الله خيبر قذف الرعب في قلوبهم، فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يصالحونه على النصف من فدك، بمثل ما صالح عليه أهل خيبر، فقبل ذلك منهم فكانت فدك لرسول الله ﷺ خالصة، لأنه لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب (١).

### مسير النبي ﷺ إلى وادي القرى

ثم انصرف رسول الله ﷺ من خيبر إلى وادي القرى، وكان بها جماعة من اليهود، وقد انضاف إليهم جماعة من العرب، فلما نزلوا استقبلهم يهود بالرمي. وهم على غير تعبئة، فقتل مدعم عبد رسول الله ﷺ، فقال الناس: هنيئاً له الجنة، فقال النبي ﷺ: «كَلَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الشَّمْلَةَ أَلَّتْ أَحَدَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ الْمَغَانِمِ، لَمْ تُصْبِحْهَا الْمَقَاسِمُ لِتَشْتَعِلْ عَلَيْهِ نَارًا»، فلما سمع بذلك الناس، جاء رجل إلى النبي ﷺ بِشِرَاكٍ أَوْ شِرَاكَيْنِ، فقال النبي ﷺ: «شِرَاكٌ مِنْ نَارٍ أَوْ شِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ» (٢).

فبعث رسول الله ﷺ أصحابه للقتال، وصفهم، ودفع لواءه إلى سعد بن عباد، وراية إلى الحباب بن المنذر، وراية إلى سهل بن حنيف، وراية إلى عباد بن بشر، ثم دعاهم إلى الإسلام، وأخبرهم أنهم إن أسلموا، أحرزوا أموالهم، وحقنوا دماءهم وحسابهم على الله، فبرز رجل منهم، فبرز إليه الزبير بن العوام، فقتله، ثم برز آخر، فقتله، ثم برز آخر، فبرز إليه على بن أبي طالب رضي الله عنه فقتله، حتى قُتل منهم أحد عشر رجلاً، كلما قُتل منهم رجل، دعا من بقى إلى الإسلام، وكانت الصلاة تحضر ذلك اليوم، فيصلى بأصحابه، ثم يعودُ فيدعوهم إلى الإسلام وإلى الله ورسوله، فقاتلهم حتى أمسوا، وغدا عليهم، فلم ترتفع الشمس قيد رمح حتى أعطوا ما بأيديهم، وفتحها عنوة، وغنمه الله

(١) ابن هشام (٢/٣٥٣).

(٢) أخرجه البخاري (١١/٥١٣:٥١٤) الأيمان والنذور - ومسلم (١١٥) الإيمان - ومالك (٢/٤٥٩) الجهاد.

أموالهم، وأصابوا أثاثًا وممتعًا كثيرًا، وأقام رسول الله ﷺ بوادى القرى أربعة أيام، وقسم ما أصاب على أصحابه بوادى القرى، وترك الأرض والنخل بأيدي اليهود، وعاملهم عليها<sup>(١)</sup>.

### استسلام يهود تيماء

ولما بلغ يهود تيماء خبر استسلام أهل خيبر، ثم فدك ووادى القرى، لم يُبدوا أى مقاومة ضد المسلمين، بل بعثوا من تلقاء أنفسهم يعرضون الصلح، فقبل ذلك منهم رسول الله ﷺ وأقاموا بأموالهم، وكتب لهم بذلك كتابًا، وهاك نصه: هذا كتاب محمد رسول الله لبنى عادياً: إن لهم الذمة، وعليهم الجزية ولا عداء ولا جلاء، الليل مد، والنهار شد. وكتب خالد بن سعيد<sup>(٢)</sup>.

### وأقم الصلاة لذكري

\* عن أبى هريرة رضى الله عنه: «أن رسول الله ﷺ، حين قفل من غزوة خيبر، سار ليلة، حتى إذا أدركه الكرى عرس، وقال لبلال: (اكأ لنا الليل) فصلى بلال ما قدر له. ونام رسول الله ﷺ وأصحابه. فلما تقارب الفجر استند بلال إلى راحلته مواجه الفجر، فغلبته عيناه، وهو مستند إلى راحلته، فلم يستيقظ رسول الله ﷺ، ولا بلال، ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس.

فكان رسول الله ﷺ أولهم استيقاظًا، ففزع رسول الله ﷺ، فقال: (أى بلال؟) فقال بلال: أخذ بنفسى الذى - بأبى أنت وأمى يا رسول الله - أخذ بنفسك. قال: (اقتادوا) فاقتادوا وراحلهم شيئًا، ثم توضأ رسول الله ﷺ، وأمر بلالاً فأقام الصلاة، فصلى بهم الصبح، فلما قضى الصلاة قال: (من نسى الصلاة فليصلها إذا ذكرها، فإن الله قال: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤])<sup>(٣)</sup>.

\* وقد روى أن هذه القصة كانت فى مرجعهم من الحُدَيْبِيَّةِ، وروى أنها كانت فى مرجعهم من غزوة تبوك<sup>(٤)</sup>.

(١) زاد المعاد (٣/٣٥٤: ٣٥٥).

(٢) زاد المعاد (٢/١٤٧).

(٣) أخرجه مسلم (٦٨٠) - والترمذى (٣١٦٣).

(٤) زاد المعاد (٣/٢٥٦).

## السرايا التي كانت بعد خيبر

وبعد عودة النبي ﷺ من خيبر أقام في المدينة إلى شهر شوال وبعث من خلال ذلك السرايا وكان منها:

### سرية أبي بكر الصديق إلى بني فزارة

من حديث سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال: (غزونا فزارة، وعلينا أبو بكر، أمره رسول الله ﷺ علينا. فلما كان بيننا وبين الماء ساعة، أمرنا أبو بكر فعرسنا<sup>(١)</sup> ثم شن الغارة، فورد الماء، فقتل من قُتل عليه، وسبى، وأنظر إلى عنق من الناس<sup>(٢)</sup>، فيهم الذراري<sup>(٣)</sup> فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل، فرميت بسهم بينهم وبين الجبل. فلما رأوا السهم وقفوا، فجئت بهم أسوقهم، وفيهم امرأة من بني فزارة عليها قشع من آدم<sup>(٤)</sup>. معها ابنة من أحسن العرب، فسقتهم حتى أتيت بهم أبا بكر. فنفلني أبو بكر ابنتها، فقدمنا المدينة، وما كشفت لها ثوباً. فلقيني رسول الله ﷺ في السوق. فقال: (يا سلمة! هب لى المرأة) فقلت: «يا رسول الله! والله لقد أعجبتنى، وما كشفت لها ثوباً»<sup>(٥)</sup>، ثم لقيني رسول الله ﷺ من الغد فى السوق، فقال لى: (يا سلمة! هب لى المرأة. لله أبوك!) فقلت: هى لك يا رسول الله فوالله ما كشفت لها ثوباً. فبعث بها رسول الله ﷺ إلى أهل مكة، ففدى بها ناساً من المسلمين كانوا أسروا بمكة»<sup>(٦)</sup>.

\*\*\*

(١) التعريس: نزول آخر الليل.

(٢) عنق من الناس: جماعة.

(٣) الذراري: النساء والصبيان.

(٤) قشع من آدم: نطع.

(٥) وما كشفت لها ثوباً: كناية عن الجماع.

(٦) أخرجه مسلم (١٧٥٥) الجهاد والسير.

## سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى الحرقات

وذاث يوم تلقى أسامة من رسول الله ﷺ درس حياته.. درساً بليغاً، عاشه أسامه، وعاشته حياته كلها منذ غادرهم الرسول إلى الرفيق الأعلى - إلى أن لقي أسامة ربه في أواخر خلافة معاوية.

قبل وفاة الرسول بعامين بعثه عليه السلام أميراً على سرية خرجت للقاء بعض المشركين الذين يناوئون الإسلام والمسلمين.  
وكانت تلك أول إمارة يتولاها «أسامة»..

ولقد أحرز في مهمته النجاح والفوز، وسبقته أنباء فوزه إلى رسول الله ﷺ ففرح بها وسراً<sup>(١)</sup>.

\* عن أسامة بن زيد بن حارثة (رضى الله عنهما) قال: «بعثنا رسول الله ﷺ في سرية. فصبَّحنا الحرقات<sup>(٢)</sup> من جهينة، فأدركت رجلاً، فقال: لا إله إلا الله، فطعنته فوق في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: (أقال لا إله إلا الله وقتلته؟) قال: قلت: يا رسول الله! إنما قالها خوفاً من السلاح. قال (أفلا كشفت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا) فما زال يكررها حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ.

قال: فقال سعد - يعني سعد بن أبي وقاص -: «وأنا والله لا أقتل مسلماً حتى يقتله ذو البطين يعني أسامه قال: رجل: ألم يقل الله: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]. فقال سعد: قد قاتلنا حتى لا تكون فتنة، وأنت وأصحابك تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة»<sup>(٣)</sup>.

\* وفي رواية أخرى: وصف أسامة - رضى الله عنه - كيف قتل هذا الرجل وكان مع أسامة رجل من الأنصار.

قال أسامة - رضى الله عنه -: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة من جهينة قال: فصبَّحنا

(١) رجال حول الرسول ﷺ (ص ٦٥٧).

(٢) فصبَّحنا الحرقات: أتيناها صباحاً، الحرقات موضع ببلاد جهينة.

(٣) أخرجه البخارى فى المغازى باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات: ٤٢٦٩، وانظر: (٦٨٧٢)، ومسلم فى الإيمان باب تحريم قتل الكافر إذا قال لا إله إلا الله رقم (٩٦).

القوم فهزمناهم، قال: ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم. قال: فلما غشيناها قال: لا إله إلا الله، قال: فكف عنه الأنصاري فطعنته برمحى حتى قتلته. قال: فلما قدمنا بلغ ذلك النبي ﷺ قال: فقال لى: يا أسامة، أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟ قال: قلت: يا رسول الله، إنه إنما كان متعوذاً، قال: قتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟ قال: فما زال يكررها علىّ حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم»<sup>(١)</sup>.

وفى رواية قال: فوالذى بعثه بالحق ما زال يرددّها علىّ حتى لوددت أن ما مضى من إسلامي لم يكن، وأنى كنت أسلمت يومئذ، وأنى لم أقتله؛ قال: قلت: أنظرني يا رسول الله، أعاهد الله أن لا أقتل رجلاً يقول لا إله إلا الله أبداً، قال: «تقول بعدى يا أسامة»، قال: قلت بعدك<sup>(٢)</sup>.

وإذا بهذا الدرس العظيم ينتفع به أسامة - رضى الله عنه -.

فإنه لما حدثت الفتنة بين (على) و(معاوية) - رضى الله عنهما - اعتزل أسامة تلك الفتنة وقال: «لا أقاتل أحداً يقول: لا إله إلا الله»<sup>(٣)</sup>.

### سرية غالب بن عبد الله الليثى لبني الملوح بالكديد

عن جندب بن مكيث الجهنى: قال: «بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الكلبي كلب ليث، إلى بني ملوح بالكديد»<sup>(٤)</sup>، وأمره أن يغير عليهم، فخرج فكنت فى سرية، فمضينا حتى إذا كنا بقديد<sup>(٥)</sup> لقينا بها الحارث بن مالك، وهو ابن البرصاء الليثى، فأخذناه فقال: إنما جئت لأسلم، فقال غالب بن عبد الله: إن كنت إنما جئت مسلماً، فلن يضرك رباط يوم وليلة، وإن كنت غير ذلك استوثقتنا منك. قال فأوثقه رباطاً، ثم خلف عليه رجلاً أسود كان معنا، فقال امكث معه حتى نمر عليك، فإن نازعك، فاحترز رأسه، قال: ثم مضينا حتى أتينا بطن الكديد، فنزلنا عشيشية بعد العصر، فبعثنى أصحابى فى ربيعة<sup>(٦)</sup>، فعمدت إلى تل يطلعننى على الحاضر، فانبطحت عليه وذلك المغرب، فخرج

(١) أخرجه البخارى (١٢/٦٨٧٢)، ومسلم (١/٩٧/١٥٩) واللفظ للبخارى.

(٢) ذكره الطبرى فى تاريخه (٢/١٤٢) وأصله فى البخارى (١٢/٦٨٧٢).

(٣) أصحاب الرسول ﷺ / للمصنف (٢/٤٢ - ٤٣).

(٤) بنى ملوح بالكديد: ماء بين الحرمين الشريفين.

(٥) قديد: موضع بين مكة والمدينة.

(٦) ربيعة: العين والطيبة.



رجل منهم، فنظر فرآني منبطحاً على التل، فقال لامرأته: والله إنني لأرى على التل سواداً ما رأيته أول النهار، فانظري لا تكون الكلاب اجترت بعض أوعيتك.

قال: فنظرت، فقالت: لا والله ما أفقد شيئاً، قال: فناوليني قوسى وسهمين من كنانتي، قال: فناولته فرماني بسهم فوضعه في جنبي، قال: فنزعته فوضعتة، ولم أتحرك، ثم رماني بآخر فوضعه في رأس منكبى، فنزعتة، ووضعتة، ولم أتحرك، فقال لامرأته: والله لقد خالطه سهامى، ولو كان دابة لتحرك، فإذا أصبحت، فابتغى سهمى فخذيهما لا تمضغهما على الكلاب.

قال: وأمهلناهم حتى راحت رائحتهم حتى إذا احتلبوا<sup>(١)</sup>، وعطنوا، أو سكنوا<sup>(٢)</sup>، وذهبت عتمة من الليل<sup>(٣)</sup> شننا عليهم الغارة<sup>(٤)</sup>، فقتلنا من قتلنا منهم، واستقنا النعم فوجهنا قافلين<sup>(٥)</sup> وخرج صريخ القوم إلى قومهم مغوئاً<sup>(٦)</sup>، وخرجنا سراعاً حتى نمر بالحارث بن البرصاء وصاحبه فانطلقنا به معنا، وأتانا صريخ الناس، فجاءنا ما لا قبل لنا به، حتى إذا لم يكن بيننا وبينهم إلا بطن الوادى أقبل سيلٌ حال بيننا وبينهم بعثه الله تعالى من حيث شاء، ما رأينا قبل ذلك مطراً ولا حالاً، فجاء بما لا يقدر أحد أن يقوم عليه، فلقد رأيناهم وقوفاً ينظرون إلينا ما يقدر أحد منهم أن يتقدم، ونحن نحوزها<sup>(٧)</sup> سراعاً، حتى أسدناها في المشلل<sup>(٨)</sup> ثم حددناها عنا فأعجزنا القوم بما في أيدينا<sup>(٩)</sup>.

\* قال الإمام ابن القيم: وقد قيل: إن هذه السرية هي السرية التي قبلها. والله أعلم<sup>(١٠)</sup>.

(١) احتلبوا: حلبوا ماشيتهم.

(٢) سكنوا: قاموا.

(٣) عتمة من الليل: ذهبت مدة من ظلمة الليل.

(٤) شننا عليهم الغارة: فرقنا عليهم الجيوش في كل الجهات.

(٥) قافلين: راجعين.

(٦) مغوئاً: طالباً الإغاة والإعانة.

(٧) نحوزها: نسوق ما غنمناه، وملكناه من النعم.

(٨) المشلل: جبل يهبط منه إلى قديد.

(٩) أخرجه أحمد (٣/٤٦٧ - ٤٦٨)، ورواه أبو داود برقم (٢٦٧٨)، مختصراً إلى قوله فوثقناه رباطاً ورجاله

ثقات خلا مسلم بن عبد الله الجهني فإنه لم يوثقه غير ابن حبان. وقال الهيثمي في المجمع (٦/٢٠٢ -

٢٠٣)، رواه الطبراني، وأحمد، ورجاله ثقات، فقد صرح ابن إسحاق بالسماع من رواية الطبراني.

(١٠) زاد المعاد (٣/٣٦٣).

### بعث سرية إلى (إضم).. وقصة محلم بن جثامة

\* عن عبد الله بن أبي حدرد رضى الله عنه قال: «بعثنا رسول الله ﷺ إلى إضم، فخرجت في نفر من المسلمين فيهم أبو قتادة الحرث بن ربيع، ومحلم بن جثامة بن قيس، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم مر بنا عامر بن الأصبط الأشجعي على قعود له (١) مع متيع (٢) له ووطب (٣) من لبن، فسلم علينا بتحية الإسلام فأمسكنا عنه، وحمل عليه محلم بن جثامة، فقتله لشيء كان بينه وبينه، وأخذ بعيره ومتاعه، فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه الخبر، فنزل فينا القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعندَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ٩٤]» (٤).

### سرية عبد الله بن حذافة السهمي (رضى الله عنه)

عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] قال نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس ابن عدى إذ بعثه النبي ﷺ في سرية» (٥).

وعن علي رضى الله عنه، قال: استعمل رسول الله ﷺ رجلاً من الأنصار على سرية، بعثهم وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا. قال: فأغضبوه في شيء، فقال: اجمعوا لي حطباً، فجمعوا، فقال: أوقدوا ناراً، فأوقدوا، ثم قال: ألم يأمركم رسول الله ﷺ أن تسمعوا لي

(١) مقود: البعير المتخذ للركوب.

(٢) متيع: تصغير متاع.

(٣) ووطب: وعاء اللبن.

(٤) أخرجه أحمد في المسند (١١/٦)، ورجاله ثقات، وابن هشام في السيرة (٢/٦٢٧)، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٢/١٩٩ - ٢٠٠)، وزاد نسبه إلى ابن سعد، وابن أبي شيبة، وابن جرير، والطبراني، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو نعيم، والبيهقي في الدلائل (٤/٣٠٥)، وقال الهيثمي في المجمع (٨/٧)، رواه أحمد، والطبراني ورجاله ثقات.

(٥) أخرجه البخاري في التفسير تفسير سورة النساء باب أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم حديث رقم (٤٥٨٤)، مسلم في الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء حديث رقم (١٨٣٤).

وتطيعوا؟ قالوا: بلى، قال: فادخلوها، قال: فنظر بعضهم إلى بعض. وقالوا: إنما فررنا إلى رسول الله ﷺ من النار، فسكن غضبه. وطُفئت النار، فما قدموا على رسول الله ﷺ ذكروا ذلك له، فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها، إنما الطاعة في المعروف»<sup>(١)</sup>.<sup>(٢)</sup>

وهذا هو عبد الله بن حذافة كما صرح بذلك في هذه الرواية:

\* عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: «إن رسول الله ﷺ بعث علقمة بن مجزز على بعث، وأنا فيهم. فلما انتهى إلى رأس غزاته، أو كان ببعض الطريق استأذن منه طائفة من الجيش، فأذن لهم، وأمر عليهم عبد الله بن حذافة بن قيس السهمي، فكنت فيمن غزا معه، فلما كان بعض الطريق، أوقد ناراً ليصطلوا، أو ليصنعوا عليها صنيعاً، فقال عبد الله «وكانت فيه دعاية» أليس لى عليكم السمع والطاعة؟ قالوا: بلى. قال فما أنا بأمركم بشيء إلا صنعتموه؟

قالوا: نعم. قال: فإني أعزم عليكم إلا توابتم في هذه النار. فقام ناس فتحجزوا. فلما ظن أنهم واثبون، قال: أمسكوا على أنفسكم، فإنما كنت أمزح معكم. فلما قدمنا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ (من أمركم منهم بمعصية الله، فلا تطيعوه)<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١) أخرجه البخارى (١٩١/٨) تفسير سورة النساء، ومسلم (١٨٣٤) الإمارة.

(٢) قال الإمام ابن القيم: فإن قيل: فلو دخلوها دخلوها طاعة لله ورسوله في ظنهم، فكانوا متأولين مخطئين، فكيف يُخلدون فيها؟ قيل: لما كان إلقاء نفوسهم في النار معصيةً يكونون بها قاتلي أنفسهم، فهموا بالمبادرة إليها من غير اجتهاد منهم: هل هو طاعة وقربة، أو معصية؟ كانوا مقدمين على ما هو محرّم عليهم، ولا تسوغ طاعة ولى الأمر فيه، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فكانت طاعة من أمرهم بدخول النار معصية لله ورسوله، فكانت هذه الطاعة هي سبب العقوبة، لأنها نفس المعصية، فلو دخلوها، لكانوا عصاةً لله ورسوله، وإن كانوا مطيعين لولى الأمر، فلم تدفع طاعتهم لولى الأمر معصيتهم لله ورسوله، لأنهم قد علموا أن من قتل نفسه، فهو مستحقٌ للوعيد، والله قد نهاهم عن قتل أنفسهم، فليس لهم أن يقدموا على هذا النهى طاعة لمن لا تجب طاعته إلا في المعروف. فإذا كان هذا حكم من عذب نفسه طاعة لولى الأمر، فكيف من عذب مسلماً لا يجوز تعذيبه طاعة لولى الأمر [زاد المعاد (٣/٣٦٩)].

(٣) أخرجه ابن ماجه فى الجهاد باب لا طاعة فى معصية الله حديث رقم (٢٨٦٣)، وابن حبان، برقم (١٥٥٢) موارد، وأحمد فى المسند (٦٧/٣)، والحاكم فى المستدرک (٣/٦٣٠ - ٦٣١) وأبو يعلى برقم (١٣٤٩)، وقال البوصيرى فى الزوائد: (٤٢٣/٢)، إسناده صحيح ونقل الحافظ فى الفتح: (٥٨/٨) تصحيحه عن ابن خزيمة وصححه الحاكم ووافقه الذهبى.

## غزوة ذات الرقاع

ولما فرغ رسول الله ﷺ من كسر جناحين قويين من أجنحة الأحزاب الثلاثة؛ تفرغ تماماً للالتفات إلى الجناح الثالث، أى: إلى الأعراب القساة الضاربين فى فيافى نجد، والذين ما زالوا يقومون بأعمال النهب والسلب بين آونة وأخرى.

ولما كان هؤلاء البدو لا تجمعهم بلدة أو مدينة، ولم يكونوا يقطنون الحصون والقلاع، كانت الصعوبة فى فرض السيطرة عليهم وإخماد نار شرهم تماماً تزداد بكثير عما كانت بالنسبة إلى أهل مكة وخيبر، ولذلك لم تكن تجدى فيهم إلا حملات التأديب والإرهاب، وقام المسلمون بمثل هذه الحملات مرة بعد أخرى.

ولفرض الشوكة - أو لاجتماع البدو الذين كانوا يتحشدون للإغارة على أطراف المدينة - قام رسول الله ﷺ بحملة تأديبية عُرفت بغزوة ذات الرقاع وهى غزوة محارب خصفة من بنى ثعلبة من غطفان. وهى التى صلى النبى فيها صلاة الخوف وكانت تسمى أيضاً (غزوة نجد).

وملخص ما ذكره أهل السير حول هذه الغزوة: أن النبى ﷺ سمع باجتماع أثمار أو بنى ثعلبة وبنى محارب من غطفان، فأسرع بالخروج إليهم فى أربعمئة أو سبعمئة من أصحابه، واستعمل على المدينة أبا ذر أو عثمان بن عفان، وسار فتوغل فى بلادهم حتى وصل إلى موضع يقال له نخل، على بعد يومين من المدينة، ولقى جمعاً من غطفان فتوافقوا ولم يكن بينهم قتال، إلا أنه صلى بهم يومئذ صلاة الخوف<sup>(١)</sup>.

## متى كانت تلك الغزوة

قال الإمام البخارى: إن غزوة ذات الرقاع كانت بعد غزوة خيبر<sup>(٢)</sup>، وأيده فى ذلك ابن كثير فى سيرته<sup>(٣)</sup>، وابن حجر فى الفتح<sup>(٤)</sup>، وابن القيم فى زاد المعاد<sup>(٥)</sup>.

(١) الرحيق المختوم (ص ٤٠٩ - ٤١٠) بتصرف.

(٢) أخرجه البخارى فى المغازى باب غزوة ذات الرقاع، وهى غزوة محارب خصفة من بنى ثعلبة من غطفان، ونزل نخلًا وهى بعد خيبر، لأن أبا موسى جاء بعد خيبر... فتح (٧/٤١٦).

(٣) السيرة النبوية ابن كثير: (٣/١٦١).

(٤) ابن حجر فى الفتح: (٧/٤١٨).

(٥) زاد المعاد: (٣/٢٥٣).

إلا أن محمد بن إسحاق وجماعة من أهل السير والمغازي قالوا: إنها كانت في جمادى الأولى بعد غزوة بني النضير بشهرين، وذلك في السنة الرابعة للهجرة<sup>(١)</sup>.

قلت: وما في الصحيح أصح، وأولى بالتقديم، وله من أحاديث الصحابة رضوان الله عليهم ما يسنده ويقويه، من قول أبي هريرة: «صليت مع النبي ﷺ في غزوة نجد صلاة الخوف»، وإنما جاء أبو هريرة إلى النبي ﷺ أيام خيبر<sup>(٢)</sup>.

ويؤيده أيضاً ما جاء عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال: «غزوت مع رسول الله ﷺ قبل نجد، فذكر صلاة الخوف»<sup>(٣)</sup>، وإنما كانت إجازة النبي ﷺ لابن عمر بالقتال عام الخندق.

ويؤيده أيضاً ما جاء من حديث أبي موسى الأشعري السابق في سبب تسمية هذه الغزوة بهذا الاسم، وإخباره بأنه حضرها، وإنما جاء أبو موسى الأشعري مع جعفر بعد غزوة خيبر.

وعن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال: «خرجنا مع النبي ﷺ في غزاة، ونحن في تسعة نفر بيننا بغير نعتقه، فنقبت أقدامنا، ونقبت قدمائنا، وسقطت أظفاري، فكنا نلف على أرجلنا الخرق، فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا وحدث أبو موسى بهذا الحديث ثم كره ذلك قال: ما كنت أصنع بأن أذكره، كأنه كره أن يكون شيء من عمله أفشاه»<sup>(٤)</sup>.

### جئتمكم من عند خير الناس

وكان هناك محاولة لاغتيال النبي ﷺ ولكن الله (عز وجل) دائماً يحوطه بحفظه وعنايته.

عن جابر رضى الله عنه قال: «أقبلنا مع رسول الله ﷺ، حتى إذا كنا بذات الرقاع قال: كنا إذا أتينا على شجرة ظليلة، تركناها لرسول الله ﷺ، قال: فجاء رجل من المشركين، وسيف رسول الله ﷺ معلق بشجرة، فأخذ سيف نبي الله ﷺ فاخترطه، فقال

(١) ابن هشام في السيرة: (٣/١٥٧).

(٢) أخرجه أحمد (٢/٣٢٠)، والنسائي (٣/١٧٣)، وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه البخاري (٤١٣٢) المغازي.

(٤) أخرجه البخاري (٤١٢٥) المغازي، ومسلم (١٨١٦) الهجرة والمغازي.

لرسول الله ﷺ: أتخافني؟ قال: (لا) قال: فمن يمنعك مني؟ قال: (الله يمنعني منك) قال: فتهدده أصحاب رسول الله ﷺ، فأغمد السيف، وعلقه، قال: فنودي بالصلاة، فصلى بطائفة ركعتين، ثم تأخروا، وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين، قال: فكانت لرسول الله ﷺ أربع ركعات، وللقوم ركعتان.

وقد جاء التصريح باسم هذا الرجل في رواية أحمد كما يلي: «قاتل رسول الله ﷺ محارب خصفة، فأوأ من المسلمين غرة، فجاء رجل منهم يقال له: غورث بن الحارث حتى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف فقال: من يمنعك مني؟ قال: (الله عز وجل) فسقط السيف من يديه فأخذه رسول الله ﷺ فقال: من يمنعك مني؟ قال: كن كخير أخذ، قال: (أشهد أن لا إله إلا الله؟) قال: لا، ولكني أعاهدك أن لا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلى سبيله، قال: فذهب إلى أصحابه، قال: قد جئتكم من عند خير الناس»<sup>(١)</sup>.

### موقف يعجز القلم عن وصفه

وها هو - رضى الله عنه - يقف موقفاً يعجز القلم عن وصفه ولو اجتمع جميع الأدباء والشعراء ما استطاعوا أن يصفوا مدى عظمة هذا الموقف الذى يندر تكراره عبر العصور والأزمان.

فعن جابر بن عبد الله الأنصارى، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة ذات الرقاع من نخل، فأصاب (رجل) امرأة رجل من المشركين، فلما انصرف رسول الله ﷺ قافلاً - راجعاً - أتى زوجها وكان غائباً، فلما أخبر الخبر حلف لا ينتهى حتى يهريق فى أصحاب محمد ﷺ<sup>(٢)</sup>، فخرج يتبع أثر رسول الله ﷺ، فنزل رسول الله ﷺ منزلاً، فقال: «من رجل يكلؤنا<sup>(٣)</sup> ليلتنا [هذه]؟» قال: فانتدب رجل من المهاجرين، ورجل [آخر] من الأنصار، فقالا: نحن يا رسول الله، قال: فكونا بقم الشعب، قال: وكان رسول الله ﷺ وأصحابه قد نزلوا إلى شعب من الوادى، (وهما عمار بن ياسر وعباد بن بشر)، فلما خرج الرجلان إلى قم الشعب، قال الأنصارى للمهاجرين: أى الليل تحب أن

(١) أخرجه البخارى (٤١٣٦) المغازى، ومسلم (٨٤٣) صلاة المسافرين.

(٢) أى يصيب دماً.

(٣) يكلؤنا: يحفظنا.

أكفيكه: أوله أم آخره ؟ قال: بل اكفنى أوله، قال: ونام (عمار بن ياسر) وقام (عباد) ينظر إلى الكون من حوله، فإذا به يرى الليل هادئاً وكأن الكون كله يسبح بصوت خافت فتاقت نفسه إلى أن يقرأ وهو يصلى - ليجمع بين الحسينين - قال ابن إسحاق: فأضطجع المهاجرى (عمار) فنام وقام الأنصارى (عباد) يصلى. قال: وأتى الرجل فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيثة<sup>(١)</sup> القوم، قال: فرمى بسهم، فوضعه فيه، قال: فنزعه ووضعه، فثبت قائماً، قال: ثم رماه سهماً آخر، فوضعه فيه، قال: فنزعه فوضعه، وثبت قائماً، ثم عاد له بالثالث، فوضعه فيه، قال: فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد، ثم أهب<sup>(٢)</sup> صاحبه فقال: اجلس فقد أثبت<sup>(٣)</sup>، قال: فوثب، فلما رآهما الرجل عرف أن قد نذرا به، فهرب، قال: ولما رأى المهاجرى ما بالأنصارى من الدماء، قال: سبحان الله! أفلا أهبيتى - أيقظتنى - أول ما رماك؟ قال: كنت فى سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفدها، فلما تابع على الرمى ركعت فأذنتك، وايم الله لولا أن أضيع ثغراً أمرنى رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسى قبل أن أقطعها أو أنفدها<sup>(٤)</sup>.

### أثر هذه الغزوة

كان لهذه الغزوة أثر فى قذف الرعب فى قلوب الأعراب القساة، وإذا نظرنا إلى تفاصيل السرايا بعد هذه الغزوة؛ نرى أن هذه القبائل من غطفان لم تجترى أن ترفع رأسها بعد هذه الغزوة، بل استكانت شيئاً فشيئاً حتى استسلمت، بل وأسلمت، حتى نرى عدة قبائل من هذه الأعراب تقوم مع المسلمين فى فتح مكة، وتغزو حينئذ، وتأخذ من غنائمها، ويبعث إليها المتصدقون فتعطى صدقاتها بعد الرجوع من غزوة الفتح، وبهذا تم كسر الأجنحة الثلاثة التى كانت ممثلة فى الأحزاب وساد المنطقة الأمن والسلام، واستطاع المسلمون بعد ذلك أن يسدوا بسهولة كل خلل وثلمة حدثت فى بعض المناطق من بعض القبائل، بل بعد هذه الغزوة بدأت التمهيدات لفتوح البلدان والممالك الكبيرة؛ لأن داخل البلاد كانت الظروف قد تطورت لصالح الإسلام والمسلمين<sup>(٥)</sup>.

(١) الربيثة: الطليعة الذى يحرس القوم.

(٢) (٣) أهب: أيقظ. أثبت: أى جرحت جرحاً لا يمكن التحرك منه.

(٤) أخرجه أبو داود فى كتاب «الطهارة» باب «الوضوء من الدم» (١/١٩٨). وأحمد فى «مسنده» (٣/٣٤٣،

٣٥٩)، وابن خزيمة فى «صحيحه» (١/٣٦)، وابن حبان فى «صحيحه» (٢/١٠٩٣)، والحاكم فى

«مستدرکه» (١/١٥٦)، والبيهقى فى «السنن الكبرى» (١/١٤٠، ٥٩). قلت: وإسناده حسن.

(٥) الرحيق المختوم (ص ٤١٢).

### قصة جمل جابر بن عبد الله (رضى الله عنه)

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: «خرجت مع رسول الله ﷺ فى غزاة، فأبطأ بى جملى، فأتى على رسول الله ﷺ، فقال لى: (يا جابر) قلت: نعم. قال: (ما شأنك)، قلت: أبطأ بى جملى وأعياء<sup>(١)</sup> فتخلفت، فنزل فحجنه<sup>(٢)</sup> بمحجنه ثم قال: (اركب) فركبت فلقد رأيتنى أكفه عن رسول الله ﷺ فقال: (أتزوجت؟) فقلت: نعم، فقال: (أبكرأ أم ثيباً؟) فقلت: بل ثيب. قال: (فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك؟) فقلت: إن لى أخوات، فأحببت أن أتزوج امرأة تجمعهن، وتمشطهن، وتقوم عليهن. قال: (أما إنك قادم، فإذا قدمت فالكيس الكيس!) ثم قال: (أتبيع جملك؟) قلت: نعم، فاشتره منى بأوقية.

ثم قدم رسول الله ﷺ، وقدمت بالغداة، فجنئت المسجد فوجدته على باب المسجد، فقال: (الآن حين قدمت؟) قلت: نعم، قال: (فدع جملك، وادخل فصل ركعتين) قال: فدخلت فصليت، ثم رجعت. فأمر بلالاً أن يزن لى أوقية. فوزن لى بلال، فأرجح فى الميزان. قال فانطلقت. فلما وليت قال: (ادع لى جابراً) فدعيت. فقلت: الآن يرد على الجمل ولم يكن شىء أبغض إلى منه. فقال: (خذ جملك ولك ثمنه)<sup>(٣)</sup>.<sup>(٤)</sup>

### عمرة القضاء<sup>(٥)</sup>

فى عمرة القضاء، انساب المهاجرون فى دروب مكة يستنشقون عبير أرض الذكريات الحلوة، ويتملون مراتع الصبا والشباب فرحين مسرورين، وكانت بعض بيوتهم خاوية لا حركة فيها، قد خيم عليها السكون، فتبعث الأسى فى النفوس، ولكنهم ألقوا عليها نظرات عابرة دون أن تترك أثراً فى قلوبهم التى عمرها الإيمان بحب الله ورسوله.

(١) أعياء: عجز عن السير.

(٢) حجنه بمحجنه: المحجن: العصا فيها تعقيف يلتقط بها الراكب ما سقط منه.

(٣) أخرجه البخارى (٢٠٩٧) البيوع، ومسلم (٧١٥) (٥٧) الرضاع.

(٤) ولم يأت فى لفظ الصحيحين التصريح باسم الغزوة التى حصلت فيها قصة جابر، ولكن جاء من نفس الطريق طريق وهب بن كيسان عن جابر التصريح بأن الغزوة هى غزوة ذات الرقاع، وذلك عند ابن هشام فى السيرة (٢/٢٠٦ - ٢٠٧)، عن ابن إسحاق حدثنى وهب بن كيسان عن جابر...، وهذا سند صحيح، لأن ابن إسحاق صرح بالتحديث، فزالت عنه شبهة التدليس.

(٥) سُميت هذه العمرة، بعمرة القضاء، لأنها كانت عن عمرة الحديبية، أو لأنها وقعت حسب المقاضاة، أى =



قال الحاكم: تواترت الأخبار أنه ﷺ لما هَلَ ذُو القعدة أمر أصحابه أن يعتمروا قضاء عمرتهم، وأن لا يتخلف منهم أحد شهد الحديبية، فخرجوا إلا من استشهد، وخرج معه آخرون معتمرين، فكانت عدتهم ألفين سوى النساء والصبيان. اهـ<sup>(١)</sup>.

واستخلف على المدينة عوف أباً رهم الغفاري، وساق ستين بدنة وجعل عليها ناجية ابن جندب الأسلمي، وأحرم للعمرة من ذي الحليفة، ولبي، ولبي المسلمون معه، وخرج مستعداً بالسلاح والمقاتلة، خشية أن يقع من قريش غدر، فلما بلغ يأجج وضع الأداة كلها: الحجف، والمجان، والنبيل، والرماح، وخلف عليها أوس بن خولى الأنصاري في مائتي رجل، ودخل بسلاح الراكب والسيوف في القرب<sup>(٢)</sup>. ٥

وكان رسول الله ﷺ عند الدخول راكباً على ناقته القصواء، والمسلمون متوشحوا السيوف، محذوقون برسول الله ﷺ يلبون.

### متى كانت عمرة القضاء

قال الحافظ في الفتح: «روى يعقوب بن سفيان في تاريخه بسند حسن عن ابن عمر قال: «كانت عمرة القضية في ذي القعدة سنة سبع»، وفي مغازي سليمان التيمي قال: «لما رجع النبي ﷺ من خيبر بثَّ سراياه، وأقام بالمدينة حتى استهل ذُو القعدة، فنَادَى في الناس أن تجهزوا إلى العمرة»<sup>(٣)</sup>.

### ارملوا ليرى المشركون قوتكم

كان المسلمون المهاجرون وهم في المدينة المنورة، يستشعرون شوقاً عنيقاً إلى مكة أم القرى، وكانت أعز أمانيتهم أن يعودوا إليها، وأن يروا أقربائهم، وأن يرووا ظمأهم من ماء زمزم، وأن يطوفوا بالبيت العتيق، فإذا بأمالهم كلها تتحقق، وها هم اليوم يطوفون

= المصاحلة التي وقعت في الحديبية.

والوجه الثاني الذي رجحه المحققون كابن قيم الجوزية في «زاد المعاد» وابن حجر في «فتح الباري» وهذه العمرة تسمى بأربعة أسماء - كما ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح -: القضاء، والقضية، والقصاص، والصلح.

(١) فتح الباري (٧/٧٠٠).

(٢) زاد المعاد (٢/١٥١).

(٣) فتح الباري (٧/٥٠٠) المغازي / باب: عمرة القضاء.

بالبیت العتیق وهم بصحبة الحبيب المصطفى ﷺ

ورمّل رسول الله ﷺ والمسلمون ثلاثة أشواط، فلما رأهم المشركون، قالوا: هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم، هؤلاء أجلد من كذا وكذا<sup>(١)</sup>.

وعن ابن عباس رضی الله عنهما قال: «قدم رسول الله ﷺ وأصحابه، فقال المشركون: إنه يقدم عليكم وفدٌ وهنتهم حمى يثرب، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة، وأن يمشوا ما بين الركنين ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم، وزاد ابن سلمة عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال: «لما قدم النبي ﷺ لعامة الذي استأمن قال: (ارملوا ليرى المشركون قوتكم) والمشركون من قبل قعيقان»<sup>(٢)</sup>.

### خلوا بنى الكفار عن سبيله

ودخل رسول الله ﷺ مكة من الثنية التي تطلعه على الحجون - وقد صفّ المشركون ينظرون إليه - فلم يزل يلبى حتى استلم الركن بمحجنه، ثم طاف، وطاف المسلمون، وعبد الله بن رواحة بين يدي رسول الله ﷺ يرتجز متوشحاً بالسيف:

خلوا بنى الكفار عن سبيله	خلوا فكل الخير في رسوله
قد أنزل الرحمن في تنزيله	في صحف تُتلى على رسوله
يا رب إني مؤمن بقبيله	إني رأيت الحق في قبوله
بأن خير القتل في سبيله	اليوم نضربكم على تنزيله
ضرباً يُزيل الهام عن مقيله	ويذهل الخليل عن خليله <sup>(٣)</sup>

وفي حديث أنس: فقال عمر: يا ابن رواحة بين يدي رسول الله ﷺ وفي حرم الله تقول الشعر؟ فقال له النبي ﷺ: «خل عنه يا عمر، فلهو أسرع فيهم من نضح النبل»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (٤١٢/١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٥٦) المغازي، ومسلم (١٢٦٦) الحج.

(٣) أخرجه ابن هشام في «السيرة» (٨٢٨/٣) عن ابن إسحاق، حدثني عبد الله بن أبي بكر مرسلًا بنحوه، ورواه عبد الرزاق من وجهين صحيحين عن أنس، كما قال الحافظ في «الفتح» (٥٠١/٧)، وانظر ما بعده.

(٤) رواه الترمذي (٢٨٥١)، والنسائي (٢٠٢/٥) وصححه الألباني في مختصر الشمائل (٢١٠).

### خوف الصحابة على النبي ﷺ

عن ابن أبي أوفى رضى الله عنه قال: «لما اعتمر رسول الله ﷺ سترناه من غلمان المشركين ومنهم أن يؤذوا رسول الله ﷺ» (١).  
وهكذا تكون المحبة لرسول الله ﷺ فهو القائل: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين» (٢).

### النبي ﷺ يتزوج ميمونة بنت الحارث (رضى الله عنها)

وفي هذه العمرة تزوج النبي ﷺ بميمونة بنت الحارث العامرية، وكان رسول الله ﷺ قبل الدخول في مكة بعث جعفر بن أبي طالب بين يديه إلى ميمونة، فجعلت أمرها إلى العباس، وكانت أختها أم الفضل تحته، فزوجها إياه، فلما خرج من مكة خلف أبا رافع ليحمل ميمونة إليه حين يمشى، فبنى بها بسرف (٣). (٤)

\* عن ميمون بن مهران قال: دخلت على صفية بنت شيبة، عجوز كبيرة، فسألتها: أتزوج النبي ﷺ ميمونة، وهو محرم، قالت: لا، والله لقد تزوجها وإنهما لحلالان (٥).  
وعن يزيد بن الأصم، قال: خطبها، وهو حلال، وبنى بها، وهو حلال (٦).  
عن أبي رافع: أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة حلالاً، وكنت الرسول بينهما (٧).  
وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «تزوج النبي ﷺ ميمونة وهو محرم وبنى بها وهو حلال، ومات بسرف» (٨).

\*\*\*

(١) أخرجه البخارى (٤٢٥٨) المغازى، ومسلم (١٤١٠) النكاح.

(٢) أخرجه البخارى ومسلم وأحمد والنسائى عن أنس - صحيح الجامع (٧٥٨٢).

(٣) زاد المعاد (١٥٢/٢).

(٤) أخرجه البخارى (١٨٣٧)، ومسلم (١٤١٠).

(٥) أخرجه ابن سعد (١٣٣/٨) وقال الأرنؤوط: ورجاله ثقات.

(٦) أخرجه مسلم (١٤١١) النكاح/ باب: تحريم نكاح المحرم وكرامة خطبته.

(٧) رواه أحمد (٣٩٣/٦)، والترمذى (٨٤١) وقال الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٨) أخرجه البخارى (٤٢٥٨) المغازى، ومسلم (١٤١٠) النكاح.

### المشركون يطلبون من النبي ﷺ أن يخرج من مكة

\* عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال: «اعتمر رسول الله ﷺ فى ذى القعدة، فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام، فلما كتبوا الكتاب كتبوا: «هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ﷺ»، قالوا: لا نفر بهذا لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئاً، ولكن أنت محمد بن عبد الله، فقال: أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله، ثم قال لعلى: امح رسول الله، قال على: لا والله لا أمحوك أبداً.

فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب - وليس يحسن يكتب - فكتب: «هذا ما قاضى محمد ابن عبد الله، لا يدخل مكة السلاح إلا السيف فى القراب، وأن لا يخرج من أهلها بأحد إن أراد أن يتبعه، وأن يمنع من أصحابه أحداً إن أراد أن يقيم بها» فلما دخلها ومضى الأجل أتوا علياً فقالوا: قل لصاحبك اخرج عنا، فقد مضى الأجل، فخرج النبي ﷺ (...)<sup>(١)</sup>.

\* وعن ابن عباس رضى الله عنهما: «... فأقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاثاً، فأتاه حويطب بن عبد العزى بن أبى قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل، فى نفر من قريش فى اليوم الثالث، وكانت قريش قد وكلته بإخراج رسول الله ﷺ من مكة، فقالوا له: إنه قد انقضى أجلك، فاخرج عنا، فقال النبي ﷺ: (وما عليكم لو تركتمونى فأعرست بين أظهركم، وصنعنا لكم طعاماً فحضرتموه).

قالوا: لا حاجة لنا فى طعامك، فاخرج عنا، فخرج رسول الله ﷺ، وخلف أباً رافع مولاه على ميمونة، حتى أتاه بها بسرف، فبنى بها رسول الله ﷺ هنالك، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة فى ذى الحجة»<sup>(٢)</sup>.

### خروج ابنة حمزة بن عبد المطلب خلف النبي ﷺ

\* عن البراء بن عازب قال: «.. فقالوا: قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الأجل، فخرج النبي ﷺ فتبعته ابنة حمزة تنادى، يا عم، يا عم، فتناولها (على) فأخذها بيدها، وقال لفاطمة عليها السلام، دونك ابنة عمك احملها، فاختصم فيها على وزيد وجعفر

(١) أخرجه البخارى (٢٦٩٩) الصلح، وأحمد (٩٩/١).

(٢) أخرجه البخارى (٤٢٥٩) فى المغازى معلقاً، وابن هشام فى السيرة (٣/٣٧٢).

قال (عليّ): أنا أخذتها، هي بنت عمي، وقال جعفر: ابنة عمي، وخالتها تيمتى، وقال زيد: ابنة أخي ففضى بها النبي ﷺ لخالتها وقال: (الخالة بمنزلة الأم).  
وقال لعلّي: (أنت منى وأنا منك). وقال لجعفر: (أشبهت خلقتى وخلقتى). وقال لزيد: (أنت أخونا ومولانا). وقال عليّ: ألا تتزوج بنت حمزة؟ قال: (إنها ابنة أخي من الرضاعة)»<sup>(١)</sup>.

### إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن أبي طلحة

\* عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال: «لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجالاً من قريش، كانوا يرون رأبى ويسمعون منى، فقلت لهم: تعلمون والله أنى أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً، وإنى قد رأيت أمراً، فما ترون فيه؟ قالوا: وماذا رأيت؟ قال: رأيت أن نلحق بالنجاشى، فنكون عنده، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشى، فإننا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد، وإن ظهر قومنا، فنحن من قد عرفوا، فلن يأتينا منهم إلا خير، قالوا: إن هذا الرأى، قلت: فاجمعوا لنا ما نهديه له، وكان أحب ما يهدى إليه من أرضنا الأدم<sup>(٢)</sup> فجمعنا له أدماً كثيراً، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه.

فوالله إننا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه فى شأن جعفر وأصحابه، قال: فدخل عليه، ثم خرج من عنده، قال: فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أمية الضمري، لو قد دخلت على النجاشى، وسألته إياه فأعطانيه، فضربت عنقه، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أنى أجزأت عنها<sup>(٣)</sup>، حين قتلت رسول محمد، قال: فدخلت عليه، فسجدت له كما كنت أصنع، فقال: مرحباً صديقى، أهديت إلى من بلادك شيئاً؟ قال: قلت: نعم، أيها الملك، قد أهديت إليك أدماً كثيراً، قال: ثم قربته إليه، فأعجبه واشتهاه.

ثم قلت له: أيها الملك، إنى قد رأيت رجلاً خرج من عندك، وهو رسول رجل عدو لنا، فأعطينه لأقتله، فإنه قد أصاب من أشرفنا وخيارنا، قال: فغضب، ثم مد يده،

(١) أخرجه البخارى (٢٦٩٩) الصلح، وأبو داود (٢٢٧٨).

(٢) الأدم: الجلد.

(٣) أجزأت عنها: كفيتها.

فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره، فلو انشقت لى الأرض لدخلت فيها فرقاً منه - أى خوفاً منه - ثم قلت له: أيها الملك، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتك، قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله!

قال: قلت: أيها الملك، أكذاك هو؟ قال: ويحك يا عمرو أظعني واتبعه، فإنه والله لعلى الحق، وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده، قال: قلت: أفتبايعني له على الإسلام؟ قال: نعم، فبسط يده، فبايعته على الإسلام، ثم خرجت إلى أصحابي، وقد حال رأيي عما كان عليه، وكتمت أصحابي إسلامي».

«ثم خرجت عامداً إلى رسول ﷺ لأسلم، فلقيت خالد بن الوليد، وذلك قبيل الفتح، وهو مقبل من مكة، فقلت: أين يا أبا سليمان؟

قال: والله لقد استقام المنسم<sup>(١)</sup>، وإن الرجل لنبي، أذهب والله فأسلم، فحتى متى، قال: قلت: والله ما جئت إلا لأسلم. قال: فقدما المدينة على رسول الله ﷺ، فتقدم خالد بن الوليد، فأسلم، وبايع، ثم دنوت، فقلت: يا رسول الله، إنى أبايعك على أن يغفر لى ما تقدم من ذنبي، ولا أذكر ما تأخر.

قال: فقال رسول الله ﷺ: (يا عمرو، بايع، فإن الإسلام يجب ما كان قبله، وإن الهجرة تجب ما كان قبلها، قال: فبايعته ثم انصرفت).

قال ابن إسحاق: وقد حدثني من لا أتهم أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة كان معهما أسلم حين أسلما<sup>(٢)</sup>.

\* وعن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال: «.. فلما جعل الله الإسلام فى قلبى أتيت النبى ﷺ فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك. فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي، قال:

(١) استقام المنسم: تبين الطريق ووضح.

(٢) أخرجه أحمد فى المسند: (٤/١٩٨ - ١٩٩، ٢٠٤، ٢٠٥)، الحاكم فى المستدرک (٣/٤٥٤)، وإحدى طرقه عند أحمد (٤/٢٠٥) يحيى بن إسحاق أن ليث بن سعد عن يزيد إستادها صحيح على شرط مسلم رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين غير ابن شماسه، وهو عبد الرحمن فهو على شرط مسلم فقط، بل وأخرجه مسلم فى صحيحه بلفظ (الإسلام يهدم ما قبله) برقم: ١٢١، الإيمان باب كون الإسلام يهدم ما قبله وقال الشيخ الساعاتى فى الفتح الربانى: (٢١/١٣٤ - ١٣٦)، رواه ابن إسحاق، وسنده جيد، وقال الهيثمى فى المجمع: (٩/٣٥٠، ٣٥١) مناقب عمرو بن العاص: رواه أحمد والطبرانى، ورجالهما ثقات، فالحديث بذلك صحيح.

(مالك يا عمرو؟) قال: قلت: أردت أن أشرط. قال: (تشرط بماذا؟) قلت: أن يغفر لي. قال: (أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله؟..)(١).

\*\*\*

(١) أخرجه مسلم (١٢١) كتاب الإيمان.

## غزوة مؤتة<sup>(١)</sup>

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وهى بأدنى البلقاء من أرض الشام، وكانت فى جمادى الأولى سنة ثمان، وكان سببها أن رسول الله ﷺ بعث الحارث بن عمير الأزدى أحد بنى لهب بكتابه إلى الشام إلى ملك الروم أو بصرى فعرض له شرحبيل بن عمرو الغسانى فأوثقه رباطاً ثم قدّمه فضرب عنقه، ولم يُقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره<sup>(٢)</sup>، وكان قتل السفراء والرسول من أشنع الجرائم، يساوى بل يزيد على إعلان حالة الحرب، فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ حين نُقلت إليه الأخبار، فجهز إليهم جيشاً قوامه ثلاثة آلاف مقاتل، وهو أكبر جيش إسلامى، لم يجتمع قبل ذلك إلا فى غزوة الأحزاب.

### تعيين القادة على جيش مؤتة

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: «أمر رسول الله ﷺ فى غزوة مؤتة زيد بن حارثة فقال رسول الله ﷺ: «إن قُتل زيد فجعفر، وإن قُتل جعفر فعبد الله بن رواحة، قال عبد الله: كنت فيهم فى تلك الغزوة، فالتمسنا جعفر بن أبى طالب فوجدناه فى القتلى، ووجدنا ما فى جسده بضعاً وتسعين من طعنة ورمية»<sup>(٣)</sup>.

### أهل المدينة يودعون الجيش

عن عروة بن الزبير قال: «بعث رسول الله ﷺ بعثة إلى مؤتة فى جمادى الأولى سنة ثمان، واستعمل عليهم زيد بن حارثة، وقال: إن أصيب زيد فجعفر بن أبى طالب على الناس، فإن أصيب جعفر، فعبد الله بن رواحة على الناس.

(١) ذهب بعض العلماء إلى أنها سرية وليست غزوة لأن النبى ﷺ لم يخرج معهم فيها ولكن عامة علماء السيرة أطلقوا عليها اسم الغزوة لكثرة عدد المسلمين فيها ولما كان لها من أهمية بالغة.

(٢) زاد المعاد (٣/ ٣٨١).

(٣) أخرجه البخارى (٤٢٦١) المغازى/ باب: غزوة مؤتة.



فتجهز الناس، ثم تهيأوا للخروج...هم ثلاثة آلاف، فلما حضر خروجهم ودَّع الناس أمراء رسول الله ﷺ، وسلموا عليهم، فلما ودَّع عبد الله بن رواحة مع من ودَّع من أمراء رسول الله ﷺ بكى، فقالوا: ما يبكيك يا ابن رواحة؟ فقال: أما والله ما بي حب الدنيا ولا صباة بكم، ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله عز وجل، يذكر فيها النار ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١] فلست أدرى كيف لى بالصدر بعد الورود. فقال المسلمون: صحبكم الله ودفع عنكم، وردكم إلينا صالحين، فقال عبد الله بن رواحة:

لكنى أسأل الرحمن مغفرة      وضربة ذات فرغ<sup>(١)</sup> تقذف الزبدا<sup>(٢)</sup>  
 أو طعنة بيدي حران مجهزة<sup>(٣)</sup>      بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا<sup>(٤)</sup>  
 حتى يقال إذا مروا على جدثي<sup>(٥)</sup>      أرشده الله من غاز وقد رشدا<sup>(٦)</sup>

### تخلف عبد الله بن رواحة لحضور صلاة الجمعة

\* عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «بعث رسول الله ﷺ ابن رواحة فى سرية فوافق ذلك يوم الجمعة، قال فقدم أصحابه وقال: أتخلف فأصلى مع النبى ﷺ الجمعة، ثم ألحقهم، قال: فلما رآه رسول الله ﷺ قال: (ما منعك أن تغدو مع أصحابك؟) قال: أردت أن أصلى معك الجمعة قال: فقال رسول الله ﷺ: (لو أنفقت ما فى الأرض ما أدركت غدوتهم)»<sup>(٧)</sup>.

ثم إن القوم تهيأوا للخروج فأتى عبد الله بن رواحة رسول الله ﷺ يودعه فقال:  
 يثتُ الله ما أتاك من حُسنٍ      تثبيت موسى ونصراً كالذى نُصروا

(١) ذات فرغ: يريد طعنة واسعة.

(٢) الزبد: أصله ما يعلو الماء إذا غلا، وأراد هنا ما يعلو الدم الذى ينفجر من الطعنة.

(٣) مجهزة: سريعة القتل.

(٤) تنفذ الأحشاء: تخرقها وتصل إليها.

(٥) الجدث: القبر.

(٦) ابن هشام فى السيرة: والبيهقى فى الدلائل ٤/٣٥٨ - ٣٦٠، والطبرانى فى التاريخ: ٣/١٠٧، ٢/٣٧٣ -

٣٧٤، عن عروة مرسلأ، ورجاله ثقات، وقال الهيثمى فى المجمع: ٦/١٥٧ - ١٥٨، رواه الطبرانى، ورجاله ثقات إلى عروة وله شاهد من الحديث الذى بعده.

(٧) أخرجه أحمد (١/٢٥٦) وللحديث شاهد بإسناده جيد.

إني تفرستُ فيكَ الخيرَ نافلةً      فراسةً خالفتهم في الذي نظروا  
أنتَ الرسولُ فمن يُحرمُ نوافله      والوجه منه فقد أزرى به القدرُ

ثم خرج القوم وخرج رسول الله ﷺ يشيعهم حتى إذا ودعهم وانصرف عنهم قال عبد الله بن رواحة:

خلف السلام على امرئٍ ودعته      في النخل غير مشيع وخليلٍ

ثم مضوا حتى نزلوا (معان) من أرض الشام فبلغهم أن هرقل في باب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم، وقد اجتمعت إليهم المستعربة من لحم وجذام وبلقين وبهرام وبلبي في مائة ألف، عليهم رجل يلي أخذ رايتهم يقال له ملك بنى زانة، فلما بلغ ذلك المسلمين قاموا بمعان ليلتين ينظرون في أمرهم وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا فيما أن يمدنا وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له، فشجع عبد الله بن رواحة الناس وقال: يا قوم والله إن الذي تكرهون للذي خرجتم له تطلبون (الشهادة)، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة إنما نقاتلهم بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانطلقوا وإنما هي إحدى الحسينين: إما ظهور وإما شهادة<sup>(١)</sup>.

\* وكان لهذه الكلمة الملتهبة أثرها، فاختلفت من صفوف المسلمين مشاعر التردد، وقرروا القتال، مهما كانت النتائج.

وابن رواحة شاعر حد العاطفة، وقد أحس منذ خروجه أن الاستشهاد مقبل عليه فهو يتهيأ له بقلبه ولسانه، وقد تكون الحكمة العسكرية في تصرف غير ما أوحى به، غير أن المسلمين ما أن سمعوا حديث الفداء والموت في سبيل الله حتى جاشت أنفسهم محبة الآخرة، ثم ذكروا أنهم نُصروا في معارك سابقة باستعداد أقل من عدوهم، فأقدموا مطمئنين<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) ابن هشام (١١: ٩/٤) بتصرف.

(٢) فقه السيرة/ للغزالي (ص: ٤١٠).

## هكذا يصنع الإيمان

إن أهم ما يثير الدهشة، في هذه الغزوة، تلك النسبة الكبيرة من الفرق بين عدد المسلمين فيها وعدد مقاتليهم من الروم والمشركين العرب! .. لقد رأيت أن عدد المشركين ومن معهم من الروم قد بلغ ما يقرب من مائتي ألف مقاتل! .. على حين أن عدد المسلمين لم يتجاوز ثلاثة آلاف. ومعنى ذلك أن عدد المشركين والروم قد بلغوا ما لا يقل عن خمسين ضعفاً لعدد المسلمين! .. وهى نسبة إذا ما تصورتها، تجعل رقعة الجيش الإسلامى، أمام حشود الروم والمشركين، أشبه ما تكون بساقية ماء صغيرة بالنسبة إلى بحرٍ خضم مائج، هذا إلى ما كان قد جهَّز به جيش الأعداء من العدة والذخيرة والسلاح ومظاهر الأبهة والبذخ، على حين أن المسلمين كانوا يعانون من القلة والفقر! ..

ومكان الدهشة فى الأمر، أن تجد المسلمين بعد هذا كله - وهم سرية ليس فيها رسول الله ﷺ - مقبلين غير مدبرين، لا يقيمون لكل هذه الحشود الهائلة أمامهم وزناً، مع أنها - فيما يبدو ويظهر - لو التفت من حولهم وطوقتهم من جهاتهم، لانقلبوا إلى ما يشبه نواة صغيرة فى جوف قطعة أرض سوداء! ..

ثم إن مكان الدهشة بعد ذلك، أن يصمد المسلمون لقتال هذا اليمّ المتلاطم. يُقتل أميرهم الأول، ثم الثانى، فالثالث، وهم يقتحمون أبواب الشهادة فى نشوة بالغة وإقبال عجيب، حتى يدخل الرعب الإلهى فى أفئدة كثير من المشركين، دون أن يكون له سبب ظاهر، فينكشفون عن مواقعهم ويدبر منهم الكثير، وتُقتل منهم خلائق لا تكاد تُحصى! ..

ولكن الدهشة كلها تزول، والعجب ينتهى، إذا تذكرنا ما يفعله الإيمان بالله، والاعتماد عليه، واليقين بوعدهِ<sup>(١)</sup>.

## الجيش الإسلامى يتحرك نحو العدو

وحيثُ بعد أن قضى الجيش الإسلامى ليلتين فى معان، تحركوا إلى أرض العدو، حتى لقيتهم جموع هرقل بقرية من قرى البلقاء يقال لها: «مشارف»، ثم دنا العدو، وانحاز المسلمون إلى مؤتة، فعسكروا هناك وتعبأوا للقتال، فجعلوا على ميمتهم قطبة ابن قتادة العذرى، وعلى الميسرة عبادة بن مالك الأنصارى.

(١) فقه السيرة النبوية/ محمد سعيد البوطى (ص: ٢٦٠: ٢٦١).

### بداية القتال... وتناوب القواد

وهناك في مؤتة التقى الفريقان، وبدأ القتال المرير، ثلاثة آلاف رجل يواجهون هجمات مائتي ألف مقاتل... معركة عجيبة تشاهدها الدنيا بالدهشة والحيرة، ولكن إذا هبت ريح الإيمان جاءت بالعجائب.

أخذ الراية زيد بن حارثة - حبُّ رسول الله ﷺ - وجعل يقاتل بضراوة بالغة، وبسالة لا يوجد لها نظير إلا في أمثاله من أبطال الإسلام، فلم يزل يقاتل ويقاوم حتى شاط في رماح القوم، وخرَّ صريعاً.

وحيثُ أخذ الراية جعفر بن أبي طالب، وطفق يقاتل قتالاً منقطع النظير، حتى إذا أرهقه القتال اقتحم عن فرسه الشقراء فعقرها، ثم قاتل حتى قُطعت يمينه، فأخذ الراية بشماله، ولم يزل بها حتى قُطعت شماله، فاحتضنها بعضديه، فلم يزل رافعاً إياها حتى قُتل. يقال: إن رومياً ضربه ضربة قطعته نصفين، وأثابه الله بجناحيه جناحين في الجنة، يطير بهما حيث يشاء، ولذلك سُمِّي بجعفر الطيار، وبجعفر ذى الجناحين<sup>(١)</sup>.

ولما قُتل جعفر بعد القتال بمثل هذه الضراوة والبسالة أخذ الراية عبد الله بن رواحة، وتقدم بها، وهو على فرسه، فجعل يستنزل نفسه، ويتردد بعض التردد حتى حاد حيدة، ثم قال:

أقسمتُ يا نفسى لتنزلنَّه	طائعة أو لتكرهنَّه
مالي أراك تكرهين الجنة	إن أجلب الناس وشدوا الرنَّه
لطالما قد كنتِ مطمئنَّه	هل أنتِ إلا نطفةٌ فى سنَّه

وقال عبد الله بن رواحة:

يا نفس إلا تقتلى تموتى	هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد لقيت	إن تفعلى فعلهما هُديت

ثم نزل فلما نزل أتاه ابن عم له بعظم من لحم فقال: اشدد بهذا صلبك فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما قد لقيت، فأخذه من يده فانتهش منه نهشة ثم سمع الحطمة في ناحية

(١) أخرجه البخارى (٣٧٠٩) عن ابن عمر - رضى الله عنهما - أنه كان إذا سلم على ابن جعفر قال: «السلام عليك يا ابن ذى الجناحين»، وقد صح مرفوعاً إثبات الجناحين لجعفر انظر «فتح البارى» [٧/٧٦].

الناس فقال: وأنت في الدنيا - يقولها لنفسه - ثم ألقاه من يده ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قُتل، فأخذ الراية ثابت بن أرقم أخو بني عجلان وقال يا أيها الناس اصطلحوا على رجل منكم، قالوا: أنت. قال: ما أنا بفاعل، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية دافع القوم ثم انحاز حتى انصرف»<sup>(١)</sup>.

لقد كان هدف (خالد) مناوشة الرومان بحيث يلحق بهم أفدح الخسائر دون أن يُعرض كتلة الجيش لالتحام عام، وقد أفلحت هذه الخطة في إنقاذ الآلاف القليلة التي معه، وإنقاذ سمعة المسلمين في أول معركة لهم مع الدولة الكبرى.

والعجيب أن الرومان أعياهم هذا القتال وأصيبوا فيه بخسائر كبيرة، بل إن بعض فرقه انكشف، وولى مهزوماً. واكتفى خالد بهذه النتيجة، وآثر الانصراف بمن معه<sup>(٢)</sup>.

### النبي ﷺ ينعى القادة الثلاثة للناس

عن أنس رضى الله عنه: «أن النبي ﷺ نعى زيداً وجعفرأً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال: «أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذ جعفر فأصيب ثم أخذ ابن رواحة فأصيب - وعيناه تذرّفان - حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم»<sup>(٣)</sup>.

### معجزة للنبي ﷺ ووسام على صدر (خالد)

لقد رأيت أن النبي ﷺ نعى لأصحابه زيداً وجعفر وابن رواحة وعيناه تذرّفان وكان بين رسول الله ﷺ وبينهم مسافات شاسعة بعيدة!..

وهذا يدل على أن الله تعالى قد زوى لرسوله الأرض، فأصبح يرى من شأن المسلمين الذين يقاتلون على مشارف الشام، ما حدث أصحابه به، وهى من جملة الخوارق الكثيرة التى أكرم الله بها حبيبه ﷺ.

كما يدل هذا الحديث نفسه على مدى شفقتة على أصحابه، فلم يكن شيئاً قليلاً أن يبكى رسول الله ﷺ وهو واقف فى أصحابه يحدثهم عن خبر هؤلاء الشهداء. وأنت

(١) قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٦/١٥٩، ١٦٠): رواه الطبرانى ورجاله ثقات.

(٢) فقه السيرة/ للغزالي (ص: ٤١٢).

(٣) أخرجه البخارى (٧/٥٨٥) المغازى.

خبير أن بكاءه ﷺ عليهم، لا يتنافى مع الرضى بقضاء الله تعالى وقدره فإن العين لتدمع والقلب ليحزن - كما قال عليه الصلاة والسلام - وتلك رقة طبيعية ورحمة فطر الله الإنسان عليهما.

وحديث نعيه ﷺ لهؤلاء الشهداء الثلاثة، يسجل فضلاً خاصاً لخالد بن الوليد رضى الله عنه، فقد قال لهم فى آخر حديثه: «حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح عليهم». وتلك أول وقعة يحضرها خالد رضى الله عنه فى صف المسلمين، إذ لم يكن قد مضى على إسلامه إلا مدة يسيرة. ومن هنا تعلم أن الرسول ﷺ هو الذى سجل لقب سيف الله، لخالد رضى الله عنه.

ولقد أبلى رضى الله عنه، فى هذه الغزوة بلاءً رائعاً... روى البخارى أن خالدًا رضى الله عنه قال: «لقد انقطعت فى يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، فما بقى فى يدي إلا صفيحة يمانية». قال ابن حجر: وهذا الحديث يدل على أن المسلمين قد قتلوا من المشركين كثيراً<sup>(١)</sup>.

### ذكاء وهفظة من خالد (رضى الله عنه)

لقد نجح خالد فى الصمود أمام جيش الرومان طول النهار، فى أول يوم من القتال، وكان يشعر بمسيس الحاجة إلى مكيدة حربية، تلقى الرعب فى قلوب الرومان؛ حتى ينجح فى الانحياز بالمسلمين من غير أن يقوم الرومان بحركات المطاردة، فقد كان يعرف جيداً أن الإفلات من براثنهم صعب جداً لو انكشف المسلمون، وقام الرومان بالمطاردة.

فلما أصبح اليوم الثانى غيرَ أوضاع الجيش، وعبأه من جديد، فجعل مقدمته ساقية، وميمنته ميسرته، وعلى العكس، فلما رآهم الأعداء أنكروا حالهم، وقالوا جاءهم مدد فرعبوا وصار خالد - بعد أن تراءى الجيشان، وتناوشا ساعة - يتأخر بالمسلمين قليلاً قليلاً، مع حفظ نظام جيشه، ولم يتبعهم الرومان ظناً منهم أن المسلمين يخدعونهم، ويحاولون القيام بمكيدة ترمى بهم فى الصحراء.

وهكذا انحاز العدو إلى بلاده، ولم يفكر فى القيام بمطاردة المسلمين، ونجح المسلمون فى الانحياز سالمين، حتى عادوا إلى المدينة<sup>(٢)</sup>.

(١) فقه السيرة النبوية/ للبوطفى (ص: ٢٦٢).

(٢) فتح البارى (٧/ ٥١٣: ٥١٤) - زاد المعاد (٢/ ١٥٦).

## أثر المعركة

وهذه المعركة وإن لم يحصل المسلمون بها على الثأر، لكنها كانت كبيرة الأثر لسمعة المسلمين، إنها أَلقت العرب كلها في الدهشة والحيرة، فقد كانت الرومان أكبر وأعظم قوة على وجه الأرض، وكانت العرب تظن أن معنى جلادها هو القضاء على النفس، فكان لقاء هذا الجيش الصغير - ثلاثة آلاف مقاتل - مع ذلك الجيش الضخم العرمرم الكبير - مائتا ألف مقاتل - ثم الرجوع عن الغزو من غير أن تلحق به خسارة تُذكر، كان كل ذلك من عجائب الدهر، وكان يؤكد أن المسلمين من طراز آخر غير ما أَلفته العرب وعرفته، وأنهم مؤيدون ومنصورون من عند الله، وأن أصحابهم، رسول الله حقًا، ولذلك نرى القبائل اللدودة التي كانت لا تزال تثور على المسلمين جنحت بعد هذه المعركة إلى الإسلام، فأسلمت بنو سليم وأشجع وغطفان وذبيان وفزارة وغيرها.

وكانت هذه المعركة بداية اللقاء الدامى مع الرومان، فكانت توطئة وتمهيداً لفتوح البلدان الرومانية، واحتلال المسلمين الأراضى البعيدة النائية<sup>(١)</sup>.

## دروس غالية للأمة

والدلالة التي تعلقو على الريب في هذه المعركة أن شجاعة المسلمين وبسالتهم بلغنا حدًا لم تعرفه أمة معاصرة، وقد أكسبهم هذا الروح العالى إقدامًا حقرَّ أمامهم كبرياء الأمم التي عاشت مع التاريخ دهرًا، تصول وتجول لا يقفها شيء.

إن الاستهتار بالخطر والطيران إلى الموت ليس فروسية احتكرها الرجال المقاتلون وحدهم، بل هي قوة غامرة قاهرة تعدت الرجال إلى الأطفال فأصبحت الأمة كلها أمة كفاح غال عزيز. وحسبك أن جيش «مؤتة» لما عاد إلى المدينة قابله الصبية بصيحات الاستنكار يقولون: يا فرار، فررتم في سبيل الله؟ إن أولئك الصغار الأغرار يرون انسحاب خالد ومن معه فرارًا يقابل بحشو التراب... أى جيل قوى نابِه هذا الجيل الذى صنعه الإيمان بالحق؟ أى نجاح بلغته رسالة الإسلام فى صياغة أولئك الأطفال العظام؟

(١) الرحيق المختوم (ص: ٤٢٣: ٤٢٤).

مَنْ أبائهم؟ مَنْ أمهاتهم؟ كيف كان الآباء يربون؟ وكيف كانت الأمهات يدلن؟  
إن مسلمة اليوم بحاجة ماسة إلى أن تعرف هذه الدروس<sup>(١)</sup>.

### فضيلة الأمراء الثلاثة

عن أبي أمامة الباهلي رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينما أنا نائم إذ أتاني رجلان، فأخذوا بضبعي، فأتيا بي جبلاً وعراً، فقالا: اصعد، فقلت: (لا أطيعه). فقالا: إنا سنسهله لك. قال: فصعدت حتى إذا كنت في سواء الجبل - فذكر الحديث وفي آخره - ثم أشرفا بي شرقاً، فإذا بنفر ثلاثة يشربون من خمر لهم فقلت: من هؤلاء؟ قالوا: هذا جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة، ثم أشرفا شرقاً آخر فإذا أنا بنفر ثلاثة، فقلت: من هؤلاء؟ قالوا: هذا إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وهم ينتظرونك<sup>(٢)</sup>».

### منزلة زيد بن حارثة (رضى الله عنه)

عن بريدة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة، فاستقبلتني جارية شابة، فقلت: لمن أنت؟ قالت: أنا لزيد بن حارثة<sup>(٣)</sup>».

### وجعفر يطير بجناحيه في الجنة

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة البارحة فنظرت فيها، فإذا جعفر يطير مع الملائكة، وإذا حمزة متكئ على سريره<sup>(٤)</sup>».

«وكان ابن عمر إذا حيا ابن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذى الجناحين<sup>(٥)</sup>».

(١) فقه السيرة/ للغزالي (ص: ٤١٣).

(٢) أخرجه الطبراني برقم: ٧٦٦٦، ٧٦٦٧، وابن خزيمة برقم: ١٩٨٦، والحاكم مختصراً: ٤٣٠/١، والبيهقي: ٢١٦/٤، والنسائي في الكبرى كما في التحفة: ١٦٦/٤، وابن حبان رقم: ١٨٠٠ موارد، وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في المجمع: ٧٦/١ - ٧٧ رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

(٣) رواه الروياني والضياء وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٦٦).

(٤) رواه الطبراني في الكبير والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٦٣).

(٥) رواه البخاري (٣٧٠٩) المغازي.



قال ابن كثير: «لأن الله تعالى عوضه عن يديه بجناحين فى الجنة»<sup>(١)</sup>.

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت جعفر بن أبى طالب ملكاً يطير فى الجنة مع الملائكة بجناحين»<sup>(٢)</sup>.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ابن أبى طالب ملكاً فى الجنة، مضرجة قواده بالدماء، يطير فى الجنة»<sup>(٣)</sup>.

وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مرَّ بى جعفر الليلة فى ملأ من الملائكة، وهو مخضب الجناحين بالدم، أبيض الفؤاد»<sup>(٤)</sup>.

وقال عبد الله بن جعفر. قال لى رسول الله ﷺ: «هنيئاً لك!! أبوك يطير مع الملائكة فى السماء»<sup>(٥)</sup>.

وعن ابن عباس مرفوعاً: «إن جعفرأ يطير مع جبريل وميكائيل، له جناحان عوضه الله من يديه»<sup>(٦)</sup>.

### حزن النبى ﷺ على جعفر (رضى الله عنه)

وهنا يذهب الحبيب ﷺ إلى أسماء (رضى الله عنها) ليلغها خبر استشهاد زوجها..  
وياله من مشهد يجعل القلوب تبكى الدماء بدل الدموع.

\* عن أسماء ابنة عميس، قالت: لما أصيب جعفر وأصحابه دخل على رسول الله ﷺ وقد دبغت أربعين مناً - ويقال منيئة - وعجنت عجيني، وغسلت بنى ودهنتهم ونظفتهم، قالت: فقال لى رسول الله ﷺ: «أنتى بينى جعفر»، قالت: فأتيته بهم، فشمهم وذرفت عيناه، فقلت: يا رسول الله، بأبى أنت وأمى، ما يُبيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شىء؟ قال: «نعم، أُصيبوا هذا اليوم». قالت: فقامت أصيح، واجتمعت

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٣/٢٥٦).

(٢) رواه الترمذى والحاكم فى المستدرک عن أبى هريرة - صحيح الجامع (٣٤٥٩).

(٣) أخرجه الحاكم عن ابن عباس وصححه، وكذلك هو فى الاستيعاب، وقال الحافظ فى الفتح: أخرجه الحاكم والطبرانى عن ابن عباس، وإسناده جيد.

(٤) قال الحافظ فى الفتح (٧/٩٦): أخرجه الحاكم بإسناد صحيح على شرط مسلم.

(٥) قال الحافظ فى الفتح (٧/٩٦): أخرجه الطبرانى بإسناد حسن.

(٦) قال الحافظ فى الفتح (٧/٩٦) وإسناده هذه جيد.

إلى النساء، وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله، فقال: «لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاماً فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم»<sup>(١)</sup>.

\* وعن عبد الله بن جعفر - ابن الشهيد - جاءنا النبي ﷺ، بعد ثلاث من موت جعفر فقال: «لا تبكوا على أخى بعد اليوم، وادعوا لى بنى أخى».

قال عبد الله: فجىء بنا كأننا أفراخ. فقال: ادعوا إلى الحلاق. فجىء بالحلاق فحلق رؤوسنا، ثم قال الرسول عليه الصلاة والسلام - مداعباً: «أما محمد فشببه عمنا أبى طالب. وأما عبد الله فشببه خلقى وخلقى. ثم أخذ بيدي فأشالها وقال: اللهم اخلف جعفرًا فى أهله. وبارك لعبد الله فى صفقة يمينه» - قالها ثلاث مرات.

قال عبد الله: وجاءت أمنا فذكرت له يئمتنا وجعلت تحزنه فقال لها النبي: «العيلة تخافين عليهم وأنا وليهم فى الدنيا والآخرة؟»<sup>(٢)</sup>.

### وقفة أخيرة

لقد كانت النصرمة ملازمة لأصحاب النبي ﷺ على الرغم من قلة عددهم وعدتهم لأنهم كانوا يتحركون بعقيدة أشد رسوخاً من الجبال الراسيات ... أما نحن لما تركنا أصل عزنا ونبع شرفنا ومعين كرامتنا وضعفت العقيدة فى قلوبنا وإذا باليهود الأقدار يسفكون دماءنا ويتتهكون أعراضنا ومقدساتنا على الرغم من قلة عددهم وكثرة عددنا.

وهذا كما أخبر النبي ﷺ حيث قال: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. قيل: يا رسول الله فمن قلة يومئذ؟ قال: لا ولكنكم غثاء كغثاء السيل يجعل الوهن فى قلوبكم ويُنزع الرعب من قلوب عدوكم لحبكم الدنيا وكرهيتكم الموت»<sup>(٣)</sup>.

فيا ليتنا نأخذ العبرة والعظة من غزوة مؤتة لنعود إلى العقيدة الصافية التى كانت - بإذن الله - سبباً فى نصره أصحاب النبي ﷺ وستكون سبباً لنصرتنا إذا عادت الأمة إلى الله (عز وجل) وتمسكت بتلك العقيدة الصافية.

(١) رواه أبو داود وابن ماجه والترمذى وذكره الألبانى فى صحيح ابن ماجه وقال: حديث حسن.

(٢) حديث صحيح، أخرجه أحمد (رقم ١٧٥٠) بإسناد صحيح على شرط مسلم، وبعضه عند أبى داود والحاكم وصححه، ووافقه الذهبى.

(٣) رواه أحمد وأبو داود عن ثوبان وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٨١٨٣).

## سرية ذات السلاسل

\* ولما علم رسول الله ﷺ بموقف القبائل العربية التي تقطن مشارف الشام في معركة مؤتة، من اجتماعهم إلى الرومان ضد المسلمين، شعر بمسئولية الحاجة إلى القيام بحكمة بالغة توقع الفرقة بينها وبين الرومان، وتكون سبباً للاتلاف بينها وبين المسلمين، حتى لا تتحشد مثل هذه الجموع الكبيرة مرة أخرى.

واختار لتنفيذ هذه الخطة عمرو بن العاص؛ لأن أم أبيه كانت امرأة من (بلى)، فبعثه إليهم في جمادى الآخرة سنة ٨ هـ على إثر معركة مؤتة ليستأنفهم، ويقال: بل نقلت الاستخبارات أن جمعاً من (قضاة) قد تجمعوا، يريدون أن يدنوا من أطراف المدينة، فبعثه إليهم، ويمكن أن يكون السببان اجتماعاً معاً<sup>(١)</sup>.

\* كانت هذه السرية في جمادى الثاني سنة ثمان للهجرة كما قال ابن سعد والجمهور، ونقل ابن عساکر الاتفاق على أنها كانت بعد غزوة مؤتة، إلا أن ابن إسحاق قال: إنها قبلها<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن إسحاق عن يزيد عن عروة: هي بلاد بلى وعذرة، وبنى القين. وهذه القبائل التي ذكرها هي بطون من قضاة كمال قال الحافظ في الفتح.

\* وقيل إنها سُميت ذات السلاسل لأن المشركين ارتبط بعضهم إلى بعض بالسلاسل مخافة أن يفروا، وقيل لأن بها ماءً يقال له السلسل، وقال ابن سعد: إنها وراء وادي ذى القري وبينها وبين المدينة عشرة أيام.

(١) الرحيق المختوم (ص ٤٢٤).

(٢) فتح الباري (٨/٧٤).

## أحداثها

\* عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال: «بعث إلى رسول الله ﷺ، فقال: (خذ عليك ثيابك، وسلاحك، ثم اتنى). فأتيته، وهو يتوضأ، فصعد في النظر، ثم طأطأ، فقال: (إني أريد أن أبعثك على جيش<sup>(١)</sup>) فيسلمك الله ويغنمك، وأرغب لك من المال رغبة صالحة)، قال: قلت: يا رسول الله ما أسلمت من أجل المال، ولكني أسلمت رغبة في الإسلام، وأن أكون مع رسول الله ﷺ فقال: «يا عمرو نعم المال الصالح للمرء الصالح»<sup>(٢)</sup>.

\* وعن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال: «إن رسول الله ﷺ بعثه في ذات السلاسل، فسأله أصحابه أن يوقدوا ناراً فمنعهم، فكلموا أبا بكر، فكلمه في ذلك، فقال: لا يوقد أحد منهم ناراً إلا قذفته فيها، قال: فلقوا العدو فهزمهم، فأرادوا أن يتبعوهم فمنعهم. فلما انصرفوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فسأله فقال: كرهت أن أذن لهم أن يوقدوا ناراً فيرى عدوهم قتلهم، وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد... فحمد أمره فقال: يا رسول الله من أحب الناس إليك؟ قال: (عائشة).

قلت: من الرجال: قال: (أبوها): قلت: ثم من؟ قال: (عمر) فعد رجالاً. فسكت مخافة أن يجعلني في آخرهم»<sup>(٣)</sup>.

## إن الله كان بكم رحيماً

\* وعن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال: «احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيمنت، ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: (يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟) فأخبرته بالذي منعي من الاغتسال، وقلت: إني سمعت الله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩] فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً»<sup>(٤)</sup>.

(١) جيش: جيش سرية ذات السلاسل.

(٢) أخرجه ابن حبان (٢٢٧٧)، وأحمد (١٩٧/٤)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه الترمذى (٣٨٨٦)، وأحمد (٢٠٣/٤)، والحاكم (٤٢/٣ - ٤٣)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) أخرجه أبو داود (٣٣٤)، وعلقه البخارى (٣٨٥/١)، وقواه الحافظ وصححه الحاكم (١٧٧/١) ووافقه

وفى لفظ آخر: «عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص: «أن عمراً كان على سرية، فأصابهم بردٌ شديد لم يروا مثله، فخرج لصلاة الصبح، فقال: احتلمت البارحة، ولكنى والله ما رأيت برداً مثل هذا، فغسل مغابنه<sup>(١)</sup>، وتوضأ للصلاة، ثم صلى بهم، فلما قدم على رسول الله ﷺ، سأل رسول الله ﷺ: (كيف وجدتم عمراً وصحابته؟) فأثنوا عليه خيراً، وقالوا: يا رسول الله، صلى بنا وهو جنب، فأرسل إلى عمرو فسأله: فأخبره بذلك وبالذي لقي من البرد، وقال: إن الله قال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، ولو اغتسلت مت، فضحك رسول الله ﷺ .

\*\*\*

(١) المغابن: الأرفاع وهى بواطن الأفخاذ عند الحوالب.

## فتح مكة

قال الإمام ابن القيم: هو الفتح الأعظم الذي أعزَّ الله به دينه، ورسوله، وجنده، وحزبه الأمين، واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هُدًى للعالمين من أيدي الكفار والمشركين، وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء، وضربت أطنابُ عزه على مناكب الجوزاء، ودخل الناس به في دين الله أفواجاً، وأشرق به وجه الأرض ضياءً وابتهاجاً<sup>(١)</sup>.

### سبب الغزوة

شغل المسلمون بعد عهد الحديبية بنشر الدعوة وعرض تعاليم الإسلام على كل ذي عقل. وكان وفاؤهم لقريش أمراً مقررًا فيما أحبوا وفيما كرهوا - ورأى الناس من ذلك الآيات البينات.

لكن قريشاً ظلت على جمودها القديم في إدارة سياستها، غير واعية للأحداث الخطيرة التي غيرت مجرى الأحوال في الجزيرة العربية، وتوشك أن تغيره في العالم كله.

وقد جرَّها فقدان هذا الوعي إلى حماقة كبيرة أصبح بعدها عهد الحديبية لغواً. وذلك أنها - مع حلفائها من بني بكر - هاجموا خزاعة - وهي مع المسلمين في حلف واحد - وقتلوهم فأصابوا منهم رجالاً<sup>(٢)</sup>.

✽ قال محمد بن إسحاق في المغازي: حدثني الزهري عن عروة بن الزبير، عن المسور ابن مخزومة ومروان بن الحكم أنهما حدثاه جميعاً قالا: «كان في صلح رسول الله يوم الحديبية بينه وبين قريش أنه من شاء أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل» فتوالت خزاعة، فقالوا: نحن ندخل في عقد

(١) زاد المعاد (٣/٣٩٤).

(٢) فقه السيرة للغزالي (ص ٤١٧).

محمد ﷺ وعهده، وتوالت بنو بكر، فقالوا: نحن ندخل في عقد قريش وعهدهم، فمكثوا في تلك الهدنة نحو السبعة والثمانية عشر شهراً.

ثم إن بنى بكر الذين كانوا دخلوا في عقد قرش وعهدهم، وثبوا على خزاعة الذين دخلوا في عقد رسول الله وعهده ليلاً بماء لهم يقال له: الوتير قريب من مكة، فقالت قريش: ما يعلم بنا محمد، وهذا الليل وما يرانا أحد، فأعانوهم بالكرع والسلاح، فقاتلوهم معه للطعن على رسول الله ﷺ، وأن عمرو بن سالم ركب إلى رسول الله ﷺ عندما كان من أمر خزاعة وبنى بكر بالوتير حتى قدم المدينة على رسول الله ﷺ يخبره الخبر وقد قال أبيات شعر، فلما قدم على رسول الله ﷺ أنشده إياها:

يا رب إنى ناشد محمداً	حلف أيينا وأبييه الأتلدا <sup>(١)</sup>
قد كنتم ولدأ وكنا والدأ	ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا <sup>(٢)</sup>
فانصر رسول الله نصراً أعتدا <sup>(٣)</sup>	وادع عباد الله يأتون مددا <sup>(٤)</sup>
فيهم رسول الله قد تجردا	أن سيم خسفا وجهه تربدا <sup>(٥)</sup>
في فيلق <sup>(٦)</sup> كالبحر يجرى مزبداً	أن قريشاً أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا	وزعموا أن لست أدعو أحدا
فهم أذل وأقل عدداً	قد جعلوا لى بكداء مرصدا <sup>(٧)</sup>
هم بيتونا بالوتير هجداً	وقتلونا ركعاً وسجدا <sup>(٨)</sup>

فقال رسول الله ﷺ: (نُصرت يا عمرو بن سالم)، فما برح رسول الله ﷺ مرت عناة في السماء، فقال رسول الله ﷺ: (إن هذه السحابة لتستهل بنصر بنى كعب)<sup>(٩)</sup>.

(١) الأتلد: القديم.

(٢) ونزع يداً: لم تنقض عهدنا فترجع عن الإسلام.

(٣) نصراً أعتداً: أى حاضراً.

(٤) المدد: العون.

(٥) سيم خسف: طلب منه وكلفه، الخسف: الذل، تربد: تغير.

(٦) الفيلق: الجيش.

(٧) كداء: موضع بمكة، الرصد: الذى يترصد للأمر ويطلبه، أو الكمين.

(٨) الوتير: اسم ماء، هجد: جمع هاجد ويطلق على النائم أو المستيقظ.

(٩) أخرجه ابن إسحاق فى المغازى، وسنده صحيح، ورجاله ثقات صرح فيه ابن إسحاق بالتحديث، انظر =

\* ثم خرج بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءٍ فِي نَفَرٍ مِنْ خُرَاعَةَ، حَتَّى قَدَمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَخْبَرُوهُ بِمَا أَصِيبَ مِنْهُمْ، وَبِمُظَاهَرَةِ قَرِيشِ بْنِ بَكْرٍ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلنَّاسِ: «كَانَكُمْ بِأَبِي سَفِيَّانَ، وَقَدْ جَاءَ لِيَشُدَّ الْعَقْدَ وَيَزِيدَ فِي الْمُدَّةِ».

وَمَضَى بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءٍ فِي أَصْحَابِهِ حَتَّى لَقُوا أَبَا سَفِيَّانَ بْنِ حَرْبٍ بَعْسَفَانَ وَقَدْ بَعَثَهُ قَرِيشٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَشُدَّ الْعَقْدَ، وَيَزِيدَ فِي الْمُدَّةِ، وَقَدْ رَهَبُوا الَّذِي صَنَعُوا، فَلَمَّا لَقِيَ أَبُو سَفِيَّانَ بُدَيْلَ بْنَ وَرْقَاءٍ، قَالَ: مَنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ يَا بُدَيْلُ؟ فَظَنَّ أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: سَرْتُ فِي خُرَاعَةَ فِي هَذَا السَّاحِلِ، وَفِي بَطْنِ هَذَا الْوَادِي، قَالَ: أَوْ مَا جِئْتَ مُحَمَّدًا؟ قَالَ: لَا، فَلَمَّا رَاحَ بُدَيْلٌ إِلَى مَكَّةَ، قَالَ أَبُو سَفِيَّانَ: لَئِن كَانَ جَاءَ الْمَدِينَةَ، لَقَدْ عَلَفَ بِهَا النَّوِي، فَأَتَى مَبْرُكَ رَاحِلَتِهِ، فَأَخَذَ مِنْ بَعْرِهَا، فَفَتَّهَ، فَرَأَى فِيهَا النَّوِي، فَقَالَ: أَحْلَفُ بِاللَّهِ لَقَدْ جَاءَ بُدَيْلٌ مُحَمَّدًا.

ثُمَّ خَرَجَ أَبُو سَفِيَّانَ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَدَخَلَ عَلَى ابْنَتِهِ أُمِّ حَبِيبَةَ، فَلَمَّا ذَهَبَ لِيَجْلِسَ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، طَوَّتُهُ عَنْهُ، فَقَالَ: يَا بِنْتِ مَا أَدْرِي أَرِغْبَتِ بِي عَنْ هَذَا الْفِرَاشِ، أَمْ رِغْبَتِ بِهِ عَنِّي؟ قَالَتْ: بَلْ هُوَ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَنْتِ مُشْرِكٌ نَجِسٌ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَصَابَكَ بَعْدِي شَرٌّ<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

= الإصابة في تمييز الصحابة (٥٢٩/٢)، ترجمة عمرو بن سالم رقم (٥٨٣٧)، ابن كثير في السيرة (٥٢٦/٣، ٥٢٧)، البيهقي في دلائل النبوة (٥/٥ - ٧)، وانظر الحديث بطوله هناك فإن فيه قدوم أبي سفيان بن حرب لتجديد العقد، وموقف الصحابة رضوان الله عليهم منه، ودعاء النبي ﷺ بتعمية الأخبار عن قريش، ولهذا الحديث شاهد من حديث ميمونة بنت الحارث أخرجه الطبراني في المعجم الصغير حديث رقم (٩٦٨)، الروض الداني إلى معجم الطبراني بإسناد ضعيف، وفي الكبير (٤٣٣/٢٣). وله شاهد من حديث عائشة قال الهيثمي في المجمع (١٦١/٦، ١٦٢)، رواه أبو يعلى عن حزام بن هشام عن أبيه عن عائشة وقد وثقهما ابن حبان وبقية رجاله رجال الصحيح وقد ضعف هذه الحادثة غير واحد لأنهم لم يطلعوا على إسنادها، فهذا الإسناد كما أوردناه في بداية الحادثة وبذلك يزول سبب التضعيف والحمد لله.

(١) زاد المعاد (٣/٣٩٦، ٣٩٧).



## ندم وأسف

وليس هناك من شك في أن انتصار قريش لحلفائها ودعمها لهم على حلفاء المسلمين، هو نقض صريح لبنود صلح الحديبية أدركت قريش أخطاره، وندمت على فعلها له، ولذلك فإنها بادرت إلى إرسال أبي سفيان إلى المدينة بهدف تجديد المعاهدة، وتشير بعض الروايات إلى أن النبي ﷺ أرسل إلى قريش<sup>(١)</sup> يخيرهم بين دفع دية قتلى خزاعة، أو البراءة من حلف بني بكر، أو القتال، فاخترت الحرب، ثم ندمت فبادرت إلى إرسال أبي سفيان كما أسلفنا، لكنه عاد خائباً<sup>(٢)</sup>، فقد فشل في الحصول على أى وعد بتجديد المعاهدة التي تضمنت بنود صلح الحديبية<sup>(٣)</sup>.

## الاستعداد لفتح مكة

بدأت الاستعدادات لحشد القوة الإسلامية القصوى المستطاعة، وكان لا بد من أن يعلم النبي ﷺ أصحابه بأنه سائر إلى مكة، ثم استنفر القبائل التي تقطن قرب المدينة: سلميماً وأشجع ومزينة وأسلم وغفاراً، فمنهم من التحق بالجيش الإسلامى فى المدينة، ومنهم من التحق بالمسلمين فى الطريق إلى مكة، وقد ارتفعت معنويات المسلمين كثيراً، وكان حسان بن ثابت يلقى شعره الذى يُذكَر فيه بمصاب خزاعة، ونقض المشركين للعهد، ويحرض المسلمين على القتال، وبلغ عدد جيش المسلمين عشرة آلاف مقاتل، وأوعب مع رسول الله ﷺ المهاجرون والأنصار فلم يتخلف عنه منهم أحد، وهذا يدل على مدى تعاضم قوات المسلمين خلال فترة السنة ونصف التى أعقبت صلح

(١) ابن حجر - المطالب العالى (٤/٢٣٤)، بإسناد صحيح، فتح البارى (٦/٨) (حديث ٤٢٨٠)، ابن كثير - البداية والنهاية (٤/٢٨١)، الواقدى - المغازى (٢/٧٨٦-٧) وعنده أن اسم مبعوث النبي ﷺ إلى قريش هو حمزة.

(٢) ابن حجر - فتح البارى (٦/٨) عن مرسل عكرمة عن ابن أبى شيبه، وابن إسحاق معلقاً، ابن كثير - البداية والنهاية (٤/٣١٢).

(٣) فقد رده أبو بكر وعمر وعلى وفاطمة، وأغلظ عليه عمر فى الرد، وأبت ابنته أم المؤمنين أم حبيبة أن تسمح له بالجلوس على فراش رسول الله ﷺ وقالت له: «إنك رجل مشرك نجس»، وحين كلم النبي ﷺ فإنه لم يجبه بشيء. ابن كثير - البداية (٤/٣١٣ - ١٤)، البيهقى - دلائل النبوة (٥/١١/٩)، السنن الكبرى (٩/١٢٠)، الصنعانى - المصنف (٥/٣٧٥). بإسناد صحيح، وهو جزء من رواية ابن إسحاق الطويلة فى فتح مكة، ابن هشام - السيرة (٢/٣٨٩)، بدون إسناد.

الحديبية<sup>(١)</sup>، ورغم ذلك فقد التزم الجميع بالسرية التامة وحُجبت الأخبار تماماً عن قرش<sup>(٢)</sup> مما يعكس مدى الضبط والربط والالتزام الدقيق بأوامر القيادة والتقويم السليم للمصلحة الإسلامية العليا<sup>(٣)</sup>.

\* قال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر عن عروة عن عائشة: «أن أبا بكر دخل على عائشة وهي تغربل حنطة، فقال: ما هذا؟ أمركم رسول الله ﷺ بالجهاز؟ قالت: نعم فتجهز، قال: وإلى أين؟ قالت: ما سمى لنا شيئاً غير أنه قد أمرنا بالجهاز»<sup>(٤)</sup>.

### رسالة حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة

وقع في هذه الفترة الدقيقة حادث مستغرب. فإن رجلاً من أهل السابقة في جهاد المشركين تطوع بإرسال كتاب إلى قريش يخبرهم فيه أن محمداً ﷺ سائر إليهم بجيشه. وقد رأيت أن المسلمين حراس على إخفاء خطة الغزو<sup>(٥)</sup>.

\* عن (علي) - رضى الله عنه - قال: بعثني رسول الله ﷺ وأنا والزبير والمقداد فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب، فخذوه منها، قال: فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالمرأة فقلنا: اخرجى الكتاب، قالت: ما معى كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب، أو لنلقين الثياب، قال: فأخرجته من عقاصها.

فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة - إلى ناس من المشركين من أهل مكة - يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ (يا حاطب ما هذا؟) قال: يا رسول الله، لا تعجل علي، إني كنت امرءاً ملصقاً في قرش - يقول: كنت حليفاً - ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين من لهم بها قرابات يحمون بها أهلهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي، ولم أفعله كفرةً ولا ارتداداً عن ديني ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام.

(١) انظر تعليق ابن هشام على تقويم الزهري لأهمية صلح الحديبية ابن هشام - السيرة (٣/٣٢٢)، والعمري - السيرة النبوية الصحيحة (٢/٤٧٤).

(٢) ابن حجر - المطالب العالية (٤/٢٤٤).

(٣) نضرة النعيم (١/٣٦٤).

(٤) أخرجه ابن إسحاق في المغازي بسند صحيح رجاله ثقات، وقد صرح بالتحديث، فزالت شبهة تدليسه، ابن كثير في السيرة النبوية (٣/٥٣٥).

(٥) فقه السيرة للغزالي (ص ٤١٩).

فقال رسول الله ﷺ (صدق). فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال: (إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر قال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم)، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [المتحنة: ١] (١).

### وقت الغزوة

كانت غزوة الفتح سنة ثمان للهجرة والذي اتفق عليه أهل السير أنه خرج ﷺ في عاشر رمضان ودخل مكة لتسع عشرة ليلة خلت منه (٢).

وكان عدد من خرج مع النبي ﷺ عشرة آلاف من جنود الإسلام من سائر القبائل، وكان النبي صائمًا حتى بلغ الكديد أظفر وأظفروا... عن ابن عباس - رضى الله عنهما -: «أن النبي ﷺ خرج في رمضان من المدينة ومعه عشرة آلاف، وذلك على رأس ثمان سنين ونصف من مقدمه المدينة، فسار هو ومن معه من المسلمين إلى مكة يصوم ويصومون، حتى بلغ الكديد - وهو ماء بين عفان وقديد - أظفر وأظفروا» (٣).

### النبي ﷺ يستخلف أبا رهم الغفارى على المدينة

\* عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: «ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره، واستخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن الحصين بن عتبة بن خلف الغفارى، وخرج لعشر مضين من رمضان فصام رسول الله وصام الناس معه حتى إذا كانوا بالكديد بين عفان وأمج أظفر ثم مضى حتى نزل مر الظهران في عشرة آلاف من المسلمين» (٤).

(١) أخرجه البخارى (٣٩٨٣) المغازى، ومسلم (٢٤٩٤) فضائل الصحابة - واللفظ لمسلم -.

(٢) فتح البارى (١٨١/٤).

(٣) أخرجه البخارى (٤٢٧٦) المغازى.

(٤) قال الهيثمى فى المجمع: (١٦٤/٦) فى الصحيح طرف منه فى الصيام، رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق صرح بالسمع، سيرة ابن هشام: (٣٩٩/٢ - ٤٠٠) وصححه ابن حجر فى المطالب العالية (٢٣٨/٤)، وصححه الحاكم (٤٤/٣)، ووافقه الذهبى.

وعن جابر بن عبد الله - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -: «أن رسول الله ﷺ خرج عام الفتح إلى مكة في رمضان، فصام حتى بلغ كراع الغميم، فصام الناس، ثم دعا بقدر ماء فرفعه حتى نظر الناس، ثم شرب، فقيل له بعد ذلك أن بعض الناس قد صام: فقال: أولئك العصاة، أولئك العصاة»<sup>(١)</sup>.

### قصة إسلام أبي سفيان بن الحارث وعبد الله بن أبي أمية

ومضى النبي ﷺ وأصحابه حتى نزل مرَّ الظَّهْرانِ، ومعه عشرةُ آلاف، وعمى الله الأخبارَ عن قريش، فهم على وجَلٍ وارتقاب، وكان أبو سفيان يخرج يتحسَّسُ الأخبارَ؟ فخرج هو وحكيمُ بنُ حزام، وبُدَيْلُ بنُ ورقاء يتحسَّسونَ الأخبارَ، وكان العباسُ قد خرج قبل ذلك بأهله وعياله مسلماً مهاجراً، فلقي رسولَ الله ﷺ بالجُحْفَةِ.

\* وكان أبو سفيان بن الحارث وعبد الله ابن أبي أمية بن المغيرة قد لقيا رسول الله ﷺ ثنية العقاب فيما بين مكة والمدينة، فالتمسا الدخول عليه، فكلمته أم سلمة فقالت: يا رسول الله ابن عمك، وابن عمك، وصهرك، فقال: (لا حاجة لى فيهما أما ابن عمى، فهتك عرضى، وأما ابن عمتى وصهرى، فهو الذى قال لى بمكة ما قال).

فلما خرج الخبر إليهما بذلك ومع أبي سفيان بن الحارث ابن له فقال: والله ليأذن رسول الله ﷺ، أو لأخذن بيد ابنى هذا، ثم لنذهبن فى الأرض حتى نموت عطشاً أو جوعاً، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رق لهما، فدخلا عليه، فأنشده أبو سفيان قوله فى إسلامه واعتذاره مما كان مضى فيه فقال:

لَعَمْرُكَ إِنِّي حِينَ أَحْمَلُ رَايَةً  
لَتَغْلِبَ خَيْلُ اللَّاتِ خَيْلَ مُحَمَّدٍ  
لَكَالْمُدْلِجِ الْحَيْرَانَ أَظْلَمَ لَيْلُهُ  
فَهَذَا أُوَانِي حِينَ أُهْدَى فَأَهْتَدَى  
هُدَايِي هَادٍ غَيْرِ نَفْسِي وَدَلَّنِي  
عَلَى اللَّهِ مَنْ طَرَدْتِ كُلَّ مَطْرَدٍ

فضرب رسول الله ﷺ صدره وقال: «أَنْتَ طَرَدْتِنِي كُلَّ مَطْرَدٍ»<sup>(٢)</sup>.<sup>(٣)</sup>

(١) أخرجه مسلم (١١١٤) الصيام.

(٢) زاد المعاد (٣/٤٠٠).

(٣) أخرجه الحاكم (٣/٤٣، ٤٤) من حديث ابن عباس، وسنده جيد، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

## قصة إسلام أبي سفيان

«فلما نزل رسول الله بمر الظهران قال العباس: واصباح قريش، والله لئن دخل رسول الله مكة عنوة قبل أن يستأمنوه إنه لهلاك قريش آخر الدهر.

قال: فجلست على بغلة رسول الله البيضاء، فخرجت عليها حتى جئت الأراك، فقلت: لعلى ألقى بعض الخطابة أو صاحب لبن، أو ذا حاجة يأتى مكة فيخبرهم بمكان رسول الله فيستأمنوه قبل أن يدخلها عنوة، قال: فوالله إنى لأسير عليها، وألتمس ما خرجت له إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء، وهما يتراجعان، وأبو سفيان يقول: ما رأيت كالיום قط نيراناً ولا عسكرياً، قال: يقول بديل: هذه والله نيران خزاعة قد حمشها الحرب فقال أبو سفيان: خزاعة والله أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها فقلت: يا أبا حنظلة، تعرف صوتى؟ فقال: أبو الفضل؟ قلت: نعم، قال: ما لك فذاك أبى وأمى؟ فقلت: هذا والله رسول الله فى الناس، واصباح قريش! قال: فما الحيلة، فذاك أبى وأمى؟ قال: قلت: والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك، فاركب عجز هذه البغلة، فركب، ورجع صاحباها، فخرجت به فكلما مررت بنار من نيران المسلمين، فقالوا: ما هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله عليها عمه قالوا: هذه بغلة رسول الله عليها عمه، حتى مررنا بنار عمر بن الخطاب فقال: من هذا؟ وقام إلى فلما رآه على عجز البغلة عرفه، فقال: والله عدو الله، الحمد لله الذى أمكن منك، فخرج يشتد نحو رسول الله ودخل، ورفعت البغلة فسبقتة بقدر ما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء، فاقتحمت عن البغلة، فدخلت على رسول الله ودخل عمر.

فقال: هذا عدو الله أبو سفيان قد أمكن الله منه، فى غير عهد ولا عقد، فدعنى أضرب عنقه، فقلت: قد أجرته يا رسول الله ثم جلست إلى رسول الله فأخذت برأسه، فقلت: والله لا يناجيه الليلة رجل دونى، فلما أكثر عمر، قلت: مهلاً يا عمر، فوالله لو كان رجلاً من بنى عدى ما قلت هذا، ولكنه من بنى عبد مناف، فقال: مهلاً يا عباس، لا تقل هذا، فوالله لإسلامك حين أسلمت كان أحب إلى من إسلام الخطاب أبى لو أسلم، وذلك أنى عرفت أن إسلامك أحب إلى رسول الله من إسلام الخطاب، فقال رسول الله: (يا عباس اذهب به إلى رحلك، فإذا أصبحت فائتنا به).

فذهبت به إلى الرحل، فلما أصبحت غدوت به، فلما رآه رسول الله قال: (ويحك

يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟ فقال: بأبي وأمي ما أحلمك، وأكرمك وأوصلك، وأعظم عفوك، لقد كاد أن يقع في نفسي أن لو كان إله غيره لقد أغنى شيئاً بعد، فقال: (ويحك يا أبا سفيان: ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟) فقال: بأبي وأمي ما أحلمك، وأكرمك وأوصلك، وأعظم عفوك، أما هذا فكان في النفس منها حتى الآن شيء.

قال العباس: فقلت: ويلك أسلم، واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن يضرب عنقك، فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، قال العباس: فقلت: يا رسول الله! إن أبا سفيان يحب الفخر، فاجعل له شيئاً، فقال: (نعم... من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن).

فلما انصرف إلى مكة ليخبرهم، قال رسول الله ﷺ: (احبسه بمضيق من الوادي عند حطم الخيل<sup>(١)</sup>)، حتى تمر به جنود الله).

فحبسه العباس حيث أمره رسول الله ﷺ، فمرت القبائل على ركبها، فكلما مرت قبيلة، قال: من هذه؟ فأقول: بنو سليم، فيقول: ما لى ولبنى سليم، ثم تمر أخرى فيقول: ما هؤلاء؟ فأقول: مزينة، فيقول: ما لى ولمزينة، فلم يزل يقول ذلك حتى مرت كتيبة رسول الله ﷺ الخضراء<sup>(٢)</sup>، فيها المهاجرون والأنصار، لا يرى منهم إلا الحدق<sup>(٣)</sup>، قال: من هؤلاء؟ فقلت: هذا رسول الله في المهاجرين والأنصار، فقال: ما لأحد بهؤلاء قبيل<sup>(٤)</sup>، والله لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم لعظيم - يعنى النبي ﷺ - فقلت: ويحك يا أبا سفيان، إنها النبوة، قال: فنعم إذا، فقلت: النجاء إلى قومك.

فخرج حتى أتاهم مكة، فجعل يصيح بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد، قد أتاكم بما لا قبل لكم به، فقامت امرأته هند بنت عتبة، وأخذت بشاربه فقالت: اقتلوه الحميت<sup>(٥)</sup> الدسم<sup>(٦)</sup> فبئس طليعة قوم، فقال أبو سفيان: لا يغرنكم هذه من أنفسكم.

(١) حطم الخيل: أى ازدحامها وفي رواية خطم الجبل: أى أنه.

(٢) الكتيبة الخضراء: ما غلب عليها لبس الحديد، شبه سواده بالخضرة، والعرب تطلق الخضرة على السواد.

(٣) الحدق: العيون.

(٤) قبيل: طاقة ومقدرة.

(٥) الحميت: الرزق.

(٦) الدسم الحمش: الأسود الدنى.

من دخل دار أبي سفيان فهو آمن. فقالوا: ويحك ما تغنى عنا دارك. قال: ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن فنفرك الناس إلى دورهم وإلى المسجد<sup>(١)</sup>.

### هذا يومٌ يُعظم الله فيه الكعبة

«فلما سار قال للعباس: احبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين، فحبسه العباس، فجعلت القبائل تمر مع النبي ﷺ: تمر كتيبة كتيبة على أبي سفيان، فمرت كتيبة فقال: يا عباس من هذه؟ فقال: هذه غفار، قال: ما لي ولغفار، ثم مرت جهينة، قال مثل ذلك، ثم مرت سعد بن هذيم، فقال مثل ذلك، ومرت سليم، فقال مثل ذلك، حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها، قال: من هذه؟ قال: هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية، فقال سعد بن عبادة: يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة، واليوم تستحل الكعبة. فقال أبو سفيان: يا عباس حبذا يوم الذمار...

ثم جاءت كتيبة وهي أقل الكتائب، فيهم رسول الله ﷺ وأصحابه، وراية النبي ﷺ مع الزبير بن العوام، فلما مر رسول الله ﷺ بأبي سفيان قال: ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة؟ قال: (ما قال؟) قال: قال كذا وكذا، فقال: (كذب سعد، ولكن هذا يومٌ يُعظم الله فيه الكعبة، ويومٌ تُكسى فيه الكعبة)<sup>(٢)</sup>.

\* وعن أنس - رضى الله عنه - قال: «كان قيس «يعنى ابن سعد بن عبادة» فى مقدمة النبى ﷺ لما قدم مكة، فكلم سعد النبى ﷺ أن يصرفه عن الموضع الذى فيه مخافة أن يقدم على شىء فصرفه عن ذلك»<sup>(٣)</sup>.

\* وقد اختلف أهل العلم فيمن حمل الراية بعد (سعد بن عبادة) فجمع الحافظ ابن حجر بين هذه الأقوال فقال: «والمذكور أن الرسول عليه السلام أخذ الراية من سعد بن عبادة وأمر علياً بنزعها منه، ثم ردها من على بن أبى طالب إلى قيس بن سعد بن عبادة

(١) رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٦/١٦٤ - ١٦٧)، وانظر المطالب العالية حديث رقم (٤٣٦٢) حيث قال: أخرجه إسحاق بن راهويه، وقال ابن حجر: هذا حديث صحيح. وأخرج البخارى من مرسل عروة فى المغازى باب أين ركز النبى الراية يوم الفتح حديث رقم (٤٢٨٠).

(٢) أخرجه البخارى (٤٢٨٠) المغازى.

(٣) أخرجه البزار فى كشف الأستار حديث رقم (١٨١٩)، وقال الهيثمى فى المجمع: (٦/١٧٥)، رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح، وقال الحافظ فى الفتح (٨/٩) إسناده على شرط البخارى.

خشية تغير خاطر سعد، فأمر بدفعها لابنه، ثم إن سعد بن عبادة خشى أن يقع من ابنه شيء ينكره النبي ﷺ، فسأل النبي ﷺ أن يأخذها منه، فحينئذ أخذها الزبير<sup>(١)</sup>.

### فالمحيا محياكم والممات مماتكم

ففى الحديث السابق عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أنه قال: (.. ثم أتى الصفا، فعلاه حيث ينظر إلى البيت، فرفع يديه، فجعل يذكر الله بما شاء أن يذكره، ويدعوه، قال: والأنصار تحته، قال يقول بعضهم لبعض: أما الرجل فأدر كته رغبة فى قريته، ورأفة بعشيرته.

قال أبو هريرة: وجاء الوحي. وكان إذا جاء الوحي لا يخفى علينا. فإذا جاء فليس أحد يرفع طرفه إلى رسول الله ﷺ حتى ينقضى الوحي. فلما انقضى الوحي قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الأنصار!» قالوا: لبيك. يا رسول الله! قال: «قلتم: أما الرجل فأدر كته رغبة فى قريته». قالوا: قد كان ذلك. قال: «كلا. إني عبد الله ورسوله. هاجرت إلى الله وإليكم. والمحيا محياكم. والممات مماتكم». فأقبلوا إليه يكون ويقولون: والله! ما قلنا الذى قلنا إلا الضن بالله وبرسوله. فقال رسول الله ﷺ: «إن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم»<sup>(٢)</sup>.

### محاولات يائسة

وسار رسول الله ﷺ، فدخل مكة من أعلاها، وضربت له هنالك قبة، وأمر رسول الله ﷺ خالد بن الوليد أن يدخلها من أسفلها، وكان على المجنبة اليمنى، وفيها أسلم، وسليم، وغفار، ومزينة، وجهينة، وقبائل من قبائل العرب، وكان أبو عبيدة على الرجالة والحسرة، وهم الذين لا سلاح معهم، وقال لخالد ومن معه: إن عرض لكم أحد من قريش، فاحصدوهم حصداً حتى توافوني على الصفا، فما عرض لهم أحد إلا أناموه، وتجمع سفهاء قريش وأخفاؤها مع عكرمة بن أبى جهل، وصفوان ابن أمية، وسهيل بن عمرو بالخدمة ليقاتلوا المسلمين، وكان حماس بن قيس بن خالد أخو بنى بكر يعد سلاحاً قبل دخول رسول الله ﷺ، فقالت له امرأته: لماذا تعد ما أرى؟ قال:

(١) فتح البارى (٩/٨).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٨٠) (٨٤) الجهاد والسير.



لمحمد وأصحابه، قالت: والله ما يقوم لمحمد وأصحابه شيء، قال: إني والله لأرجو أن أخدمك بعضهم، ثم قال:

إِنْ يُقْبَلُوا الْيَوْمَ فَمَالِي عَلَيْهِ هَذَا سِلَاحٌ كَامِلٌ وَأَلَّهُ  
وَذُو غَرَارَيْنِ سَرِيعُ السَّلَّةِ<sup>(١)</sup>

ثم شهد الخدمة مع صفوان وعكرمة وسهيل بن عمرو، فلما لقيهم المسلمون ناوشوهم شيئاً من قتال، فقتل كرز بن جابر الفهري، وخنيس ابن خالد بن ربيعة من المسلمين، وكانا في خيل خالد بن الوليد فشدًا عنه، فسلكا طريقاً غير طريقه، فقتلا جميعاً، وأصيب من المشركين نحو اثني عشر رجلاً، ثم انهزموا، وانهزم حماس صاحب السلاح حتى دخل بيته، فقال لامرأته: أغلقتي على بابي، فقالت: وأين ما كنت تقول؟ فقال:

إِنَّكَ لَوْ شَهِدْتَ يَوْمَ الْخَدْمَةِ إِذْ فَرَّ صَفْوَانٌ وَفَرَّ عَكْرَمَهُ  
وَأَسْتَقْبَلْتَنَا بِالسُّيُوفِ الْمُسْلِمَةِ يَقْطَعْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجَمْعِهِ  
ضَرْبًا فَلَا نَسْمَعُ إِلَّا غَمْغَمَهُ لَهُمْ نَهَيْتُ حَوْلَنَا وَهَمَمَهُ

لَمْ تَنْطِقِي فِي اللَّوْمِ أَدْنَى كَلِمَةٍ

وقال أبو هريرة: أقبل رسول الله ﷺ، فدخل مكة، فبعث الزبير على إحدى المجنبتين، وبعث خالد بن الوليد على المجنبة الأخرى، وبعث أبا عبيدة بن الجراح على الحُسر، وأخذوا بطن الوادي ورسول الله ﷺ في كتيبته، قال: وقد وبشت قريش أوباشاً لها، فقالوا: نقدم هؤلاء، فإن كان لقريش شيء كنا معهم، وإن أصيبوا أعطينا الذي سئنا، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا هريرة؟ فقلت: لبيك رسول الله وسعديك، فقال: «اهتف لي بالأنصار<sup>(٢)</sup> ولا يأتيني إلا أنصاري»، قال: فأطافوا به<sup>(٣)</sup>.<sup>(٤)</sup>

فقال: «يا معشر الأنصار، هل ترون أوباش قريش؟» قالوا: نعم. قال: «انظروا. إذا

(١) الأله: الحربة لها سنان طويل، وذو غرارين: سيف ذو حدين.

(٢) اهتف لي بالأنصار: صح بهم وادعهم لي.

(٣) أطافوا به: أحاطوا به.

(٤) زاد المعاد (٣/٤٠٤ - ٤٠٦).

لقيتموهم غداً أن تحصدوهم حصداً» وأخفى بيده. ووضع يمينه على شماله. وقال: «موعدكم الصفا» قال: فما أشرف يومئذ لهم أحد إلا أناموه. قال: وصعد رسول الله ﷺ الصفا وجاءت الأنصار. فأطافوا بالصفا. فجاء أبو سفيان فقال: يا رسول الله! أُبيدت خَضْرَاءُ قريش. لا قريش بعدم اليوم. قال أبو سفيان: قال رسول الله ﷺ: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن. ومن ألقى السلاح فهو آمن. ومن أغلق بابه فهو آمن»<sup>(١)</sup>.

### ماذا كان يلبس النبي ﷺ أثناء دخوله مكة

\* عن جابر بن عبد الله - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -: (أن رسول الله ﷺ دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء بغير إحرام)<sup>(٢)</sup>.

\* وقد جاء أيضاً من حديث عمرو بن حريث «أن النبي ﷺ كان يوم فتح مكة يلبس عمامة حرقانية سوداء»<sup>(٣)</sup>.

### النبي ﷺ يقرأ سورة الفتح

\* عن عبد الله بن مغفل - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: قال: «رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته، وهو يقرأ سورة الفتح يُرْجِعُ، وقال: لولا أن يجتمع الناس حولي لرجعت كما رجعت»<sup>(٤)</sup>.

\* وهكذا لم يدخل النبي ﷺ مكة دخول الفاتحين، بل إنه دخل خاشعاً لله تعالى وهو يقرأ سورة الفتح ويرجع في قراءتها وهو على راحلته<sup>(٥)</sup>، وقد دخل المسجد الحرام وطاف بالكعبة المشرفة فاستلم الركن بحبسه كراهة أن يزاحم الطائفين ولكي يعلم أبناء الأمة آداب الطواف... وأعلن ﷺ حُرْمَةَ مكة وبأنها لا تُغزى بعد الفتح<sup>(٦)</sup>، ورفع من مكانة قريش وأمر بالأيقتل قرشى صبراً بعد الفتح وإلى يوم القيامة<sup>(٧)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (١٧٨٠) (٨٦) الجهاد والسير.

(٢) أخرجه مسلم (١٣٥٨) الحج.

(٣) أخرجه مسلم (١٣٥٩) الحج.

(٤) أخرجه البخاري (٤٢٨١) المغازي، ومسلم (٧٩٤) صلاة المسافرين.

(٥) أخرجه البخاري (٤٢٨١).

(٦) أخرجه الترمذي (٨٣/٣).. وهو حسن صحيح.

(٧) نضرة النعيم (٣٦٩/١).

## راية النبي ﷺ يوم الفتح

\* وركزت راية النبي ﷺ يوم الفتح بالحجون كما جاء في مرسل عروة بن الزبير الذي رواه الإمام البخارى فى صحيحه<sup>(١)</sup>.

## النبي ﷺ يطهر المسجد الحرام من الأصنام

وسكنت مكة واستسلم ساداتها وأتباعها. وعلت كلمة الله فى جنباتها، ثم نهض رسول الله إلى البيت العتيق فطوف به وأخذ يكسر الأصنام المصفوفة حوله. ويضربها بقوسه ظهراً لبطن، فتقع على الأرض مهشمة متناثرة.

كانت هذه الحجاره - قبل ساعة - آلهة مقدسة وهى - الآن - جص وتراب وأنقاض! يهدمها نبي التوحيد وهو يقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]<sup>(٢)</sup>.

\* عن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - قال: «دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح، وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب، فجعل يطعنهما بعود فى يده، ويقول: (جاء الحق، وزهق الباطل، جاء الحق، وما يبدى الباطل وما يعيد)<sup>(٣)</sup>.

\* وعن أبى هريرة (فى حديثه السابق): قال: «... وأغلق الناس أبوابهم. قال: وأقبل رسول الله ﷺ حتى أقبل إلى الحجر. فاستلمه. ثم طاف بالبيت. قال: فأتى على صنم إلى جنب البيت كانوا يعبدونه. قال: وفى يد رسول الله ﷺ قوس. وهو أخذ بسية<sup>(٤)</sup> القوس. فلما أتى على الصنم جعل يطعنه فى عينه ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل». فلما فرغ من طوافه أتى الصفا فعلا عليه. حتى نظر إلى البيت. ورفع يديه. فجعل يحمد الله ويدعو بما شاء أن يدعو<sup>(٥)</sup>.

\* وعن جابر - رضى الله عنه - قال: «دخلنا مع النبي ﷺ مكة فى البيت، وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً تُعبد من دون الله، قال: فأمر بها رسول الله ﷺ فحُكبت كلها

(١) سبق تخريجه.

(٢) فقه السيرة للغزالي (ص ٤٢٦).

(٣) أخرجه البخارى (٤٢٨٧) المغازى، ومسلم (١٧٨١) الجهاد.

(٤) بسية القوس: طرفها المنحنى.

(٥) أخرجه مسلم (١٧٨٠) (٨٤) الجهاد والسير.

لوجوهها، ثم قال: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١] ثم دخل رسول الله ﷺ البيت فصلى ركعتين، فرأى فيه تمثال إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وقد جعلوا في يد إبراهيم الأزمات يستقسم بها، فقال رسول الله ﷺ: (قاتلهم الله، ما كان إبراهيم يستقسم بالأزلام)، ثم دعا رسول الله ﷺ بزعفران فلطخه بتلك التماثيل»<sup>(١)</sup>.

### النبي ﷺ يصلى داخل الكعبة

\* عن ابن عمر - رضى الله عنهما -: «أن رسول الله ﷺ أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته مردفاً أسامة بن زيد، ومعه بلال، ومعه عثمان ابن طلحة من الحجة حتى أتاه في المسجد، فأمره أن يأتي بمفتاح البيت، ففتح ودخل رسول الله ﷺ، ومعه أسامة وبلال وعثمان، فمكث فيه نهاراً طويلاً، ثم خرج فاستبق الناس، فكان عبد الله ابن عمر أول من دخل، فوجد بلالاً وراء الباب قائماً فسأله، أين صلى رسول الله ﷺ؟ فأشار له إلى المكان الذي صلى فيه، قال عبد الله: فنسيت أن أسأله: كم صلى من سجدة»<sup>(٢)</sup>.

وقد جاء من حديث ابن عباس المروى في صحيح البخارى ومسلم وعند أحمد «أن النبي ﷺ لم يصل في داخل الكعبة»، والصحيح والله أعلم أن المثبت مقدم على النافي والذين دخلوا مع النبي ﷺ هم الذين رويوا أنه صلى داخلها، وهم أعلم بذلك ممن لم يدخل معه وهو ابن عباس، وقال الإمام النووى - رحمه الله -: «أجمع أهل الحديث على الأخذ برواية بلال، لأنه مثبت فمعه زيادة علم فواجب ترجيحه»<sup>(٣)</sup>.

وأما القول أن ابن عباس روى عدم الصلاة في الكعبة عن أخيه الفضل وهو ممن دخل مع النبي ﷺ فلعل الفضل قد اشتغل بالدعاء، ولذلك لم ير النبي ﷺ والله أعلم<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف حديث رقم (١٨٧٥١)، وحسنه الحافظ ابن حجر في المطالب العالية حديث رقم (٤٣٦٤)، وحسنه البوصيرى أيضاً، وقد جاء قريباً من هذا اللفظ من حديث ابن عباس عند البخارى حديث رقم (٣٣٥٢)، وأبو داود (٢٠٢٧).

(٢) أخرجه البخارى (٢٩٨٨) الجهاد، ومسلم (١٣٢٩) الحج.

(٣) الفتح الربانى (١٥٦/٢١).

(٤) صحيح السيرة النبوية (ص ٥٣١).

## إن أكرمكم عند الله أتقاكم

وعن عبد الله بن عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم فتح مكة فقال:

«يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعاضمها بآبائها فالناس رجلان: رجل بر تقى كريم على الله، وفاجر شقى هين على الله والناس بنو آدم وخلق الله آدم من التراب قال الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]»<sup>(١)</sup>.

## لا تثريب عليكم اليوم

ثم قال لهم النبي ﷺ: «يا معشر قريش، ما ترون أنى فاعل بكم؟» قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: «فانى أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: ﴿لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ﴾ [يوسف: ٦٢]، اذهبوا فأنتم الطلقاء»<sup>(٢)</sup>.

## اليوم يوم برووفاء

ثم جلس في المسجد، فقام إليه على - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، ومفتاح الكعبة في يده، فقال: يا رسول الله! اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك، فقال رسول الله ﷺ: «أين عثمان بن طلحة؟» فدعى له.

فقال له: (هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم برووفاء)<sup>(٣)</sup>.

\* وذكر ابن سعد في «الطبقات» عن عثمان بن طلحة، قال: كنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الإثنين، والخميس، فأقبل رسول الله ﷺ يوماً يريد أن يدخل الكعبة مع الناس، فأغلظت له، ونلت منه، فحلّم عني، ثم قال: «يا عثمان لعلك ستري هذا المفتاح

(١) رواه الترمذى (٣٢٧٠)، وهو فى صحيح الجامع (٧٨٦٧)، وفى الصحيحة (٢٧٠٠).

(٢) أخرجه ابن هشام فى «السيرة» (٨٧٠/٤) عن ابن إسحاق معضلاً، وأخرجه البيهقى فى «الدلائل»

(٥٧/٥ - ٥٨)، علقه فى «السنن» (١٨/٩) من حديث أبى هريرة دون قوله «أذهبوا...» وسنده حسن،

وانظر الدر المنثور (٦٢/٤).

(٣) ابن هشام (٤١٢/٢).

يوماً بيدي أضعه حيث شئتُ، فقلتُ: لقد هلكت قريشُ يومئذٍ وذلتُ، فقال: بل عمرت وعزت يومئذٍ، ودخل الكعبة، فوقعت كلمته منى موقعاً ظننت يومئذٍ أن الأمر سيصير إلى ما قال، فلما كان يوم الفتح، قال: يا عثمان اتنى بالمفتاح، فأتيته به، فأخذه منى، ثم دفعه إليَّ وقال: خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم. يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته، فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف»، قال: فلما وليت، ناداني، فرجعت إليه فقال: «ألم يكن الذي قلت لك؟» قال: فذكرت قوله لى بمكة قبل الهجرة: لعلك ستري هذا المفتاح بيدي أضعه حيث شئت، فقلت: بلى أشهد أنك رسول الله<sup>(١)</sup>.

### بلالٌ يؤذن فوق الكعبة

وأمر رسولُ الله ﷺ بلالاً أن يصعد فيؤذن على الكعبة، وأبو سفيان ابنُ حرب، وعتابُ بن أسيد، والحارث بن هشام، وأشرف قريش جلوس بفناء الكعبة، فقال عتاب: لقد أكرم الله أسيداً ألا يكون سمع هذا، فيسمع منه ما يغيبه، فقال الحارث: أما والله لو أعلم أنه حقٌّ لا تبعته، فقال أبو سفيان: أما والله لا أقول شيئاً، لو تكلمتُ، لأخبرت عني هذه الحصباءُ، فخرج عليهم النبي ﷺ فقال لهم: «قد علمت الذي قلت» ثم ذكر ذلك لهم، فقال الحارث وعتاب: نشهد أنك رسول الله، والله ما اطلع على هذا أحد كان معنا، فنقول: أخبرك<sup>(٢)</sup>.

### قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ

قال الإمام ابن القيم:

ثم دخل رسول الله ﷺ دار أم هانئ بنت أبي طالب فاغتسل، وصلى ثمان ركعات في بيتها، وكانت ضحى، فظنها من ظنها صلاة الضحى، وإنما هذه صلاة الفتح، وكان أمراء الإسلام إذا فتحوا حصناً أو بلدًا، صلوا عقيب الفتح هذه الصلاة اقتداءً برسول الله ﷺ... وفي القصة ما يدل على أنها بسبب الفتح شكراً لله عليه، فإنها قالت: ما رأيته صلاها قبلها ولا بعدها<sup>(٣)</sup>.

(١) طبقات ابن سعد (٢/١٣٦، ١٣٧)، وانظر «شرح المواهب (٢/٣٤٠، ٣٤١)، وانظر زاد المعاد (٣/٤٠٨ - ٤٠٩).

(٢) ابن هشام (٢/٤١٣)، زاد المعاد (٣/٤٠٩ - ٤١٠).

(٣) زاد المعاد (٣/٤١٠).

❖ عن أم هانئ - رَضِيَ اللهُ عنها - قالت: «ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل، وفاطمة ابنته تستره، قالت: فسلمت عليه فقال: (من هذه؟) فقلت: أنا أم هانئ، بنت أبي طالب فقال: (مرحباً بأم هانئ). فلما فرغ من غسله قام فصلى ثماني ركعات ملتحفاً في ثوب واحد، فلما انصرف قلت: يا رسول الله ﷺ زعم ابن أُمى أنه قاتل رجلاً قد أجرته فلان بن هبيرة. فقال رسول الله ﷺ (قد أجرنا من أجرنا يا أم هانئ) قالت: أم هانئ وذاك ضحى»<sup>(١)</sup>.

### النبي ﷺ يهدر دم بعض المشركين

ولقد أهدر النبي ﷺ دماء أربعة رجال وامرأتين بسبب ما كانوا قد ألحقوه من أذى شديد وتنكيل بالمسلمين فكان في إهدار دمائهم عبرة للطفاة والمستهترين، ولكل من تُسوّك له نفسه الظلم والطغيان.

❖ قال الإمام ابن القيم:

ولما استقر الفتح، آمن رسول الله ﷺ الناس كلهم إلا تسعة نفر، فإنه أمر بقتلهم، وإن وجدوا تحت أستار الكعبة، وهم: عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وعكرمة بن أبي جهل، وعبد العزى بن خطل، والحارث بن نفيل بن وهب، ومقيس بن صبابه، وهبار بن الأسود، وقيتان لابن خطل، كانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ وسارة مولاة لبعض بني عبد المطلب.

فأما ابنُ أبي سرح فأسلم، فجاء به عثمان بن عفان، فاستأمن له رسول الله ﷺ، فقبل منه بعد أن أمسك عنه رجاء أن يقوم إليه بعض الصحابة فيقتله، وكان قد أسلم قبل ذلك، وهاجر، ثم ارتد، ورجع إلى مكة.

وأما عكرمة بن أبي جهل، فاستأمنت له امرأته بعد أن فرّ، فأمنه النبي ﷺ، فقدم وأسلم وحسن إسلامه.

وأما ابن خطل، والحارث، ومقيس، وإحدى القينتين، فقتلوا، وكان مقيس قد أسلم، ثم ارتد وقتل، ولحق بالمشركين، وأما هبار بن الأسود، فهو الذي عرض لزينب بنت رسول الله ﷺ حين هاجرت، فنخس بها حتى سقطت على صخرة، وأسقطت جنينها،

(١) أخرجه البخارى (٣٥٧) الصلاة، ومسلم (٣٣٦) صلاة المسافرين.

ففر، ثم أسلم وحسن إسلامه.

واستؤمن رسول الله ﷺ لسارة وإحدى القينتين. فأمنهما فأسلمتا<sup>(١)</sup>.

(وفى رواية) عن مصعب بن سعد عن سعد بن أبي وقاص قال: «لما كان يوم فتح مكة آمن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر وامرأتين، وقال: (اقتلوهم، وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة، عكرمة بن أبي جهل، وعبد الله ابن خطل، ومقيس بن صبابه، وعبد الله بن سعد بن أبي السرح).

فأما عبد الله بن خطل فأدرك وهو متعلق بأستار الكعبة، فاستبق إليه سعيد بن حريث، وعمار بن ياسر، فسبق سعيد عماراً، وكان أشب الرجلين، فقتله، وأما مقيس ابن صبابه، فأدركه الناس في السوق فقتلوه. وأما عكرمة، فركب البحر، فأصابتهم عاصف، فقال أصحاب السفينة أخلصوا فإن آهتكم لا تغنى عنكم شيئاً ههنا. فقال عكرمة: والله لئن لم ينجنى من البحر إلا الإخلاص لا ينجنى في البر غيره، اللهم إن لك على عهدنا إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمداً ﷺ حتى أضع يدي في يده، فلاجدنه عفواً كريماً... فجاء فأسلم. وأما عبد الله بن سعد بن أبي السرح فإنه اختبأ عند عثمان بن عفان فلما دعا رسول الله ﷺ إلى البيعة جاء به حتى أوقفه على النبي ﷺ قال: يا رسول الله بايع عبد الله قال: فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً كل ذلك يأبى، فبايعه بعد ثلاث، ثم أقبل على أصحابه فقال: (أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رأيته كفت يدي عن بيعته، فيقتله)، فقالوا: وما يدرينا يا رسول الله ما في نفسك هلاً أو مأت إلينا بعينك، قال: (إنه لا ينبغي لنبي أن يكون له خائنة أعين)<sup>(٢)</sup>.

وهكذا كانت أخلاق النبي ﷺ.

\* وعن أنس - رضي الله عنه - : «أن رسول الله ﷺ دخل مكة وعلى رأسه المغفر، فلما وضعه عن رأسه قيل: هذا ابن خطل متعلق بأستار الكعبة قال: (اقتلوه)»<sup>(٣)</sup>.

\* وعن أبي برزة الأسلمي - رضي الله عنه - قال: (قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: الناس آمنون غير عبد العزى بن خطل)<sup>(٤)</sup>.

(١) زاد المعاد (٤١١/٣).

(٢) رواه النسائي (١٠٥/٧)، والحاكم (٤٥/٣) وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه البخاري (٤٢٨٦) المغازي، ومسلم (١٣٥٧) الحج.

(٤) أخرجه أحمد في المسند: (٤٢٣/٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (١٧٥/٦)، رواه أحمد

والطبراني، ورجال أحمد ثقات.



## إسلام والد أبي بكر الصديق - رضى الله عنه -

\* وعن أسماء بنت أبي بكر - رضى الله عنهما - قالت: «لما وقف رسول الله ﷺ بذى طوى<sup>(١)</sup> قال أبو قحافة لابنة له من أصغر ولده: أى بنية اظهرينى على أبى قبيس<sup>(٢)</sup> قالت: وقد كُفَّ بصره، قالت: فأشرفت به عليه، قال: يا بنية، ماذا ترين؟ قالت: أرى سواداً مجتمعاً، قال: تلك الخيل، قالت: وأرى رجلاً يسعى بين ذلك السواد مقبلاً ومدبراً، قال: يا بنية ذلك الوازع يعنى الذى يأمر الخيل، ويتقدم إليها، ثم قالت: قد والله انتشر السواد، قال: إذاً والله دفعت الخيل، فأسرعى بى إلى بيتى، فانحطت به، وتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته، وفى عنق الجارية طوق لها من ورق - يعنى فضة -، فتلقاها رجل، فاقتلعه منها.

قالت: فلما دخل رسول الله ﷺ مكة، ودخل المسجد أتاه أبو بكر - رضى الله عنه - بأبيه يقوده<sup>(٣)</sup>، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: (هلا تركت الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتية فيه)، قال أبو بكر: يا رسول الله هو أحق أن يمشى إليك من أن تمشى أنت إليه، قال: فأجلسه بين يديه، ثم مسح صدره، ثم قال له: (أسلم)، فأسلم، ودخل به أبو بكر - رضى الله عنه - على رسول الله ﷺ، ورأسه كأنه ثغامة<sup>(٤)</sup>، فقال رسول الله ﷺ: (غيروا هذا من شعره)، ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته، فقال: أنشد بالله وبالإسلام طوق أختى فلم يجبه أحد فقال: يا أخيه احتسبى طوقك<sup>(٥)</sup>.

\*\*\*

(١) ذى طوى: موضع معروف قرب مكة.

(٢) اظهري بى على أبى قبيس: اصعدى بى على جبل أبى قبيس؛ لأنه كان كيف البصر.

(٣) يقوده: يمسك يده.

(٤) ثغامة: نبت أبيض الزهر والثمر يشبه الشيب.

(٥) أخرجه ابن حبان فى الموارد (١٧٠٠)، وابن إسحاق فى المغازى بسند صحيح رجاله ثقات سيرة ابن هشام: (٢/٤٠٥)، وقال الهيثمى فى المجمع (٦/١٧٣، ١٧٤) رواه أحمد، والطبرانى، ورجالهما ثقات، والبيهقى فى الدلائل (٥/٩٥ - ٩٦)، والحاكم فى المستدرک (٣/٤٦ - ٤٧)، وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبى.

## أخذ البيعة

ولما فتح الله على رسول الله ﷺ وأصحابه - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - (مكة) علم أهل مكة أنهم كانوا على الباطل وأن النبي ﷺ ما جاءهم إلا بالحق فقاموا ليعلنوا التوحيد لله (عز وجل) في مشهد مهيب يعجز القلم عن وصفه.

\* عن الأسود بن خلف - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: «أنه رأى النبي ﷺ يبايع الناس يوم الفتح قال: فجلس عند قرب دار سمرة، قال الأسود: فرأيت النبي ﷺ جالس، فجاءه الناس الصغار والكبار والنساء، فبايعوه، على الإسلام والشهادة فقلت: فما الإسلام قال: الإيمان بالله، فقلت: وما الشهادة؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله»<sup>(١)</sup>.

\* وعن أبي عثمان قال: حدثني مجاشع بن مسعود - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: «أتيت النبي ﷺ بأخي بعد الفتح، فقلت: يا رسول الله جئتك بأخي لتبابعه على الهجرة، قال: (ذهب أهل الهجرة بما فيها)، فقلت: على أي شيء تبابعه؟ قال: (أبابعه على الإسلام والإيمان والجهاد). قال أبو عثمان، فلقيت معبداً بعد، (وكان أكبرهما)، فسألته: فقال: صدق مجاشع»<sup>(٢)</sup>.

\* عن عائشة بنت قدامة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قالت: «أنا مع أمي رائطة بنت سفيان الخزاعية، والنبي ﷺ يبايع النسوة، ويقول: (أبابعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً، ولا تسرقن ولا تزنين، ولا تقتلن أولادكن، ولا تأتين بيهتان تفتريه بين أيديكن وأرجلكن، ولا تعصين في معروف)، قالت: فأطرقن: فقال لهن النبي ﷺ: (قلن نعم فيما استطعتن)، فكن يقلن وأقول معهن، وأمى تلقنتني: قُولِي أَي بِنِيَةِ فِيمَا اسْتَطَعْتَ»<sup>(٣)</sup>.

\* وعن عائشة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قالت: «إن هند بنت عتبة بن ربيعة قالت: يا رسول الله ما كان مما على ظهر الأرض أهل أخباء أو خباء أحب إليّ أن يذلوا من أهل

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤١٥/٣، ١٦٨/٤) وسنده حسن، والحافظ في المستدرک (٢٩٦/٣) ولم يتكلم عنه بشيء، وسكت عنه الذهبي، ورجاله ثقات.

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٠٥) المغازي، ومسلم (١٨٦٣) الإمارة.

(٣) أخرجه أحمد (٣٦٥/٦) وسنده حسن، وانظر الإصابة في تمييز الصحابة (٣٥١/٤) ترجمة رقم: (٨١١) وقال الحافظ بعد أن عزاه لأحمد: «ورويناه بعلو في المعرفة لابن منده من وجه آخر».

خبائك، أو أخبائك، ثم ما أصبح اليوم أهل خباء، أو أخباء أحب إلى من أن يعزوا من أهل خبائك، أو أخبائك، قال رسول الله ﷺ: (وأيضاً والذي نفسى محمد بيده)، قالت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل مسيِّكٌ - يعنى بخيل -، فهل على من حرج أن أطعم من الذى له؟ قال: (لا... إلا بالمعروف)<sup>(١)</sup>.

### خطب النبي ﷺ يوم الفتح

ولقد خطب النبي ﷺ بعد فتح مكة عدة خطب وردت بمرويات صحيحة ومتواترة.

\* قال ﷺ فى يوم الفتح: (إن مكة حرمها الله، ولم يُحرمها الناس، لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا، ولا يعضد بها شجرًا، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا له: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أذن له فيه ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، وليبلغ الشاهد الغائب). فقيل لأبى شريح، ماذا قال لك عمرو؟ قال: قال: أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح، إن الحرم لا يُعبد عاصياً<sup>(٢)</sup>، ولا فاراً بدم<sup>(٣)</sup>، ولا فاراً بخربة<sup>(٤)</sup>»<sup>(٥)</sup>.

\* وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ يوم الفتح فتح مكة: (لا هجرة؛ ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم، فانفروا)<sup>(٦)</sup>.

وقال يوم الفتح، فتح مكة (إن هذا البلد حرمه الله منذ خلق السموات والأرض. فهو حرام بحرمه الله تعالى إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلى. ولم يحل لى إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمه الله إلى يوم القيامة، لا يُعضد شوكة<sup>(٧)</sup>، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط إلا من عرفها، ولا يختلى خلاها)<sup>(٨)</sup>.

(١) أخرجه البخارى (٦٦٤١) الأيمان والندور، ومسلم (١٧١٤) الأفضية.

(٢) لا يعبد عاصياً: لا يجيره ولا يعلمه.

(٣) ولا فاراً بدم: من التجأ إليه هارباً من سبب من الأسباب الموجبة للقتل.

(٤) ولا فاراً بخربة: اللص المفسد فى الأرض.

(٥) أخرجه البخارى (٤٢٩٥) المغازى، ومسلم فى كتاب الجهاد.

(٦) إذا استنفرتم فانفروا: إذا دعاكم السلطان إلى غزو فاذهبوا.

(٧) لا يعضد شوكة: لا يقطع.

(٨) ولا يختلى خلاها: الخلا هو الرطب من الكلال. ومعناه لا يقطع ولا يؤخذ.

فقال العباس: يا رسول الله إلا الإذخر<sup>(١)</sup>. فإنه لقبينهم<sup>(٢)</sup> وليوتهم. فقال: (إلا الإذخر)<sup>(٣)</sup> لفظ مسلم.

\* وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما -: أن رسول الله ﷺ خطب يوم الفتح بمكة، فكبر ثلاثاً، ثم قال: (لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا إن كل مأثرة كانت فى الجاهلية تذكر وتدعى من دم أو مال تحت قدمى إلا ما كان من سقاية الحاج، وسدانة البيت. ثم قال: ألا إن دية الخطأ شبه العمد ما كان بالسوط والعصا مائة من الإبل، منها أربعون فى بطنها أولادها)<sup>(٤)</sup>.

\* وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: «لما فتح الله عز وجل على رسول الله ﷺ مكة، قام فى الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين، وإنها لن تحل لأحد كان قبلى، وإنها أُحلت لى ساعة من نهار، وإنها لن تحل لأحد بعدى. فلا يَنْفِر صيدها، ولا يختلى شوكتها ولا تحل ساقطتها<sup>(٥)</sup>، إلا لمنشد<sup>(٦)</sup>). ومن قُتل له قتيل فهو بخير النظرين، إما أن يفدى وإما أن يقتل).

فقال العباس: إلا الإذخر يا رسول الله! فإننا نجعله فى قبورنا وبيوتنا، فقال رسول الله ﷺ (إلا الإذخر) فقام أبو شاه - رجل من أهل اليمن - فقال: اكتبوا لى يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ: (اكتبوا لأبى شاه).

قال: فقلت للأوزاعى: ما قوله: اكتبوا لى يا رسول الله؟ قال: هذه الخطبة التى سمعها من رسول الله. لفظ مسلم<sup>(٧)</sup>.

\* عن جابر بن عبد الله - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو بمكة عام الفتح: (إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة، والخنزير والأصنام).

(١) الإذخر: قال العلابى فى معجمه: الإذخر نبات عشبى من فصيلة النجيليات، له رائحة ليمونية عطرة، أزهاره تستعمل منقوعاً كالشاي ويقال له طيب العرب. ويقال له: حلفاء مكة.

(٢) لقبينهم وبيوتهم: القين هو الحداد والصائغ، ومعناه يحتاج إليه القين فى وقود النار، ويحتاج إليه فى القبور لتسد به فرج اللحد المتخللة بين اللبنة ويحتاج إليه فى سقوف البيوت يجعل فوق الجثث.

(٣) أخرجه البخارى (٢٤٣٣) اللقطة، ومسلم (١٣٥٣) الحج.

(٤) رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد - وإسناد هذا الحديث صحيح رجاله كلهم ثقات وصححه ابن حبان.

(٥) ساقطتها: ما سقط فيها بغفلة مالكة.

(٦) المنشد: المعروف.

(٧) أخرجه البخارى (٢٤٣٤) اللقطة، ومسلم (١٣٥٥) الحج.

فقيل: يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة، فإنه يُطلى به السفن، ويدهن بها الجلود، ويستصبح بها الناس، فقال: (لا، هو حرام) ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك: (قاتل الله اليهود، إن الله لما حرم عليها شحومها جملوه<sup>(١)</sup> ثم باعوه، فأكلوا ثمنه)<sup>(٢)</sup>.

### قصة المرأة المخزومية

\* عن عائشة - رَضِيَ اللهُ عنها -: «أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله ﷺ، فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: (أتشفع في حدٍّ من حدود الله؟) ثم قام فاخْتطب، فقال: (أيها الناس إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)<sup>(٣)</sup>.

### المدة التي أقامها النبي ﷺ في مكة عام الفتح

\* وعن ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عنهما - قال: «أقام النبي ﷺ بمكة تسعة عشر يوماً يصلي ركعتين»<sup>(٤)</sup>.

وقد جاء من روايات عدة أنه مكث ثمانية عشر يوماً، وهي عند أبي داود من حديث عمران بن حصين، وأخرى سبعة عشر يوماً وبعضها خمسة عشر يوماً، وقد جمع البيهقي بين هذا الاختلاف بأن من قال تسع عشرة يوماً عدَّ يومى الدخول والخروج، ومن قال سبع عشرة يوماً حذفهما، ومن قال ثمانى عشرة عدَّ أحدهما وأما رواية «خمسة عشر» فضعفها النووي في الخلاصة، وليس بجيد لأن روايتها ثقات ولم ينفرد بها ابن إسحاق فقد أخرجها النسائي.

وإذا ثبت أنها صحيحة فليحمل على أن الراوى ظن أن الأصل رواية سبعة عشر، فحذف منها يومى الدخول والخروج، فذكر أنها خمسة عشر، واقتضى ذلك أن رواية

(١) جملوه: أذابوه.

(٢) أخرجه البخارى (٢٢٣٦) البيوع، ومسلم (١٥٨١) المساقاة.

(٣) أخرجه البخارى (٣٧٣٣) فضائل الصحابة، ومسلم (١٦٨٨) الحدود.

(٤) أخرجه البخارى (٤٢٩٨) المغازى - وأحمد (٢٢٣/١).

تسعة عشر أرجح الروايات، وبهذا أخذ إسحاق بن راهويه، ويرجحها أيضاً أنها أكثر ما وردت به الروايات الصحيحة<sup>(١)</sup>.

### السرايا والبعوث

وبث رسول الله ﷺ سراياه إلى الأوثان التي كانت حول الكعبة. فكسرت كلها منها اللات والعزى. ومناة الثالثة الأخرى. ونادى مناديه بمكة «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يدع في بيته صنماً إلا كسره».

\* فبعث خالد بن الوليد إلى العزى لخمس ليال بقين من شهر رمضان ليهدمها، فخرج إليها في ثلاثين فارساً من أصحابه حتى انتهوا إليها، فهدمها ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: «هل رأيت شيئاً؟» قال: لا، قال: «فإنك لم تهدمها فارجع إليها فاهدمها» فرجع خالد وهو متغيظ فجرد سيفه، فخرجت إليه امرأة عجوز عريانة سوداء ناشرة الرأس، فجعل السادن يصيح بها، فضربها خالد فجزلها باثنتين، ورجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: «نعم تلك العزى، وقد أيست أن تُعبد في بلادكم أبداً» وكانت بنخلة<sup>(٢)</sup>، وكانت لقريش وجميع بني كنانة، وكانت أعظم أصنامهم، وكان سدنتها بنى شيبان<sup>(٣)</sup>.

\* ثم بعث عمرو بن العاص إلى سِوَاع، (وهو صنم لهذيل) ليهدمه. قال عمرو: فانتهيت إليه وعنده السادن، فقال: ما تريد؟ قلت: أمرني رسول الله ﷺ أن أهدمه، فقال: لا تقدر على ذلك، قلت: لم؟ قال: تُمنع. قلت: حتى الآن أنت على الباطل، ويحك فهل يسمع أو يبصر؟ قال: فدنوت منه فكسرتة، وأمرت أصحابي فهدموا بيت خزانتة فلم نجد فيه شيئاً، ثم قلت للسادن: كيف رأيت؟ قال: أسلمت لله<sup>(٤)</sup>.

\* ثم بعث سعد بن زيد الأشهلي إلى مناة، وكانت بالمشلل عند قديد للأوس والخزرج وغسان وغيرهم، فخرج في عشرين فارساً حتى انتهوا إليها وعندها سادن، فقال السادن: ما تريد؟ قلت: هدم مناة، قالت: أنت وذاك، فأقبل سعد يمشى إليها...

(١) فتح الباري (٥٦٢/٢) في التعليق على حديث رقم (١٠٨٠) كتاب تقصير الصلاة باب ما جاء في

التقصير وكم يقيم حتى يقصر.

(٢) على بعد يوم من مكة.

(٣) ابن سعد (١٤٥/٢، ١٤٦).

(٤) ابن سعد (١٤٦/٢).

وتخرج إليه امرأة عريانة سوداء، نائرة الرأس، تدعو بالويل، وتضرب صدرها، فقال لها السادن: مناة دونك بعض عصاتك، فضربها سعد فقتلها، وأقبل إلى الصنم، ومعه أصحابه فهدمه، وكسروه، ولم يجدوا في خزانته شيئاً<sup>(١)</sup>.

### سرية خالد بن الوليد إلى بني جذيمة

قال ابن سعد: ولما رجع خالد بن الوليد من هدم العزى، ورسول الله ﷺ مقيم بمكة، بعثه إلى بني جذيمة داعياً إلى الإسلام، ولم يبعثه مقاتلاً، فخرج في ثلاثمائة وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار وبني سليم، فانتهى إليهم، فقال: ما أنتم؟ قالوا: مسلمون قد صلينا وصدقنا بمحمد وبيننا المساجد في ساحتنا، وأدنا فيها، قال: فما بال السلاح عليكم؟ قالوا: إن بيننا وبين قوم من العرب عداوة، فحفنا أن تكونوا هم، وقد قيل: إنهم قالوا صبأنا، ولم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا<sup>(٢)</sup>.

\* عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: «بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، فجعلوا يقولون صبأنا صبأنا - أي تركنا دين الآباء ودخلنا في الإسلام - فجعل خالد يقتل منهم، ويأسر، ودفع إلى كل رجل منا أسيره، حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره، فقلت: والله لا أقتل أسيرى، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره، حتى قدمنا على النبي ﷺ، فذكرناه، فرفع النبي ﷺ يديه فقال: (اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد)، مرتين»<sup>(٣)</sup>.

### هل فتحت مكة عنوة أم صلحاً

\* اختلف العلماء هل فتحت مكة عنوة أم صلحاً: فذهب الشافعي وأحمد - رحمهما الله - إلى أنه ﷺ دخلها صلحاً، وكان الممثل لقريش في هذا الصلح هو أبو سفيان، وكان الاتفاق والشرط فيه أنه من أغلق بابه فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، إلا من أهدر دمه ﷺ.

وذهب مالك وأبو حنيفة إلى أنه دخلها عنوة واستدلوا على ذلك بما وقع من القتال

(١) ابن سعد (٢/١٤٦، ١٤٧) - زاد المعاد (٣/٤١٣، ٤١٥).

(٢) زاد المعاد (٣/٤١٥).

(٣) أخرجه البخاري (٤٣٣٩) المغازي، وأحمد (٢/١٥١).

من خالد بن الوليد - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، وما حدث من أوباش قريش.

واتفق الجميع على أنه لم يغنم منها مالا، ولم يسب فيها ذرية فمن ذهب إلى أنها فُتحت صلحاً فسبب ذلك واضح، ومن ذهب إلى أنها فتحت عنوة فقد قالوا: إن الذي منع الرسول ﷺ من قسمتها أنها دار نُسكٍ ومنتعبد وحرَمُ الربِّ تعالى، فكأنه وَقَفَّ من الله تعالى على العالمين، ولهذا ذهب بعض العلماء إلى منع بيع أراضيها ودورها، والأدلة على خلافه والله أعلم<sup>(١)</sup>.

### من أبرز نتائج فتح مكة

ولقد كان من أبرز نتائج فتح مكة مبادرة قبائل العرب إلى قبول الإسلام بعد أن يتقنوا من نتيجة الصراع بين المسلمين وقريش، وقد أورد الإمام البخارى رواية من حديث عمرو ابن سلمة جاء فيها: أن العرب كانت «تَلُومُ بِإِسْلَامِهَا الْفَتْحَ، يَقُولُونَ: انظروا فإن ظهر عليهم فهو صادق وهو نبي، فلما جاءتنا وقعة الفتح بادر كل قوم بإسلامهم»، ويرى ابن إسحاق أن العرب كانت «تربص بالإسلام أمر هذا الحى من قريش وأمر رسول الله ﷺ»، وذلك أن قريشاً كانوا إمام الناس وهاديهم، وأهل البيت الحرام، وقادة العرب لا ينكرون ذلك، وكانت قريش هي التي نصبت لحرب رسول الله ﷺ وخلافه، فلما افتتحت مكة ودانت له قريش، ودوخها الإسلام، وعرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا عداوته، فدخلوا في دين الله أفواجا، كما قال الله (عز وجل):

ومن نتائج فتح مكة المكرمة تحول مركز ثقل معسكر الشرك إلى الطائف حيث سارعت كل من قبيلتي هوازن وثقيف إلى التصدى للإسلام وقيادة معسكر الشرك المعادى له.

وإضافة إلى ما تحقق في فتح مكة من اتساع رقعة ديار الإسلام، وتسارع وتيرة دخول العرب في الإسلام، وإنهاء مقاومة قريش وحلفائها، وتحولهم إلى قوة إيجابية دافعة لنشر العقيدة الإسلامية والتصدي لخصومها ودفع الخطر عنها، فقد اتضحت بعض الأحكام الشرعية المهمة من جراء فتح مكة وخلال أحداث غزوتها<sup>(٢)</sup>.

(١) الأحكام السلطانية للماوردي (ص ١٦٤)، زاد المعاد (٣/٤٢٩، ٤٤٠).

(٢) نضرة النعيم (١/٣٧٢).



## إشارة إلى ما فى الغزوة من الفقه واللطائف

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - ما ملخصه: فصل فى الإشارة إلى ما فى الغزوة من الفقه واللطائف:

- فيها أن أهل العهد إذا حاربوا من هم فى ذمة الإمام وجواره وعهده صاروا حرباً له بذلك، ولم يبق بينهم وبينه عهد، فله أن يبيتهم فى ديارهم ولا يحتاج أن يعلمهم على سواء، وإنما يكون الإعلام إذا خاف منهم الخيانة فإذا تحققها صاروا نابذين لعهده.

- وفيها انتقاض عهد جميعهم بذلك، ردئهم ومباشرهم إذا رضوا بذلك.

- وفيها جواز صلح أهل الحرب إذا كان بالمسلمين ضعف وعدوهم أقوى منهم.

- وفيها أن رسول الكفار لا يُقتل.

- وفيها جواز قتل الجاسوس وإن كان مسلماً وهو راجع لرأى الإمام لمصلحة المسلمين.

- وفيها أن الرجل إذا نسب مسلماً إلى النفاق والكفر متأولاً وغضباً لله ورسوله ودينه فإنه لا يكفر بذلك بل لا يَأْتُم وَيُثَاب على نيته وقصده، بخلاف أهل الأهواء والبدع.

- وفيها أن الكبيرة العظيمة مما دون الشرك قد تُكْفَر بالحسنة الكبيرة كما وقع الجَسَّ من حاطب مكفراً بشهوده بدرأ.

- وفيها جواز دخول مكة للقتال المباح بغير إحرام كما دخل رسول الله ﷺ والمسلمون وهذا لا خلاف فيه.

- وفيها البيان الصريح بأن مكة فُتحت عنوة كما ذهب إليه جمهور أهل العلم ولا يعرف فى ذلك خلاف إلا عن الشافعى وأحمد فى أحد قوليه، وسياق القصة أوضح شاهد لقول الجمهور.

- وفيها تعيين قتل الساب لرسول الله ﷺ وأن قتله حداً لا بد من استيفائه فإن النبى ﷺ لم يؤمّن مقيس بن صبابه وابن خطل والجاريتين اللتين كانت تغنيان بهجائه مع أن نساء أهل الحرب لا يُقتلن كما لا تُقتل الذرية<sup>(١)</sup>.

(١) زاد المعاد باختصار (٣/ ٤٢٠ - ٤٤١).

### • وقال رحمه الله:

- وفي القصة أن النبي ﷺ دخل البيت وصلى فيه ولم يدخله حتى مُحيت الصور منه، ففيه دليل على كراهة الصلاة في المكان المصوّر.

- وفي القصة: أنه دخل مكة وعليه عمامة سوداء ففيه دليل على جواز لبس السواد أحياناً.

- ومما وقع في هذه الغزوة إباحة متعة النساء ثم حرمها قبل خروجه من مكة.

- وفي قصة الفتح من الفقه: جواز إجارة المرأة وأمانها للرجل والرجلين، كما أجاز النبي ﷺ أمان أم هانئ لحمويها.

- وفيها من الفقه جواز قتل المرتد الذي تغلظت رذته من غير استتابة فإن عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان قد أسلم وهاجر وكان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ ثم ارتد وحق بمكة، فلما كان يوم الفتح أتى به عثمان بن عفان رسول الله ﷺ ليبيعه فأمسك عنه طويلاً ثم بايعه. وقال: إنما أمسكت عنه طويلاً ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه فقال له رجل: هلا أومأت إلى يا رسول الله فقال: ما ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) زاد المعاد باختصار (٣/٤٥٨ - ٤٦٤). والحديث رواه أبو داود (٢٦٦٦) الجهاد، و (٤٣٣٧) الحدود، والنسائي (٧/١٠٥، ١٠٦) تحريم الدم، والحاكم (٣/٤٠) المغازي. وصححه الحاكم والذهبي والألباني. وقال الخطابي في تفسير خائنة الأعين: هو أن يضمم في قلبه غير ما يظهره للناس، فإذا كف لسانه وأومأ بعينه إلى ذلك فقد خان. وقد كان ظهور تلك الخيانة من قبيل عينه فسميت خائنة الأعين. نقلاً من وقفات تربوية.

## غزوة حنين

لقد دخل أكثر أهل مكة في الإسلام بعد فتح مكة وإن كان بعضهم بقي على ريبته وجاهليته يتعلق بالأصنام ويستقسم بالأزلام، وأولئك تركوا للأيام تشفى جهلهم وتحبى ما مات من قلوبهم وألبابهم.

وما دامت الدولة التي تحمى الوثنية وتقاتل دونها قد ذهبت، فسوف تتلاشى هذه الخرافة من تلقاء نفسها.

إن فتح مكة جاء عقب ضربة خاطفة، ولقد أفلحت خطة المسلمين في تعمية الأخبار على قريش حتى بوغتوا في عقر دارهم فلم يجدوا مناصاً من الاستسلام فما استطاعوا الجلال ولا استجلاب الأمداد، وفتح العرب جميعاً أعينهم فإذا هم أمام الأمر الواقع، حتى خيل إليهم أن النصر معقود بألوية الإسلام فما ينفك عنها!

بيد أن هذا الغلب كله كان له رد فعل معاكس لدى القبائل الكبيرة القريبة من مكة، وفي مقدمتها «هوازن» و«ثقيف» وتعتبر «الطائف» قصبتها وهي أكبر المدن في الجزيرة بعد مكة ويثرب.

اجتمع رؤساء هذه القبائل على «مالك بن عوف» سيد «هوازن»، وأجمعوا أمرهم على المسير لقتال المسلمين. قبل أن تتوعد دعائم الفتح، وقبل أن يتحركوا لاستئصال ما بقي من معالم الوثنية المدبرة<sup>(١)</sup>.

### وقت هذه الغزوة

قال أهل المغازي: خرج رسول الله ﷺ إلى حنين لخمس خلت من شوال، وبه قال ابن إسحاق في المغازي، وهكذا روى عن ابن مسعود، وبه قال عروة بن الزبير، واختاره أحمد، وابن جرير في تاريخه.

(١) فقه السيرة للغزالي (ص ٤٣١، ٤٣٢) بتصرف.

وقيل لليلتين بقيتا من رمضان، وجمع بعضهم بأنه بدأ الخروج في أواخر رمضان، وسار سادس شوال، وكان وصوله إليها في عاشره، وبه قال الواقدي<sup>(١)</sup>.

### سبب الغزوة

قال ابن إسحاق: ولما سمعت هوازن برسول الله ﷺ، وما فتح الله عليه من مكة، جمعها مالك بن عوف النَّصْرِي<sup>(٢)</sup>، واجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها، واجتمعت إليه مَضْرٌ وجُشْمٌ كلها، وسعد بن بكر، وناس من بني هلال، وهم قليل، ولم يشهدا من قيس عيلان إلا هؤلاء، ولم يحضرها من هوازن كعب، ولا كلاب... وفي جُشْمٍ دريد بن الصمة شيخ كبير ليس فيه إلا رأيه ومعرفته بالحرب، وكان شجاعاً مجرباً... وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف النَّصْرِي. فلما أجمع السير إلى رسول الله ﷺ، ساق مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم، فلما نزل بأوطاس، اجتمع إليه الناس وفيهم دَرِيدُ بن الصَّمَّة، فلما نزل قال: بأى واد أنتم؟ قالوا: بأوطاس. قال: نعم مجال الخيل، لا حَزْنٌ ضَرْسٌ، ولا سَهْلٌ دَهْسٌ<sup>(٣)</sup>. مَالِي أسمع رُغَاءَ البعير، ونُهَاقَ الحمير، وبُكَاءَ الصبي، ويُعَارُ الشاء؟ قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس نساءهم وأموالهم وأبناءهم. قال: أين مالك؟ قيل: هذا مالك، ودُعي له. قال: يا مالك إنك قد أصبحت رئيس قومك، وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام، مَالِي أسمع رُغَاءَ البعير، ونُهَاقَ الحمير، وبُكَاءَ الصغير، ويُعَارُ الشاء؟! قال: سقت مع الناس أبناءهم، ونساءهم، وأموالهم، قال: ولم؟ قال: أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم. فقال: راعى ضَانٌ<sup>(٤)</sup> والله، وهل يرد المنهزم شيء، إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك، فُضِحت في أهلك ومالك، ثم قال: ما فعلت كعب وكناب؟ قالوا: لم يشهدا أحد منهم. قال: غاب الحَدُّ<sup>(٥)</sup> والجد، لو كان يوم علاء ورفعة، لم

(١) فتح الباري: (٢٧/٨)، سيرة ابن كثير (٣/٦١٠).

(٢) بالصاد المهملة نسبة إلى جده الأعلى نصر بن معاوية، أسلم بعد غزوة الطائف، وصحب وشهد القادسية وفتح دمشق.

(٣) الحزن: ما ارتفع من الأرض، والضرس: الذى فيه حجارة محددة، والدهس: ما سهل ولان من الأرض، ولم يبلغ أن يكون رملًا.

(٤) يُجهله بذلك كما قال الشاعر:

ماذا يريبك منى راعى الضأن

أصبحت هزءاً لراعى الضأن أعجبه

(٥) الحد: النشاط والسرعة والمضاء فى الأمور.

تغيب عنه كعب ولا كلاب، ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلات، فمن شهدها منكم؟ قالوا: عمرو بن عامر، وعوف بن عامر؟ قال: ذاك الجَدْعَانِ<sup>(١)</sup> من عامر، لا ينفعان ولا يضران. يا مالك! إنك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئاً، ارفعهم إلى متمنع بلادهم وعلياً قومهم، ثم الق الصبابة<sup>(٢)</sup> على متون الخيل، فإن كانت لك، لحق بك من وراءك، وإن كانت عليك، ألك ذلك، وقد أحرزت أهلك ومالك. قال: والله لا أفعل، إنك قد كبرت وكبر عقلك، والله لتطيعنني يا معشر هوازن، أو لأتكنن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري، وكره أن يكون لدريد فيها ذكر ورأى، فقالوا: أطعنك، فقال دريد: هذا يوم لم أشهده ولم يفتني.

يا ليتني فيها جذع  
أخبُ فيها وأضع  
أقود وطفاء الزمغ  
كأنها شاة صدع<sup>(٣)</sup>

ثم قال مالك للناس: إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم، ثم شدوا شدة رجل واحد<sup>(٤)</sup>.

### وأنزل جنوداً لم تروها

وبعث مالك عيوناً له يأتونه بالخبر فرجعوا إليه، وقد تفرقت أوصالهم وذهبت عقولهم فقال: ما شأنكم؟ قالوا رأينا رجالاً بيضاً على خيل بلق فوالله ما تماسكنا أن حل بنا ما ترى، ولم ينهه ذلك عن وجهه، ولم يثنه عن عزمه على قتال رسول الله ﷺ والمسلمين... والرجال الذين رأتهم العيون هم الملائكة، إذ قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ﴾ [التوبة: ٢٦] أى لم يرها أصحاب رسول الله ﷺ وهم يحضرون المعركة<sup>(٥)</sup>.

(١) يريد: أنهما ضعيفان في الحرب بمنزلة الجذع في سنه.

(٢) جمع صابى غير مهموز كقراض وقضاة، وهم المسلمون عندهم، كانوا يسمونهم بهذا الاسم، لأنهم صبيوا من دينهم، أى: خرجوا من دين الجاهلية إلى الإسلام.

(٣) الجذع: الشاب، وأخب وأضع: ضربان من السير، والوظفاء: طويلة الشعر، والزمغ: الشعر فوق مربوط قيد الدابة يريد فرساً صفتها هكذا، وهو محمود فى وصف الخيل، والشاة هنا: الوعل، وصدع أى: وعل بين وعلين ليس بالعظيم ولا بالخبير.

(٤) قال الهيثمى فى المجمع (١٧٩/٦)، رواه أحمد، وأبو يعلى ورواه البزار باختصار، وفيه ابن إسحاق وقد صرح بالسمع فى رواية أبى يعلى ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٥) زاد المعاد (٣/٤٦٧ - ٤٦٨) بتصرف.

### النبي ﷺ يرسل إليهم (عبد الله بن أبي حدرد)

ولما سمع بهم نبي الله ﷺ، بعث إليهم عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي، وأمره أن يدخل في الناس، فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم، ثم يأتيه بخبرهم، فانطلق ابن أبي حدرد، فدخل فيهم حتى سمع وعلم ما قد جمعوا له من حرب رسول الله ﷺ. وسمع من مالك وأمر هوازن ما هم عليه، ثم أقبل حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر.

### النبي ﷺ يستعير الدروع من صفوان بن أمية

فلما أجمع رسول الله ﷺ السير إلى هوازن، ذكر له أن عند صفوان ابن أمية أدرعاً وسلاحاً، فأرسل إليه، وهو يومئذ مشرك، فقال: يا أبا أمية! أعرنا سلاحك هذا نلقى فيه عدونا غداً، فقال صفوان: أغصباً يا محمد؟ قال: «بل عارية مضمونة حتى نؤديها إليك»<sup>(١)</sup>، فقال: ليس بهذا بأس. فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح، فزعموا أن رسول الله ﷺ سأله أن يكفيهم حملها، ففعل<sup>(٢)</sup>.

### الجيش الإسلامي يتحرك

كان جيش الفتح في مكة مستعداً إذ لم يلق مقاومة تذكر في فتح مكة، كما أن إقامته في مكة بعد الفتح مدة خمسة عشر يوماً قد منحته الكثير من الراحة واستعادة النشاط، إضافة إلى ما تحقق له من ارتفاع في الروح المعنوية بما منحه الله من نصر، ولذلك فإنه كان مهياً لمواجهة عدوان المشركين، وقد تحرك جيش المسلمين بناء على أمر قائده النبي ﷺ في اليوم الخامس من شوال سنة ٨ هـ ميمماً نحو تجمعات المشركين في حنين<sup>(٣)</sup>، وقد ثبت في الصحيحين مشاركة أبناء مكة في غزوة حنين في صفوف المسلمين<sup>(٤)</sup>، فقد شارك ألفاً مقاتل من أهل مكة، فبلغ عدد قوات الجيش الإسلامي اثني عشر ألف مقاتل،

(١) أخرجه الحاكم (٤٨/٣)، والبيهقي (٨٩/٦) بإسناد صحيح.

(٢) زاد المعاد (٤٦٨/٣).

(٣) ابن هشام - السيرة (٤٣٧/٢)، البيهقي - السنن (١٥١/٣)، النسائي - السنن (١٠٠/٣)، ابن حجر - فتح الباري (٥٦٢/٢).

(٤) خليفة بن خياط - تاريخ (ص ٨٨)، ابن سعد - الطبقات (١٥٤/٢ - ٥٥)، الحاكم - المستدرک (١٢١/٢).

وهو أكبر جيش للمسلمين يخرج للقتال في حياة النبي ﷺ حتى هذه الغزوة<sup>(١)</sup>، وكان النبي ﷺ حريصاً على تأمين قواته لذلك فقد اهتم بحراسة الجيش ومراقبة تحركات العدو<sup>(٢)</sup>.

### جاهلية مرفوضة

قال ابن إسحاق وحدثني ابن شهاب الزهري عن سنان أبي سنان الدؤلي عن أبي واقد الليثي، أن الحارث بن مالك قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية، قال: فسرنا معه إلى حنين، قال: وكانت كفار قريش ومن سواهم من العرب لهم شجرة عظيمة خضراء يقال لها: ذات أنواط، يأتونها كل سنة فيعلقون أسلحتهم عليها ويذبحون عندها ويعكفون عليها يوماً. قال: فرأينا ونحن نسير مع رسول الله ﷺ سدرة خضراء عظيمة، قال: فتنادينا من جنبات الطريق: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. قال رسول الله ﷺ: «الله أكبر، قلتم والذي نفسي بيده - كما قال قوم موسى لموسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨] إنها السنن... لتركن سنن من كان قبلكم»<sup>(٣)</sup>.

### قصة سلمة بن الأكوع مع الجاسوس

\* عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال: «غزونا مع رسول الله ﷺ هوازن. فبينما نحن نتضحى مع رسول الله ﷺ إذ جاء رجل على جمل أحمر، فأناخه. ثم انتزع طلقاً من حقه، فقيد به الجمل. ثم تقدم يتغذى مع القوم. وجعل ينظر، وفينا ضعفة ورقة في الظهر، وبعضنا مشاة، إذ خرج يشتد، فأتى جملة فأطلق قيده، ثم أناخه وقعد عليه، فأثاره، فاشتد به الجمل، فاتبعه رجل على ناقة وركاء.

(١) الواقدي - المغازي (٣/ ٨٩٠)، الهيثمي - كشف الأستار (٢/ ٣٤٦ - ٣٤٧)، ابن إسحاق: ابن هشام - السيرة (٤/ ١٢٤)، البيهقي - دلائل (٥/ ١٢٣).

(٢) أبو داود - السنن (١/ ٢١٠، ٢/ ٩)، وانظر ابن حجر - الإصابة (١/ ٨٦).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٩٣٩).

والحديث رواه الترمذي (٢٧/ ٩، ٢٨) الفتن، وأحمد (٥/ ٢١٨)، وابن أبي عاصم في كتاب السنة (٧٦)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح وقال الألباني: إسناده حسن رجاله ثقات رجال الشيخين غير يعقوب بن حميد وهو ثقة فيه ضعف يسير وقد توبع.

قال سلمة: وخرجت أشتد. فكنت عند ورك الناقة. ثم تقدمت. حتى كنت عند ورك الجمل. ثم تقدمت حتى أخذت بخطام الجمل، فأنخته. فلما وضع ركبته في الأرض اخترطت سيفي، فضربت رأس الرجل فندر ثم جئت بالجمل أقوده. عليه رحله وسلاحه. فاستقبلني رسول الله ﷺ، والناس معه. فقال: من (قتل الرجل؟) قالوا: ابن الأكوع. قال: (له سلبه أجمع) (١).

### النبي ﷺ يبشرهم بغنائم حنين

\* عن سهيل بن الحنظلية رضى الله عنه: «أنهم ساروا مع رسول الله ﷺ يوم حنين فأطنبوا السير، حتى كانت عشية، فحضرت الصلاة عند رسول الله ﷺ، فجاء رجل فارس، فقال: يا رسول الله ﷺ إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا، فإذا أنا بهوازن على بكرة آبائهم بظعنهم ونعمهم وشائهم، اجتمعوا إلى حنين، فتبسم رسول الله ﷺ، وقال: (تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله).

ثم قال: (من يحرسنا الليلة؟) فقال أنس بن أبي مرثد الغنوي: أنا يا رسول؟ قال: (فاركب) فركب فرساً له فجاء إلى رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: (استقبل هذا الشعب حتى تكون في أعلاه، ولا نُغرن من قبلك الليلة).

فلما أصبحنا خرج رسول الله ﷺ إلى مصلاه، فركع ركعتين ثم قال: (هل أحسستم فارسكم؟) قالوا: يا رسول الله، ما أحسنناه فتوب بالصلاة، فجعل رسول الله ﷺ يصلي، وهو يلتفت إلى الشعب حتى إذا قضى صلاته، وسلم، قال: (أبشروا فقد جاءكم فارسكم).

فجعلنا ننظر إلى الشجرة في الشعب فإذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله ﷺ فسلم فقال: إني انطلقت حتى كنت في أعلى هذا الشعب حيث أمرني رسول الله ﷺ، فلما أصبحت طلعت الشعبين كليهما، فنظرت فلم أر أحداً، فقال له رسول الله ﷺ: (هل نزلت الليلة؟) قال: لا إلا مصلياً أو قاضي حاجة. فقال له رسول الله ﷺ: (فقد أوجبت فلا عليك ألا تعمل بعدها) (٢).

(١) أخرجه مسلم (١٧٥٤) الجهاد والسير، وأحمد (٤٩/٤ - ٥١).

(٢) رواه أبو داود (٢٥٠١)، والنسائي في الكبرى وإسناده صحيح، وحسنه الحافظ في الفتح (٢٧/٨).



## مفاجأة لم تخطر ببالهم

إن السهولة التي تم بها فتح مكة، وإحساس جمهور المؤمنين أن الجاهلية تلفظ أنفاسها الأخيرة فلن تبدى مقاومة تُذكر. وظن حُدثاء العهد بالإسلام أن شيئاً ما لن يقف في طريقه، كل ذلك جعل الجيش يزحف للقاء المشركين وهو غير مكترث لما سوف يواجهه، ولم يكثرث؟.

إنهم - وهم قلة - كانوا يكسبون المعارك الطاحنة، فكيف وهم اليوم يخرجون في عدد لم يجمعوا مثله قبلاً.

وسار الجيش الواصل حتى وصل إلى وادي «حنين».

وكان «مالك بن عوف» ورجاله قد سبقوا إلى احتلال مضايقه، وانبثوا في الشعاب والأجناب المنيعه، ثم تهيئوا لاستقبال المسلمين.

وأقبلت الطلائع الغفيرة تندافع نحو الوادي - وهي غافلة عما يكمن فيه - وكان وادياً أجوف منحدراً، ينحط فيه الراكبون كلما أوغلوا كأنهم يسيرون إلى هاوية.

لما تكاثرت في دروبه الفرق الزاحفة، لم يرعهم إلا وابل من السهام يتساقط فوقهم من المكامن العالية، وكان غبش الفجر لا يزال يترك بقاياها في الجو الغائم فارتاعت المقدمة لهذه المفاجأة، فهي في عماية من الليل، وعماية من أمرها. لا تعرف إلا أن تستدير ثم تولى الأدبار.

وانتشرت موجة الفرع، فكسرت الصفوف المرصوفة وبعثرتها.

واستغل رجال «مالك بن عوف»، هذا الارتباك، فهاجمت كتائبهم، وحملت الخيل على ما أمامها، فانكفأ المسلمون مهزومين لا يلوى أحد على أحد<sup>(١)</sup>.

\* عن أنس رضى الله عنه قال: «لما اجتمع يوم حنين أهل مكة وأهل المدينة أعجبتهم كثرتهم، فقال القوم: اليوم والله ما نقاتل حين اجتمعنا، فكره ﷺ ما قالوا، ما أعجبهم من كثرتهم»<sup>(٢)</sup>.

\* وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: «لما استقبلنا وادي حنين قال: انحدرنا

(١) فقه السيرة للبخاري (ص ٤٣٣ - ٤٣٤) بتصرف.

(٢) أخرجه الحاكم وصححه، وابن المنذر وابن مردويه وأبو الشيخ وغيرهم: الفتح الرباني (١٦٩/٢١).

في وادي من أودية تهامة أجوف حطوط<sup>(١)</sup> إنما ننحدر فيه انحداراً قال: وفي عماية الصبح<sup>(٢)</sup>، وقد كان القوم كمنوا لنا في شعابه، وفي أجنابه ومضايقه، قد جمعوا وتهيأوا وأعدوا فوالله ما راعنا ونحن منحطون إلا الكتائب قد شدت علينا شدة رجل واحد، وانهزم الناس راجعين. فاستمروا لا يلوى أحد منهم على أحد، وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين قال: (إلى أيها الناس، هلم إليّ، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله)، قال: فلا شيء<sup>(٣)</sup>.

احتملت الإبل بعضها بعضاً فانطلق الناس إلا أن مع رسول الله ﷺ رهطاً من المهاجرين والأنصار وأهل بيته غير كثير، وفيمن ثبت معه ﷺ أبو بكر وعمر ومن أهل بيته علي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وابنه الفضل بن عباس، وأبو سفيان ابن الحارث وربيع بن الحارث وأيمن بن عبيد، وهو ابن أم أيمن، وأسامة بن زيد، قال: ورجل من هوازن علي جمل له أحمر في يده راية له سوداء في رأس رمح طويل أمام الناس، وهوازن خلفه، فإذا أدرك طعن برمحه، وإذا فاته الناس رفعه لمن وراءه، فاتبعوه<sup>(٤)</sup>.

قال ابن إسحاق: «وحدثني عاصم بن عمرو بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه جابر بن عبد الله قال: (بينما ذلك الرجل من هوازن صاحب الراية علي جملته ذلك يصنع ما يصنع، إذ هوى له علي بن أبي طالب، ورجل من الأنصار يريدانه، قال: فيأتيه (علي) من خلفه فضرب عرقوبى الجمل فوق علي عجزه، ووثب الأنصاري علي الرجل، فضربه ضربة أظن قدمه<sup>(٥)</sup> بنصف ساقه، فانعجف<sup>(٦)</sup> عن رحله، واجتلد الناس فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسرى مكتفين عند رسول الله ﷺ».

\*\*\*

(١) حطوط: واسع منحدر من أعلى إلى أسفل.

(٢) عماية الصبح: أي بقية ظلمة الليل.

(٣) فلا شيء: يعني فلا مجيب.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) أظن قدمه: قصعه.

(٦) فانعجف: مال وسقط.

### الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ

\* عن أنس رضى الله عنه قال: «افتتحنا مكة، ثم إننا غزونا حنينًا، فجلى المشركون بأحسن صفوف رأيت، قال: فصفت الخيل، ثم صفت المقاتلة، ثم صفت النساء من وراء ذلك، ثم صفت الغنم، ثم صفت النعم.

قال: ونحن بشر كثير قد بلغنا ستة آلاف<sup>(١)</sup>. وعلى محبنة<sup>(٢)</sup> خيلنا خالد بن الوليد. فجعلت خيلنا تلوى<sup>(٣)</sup> خلف ظهورنا فلم نلبث أن انكشف خيلنا، وفرت الأعراب. ومن نعلم من الناس.

قال: فنادى رسول الله ﷺ: (يا للمهاجرين!) ثم قال: (يا للأنصار) قال: قال أنس. هذا حديث عمية<sup>(٤)</sup>، قال: قلنا ليبيك يا رسول الله، قال: فتقدم رسول الله ﷺ قال: فأيم الله! ما أتيناهم حتى هزمهم الله. قال: فقبضنا ذلك المال. ثم انطلقنا إلى الطائف، فحاصرناهم أربعين ليلة، ثم رجعنا إلى مكة، فنزلنا، قال: فجعل رسول الله ﷺ يعطى الرجل المائة من الإبل<sup>(٥)</sup>.

\* عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال: «وقد جاءه رجل فقال: يا أبا عمار، أتوليت يوم حنين، فقال: أما أنا فأشهد على النبي ﷺ أنه لم يول، ولكن عجل سرعان القوم، فرشقتهم هوازن - وأبو سفيان بن الحارث أخذ برأس بغلته البيضاء يقول: (أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب)<sup>(٦)</sup>.

وفى لفظ آخر «وقد سأله رجل من قيس: أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين؟ فقال: لكن رسول الله ﷺ لم يفر، كانت هوازن رماة، وإننا لما حملنا عليهم انكشفوا،

(١) قد بلغنا ستة آلاف: قال القاضى هذا وهم من الراوى عن أنس، والصحيح ما جاء فى الرواية الأولى عشرة آلاف، ومعه الطلقاء، لأن المشهور فى كتب المغازى أن المسلمين كانوا يومئذ اثنى عشر ألفًا، عشرة آلاف شهدوا الفتح. وألفان من أهل مكة ومن انضاف إليهم (انظر الرواية الأولى، والتي فيها ذكر العشرة آلاف فى صحيح مسلم حديث (١٣٥/١٠٥٩).

(٢) محبنة: هى الكنية من الخيل التى تأخذ جانب الطريق.

(٣) تلوى: تلوذ، فجعلت فرساننا يشنون أفراسهم ويعفونها خلف ظهورنا.

(٤) هذا حديث عمية: هذا حديث فضل أعمامى، أو هذا الحديث الذى حدثنى به أعمامى.

(٥) أخرجه مسلم (١٣٦/١٠٥٩) الزكاة.

(٦) أخرجه البخارى (٤٣١٥) المغازى، ومسلم (١٧٧٦) الجهاد والسير.

فأكبينا على الغنائم، فاستقبلنا بالسهم، ولقد رأيت رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء، وإن أبا سفيان بن الحارث أخذ بزمامها وهو يقول: (أنا النبي لا كذب)»<sup>(١)</sup>.

\* وعن ابن عمر رضی الله عنه قال: «لقد رأيتنا يوم حنين وإن الفئتين لموليتين، وما مع رسول الله ﷺ مائة رجل»<sup>(٢)</sup>.

\* وعن ابن مسعود رضی الله عنه قال: «كنت مع النبي ﷺ يوم حنين قال: فولى الناس، وثبت معه ثمانون رجلاً من المهاجرين والأنصار فنكصنا على أقدامنا نحواً من ثمانين قدماً، ولم نولهم الدبر وهم الذين أنزل الله عز وجل عليهم السكينة، قال: ورسول الله ﷺ على بغلته يمضى قدماً، فحارت به بغلته فمال عن السرج فقلت: ارتفع رفعك الله فقال: ناولني كفاً من تراب فضرب به وجوههم فامتألت أعينهم تراباً قال: (أين المهاجرون والأنصار). قلت: هم أولاء قال: (اهتف بهم). فهتفت بهم، فجاءوا وسيوفهم بأيمانهم كأنها الشهب، وولى المشركون أذبارهم»<sup>(٣)</sup>.<sup>(٤)</sup>

(١) قال الحافظ ابن حجر: وفي الحديث (يعنى حديث البراء بن عازب في ثبات النبي) من الفوائد: حسن الأدب في الخطاب، والإرشاد إلى حسن السؤال بحسن الجواب، وذم الإعجاب، وفيه جواز الانتساب إلى الآباء ولو ماتوا في الجاهلية، والنهي عن ذلك محمول على ما هو خارج الحرب، ومثله الرخصة في الخيلاء في الحرب دون غيرها، وجواز التعرض إلى الهلاك في سبيل الله، ولا يقال كان النبي ﷺ متيقناً للنصر لوعده الله تعالى له بذلك، وهو حق، لأن أبا سفيان بن الحارث قد ثبت معه أخذاً بلجام بغلته، وليس هو على اليقين مثل النبي ﷺ.

وفيه ركوب البغلة إشارة إلى مزيد الثبات، لأن ركوب الفحولة مظنة الاستعداد للفرار والتولي، وإذا كان رأس الجيش قد وطّن نفسه على عدم الفرار، وأخذ بأسباب ذلك كان ذلك أدعى لاتباعه على الثبات، وفيه شهرة الرئيس نفسه في الحرب مبالغة في الشجاعة وعدم المبالاة بالعدو». فتح الباري (٨/٣٢).

(٢) رواه الترمذی (١٦٨٩)، وحسنه الحافظ في الفتح (٨/٢٩ / ٣٠).

(٣) قال الهيثمي في المجمع (٦/١٨٠) رواه أحمد، والبخاري، ورجال أحمد رجال الصحيح غير الحارث بن حصيرة، وهو ثقة، انظر كشف الأستار عن زوائد البزار حديث رقم (١٨٢٩)، وأخرجه الحاكم (٢/١١٧) أخرجه أحمد في المسند (١/٤٥٤) دلائل البيهقي (٥/١٤٢) وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٤) قال الحافظ في الفتح: «وهذا لا يخالف حديث ابن عمر، فإنه نفى أن يكونوا مائة، وابن مسعود أثبت أنهم كانوا ثمانين، وأما ما ذكره النووي في شرح مسلم: أنه ثبت معه اثنا عشر رجلاً، فكأنه أخذه مما ذكره ابن اسحاق في حديثه أنه ثبت معه العباس وابنه الفضل وعلي، وأبو سفيان بن الحارث، وأخوه ربيعة، وأسامة بن زيد، وأخوه من أمه أيمن بن أم أيمن. ومن المهاجرين أبو بكر وعمر، فهؤلاء تسعة، وتقدم ذكر ابن مسعود في مرسل الحاكم، فهؤلاء عشرة، ووقع في شعر العباس بن عبد المطلب أن الذين ثبتوا كانوا عشرة فقط وذلك قوله:

## أين أصحاب السمرة

ووقف النبي ﷺ ساكن الجأش، يدبر الرأى فى خطة يتخذ بها سمعة الإسلام ومستقبله، وقد أحاط به لفيف من المهاجرين الأولين، ومن أهل بيته.

فأمر العباس بن عبد المطلب - وكان جهير الصوت - أن ينادى: يا معشر الأنصار، يا أصحاب البيعة يوم الحديبية<sup>(١)</sup>.

لقد هداه الحق أن يهتف بأصحاب العقائد، ورجال الفداء عقد الصدام فهم - وخدمهم - الذين تنجح بهم الرسائل وتفرج الكروب.

أما هذا الغناء من العوام الحراص على الدنيا، السعاة إلى المغانم، فما يقوم بهم أمر، أو تثبت بهم قدم<sup>(٢)</sup>.

✽ عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه قال: «شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين. فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله ﷺ، فلم نفارقه. ورسول الله ﷺ على بغلة له، بيضاء. أهداها له فروة بن نفاثة الجذامى. فلما التقى المسلمون والكفار، ولى المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قبل الكفار.

قال العباس: وأنا أخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أكفها إرادة أن لا تسرع. وأبو سفيان أخذ بركاب رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: (أى عباس! ناد أصحاب السمرة)<sup>(٣)</sup> فقال العباس: «وكان رجلاً صيتاً»<sup>(٤)</sup> فقلت: بأعلى صوتى: أين أصحاب السمرة؟

= نصرنا رسول الله فى الحرب تسعة  
وقد فر من قد فر عنه فأقشعوا  
وعاشرنا وفى الحمام بنفسه  
لما مسه فى الله لا يتوجع

ولعل هذا هو الثبت. ومن زاد على ذلك يكون عجل فى الرجوع فعد فيمن لم ينهزم [فتح البارى (٣٠/٨)].

(١) رواه ابن إسحاق بسند صحيح عن العباس وقد ساقه ابن جرير، وابن هشام عنه، وهو فى مسلم (٥/١٦٦ - ١٦٧) نحوه.

(٢) فقه السيرة للغزالي (ص ٤٣٤ - ٤٣٥) بتصرف.

(٣) أصحاب السمرة: هى الشجرة التى بايعوا تحتها بيعة الرضوان. ومعناه: ناد أهل بيعة الرضوان يوم الحديبية.

(٤) صيتاً: قوى الصوت.

قال: فوالله! لكان عطفهم حين سمعوا صوتي، عطفة البقر على أولادها. فقالوا: يا لبيك؟ يا لبيك! قال: فاقتتلوا والكفار... والدعوة في الأنصار، يقولون: يا معشر الأنصار! يا معشر الأنصار! ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج، فقالوا: يا بني الحارث بن الخزرج! يا بني الحارث بن الخزرج فنظر رسول الله ﷺ، وهو على بغلته، كالمطاول عليها، إلى قتالهم، فقال رسول الله ﷺ: (هذا حين حمى الوطيس)<sup>(١)</sup>.

قال: ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات، فرمى بهن وجوه الكفار. ثم قال: (انهزموا، ورب محمد!) قال: فذهبت انظر، فإذا القتال على هيئته فيما أرى. قال: فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته. فما زلت أرى حدهم قليلاً<sup>(٢)</sup> وأمرهم مدبراً<sup>(٣)</sup>. (٤)

\* وعن أنس رضي الله عنه قال: «التقى يوم حنين أهل مكة وأهل المدينة، واشتد القتال فولوا مدبرين، فندب رسول الله ﷺ الأنصار فقال: (يا معشر المسلمين أنا رسول الله) فقالوا: إليك والله جئنا، فنكسوا رؤوسهم، ثم قاتلوا حتى فتح الله عليهم»<sup>(٥)</sup>.

### اللهم أنزل نصرك

وكعادة النبي ﷺ في كل غزواته فلقد أخذ يدعو ويدعو ويلجأ إلى الله (عز وجل) لينصره ومن معه من المؤمنين لأنه يعلم أن النصر لا يأتي إلا من عند الله (عز وجل).

\* عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال رجل للبراء: أكتتم وليتم يوم حنين يا أبا عمارة؟ فقال: أشهد على نبي الله ﷺ ما ولي. ولكنه انطلق أخفاء من الناس، وحسر إلى هذا الحى من هوازن، وهم قوم رماة. فرموهم برشق من نبل، كأنها رجل من جراد<sup>(٦)</sup>.

(١) هذا حين حمى الوطيس: الضرب في الحرب.

(٢) حدهم قليلاً: ما زلت أرى قوتهم ضعيفة.

(٣) أخرجه مسلم (١٧٧٥) الجهاد، وأحمد (٢٠٧/١).

(٤) قال النووي رحمه الله «قال العلماء: في هذا الحديث دليل على أن فرارهم لم يكن بعيداً، وأنه لم يحصل الفرار من جميعهم، وإنما كانت هزيمتهم فجأة لانصبابهم عليهم دفعة واحدة، ورشقهم بالسهام، واختلاط أهل مكة معهم ممن لم يستقر الإيمان في قلبه، ومن يتربص بالمسلمين الدوائر، وفيهم نساء وصبيان خرجوا للغنيمة، فتقدم أخفاؤهم، فلما رشقوهم بالنبل ولوا، فانقلبت أولاهم على أراهم إلى أن أنزل الله سكينته على المؤمنين، كما ذكر الله تعالى في القرآن». [مسلم بشرح النووي (١١٥/١٢)].

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرک (٤٨/٣) وقال: حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٦) رجل من جراد: كأنها قطعة من جراد، والرجل: الجراد الكثير.

فانكشفوا: فأقبل القوم إلى رسول الله ﷺ ، وأبو سفيان بن الحارث يقود به بغلته، فنزل، ودعا، واستنصر، وهو يقول:

(أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب)

(اللهم نزل نصرك).

قال البراء: كنا والله إذا احمر البأس نتقى به، وإن الشجاع منا للذي يحاذى به...  
يعنى النبي ﷺ «(١)».

### شاهت الوجوه

عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال: «غزونا مع رسول الله ﷺ حينئذ... وذكر الحديث ثم قال:

فلما غشوا رسول الله ﷺ نزل عن البغلة، ثم قبض قبضة من تراب من الأرض، ثم استقبل به وجوههم، فقال: (شاهت الوجوه)<sup>(٢)</sup> فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً بتلك القبضة، فولوا مدبرين فهزمهم الله عز وجل، وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين<sup>(٣)</sup>.

\* وقد جاء أيضاً من حديث يزيد بن عامر السسوائي أنه قال: «عند انكشافه انكشفها المسلمون يوم حنين، فتبعتهم الكفار، فأخذ رسول الله ﷺ قبضة من الأرض، فرمى بها وجوههم، وقال: (ارجعوا شاهت الوجوه)، فما من أحد يلقي أخاه إلا وهو يشكو القذى، ويمسح عينيه<sup>(٤)</sup>»<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه مسلم في الجهاد والسير باب في غزوة حنين: (١٧٧٦/٧٩).

(٢) شاهت الوجوه: أى قبحت.

(٣) أخرجه مسلم (١٧٧٧). المغازي.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير: (٢٣٧/٢٢)، رقم (٦٢٢)، والبخارى في التاريخ الكبير (٣١٦/٢/٤). المطالب العلية (٤٣٧٢)، وعزاه إلى عبد بن حميد، وسكت عنه البوصيري، وقال الهيثمي في المجمع (١٨٢/٦ - ١٨٣) رواه الطبراني، ورجاله ثقات.

(٥) قال الخافظ ابن حجر: قلت: جاء في الأحاديث السابقة أنه ﷺ قد تناول كفاً من تراب أو حصى، ورمى بها المشركين، وقد جاء من حديث ابن مسعود، فيما مضى أيضاً أنه طلب منه أن يتاوله كفاً من التراب فرمى به المشركين، ومن حديث ابن عباس أنه طلب من علي أن يتاوله التراب، فرمى به المشركين، ويجمع بين هذه الأحاديث أنه ﷺ أولاً قال لصاحبه ناولني، فتاوله، فرماهم، ثم نزل عن البغلة، فأخذ =

وهكذا لم تصمد قوات المشركين طويلاً في الجولة الثانية حين صدق المسلمون ما عاهدوا الله عليه، وأجرى الله تعالى على يد نبيه المعجزة الواضحة، وإلى ذلك يشير القرآن الكريم من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [التوبة: ٢٦-٢٧].

انهارت قوى الشرك، وفرت من ميدان المعركة بشكل غير منظم مخلقة وراءها أعداداً كثيرة من القتلى وكمية كبيرة من الغنائم، كما خلفت شرادم من قواتها تمكن المسلمون من القضاء عليهم بسهولة، وأمر النبي ﷺ بتعقب المشركين المهزومين وقتلهم حتى يمنع إمكانية تجمعهم ثانية واحتمال عودتهم إلى القتال فكانت خسائر المشركين في القتلى خلال هزيمتهم أعظم من خسارتهم خلال المعركة. وقد نهى النبي ﷺ عن قتل النساء والأجراء وكل من لا يحمل السلاح، كما نهى عن قتل الأولاد والذراري حين بلغه أن بعضهم قد قُتل خلال المعركة<sup>(١)</sup>.

### الله يلقي الرعب في قلوب المشركين

\* عن يزيد بن عامر السسوائي «وكان شهد حيناً مع المشركين، ثم أسلم. قال أبو السائب: سألتناه عن الرعب الذي ألقاه الله في قلوبهم يوم حنين، كيف كان، فأخذ حصاة، فرمى بها طستاً فظن قال: كنا نجد في أجوافنا مثل هذا»<sup>(٢)</sup>.

\* ولا عجب في أن يلقي الله الرعب في قلوبهم فقد قال تعالى: ﴿سَنَلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [آل عمران: ١٥١].

وكان النبي ﷺ يوصي أصحابه بأن يشتدوا على المشركين لتكون هذه الجولة في صالح جنود الرحمن.

= بيده، فرماهم أيضاً، فيحتمل أن الحصى في إحدى المرتين، وفي الأخرى التراب، والله أعلم» كذا قال الحافظ [فتح الباري (٨/٣٢)].

(١) نضرة النعيم (١/٣٧٨ - ٣٧٩) بتصرف.

(٢) قال الهيثمي في المجمع (٦/١٨٣): رواه الطبراني ورجاله ثقات.



✽ عن أنس رضى الله عنه: «أن رسول الله ﷺ قال يوم حنين: (جزّوهم جرّاً)، وأوماً بيده إلى الخلق»<sup>(١)</sup>.

### من قتل كافراً فله سلبه

وكان النبي ﷺ يشجع أصحابه على أن يقتلوا أكبر عدد من المشركين فجعل لكل من يقتل كافراً الحق في أن يأخذ كل ما معه من متعلقات .

✽ عن أنس رضى الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ يومئذ يعنى يوم حنين: (من قتل كافراً، فله سلبه)، فقتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلاً، وأخذ أسلابهم»<sup>(٢)</sup>.

✽ وعن أبي قتادة رضى الله عنه قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حنين. فلما التقينا كانت للمسلمين جولة»<sup>(٣)</sup>. قال: فرأيت رجلاً من المشركين قد علا رجلاً من المسلمين<sup>(٤)</sup>، فاستدرت إليه حتى أتيت من ورائه، فضربت على حبل عاتقه<sup>(٥)</sup>، وأقبل على فضمنى ضمة وجدت منها ريح الموت<sup>(٦)</sup>. ثم أدركه الموت. فأرسلنى - أى تركنى - فلحقت عمر بن الخطاب. فقال: ما للناس؟ فقلت: أمر الله.

ثم إن الناس رجعوا، وجلس رسول الله ﷺ فقال: (من قتل قتيلاً، له عليه بيته، فله سلبه)<sup>(٧)</sup> قال: فقمتم فقلت: من يشهد لى؟<sup>(٨)</sup>، ثم جلست ثم قال مثل ذلك. فقال فقمتم فقلت: من يشهد لى؟ ثم جلست. ثم قال ذلك الثالثة فقمتم.

فقال رسول الله ﷺ (ما لك؟ يا أبا قتادة!) فقصصت عليه القصة فقال رجل من القوم: صدق. يا رسول الله! سلب ذلك القتل عندى. فأرضه من حقه، وقال أبو بكر

(١) أخرجه البزار حديث رقم (١٨٣٠) كما فى كشف الأستار، وقال الهيثمى (١٨١/٦) رواه البزار، ورجاله ثقات.

(٢) رواه أبو داود والدارمى والحاكم (٣/٣٥٣) وصححه ووافقه الذهبى.

(٣) جولة: أى انهزام وخيفة ذهبوا فيها. وهذا إنما كان فى بعض الجيش، وأما رسول الله ﷺ وطائفة معه فلم يولوا والأحاديث الصحيحة بذلك مشهورة قد سبق بعضها فيما مضى من الأحاديث.

(٤) قد علا رجلاً من المسلمين: يعنى ظهر عليه وأشرف على قتله، أو صرعه وجلس عليه ليقتله.

(٥) على حبل عاتقه: هامه بين العنق والكتف.

(٦) وجدت منها ريح الموت: يحتمل أنه أراد شدة كشدة الموت: ويحتمل قاربت الموت.

(٧) له عليه بيته: أى شاهد، فله سلبه: هو ما على القتل وما معه من ثياب وسلاح ومركب.

(٨) من يشهد لى: أى قتلت رجلاً من المشركين، فيكون سلبه لى.

الصديق: لاها الله<sup>(١)</sup> إذا لا يعمد<sup>(٢)</sup> إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله وعن رسوله، فيعطيك سلبه. فقال رسول الله ﷺ: (صدق. فأعطه إياه) فأعطاني قال: فبعث الدرع، فابتعت به مخرفاً<sup>(٣)</sup> في بني سلمة. فإنه لأول مال تأثله<sup>(٤)</sup> في الإسلام. وفي حديث الليثي: فقال أبو بكر: كلا لا يعطيه أضييع في قريش ويدع أسداً من أسد الله<sup>(٥)</sup>.

### شجاعة أم سليم (رضى الله عنها)

\* عن أنس رضى الله عنه قال: «إن أم سليم اتخذت يوم حنين خنجراً<sup>(٦)</sup>، فكان معها فرأها أبو طلحة. فقال: يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجر، فقال لها رسول الله ﷺ: (ما هذا الخنجر؟) قالت: اتخذته إن دنا منى أحد من المشركين بقرت به بطنه. فجعل رسول الله ﷺ يضحك. قالت: يا رسول الله! اقتل من بعدنا<sup>(٧)</sup> من الطلقاء<sup>(٨)</sup> انهزموا بك<sup>(٩)</sup>. فقال رسول الله ﷺ: (يا أم سليم إن الله قد كفى وأحسن)<sup>(١٠)</sup>.

### حركة المطاردة

تفرق من نجاة من مقاتلة المشركين في الجبال والوديان بعد هزيمتهم في معركة حنين، ولجأت مجموعة كبيرة منهم إلى أوطاس<sup>(١١)</sup>، وعسكرت مجموعة أخرى منهم في

(١) لاها الله: هكذا هو في روايات جميع المحدثين وهو قسم ويمين بمعنى (لا والله).

(٢) لا يعمد: الضمير عائد إلى النبي ﷺ أى لا يقصد عليه السلام إلى إبطال حق أسد من أسود الله يقاتل في سبيله وهو أبو قتادة بإعطاء سلبه إياك.

(٣) مخرفاً: البستان وقيل السكة من النخيل وقيل هي الجنبه الصغيرة.

(٤) تأثله: اقتنيتة وتأصلته.

(٥) أخرجه البخارى (٤٣٢١) المغازى، ومسلم (١٧٥١) الجهاد والسير.

(٦) خنجراً: سكين كبير ذات حدين.

(٧) من بعدنا: من سوانا.

(٨) الطلقاء هم الذين أسلموا يوم فتح مكة سُموا بذلك لأن النبي ﷺ من عليهم وأطلقهم وكان في إسلامهم ضعف فاعتقدت أم سليم أنهم منافقون يستحقون القتل لانهزامهم.

(٩) انهزموا بك: أى انهزموا عنك. على حد قوله تعالى: ﴿فاسأل به خبيراً﴾، أى عنه وبما نكون للسبية. أى انهزموا بسببك لنتاقهم.

(١٠) أخرجه مسلم (١٨٠٩) الجهاد والسير.

(١١) واد بين حنين والطائف، معجم البلدان (١/٢٨١).

نخلة<sup>(١)</sup>، أما غالبية من انهزم من ثقيف فقد تبعوا قائدهم مالك بن عوف النصرى إلى حصونهم بالطائف، وقد لاحق مقاتلة المسلمين الفارين حسب توجيهات النبي ﷺ، حيث بعث أبا عامر عبيد بن سليم بن حضار الأسلمي على رأس قوة من المسلمين إلى أوطاس فقاتلهم.

\* عن أبي موسى الأشعري: قال: «لما فرغ النبي ﷺ من حنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس، فلقى دريد بن الصمة، فقتل دريد، وهزم الله أصحابه قال أبو موسى: وبعثني مع أبي عامر، فرمى أبو عامر في ركبته، رماه جشمى بسهم فأثبته في ركبته، فانتهيت إليه فقلت: يا عم! من رماك؟ فأشار أبو عامر إلى أبي موسى، فقال: إن ذلك قاتلي، تراه ذلك الذي رمانى.

قال أبو موسى فقصدت له، فاعتمدته، فلحقته، فلما رآني ولَّى عنى ذاهباً، فاتبعته وجعلت أقول له: ألا تستحي؟ أأنت عربياً؟ ألا تثبت؟ فكفَّ فالتقيت أنا وهو فاختلفنا ضربتين أنا وهو فقتلته. ثم رجعت إلى أبي عامر، فقلت: قد قتل الله صاحبك، قال: فانتزع هذا السهم، فنزعته، فنزاه منه الماء<sup>(٢)</sup> فقال: يا ابن أخي، انطلق إلى رسول الله ﷺ، فاقترئه عنى السلام، ثم قل له إنه يقول لك استغفر لى.

قال: واستخلفنى أبو عامر على الناس يسيراً، ثم مات. فلما رجعت إلى النبي ﷺ، دخلت عليه، وهو فى بيت على سرير مرمم وعليه فراش، وقد أثر رمال السرير بظهر رسول الله ﷺ وجنيبه، فأخبرته بخبرنا، وخبر أبى عامر، وقلت له: قال: قل له يستغفر لى.

فدعا رسول الله ﷺ بماء فتوضأ، ثم رفع يديه، فقال: (اللهم اغفر لأبى عامر عبدك)، حتى رأيت بياض إبطيه، ثم قال: (اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك، أو من الناس)، فقلت: يا رسول الله! ولى فاستغفر. فقال: (اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً).

قال أبو بردة: إحداهما لأبى عامر، والأخرى لأبى موسى<sup>(٣)</sup>.

\* ولقد قُتل فى أوطاس من المشركين من بنى مالك ثلاثمائة قتيل بينهم دريد بن

(١) موضع بين حنين وسبواحة (تعليق حمد الجاسر على كتاب المناسك للحربى).

(٢) فنزاه منه الماء: ظهر وجرى.

(٣) أخرجه البخارى (٤٣٢٣) المغازى، ومسلم (٢٤٩٨) فضائل الصحابة.

الصمة، كما قُتل خلق كثير من بنى نصر بن معاوية من قبيلة رئاب. وهكذا فإنه ليس بالإمكان إعطاء رقم دقيق لعدد قتلى المشركين الإجمالى فى معركة حنين فقد كان عدد قتلى بنى مالك من ثقيف فى الجولة الثانية من حنين قد بلغ اثنين وسبعين قتيلًا وقُتل من الأحلاف قتيلان، وقتل بأوطاس كما أسلفنا ثلاثمائة من بنى مالك، وتشير المصادر إلى أنه قُتل خلق كثير من فروع هوازن الأخرى وخاصة من بنى نصر بن معاوية وغيرهم ممن قُتلوا أثناء فرارهم إلى نخلة من حنين<sup>(١)</sup>.

### خسائر المسلمين

لم تكن خسائر المسلمين كبيرة خلافاً للتوقعات من خلال المعلومات العامة عن إصابات المسلمين فى الجولة الأولى وفرار الكثير منهم، بل إنها كانت طفيفة جداً إذا ما أدخلنا قوة المشركين واستعداداتهم وخططهم فى الاعتبار وذلك من فضل الله وحفظه ورحمته بالمسلمين، فقد استشهد منهم أربعة شهداء<sup>(٢)</sup>، وجرح عدد منهم، أشارت المصادر من بينهم إلى أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وعبد الله بن أبى أوفى وخالد بن الوليد<sup>(٣)</sup>، ومما يؤكد صحة هذه الأرقام بالإضافة إلى ورودها فى مرويات صحيحة، قيام المسلمين بعد الجولة الثانية بمطاردة المشركين إلى مسافات بعيدة، كما أنهم توجهوا إلى حصار الطائف بعد انتهاء معركة حنين مباشرة<sup>(٤)</sup>.

### الغنائم

وكان سبى حنين كثيراً، فقد بلغ ستة آلاف من النساء والأبناء<sup>(٥)</sup>، أما الغنائم فقد بلغت أربعة آلاف أوقية فضة<sup>(٦)</sup>، أما الإبل فكانت أربعة وعشرين ألفاً<sup>(٧)</sup>، أما الأغنام

(١) نضرة النعيم (١/٣٨٠).

(٢) هم: أبو عامر الأسلمى، وأيمن بن عبيد، ويزيد بن زمة بن الأسود، وسراقه بن الحارث. انظر: البخارى - الصحيح (١٢٦/٥)، الحميدى - المسند (٢/٣٩٨)، الهيثمى - كشف الأستار (٢/٣٤٦)، وحسن إسناده الحافظ ابن حجر، فتح البارى (٨/٤٢).

(٣) البخارى - الصحيح (١٢٦/٥) (حديث ٤٣١٤).

(٤) نضرة النعيم (١/٣٧٩).

(٥) الصنعانى - المصنف (٥/٣٨١)، ابن سعد - الطبقات (٢/١٥٥) من رواية الزهري عن ابن المسيب مرسلًا، الطبرى - تاريخ (٣/٨٢)، الذهبى - المغازى (ص٦٠٦).

(٦) ابن سعد - الطبقات (٢/١٥٢).

(٧) المرجع السابق (٢/١٥٢) وكان معهم خيل وأبقار وحمير وبغال غير أن المصادر لم تذكر عددها.

فكانت أكثر من أربعين ألف شاة<sup>(١)</sup>، وقد حبس الرسول ﷺ هذا السبي والغنائم بالجعرانة ليتصرف فيها بعد الفراغ من أمر الطائف<sup>(٢)</sup>.

### بعض ما تضمنته الغزوة من الفوائد الجلييلة

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

كان الله عز وجل قد وعد رسوله، وهو صادق الوعد، أنه إذا فتح مكة، دخل الناس في دينه أفواجا، ودانت له العرب بأسرها. فلما تم له الفتح المبين، اقتضت حكمته تعالى أن أمسك قلوب هوازن ومن تبعها عن الإسلام، وأن يجمعوا ويتألبوا لحرب رسول الله ﷺ والمسلمين، ليظهر أمر الله، وتمام إعزازه لرسوله، ونصره لدينه، ولتكون غنائمهم شكرا لنا لأهل الفتح.

واقترضت حكمته سبحانه أن أذاق المسلمين أولاً مرارة الهزيمة والكسرة مع كثرة عددهم، وعددهم، وقوة شوكتهم ليبين سبحانه لمن قال: «لن نغلب اليوم عن قلة» أن النصر إنما هو من عنده، وأنه من ينصره، فلا غالب له، ومن يخذله، فلا ناصر له غيره، وأنه سبحانه هو الذي تولى نصر رسوله ودينه، لا كثرتمكم التي أعجبتكم، فإنها لم تُغن عنكم شيئا.

ومنها: أن الله سبحانه لما منع الجيش غنائم مكة، فلم يغنموا منها ذبيبا، ولا فضة، ولا متاعا، ولا سبيًا، ولا أرضًا فحرك سبحانه قلوب المشركين لغزوهم، وقذف في قلوبهم إخراج أموالهم، ونعمهم، وشائهم، وسيبهم معهم نُزُلًا، وضيافة، وكرامة لحزبه وجنده، فلما أنزل الله نصره على رسوله وأوليائه، وبردت الغنائم لأهلها، وجرت فيها سهام الله ورسوله، قيل: لا حاجة لنا في دمائكم، ولا في نسائكم وذرائعكم، فأوحى الله سبحانه إلى قلوبهم التوبة والإنابة، فجاءوا مسلمين. فقيل إن من شكر إسلامكم وإتيانكم، أن نرد عليكم نساءكم وأبناءكم وسيبكم و ﴿إِنْ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٠].

ومنها: أن الله سبحانه جبر بها أهل مكة، وفرحهم بما نالوه من النصر والمغنم، فكانت

(١) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٢) أخرجه البزار كما في كشف الأستار للهيتمي (٢/٣٥٣)، قال الحافظ ابن حجر: «إسناده حسن»، انظر، الإصابة (١٤٥).

كالدواء لما نالهم من كسرهم.

وفيها: من الفقه أن الإمام ينبغي له أن يبعث العيون ومن يدخل بين عدوه ليأتيه بخبرهم، وأن الإمام إذا سمع بقصد عدوه له، وفي جيشه قوة ومنعة لا يقعد ينتظرهم، بل يسير إليهم، كما سار رسول الله ﷺ إلى هوازن حتى لقيهم بحنين.

ومنها: أن الإمام له أن يستعير سلاح المشركين وعدتهم لقتال عدوه، كما استعار رسول الله ﷺ أدرع صفوان، وهو يومئذ مشركاً.

وفيها: أن النبي ﷺ شرط لصفوان في العارية الضمان، فقال: «بل عارية مضمونة» ومعناه: أنى ضامن لك تأديتها.

وفيها: جواز عقر فرس العدو ومركوبه إذا كان ذلك عوناً على قتله، كما عقر عليٌّ - رضي الله عنه - جمل حامل راية الكفار، وليس هذا من تعذيب الحيوان المنهي عنه.

وفيها: عفو رسول الله ﷺ عن من همَّ بقتله، ولم يُعاجله، بل دعا له ومسح صدره حتى عاد، كأنه ولي حميم.

ومنها: ما ظهر في هذه الغزاة من معجزات النبوة وآيات الرسالة، من إخباره لشبية بما أضمر في نفسه، ومن ثباته، وقد تولى عنه الناس.

ومنها: إيصال الله قبضته التي رمى بها إلى عيون أعدائه على البعد منه، وبركته في تلك القبضة، حتى ملأت أعين القوم، إلى غير ذلك من معجزاته فيها، كنزول الملائكة للقتال معه، حتى رأهم العدو جهرة، ورآهم بعض المسلمين.

ومنها: جواز انتظار الإمام بقسم الغنائم إسلام الكفار ودخولهم في الطاعة، فيرد عليهم غنائمهم وسيبهم، وفي هذا دليل لمن يقول: إن الغنيمة إنما تملك بالقسمة، لا بمجرد الاستيلاء عليها، إذ لو ملكها المسلمون بمجرد الاستيلاء، لم يستأن بهم النبي ﷺ ليردها عليهم.

وفيه دلالة على أنه يستحق سلب جميع من قتله، وإن كثروا. وقد ذكر أبو داود أن أبا طلحة قتل يوم حنين عشرين رجلاً، فأخذ أسلابهم<sup>(١)</sup>.<sup>(٢)</sup>

(١) رواه أبو داود والدارمي بإسناد صحيح.

(٢) زاد المعاد (٣/٤٧٧: ٤٩٥) بتصرف.

## غزوة الطائف

تجمعت قوات المسلمين في أعقاب النصر المظفر الذي كتبه الله لهم في معركة حنين، وتوجهوا بقيادة النبي ﷺ إلى الطائف بهدف القضاء على قوات ثقيف التي فرت من حنين، وكانت فلول ثقيف بقيادة مالك بن عوف قد لجأت إلى حصونها المنيعة في الطائف وجمعت ما يكفيها من المؤن الغذائية لعام كامل، وأغلقت أبوابها واتخذت كافة الإجراءات والاستعدادات التي تمكنها من مواجهة حصار طويل وواصلت ترميم الحصون وتدعيمها إلى حين وصول طلائع المسلمين المتجهة نحوهم<sup>(١)</sup>.

✽ عن عبد الله بن عمرو قال: «حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف فلم ينل منهم شيئاً فقال: إنا قافلون إن شاء الله. قال أصحابه: نرجع ولم نفتتحه... فقال لهم رسول الله ﷺ: اغدوا على القتال، فغدوا عليه فأصابهم جراح، فقال لهم رسول الله ﷺ: إنا قافلون غداً. قال: فأعجبهم ذلك فضحك رسول الله ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

قال النووي: معنى الحديث أنه ﷺ قصد الشفقة على أصحابه والرفق بهم بالرحيل عن الطائف لصعوبة أمره وشدة الكفار الذين فيه وتقويتهم بحصنهم، مع أنه ﷺ علم أو رجي أنه سيفتحه بعد هذا بلا مشقة كما جرى، فلما رأى حرص أصحابه على المقام والجهاد أقام وجداً في القتال، فلما أصابهم الجراح رجع إلى ما كان قصده أولاً من الرفق بهم، وفرحوا بذلك لما رأوا من المشقة الظاهرة، ولعلمهم نظروا فعلموا أن رأى النبي ﷺ أبرك وأنفع وأحمد عاقبة وأصوب من رأيهم، فوافقوا على الرحيل وفرحوا، فضحك النبي ﷺ تعجباً من سرعة تغير رأيهم والله أعلم<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١) ابن سعد في الطبقات (٢/١٥٨)، وابن هشام في السيرة (٤/١٧٠ - ١٧١).

(٢) رواه مسلم (١٢/١٢٢، ١٢٣) الجهاد والسير، والبخاري (٧/٦٤٠) المغازي.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم هامش (١٢/١٢٤).

## الأحداث التي كانت في الطائف

وصل الجيش الإسلامي إلى الطائف في حدود نهاية الأسبوع الثالث من شهر شوال، فباشروا إحكام الحصار حول حصون العدو مدة أسبوعين، وكان نزولهم أول الأمر قريباً من حصون العدو وعلى مرمى سهامهم مما أدى إلى سقوط عدد من الشهداء وجرح عدد آخر منهم، ثم تحول المسلمون وعسكروا في الموضع الذي بُنى فيه المسجد<sup>(١)</sup>، وكان القتال تراشقاً بالسهام في أول الأمر، ثم استخدم المسلمون «الدبابة» بهدف الوصول إلى الأسوار وثقبها آتئين من السهام، ولكن ثقيفاً فظنت للأمر فألقت عليهم قطع حديد محمّاة أحرقت الدبابة وحين خرج المقاتلون المسلمون منها، ضربوهم بالسهام فقتلوا بعضهم.. واستخدم المسلمون المنجنيق لرمى التحصينات بالحجارة بهدف هدمها وإيقاع إصابات في قوات العدو في الوقت نفسه، غير أن قلة هذه الآلات وعدم وجود خبراء في استعمالها وإجادة التهديد بها جعل أثرها محدوداً<sup>(٢)</sup>. لذلك فقد وجد النبي ﷺ أن أفضل وسيلة للضغط على ثقيف هي في تهديد مواردها الاقتصادية الحيوية المتمثلة في بساينها، فأمر ﷺ بتحريق بساتين الأعناب والنخيل في ضواحي الطائف، مما كان له أثره الكبير في كسر معنوياتهم، فناشدوا النبي ﷺ أن يدعها لله وللرحم، فاستجاب لهم النبي ﷺ بعد أن تحققت الهدف المنشود<sup>(٣)</sup>.<sup>(٤)</sup>

## من بلغ بسهم فله درجة في الجنة

\* عن أبي نجيح عمرو بن عبسة السلمى رضى الله عنه قال: حاصرنا مع رسول الله ﷺ قصر الطائف، فسمعت رسول الله ﷺ يقول: (من بلغ بسهم فله درجة في الجنة).

فبلغت يومئذ بستة عشر سهماً، وسمعت رسول الله ﷺ يقول: (من رمى بسهم في سبيل الله فهو عدل محرر، ومن شاب شيبة في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة).

(وأيما رجل أعتق رجلاً مسلماً فإن الله - عز وجل - جاعل كل عظم من عظامه،

(١) مسلم - الصحيح (٧٣٦/٢)، أحمد - المسند (١٥٧/٣)، وانظر رأى الحافظ ابن كثير - البداية والنهاية (٣٥٦/٤)، ابن هشام - السيرة (٤٧٨/٢).

(٢) ابن هشام - السيرة (٤٧٨/٢ - ٤٨٣) برواية ابن إسحاق.

(٣) البيهقي - السنن الكبرى (٨٤/٩)، الشافعي - كتاب الأم (٣٢٣/٧).

(٤) نضرة النعيم (٣٨١/١).



وفاء كل عظيم بعظم، وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة، فإن الله - عز وجل - جعل كل عظيم من عظامها وفاء كل عظيم من عظام محررها من النار<sup>(١)</sup>.

### النبي ﷺ يعتق كل من نزل من الحصن

ونادى منادى النبي ﷺ عبيد الطائف قائلاً: أيما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر. فنزل إليهم ثلاثة وعشرون عبداً، منهم أبو بكره نافع بن الحارث الثقفي، فأسلموا، فأعتقهم النبي ﷺ، ولم يعدهم إلى ثقيف بعد إسلامهم<sup>(٢)</sup>. غير أن كل ذلك لم يؤثر كثيراً في عناد ثقيف التي صمدت بوجه الحصار، ورغم ما واجهته من وابل السهام التي أمطرها بها المسلمون لينالوا بها درجة من الجنة وعدهم بها رسول الله ﷺ، وقد تمكنت ثقيف من إيقاع إصابات شديدة بالمسلمين فقد كثرت الجراحات بينهم واستشهد منهم اثنا عشر شهيداً، وكل ذلك مقابل ثلاثة قتلى في صفوف ثقيف التي كانت ممتنعة بالحصون والأسوار العالية<sup>(٣)</sup>.<sup>(٤)</sup>

### النبي ﷺ يدعو لهم بالهداية

وقال الحافظ: في مرسل ابن الزبير عند ابن أبي شيبة قال: لما حاصر النبي ﷺ الطائف قال أصحابه: يا رسول الله أحرقتنا نبال ثقيف فادع الله عليهم، قال: «اللهم اهد ثقيفاً»<sup>(٥)</sup> وذكر أهل المغازي أن النبي ﷺ لما استعصى عليه الحصن وكانوا قد أعدوا فيه ما يكفيهم لحصار سنة ورموا على المسلمين سكك الحديد المحماة ورموهم بالنبل فأصابوا قوماً، فاستشار نوفل بن معاوية الديلي فقال: هم ثعلب في جحر إن أقمت عليه أخذته وإن تركته لم يضرك فرحل عنهم<sup>(٦)</sup>.

(١) رواه أبو داود والترمذي والنسائي وأحمد (١١٣/٤)، والحاكم (٤٩/٣ - ٥٠) وقال صحيح عال، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، والحديث صحيح كما قالوا أخرجه بعضهم بطوله وبعضهم باختصار.

(٢) البخاري - الصحيح (١٢٩/٥)، أحمد - المسند (٢٣٦/١)، ابن حجر - فتح الباري (٤٦/٨)، الصنعاني - المنصف (٣٠١/٥)، ابن سعد - الطبقات (١٥٨ - ١٥٩)، وانظر ابن هشام - السيرة (٤٨٥/٢).

(٣) البخاري - الصحيح (٢٠/٨)، ابن هشام - السيرة (٤٨٦/٢ - ٤٨٧).

(٤) نضرة النعيم (٣٨١/١).

(٥) رواه الترمذي (٣٩٤٢)، وأحمد (٣٤٣/٣)، ورجاله ثقات.

(٦) فتح الباري (٦٤١/٧).

## تقسيم الغنائم

ولما عاد رسول الله ﷺ بعد رفع الحصار عن الطائف؛ مكث بالجعرانة بضع عشر ليلة لا يقسم الغنائم، ويتأني بها يبتغى أن يقدم عليه وفد هوازن تائبين، فيحرزوا ما فقدوا، ولكنه لم يجئه أحد، فبدأ بقسمة المال، لئسكت المتطلعين من رؤساء القبائل وأشرف مكة، فكان المؤلفلة قلوبهم أول من أُعطى وحظى بالأنصبة الجزلة<sup>(١)</sup>.

\* عن رافع بن خديج رضى الله عنه قال: «أعطى رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، وعيينة بن حصن والأقرع بن حابس كل إنسان منهم، مائة من الإبل. وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك. فقال عباس بن مرداس:

أتجعل نهبي ونهب العبيد	بين عيينة والأقرع
فما كان بدر ولا حابس	يفوقان مرداس فى المجمع
وما كنت دون امرئٍ منهما	ومن تخفض اليوم لا يرفع

قال: فاتم له رسول الله ﷺ مائة»<sup>(٢)</sup>.

\* وعن ابن شهاب قال: «غزا رسول الله ﷺ غزوة الفتح، فتح مكة، ثم خرج رسول الله ﷺ بمن معه من المسلمين، فاقتتلوا بحنين، فنصر الله دينه والمسلمين، وأعطى رسول الله ﷺ يومئذ صفوان بن أمية مائة من النعم، ثم مائة. ثم مائة.

قال ابن شهاب: حدثنى سعيد بن المسيب أن صفوان قال: والله! لقد أعطانى رسول الله ﷺ ما أعطانى، وإنه لأبغض الناس إلىَّ فما برح يعطينى حتى إنه لأحب الناس إلىَّ»<sup>(٣)</sup>.

\* وعن عمرو بن ثعلب رضى الله عنه قال: «أعطى رسول الله ﷺ قوماً، ومنع آخرين، فكانهم عتبوا عليه فقال: (إنى أعطى أقواماً أخاف هلعهم وجزعهم، وأكل قوماً إلى ما جعل الله فى قلوبهم من الخير والغنى منهم عمرو بن ثعلب). قال عمرو: فما أحب أن لى بكلمة رسول الله ﷺ حمر النعم».

(١) الرحيق المختوم (ص ٤٥٥ - ٤٥٦).

(٢) أخرجه مسلم (١٠٦٠) الزكاة.

(٣) أخرجه مسلم (٢٣١٣) الفضائل.

وفى لفظ آخر: «أن رسول الله ﷺ أتى بمال، أو سبي - فقسمه، فأعطى رجالاً، وترك رجالاً. فبلغه أن الذين ترك عتبوا، فحمد الله، ثم أثنى عليه، ثم قال: (أما بعد، فوالله إني لأعطي الرجل والذي ادع أحب إليّ من الذي أعطى، ولكني أعطى أقواماً لما أرى في قلوبهم من الجزع والهلع، وأكل أقواماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير، فيهم عمرو بن ثعلب)... قال عمرو: فوالله ما أحب أن لى بكلمة رسول الله عليه وسلم حُمر النعم»<sup>(١)</sup>.

\* وبعد إعطاء المؤلف قلوبهم أمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابت بإحضار الغنائم والناس، ثم فرقها على الناس، فكانت سهامهم لكل رجل أربعاً من الإبل وأربعين شاة، فإن كان فارساً أخذ اثني عشر بعيراً وعشرين ومائة شاة.

كانت هذه القسمة مبنية على سياسة حكيمة فإن في الدنيا أقواماً كثيرين يقادون إلى الحق من بطونهم، لا من عقولهم، فكما تُهدى الدواب إلى طريقها بحزمة برسيم تظل تمد إليها فمها حتى تدخل حظيرتها آمنة، فكذلك هذه الأصناف من البشر تحتاج إلى فنون من الإغراء حتى تستأنس بالإيمان وتهش له<sup>(٢)</sup>.

### ذهب الناس بالشاة والبعير.. وعاد الأنصار بالبشير النذير ﷺ

ولما قسم النبي ﷺ الغنائم بين الناس وجد الأنصار في قلوبهم وحزنوا وظنوا أن النبي ﷺ نسيهم... فجمعهم النبي ﷺ ودار بينه وبينهم هذا الحوار الرقيق الذي يجعل القلب يبكي الدماء بدل الدموع.

\* عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: «لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا، في قريش وفي قبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء وجد هذا الحى من الأنصار في أنفسهم، حتى كثرت منهم القالة<sup>(٣)</sup> حتى قال قائلهم: لقد لقي والله رسول الله ﷺ قومه... فدخل عليه سعد بن عبادة، فقال: يا رسول الله، إن هذا الحى من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم، لما صنعت في هذا الفئ الذى أصبت، قسمت في قومك، وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب، ولم يك في هذا الحى من الأنصار منها

(١) أخرجه البخارى فى المغازى، ومسلم (١٧٧٨) الجهاد والسير.

(٢) فقه السيرة للغزالي (ص ٢٩٨ - ٢٩٩).

(٣) القالة: الكلام الردىء.

شيء. قال: (فأين أنت من ذلك يا سعد؟) قال: يا رسول الله، ما أنا إلا من قومي، قال: (فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة)<sup>(١)</sup>.

قال: فخرج سعد، فجمع الأنصار في تلك الحظيرة. قال: فجاء رجال من المهاجرين، فتركهم فدخلوا، وجاء آخرون فردّهم. فلما اجتمعوا له أتاه سعد، فقال: قد اجتمع لك هذا الخي من الأنصار، فاتاهم رسول الله ﷺ، فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: (يا معشر الأنصار: ما قالة بلغتنى عنكم وجدة<sup>(٢)</sup>) وجدتموها عليّ في أنفسكم؟ ألم أتكم ضلّالاً فهداكم الله، وعالة<sup>(٣)</sup> فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم!) قالوا: بلى، الله ورسوله أمنّ وأفضل.

ثم قال: (ألا تحبونني يا معشر الأنصار؟) قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؟ لله ولرسوله المن والفضل. قال ﷺ: (أما والله لو شتّم لقلتم فلصدقتم، ولصدقتم: أتيتنا مكذباً فصدقتناك، ومخذولاً<sup>(٤)</sup>) فنصرناك، وطريداً فأويناك. وعائلاً فأسيناك<sup>(٥)</sup>؟.. فقال: وجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة<sup>(٦)</sup> من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ فوالذي نفس محمد بيده، لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً، وسلكت الأنصار شعباً: لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار)<sup>(٧)</sup>.

\* وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «إن أناساً من الأنصار قالوا يوم حنين، حين أفاء<sup>(٨)</sup> الله على رسوله من أموال هوازن ما أفاء، فطفق رسول الله ﷺ يعطى رجالاً من قريش. المائة من الإبل، فقالوا: يغفر الله لرسول الله، يعطى قريشاً، ويتركنا، وسيوفنا

(١) الحظيرة: شبه الزريبة التي تُصنع للإبل والماشية لتمنعها، وتكف عنها العوادي.

(٢) الموجدة: العتاب.

(٣) عالة: جمع عائل: النقيير.

(٤) مخذولاً: متروكاً.

(٥) آسيناك: أعطيتناك حتى جعلناك كأحدنا.

(٦) لعاعة: بقلة خضراء ناعمة شبه زهرة الدنيا ونعيمها.

(٧) أخرجه أحمد (٣/٧٦، ٧٧، ٨١)، ابن جرير (٢/٣٦٠، ٣٦١)، وعبد الرزاق في المصنف (١١/٦٤)،

وأبو يعلى كسا في مجمع الزوائد (١٠/٣٠) وأسانيدهم صحيحة، ابن كثير في سيرته (٣/٦٧٨)، ابن هشام في السيرة (٢/٤٩٨، ٤٩٩) وسنده صحيح.

(٨) ما أفاء: ما غنم من هوازن بعد هزيمتهم.

تتطر من دمائهم! (١).

قال أنس بن مالك: فحدّث رسول الله ﷺ بمقاتلتهم. فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة من آدم (٢). فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله ﷺ فقال: (ما حديث بلغني عنكم) فقال له فقهاء الأنصار: أما رؤوسنا، يا رسول الله! فلم يقولوا شيئاً. وأما ناس منا حديثه أسنانهم فقالوا: يغفر الله لرسوله، يعطى قريشاً ويتركنا، وسيوفنا تقطر من دمائهم!

فقال رسول الله ﷺ: (فإني أعطى رجالاً حديثي عهد بكفر أتألفهم (٣). أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال، وترجعون إلى رجالكم (٤) برسول الله ﷺ؟ فوالله! لما تتقلبون به خير مما ينتقلبون به) فقالوا: يا رسول الله! قد رضينا. قال: (فإنكم ستجدون أثرة شديدة (٥)، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله. فإني على الحوض). قالوا: سنصبر.

قال أنس: فلم يصبروا. وفي لفظ آخر له: «قال: جمع رسول الله ﷺ الأنصار، فقال: (أفيكم أحد من غيركم؟ فقالوا: لا. إلا ابن أخت لنا، فقال رسول الله ﷺ: إن ابن أخت القوم منهم).

فقال: (إن قريشاً حديث عهد بجاهلية (٦) ومصيبة. وإني أردت أن أجبرهم (٧) وأتألفهم. أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا، وترجعون برسول الله إلى بيوتكم. لو سلكت الناس وادياً، وسلكت الأنصار شعباً (٨)، لسلكت شعب الأنصار (٩).

\* وعن عبد الله بن زيد رضى الله عنه: «أن رسول الله ﷺ لما فتح حنيناً قسم الغنائم، فأعطى المؤلفة قلوبهم، فبلغه أن الأنصار يحبون أن يصيبوا ما أصاب الناس فقام رسول الله ﷺ، فخطبهم، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: (يا معشر الأنصار! ألم

(١) أخرجه البخارى (٤٣٣١) المغازى، ومسلم (١٠٥٩/١٣٢) الزكاة.

(٢) قبة من آدم: القبة من الخيام: بيت صغير مستدير والأدم الجلد.

(٣) أتألفهم: أسس قلوبهم بالإحسان ليثبتوا على الإسلام رغبة في المال.

(٤) رجالكم: منازلكم.

(٥) أثرة شديدة: الأثرة: الاستتار: أى يستأثر عليكم ويفضل عليكم غيركم بغير حق.

(٦) حديث عهد بجاهلية: كانوا قريب عهد بجاهلية. أى أن زمانهم قريب من زمان الكفر.

(٧) أجبرهم: أى أفعل معهم ما ينجبر به خاطرهم وينسيهم مصيبتهم.

(٨) وسلكت الأنصار شعباً: قال الخليل: الشعب هو ما انفرج عن بين جبلين.

(٩) أخرجه البخارى (٤٣٣٤) المغازى، ومسلم (١٠٥٩/١٣٣) الزكاة.

أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي؟ وعالة<sup>(١)</sup> فأغناكم الله بي؟ ومتفرقين<sup>(٢)</sup> فجمعكم الله بي) ويقولون: الله ورسوله أمن. فقال: (ألا تحييونى؟) فقالوا: الله ورسوله أمن. فقال: (أما إنكم لو شئتم أن تقولوا كذا وكذا)، وكان من الأمر كذا وكذا» لأشياء عددها.

فقال: (ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاء<sup>(٣)</sup> والإبل، وتذهبون برسول الله إلى رحالكم؟ الأنصار شعار والناس دثار<sup>(٤)</sup>)، ولولا الهجرة لكنت امرأاً من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً وشعباً، لسلكت وادى الأنصار وشعبهم. إنكم ستلقون بعدي أثره فاصبروا حتى تلقوني على الحوض<sup>(٥)</sup>.)<sup>(٦)</sup>

### فمن يعدل إن لم يعدل الله ورسوله ﷺ؟

\* عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: «فلما كان يوم حنين أثر رسول الله ﷺ ناساً في القسمة، فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى أناساً من أشرف العرب، وآثرهم يومئذ في القسمة. فقال رجل: والله إن هذه

(١) عالة: أى فقراء.

(٢) متفرقين: متدابرين يعادى بعضهم بعضاً.

(٣) الشاء: جمع شاه وهى الغنم.

(٤) الأنصار شعار والناس دثار: قال أهل اللغة: الشعار الثوب الذى يلبى الجسد، والدثار فوقه ومعناه الأنصار هم البطانة والخاصة والأصفياء وألصق الناس بي من سائر الناس.

(٥) أخرجه البخارى (٤٣٣١) المغازى، ومسلم (١٠٥٩ / ١٣٢) الزكاة، واللفظ لمسلم.

(٦) قال الخافظ ابن حجر: وفى الحديث من الفوائد غير ما تقدم: إقامة الحججة على الخصم، وإفحامه بالحق عند الحاجة إليه، وحسن أدب الأنصار فى تركهم المحاوره، والمبالغة فى الحياء، وبين أن الذى نقل عنهم إنما كان عن شبانهم لا عن شيوخهم وكهولهم.

وفيه مناقب عظيمة لهم لما اشتمل من ثناء الرسول البالغ عليهم، وأن الكبير ينبه الصغير على ما يغفل عنه، ويوضح له وجه الشبهة ليرجع إلى الحق، وفيه المعاتبه واستعطاف المعاتب وإعتابه عن عتبه بإقامة حجة من عتب عليه، والاعتذار والاعتراف.

وفيه علم من أعلام النبوة لقوله: «ستلقون بعدي أثره» فكان كما قال. وقد قال الزهرى فى روايته عن أنس فى آخر الحديث «قال أنس فلم يصبروا» وفيه أن للإمام تفضيل بعض الناس على بعض فى مصارف النىء، وأن له أن يعطى الغنى منه للمصلحة، وأن من طلب حقه من الدنيا لا عتب عليه فى ذلك.

وفيه مشروعية الخطبة عند الأمر الذى يحدث سواء كان خاصاً أم عاماً، وفيه تسليية من فاته شىء من الدنيا مما حصل له من ثواب الآخرة، والحض على طلب الهداية والألفة والغنى وأن المنه لله ورسوله على الإطلاق، وتقديم جانب الآخرة على الدنيا، والصبر عما فات منها ليدخر ذلك لصاحبه فى الآخرة، والآخرة خير وأبقى» [فتح البارى (٨/ ٥٢)].

لقسمة ما عدل فيها، وما أريد فيها وجه الله.

قال: فقلت: والله! لأخبرن رسول الله ﷺ. قال: فأتيته، فأخبرته بما قال: قال: فتغير وجهه حتى كان كالصرف. ثم قال: (فمن يعدل إن لم يعدل الله ورسوله) قال: ثم قال: (يرحم الله موسى. قد أودى بأكثر من هذا فصبر) قال: قلت: لا جرم لا أرفع إليه بعدها حديثاً»<sup>(١)</sup>.

### الأعرابي الذي رفض بشري رسول الله ﷺ

\* عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال: «كنت عند النبي ﷺ وهو نازل بالجرعانة بين مكة والمدينة ومعه بلال، فأتى النبي ﷺ أعرابي، فقال: ألا تنجز لي ما وعدتني؟ فقال له: (أبشر). فقال: قد أكثرت عليّ من أبشر. فأقبل على أبي موسى وبلال كهيئة الغضبان، فقال: (ردّ البشري، فاقبلا أنتما). قالوا: قبلنا. ثم دعا بقدر فيه ماء فغسل يديه ووجهه فيه، ومجّ فيه ثم قال: اشربا منه، وأفرغا على وجوهكما ونحوركما وأبشرا، فأخذا القدح ففعلا. فنادت أم سلمة من وراء الستر أن أفضلا لأمكما، فأفضلا لها منه طائفة»<sup>(٢)</sup>.

### قدوم وفد هوازن

وبعد قسمة الغنائم قدم وفد من هوازن يعلن إسلامهم ويلتمس من رسول الله ﷺ رد أموالهم وذراريهم عليهم، فخيرهم بين الأموال والسبي فاخاروا السبي، فجمع النبي ﷺ المسلمين وخطب فيهم، وقال إنه يريد أن يرد السبي لهوازن.

\* من حديث مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة «أن رسول الله ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين، فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: (معى من ترون، وأحب الحديث إلى أصدقته، فاخاروا إحدى الطائفتين: إما السبي وإما المال. وقد كنت استأنيت بكم) وكان أنظرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف فلما تبين لهم أن رسول الله ﷺ غير راد إليهم إلا إحدى الطائفتين. قالوا: فإننا نختار سبينا.

(١) أخرجه البخارى (٤٣٣٦) المغازى، ومسلم (١٠٦٢) الزكاة، واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه البخارى (٤٣٢٨) المغازى، ومسلم (٢٤٩٧) فضائل الصحابة.

فقام رسول الله ﷺ في المسلمين، فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: (أما بعد فإن إخوانكم قد جاءونا تائبين، وإنى قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم، فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفىء الله علينا فليفعل). فقال الناس: قد طبنا بذلك يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: (إنا لا ندرى من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن. فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم)، فرجع الناس، فكلمهم عرفاؤهم، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ، فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا... هذا الذي بلغنى عن سبى هوازن<sup>(١)</sup>.

وفي رواية: عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: «شهدت رسول الله ﷺ يوم حنين، وجاءته وفود هوازن فقالوا: يا محمد إنا أصل<sup>(٢)</sup> وعشيرة، فمن علينا من الله عليك، فإنه قد نزل بنا من البلاء ما لا يخفى عليك، فقال: (اختراروا بين نسائكم وأموالكم وأبنائكم) فقالوا: خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا نختار أبناءنا، فقال: (ما كان لى ولبنى عبد المطلب، فهو لكم، فإذا صليت الظهر قولوا: إنا نستشفع برسول الله على المؤمنين، وبالمؤمنين على رسول الله ﷺ في نسائنا وأبنائنا).

قال: ففعلوا فقال رسول الله ﷺ: (أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم)، وقال المهاجرون: ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، وقالت الأنصار مثل ذلك، وقال عيينة بن بدر: أما ما كان لى ولبنى فزارة فلا، وقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا، وقال عباس بن مرداس: أما أنا وبنو سليم فلا.

فقال الحيان: كذبت بل هو لرسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: (يا أيها الناس ردوا عليهم نساءهم وأبنائهم، فمن تمسك بشيء من الفئ، فله علينا ستة فرائض من أول شيء ينيئه الله علينا).

وفي رواية «فردوا على الناس أبناءهم ونساءهم ثم ركب راحلته، وتعلق به الناس يقولون: اقسم علينا فيئنا بيننا، حتى ألبأوه إلى سمرة<sup>(٣)</sup> فخطفت رداءه، فقال: (يا أيها الناس ردوا على رداي، فوالله لو كان لكم بعدد شجر تهامة نعم لقسمته بينكم ثم لا تلتقوني بخيلاً ولا جباناً ولا كذوباً).

(١) أخرجه البخاري (٤٣١٨، ٤٣١٩) المغازي.

(٢) إنا أصل: يريدون أن رسول الله استرضع في بني سعد، وأن أمه من الرضاع حليلة السعدية.

(٣) سمرة: ضرب من شجر الطلح له شوك.



ثم دنا من بعيره، فأخذ وبرة من سنامه، فجعلها بين أصابعه السبابة والوسطى، ثم رفعها، فقال: (يا أيها الناس ليس لى من هذا الفئ ولا هذه إلا بالخمس، والخمس مردود عليكم، فردوا الخياط والمخيط، فإن الغلول يكون على أهله يوم القيامة عاراً وناراً وشناراً).

فقام رجل معه كبة من شعر فقال: إني أخذت هذه أصلح بها بردعة بعير لى دبر، قال: (أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لك)، فقال الرجل: يا رسول الله أما إذ بلغت ما أرى فلا أرب لى بها ونبذها<sup>(١)</sup>.

### كان إسلام (هوازن) نصراً

ولقد كان إسلام هوازن نصراً آخر كتبه الله للمسلمين سرَّ به النبي ﷺ فسألهم عن زعيمهم مالك بن عوف ووعدهم برد أهله وأمواله عليه وبإكرامه بمائة من الإبل إن قدم عليه مسلماً، فأسلم وحسن إسلامه وقاتل المشركين فى الطائف وضيق عليهم، وقد أسلم بعد ذلك بعض زعماء ثقيف أمثال عروة بن مسعود الثقفى الذى لحق بالنبي ﷺ فى طريق المدينة فأسلم على يديه وعاد إلى الطائف يدعو إلى الإسلام، ويؤذن من على سطح منزله فرماه بعض المشركين فأصابه، ودُفن بناء على وصيته مع شهداء المسلمين أثناء حصار الطائف<sup>(٢)</sup>.

أما غالبية قبيلة ثقيف فقد تأخر إسلامهم إلى ما بعد عودة النبي ﷺ من غزوة تبوك وسنعرض لذلك فى حينه إن شاء الله<sup>(٣)</sup>.

### عمرة النبي ﷺ من الجعرانة

※ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «اعتمر رسول الله ﷺ أربع عمر، عمرة الحديبية والثانية حين تواطوا على عمرة من قابل، والثالثة من الجعرانة، والرابعة التى قرن مع حجته»<sup>(٤)</sup>.

(١) قال الهيثمى فى المجمع: (١٨٧/٦، ١٨٨) رواه أبو داود باختصار كثير، ورواه أحمد، ورجال أحمد أسانيد ثقات، وحسنه الحافظ ابن حجر فى الفتح (٣٤/٨)، وهو كما قال الحافظ.

(٢) البداية والنهاية (٢٩/٥).

(٣) نضرة النعيم (١/٣٨٤).

(٤) رواه أحمد (٢٢١١)، والترمذى (٨١٦)، وأبو داود (١٩٩٣)، وسنده صحيح.

\* وعن أنس رضى الله عنه قال: «اعتمر رسول الله ﷺ أربع عمر كلهن فى ذى القعدة إلا التى كانت مع حجته، عمرة من الحديبية فى ذى القعدة، وعمرة من العام المقبل فى ذى القعدة، وعمرة من الجعرانة حيث قسم غنائم حنين فى ذى القعدة، وعمرة مع حجته»<sup>(١)</sup>.

\* وعن يعلى بن منبه رضى الله عنه قال: «جاء رجل إلى النبى ﷺ، وهو بالجعرانة وعليه جبة، وعليها خلوق، أو قال: أثر صُفرة، فقال: كيف تأمرنى أصنع فى عمرتى؟ قال: وأنزل على النبى ﷺ الوحى، فستر بثوب، وكان (يعلى) يقول: وددت أنى أرى النبى ﷺ، وقد أنزل الوحى عليه، قال: فرفع عمر طرف الثوب عنه، فنظرت إليه، فإذا له غطيط «قال» وأحسبه كغطيط البكر، فلما سرى عنه قال: (أين السائل عن العمرة؟ اغسل عنك الصُفرة، أو قال أثر الخلق، واخلع عنك جُبَّتكَ، واصنع فى عمرتك ما أنت صانع فى حجَّتكَ).

قال: وأتى النبى ﷺ رجل قد عض رجلاً، فانتزع يده، فسقطت ثنيتا الذى عضه، قال: فأبطلها النبى ﷺ، وقال: (أردت أن تقضمه كما يقضم الفحل)<sup>(٢)</sup>.<sup>(٣)</sup>

### درس لا ينسى

ولما عاد النبى ﷺ إلى المدينة أرسل بعض أصحابه لجمع الصدقات من الأعراب - وذلك فى السنة التاسعة للهجرة - وكان من بين هؤلاء الذين ذهبوا لجمع الصدقات «ابن اللبية الأزدي» فوقع فى أمر سنعرفه من سياق الحديث فقام النبى ﷺ يعلمه ويعلم الأمة كلها درساً لا ينسى.

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخارى (٤٩٨٥) فضائل القرآن، ومسلم (١١٨٠) الحج.

(٣) وأخرج مسلم عن نافع قال: ذكر عند ابن عمر رضى الله عنهما عمرة رسول الله من الجعرانة، فقال: لم يعتمر منها، وهذا الذى نفاء قد أثبتته غيرهما والمثبت مقدم على النافى.

قال النووى: هذا محمول على نفى علمه، أى أنه لم يعلم بذلك، وقد ثبت أن النبى ﷺ اعتمر من الجعرانة، والإثبات مقدم على النفى لما فيه من زيادة العلم، وقد ذكر مسلم فى كتاب الحج اعمار النبى ﷺ من الجعرانة عام حنين من رواية أنس رضى الله عنه.

ووجه الخفاء فى القضية ما جاء فى حديث محرش الكعبى «أن رسول الله خرج ليلاً معتمراً، فدخل مكة ليلاً، فقضى عمرته ثم خرج من ليلته، فأصبح بالجعرانة كبائت» إلى آخر الحديث، وفيه: «ومن أجل ذلك خفيت عمرته على الناس».

\* عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: «استعمل رسول الله ﷺ رجلاً من الأزد يقال له ابن اللثبية على الصدقة، فلما قدم، قال: هذا لكم، وهذا أُهدى لي»، فقام رسول الله ﷺ على المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، وقال: (ما بال عامل أبعثه فيقول: هذا لكم، وهذا أُهدى لي، أفلا قعد في بيت أبيه أو بيت أمه حتى ينظر أيهدى إليه أم لا، والذي نفس محمد بيده، لا ينال أحد منكم منها شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه إن كان بغيراً له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر)، ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي إبطيه، ثم قال: (اللهم هل بلغت... مرتين)<sup>(١)</sup>.

### إسلام (عدى بن حاتم الطائي)

عن أبي عبيدة بن حذيفة عن رجل قال: قلت لعدى بن حاتم: حديث بلغني عنك أحب أن أسمعك منك، قال: نعم، لما بلغني خروج رسول الله ﷺ كرهت خروجه كراهية شديدة، فخرجت حتى وقعت ناحية الروم - وفي رواية حتى قدمت على قيصر - فكرهت مكاني ذلك أشد من كراهيتي لخروجه، فقلت: والله لو أتيت هذا الرجل، فإن كان كاذباً، لم يضرنى، وإن كان صادقاً علمت، قال: فقدمت، فأتيته، فلما قدمت، قال الناس: عدى بن حاتم، قال: فدخلت على رسول الله ﷺ، فقال لي: «يا عدى بن حاتم أسلم تسلم» ثلاثاً، قال: قلت: إني على دين، قال: «أنا أعلم بدينك منك»، فقلت: أنت أعلم بديني مني؟ قال: «نعم ألت من الركوسية وأنت تأكل مرباع قومك؟» قلت: بلى، قال: «فإن هذا لا يحل لك في دينك»، قال: فلم يعد أن قالها فتواضعت لها، فقال: «أما إني أعلم الذي يمنعك من الإسلام، تقول إنما اتبعه ضعفة الناس، ومن لا قوة له، وقد رمتهم العرب، أتعرف الحيرة؟» قلت: لم أرها، وقد سمعت بها، قال: «فوالذي نفسي بيده ليتمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة، حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحد، وليفتحن كنوز كسرى بن هرمز» قال: قلت: كسرى بن هرمز؟ قال «نعم كسرى بن هرمز، وليبذلن المال حتى لا يقبله أحد». قال عدى: فهذه الظعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت في غير جوار، ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز، والذي نفسي بيده لتكونن الثالثة لأن رسول الله ﷺ قد قالها.

\* وفي رواية: قال عدى: وجلست بين يديه، فحمد الله وأثنى عليه. ثم قال: «ما

(١) أخرجه البخاري (٩٢٥) الجمعة، ومسلم (٢٩٤٦) الإمارة.

يُفْرِكُ أُيْرُكُ أَنْ تَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَهَلْ تَعْلَمُ مِنْ إِلَهٍ سِوَى اللَّهِ؟» قَالَ: قُلْتُ: لَا. قَالَ: ثُمَّ تَكَلَّمْ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّمَا تَفَرُّ أَنْ يَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، وَهَلْ تَعْلَمُ شَيْئًا أَكْبَرَ مِنَ اللَّهِ؟» قَالَ: قُلْتُ: لَا (١).

### الفوائد والآثار الإيمانية

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - عن الفوائد والآثار الإيمانية المستفادة من غزوة الطائف:

ومنها: جوازُ غزوِ الرجلِ وأهلهُ معه، فإنَّ النبي ﷺ كان معه في هذه الغزوة أم سلمة وزينب.

ومنها: جوازُ نسبِ المنجنيقِ على الكفار. ورميهم به وإن أفضى إلى قتل من لم يُقاتل من النساء والذرية.

ومنها: جوازُ قطعِ شجرِ الكفار إذا كان ذلك يُضعفهم ويغيظهم، وهو أنكى فيهم.

ومنها: أن العبد إذا أبق من المشركين ولحق بالمسلمين، صار حراً.

وعن الشعبي، عن رجل من ثقيف، قال: سألتنا رسول الله ﷺ أن يرد علينا أبا بكر، وكان عبداً لنا أتى رسول الله ﷺ وهو محاصر ثقيفاً، فأسلم، فأبى أن يردّه علينا. فقال: «هُوَ طَلِيقُ اللَّهِ، ثُمَّ طَلِيقُ رَسُولِهِ» (٢) فلم يردّه علينا.

قال ابن المنذر: وهذا قول كل من يُحفظ عنه من أهل العلم.

ومنها: أن الإمام إذا حاصر حصناً، ولم يُفتح عليه، ورأى مصلحة المسلمين في الرحيل عنه، لم يلزمه مصابرتة، وجاز له ترك مصابرتة، وإنما تلزم المصابرة إذا كان فيها مصلحة راجحة على مفسدتها.

ومنها: أنه أحرم من الجعرانة بعمره، وكان داخلاً إلى مكة، وهذه هي السنة لمن دخلها من طريق الطائف وما يليه، وأما ما يفعله كثير ممن لا علم عندهم من الخروج من مكة إلى الجعرانة ليحرم منه بعمره، ثم يرجع إليها، فهذا لم يفعله رسول الله ﷺ ولا أحد من أصحابه ألبتة، ولا استحبه أحدٌ من أهل العلم، وإنما يفعله عوام الناس.

(١) رواه أحمد (٤/٣٧٧، ٣٧٨)، والحاكم (٤/٥١٨، ٥١٩) وإسناده حسن.

(٢) رواه أحمد (٤/١٦٨، ٣١٠) ورجاله ثقات.

ومنها: استجابةُ الله لرسوله ﷺ دعاءه لثقيف أن يهديهم، ويأتي بهم، وقد حاربوه وقاتلوه، وقتلوا جماعةً من أصحابه. وقتلوا رسول رسوله الذي أرسله إليهم يدعوهم إلى الله، ومع هذا كله فدعا لهم، ولم يدع عليهم، وهذا من كمال رأفته، ورحمته، ونصيحته صلوات الله وسلامه عليه.

ومنها: أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوماً واحداً، فإنها شعائر الكفر والشرك، وهي أعظم المنكرات، فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة البتة، وهذا حكم المشاهد التي بُنيت على القبور التي اتُخذت أوثاناً وطواغيت تُعبد من دون الله، والأحجار التي تُقصد للتعظيم والتبرك، والنذر والتقبيل، لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالته، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى. ومناة الثالثة الأخرى، أو أعظم شركاً عندها، وبها، والله المستعان<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) زاد المعاد (٣/٥٠٣، ٥٠٦) بتصرف.

## غزوة تبوك

وكانت في شهر رجب سنة تسع، قال ابن إسحاق: وكانت في زمن عُسرة من الناس، وجذب من البلاد، وحين طابت الثمار، والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم، ويكرهون شخوصهم على تلك الحال، وكان رسول الله ﷺ كلما يخرج في غزوة إلا كنى عنها، وورى غيرها، إلا ما كان من غزوة تبوك، لبعث الشقة، وشدة الزمان<sup>(١)</sup>.

### كانت غزوة تبوك استجابة إيمانية لفريضة الجهاد

أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين بجهاد أهل الكتاب، كما أمرهم بجهاد المشركين، وخلافًا لما حصل مع المشركين الذين لا يقبل منهم إلا الدخول في الإسلام أو أن يأذنوا بقتال، فإن أهل الكتاب لهم حق الاحتفاظ بدينهم إذا ما اعترفوا بالسيادة لدولة الإسلام وأدوا الجزية عن يد وهم صاغرون، قال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

وهكذا فقد كانت غزوة تبوك استجابة إيمانية لفريضة الجهاد حيث كان الروم أقرب الناس إلى ديار الإسلام ولذلك فإنهم أولى الناس بالدعوة<sup>(٢)</sup>. وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١٢٣]<sup>(٣)</sup> وهكذا، فبعد القضاء على الوثنية في جزيرة العرب، وإجلاء يهود من المدينة وغيرها، كان على المسلمين أن يقاتلوا أهل الكتاب من النصارى الذين كانوا

(١) زاد المعاد (٣/٥٢٦).

(٢) يقول الحافظ ابن حجر «فعمز رسول الله ﷺ على قتال الروم، لأنهم أقرب الناس إليه وأولى الناس بالدعوة لتقربهم إلى الإسلام وأهله» (البداية والنهاية ٥/٢).

(٣) تفسير الطبري (١١/٧١).

يقنطون على المشارف الشمالية الغربية من جزيرة العرب، حيث كانت المنطقة التي توجه إليها الرسول في هذه الغزوة من ديار قضاة وهي خاضعة لسultan الإمبراطورية البيزنطية (الروم)<sup>(١)</sup>.

### الأخبار العامة عن استعداد الرومان

وكانت الأنباء تترامى إلى المدينة بإعداد الرومان للقيام بغزوة حاسمة ضد المسلمين، حتى كان الخوف يتسورهم كل حين، لا يسمعون صوتاً غير معتاد إلا ويظنون زحف الرومان، ويظهر ذلك جلياً مما وقع لعمر بن الخطاب، فقد كان النبي ﷺ آلى من نسائه شهراً في هذه السنة (٩هـ) وكان هجرهن واعتزل عنهن في مشربة له ولم يفتن الصحابة إلى حثيقة الأمر في بدايته، فظنوا أن النبي ﷺ طلقهن، فسرى فيهم الهم والحزن والقلق.

يقول عمر بن الخطاب - وهو يروى هذه القصة -: وكان لى صاحب من الأنصار إذا غبت أتانى بالخبر، وإذا غاب كنت آتية أنا بالخبر - وكانا يسكنان فى عوالى المدينة، يتناوبان إلى النبى ﷺ ونحن نتخوف ملكاً من ملوك غسان، ذكر لنا أنه يريد أن يسير إلينا فقد امتلأت صدورنا منه، فإذا صاحبى الأنصارى يدق الباب، فقال: افتح، افتح، فقلت: جاء الغسانى؟ فقال: بل أشد من ذلك، اعتزل رسول الله ﷺ أزواجه... الحديث<sup>(٢)</sup>.

وفى لفظ آخر (أنه قال): وكنا تحدثنا أن آل غسان تتعل النعال لغزونا فنزل صاحبى يوم نوبته، فرجع عشاءً، فضرب بابى ضرباً شديداً، وقال: أنائم هو؟ ففزعت، فخرجت إليه، وقال: حدث أمر عظيم. فقلت: ما هو؟ أجاءت غسان قال: لا، بل أعظم منه وأطول، طلق رسول الله ﷺ نساءه... الحديث<sup>(٣)</sup>.

وهذا يدل على خطورة الموقف الذى كان يواجهه المسلمون بالنسبة إلى الرومان. ويزيد ذلك تأكيداً ما فعله المنافقون حينما نقلت إلى المدينة أخبار إعداد الرومان، فبرغم ما رآه هؤلاء المنافقون من نجاح رسول الله ﷺ فى كل الميادين وأنه لا يوجل من سلطانه على ظهر الأرض، بل يذيب كل ما يعترض فى طريقه من عوائق، برغم هذا كله طفق هؤلاء المنافقون يأملون فى تحقق ما كانوا يخفونه فى صدورهم، وما كانوا يتربصونه من

(١) نضرة النعيم (١/٣٨٧).

(٢) أخرجه البخارى (٤٩١٣)، ومسلم (١٤٧٩)، وأحمد (٤٨/١) من حديث عمر بن الخطاب.

(٣) أخرجه البخارى (٨٩)، ومسلم (٣٤) (١٤٧٩)، والترمذى (٣٣١٥)، والنسائى (٤/١٣٧)، وأحمد

(٣٣/١) مطولاً ومختصراً.

الشر بالإسلام وأهله، ونظراً إلى قرب تحقق آمالهم أنشأوا وكرة للدس والتأمر، في صورة مسجد، وهو مسجد الضرار أسسوه كفرةً وتفرقةً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله، وعرضوا على رسول الله ﷺ أن يصلى فيه، وإنما مرامهم بذلك أن يخدعوا المؤمنين. فلا يفتنوا ما يؤتى به في هذا المسجد من الدس والمؤامرة ضدهم ولا يلتفتوا إلى من يرده ويصدر عنه، فيصير وكرة مأمونة لهؤلاء المنافقين ولرفقائهم في الخارج. ولكن رسول الله ﷺ أحرَّ الصلاة فيه - إلى قنوله من الغزوة - لشغله بالجهاز ففشلوا في مرامهم وفضحهم الله، حتى قام الرسول ﷺ بهدم المسجد بعد القبول من الغزوة بدل أن يصلى فيه<sup>(١)</sup>.

### النبي ﷺ يأمرهم بالتهيؤ لغزو الروم

\* قال ابن إسحاق: «إن رسول الله ﷺ أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم، وذلك في زمان من عسرة الناس، وشدة من الحر، وجذب من البلاد، وحين طابت الثمار، والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم، ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذي هم عليه، وكان رسول الله ﷺ قلما يخرج في غزو إلا كنى عنها، وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي يصمد<sup>(٢)</sup> له إلا ما كان من غزوة تبوك، فإنه بينها للناس، لبعد الشقة، وشدة الزمان، وكثرة العدو الذي يصمد له، ليتأهب الناس لذلك أهبتة، فأمر الناس بالجهاز، وأخبرهم أنه يريد الروم»<sup>(٣)</sup>.

\* عن كعب بن مالك - رضى الله عنه - قال: «كان رسول الله ﷺ قلما يريد غزوة يغزوها إلا ورى<sup>(٤)</sup> بغيرها، حتى كانت غزوة تبوك، فغزاها رسول الله ﷺ في حر شديد، استقبل سخرًا بعيداً ومقازاً<sup>(٥)</sup> استقبل غزو عدد كثير، فجلا<sup>(٦)</sup> للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة<sup>(٧)</sup> عدوهم، أخبرهم بوجهه الذي يريد»<sup>(٨)</sup>.

(١) الرحيق المختوم (ص ٤٦٦ - ٤٦٧).

(٢) يصمد: يقصد.

(٣) السيرة لابن هشام (٤/ ١٤٠).

(٤) ورى: أوهم بغيرها.

(٥) المقاز: الفلاة التي لا ماء فيها.

(٦) جلا: أوضح لهم أمرهم.

(٧) الأهبة: أخذ ما يحتاجون إليه في سفرهم.

(٨) أخرجه البخارى (٢٩٤٨) الجهاد، ومسلم (٢٧٦٩) التوبة.



### تجهيز جيش العسرة

ولقد دعا النبي ﷺ الصحابة إلى الإنفاق على هذه الغزوة نظراً لكثرة المشاركين فيها، وبعد المسافة التي كان على الجيش أن يقطعها، ووعد المنافقين بعظم الأجر من الله سبحانه وتعالى، فسارع أغلب الصحابة إلى المشاركة في توفير الأموال المطلوبة كل حسب مقدرته، وكان عثمان بن عفان أكثر المنفقين على جيش العسرة استجابة لقول النبي ﷺ «من جهز جيش العسرة فله الجنة» وتواترت الأخبار الصحيحة بأن عثمان بن عفان قد تحمل نفقات جيش العسرة، فلقد سارع بتقديم ألف دينار في بداية الاستعدادات صبها في حجر النبي ﷺ (١) كما قدم أموالاً أخرى تمثل في الجمال والعدد التي يحتاج إليها في نقل الجيش والحرب (٢).

\* عن عبد الرحمن بن سمرة - رضى الله عنه - قال: «جاء عثمان بن عفان إلى النبي ﷺ بألف دينار في ثوبه حين جهز النبي ﷺ جيش العسرة قال: فصبها في حجر النبي ﷺ فجعل النبي ﷺ يقلبها بيده ويقول: (ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم يرددها مراراً) (٣).

\* وجاء عبد الرحمن بن عوف بمائتي أوقية فضة، وجاء أبو بكر بماله كله. ولم يترك لأهله إلا الله ورسوله، وكانت أربعة آلاف درهم، وهو أول من جاء بصدقته، وجاء عمر بنصف ماله، وجاء العباس بمال كثير، وجاء طلحة وسعد بن عباد ومحمد بن مسلمة، كلهم جاءوا بمال. وجاء عاصم بن عدى بتسعين وسقاً من التمر، وتتابع الناس بصدقاتهم قليلها وكثيرها، حتى كان منهم من أنفق مداً أو مدين لم يكن يستطيع غيرها؛ وبعثت النساء ما قدرن عليه من مسك، ومعاصد، وخلاخل، وقرط، وخواتم.

ولم يمسك أحد يده، ولم يبخل بماله إلا المنافقون.

\*\*\*

(١) البخارى - الصحيح (١١/٤) (كتاب الوصايا)، فتح البارى (٣٠٦/٥)، أحمد - المسند (٥٣/٥).

(٢) الترمذى - السنن (١٥٣/١٣ - ١٥٤)، الحاكم - المستدرک (١٠٢/٣).

(٣) رواه الترمذى (٣٧٠١)، وأحمد (٦٣/٥)، والحاكم (١٠٢/٣) وصححه ووافقه الذهبى.

### الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين

\* عن أبي مسعود الأنصاري - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: «لما أمرنا بالصدقة كنا نتحامل، فجاء أبو عقيل بنصف صاع، وجاء إنسان بأكثر منه، فقال المنافقون: إن الله لغنى عن صدقة هذا، وما فعل هذا الآخر إلا رثاء فنزلت: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩] (١).

### لقد كتبت في الزكاة المتقبلة

\* وأما علبة بن زيد فخرج من الليل فصلى من ليلته ما شاء الله، ثم بكى، وقال: اللهم إنك قد أمرت بالجهاد، ورغبت فيه، ثم لم تجعل عندي ما أتقوى به مع رسول الله ﷺ ولم تجعل في يد رسولك ما يحملني عليه، وإني أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني فيها مال أو جسد أو عرض. ثم أصبح مع الناس، فقال رسول الله ﷺ: (أين المتصدق هذه الليلة؟) فلم يقم أحد، ثم قال: (أين المتصدق فليقم) فقام إليه فأخبره فقال رسول الله ﷺ: (أبشر فالذي نفسى بيده لقد كتبت في الزكاة المتقبلة) (٢).

### أعدار المنافقين

ولقد نجم النفاق في المدينة واستعلن بشأن هذه الغزوة، «وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض: لا تنفروا في الحر، زهادة في الجهاد، وشكاً في الحق، وإرجافاً» (٣) برسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (٨١) ﴿فَلْيُضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٨١ - ٨٢].

وذلك أن الخروج في غزوة تبوك كان في شدة الحر عند طيب الظلال والثمار فلهذا قالوا: ﴿لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾ قال الله تعالى لرسوله ﷺ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿نَارُ جَهَنَّمَ﴾ التي تصيرون إليها بمخالفتكم ﴿أَشَدُّ حَرًّا﴾ مما فررتم منه من الحر بل ﴿أَشَدُّ حَرًّا﴾ من النار

(١) أخرجه البخاري (٤٦٦٨) التفسير، ومسلم (١٠١٨) الزكاة.

(٢) حديث صحيح ورد مسنداً وموصولاً كما قال الحافظ ابن حجر في الإصابة: (٢/٤٩٣)، من حديث مجمع بن جارية أو من حديث عمرو بن عوف وأبي عتب بن جبر، ومن حديث علبة بن زيد نفسه.

(٣) ابن هشام (٥١٧/٣).

كما روى الإمام مالك عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: [«نار بنى آدم التي توقدونها جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم»] فقالوا: يا رسول الله إن كانت لكافية فقال «فُضِلت عليها بتسعة وستين جزءاً» [أخرجاه في الصحيحين].

وعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ [إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لمن له نعلان وشراكان من نار جهنم يغلى منهما دماغه كما يغلى الرجل، لا يرى أن أحداً من أهل النار أشد عذاباً منه وإنه أهونهم عذاباً] [أخرجاه في الصحيحين<sup>(١)</sup>].

\* وحين عرض النبي ﷺ على الجند بن قيس أحد بن سلمة المشاركة في جهاد الروم، اعتذر عن ذلك تحت ستار الخوف من الفتنة بسبب شدة ولعه بالنساء وقال: «وإني أخشى إن رأيت نساء بنى الأصفر ألا أصبر» فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال: «قد أذنت لك»، وفيه نزلت الآية: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أُنْذِنُ لِي وَلَا تَفْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩].

وكما اعتذر الجند بن قيس كذباً ونفاقاً، فقد بادر عدد من المنافقين إلى تقديم أعداء كاذبة للنبي ﷺ لكي يأذن لهم بالتخلف عن الغزوة، ولذلك نزلت الآية: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعِنَا لِكُلِّ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣].

لم يقتصر النفاق على من نافق من أهل المدينة بل إنه امتد إلى البادية حولها، قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَىٰ النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يَرَدُونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١].

وحيث إن المنافقين من الأعراب، وهم أقسى قلوباً وأكثر جفوة وأقل علماً بالأحكام والسنن، فإنهم أشد كفرةً ونفاقاً من منافقي أهل المدينة، كما وصفهم القرآن الكريم: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٩٧]<sup>(٢)</sup>.

لقد كانت غزوة تبوك منذ بداية الإعداد لها مناسبة للتمييز بين المؤمنين والمنافقين، وضحت فيها الحواجز بين الطرفين ولم يعد هناك أى مجال للتستر على المنافقين أو مجاملتهم بل أصبحت مجابهتهم أمراً ملجأً بعد أن عملوا كل ما فى وسعهم لمجابهة الرسول والدعوة، وتشبث المسلمون عن الاستجابة للنفير الذى أعلنه الله تعالى والرسول

(١) مختصر تفسير ابن كثير (٢/٣٦٠).

(٢) تفسير الطبرى (٣/١١).

والذى نزل به القرآن الكريم، بل أصبح الكشف عن نفاق المنافقين، وإيقافهم عن خدمهم واجباً شرعياً<sup>(١)</sup>.

### البكاعون

قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [٩١] وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩١ - ٩٢]. قال القاسمى: روى العوفى عن ابن عباس فى هذه الآية أن رسول الله ﷺ أمر الناس أن يتبعوا غازين معه فجاءته عصابة من أصحابه فىهم عبد الله بن مغفل بن مقرن المزنى فقالوا: يا رسول الله: احملنا. فقال لهم: والله لا أجد ما أحملكم عليه فتولوا وهم يبكون، وعز عليهم أن يجلسوا عن الجهاد ولا يجدون نفقة ولا محملاً، فلما رأى الله حرصهم على محبته ومحبة رسوله أنزل عذرهم فى كتابه فقال: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ﴾ [التوبة: ٩١]<sup>(٢)</sup>... وهم ولا شك الذين عناهم رسول الله ﷺ بقوله وهو عائد من تبوك. «لقد خلفتم بالمدينة رجالاً ما قطعتم وادياً ولا سلكتهم طريقاً إلا أشركوكم فى الأجر حسبهم المرض»<sup>(٣)</sup>.

### قصة أصحاب أبى موسى الأشعرى

\* عن أبى موسى الأشعرى - رضى الله عنه - قال: «أرسلنى أصحابى إلى رسول الله ﷺ أسأله الحملان لهم إذا هم معه فى جيش العسرة وهى غزوة تبوك، فقلت: يا نبي الله، إن أصحابى أرسلونى إليك لتحملهم، فقال: (والله لا أحملكم على شىء)، ووافقته وهو غضبان ولا أشعر، ورجعت حزيناً من منع النبى ﷺ ومن مخافة أن يكون النبى ﷺ وجد فى نفسه على، فرجعت إلى أصحابى فأخبرتهم الذى قال النبى ﷺ فلم ألبث إلا سويعة إذ سمعت بلالاً ينادى: أى عبد الله بن قيس<sup>(٤)</sup>، فأجبتة فقال: أجب رسول الله

(١) نضرة النعيم (١/٣٨٩).

(٢) محاسن التأويل (٨/٢٩٤).

(٣) رواه أحمد (٣/٣٠)، ومسلم (٥٧/١٣) الإمامة، وقال النووى: وفى هذا الحديث تلميحاً لنية فى الخير، وأن من نوى الغزو وغيره من الطاعات فعرض له عذر منعه حصل له ثواب نيته وأنه كلما أكثر من التأسف على فوات ذلك وتمنى كونه مع الغزاة ونحوهم كثر ثوابه والله اعلم - النووى على صحيح مسلم (٥٧/١٣).

(٤) عبد الله بن قيس: هو أبو موسى الأشعرى.

ﷺ يدعوك. فلما أتيته قال: (خذ هذين القرنين لستة أبعرة ابتاعهن حينئذ من سعد - فانطلق بهن إلى أصحابك فقل: إن الله - أو قال - إن رسول الله ﷺ - يحملكم على هؤلاء، فاركبوهن). فانطلقت إليهم بهن فقلت: إن النبي ﷺ يحملكم على هؤلاء، ولكني والله لا أدعكم حتى ينطلق معي بعضكم إلى من سمع مقالة رسول الله ﷺ لا تظنوا أني حدثكم شيئاً لم يقله رسول الله ﷺ . فقالوا لى: إنك عندنا لمصدق، ولنفعن ما أحببت، فانطلق أبو موسى بنفر منهم حتى أتوا الذين سمعوا قول رسول الله ﷺ ، منعه إياهم ثم إعطاءهم بعد، فحدثوهم بمثل ما حدثهم به أبو موسى<sup>(١)</sup>.

### الجيش الإسلامى يتحرك إلى تبوك

ولما تجهز الجيش الإسلامى استعمل النبي ﷺ على المدينة محمد بن مسلمة الأنصارى. فلما سار رسول الله ﷺ ، تخلف (عبد الله بن أبي) ومن كان معه، وتخلف نفر من المسلمين من غير شك ولا ارتياب، منهم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، وأبو خيثمة السالمى، وأبو ذر، ثم لحقه أبو خيثمة، وأبو ذر، وشهدا رسول الله ﷺ فى ثلاثين ألفاً من الناس، والخيل عشرة آلاف فرس<sup>(٢)</sup>.

### متى خرج النبي ﷺ من المدينة

\* عن كعب بن مالك - رضى الله عنه -: «أن النبي ﷺ خرج يوم الخميس فى غزوة تبوك، وكان يحب أن يخرج يوم الخميس»<sup>(٣)</sup>.

### ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى؟

قال ابن إسحاق: ولما أراد رسول الله ﷺ الخروج، خلف (على بن أبى طالب) على أهله، فأرجف به المنافقون، وقالوا: ما خلفه إلا استثقلاً وتخففاً منه، فأخذ على - رضى الله عنه - سلاحه، ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ وهو نازل بالجرف<sup>(٤)</sup>.<sup>(٥)</sup>

(١) أخرجه البخارى (٤٤١٥) المغازى - ومسلم (١٦٤٩) الإيمان.

(٢) زاد المعاد (٥٢٩/٣).

(٣) أخرجه البخارى (٢٩٥٠) الجهاد، والنسائى (١١١٤٣).

(٤) الجرف: موضع على ثلاثة أميال من المدينة.

(٥) زاد المعاد (٥٢٩/٣ - ٥٣٠).

\* عن سعد بن أبي وقاص - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: (خَلَّفَ رسولُ اللهِ ﷺ علي بن أبي طالب في غزوة تبوك، فقال: يا رسولَ اللهِ ﷺ أتخلفني في النساءِ والصبيان، فقال: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي) (١).

### مرورهم على ديار ثمود

وَمَرَّ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ عَلَى دِيَارِ ثَمُودَ فِي طَرِيقِهِمْ إِلَى تَبُوكَ.

\* عن ابن عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قال: «إِنَّ النَّاسَ نَزَلُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَرْضَ ثَمُودَ، الْحَجْرَ، وَاسْتَقَمُوا مِنْ بَثْرَاهَا، وَاعْتَجَنُوا بِهِ، فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَهْرِيقُوا مَا اسْتَقَمُوا مِنْ بَثْرَاهَا، وَأَنْ يَعلِنُوا الْإِبِلَ الْعَجِينَ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنَ الْبَثْرِ الَّتِي كَانَ تَرُدُّهَا النَّاقَةُ» (٢).

\* وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - أَيْضًا قَالَ: «مَرَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى الْحَجْرِ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: (لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بِأَكِينٍ حَذْرًا أَنْ يَصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ)، ثُمَّ زَجَرَ (٣) فَأَسْرَعَ حَتَّى خَلْفَهَا» (٤).

### لا تسألوا الآيات

\* لَمَّا مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِالْحَجْرِ قَالَ: (لَا تَسْأَلُوا الْآيَاتَ، فَقَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ صَالِحٌ، فَكَانَتْ تَرُدُّ مِنْ هَذَا الْفَجِّ، وَتَصْدُرُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ (٥)، فَعَتُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَعَقَرُوهَا، وَكَانَتْ تَشْرَبُ مَاءَهُمْ يَوْمًا، وَيَشْرَبُونَ لَبْنَهَا يَوْمًا، فَعَقَرُوهَا، فَأَخَذَتْهُمْ صَيْحَةٌ أَهَمَّتْ اللهُ مِنْ تَحْتِ أَدِيمِ السَّمَاءِ مِنْهُمْ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا كَانَ فِي حَرَمِ اللهِ). قِيلَ: مَنْ هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: (هُوَ أَبُو رِغَالٍ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ الْحَرَمِ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ قَوْمَهُ) (٦).

(١) أخرجه البخاري (٤٤١٦) المغازي - ومسلم (٢٤٠٤) فضائل الصحابة.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٧٩) الأنبياء - ومسلم (٢٩٨٠) الزهد والرقائق.

(٣) زجر: أي زجر ناقته ومعناه ساقها سوقًا شديدًا حتى خلفها أي جاوز المساكن.

(٤) أخرجه البخاري (٣٣٨١) الأنبياء - ومسلم (٢٩٨٠) الزهد والرقائق.

(٥) من هذا الفج: من هذا الوجه.

(٦) أخرجه أحمد في المسند: (٢٩٦/٤)، وقال الحافظ ابن كثير: إسناده صحيح، ولم يخرجوه، وصححه

الحاكم (٢/٣٤٠ - ٣٤١) ووافقه الذهبي.

## النبي ﷺ يدعو .. والسماء تمطر بإذن الله

واشتدت حاجة الناس - في الطريق - إلى الماء فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فدعا الله (عز وجل) فأرسل الله سحابة فأمطرت.

✽ عن ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قال: «قيل لعمر بن الخطاب: حدثنا من شأن ساعة العُسرة، فقال عمر: خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد، فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش، حتى ظننا أن رقابنا ستنتقطع، حتى إن كان الرجل ليذهب يلتمس الرجل، فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنتقطع، حتى أنه كان الرجل لينحر بغيره فيعصر فرثه فيشربه، ويجعل ما بقى على كبده. فقال أبو بكر الصديق - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: يا رسول الله! إن الله عز وجل قد عودك في الدعاء خيراً فادع الله لنا، قال: (أتحب ذلك؟) قال: نعم، فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء، فأظلت ثم سكبت، فملأوا ما معهم ثم ذهبنا ننظر، فلم نجدهاجاوزت العسكر»<sup>(١)</sup>.

## منافق ينكر معجزة الرسول ﷺ

✽ قال ابن إسحاق حدثني عاصم بن عمرو بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن رجال من بني عبد الأشهل: «قال: قلت لمحمود: هل كان الناس يعرفون النفاق فيهم؟ قال: نعم والله، إن كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن أبيه، ومن عمه وفي عشيرته، ثم يلبس بعضهم بعضاً على ذلك. ثم قال محمود: لقد أخبرني رجال من قومي عن رجل من المنافقين معروف نفاقه، كان يسير مع رسول الله حين سار، فلما كان من أمر الناس بالحجر ما كان، ودعا رسول الله ﷺ حين دعا، فأرسل الله السحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس، قالوا: أقبلنا عليه نقول: ويحك هل بعد هذا شيء! قال: سحابة مارة»<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) قال الهيثمي في المجمع: (٦/١٩٤ - ١٩٥) رواه البزار والطبراني في الأوسط، ورجال البزار ثقات، والحاكم (١/١٥٩) وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي وهو صحيح على شرط مسلم فقط، وقال ابن كثير في السيرة: (٤/١٦) إسناده جيد، ولم يخرجوه من هذا الوجه، قلت: الحديث صحيح والله أعلم.  
(٢) أخرجه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (٢/٥٢٢)، وإسناده رجال ثقات، ولا يضر جهالة الصحابة وهم من بني عبد الأشهل، ومحمود بن لبيد من صغار الصحابة، دلائل النبوة للبيهقي (٥/٢٣٢).

### حقاً إنها غزوة العُسرة

قال جابر: اجتمع عليهم عسرة الظهر، وعسرة الزاد، وعسرة الماء. قال الحسن: كانت العشرة من المسلمين يخرجون على بعير يعتقبونه بينهم، وكان زادهم التمر المتسوس والشعير المتغير والإهالة المنتنة، وكان النفر يخرجون ما معهم - إلا التمرات بينهم، فإذا بلغ الجوع من أحدهم أخذ التمر فلاكها حتى جيد طعمها، ثم يعطيها صاحبه حتى يشرب عليها جرعة من ماء كذلك حتى تأتي على آخرهم، فلا يبقى من التمرة إلا النواة. فمضوا مع النبي ﷺ على صدقهم ويقينهم - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - وقال عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وقد سُئِلَ عن ساعة العُسرة: خرجنا في قيظ شديد، فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا أن رقابنا ستقطع من العطش، وحتى إن الرجل ينحر بعيره، فيعصر فرثه، فيشربه، ويجعل ما بقي على كبده. فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن الله قد عودك في الدعاء خيراً، فادع لنا. قال: (أحب ذلك)، قال: نعم، فرفع يديه، فلم يرجعهما حتى أظلت السماء ثم سكبت فملاؤا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم نجد ما جاوزت العسكر<sup>(١)</sup>.

\* عن أبي هريرة أو أبي سعيد الخدري (شك الأعمش) قال: «لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة، فقالوا: يا رسول الله! لو أذنت لنا فنحنرا نواضحنا<sup>(٢)</sup> فأكلنا وادهننا، فقال رسول الله ﷺ: (افعلوا)، فجاء عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فقال: يا رسول الله! إن فعلت قلَّ الظهر، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم، وادع الله لهم فيها بالبركة لعل الله عز وجل أن يجعل في ذلك، فقال رسول الله ﷺ: (نعم).

فدعا بنطع فبسطه، ثم دعا بفضل أزوادهم، فجعل الرجل يأتي بكف ذرة ويحییء الآخر بكف تمر، ويحییء الآخر بكسرة، حتى اجتمعوا على النطع من ذلك شيء يسير، فدعا رسول الله ﷺ بالبركة، ثم قال لهم: (خذوا في أوعيتكم)، فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا مملؤه، فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضالة، فقال رسول الله ﷺ: (أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، لا يلتقى الله بهما عبد غير شاك فحُجِبَ عن الجنة)<sup>(٣)</sup>.

(١) القرطبي (٢٧٨/٨).

(٢) نواضحنا: الإبل التي تُركب ويجلب عليها الماء.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً.



### هذا جزاء من يعصى أمر رسول الله ﷺ

\* عن أبي حميد الساعدي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فأتينا وادي القرى، على حديقة لامرأة فقال رسول الله ﷺ: (أخرصوها)<sup>(١)</sup>، فخرصناها، وخرصها رسول الله ﷺ عشرة أوسق<sup>(٢)</sup>، وقال للمرأة: (أحصيها حتى نرجع إليك إن شاء الله عز وجل)، فانطلقنا حتى قدمنا تبوك، فقال رسول الله ﷺ: (ستهب عليكم الليلة ريح شديدة، فلا يقم فيها أحد منكم، فمن كان له بغير فليشد عقاله). فهبت ريح شديدة، فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبل طيء<sup>(٣)</sup>.

### النسب ﷺ يخبرهم عن مكان ناقته التي ضاعت

قال ابن إسحاق: «ثم إن رسول الله ﷺ سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلت ناقته، فخرج أصحابه في طلبها، وعند رسول الله ﷺ رجل من أصحابه، يقال له عمارة بن حزم وكان عقيباً بدرياً، وهو عم بني عمرو بن حزم، وكان في رحله زيد بن اللصيت القينقاعي، وكان منافقاً.

فقال زيد بن اللصيت، وهو في رحل عمارة، وعمارة عند رسول الله ﷺ: أليس محمد يزعم أنه نبي، ويخبركم عن خبر السماء، وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال رسول الله ﷺ وعمارة عنده: (إن رجلاً قال: هذا محمد يخبركم أنه نبي، ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء، وهو لا يدري أين ناقته، وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلتني الله عليها، وهي في هذا الوادي، في شعب كذا وكذا، قد حبستها شجرة بزمامها، فانطلقوا حتى تأتونني بها)، فذهبوا فجاءوا بها.

فرجع عمارة بن حزم إلى رحله، فقال: والله لعجب من شيء حدثناه رسول الله ﷺ أنفقاً، عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكذا وكذا، للذي قال زيد بن اللصيت، فقال رجل ممن كان في رحل عمارة ولم يحضر رسول الله ﷺ: زيد والله قال هذه المقالة قبل أن

(١) أخرصوها: الخرص: الحزر تقدير ما على النخل من الرطب ثمراً.

(٢) الوسق: ٦٠ صاعاً.

(٣) أخرجه البخاري (١٤٨١) الزكاة، ومسلم (١٣٩٢) الفضائل.

تأتى، فأقبل عمارة على زيد يجأ فى عنقه<sup>(١)</sup> ويقول: إلى عباد الله، إن فى رحلى لداهية، وما أشعر، اخرج أى عدو الله من رحلى فلا تصحبنى»<sup>(٢)</sup>.

### الماء ينهمر من عين تبوك

فى صحيح مسلم من حديث معاذ بن جبل - رضى الله عنه - قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك فكان يجمع الصلاة فصلى الظهر والعصر جميعاً والمغرب والعشاء جميعاً حتى إذا كان يوماً آخر الصلاة ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعاً ثم دخل ثم خرج بعد ذلك فصلى المغرب والعشاء جميعاً ثم قال: «إنكم ستأتون غداً - إن شاء الله - عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئاً حتى أتى» فجنناها وقد سبقنا إليها رجلان والعين مثل الشراك تبض<sup>(٣)</sup> بشىء من ماء قال فسألهما رسول الله ﷺ: «هل مسستما من مائها شيئاً؟» قالا: نعم فسيهما<sup>(٤)</sup> النبى ﷺ وقال لهما ما شاء الله أن يقول، قال: ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع فى شىء، قال: وغسل رسول الله ﷺ فيه يديه ووجهه ثم أعاده فيها فجرت العين بماء منهمر أو قال: غزير حتى استقى الناس ثم قال: «يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد ملئى جناناً».

### كن أبا خيثمة

ثم إن أبا خيثمة رجع بعد أن سار رسول الله ﷺ أياماً إلى أهله فى يوم حار، فوجد امرأتين له فى عريشين لهما فى حائطه، قد رشت كل واحدة منهما عريشها، وبردت له ماءً، وهيات له فيه طعاماً، فلما دخل، قام على باب العريش، فنظر إلى امرأته وما صنعتا

(١) يجأ فى عنقه: يطعنه فى عنقه.

(٢) أخرجه ابن إسحاق فى سيرة ابن هشام (٥٢٣/٢)، والطبرى فى تاريخه (١٤٥/٣)، والبيهقى فى الدلائل: (٢٣٢/٥) من طريق ابن إسحاق به، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث، وإسناده رجاله ثقات، ولا يضر جهالة الصحابة وهم من بنى عبد الأشهل، ومحمود بن لبيد من صغار الصحابة فيكون الحديث صحيحاً.

(٣) تبض: أى تسيل، والشراك: سير النعل ومعناها أن الماء قليل جداً.

(٤) أى زجرهما... ولقد ثبت فى صحيح البخارى ومسلم أن النبى ﷺ قال: «اللهم إنى أتخذ عندك عهداً لن تخلفنيه فإنما أنا بشر فأى مسلم آذيته أو شتمته أو جلدته أو لعنته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة بها إليك يوم القيامة».

له، فقال: رسول الله ﷺ في الضحِّ (١) والريِّح، والحر، وأبو خيْشة في ظل بارد، وطعام مهياً، وامرأة حسناء، في ماله مقيم؟ ما هذا بالنِّصْف، ثم قال: والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ، فهيتا لي زاداً، ففعلتا، ثم قدّم ناضحه، فارتحلته، ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل تبوك، وقد كان أدرك أبا خيْشة عمير بن وهب الجمحي في الطريق يطلب رسول الله ﷺ، فترافقا حتى إذا دنوا من تبوك، قال أبو خيْشة لعمير بن وهب: إن لي ذنباً، فلا عليك أن تتخلف عني حتى آتي رسول الله ﷺ، ففعل حتى إذا دنا من رسول الله ﷺ وهو نازل بتبوك، قال الناس: هذا راكب على الطريق مقبل، فقال رسول الله ﷺ: «كُنْ أبا خيْشة» قالوا: يا رسول الله! هو والله أبو خيْشة. فلما أناخ أقبل، فسلم على رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «أولى لك يا أبا خيْشة»، فأخبر رسول الله ﷺ خبره، فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير (٢). (٣)

### رحم الله أبا ذر

ثم مضى رسول الله ﷺ سائراً، فجعل يتخلف عنه الرجل، فيقولون: يا رسول الله، تخلف فلان، فيقول: «دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم. وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه»، حتى قيل: يا رسول الله، قد تخلف أبو ذر، وأبطأ به بعيره؛ فقال: «دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه»؛ وتلوّم أبو ذر على بعيره، فلما أبطأ عليه، أخذ متاعه فحملة على ظهره، ثم خرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ماشياً. ونزل رسول الله ﷺ في بعض منازلهم، فنظر ناظر من المسلمين فقال: يا رسول الله، إن هذا لرجل يمشى على الطريق وحده؛ فقال رسول الله ﷺ: «كن أبا ذر». فلما تأمله القوم قالوا: يا رسول الله، هو والله أبو ذر، فقال رسول الله ﷺ: «رحم الله أبا ذر، يمشى وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده» (٤).

(١) الضح: الشمس.

(٢) زاد المعاد (٣/ ٥٣٠ - ٥٣١).

(٣) ابن هشام (٢/ ٥٢٠، ٥٢١) عن ابن إسحاق بلا سند، وفي حديث كعب بن مالك الطويل المخرج في البخاري (٨/ ٨٦، ٩٣)، ومسلم (٢٧٦٩): فبينما هو على ذلك رأى رجلاً مبيضاً يزول به السراب، فقال رسول الله ﷺ: «كن أبا خيْشة» فإذا هو أبو خيْشة الأنصاري، وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون.

(٤) السيرة النبوية/ لابن هشام (٤/ ١٤٩).

### المصالحة واعطاء الجزية

نزل الجيش الإسلامي بتبوك فعسكر هناك وهو مستعد للقاء العدو. وأما الرومان وحلفاؤهم فلما سمعوا بزحف رسول الله ﷺ أخذهم الرعب فلم يجترئوا على التقدم واللقاء، بل تفرقوا في البلاد في داخل حدودهم فكان لذلك أحسن أثر بالنسبة إلى سمعة المسلمين العسكرية، في داخل الجزيرة وأرجائها النائية. وحصل بذلك المسلمون على مكاسب سياسية كبيرة بما لم يكونوا يحصلون عليها لو وقع هناك اصطدام بين الجيشين.

\* وجاء إلى النبي ﷺ صاحب أيلة، فصالحه وأعطاه الجزية، وأتاه أهل جربا، وأذرح، فأعطوه الجزية، وكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً، فهو عندهم، وكتب لصاحب أيلة: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا أمانة من الله، ومحمد النبي رسول الله ليُحْتَنَ بن رؤبة، وأهل أيلة، سفنهم، وسيارتهم في البر والبحر، لهم ذمة الله، ومحمد النبي، ومن كان معهم من أهل الشام، وأهل اليمن، وأهل البحر، فمن أحدث منهم حدثاً، فإنه لا يحول ماله دون نفسه، وإنه لمن أخذه من الناس، وإنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه، ولا طريقاً يردونه من بحر أو بر (١). (٢)

### لقد أعطيت الليلة خمساً ما أعطيهن أحد قبلي

\* عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: (أن رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك قام من الليل يصلي، فاجتمع وراءه رجال من أصحابه يحرسونه حتى إذا صلى، وانصرف إليهم، فقال لهم: (لقد أعطيت الليلة خمساً ما أعطيهن أحد قبلي، أما أنا، فأرسلت إلى الناس كلهم عامة وكان من قبلي إنما يرسل إلى قومه، ونصرت على العدو بالرعب، ولو كان بيني وبينهم مسيرة شهر للميء منه رعباً، وأحلت لي الغنائم أكلها، وكان من قبلي يعظمون أكلها كانوا يحرقونها، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً أينما أدركتني الصلاة تمسحت وصليت، وكان من قبلي يعظمون ذلك، إنما كانوا يصلون في كنائسهم ويبيعهم، والخامسة هي ما هي؟ قيل لي: سل، فإن كان نبي قد سأل، فأخرت مسألتى إلى يوم القيامة فهي لكم، ولن شهد أن لا إله إلا الله) (٣).

(١) ابن هشام (٢/٥٢٥، ٥٢٦).

(٢) زاد المعاد (٣/٥٣٧).

(٣) أخرجه أحمد في المسند: (٢/٢٢٢) وقال الهيثمي في المجمع: رواه أحمد، ورجاله ثقات كما جاء في الفتح الرباني: (٢١/٢٠٠).

### النبي ﷺ يرسل خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة

قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة، وهو أكيدر بن عبد الملك، رجل من كندة، وكان نصرانياً، وكان ملكاً عليها، فقال رسول الله ﷺ لخالد: «إنك ستجده يصيد البقر»، فخرج خالد حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين، وفي ليلة مقمرة صافية، وهو على سطح له، ومعه امرأته، فباتت البقر تحك بقرونها باب القصر، فقالت له امرأته: هل رأيت مثل هذا قط؟ قال: لا والله. قالت: فمن يترك هذه؟ قال: لا أحد، فنزل، فأمر بفرسه، فأسرج له، وركب معه نفر من أهل بيته فيهم أخ له يقال له: حسان، فركب وخرجوا معه بمطاردهم، فلما خرجوا، تلقتهم خيل رسول الله ﷺ، فأخذته، وقتلوا أخاه، وقد كان عليه قباء من ديباج مخوض بالذهب، فاستلبه خالد، فبعث به إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه عليه، ثم إن خالداً قدم بأكيدر على رسول الله ﷺ، فحقت له دمه، وصالحه على الجزية؛ ثم خلى سبيله، فرجع إلى قريته<sup>(١)</sup>.

\* عن أنس - رضي الله عنه - قال: «إن أكيدر دومة الجندل أهدى لرسول الله ﷺ حلة من سندس، فعجب الناس منها، فقال: (والذي نفس محمد بيده، إن مناديل سعد ابن معاذ في الجنة أحسن من هذا)<sup>(٢)</sup>».

### يا ليتنى كنت صاحب الحضرة

\* عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أنه كان يحدث قال: (قمت من جوف الليل، وأنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فرأيت شعلة من نار في ناحية العسكر، فاتبعتها أنظر إليها.

قال: فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، وإذا عبد الله ذو البجادين قد مات، وإذا هم قد حفروا له، ورسول الله ﷺ في حضرته، وأبو بكر وعمر يدلانيه، وإذا هو يقول: (أدنيا إلى أخاكما) فدلياه إليه، فلما هياها لشقه، قال: (اللهم إني كنت قد أمسيت راضياً عنه فارض عنه). قال: يقول ابن مسعود: يا ليتنى كنت صاحب الحفرة<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن هشام (٢/٥٢٦)، وابن كثير (٤/٣٠، ٣١)، وزاد المعاد (٣/٥٣٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٦٩) فضائل الصحابة، وأحمد (٣/١١١).

(٣) أخرجه ابن منده من طريق سعيد بن الصلت عن الأعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود كما قال الحافظ =

قال ابن هشام: وإنما سُمى ذو البجادين لأنه كان يريد الإسلام، فمنعه قومه، وضيقوا عليه، حتى خرج من بينهم، وليس عليه إلا بجداد، وهو الكساء الغليظ، فشقه باثنين فاتزر بواحدة وارتدى بالأخرى، ثم أتى رسول الله ﷺ فسمى ذو البجادين<sup>(١)</sup>.

### النبي ﷺ يرسل إلى قيصر الروم

\* عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (من ينطلق بصحيفتي هذه إلى قيصر وله الجنة)، فقال رجل من القوم: وإن لم يُقتل؟ قال: وإن لم يقتل، فانطلق الرجل به فوافق قيصر، وهو يأتي بيت المقدس قد جعل له بساط لا يمشى عليه غيره، فرمى بالكتاب على البساط وتنحى.

فلما انتهى قيصر إلى الكتاب أخذه ثم دعا رأس الجاثليق<sup>(٢)</sup> وأقرأه فقال: ما علمي في هذا الكتاب إلى كعلمك - فنادى قيصر: من صاحب الكتاب؟ فهو آمن، فجاء الرجل فقال: إذا قدمت فأنتى فلما قدم أتاه فأمر قيصر بأبواب قصره، فغلقت ثم أمر منادياً فنادى: ألا إن قيصر تبع محمداً وترك النصرانية.

فأقبل جنده وقد تسلحوا حتى أطافوا بقصره. فقال لرسول الله ﷺ: قد ترى أنى خائف على مملكتي، ثم أمر منادياً فنادى: ألا إن قيصر قد رضى عنكم، وإنما اختبركم لينظر كيف صبركم على دينكم فارجعوا، فانصرفوا.

وكتب قيصر إلى رسول الله ﷺ: إني مسلم وبعث إليه بدنانير فقال رسول الله ﷺ: حين قرأ الكتاب: (كذب عدو الله، ليس بمسلم وهو على النصرانية)، وقسم الدنانير<sup>(٣)</sup>. وأورد الإمام أحمد<sup>(٤)</sup> مرويات تشير إلى حصول مراسلة بين النبي ﷺ - وهو في

= في الإصابة (٣٣٠/٢) ترجمة رقم (٤٨٠) ونسبه الحافظ أيضاً إلى البغوى وأعله بالانقطاع. قلت:

وسند ابن منده جيد، وقد أخرجه أيضاً ابن إسحاق عن محمد بن إبراهيم التيمي عن ابن مسعود إلا أن محمد بن إبراهيم لم يسمع من ابن مسعود (٢/٥٢٧ - ٥٢٨) سيرة ابن هشام.

(١) ابن كثير في السيرة (٤/٢٣)، سيرة ابن هشام (٢/٥٢٨).

(٢) الجاثليق: مقدم الأساقفة عند النصارى.

(٣) أخرجه ابن حبان كما في موارد الظمان حديث رقم (١٦٢٨) وسنده صحيح.

(٤) أحمد - المسند (١/٢٠٣، ٣/٤٤٢، ٤/٧٤، ٥/٢٩٢)، بإسناد فيه سعيد بن أبي راشد وهو مقبول وقد تفرد به. وقال ابن كثير عن ذلك: هذا حديث غريب، وإسناده لا بأس به، تفرد به الإمام أحمد. (البداية والنهاية ٥/١٩).

تبوك - وبين هرقل ملك الروم، وأن الأخير أرسل رسولا من قبيلة تنوخ العربية ليتعرف له على بعض علامات النبوة عند النبي ﷺ<sup>(١)</sup>.

### مدة إقامة النبي ﷺ بتبوك

\* عن جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - قال: (أقام رسول الله ﷺ بتبوك عشرين يوماً يقتصر الصلاة)<sup>(٢)</sup>.

### عاقبة الاستهزاء بدين الله (عز وجل) وبرسوله ﷺ

\* عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال: (قال رجل فى غزو تبوك فى مجلس يوماً ما رأينا مثل قرأتنا هؤلاء، لا أرغب بطوننا، ولا أكذب ألسنة، ولا أجبين عند اللقاء. فقال رجل فى المجلس: كذبت، ولكنك منافق... لأخبرن رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، ونزل القرآن. قال عبد الله: فأنا رأيت متعلقاً بحقب ناقة رسول الله ﷺ. والحجارة تنكبه وهو يقول: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، والنبي ﷺ يقول: ﴿أبِاللَّهِ وَأَيَّاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾<sup>(٣)</sup> [التوبة: ٦٥].

\* عن كعب بن مالك - رضى الله عنه - قال: (قال معشى بن حمير لوددت أنى

(١) كان دحية الكلبي قد حمل رسالة النبي ﷺ إلى هرقل فى أول السنة السابعة من الهجرة، فإذا صح هذا الخبر، فإن إرسال دحية الكلبي يكون للمرة الثانية، وقد أورد الإمام أحمد تفصيلات عن وصول الرجل التنوخى إلى تبوك وأن النبي ﷺ عرض عليه الإسلام فامتنع بحجة أنه مكلف برسالة هرقل، ونقل التنوخى عن النبي ذكره لكتبه التى أرسلها إلى الملوك وكيف رد النبي ﷺ على سؤال هرقل عن رسالته قال: «تدعونى إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، فأين النار؟» فقال النبي ﷺ: «سبحان الله أين الليل إذا جاء النهار؟» كما ذكر الرجل التنوخى اعتذار النبي ﷺ له بأنهم فى سفر وإلا لمنحه جائزة، وأن عثمان بن عفان قدم الجائزة نيابة عن النبي ﷺ وهى «حلة صفورية». ويذكر التنوخى بعد ذلك بأن النبي ﷺ قد أنزله ضيفاً على أحد أصحابه من الأنصار، فلما قام من المجلس ناداه الرسول ﷺ، فلما وصل التنوخى إليه حل النبي ﷺ حبوته عن ظهره وقال: «ههنا إمض كما أمرت له»، قال التنوخى: فجلت فى ظهره فإذا أنا بخاتم النبوة فى موضع غضون الكتف مثل الحجمة الضخمة» أحمد - (المستند ٤٤٢/٣).

(٢) رواه أحمد وابن حبان ورجاله ثقات وصححه النووى على شرطهما وابن حزم وابن حبان.

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى التفسير (٦٣/٤) ورجاله رجال الصحيح إلا هشام بن سعد فلم يخرج له مسلم إلا فى الشواهد، والطبرى فى التفسير (١٧٢/١٠) وعزاه السيوطى فى الدر المنثور (٢٥٤/٣) إلى ابن أبى حاتم وابن جرير وأبى الشيخ وابن مردويه، وله شاهد حسن من حديث كعب.

أقاضى على أن يضرب كل رجل منكم مائة على أن ينجو من أن ينزل فينا قرآن، فقال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر: (أدرك القوم، فإنهم قد احترقوا، فسلهم عما قالوا: فإن هم أنكروا وكنتموا فقل بلى: قد قلمت كذا وكذا).

فأدركهم فقال لهم، فجاءوا يعتذرون، فأنزل الله ﷻ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نَعَفَ عن طائفة منكم ﷻ [التوبة: ٦٦] فكان الذي عفا الله عنه محشى بن حمير، فتسمى عبد الرحمن وسأل الله أن يُقتل شهيداً، وألا يُعلم بمقتله، فقتل باليمامة لا يُعلم مقتله، ولا من قتله، ولا يرى له أثر ولا عين»<sup>(١)</sup>.

### محاولة اغتيال النبي ﷺ

وحاول جماعة من المنافقين المشاركين في الجيش وهم ملثمون حتى لا يُعرفوا أن ينفروا بدابة النبي ﷺ لتطرحه من رأس عقبة في الطريق مع عتمة الليل، فعلم بمؤامرتهم وفطن لهم وأمر بإبعادهم بعد أن عصمه الله تعالى من أذاهم<sup>(٢)</sup>.

\* عن أبي الطفيل - رضى الله عنه - قال: «لما أقبل رسول الله ﷺ من غزو تبوك أمر منادياً فنادى: (إن رسول الله آخذ بالعقبة فلا يأخذها أحد)، فبينما رسول الله ﷺ يقوده حذيفة ويسوقه عمار، إذ أقبل رهط ملثمون على الرواحل، فغشوا عماراً، وهو يسوق برسول الله ﷺ، وأقبل عمار يضرب وجوه الرواحل، فقال رسول الله ﷺ لحذيفة (قد قد).

حتى هبط رسول الله ﷺ من الوادي، فلما هبط ورجع عمار قال: (يا عمار هل عرفت القوم؟) قال: قد عرفت عامة الرواحل، والقوم ملثمون، فقال: (هل تدري ما أرادوا؟). قال: الله ورسوله أعلم. قال: (أرادوا أن ينفروا برسول الله فيطرحوه).

قال: فسأل عمار رجلاً من أصحاب النبي ﷺ فقال: نشدتك بالله كم تعلم كان أصحاب العقبة؟ قال: أربعة عشر رجلاً. فقال: إن كنت فيهم فقد كانوا خمسة عشر.

قال: فعذر رسول الله ﷺ منهم ثلاثة قالوا: ما سمعنا منادى رسول الله ﷺ، وما

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٤/٤) وسنده حسن، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/٢٥٤) إلى ابن إسحاق وابن المنذر وابن أبي عمير.

(٢) أحمد في المسند (٥/٣٩٠)، البيهقي في السنن (٩/٣٢).



علمنا ما أراد القوم، فقال عمار: أشهد أن الاثنى عشر الباقيين حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد»<sup>(١)</sup>.

### النبي ﷺ يخبر حذيفة بأسماء المنافقين

\* عن علقمة قال: «قدمت الشام فصليت ركعتين، ثم قلت: اللهم يسر لي جليساً صالحاً، فأتيت قوماً فجلست إليهم، فإذا شيخ قد جاء حتى جلس إلى جنبي، قلت: من هذا؟ قالوا: أبو الدرداء فقلت: إني دعوت الله أن يسر لي جليساً صالحاً، فيسر لي. قال: ممن أنت؟ قلت: من أهل الكوفة. قال: أوليس عندكم ابن أم عبد صاحب النعلين والوساد والمطهرة؟ - يعني ابن مسعود - أوليس فيكم الذي أجاره الله من الشيطان، يعني على لسان نبيه ﷺ؟ - يعني عمار بن ياسر - أوليس فيكم صاحب سر النبي ﷺ الذي لا يعلم أحد غيره؟ - يعني حذيفة - ثم قال: كيف يقرأ عبد الله ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ [الليل: ١] فقرأت عليه ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ [الليل: ١-٣] قال: والله لقد أقرأنيها رسول الله ﷺ من فيه إلى في»<sup>(٢)</sup>.

### استقبال حافل

ولما أشرف النبي ﷺ على المدينة قال: «هذه طابة وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه»<sup>(٣)</sup>. ولما اقترب الجيش الإسلامي من المدينة خرج الصبيان إلى ثنية الوداع لاستقباله، ومعهم النساء والولائد وهم يرددون<sup>(٤)</sup>:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع  
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

كان أول ما فعله النبي ﷺ عند دخول المدينة أن صلى في مسجده الشريف ركعتين، ثم جلس للناس فجاءه المنافقون المتخلفون عن الغزوة فاعتذروا بشتى الأعذار فقبل منهم علانيتهم واستغفر لهم ووكّل سرائرهم إلى الله تعالى<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه في المسند (٤٥٣/٥) ورجاله ثقات، قال الهيثمي في المجمع (١٩٥/٦) رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٤٢، ٣٧٤٣) فضائل الصحابة.

(٣) أخرجه البخاري (٧٣١/٧) المغازي، ومسلم (١٣٩/٩) الحج.

(٤) أورد ذلك الحافظ ابن حجر في فتح الباري عند شرح الحديثين (٤٤٢٦ - ٤٤٢٧).

(٥) البخاري - الصحيح (فتح الباري - الحديث ٤٤١٨)، ومسلم (٢١٢٣/٤) حديث (٢٧٦٩).

## موقف النبي ﷺ من المنافقين

وقد أصبح الموقف جدياً من المنافقين بعد الرجوع من غزوة تبوك، فقد امتنع النبي ﷺ عن الصلاة في مسجد الضرار الذي كانوا بنوه قبل الغزوة، وأمر بتحريقه<sup>(١)</sup>، كما امتنع عن الصلاة على أمواتهم فقد منعه الله من ذلك فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤].

وقد نهى الله تعالى عن قبول أعذار المنافقين، فقال في محكم التنزيل: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهَ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسِيرَى اللَّهُ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تَرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ٩٤].

وقد أمر الله تعالى بعدم تصديقهم وبالإعراض عنهم ووصفهم بأنهم رجس فقال تعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعَرِّضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَا وَهُمْ مِنْكُمْ جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٩٥] يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن رضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ﴿[التوبة: ٩٥-٩٦]﴾<sup>(٢)</sup>.

## أثر هذه الغزوة

لقد كان لهذه الغزوة أثر عظيم في سكان شبه الجزيرة لا يقل روعة وجلالاً عن أثر فتح مكة ولئن كان فتح مكة قد نبه العرب إلى حقيقته كانت غائبة عن عقولهم وهي إدراك الحق الذي بُعث به محمد ﷺ فقد كانت غزوة تبوك داعية لهم لأن يسرعوا بالدخول في هذا الحق الذي دعاهم إليه.

إن خروج المسلمين بجيش ضخم بلغ تعداد جنوده ثلاثين ألفاً فيهم عشرة آلاف فارس أمر لم تعرفه العرب من قبل في بلادها، أما وقد استطاع المسلمون تجميع هذا الجيش فهم ولاشك قادرون على أن يفعلوا ما عجز عنه غيرهم وتحريك هذا الجيش من المدينة إلى تبوك وهي مسافة هائلة تبلغ قرابة ستمائة ميل وفي وقت عسرة وجدب وفي

(١) تفسير الطبري (١١/٢٣ - ٢٤).

(٢) نضرة النعيم (١/٣٩٤).

ذلك النظام وتلك الدقة دليل على عظمة القيادة وجزمها وخبرتها العسكرية الواسعة بشؤون الحرب، وعلى حسن تدريب الجنود وعظيم طاعتهم.

ولقد كان فرار الروم وهم البادئون - وهم في بلادهم، ولجوؤهم إلى التحصن داخل البلاد حتى لا يدركهم المسلمون أعظم دليل على قوة المسلمين التي لا يستطيع أحد الوقوف أمامها، فهؤلاء الروم هم الذين هزموا الفرس وأخرجوهم من جنوب الجزيرة واستردوا منهم الصليب المقدس وأعادوه إلى القدس في احتفال رائع... هؤلاء هم الذين فروا وانسحبوا من الميدان عندما واجهوا المسلمين، أفلا يكون ذلك دليلاً على قوة المسلمين وقدرتهم على مواجهة أى عدو يهددهم. هذه الأمور مجتمعة حركت نفوس سكان شبه الجزيرة نحو الإسلام<sup>(١)</sup>.

### الثلاثة الذين خلفوا

\* عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فِي غَزْوَةِ غَزَاهَا قَطُّ إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي قَدْ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَلَمْ يُعَاتَبْ أَحَدٌ تَخَلَّفَ عَنْهُ، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ يُرِيدُونَ عِيرَ قُرَيْشٍ، حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ. وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ (٢) حِينَ تَوَاقَفْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ (٣).

وَمَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا (٤).

وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله ﷺ، في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة، والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة، فغزاها رسول الله ﷺ في حرٍّ شديدٍ، وأستقبل سفيراً

(١) تأملات في السيرة النبوية لمحمد السيد الوكيل (٢٨٩) دار المجتمع.

(٢) ليلة العقبة: الليلة التي بايع رسول الله الأنصار فيها على الإسلام. وأن يؤوه وينصروه، والعقبة هي التي في طرف منى التي يضاف إليها جمره العقبة. وكانت مرتين في سنتين.

(٣) تواقفنا على الإسلام: تبايعنا عليه وتعاهدنا.

(٤) وإن كانت بدر أذكروا: أي أشهر عند الناس.

بَعِيدًا وَمَفَازًا<sup>(١)</sup>. وَأَسْتَقْبَلَ عَدُوًّا كَثِيرًا، فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ<sup>(٢)</sup> لِيَتَأَهَّبُوا أَهْبَةَ غَزْوِهِمْ<sup>(٣)</sup> فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِمُ الَّذِي يُرِيدُ، وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَثِيرٌ وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ (يُرِيدُ بِذَلِكَ الدِّيَّانَ).

قَالَ كَعْبٌ: فَقَلَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلَّا ظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ سَيَخْفِي بِهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ فِيهِ وَحَىٰ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَغَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثَّمَارُ وَالظَّلَالُ، فَأَنَا إِلَيْهَا أَصْعَرُ<sup>(٤)</sup>، فَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَفْضُ شَيْئًا، وَأَقُولُ فِي نَفْسِي: أَنَا قَادِرٌ عَلَىٰ ذَلِكَ إِذَا أَرَدْتُ.

فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتِمَادِي بِي حَتَّى اسْتَمَرَّ بِالنَّاسِ الْجِدُّ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَادِيًا وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَلَمْ أَفْضُ مِنْ جِهَازِي شَيْئًا، ثُمَّ غَدَوْتُ فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَفْضُ شَيْئًا، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتِمَادِي بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ<sup>(٥)</sup>، فَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ، فَيَا لَيْتَنِي فَعَلْتُ، ثُمَّ لَمْ يَقْدِرْ ذَلِكَ لِي.

فَطَفِقْتُ، إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُحْزِنُنِي أَنِّي لَا أَرَىٰ لِي أُسُوءَةً، إِلَّا رَجُلًا مَعْمُوصًا عَلَيْهِ فِي النَّفَاقِ، أَوْ رَجُلًا مَمَّنَّ عَدَرَ اللَّهُ تَعَالَىٰ مِنَ الضُّعَفَاءِ، وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ، فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ تَبُوكَ: «مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ؟» فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ حَبَسَهُ بُرْدَاهُ، وَالنَّظْرُ فِي عَطْفِيهِ<sup>(٦)</sup>.

فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بَسَّ مَا قُلْتَ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلَّمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَىٰ ذَلِكَ رَأَىٰ رَجُلًا مَبِيضًا<sup>(٧)</sup> يَزُولُ بِهِ

(١) مفازا: برية طويلة قليلة الماء يخاف فيها من الهلاك.

(٢) فجلى للمسلمين أمرهم: كشف وبينه وأوضحه.

(٣) ليتأهبوا أهبة غزوهم: يسعوا له بما يحتاجون من زاد.

(٤) أصعر: أميل.

(٥) تفارط الغزو: تقدم الغزاة وسبقوا وفاتوا.

(٦) والنظر في عطفه: أي جانبه وهو إشارة إلى إعجابه بنفسه ولباسه.

(٧) مبيضا: لابس البياض.

السَّرَابُ<sup>(١)</sup>، فقال رسولُ الله ﷺ: «كُنْ أَبَا حَيْثِمَةَ» فَإِذَا هُوَ أَبُو حَيْثِمَةَ الْأَنْصَارِيُّ وَهُوَ الَّذِي تَصَدَّقَ بِصَاعِ التَّمْرِ حِينَ لَمَزَهُ<sup>(٢)</sup> الْمَنَافِقُونَ.

قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ تَوَجَّهَ قَافِلًا<sup>(٣)</sup> مِنْ تَبُوكَ حَضَرَنِي بَنِي<sup>(٤)</sup>، فَطَفَقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكُذْبَ وَأَقُولُ: بِمِ أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا؟. وَأَسْتَعِينُ عَلَيَّ ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي، فَلَمَّا قِيلَ لِي: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا<sup>(٥)</sup> زَاحَ<sup>(٦)</sup> عَنِّي الْبَاطِلُ حَتَّى عَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَنْجُو مِنْهُ بِشَيْءٍ أَبَدًا فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ<sup>(٧)</sup>.

وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَادِمًا، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَرَكَعَ فِيهِ رَكَعَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ فَطَفَقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بَضْعًا وَثَمَانِينَ رَجُلًا فَقَبِلَ مِنْهُمْ عَلَانِيَتَهُمْ وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى... حَتَّى جِئْتُ.

فَلَمَّا سَلَّمْتُ، تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ ثُمَّ قَالَ: «تَعَالَ»، فَجِئْتُ أُمْسِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: «مَا خَلَّفَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنِّي سَآخِرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بَعْدُ، لَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا<sup>(٨)</sup>، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَثْنَ حَدِيثِكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذْبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لِيُوشِكَنَّ<sup>(٩)</sup> اللَّهُ أَنْ يُسَخِّطَكَ عَلَيَّ، وَلَثْنُ حَدِيثِكَ حَدِيثٌ صَدَقَ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ<sup>(١٠)</sup>» إِنِّي

(١) يزول به السراب: يتحرك وينهض، والسراب هو ما يظهر للإنسان في الهواجر في البراري كأنه ماء.

(٢) لمزه المنافقون: عابوه واحتقروه.

(٣) توجه قافلاً: راجعاً.

(٤) حضرني بنى: حزني.

(٥) أظل قادمًا: أقبل ودنا قدمه كأنه ألقى عليّ ظله.

(٦) زاح: زال.

(٧) أجمعت صدقه: عزمت على صدقه.

(٨) أعطيت جدلاً: فصاحة وقوة في الكلام وبراعة، بحيث أخرج عن عهده ما ينسب إلى إذا أردت.

(٩) ليوشكن: ليسر عن.

(١٠) تجد عليّ فيه: تغضب.

لَأَرْجُو فِيهِ عُقْبَى اللَّهِ<sup>(١)</sup> عَزَّ وَجَلَّ... وَاللَّهُ مَا كَانَ لِي مِنْ عُدْرٍ، وَاللَّهُ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرُ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَمَنْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ» فَمُتُّ، وَثَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ فَاتَّبَعُونِي، فَقَالُوا لِي: وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَاكَ أَذْنِبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، لَقَدْ عَجَزْتَ فِي أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ الْمُخَلَّفُونَ فَقَدْ كَانَ كَافِيكَ ذَنْبِكَ اسْتَغْفَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَكَ.

قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا يُؤْنِبُونِي<sup>(٢)</sup> حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأُكْذِبَ نَفْسِي.

قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِيَ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالُوا: نَعَمْ لَقِيَهُ مَعَكَ رَجُلَانِ قَالَا مِثْلَ مَا قُلْتُ، وَقِيلَ لَهُمَا مِثْلُ مَا قِيلَ لَكَ، قَالَ قُلْتُ: مَنْ هُمَا؟ قَالُوا: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَامِرِيُّ، وَهَلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ؟ قَالَ: فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا فِيهِمَا أُسُوءَ. قَالَ: فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي.

قَالَ: وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، قَالَ: فَاجْتَنَبْنَا النَّاسَ أَوْ قَالَ: تَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرْتُ لِي فِي نَفْسِي الْأَرْضُ، فَمَا هِيَ بِالْأَرْضِ الَّتِي أَعْرَفُ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً. فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا<sup>(٣)</sup> وَقَعَدَا فِي بَيْتِهِمَا يَبْكِيَانِ وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ<sup>(٤)</sup>، فَكُنْتُ أَخْرَجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَسَلَّمُ عَلَيْهِ، وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَّكَ شَفْتَيْهِ بَرْدَ السَّلَامِ أَمْ لَا؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ وَأَسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي نَظَرَ إِلَيَّ، وَإِذَا التَّمْتُ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي.

(١) إني لأرجو عقبى الله: يعقبني خيراً ويثبني عليه.

(٢) يؤنبونني: يلومونني أشد اللوم.

(٣) استكانا: خضعا.

(٤) أشب القوم وأجلدهم: أى أصغرهم سناً وأقواهم.

حَتَّى إِذَا طَالَ ذَلِكَ عَلَيَّ مِنْ جَفْوَةِ الْمُسْلِمِينَ مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ (١) جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ (٢) هَلْ تَعَلَّمَنِي أَحَبُّ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ﷺ؟ قَالَ: فَسَكَتَ، فَعُدْتُ فَنَاشَدْتُهُ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ فَنَاشَدْتُهُ فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَفَاضَتْ عَيْنَايَ، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ.

فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي فِي سُوقِ الْمَدِينَةِ إِذَا نَبَطِيُّ مِنْ نَبَطِ أَهْلِ الشَّامِ (٣) مَمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَيَّ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ؟ قَالَ: فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ إِلَيَّ حَتَّى جَاءَنِي فَدَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ، وَكُنْتُ كَاتِبًا. فَقَرَأْتُهُ فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بَدَارَ هَوَانَ وَلَا مَضِيعَةً (٤)، فَالْحَقُّ بِنَا نُوَاسِكَ، قَالَ: فَقُلْتُ حِينَ قَرَأْتَهَا: وَهَذِهِ أَيْضًا مِنَ الْبَلَاءِ فَتَيَأَمْتُ (٥) بِهَا التَّنُورَ فَسَجَرْتُهَا (٦) بِهَا.

حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ مِنَ الْخَمْسِينَ وَاسْتَلْبِثَ الْوَحْيُ (٧) إِذَا رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَأْتِينِي، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزَلَ امْرَأَتَكَ، فَقُلْتُ: أُطَلِّقُهَا أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟ قَالَ: لَا بَلَّ اعْتَزَلِهَا فَلَا تَقْرَبْنَهَا.

قَالَ: وَأَرْسَلَ إِلَيَّ صَاحِبِي بِمِثْلِ ذَلِكَ. قَالَ: فَقُلْتُ لَامْرَأَتِي: الْحَقِي بِأَهْلِكَ فَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ.

قَالَ: فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ هَلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ؟ قَالَ: «لَا، وَلَكِنْ لَا يَقْرَبَنَّكَ».

(١) حتى تسورت: علوت وصعدت السور وهو أعلاه.

(٢) أنشدك بالله: أسألك بالله.

(٣) نبطي من أهل الشام: فلاحو العجم.

(٤) مضبعة: يعني أنك لست بأرض يضع فيها حقل.

(٥) فتيامت: قصدت.

(٦) فسجرتها: أحرقتها.

(٧) واستلبث الوحي: أبطأ.

فَقَالَتْ: إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا بِهِ مِنْ حَرَكَةٍ إِلَى شَيْءٍ، وَاللَّهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا.

قَالَ: فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي: لَوْ اسْتَأْذَنْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي امْرَأَتِكَ فَقَدْ أَذِنَ لَامْرَأَةِ هَلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ؟ فَقُلْتُ: لَا اسْتَأْذَنُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَمَا يُدْرِينِي مَاذَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ فَلَيْتُ بِذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ، فَكَمُلَ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَى عَنْ كَلَامِنَا.

قَالَ: ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صَبَاحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بَيْوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَّا - قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحِبَتْ - سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَيَّ سَلْعٌ<sup>(١)</sup> يَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ أَبْشِرْ، قَالَ: فَخَرَرْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ.

قَالَ: فَأَذِنَ<sup>(٢)</sup> رَسُولَ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ فَذَهَبَ النَّاسُ يُبْشِرُونَنَا، فَذَهَبَ قَبْلَ صَاحِبِي مُبْشِرُونَ، وَرَكَضَ رَجُلٌ إِلَيَّ فَرَسًا وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ قَبْلِي وَأَوْفَى عَلَيَّ الْجَبَلِ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبْشِرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبِي فَكَسَوْتُهُمَا إِيَّاهُ بِبِشَارَتِهِ وَاللَّهُ مَا أَمْلَكَ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعْرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا وَأَنْطَلَقْتُ أَنَا مُمْ<sup>(٣)</sup> رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَنْتَلِقَانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا<sup>(٤)</sup> يُهْتَوْنِي بِالتَّوْبَةِ وَيَقُولُونَ لِي: لَتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ.

حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَهْرُولٌ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَانِي، وَاللَّهُ مَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرَهُ.

قَالَ: فَكَانَ كَعْبٌ لَا يَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ.

(١) أوفى على سلع: صعده وارتفع عليه، وسلع: جبل بالمدينة معروف.

(٢) فأذن الناس: أى أعلمهم.

(٣) أنا مُم: أى أقصد.

(٤) فوجًا فوجًا: الجماعة.



قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ وَهُوَ يَبْرِقُ وَجْهَهُ مِنَ السَّرُورِ: «أَبَشِّرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُذْ وَلَدْتِكَ أُمَّكَ» فَقُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَا بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سَرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّ وَجْهَهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، قَالَ: وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ.

قَالَ: فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ (١) مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ» قَالَ: فَقُلْتُ: إِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْرٍ. وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا أَنْجَانِي بِالصَّدَقِ، وَإِنْ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيْتُ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ (٢) اللَّهُ تَعَالَى فِي صَدَقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي اللَّهُ بِهِ، وَاللَّهِ مَا تَعَمَّدْتُ كَذِبَةً مُنْذُ قُلْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ تَعَالَى فِيمَا بَقِيَ.

قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَعُوفٌ رَّحِيمٌ ١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ ﴿١١٨﴾ حَتَّى بَلَغَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٧ - ١١٩].

قَالَ كَعْبٌ: وَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ إِذْ هَدَانِي اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ لَا أَكُونَ كَذِبُهُ، فَأَهْلَكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَّبُوا... إِنْ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ لِلَّذِينَ كَذَّبُوا حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ شَرًّا مَا قَالَ لِأَحَدٍ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَا وَاهِمُ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ١٢٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لَتَرْضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١٢٥﴾ [التوبة: ٩٥، ٩٦].

(١) أنخلع من مالى: أتصدق.

(٢) أبلاه الله: أنعم عليه.

قال كعب: كُنَّا خُلْفَنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ عَنْ أَمْرٍ أَوْلَيْتَكَ الَّذِينَ قَبْلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ حَلَفُوا لَهُ، فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ بِذَلِكَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا﴾ [التوبة: ١١٨]. وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ مِمَّا خُلِفْنَا تَخْلُفْنَا عَنِ الْغَزْوِ، وَإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا<sup>(١)</sup> عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ<sup>(٢)</sup>.

### فوائد جلييلة

\* قال الإمام النووي رحمه الله: واعلم أن في حديث كعب هذا - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فوائد كثيرة.

أحداها: إباحة الغنيمة لهذه الأمة لقوله: خرجوا يريدون غير قريش.

الثانية: فضيلة أهل بدر وأهل العقبة.

الثالثة: جواز الحلف من غير استحلاف في غير الدعوى عند القاضي.

الرابعة: أنه ينبغي لأمر الجيش إذا أراد غزوة أن يورى بغيرها، لثلاث يسبقه الجواسيس ونحوهم، إلا إذا كانت سفرة بعيدة فيستحب أن يعرفهم البعد ليتأهبوا.

الخامسة: التأسف على ما فات من الخير، وتمنى المتأسف أنه كان فعله لقوله: «فيا ليتني فعلت».

السادسة: رد غيبة المسلم لقول معاذ: بئس ما قلت.

السابعة: فضيلة الصدق وملازمته وإن كان فيه مشقة، فإن عاقبته خير، وإن الصدق يهدى إلى البر، والبر يهدى إلى الجنة كما ثبت في الصحيح.

الثامنة: استحباب صلاة القادم من سفر ركعتين في مسجد محلته أول قدومه قبل كل شيء.

التاسعة: أنه يستحب للقادم من سفر إذا كان مشهوراً يقصده الناس للسلام عليه أن يقعد لهم في مجلس بارز هين الوصول إليه.

(١) إرجاؤنا أمرنا: تأخيره أمرنا.

(٢) أخرجه البخارى (٤٤١٨) المغازى - ومسلم (٢٧٦٩) التوبة.

العاشرة: الحكم بالظاهر والله يتولى السرائر، وقبول معاذير المنافقين ونحوهم ما لم يترتب على ذلك مفسدة.

الحادية عشر: استحباب هجران أهل البدع والمعاصي الظاهرة، وترك السلام عليهم، ومقاطعتهم، تحقيراً لهم وزجراً.

الثانية عشر: استحباب بكائه على نفسه إذا وقعت منه معصية.

الثالثة عشر: أن مسارقة النظر في الصلاة والالتفات لا يبطلها.

الرابعة عشر: أن السلام يسمى كلاماً، وأن من حلف لا يكلم إنساناً فسلم عليه أو رد عليه السلام يحث.

الخامسة عشر: وجوب إثارة طاعة الله ورسوله ﷺ على مودة الصديق والقريب وغيرهما، كما فعل أبو قتادة حين سلم عليه كعب فلم يرد عليه، حين نهى عن كلامه.

السادسة عشر: أنه إذا حلف لا يكلم إنساناً فتكلم ولم يقصد كلامه بل قصد غيره فسمع المحلوف عليه لم يحث الحالف لقوله: الله أعلم. فإنه محمول على أنه لم يقصد كلامه كما سبق.

السابعة عشر: جواز إحراق ورقة فيها ذكر الله تعالى لمصلحة، كما فعل عثمان والصحابة - رضى الله عنهم - بالمصاحف التي هي غير مصحفه الذي أجمعت الصحابة عليه، وكان ذلك صيانة فهي حاجة وموضع الدلالة من حديث كعب أنه أحرق الورقة وفيها لم يجعلك الله بدار هوان.

الثامنة عشر: إخفاء ما يخاف من إظهاره مفسدة وإتلاف.

التاسعة عشر: أن قوله لامرأته إلقى بأهلك ليس بصريح طلاق، ولا يقع به شيء إذا لم ينو.

العشرون: جواز خدمة المرأة زوجها برضاها، وذلك جائز له بالإجماع، فأما إلزامها بذلك فلا.

الحادية والعشرون: استحباب الكنايات في ألفاظ الاستمتاع بالنساء ونحوها.

الثانية والعشرون: الورع والاحتياط بمجانبة ما يخاف منه الوقوع في منهى عنه؛ لأنه لم يستأذن في خدمة امرأته له وعلل بأنه شاب أى لا يأمن موافقتها وقد نهى عنها.

الثالثة والعشرون: استحباب سجود الشكر عند تجدد نعمة ظاهرة أو اندفاع بلية ظاهرة، هو مذهب الشافعي وطائفة، وقال أبو حنيفة لا يشرع.

الرابعة والعشرون: استحباب التبشير بالخير.

الخامسة والعشرون: استحباب تهنئة من رزقه الله خيراً ظاهراً أو صرف عنه شراً ظاهراً.

السادسة والعشرون: استحباب إكرام المبشر بخلعة أو نحوها.

السابعة والعشرون: أنه يجوز تخصيص اليمين بالنية.

ودليله من هذا الحديث قوله في الثوبين والله ما أملك غيرهما، ثم قال بعده في ساعة إن من توبتى أن انخلع من مالى صدقة ثم قال: فإنى أمسك سهمى الذى بخير.

الثامنة والعشرون: جواز العارية.

التاسعة والعشرون: جواز استعارة الثياب للبس.

الثلاثون: استحباب اجتماع الناس عند إمامهم وكبيرهم فى الأمور المهمة من بشارة ومشورة وغيرهما.

الحادية والثلاثون: استحباب القيام للوارد إكراماً له إذا كان من أهل الفضل بأى نوع كان وقد جاءت به أحاديث جمعتها فى جزء مستقل بالترخيص فيه والجواب عما يظن به مخالفاً لذلك.

الثانية والثلاثون: استحباب المصافحة عند التلاقى وهى سنة بلا خلاف.

الثالثة والثلاثون: استحباب سرور الإمام وكبير القوم بما يسر أصحابه وأتباعه.

الرابعة والثلاثون: أنه يستحب لمن حصلت له نعمة ظاهرة أو اندفعت عنه كربة ظاهرة أن يتصدق بشيء صالح من ماله شكراً لله تعالى على إحسانه وقد ذكر أصحابنا أنه يستحب له سجود الشكر والصدقة جميعاً وقد اجتمعنا فى هذا الحديث.

الخامسة والثلاثون: أنه يستحب لمن خاف أنه لا يصبر على الإضاعة أن لا يتصدق بجميع ماله، بل ذلك مكروه له.

السادسة والثلاثون: أنه يستحب لمن رأى من يريد أن يتصدق بكل ماله ويخاف عليه أن لا يصبر على الإضاعة أن ينهاه عن ذلك، ويشير عليه ببعضه.

السابعة والثلاثون؛ أنه يستحب لمن تاب بسبب من الخير أن يحافظ على ذلك السبب، فهو أبلغ في تعظيم حرمة الله، كما فعل كعب في الصدق والله أعلم<sup>(١)</sup>.

\* وقال الإمام ابن القيم رحمه الله فيما اشتملت عليه قصة الثلاثة من الحكم والفوائد ما ملخصه:

- منها جواز مدح الإنسان نفسه بما فيه من الخير، إذا لم يكن على سبيل الفخر والترفع.

- ومنها أن الرجل إذا حضرت له فرصة القربة والطاعة فالحزم كل الحزم في انتهازها والمبادرة إليها، والعجز في تأخيرها والتسوية بها.

- ومنها معاتبة الإمام والمطاع أصحابه ومن يعز عليه ويكرم عليه، فإنه عاتب الثلاثة دون سائر من تخلف عنه وقد أكثر الناس من مدح عتاب الأجرة واستلذاذه والسرور به.

- ومنها توفيق الله لكعب وصاحبيه فيما جاءوا به من الصدق.

- وقد نهى النبي ﷺ عن كلام هؤلاء الثلاثة من بين سائر من تخلف عنه دليل على صدقهم وكذب الباقيين، فأراد هجر الصادقين وتأديبهم على هذا الذنب، وأما المنافقون فجرمهم أعظم من أن يقابل بالهجر.

- وفي أمر رسول الله ﷺ لهؤلاء الثلاثة أن يعتزلوا نساءهم لما مضى لهم أربعون ليلة كالبشارة بمقدمات الفرج والفتح من وجهين:

أحدهما: كلامه لهم وإرساله إليهم بعد أن كان لا يكلمهم بنفسه ولا برسوله.

الثاني: من خصوصية أمرهم باعتزال النساء، وفيه تنبيه وإرشاد لهم إلى الجهد والاجتهاد في العبادة، وشد المثزر، واعتزال محل اللهو واللذة والتعوض عنه بالإقبال على العبادة وفي هذا إيذان بقرب الفرج وأنه قد بقي من العتب أمر يسير.

وفقه هذه القصة أن زمن العبادات ينبغي فيه تجنب النساء، كزمن الإحرام، وزمن الاعتاف، وزمن الصيام؛ ولم يأمرهم بذلك في بداية المدة رحمة بهم.

- وفيه دليل على أن خير أيام العبد على الإطلاق وأفضلها يوم توبته إلى الله، وقبول

(١) مسلم بشرح النووي (١٧/١٠٠ - ١٠٢) بتصرف.

الله توبته، لقول النبي ﷺ: «أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك»<sup>(١)</sup>.

\* وقال الحافظ رحمه الله: وفيها عظم أمر المعصية، وقد نبه الحسن البصرى على ذلك فيما أخرجه ابن أبي حاتم عنه قال: يا سبحان الله ما أكل هؤلاء الثلاثة مالا حراماً، ولا سفكوا دمًا حراماً، ولا أفسدوا فى الأرض، أصابهم ما سمعتم وضائق عليهم الأرض بما رحبت، فكيف بمن يواقع الفواحش والكبائر.

- وفيها أن القوى فى الدين يؤاخذ بأشد مما يؤاخذ الضعيف.

- وفيها ترك السلام على من أذنب وجواز هجره أكثر من ثلاث وأما النهى عن الهجر فوق الثلاث فمحمول على من لم يكن هجرانه شرعياً<sup>(٢)</sup>.

### موت رأس المنافقين

وبعد عودة النبي ﷺ من غزوة تبوك توفى رأس المنافقين - عبد الله بن أبى بن سلول -.

### النبي ﷺ يعود فى مرضه

\* عن أسامة بن زيد رضى الله عنه قال: «دخلت مع رسول الله ﷺ على عبد الله بن أبى فى مرضه نعوده، فقال له النبي ﷺ: (قد كنت أنكأ من حب يهود)، فقال: عبد الله: «فقد بغضهم أسعد بن زرارة فمه»<sup>(٣)</sup>.

وجاء فى لفظ أبى داود زيادة: «فلما مات أتاه ابنه فقال: يا رسول الله إن عبد الله بن أبى قد مات، فأعطني قميصك أكفنه فيه، فنزع رسول الله ﷺ قميصه فأعطاه إياه»<sup>(٤)</sup>.

\*\*\*

(١) باختصار من زاد المعاد (٣/٥٧٣ - ٥٩٢).

(٢) باختصار من فتح البارى (٧/٧٢٩ - ٣٩٠) - نقلاً من وقفات تربوية.

(٣) فمه: يعنى أنه يريد القول أن أسعد بن زرارة قد أبغض يهود فما دفع عنه بغضهم (الموت)، وكان يريد أنه لا يضر حبه، ولا ينفع بغضهم، ولو نفع بغضهم لما مات أسعد بن زرارة، وهذا من قلة فهمه وقصور نظره على أن الضرر والنفع هو الموت أو الخلاص منه.

(٤) رواه أبو داود (٣٠٩٤)، والحاكم (١/٣٤١)، وصححه ووافقه الذهبى.

### لماذا كساه النبي ﷺ بقميصه؟

\* عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: «لما كان العباس بن عبد المطلب بالمدينة، طلبت الأنصار ثوباً يكسونه، فلم يجدوا قميصاً يصلح عليه إلا قميص عبد الله ابن أبي فكسوه إياه»<sup>(١)</sup>.

وفى لفظ آخر «لما كان يوم بدر أتى بالعباس ولم يكن عليه ثوب، فنظر النبي ﷺ له قميصاً، فوجدوا قميص عبد الله بن أبي يقدر عليه، فكساه النبي ﷺ إياه، فلذلك نزع النبي ﷺ قميصه الذى ألبسه».

قال ابن عيينة: كانت له عند النبي ﷺ يد، فأحب أن يكافئه.

### وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين

وعلى الرغم من العداوة الذى وجده النبي ﷺ من رأس المنافقين إلا أنه لما علم بموته ذهب إلى قبره فأخرجه ونفث فيه من ريقه وألبسه قميصه.. وليس هذا الأمر بغريب ولا عجيب، فإن النبي ﷺ هو الحبيب الذى أرسله الله رحمة للعالمين.

\* عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: «أتى النبي ﷺ عبد الله بن أبي بعدما دُفن، فأخرجه فنفث فيه من ريقه، وألبسه قميصه»<sup>(٢)</sup>.

### ولا تصلّ على أحد منهم مات أبداً

\* عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: «لما توفى عبد الله بن أبي ابن سلول، جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلى عليه، فقام رسول الله ﷺ ليصلى عليه.

فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ. فقال: يا رسول الله! تصلى عليه وقد نهاك الله أن تصلى عليه؟ فقال رسول الله ﷺ: (إنما خيرنى الله فقال: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠]، وسأزيده على سبعين) قال

(١) أخرجه البخارى (٣٠٠٨) الجهاد.

(٢) أخرجه البخارى (١٢٧٠) الجنائز - ومسلم (٢٧٧٣) صفات المنافقين.

(عمر): إنه منافق، فصلى عليه رسول الله ﷺ ، فأُنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَا تَأْتِيهِ قَبْرُهُ وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾ [التوبة: ٨٤] (١).

### ترسيخ حكم الإسلام

حققت غزوة تبوك، رغم خلوها من المعارك، أهدافها في ترصين وترسيخ حكم الإسلام الذي امتد من خلالها ومن جراء ما ارتبط بها من اتفاقات ونتائج ليشمل الأطراف الشمالية من شبه جزيرة العرب وليضع المسلمين على أعتاب الفتوحات، ومهدت بذلك للفتوحات في كلٍّ من العراق وبلاد الشام على حدٍّ سواء، ومع أن جيش أسامة ابن زيد لم يُقدَّر له أن يتحرك نحو الحدود الشمالية إلا في أيام خلافة أبي بكر - رضى الله عنه - فإن قيام الرسول ﷺ بالأمر بتجهيزه وتحديد وجهته قبيل وفاته كان مؤشراً واضحاً لوجهة نشر الدعوة وحرارة الفتوحات الإسلامية.

### توحيد الجزيرة العربية تحت حكم رسول الله ﷺ

تأثر موقف القبائل العربية من الرسول والدعوة الإسلامية بمؤثرات متداخلة، كان من أبرزها موقف قريش وأحلافها، ولعل بعضها كان يحسب لبني الأصغر - الروم - حساباً، وخاصة تلك القبائل التي سكنت في أطراف الجزيرة الشمالية قريباً من تخوم الروم، فلما كان فتح مكة وما تبع ذلك من إسلام قريش وكسر شوكة هوازن في موقعة حنين، وإذلال ثقيف ومحاصرتها سقط الحاجز الأساسي الأول فبادر كل قوم بإسلامهم، ثم كانت غزوة تبوك وامتداد سلطان المسلمين إلى خطوط التماس مع الروم وعقد المحالفات مع أيلة وأذرح وغيرهما، وتسوية الأمور مع دومة الجندل بالصلح، ثم مصالحة نصارى نجران في الأطراف الجنوبية على أن يدفعوا الجزية، فلم يعد أمام القبائل العربية إلا المبادرة الشاملة إلى اعتناق الإسلام والاتحاق بركب النبوة بالسمع والطاعة، ونظراً لكثرة وفود القبائل العربية التي قدمت إلى المدينة من أنحاء الجزيرة العربية بعد عودة النبي ﷺ من غزوة تبوك لتعلن إسلامها هي ومن وراءها، فقد سُمِّيَ العام التاسع للهجرة في المصادر الإسلامية بعام الوفود (٢).

\*\*\*

(١) أخرجه البخارى (١٢٦٩) الجناز - ومسلم (٢٧٧٤) صفات المنافقين.

(١) نضرة النعيم (١/٣٩٥ - ٣٩٦).



## عام الوفود

والوفود التي سردها أهل المغازي يزيد عددها على سبعين وفداً، ولا يمكن لنا استقصاءها، وليس كبير فائدة في بسط تفاصيلها، وإنما نذكر منها إجمالاً ما له روعة أو أهمية في التاريخ، وليكن على ذكر من القارئ أن وفادة عامة القبائل، وإن كانت بعد الفتح؛ ولكن هناك قبائل توافدت قبله أيضاً<sup>(١)</sup>.

### قدوم وفد ثقيف

كان أول الوفود قدوماً إلى النبي ﷺ بعد رجوعه من تبوك هو وفد قبيلة ثقيف. وقد سبق أن أشرنا إلى إسلام عروة بن مسعود الثقفي على يدى رسول الله ﷺ قبيل وصوله المدينة، عند عودته من مكة بعد الفتح، وذكرنا أن النبي ﷺ أمره أن يرجع إلى قومه بالإسلام، وقد فعل ذلك فأظهر لهم دينه، ودعاهم إلى الإسلام، غير أنهم اجتمعوا عليه فرموه بسهامهم وهو يؤذن في أعلى داره فقتلوه، ثم ائتمر زعماء ثقيف فيما بينهم فوجدوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من قبائل العرب وقد بايعت وأسلمت فأجمعوا على أن يرسلوا إلى النبي ﷺ وفداً<sup>(٢)</sup>.

\* فقدم وفدهم، وفيهم: كنانة بن عبد ياليل، وهو رأسهم يومئذ، وفيهم: عثمان بن أبي العاص، وهو أصغر الوفد، فقال المغيرة بن شعبة: يا رسول الله: أنزل قومي على فأكرمهم، فإنني حديث الجرح فيهم، فقال رسول الله ﷺ: «لا أمتعك أن تكرم قومك، ولكن أنزلهم حيث يسمعون القرآن»، وكان من جرح المغيرة في قومه أنه كان أجيراً لثقيف، وأنهم أقبلوا من مضر حتى إذا كانوا ببعض الطريق، عدا عليهم وهم نيام، فقتلهم، ثم أقبل بأموالهم حتى أتى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «أما الإسلام

(١) الرحيق المختوم (ص: ٤٨٢).

(٢) نضرة النعيم (١/٣٩٦-٣٩٧).

فَتَقَبَّلُ، وَأَمَّا الْمَالُ فَلَا، فَإِنَّا لَا نَعْدُرُ»، وَأَبَى أَنْ يُخَمَّسَ مَا مَعَهُ<sup>(١)</sup>.

\* فلما قدموا على رسول الله ﷺ ضرب عليهم قبة في ناحية المسجد، لكي يسمعوا القرآن ويروا الناس إذا صلوا، ومكثوا يختلفون إلى رسول الله ﷺ وهو يدعوهم إلى الإسلام حتى سأل رئيسهم أن يكتب لهم رسول الله ﷺ قضية صلح بينه وبين ثقيف. يأذن لهم فيها بالزنا وشرب الخمر وأكل الربا، ويترك لهم طاغيتهم اللات، وأن يعفيهم من الصلاة وأن لا يكسروا أصنامهم بأيديهم، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبل شيئاً من ذلك، فخلوا وتشاوروا، فلم يجدوا محيصاً عن الاستسلام لرسول الله ﷺ فاستسلموا وأسلموا، واشتروطوا أن يتولى رسول الله ﷺ هدم اللات، وأن ثقيفاً لا يهدمونها بأيديهم أبداً؛ فقبل ذلك، كتب لهم كتاباً، وأمر عليهم عثمان بن أبي العاص الثقفي؛ لأنه كان أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلم الدين والقرآن؛ وذلك أن الوفد كانوا كل يوم يغدون إلى رسول الله ﷺ ويخلفون عثمان بن أبي العاص في رحالهم، فإذا رجعوا وقالوا بالهجرة، عمد عثمان بن أبي العاص إلى رسول الله ﷺ فاستقرأه القرآن، وسأله عن الدين، وإذا وجده نائماً عمد إلى أبي بكر لنفس الغرض، (وكان من أعظم الناس بركة لقومه في زمن الردة، فإن ثقيفاً لما عزمت على الردة، قال لهم يا معشر ثقيف كتم آخر الناس إسلاماً فلا تكونوا أول الناس ردة فامتنعوا على الردة، وثبتوا على الإسلام).

ورجع الوفد إلى قومه فكتمهم الحقيقة، وخوفهم بالحرب والقتال، وأظهر الحزن والكآبة، وأن رسول الله ﷺ سألهم الإسلام وترك الزنا والخمر والربا وغيرها وإلا يقاتلهم، فأخذت ثقيفاً نخوة الجاهلية، فمكثوا يومين أو ثلاثة يريدون القتال، ثم ألقى الله في قلوبهم الرعب، وقالوا للوفد: ارجعوا إليه فأعطوه ما سأل، وحينئذ أبدى الوفد حقيقة الأمر، وأظهروا ما صالحوا عليه، فأسلمت ثقيف.

وبعث رسول الله ﷺ رجالاً لهدم اللات، أمر عليهم خالد بن الوليد، فقام المغيرة بن شعبة<sup>(٢)</sup> فأخذ الكرزين<sup>(٣)</sup>، وقال لأصحابه: والله لأضحكنكم من ثقيف، فضرب بالكرزين، ثم سقط بركض، فارتج أهل الطائف بضجة واحدة، وقالوا: أبعده الله المغيرة،

(١) زاد المعاد (٣/٥٩٦). وأبى أن يخمس ما معه: أي رفض أن يأخذ الخمس.

(٢) باختصار من زاد المعاد - نقلاً من الرحيق (ص: ٤٨٦ - ٤٨٧).

(٣) الكرزين: الفأس لها حد.

قتلته الرّبة، وفرحوا حين رأوه ساقطاً، وقالوا: من شاء منكم، فليقرب، وليجتهد على هدمها، فو الله لا تُستطاع، فوثب المغيرة بن شعبه، فقال: قبّحكم الله يا معشر ثقيف، إنما هي لكّاع حجّارة ومدّر، فاقبلوا عافية الله واعبدوه، ثم ضرب الباب فكسره، ثم علا سورها، وعلا الرجال معه، فما زالوا يهدمونها حجراً حجراً حتى سوّوها بالأرض، وجعل صاحب المفتاح يقول: ليغضبني الأساس، فليخسفن بهم، فلما سمع ذلك المغيرة، قال لخالد: دعني أحفر أساسها، فحفره حتى أخرجوا ترابها، وانتزعوا حليها ولباسها، فبهتت ثقيف.

وأقبل الوفد حتى دخلوا على رسول الله ﷺ بحليها وكسوتها، فقسّمه رسول الله ﷺ من يومه، وحمد الله على نصرة نبيه وإعزاز دينه<sup>(١)</sup>.

### أنت إمامهم

\* عن عثمان بن أبي العاص رضى الله عنه قال: «قلت يا رسول الله اجعلني إمام قومي فقال: (أنت إمامهم، واقند بأضعفهم، واتخذ مؤذناً لا يأخذ على أذانه أجراً)<sup>(٢)</sup>».

### عثمان بن أبي العاص يشتكى من اعتراض الشيطان له

#### في صلاته

\* عن عثمان بن أبي العاص رضى الله عنه قال: «قلت: يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي، قال: فقال (ذاك شيطان يقال له: خنزب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه، واتفل عن يسارك ثلاثاً)، قال: ففعلت فأذهب الله عني<sup>(٣)</sup>».

\* وعن عثمان بن أبي العاص أيضاً قال: (لما استعملني رسول الله ﷺ على الطائف، جعل يعرض لي شيء في صلاتي، حتى ما أدري ما أصلي، فلما رأيت ذلك، ورحلت إلى رسول الله ﷺ فقال: (ابن أبي العاص؟) قلت: نعم! يا رسول الله! قال: (ما جاء بك؟) قلت: يا رسول الله! عرض لي شيء في صلواتي، حتى ما أدري ما أصلي.

قال: (ذاك الشيطان. أذنه) فدنوت منه. فجلست على صدور قدمي. قال: فضرب

(١) زاد المعاد (٣/٥٩٩).

(٢) رواه أحمد (٤/٢١٧)، وأبو داود (٥٣١)، وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٠٣) السلام - وأحمد (٤/٢١٦).

صدرى بيده، وتفل فى فمى، وقال: (اخرج. عدو الله) ففعل ذلك ثلاث مرات، ثم قال: (الحق بعملك) قال: فقال عثمان: فلعمرى! ما أحسبه خالطنى بعد»<sup>(١)</sup>.

### فوائد جلييلة

\* قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

وفى قصة هذا الوفد من الفقه، أن الرجل من أهل الحرب إذا غدر بقومه، وأخذ أموالهم، ثم قدم مسلماً، لم يتعرض له الإمام، ولا لما أخذه من المال، ولا يضمن ما أتلغه قبل مجيئه من نفس ولا مال، كما لم يتعرض النبي ﷺ لما أخذه المغيرة من أموال الثقفين، ولا ضمن ما أتلغه عليهم، وقال: «أما الإسلام فأقبل، وأما المال، فلست منه فى شىء».

ومنها: جواز إنزال المشرك فى المسجد، ولا سيما إذا كان يرجو إسلامه، وتمكينه من سماع القرآن، ومشاهدة أهل الإسلام، وعبادتهم.

ومنها: حسن سياسة الوفد، وتلطفهم حتى تمكنوا من إبلاغ ثقيف ما قدموا به فتصوروا لهم بصورة المنكر لما يكرهونه، الموافق لهم فيما يهؤونه حتى ركنوا إليهم، واطمأنوا، فلما علموا أنه ليس لهم بد من الدخول فى دعوة الإسلام أذعنوا، فأعلمهم الوفد أنهم بذلك قد جاؤوهم، ولو فاجؤوهم به من أول وهلة لما أقروا به، ولا أذعنوا، وهذا من أحسن الدعوة، وتمام التبليغ، ولا يتأتى إلا مع ألباء الناس وعقلائهم.

ومنها: أن المستحق لإمرة القوم وإمامتهم أفضلهم وأعلمهم بكتاب الله، وأفقههم فى دينه.

ومنها: هدم مواضع الشرك التى تتخذ بيوتاً للطواغيت، وهدمها أحب إلى الله ورسوله، وأنفع للإسلام والمسلمين من هدم الحانات والمواخير، وهذا حال المشاهد المبنية على القبور التى تعبد من دون الله<sup>(٢)</sup>.

\* \* \*

(١) رواه ابن ماجه (٣٥٤٨)، وقال البوصيرى فى الزوائد: إسناده صحيح رجاله ثقات.

(٢) زاد المعاد (٣/٦٠٠ - ٦٠١).

### حج أبى بكر (رضى الله عنه)

قال ابن إسحاق رحمه الله: «ثم أقام رسول الله ﷺ بقية شهر رمضان وشوال وذا القعدة، ثم بعث أبى بكر أميراً على الحج من سنة تسع ليقوم للمسلمين حجهم، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم، فخرج أبو بكر رضى الله عنه ومن معه من المسلمين»<sup>(١)</sup>.

والمقصود أن رسول الله ﷺ بعث علياً رضى الله عنه بعد أبى بكر الصديق ليكون معه، ويتولى (على) بنفسه إبلاغ البراءة إلى المشركين نيابة عن رسول الله ﷺ لكونه ابن عمه من عصبته<sup>(٢)</sup>.

### النبي ﷺ يبعث علياً بأربع

قال ابن إسحاق: فنزلت براءة في نقض ما بين رسول الله ﷺ وبين المشركين من العهد الذى كانوا عليه، فخرج على بن أبى طالب رضى الله عنه على ناقة رسول الله ﷺ العضاء.

\* وعن زيد بن شبيب قال: «سألت علياً بأى شيء بُعثت فى الحجة؟ قال: (بُعِثت بأربع: أن لا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين النبي ﷺ عهد فهو إلى مدته، ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا)<sup>(٣)</sup>.

\* وقال ابن إسحاق: وحدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف، عن أبى جعفر محمد بن على رضوان الله عليه أنه قال: «لما نزلت براءة على رسول الله ﷺ، وقد كان

(١) ابن هشام (٢/٥٤٣).

(٢) قال الحافظ فى الفتح: «ذكر ابن سعد وغيره بإسناد صحيح، عن مجاهد: أن حجة أبى بكر وقعت فى ذى القعدة، ووافقته عكرمة بن خالد فيما أخرجه الحاكم فى الإكليل، ومن عدا هذين إما مصرح بأن حجة أبى بكر كانت فى ذى الحجة - كالدودى، وبه جزم من المفسرين الرمانى والثعلبى والماوردى وتبعهم جماعة - وإما ساكت.

والمعتمد ما قاله مجاهد وبه جزم الأزرقى ويؤيده أن ابن إسحاق صرح أن النبي ﷺ أقام بعد أن رجع من تبوك رمضان وشوالاً وذا القعدة ثم بعث أبى بكر أميراً على الحج، فهو ظاهر فى أن بعث أبى بكر كان بعد انسلاخ ذى القعدة فيكون حجه فى ذى الحجة على هذا، والله أعلم» [فتح البارى (٨/٨٢)].

(٣) أخرجه الحميدى (٤٨)، وأحمد (٧٩/١)، والترمذى (٨٧١)، وإسناده صحيح.

بعث أبا بكر الصديق ليقم للناس الحج، قيل له: يا رسول الله لو بعثت بها إلى أبي بكر، فقال: (لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي).

ثم دعا علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، فقال له: (أخرج بهذه القصة من صدر براءة، وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى، أنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو له إلى مدته).

فخرج علي بن أبي طالب رضوان الله عليه على ناقة رسول الله ﷺ العضباء، حتى أدرك أبا بكر بالطريق، فلما رآه أبو بكر بالطريق، قال أمير أم مأمور؟ فقال: بل مأمور، ثم مضيا، فأقام أبو بكر للناس الحج، والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج التي كانوا عليها في الجاهلية.

حتى إذا كان يوم النحر، قام علي بن أبي طالب رضى الله عنه، فأذن في الناس بالذي أمره رسول الله ﷺ، فقال: «أيها الناس، إنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو له إلى مدته، وأجل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم، ليرجع كل قوم إلى مأمهم أو بلادهم، ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة إلا أحد كان له عند رسول الله ﷺ عهد مدة فهو إلى مدته.

فلم يحج بعد ذلك العام مشرك، ولم يطف بالبيت عريان.

ثم قدما على رسول الله ﷺ «<sup>(١)</sup>.

\* وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: «بعثنى أبو بكر الصديق في الحجة التي أمره عليها رسول الله ﷺ، قبل حجة الوداع في رهط يؤذنون في الناس يوم النحر: لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان»<sup>(٢)</sup>.<sup>(٣)</sup>

(١) أخرجه ابن هشام (٢/٥٤٥ - ٥٤٦)، وهو مرسل ولكن له شواهد يتقوى بها، ذكرها ابن كثير رحمه الله في السيرة (٤/٧٠ - ٧٢)، فالحديث بهذه الشواهد حسن، والله أعلم.

(٢) أخرجه البخارى (٣٦٩) الصلاة - ومسلم (١٣٤٧) الحج.

(٣) والمعروف أن المنادى هو علي بن أبي طالب، فكيف أمر أبو بكر رضى الله عنه أبا هريرة ومن معه بالتأذين بهذه الأمور، قال الطحاوى في مشكل الآثار: «هذا مشكل لأن الأخبار في هذه القصة تدل على أن النبي كان بعث أبا بكر بذلك، ثم اتبعه علياً فأمره أن يؤذن، فكيف يبعث أبو بكر أبا هريرة ومن معه =

### وفد بنى عامر

كان فيهم عامر بن الطفيل (عدو الله) وأربد بن قيس - أخو لبيد لأمه - وخالد بن جعفر، وجبار بن أسلم، وكانوا رؤساء القوم وشياطينهم، وكان عامر هو الذى غدر بأصحاب بئر معونة، فلما أراد هذا الوفد أن يقدم المدينة تأمر عامر وأربد، واتفقا على الفتك بالنبي ﷺ فلما جاء الوفد، جعل عامر يكلم النبي ﷺ ودار أربد خلفه، واخترط سيفه شبراً، ثم حبس الله يده فلم يقدر على سلّه، وعصم الله نبيه، ودعا عليهما النبي ﷺ فلما رجعا أرسل الله على أربد وجمله صاعقة فأحرقته، وأما عامر فنزل على امرأة سلولية، فأصيب بغدة فى عنقه فمات وهو يقول: أغدة كغدة البعير، موتاً فى بيت السلولية<sup>(١)</sup>.

وفى صحيح البخارى: أن عامراً أتى النبي ﷺ فقال: أخيرك بين خصال ثلاث: يكون لك أهل السهل، ولى أهل المدر، أو أكون خليفتك من بعدك، أو أغزوك بغطفان بألف أشقر وألف شقراء، فطعن فى بيت امرأة، فقال: أغدة كغدة البكر، فى بيت امرأة من بنى فلان، ايتونى بفرسى فركب، فمات على ظهر فرسه<sup>(٢)</sup>.

### وفد عبد القيس

وجاء وفد عبد القيس ليعلنوا التوحيد لله (جلّ وعلا).

### سيطلع عليكم من ها هنا ركبهم خير أهل المشرق

\* عن مزينة العصرى رضى الله عنه قال: «بينما النبي ﷺ يحدث أصحابه إذ قال لهم: (سيطلع عليكم من ها هنا ركبهم خير أهل المشرق)، فقام عمر فتوجه نحوهم فلقى ثلاثة عشر راكباً، فقال: من القوم؟ قالوا: من بنى عبد القيس، قال: فما أقدمكم هذه البلاد أتجارة؟ قالوا: لا، قال: أما أن النبي قد ذكركم أنفاً فقال خيراً، ثم مشى معهم

= بالتأذين مع صرف الأمر عنه فى ذلك إلى (على)؟ ثم أجاب بما حاصله: أن أبابكر رضى الله عنه كان الأمير على الناس فى تك الحجّة بلا خلاف، وكان (على) هو المأمور بالتأذين بذلك، وكان علياً لم يطق التأذين بذلك وحده، واحتاج إلى من يعينه على ذلك، فأرسل معه أبو بكر أبابكر و غيره ليساعده على ذلك» [فتح البارى (١/٣١٨)].

(١) الرحيق المختوم (ص: ٤٩٢).

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب المغازى، وأحمد (١٣٢١٩).

حتى أتوا النبي ﷺ فقال عمر للقوم: هذا صاحبكم الذي تريدونه، فرمى القوم بأنفسهم من ركائبهم فممنهم من مشى إليه ومنهم من هرول، ومنهم من سعى حتى أتوا النبي ﷺ، فأخذوا بيده فقبلوها.

وتخلف الأشجّ في الركاب حتى أناخها، وجمع متاع القوم، ثم جاء يمشى حتى أخذ بيد الرسول ﷺ فقبلها، فقال له النبي ﷺ: (إن فيك خلتين يحبهما الله ورسوله)، فقال: جبل جبلت عليه أم تخلقاً مني؟ قال: (بل جبل) قال: الحمد لله الذي جبلني على ما يحب الله ورسوله<sup>(١)</sup>.

### مرحباً بالقوم غير خزايا ولا ندامى

\* عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «إن وفد عبد القيس أتوا رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ (من الوفد؟ أو من القوم؟) قال: ربيعة قال: (مرحباً بالقوم)<sup>(٢)</sup> أو بالوفد غير خزايا ولا الندامى)<sup>(٣)</sup>.

قال: فقالوا: يا رسول الله! إنا نأتيك من شقة بعيدة<sup>(٤)</sup>، وإن بيننا وبينك هذا الحى من كفار مُضَرٍّ، وإنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في شهر حرام، فمُرْنَا بأمر فَصَلَّ<sup>(٥)</sup> نخبر به من وراءنا، ندخل به الجنة. قال: فأمرهم بأربعة، ونهاهم عن أربع. قال: (أمرهم بالإيمان بالله وحده)، وقال: (هل تدرون ما الإيمان بالله؟) قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: (شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تؤدوا خمساً من المغنم ونهاهم عن الدبأ<sup>(٦)</sup>، والحتتم<sup>(٧)</sup>، والمزفت<sup>(٨)</sup>، وربما

(١) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد، حديث رقم: (٥٨٧) باختصار، وأبو يعلى رقم: (٦٨٥٠)، وقال الهيثمى (٣٨٨/٩): رواه الطبرانى وأبو يعلى، ورجالهما ثقات، وفى بعضهم اختلاف، قلت: والحديث إسناده جيد، والبيهقى فى الدلائل (٣٢٧/٥).

(٢) مرحباً بالقوم: صادفت رحباً وسعة.

(٣) غير خزايا ولا الندامى: معناه أنه لم يكن منكم تأخر عن الإسلام ولا عناد ولا أصابكم أسار ولا سباء ولا ما أشبه ذلك مما تستحيون بسببه أو تذلون أو تهانون أو تندمون.

(٤) شقة بعيدة: السفر البعيد، وقيل المسافة البعيدة.

(٥) أمر فصل: البين الواضح الذى ينفصل به المراد.

(٦) الدبأ: القرع اليابس، أى الوعاء منه.

(٧) الحتتم: أصح الأقوال فيها: الجرار الخضمر، وهى جرار كان يحمل فيها الخمر.

(٨) المزفت: الأوعية التى فيها الزيت.



قال النقيير<sup>(١)</sup>، أو المقير وقال: احفظوه وأخبروا به من وراءكم<sup>(٢)</sup>.

### قصة شفاء الرجل المصروع على يد النبي ﷺ

فعن الزارع بن عامر قال: «... يا رسول الله إن معي خالاً لي مصاباً، فادع الله له، فقال: (أين هو؟ اتنى به) قال: فصنعت مثل ما صنع الأشج، ألبسته ثوبيه، وأتيته، فأخذ من رداءه يرفعهما حتى رأينا بياض إبطه، ثم ضرب بظهره فقال: (اخرج عدو الله)، فولى وجهه وهو ينظر بنظر رجل صحيح»<sup>(٣)</sup>.

### النبي ﷺ يؤخر السنة البعدية للظهر

\* عن كريب أن ابن عباس والمسور بن مخرمة وعبد الرحمن ابن أزهري رضي الله عنهم أرسلوه إلى عائشة رضي الله عنها فقالوا: «اقرأ عليها السلام منا جميعاً وسلها عن الركعتين بعد صلاة العصر، وقل لها: إنا أخبرنا أنك تصلينهما، وقد بلغنا أن النبي ﷺ نهى عنها، وقال ابن عباس: وكنت أضرب الناس مع عمر بن الخطاب عنها.

قال كريب: فدخلت على عائشة رضي الله عنها، فبلغتها ما أرسلوني، فقالت: سل أم سلمة، فخرجت إليهم فأخبرتهم بقولها. فردوني إلى أم سلمة بمثل ما أرسلوني به إلى عائشة.

فقلت أم سلمة (رضي الله عنها): سمعت النبي ﷺ ينهى عنهما، وإنه صلى العصر، ثم دخل على وعندي نسوة من بنى حرام من الأنصار فصلاهما، فأرسلنا إليه الجارية فقلت: قومي بجنبه قولي له: تقول لك أم سلمة يا رسول الله سمعتك تنهى عن هاتين الركعتين، فأراك تصليهما، فإن أشار بيده فاستأخرى عنه ففعلت الجارية، فأشار بيده فاستأخرت عنه.

(١) النقيير: جذع ينقر وسطه ثم ينبذ فيها الرطب والبسر ثم يدعونه حتى يهدر، ثم يموت.

المقير: هو الزفت المطلي بالقار.

وأما معنى النهي عن هذه الأربع فهو أنه نهى عن الانتباز فيها، وهو أن يجعل الماء في حبات من تمر أو زبيب أو نحوهما ليحلو ويشرب، وإنما خصت هذه بالنهي لأنه يسرع إليها الإسكار فيها فيصير حراماً نجساً.

(٢) أخرجه البخاري (٥٣) الإيمان - ومسلم (١٧) الإيمان.

(٣) رواه أحمد وأبو داود والبخاري في الأدب المفرد - وهو حسن بشواهد.

فلما انصرف قال: (يا ابنة أبى أمية، سألت عن الركعتين بعد العصر، وإنه أتانى أناس من عبد القيس، فشغلونى عن الركعتين اللتين بعد الظهر فهما هاتان)<sup>(١)</sup>.

### وفد بنى حنيفة وفيهم مسيلمة الكذاب

كانت وفادتهم سنة ٩ هـ. وكانوا سبعة عشر رجلاً فيهم مسيلمة الكذاب وهو: مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب بن الحارث، من بنى حنيفة... نزل هذا الوفد بيت رجل من الأنصار، ثم جاءوا إلى النبى ﷺ فأسلموا.

\* وأما مسيلمة الكذاب فلقد قدم هذا اللعين المدينة وافداً إلى رسول الله ﷺ، وقد وقف عليه رسول الله ﷺ، فسمعه وهو يقول: إن جعل لى محمد الأمر من بعده اتبعته. فقال له: لو سألتنى هذا العود - لمرجون فى يده - ما أعطيتك، ولئن أدبرت ليعقرنك الله.

\* عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله ﷺ فجعل يقول: إن جعل لى محمد الأمر من بعده تبعته، وقدمها فى بشر كثير من قومه، فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس، وفى يدي رسول الله ﷺ قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة فى أصحابه فقال: (لو سألتنى هذه القطعة ما أعطيتكها، ولن تعدو أمر الله فىك، ولئن أدبرت ليعقرنك الله، وإنى لأراك الذى أريت فيه ما أريت، وهذا ثابت يجيبك عنى)، ثم انصرف عنه.

قال ابن عباس: فسألت عن قول رسول الله ﷺ: (وإنى لأراك الذى أريت فيه ما أريت)، فأخبرنى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (بيننا أنا نائم رأيت فى يدي سوارين من ذهب، فأهمنى شأنهما، فأوحى إلىَّ فى المنام أن أنفخهما، فنفختهما فطارا، فأولتهما كذابين يخرجان بعدى: أحدهما العنسى، والآخر مسيلمة)<sup>(٢)</sup>.

\* وهكذا وقع فإنهما ذهباً وذهب أمرهما: أما الأسود فذبح فى داره، وأما مسيلمة فعقره الله على يدي وحشى بن حرب، رماه بالحربة فأنفذه كما تُعقر الإبل، وضربه أبو دجانة على رأسه ففلقه، وذلك بعقر داره فى حديقة الموت، وقد قُتل قبله وزيراه: محكم ابن الطفيل، والرجال بن عنقوة.

(١) أخرجه البخارى (١٢٣٣) السهو - ومسلم (٨٣٤) صلاة المسافرين.

(٢) أخرجه البخارى (٤٣٧٣، ٤٣٧٤) المغازى - ومسلم (٢٢٧٣) الرؤيا.

روى البخارى أن مسيلمة كتب إلى رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم.  
من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله سلام عليك.

أما بعد.. فإني قد أشركت معك في الأمر، فلك المدر ولى الوبر - ويروى فلکم  
نصف الأرض، ولنا نصفها - ولكن قريشا قوم يعتدون فكتب إليه رسول الله ﷺ .  
«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله ﷺ إلى مسيلمة الكذاب. سلام  
على من اتبع الهدى.

أما بعد: فإن الأرض لله، يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين».   
لما مات رسول الله ﷺ زعم (مسيلمة) أنه استقل بالأمر من بعده، واستخفّ قومه  
فأطاعوه<sup>(١)</sup>.

### قرآن مسيلمة الكذاب

وجاء في قرآن مسيلمة الكذاب مما يثير الضحك والعجب العجيب: يا ضفدع بنت  
الضفدعين، نقى لكم نقين، لا الماء تكدرين، ولا الشارب تمنعين، رأسك فى الماء،  
وذنبك فى الطين.

\* وقد عمرو بن العاص فى أيام جاهليته على مسيلمة، فقال له مسيلمة: ماذا أنزل  
على صاحبكم فى هذا الحين؟ فقال له عمرو: لقد أنزل عليه سورة وجيزة بليغة فقال:  
وما هى؟ قال: أنزل عليه: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾ [العصر: ١، ٢] قال:  
ففكر مسيلمة ساعة، ثم رفع رأسه، فقال: ولقد أنزل على مثلها، فقال له عمرو: وما  
هى؟ فقال مسيلمة: يا وبر يا وبر، إنما أنت إيراد وصدر، وسائرک حفر نقر.

ثم قال: كيف ترى يا عمرو؟ فقال له عمرو: والله، إنك لتعلم أنى أعلم أنك تكذب.

\* وذكر علماء التاريخ أنه كان يتشبه بالنبي ﷺ... بلغه أن رسول الله ﷺ بصق فى  
بئر فغزر ماؤه، فبصق فى بئر ففاض ماؤه بالكلية، وفى أخرى فصار ماؤه أجاجاً (مالحاً).  
وتوضأ وسقى بوضوئه نخلأ فبيست وهلكت.

وأتى بولدان يبرك عليهم فجعل يمسح رؤوسهم، فمنهم من قرع رأسه، ومنهم من  
لغ لسانه.

والجزء من جنس العمل، فضوح الدنيا قبل الآخرة وتكذيب الناس له.  
ويقال: إنه دعا لرجل أصابه وجع في عينيه فمسحهما فعمى<sup>(١)</sup>.

### قدوم وفد الأشعريين وأهل اليمن

\* عن أنس رضى الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: (يقدم عليكم أقوامٌ هم أرق منكم قلوباً) قال: فقدم الأشعريون فيهم أبو موسى الأشعري فلما دنوا من المدينة كانوا يرتجزون يقولون:

«غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه»<sup>(٢)</sup>

وقد سبق ذكر قدوم أبى موسى الأشعري مع قدوم جعفر من الحبشة فى أثناء غزوة خيبر، ويحتمل أنه عاد إلى قومه ثم عاد بهم فى وفد الأشعريين إلى رسول الله ﷺ.

### الإيمان يمان والحكمة يمانية

ولقد مدحهم النبى ﷺ ووضع على صدورهم أوسمة لا توازيها الدنيا بكل ما فيها من متاع زائل.

\* عن أبى مسعود الأنصارى رضى الله عنه قال: «إن النبى ﷺ قال: (الإيمان ها هنا - وأشار إلى اليمن - والجفاء وغلظ القلب فى الفدادين<sup>(٣)</sup> عند أصول أذنان الإبل من حيث يطلع قرنا الشيطان ربيعة ومُضر)<sup>(٤)</sup>.

\* وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: (أناكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوباً... الإيمان يمان، والحكمة يمانية، والفخر والحُيلاء فى أصحاب الإبل والسكينة والوقار فى أهل الغنم)<sup>(٥)</sup>.

\* وعن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال: «بينما نحن مع رسول الله ﷺ بطريق مكة إذ قال: يطلع عليكم أهل اليمن كأنهم السحاب هم خيار من فى الأرض، فقال

(١) البداية والنهاية (٦/٣٢٥، ٣٣٠، ٣٣١).

(٢) رواه أحمد (٣/١٠٥)، والبيهقى فى الدلائل (٥/٣٥١)، وإسناده صحيح.

(٣) الفدادين: جمع فدان: الذين يملكون الكثير من الجمال والإبل.

(٤) أخرجه البخارى (٤٣٨٧) المغازى - ومسلم (٥١) الإيمان.

(٥) أخرجه البخارى (٤٣٨٨) المغازى - ومسلم (٥٢) الإيمان.

رجل من الأنصار: ولا نحن يا رسول الله، فسكت. قال ولا نحن يا رسول الله؟ فسكت قال: ولا نحن يا رسول الله؟ فقال في الثالثة: كلمة ضعيفة. (إلا أنتم)<sup>(١)</sup>.

### قبولهم البشري من رسول الله ﷺ

\* عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال: «جاء نفرٌ من بنى تميم إلى النبي ﷺ فقال: (يا بنى تميم أبشروا)، قالوا: بشرتنا فأعطنا، فتغير وجه رسول الله ﷺ، فجاء أهل اليمن، فقال النبي ﷺ: (يا أهل اليمن اقبلوا البشري إذ لم يقبلها بنو تميم)، قالوا: قبلنا»<sup>(٢)</sup>.

### وفد مزينة

\* عن النعمان بن مقرن رضى الله عنه قال: «قدمنا على رسول الله ﷺ في أربعمائة من مزينة، فأمرنا رسول الله ﷺ بأمره، فقال بعض القوم: يا رسول الله ما لنا طعام نتزوده، فقال النبي ﷺ لعمر: (زودهم) فقال: ما عندي إلا فاضلة من تمر وما أراها تغني عنهم شيئاً، فقال: انطلق فزودهم، فانطلق بنا إلى عليّة له، فإذا فيها ثمر مثل البكر الأورق<sup>(٣)</sup>، فقال: خذوا فأخذ القوم حاجتهم، قال: وكنت أنا في آخر القوم، قال: فالتفت وما أفقد موضع تمرّة، وقد احتمل منه أربعمائة رجل»<sup>(٤)</sup>.

### وفد دوس

كان الطفيل بن عمرو الدوسى رضى الله عنه قد أسلم قبل ذلك بمكة ثم رجع إلى قومه ليدعوهم إلى الإسلام فلم يزل يدعوهم ويُبطئون عليه حتى يئس منهم ورجع إلى رسول الله ﷺ فطلب منه أن يدعو على دوس - قبيلته - فقال ﷺ: «اللهم اهد دوساً».

\* عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «جاء الطفيل بن عمرو إلى النبي ﷺ فقال: إن دوساً قد هلكت، عصت وأبت، فادع الله عليهم» فقال: (اللهم اهد دوساً وائت بهم)<sup>(٥)</sup>.

(١) قال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٥٥): رواه أحمد والطبرانى وإسناده حسن.

(٢) أخرجه البخارى (٣١٩٠) بدء الخلق - والترمذى (٣٩٥١).

(٣) البكر الأورق: الجمل الأسمر.

(٤) قال الهيثمى فى المجمع (٨/ ٣٠٥): رواه أحمد والطبرانى ورجال الصحيح.

(٥) أخرجه البخارى (٤٣٩٢) المغازى - ومسلم (٢٥٢٤) فضائل الصحابة.

## وفد نجران

وكانت وفادة أهل نجران سنة ٩هـ، وقوام الوفد ستون رجلاً، منهم أربعة وعشرون من الأشراف، فيهم ثلاثة كانت إليهم زعامة أهل نجران، أحدهم: العاقب، كانت إليه الإمارة والحكومة واسمه عبد المسيح، والثاني: السيد، كانت تحت إشرافه الأمور الثقافية والسياسية واسمه الأيهم أو شرحبيل، والثالث: الأسقف، وكانت إليه الزعامة الدينية، والقيادة الروحانية، واسمه أبو حارثة بن علقمة.

ولما نزل الوفد بالمدينة، ولقى النبي ﷺ سألهم وسألوه، ثم دعاهم إلى الإسلام، وتلا عليهم القرآن فامتنعوا، وسألوه عما يقول في عيسى عليه السلام، فمكث رسول الله ﷺ يومه ذلك حتى نزل عليه: ﴿إِنْ مَثَلْ عَيْسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [آل عمران: ٥٩ - ٦١].

ولما أصبح رسول الله ﷺ أخبرهم بقوله في عيسى بن مريم في ضوء هذه الآية الكريمة، وتركهم ذلك اليوم؛ ليفكروا في أمرهم، فأبوا أن يقرؤا بما قال في عيسى. فلما أصبحوا وقد أبوا عن قبول ما عرض عليهم من قوله في عيسى، وأبوا عن الإسلام دعاهم رسول الله ﷺ إلى المباهلة، وأقبل مشتملاً على الحسن والحسين في خميل له، وفاطمة تمشى عند ظهره، فلما رأوا منه الجذ والتهيؤ خلوا وتشاوروا، فقال كل من العاقب والسيد للآخر: لا تفعل فوالله لئن كان نبياً فلاعتنا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا، فلا يبقى على وجه الأرض منا شعرة ولا ظفر إلا هلك، ثم اجتمع رأيهم على تحكيم رسول الله ﷺ في أمرهم، فجاءوا وقالوا: إنا نعطيك ما سألتنا، فقبل رسول الله ﷺ منهم الجزية، وصالحهم على ألفى حلة، ألف في رجب، وألف في صفر، ومع كل حلة أوقية، وأعطاهم ذمة الله وذمة رسوله، وترك لهم الحرية الكاملة في دينهم، وكتب لهم بذلك كتاباً، وطلبوا منه أن يبعث عليهم رجلاً أميناً، فبعث عليهم أمين هذه الأمة أبا عبيدة بن الجراح؛ ليقبض مال الصلح<sup>(١)</sup>.<sup>(٢)</sup>

(١) الرحيق المختوم (ص: ٤٨٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٨٠)، ومسلم (٥٥) (٢٤٢٠).

\* عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال: «جاء العاقب والسيد صاحباً نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعنا، قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل، فوالله لئن كان نبياً فلاعننا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا، قالوا: إنا نعطيك ما سألتنا، وابعث معنا رجلاً أميناً، ولا تبعث معنا إلا أميناً. فقال: (لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين)، فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: (قم يا أبا عبيدة بن الجراح)، فلما قام قال رسول الله ﷺ: (هذا أمين هذه الأمة)<sup>(١)</sup>.

### وفد ضمامة بن ثعلبة

\* عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله ثم قال لهم: أيكم محمد... والنبي ﷺ متكئ بين ظهرانيهم فقلنا هذا الرجل الأبيض المتكئ، فقال له الرجل: ابن عبد المطلب. فقال له النبي ﷺ: (قد أجبتك).

فقال الرجل للنبي ﷺ: إني سائلك فمشدد عليك في المسألة، فلا تجد<sup>(٢)</sup> على في نفسك.

فقال: (سل عما بدا لك) فقال: أسألك بربك ورب من قبلك، آله أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال: (اللهم نعم).

قال: أشدك بالله، آله أمرك أن نصلى الصلوات الخمس في اليوم واللييلة؟ قال: (اللهم نعم).

قال: أشدك بالله، آله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة؟ قال: اللهم نعم.

قال: أشدك بالله. آله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا؟ فقال النبي ﷺ: (اللهم نعم).

فقال الرجل: آمنت بما جئت به، وأنا رسول من ورائي من قومي وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخارى (٤٣٨٠) المغازى - ومسلم (٢٤٢٠) الفضائل.

(٢) تجد: تحقد وتحمل البغضاء.

(٣) أخرجه البخارى (٦٣) العلم - ومسلم (١٢) الإيمان.

\* وفي رواية أحمد: قال: ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة: الزكاة، والصيام والحج وشرائع الإسلام كلها يناشده عند كل فريضة كما يناشده في التي قبلها، حتى إذا فرغ قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ وسأؤدى هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتني عنه ثم لا أزيد ولا أنقص.

قال: ثم انصرف راجعاً إلى بعيه، فقال رسول الله ﷺ حين ولى: (إن يصدق ذو العقيبتين يدخل الجنة)، قال: فأنى إلى بعيه، فأطلق عقاله، ثم خرج حتى قدم على قومه فاجتمعوا إليه فكان أول ما تكلم به أن قال: بثست اللات والعزى، قالوا: صه يا ضمام اتق البرص والجذام، اتق الجنون.

قال: ويلكم إنهما والله لا يضران ولا ينفعان، إن الله عز وجل قد بعث رسولاً، وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه، وإنى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، إنى قد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه، قال: فوالله ما أسى من ذلك اليوم وفي حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً، قال: يقول ابن عباس رضى الله عنهما: فما سمعنا بوفاد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة<sup>(١)</sup>.

### وهكذا تتابعت الوفود

وهكذا تتابعت الوفود لتعلن التوحيد لله جلّ وعلاً... ولقد ذكرت هنا بعض الوفود لأن المجال لا يسمح بذكر كل الوفود التي جاءت إلى النبي ﷺ.

وهكذا كانت السيادة للإسلام على كافة أنحاء الجزيرة العربية في العام التاسع، حيث تمت الوحدة السياسية لجميع أصقاعها تحت رايته، فلقد تمكن النبي ﷺ من تحقيق الوحدة السياسية للجزيرة في أقل من عشر سنوات رغم جميع العراقيل والنزعات القبلية والجاهلية والمشكلات المتنوعة، وقوة الروح الفردية والأنانية الشخصية. وما حققه الرسول ﷺ لم يكن رسوماً لوحدة صورية شكلية، بل مثل امتزاجاً فريداً لسلوك الإنسان وروحه وعقله مما هيا الأساس المتين لامتداد وتطور الدولة الإسلامية التي استمرت في عطائها خلال القرون التالية<sup>(٢)</sup>.

\* وتتابع هذه الوفود يدل على مدى ما نالت الدعوة الإسلامية من القبول التام وبسط

(١) رواه أحمد (١/٢٦٤)، وأبو داود (٤٨٧)، والحاكم (٣/٥٤ - ٥٥) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) نضرة النعيم (١/٣٩٨).



السيطرة والنفوذ على أنحاء جزيرة العرب وأرجائها، وأن العرب كانت تنظر إلى المدينة بنظر التقدير والإجلال، حتى لم تكن ترى محيصاً عن الاستسلام أمامها، فقد صارت المدينة عاصمة لجزيرة العرب، لا يمكن صرف النظر عنها، إلا أننا لا يمكن لنا القول بأن الدين قد تمكن من أنفس هؤلاء بأسرهم؛ لأنه كان وسطهم كثير من الأعراب الجفافة الذين أسلموا تبعاً لسادتهم، ولم تكن أنفسهم قد خلصت بعد مما تأصل فيها من الميل إلى الغارات، ولم تكن تعاليم الإسلام قد هذبت أنفسهم تمام التهذيب، وقد وصف القرآن بعضهم بقوله في سورة التوبة: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٩٧) ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٧، ٩٨] وأثنى على آخرين منهم فقال: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سِذْخَلَهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٩].

أما الحاضرون منهم في مكة والمدينة وثقيف، وكثير من اليمن والبحرين؛ فقد كان الإسلام فيهم قوياً ومنهم كبار الصحابة وسادات المسلمين<sup>(١)</sup>.

### قدوم جرير بن عبد الله البجلي

\* عن جرير بن عبد الله البجلي رضى الله عنه قال: «لما دنوت من المدينة أنخت راحلتى ثم حللت عييتى ثم لبست حلتى، ثم دخلت فإذا رسول الله ﷺ يخطب فرمانى الناس بالحدق<sup>(٢)</sup>، فقلت لجليسى: يا عبد الله هل ذكرنى رسول الله ﷺ؟ قال: نعم ذكرك بأحسن الذكر، بينما هو يخطب إذ عرض له فى خطبته وقال: (يدخل عليكم من هذا الباب أو من هذا الفج من خير ذى يمن، ألا إن على وجهه مسحة ملك). قال جرير: فحمدت الله عزَّ وجلَّ على ما أبلانى»<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية/ للخضرى (١/١٤٤).

(٢) رمانى الناس بالحدق: نظروا إلى بأعينهم.

(٣) رواه أحمد (٤/٣٥٦)، والطبرانى فى الكبير (٢٢٥٨)، وإسناده صحيح.

## منقبة عظيمة لجرير (رضى الله عنه)

\* عن جرير بن عبد الله البجلي رضى الله عنه قال: «ما حجبني عنه رسول الله ﷺ منذ أسلمت ولا رأني إلا تبسم»<sup>(١)</sup>.

### ألا تريحني من ذى الخلصة؟

\* عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال: «قال لى رسول الله ﷺ: (ألا تريحني من ذى الخلصة؟) فقلت: بلى فانطلقت فى خمسين ومائة فارس من أحمس، وكانوا أصحاب خيل، وكنت لا أثبت على الخيل، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فضرب يده على صدرى وقال: (اللهم ثبته، واجعله هادياً مهدياً) قال: فما وقعت عن فرس بعد قال: وكان ذو الخلصة بيتاً باليمن لخنعم وبجيلة فيه نُصِبُ تُعَبَدُ، يقال له الكعبة.

قال: فأتاها فحرقها بالنار وكسرها قال: ولما قدم جرير اليمن كان بها رجل يستقسم بالأزلام، فقيل له: إن رسول الله ﷺ ها هنا، فإن قدر عليك ضرب عنقك قال: فبينما هو يضرب بها إذ وقف عليه جرير فقال: لتكسرنها ولتشهدن أن لا إله إلا الله أو لأضربن عنقك. قال: فكسرها وشهد، ثم بعث جرير رجلاً من أحمس يكنى أبا أرطاة إلى النبي ﷺ يبشره بذلك. فلما أتى النبي ﷺ قال: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق ما جئت حتى تركتها كأنها جمل أجرب، قال فبرك النبي ﷺ على خيل أحمس ورجالها خمس مرات»<sup>(٢)</sup>.

### قدوم تميم الدارى (وقصة الدجال والجساسة)

\* ففى حديث فاطمة بنت قيس رضى الله عنها أنها روت كيف أن النبي ﷺ جمع الناس فى المسجد بعد الصلاة ليخبرهم عن خبر الدجال والجساسة.. فقالت رضى الله عنها.

«... فخرجت إلى المسجد، فصليت مع رسول الله ﷺ، فكنت فى صف النساء التى تلى ظهور القوم فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته، جلس على المنبر وهو يضحك. فقال:

(١) أخرجه البخارى (٣٨٢٢) مناقب الأنصار - ومسلم (٢٤٧٥) فضائل الصحابة - وأحمد (٣٥٨/٤).

(٢) أخرجه البخارى (٤٣٥٦، ٤٣٥٧) المغازى - ومسلم (٢٤٧٦) فضائل الصحابة.

(ليلزم كل إنسان مصلاه) ثم قال: (أندرون لم جمعتمكم؟) قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: (إني والله، ما جمعتمكم لرغبة ولا لرهبة. ولكن جمعتمكم، لأن تميمًا الدارى كان رجلاً نصرانيًا، فجاء فبايع وأسلم، وحدثني حديثًا وافق الذى كنت أحدثكم عن مسيح الدجال... حدثني أنه ركب فى سفينة بحرية، مع ثلاثين رجلاً من لحم وجذام، فلعب بهم الموج شهراً فى البحر، ثم أرفثوا إلى جزيرة فى البحر حتى مغرب الشمس، فجلسوا فى أقرب السفينة<sup>(١)</sup>. فدخلوا الجزيرة، فلقيتهم دابة أهلب<sup>(٢)</sup> كثير الشعر. لا يدرون ما قبله من دبره، من كثرة الشعر.

فقالوا: ويلك! ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة. قالوا: وما الجساسة. قالت: أيها القوم! انطلقوا إلى هذا الرجل فى الدير. فإنه إلى خبركم بالأشواق<sup>(٣)</sup>. قال: لما سمّت لنا رجلاً فرقنا منها<sup>(٤)</sup> أن تكون شيطانة، قال: فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير. فإذا فيه أعظم إنسان<sup>(٥)</sup> رأيناه قط خلقاً، وأشد وثاقاً. مجموعة يده إلى عنقه، ما بين ركبتيه إلى كعبيه، بالحديد.

قلنا: ويلك؟ ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري، فأخبروني ما أنتم؟ قالوا: نحن أناس من العرب، ركبنا فى سفينة بحرية، فصادفنا البحر حين اغتلم<sup>(٦)</sup>، فلعب بنا الموج شهراً، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه، فجلسنا فى أقربها، فدخلنا الجزيرة، فلقيتنا دابة أهلب كثير الشعر، لا ندري ما قبله من دبره من كثرة الشعر. فقلنا: ويلك! ما أنت! فقالت: أنا الجساسة. قلنا: وما الجساسة؟ قالت: اعمدوا إلى هذا الرجل فى الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق. فأقبلنا إليك سراعاً، وفرعنا منها ولم نأمن أن تكون شيطانة

فقال: أخبروني عن نخل بيسان<sup>(٧)</sup>. قلنا: عن أى شأنها تستخبر؟ قال: أسألكم عن نخلها، هل يثمر؟ قلنا له: نعم. قال: أما إنه يوشك أن لا يثمر.

(١) أقرب السفينة: جمع قارب وهى السفن الصغيرة تكون مع الكبيرة يتصرف فيها ركاب السفينة لقضاء حوائجهم.

(٢) أهلب: غليظ الشعر كثيره.

(٣) فإنه إلى خبركم بالأشواق: شديد الأشواق إليه... أى إلى خبركم.

(٤) فرقنا منها: خفنا.

(٥) أعظم إنسان: أى أكبره جنة.

(٦) اغتلم: هاج وجاوز حده المعتاد.

(٧) نخل بيسان: وهى قرية بالشام شمال فلسطين.

قال أخبروني عن بحيرة طبريه. قالوا: عن أى شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هى كثيرة الماء قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب.

قال أخبروني عن عين زغر<sup>(١)</sup> قالوا: عن أى شأنها تستخبر؟ قال: هل فى العين ماء؟ وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا له: نعم. هى كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها.

قال: أخبروني عن نبي الأميين ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة ونزل يثرب. قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم. قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه. قال لهم: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم. قال: أما أن ذاك خير لهم أن يطيعوه. وإنى مخبركم عنى: إنى أنا المسيح. وإنى أوشك أن يؤذن لى فى الخروج فأخرج فأسير فى الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها فى أربعين ليلة. غير مكة وطيبة<sup>(٢)</sup>. فهما محرمتان على كلتاها. كلما أردت أن أدخل واحدة، أو واحداً منهما، استقبلنى ملك بيده السيف صلنا<sup>(٣)</sup> يصدنى عنها. وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها، قالت: قال رسول الله ﷺ وطعن بمخصرته فى المنبر (هذه طيبة، هذه طيبة) يعنى المدينة (ألا هل كنت حدثتكم ذلك؟).

قال الناس: نعم... (فإنه أعجبنى حديث تميم أنه وافق الذى كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة. ألا إنه فى بحر الشام أو بحر اليمن، لا بل من قبل المشرق، ما هو، من قبل المشرق، ما هو<sup>(٤)</sup>، من قبل المشرق، ما هو) وأوماً بيده إلى المشرق. قالت: فحفظت هذا من رسول الله ﷺ<sup>(٥)</sup>.

\*\*\*

(١) عين زغر: هى بلدة معروفة فى الجانب القبلى من الشام.

(٢) طيبة: المدينة.

(٣) صلناً: مسلولاً.

(٤) ما هو: قال القاضى: لفظه ما هو زائدة، صلة للكلام، ليست بنافية، والمراد إثبات أنه فى جهات الشرق.

(٥) أخرجه مسلم (٢٩٤٢) الفتن وأشراط الساعة.

## النبي ﷺ يُرسل رسله إلى أهل اليمن خالد وعلى (رضى الله عنهما) وقصة إسلام همدان

\* عن أبي إسحاق قال سمعتُ البراءَ رضِيَ اللهُ عنه يقول: «بعثنا رسولَ اللهِ ﷺ معَ خالد بن الوليد إلى اليمن. قال: ثم بعثَ عليًّا بعد ذلك مكانه فقال: مرُّ أصحابَ خالد من شاء منهم أن يُعقَّبَ معك فليُعقَّب، ومن شاء فليُقبَل. فكننت فيمن عَقَّبَ معه، قال: فغنمت أواقِي ذواتِ عَدَدٍ»<sup>(١)</sup>.

\* وفي رواية الإسماعيلي: «قال البراء: فكننت ممن عَقَّبَ معه، فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا فصلى بنا (على) ووصفنا صفاً واحداً، ثم تقدم بين أيدينا فقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ، فأسلمت همدان جميعاً، فكتب (على) إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم، فلما قرأ الكتاب خرَّ ساجداً، ثم رفع رأسه وقال: السلام على همدان»<sup>(٢)</sup>.

## النبي ﷺ يرسل معاذاً وأبى موسى إلى اليمن

عن أبي بردة قال «بعث رسولُ اللهِ ﷺ أبا موسى ومُعَاذَ بنَ جَبَلٍ إلى اليمن، قال: وبعث كل واحد منهما عليّ مخلاًف، قال: واليمنُ مخلّافان ثم قال: يسراً ولا تُعسِّرا، وبشراً ولا تُنْفِرا. فانطلق كل واحد منهما إلى عمله، وكان كل واحد منهما إذا سار في أرضه كان قريباً من صاحبه أحدث به عهداً فسلم عليه. فسار معاذٌ في أرضه قريباً من صاحبه أبا موسى، فجاء يسيرُ عليّ بغلته حتى انتهى إليه، وإذا هو جالس وقد اجتمع إليه الناس، وإذا رجلٌ عنده قد جمعت يده إلى عنقه، فقال له معاذ: يا عبد الله ابن قيس أيم هذا؟ قال: هذا رجلٌ كفر بعد إسلامه. قال: لا أنزل حتى يُقتل. قال: إنما جيء به لذلك، فانزل. قال: ما أنزل حتى يُقتل. فأمر به فقتل، ثم نزل فقال: يا عبد الله، كيف تقرأ القرآن؟ قال: أتفوقه تفوقاً. قال: فكيف تقرأ أنت يا معاذ؟ قال: أنا أول الليل، فأقوم وقد قضيتُ جزئي من النوم، فأقرأ ما كتب الله لي، فأحتسب نومتي، كما أحتسب قومتي»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخارى (٤٣٤٩) كتاب المغازى.

(٢) فتح البارى (٦٦٤/٧).

(٣) أخرجه البخارى (٤٣٤٢، ٤٣٤١) المغازى.

\* وفي رواية في البخارى أيضاً أن أبا بردة قال: «زارَ مُعَاذَ أبا موسى، فإذا رجُلٌ موثِقٌ. فقال: ما هذا؟ فقال أبو موسى: يهودىُّ أسلمَ ثم ارتدَّ. فقال مُعَاذٌ: لأضربنَّ عنقه».

### وصية النبي ﷺ لمعاذ (رضى الله عنه)

\* عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: (إنك ستأتى قومًا من أهل الكتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب)»<sup>(١)</sup>.

### فراق مؤلم

وها هو النبي ﷺ يخبر معاذًا بأنه لن يراه بعد اليوم أبدًا.. وكان ما أخبر به النبي ﷺ فلقد ذهب معاذ إلى اليمن ومات النبي ﷺ ولم يره معاذ رضى الله عنه.

\* من حديث عاصم بن حميد السكونى رضى الله عنه «أن معاذ ابن جبل لما بعثه النبي ﷺ إلى اليمن، فخرج النبي ﷺ يوصيه ومعاذ راكب، ورسول الله ﷺ يمشى تحت راحلته، فلما فرغ، قال: (يا معاذ إنك عسى أن لا تلقانى بعد عامى هذا، ولعلك أن تمر بمسجدى وقبرى) فبكى معاذ خاشعاً لفراق النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: (لا تبك يا معاذ... البكاء، أو إن البكاء من الشيطان)»<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) أخرجه البخارى (٤٣٤٧) المغازى - ومسلم (١٩) الإيمان.

(٢) رواه أحمد (٢٣٥/٥)، والطبرانى فى الكبير (٢٠/١٢٠) ورجاله ثقات وسنده جيد.

## حجة الوداع

أعلن رسول الله ﷺ نيته بالحج، وأشعر الناس بذلك حتى يصحبه من شاء.. والحج هذه المرة، جاء مغايراً لما ألفته العرب أيام جاهليتها.

انتهت العهود المعطاة للمشركين، وحُظر عليهم أن يدخلوا المسجد الحرام.

فأصبح أهل الموسم - قاطبة - من الموحدين الذين لا يعبدون مع الله شيئاً، وأقبلت وفود الله من كل صوب تيمم وجهها شطر البيت العتيق، وهي تعلم أن رسول الله ﷺ، هو في هذا العام أمير حجهم ومعلمهم مناسكهم!

ونظر رسول الله ﷺ إلى الألوف المؤلفة وهي تُلبى وتهرع إلى طاعة الله.

فشرح صدره انقيادها للحق، واهتداؤها إلى الإسلام وعزم أن يغرّس في قلوبهم لباب الدين، وأن ينتهز هذا التجمع الكريم ليقول كلمات تبدد آخر ما أبقت الجاهلية من مخلفات في النفوس، وتؤكد ما يحرص الإسلام على إشاعته من آداب وعلائق وأحكام.

\* كان الرسول ﷺ يريد - بعد بلاء طويل في إيلاغ الرسالة - أن يُفرغ في آذان الناس وقلوبهم آخر ما لديه من نُصح.

كان يحس أن هذا الركب سينطلق في بيداء الحياة وحده، فهو يصرخ به كما يصرخ الوالد بابنه الذي انطلق به القطار، يوصيه الرشد، ويذكره بما ينفعه أبداً.

وكان هذا النبي الطيب، كلما أوجس خيفة من مكر الشيطان بالناس، أعاد صيحات الإنذار، واستثار أقصى ما في الأعماق من انتباه. ثم ساق الهدى والعلم.. وقطع المعاذير المنتحلة، وانتزع - بعد ذلك - شهادة من الناس على أنفسهم وعليه أنهم قد سمعوا، وأنه قد بلغ..

لقد ظل ثلاثاً وعشرين سنة يصل الأرض بالسماء ويتلو على القاصي والداني آي

الكتاب الذي نزل به الروح الأمين على قلبه، ويغسل أدران الجاهلية التي التاث بها كل شيء، ويربى من هؤلاء العرب، الجيل الذي يفقه الحقائق ويفقه المعالم فيها..  
وها هو ذا يقود الحجيج في أول موسم يخلص فيه من الشرك، ويتمحضر فيه لله الواحد القهار<sup>(١)</sup>.

### حجة الوداع كما رواها جابر رضى الله عنه

\* عن جابر بن عبد الله (رضى الله عنهما) قال:

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَكَثَ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحْجَّ. ثُمَّ أَذَّنَ<sup>(٢)</sup> فِي النَّاسِ فِي الْعَاشِرَةِ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَاجٌّ. فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَشْرًا كَثِيرًا. كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتِمَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَيَعْمَلُ مِثْلَ عَمَلِهِ. فَخَرَجْنَا مَعَهُ. حَتَّى أَتَيْنَا ذَا الْحُلَيْفَةِ. فَوَلَدَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ مُحَمَّدَ ابْنِ أَبِي بَكْرٍ. فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ أَصْنَعُ؟ قَالَ: «اغْتَسِلِي. وَاسْتَفْرِي<sup>(٣)</sup> بِثَوْبٍ وَأَحْرِمِي» فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ.

### الإحرام من الميقات

ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ<sup>(٤)</sup> حَتَّى إِذَا اسْتَوَتْ بِهِ نَاقَتُهُ عَلَى الْبَيْدَاءِ. نَظَرْتُ إِلَى مَدْبَصِرِي بَيْنَ يَدَيْهِ. مِنْ رَاكِبٍ وَمَاشٍ. وَعَنْ يَمِينِهِ مِثْلَ ذَلِكَ. وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلَ ذَلِكَ. وَمَنْ حَلَفَهُ مِثْلَ ذَلِكَ. وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا. وَعَلَيْهِ يَنْزِلُ الْقُرْآنُ. وَهُوَ يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ. وَمَا عَمَلَهُ بِهِ مِنْ شَيْءٍ عَمَلْنَا بِهِ. فَأَهْلٌ بِالتَّوْحِيدِ: «لَيْتِكَ اللَّهُمَّ لَيْتِكَ. لَيْتِكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَيْتِكَ. إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ». وَأَهْلٌ النَّاسُ بِهَذَا الَّذِي يَهْلُونَ بِهِ. فَلَمْ يَرُدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِمْ شَيْئًا مِنْهُ. وَلَزِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَلْبِيَّتَهُ. قَالَ جَابِرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَسْنَا نَتَوَى إِلَّا الْحَجَّ. لَسْنَا نَعْرِفُ الْعُمْرَةَ.

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ٥٠٢، ٥٠٥).

(٢) أذن في الناس: أعلمهم بذلك وأشاع بينهم ليتأهلوا للحج معه، ويتعلموا المناسك والأحكام ويشهدوا أقواله وأفعاله ويوصيهم ليلبغ الشاهد وتشيع دعوة الإسلام.

(٣) استفري: الاستفثار هو أن تشد في وسطها شيئاً، فتأخذ خرقة عريضة تجعلها على محل الدم وتشد طرفيها من قدامها ومن ورائها في ذلك المشد في وسطها.

(٤) القصواء: ناقته. والقصواء معناها المقلوعة الأذن عرضاً.



## الطواف للعمرة

حَتَّى إِذَا أَتَيْنَا الْبَيْتَ مَعَهُ، اسْتَلَمَ الرُّكْنَ <sup>(١)</sup> فَرَمَلَ ثَلَاثًا <sup>(٢)</sup> وَمَشَى أَرْبَعًا. ثُمَّ نَفَذَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ <sup>(٣)</sup> عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَقَرَأَ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، فَجَعَلَ الْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ. فَكَانَ أَبِي يَقُولُ (وَلَا أَعْلَمُهُ ذَكَرَهُ إِلَّا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ): كَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ. ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الرُّكْنِ فَاسْتَلَمَهُ.

## السعي بين الصفا والمروة

ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ إِلَى الصَّفَا، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]، «أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ» فَبَدَأَ بِالصَّفَا. فَرَقَى عَلَيْهِ. حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ. فَوَحَّدَ اللَّهَ، وَكَبَّرَهُ. وَقَالَ: [لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ. أَنْجَزَ وَعَدَهُ. وَنَصَرَ عَبْدَهُ. وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ] ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ. قَالَ مِثْلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَرْوَةِ. حَتَّى إِذَا انْصَبَتْ <sup>(٤)</sup> قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي سَعَى، حَتَّى إِذَا صَعِدَتَا <sup>(٥)</sup> مَشَى. حَتَّى أَتَى الْمَرْوَةَ. فَفَعَلَ عَلَى الْمَرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفَا.

## الأمر بالتحلل: (تحويل الحج إلى عمرة)

حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرُ طَوَافِهِ عَلَى الْمَرْوَةِ فَقَالَ: «لَوْ أَنِّي اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ لَمْ أَسْقِ الْهَدْيَ. وَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً. فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ لَيْسَ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيَحِلَّ. وَلْيَجْعَلْهَا عُمْرَةً». فَقَامَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشَمٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَلْعَامَنَا هَذَا أَمْ لَا أَبَدٍ؟ فَشَبَّكَ

(١) الركن: الحجر الأسود، والاستلام: المسح والتقبيل بالتكبير والتهليل إن أمكنه ذلك من غير إيذاء أحد. وإلا فتكنى الإشارة من بعيد.

(٢) إسراع المشى مع تقارب الخطأ.

(٣) نفذ إلى مقام إبراهيم: بلغه ماضيًا في زحام.

(٤) انصبت قدماه: انحدرت.

(٥) صعدتا: ارتفعت قدماه عن بطن الوادي.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَصَابَهُ وَاحِدَةٌ فِي الْأُخْرَى. وَقَالَ: «دَخَلَتِ الْعُمْرَةُ فِي الْحَجِّ» مَرَّتَيْنِ «لَا بَلٌ لِأَبَدٍ أَبَدٍ».

### تحلل فاطمة بأمر النبي ﷺ

وَقَدِمَ (عَلِيٌّ) مِنَ الْيَمَنِ بِيَدِنِ النَّبِيِّ ﷺ. فَوَجَدَ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَمَّنْ حَلَّ. وَلَبَسَتْ ثِيَابًا صَبِيغًا. وَاکْتَحَلَتْ. فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهَا. فَقَالَتْ: إِنَّ أَبِي أَمَرَنِي بِهَذَا. قَالَ: فَكَانَ عَلِيٌّ يَقُولُ بِالْعِرَاقِ: فَذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: مُحَرَّشًا<sup>(١)</sup> عَلَيَّ فَاطِمَةَ. لِلَّذِي صَنَعْتُ. مُسْتَفْتِيًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: فِيمَا ذَكَرْتَهُ عَنْهُ. فَأَخْبَرْتُهُ أَنِّي أَنْكَرْتُ ذَلِكَ عَلَيْهَا. فَقَالَ: «صَدَقْتُ صَدَقْتُ. مَاذَا قُلْتَ حِينَ فَرَضْتَ الْحَجَّ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُمَّ! إِنِّي أَهْلٌ بِمَا أَهَلَ بِهِ رَسُولُكَ. قَالَ: «فَإِنَّ مَعِيَ الْهَدْيَ فَلَا تَحِلُّ» قَالَ: فَكَانَ جَمَاعَةُ الْهَدْيِ الَّذِي قَدِمَ بِهِ عَلَيَّ مِنَ الْيَمَنِ وَالَّذِي أَتَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ: مِائَةً.

### تحلل الصحابة بالتقصير

قال جابر: فَحَلَّ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَقَصَرُوا. إِلَّا النَّبِيُّ ﷺ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ.

### مناسك الحج

#### (١) التوجه إلى منى محرمين:

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ تَوَجَّهُوا إِلَى مَنَى. فَأَهَلُّوا بِالْحَجِّ. وَرَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَصَلَّى بِهَا الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ. ثُمَّ مَكَثَ قَلِيلًا حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ، وَأَمَرَ بِقَبَّةٍ مِنْ شَعْرٍ تُضْرَبُ لَهُ بِنَمْرَةٍ<sup>(٢)</sup>.

#### (٢) التوجه إلى عرفات:

فَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَلَا تَشْكُ قُرَيْشٌ إِلَّا أَنَّهُ وَقَفَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ<sup>(٣)</sup>. كَمَا

(١) محرشًا: التحريش: الإغرار والمراد هنا أن يذكر له ما يقتضى عتابها.

(٢) نمرة: موضع بجانب عرفات وليس من عرفات.

(٣) المشعر الحرام: جبل بمزدلفة كانت قريش تقف عليه، ولا تقف مع العرب في عرفات ولكن الرسول خالفهم فوقف مع الناس كما أمره الله «ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس» أي سائر العرب غير قريش.

كَانَتْ فُرَيْشٌ تَصْنَعُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. فَأَجَازَ<sup>(١)</sup> رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَتَى عَرَفَةَ. فَوَجَدَ الْقُبَّةَ قَدْ ضُرِبَتْ لَهُ بِنَمْرَةٍ. فَنَزَلَ بِهَا. حَتَّى إِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ أَمَرَ بِالْقَصْوَاءِ. فَرَحِلَتْ لَهُ<sup>(٢)</sup>. فَأَتَى بَطْنَ الْوَادِي<sup>(٣)</sup>.

### • الرسول ﷺ يخطب في حجة الوداع:

فخطب النَّاسَ وَقَالَ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ. كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا. فِي شَهْرِكُمْ هَذَا. فِي بَلَدِكُمْ هَذَا. أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي مَوْضُوعٌ. وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ وَإِنْ أَوْلَ دَمٍ أَضَعَهُ مِنْ دِمَائِنَا دَمَ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ. كَانَ مُسْتَرَضِعًا فِي بَنِي سَعْدٍ فَقَتَلْتُهُ هَذَا. وَرَبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ وَأَوْلُ رَبَاً أَضَعُ رَبَانًا. رَبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ. فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ. فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ. فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ. وَاسْتَحْلَلْتُمُ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ. وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطئنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ<sup>(٤)</sup>. فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مَبْرَحٍ<sup>(٥)</sup>. وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكَسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ. وَقَدْ تَرَكَتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضَلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ. كِتَابَ اللَّهِ. وَأَنْتُمْ تَسْأَلُونَ عَنِّي. فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَأَدَيْتَ وَنَصَحْتَ. فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَابَةَ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا<sup>(٦)</sup> إِلَى النَّاسِ: «اللَّهُمَّ! اشْهَدْ. اللَّهُمَّ! اشْهَدْ» ثَلَاثَ مَرَاتٍ.

(١) فأجاز: جاوز المزدلفة ولم يقف بها، وإنما توجه إلي عرفات.

(٢) رحلت: وضع عليها الرحل.

(٣) بطن الوادي: وادي عرنة، وليست عرنة من أرض عرفات عند العلماء كافة، إلا مالكا فقال: هي من عرفات.

(٤) ولكن عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه: أن لا يأذن لأحد تكرهونه في دخول بيوتكم والجلوس في منازلكم، سواء كان المأذون له رجلا أجنبيا أو امرأة أو أحدا من محارم الزوجة فالنهي يتناول الجميع، وهذا حكم المسألة عند الفقهاء: أنها لا يحل لها أن تأذن لرجل ولا امرأة لا محررم ولا غيره، في دخول منزل الزوج إلا من علمت أو ظنت أن الزوج لا يكرهه.

(٥) الضرب المبرح: الشديد الشاق.

(٦) ينكته: يقلبها ويردها إلي الناس مشيراً إليهم.

### • روايات أخرى فى خطبة النبى ﷺ :

ولقد وردت روايات أخرى فى خطبة النبى ﷺ فى هذا اليوم المبارك فإليكم باقة من تلك الروايات العطرة:

\* عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يخطب فى حجة الوداع فقال: (اتقوا الله ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا إذا أمركم، تدخلوا جنة ربكم)»<sup>(١)</sup>.

\* وفى رواية أنه قال: «... ألا لا يجنى جان إلا على نفسه، ولا يجنى والد على ولده، ولا ولد على والده، ألا إن المسلم أخو المسلم، فليس يحل لمسلم من أخيه شىء إلا ما أحل من نفسه.

ألا وإن كل ربا فى الجاهلية موضوع، لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون غير ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله.

ألا وإن كل دم كان فى الجاهلية موضوع، وأول دم وضع من دماء الجاهلية دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، كان مسترضعاً فى بنى ليث فقتلته هذيل.

ألا واستوصوا بالنساء خيراً فإنما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة بينة، فإن فعلن فاهجروهن فى المضاجع، واضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن أظعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً.

ألا إن لكم على نسائكم حقاً، ولنسائكم عليكم حقاً، فأما حقكم على نسائكم، فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن فى بيوتكم من تكرهون، ألا وإن حقهن عليكم أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن»<sup>(٢)</sup>.

\* وعن أبى بكره رضى الله عنه: أن النبى ﷺ قال: (إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً، منها أربعة حُرُم: ثلاثة متواليات - ذو القعدة وذو الحجة والمحرم - ورجب شهر مضر الذى بين جمادى وشعبان... ثم قال: أى شهر هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: (أليس ذو الحجة) قلنا: بلى. قال: (فأى بلد هذا؟) قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى

(١) رواه الترمذى (٤٣٤)، وأحمد (٢٥١/٥)، والحاكم (٣٨٩/١) وصححه ووافقه الذهبى.

(٢) رواه الترمذى (٢١٥٩)، وابن ماجه (٣٠٥٥)، وأحمد (٤٩٩/٣) وسنده صحيح.

ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: (أليس البلدة؟) قلنا: بلى. قال: (فأى يوم هذا؟) قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه.. قال: (أليس يوم النحر؟) قلنا: بلى يا رسول الله. قال: (فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرامٌ عليكم، كحرمة يومكم هذا. في بلدكم هذا، في شهركم هذا.

وستلقون ربكم فسيألکم عن أعمالکم، فلا ترجعنَّ بعدى كفاراً (أو ضللاً) يضربُ بعضكم رقاب بعض. ألا ليلغ الشاهد الغائب. فلعل بعض من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه) ثم قال: (ألا هل بلغت) (مرتين)<sup>(١)</sup>.

### (٣) الوقوف في عرفة:

ثُمَّ أَدَّنَ. ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الظُّهْرَ. ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى العَصْرَ. وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُمَا شَيْئاً. ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَتَى المَوْقِفَ. فَجَعَلَ بَطْنَ نَاقَتِهِ القَصْوَاءَ إِلَى الصَّخْرَاتِ<sup>(٢)</sup>. وَجَعَلَ حَبْلَ المِشَاءِ بَيْنَ يَدَيْهِ<sup>(٣)</sup>. وَاسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ. فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفاً حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ. وَذَهَبَتِ الصُّفْرَةُ قَلِيلاً حَتَّى غَابَ القُرْصُ<sup>(٤)</sup>. وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ خَلْفَهُ.

### (٤) الإفاضة من عرفات:

وَدَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ شَنَّقَ للقَصْوَاءِ<sup>(٥)</sup> الزَّمَامَ. حَتَّى إِذَا رَأَسَهَا لِيُصِيبُ مَوْرِكَ رَحْلِهِ<sup>(٦)</sup>. وَيَقُولُ بِيَدِهِ اليَمْنَى<sup>(٧)</sup>: «أَيُّهَا النَّاسُ! السَّكِينَةَ السَّكِينَةَ»<sup>(٨)</sup> كُلَّمَا أَتَى حَبِلاً مِنْ الحِبَالِ<sup>(٩)</sup> أَرخَى لَهَا<sup>(١٠)</sup> قَلِيلاً حَتَّى تَصْعَدَ.

(١) أخرجه البخارى (١٧٤١) الحج - ومسلم (١٦٧٩) القسامة.

(٢) الصخرات: صخرات في أسفل جبل الرحمة، وهو الجبل الذى يوسط أرض عرفات. فهذا هو الموقف المستحب.

(٣) جبل المشاة: مجتمعهم، وقيل جبل المشاة: ومعناه طريقهم حيث تسلك الرحالة.

(٤) حتى غاب القرص: حتى غابت الشمس وذهبت الصفرة

(٥) وقد شقق للقصواء: ضمم وضيق.

(٦) مورك رحله: هو قطعة أدم يتورك عليها الراكب تجعل في مقدمة الرحل شبه المخدة الصغيرة.

(٧) ويقول بيده: يشير بيده.

(٨) السكينة: أى الزموا السكينة. وهى الرفق والطمأنينة.

(٩) كلما أتى حبلاً من الحبال: الحبل: التل العظيم من الرمل.

(١٠) أرخى لها: أرسل زمام القصواء قليلاً.

## (٥) المبيت في المزدلفة:

حَتَّى أَتَى الْمُزْدَلِفَةَ. فَصَلَّى بِهَا الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ بِأَذَانٍ وَاحِدٍ وَإِقَامَتَيْنِ. وَلَمْ يُسَبِّحْ بَيْنَهُمَا شَيْئاً<sup>(١)</sup> ثُمَّ اضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ. وَصَلَّى الْفَجْرَ، حِينَ تَبَيَّنَ لَهُ الصُّبْحُ، بِأَذَانٍ وَإِقَامَةٍ.

## (٦) الوقوف عند المشعر الحرام:

ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ. حَتَّى أَتَى الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ. فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ. فَدَعَاهُ وَكَبَّرَهُ وَهَلَّلَهُ وَوَحَّدَهُ. فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفاً حَتَّى أَسْفَرَ جِداً<sup>(٢)</sup>.

## (٧) الدفع من المزدلفة لرمى الجمرات:

فَدَفَعَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ. وَأَرْدَفَ الْفَضْلَ بْنَ عَبَّاسٍ. وَكَانَ رَجُلًا حَسَنَ الشَّعْرِ أَبْيَضَ وَسِيمًا. فَلَمَّا دَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَرَّتْ بِهِ ظُعْنٌ يَجْرِينِ<sup>(٣)</sup>. فَطَفِقَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهِنَّ. فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى وَجْهِ الْفَضْلِ. فَحَوَّلَ الْفَضْلُ وَجْهَهُ إِلَى الشَّقِّ الْآخَرَ يَنْظُرُ. فَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ مِنَ الشَّقِّ الْآخَرَ عَلَى وَجْهِ الْفَضْلِ. يَصْرِفُ وَجْهَهُ مِنَ الشَّقِّ الْآخَرَ يَنْظُرُ. حَتَّى أَتَى بَطْنَ مُحَسَّرٍ<sup>(٤)</sup>. فَحَرَكَ قَلِيلاً.

## (٨) رمى الجمرة الكبرى:

ثُمَّ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَسْطَى الَّتِي تَخْرُجُ عَلَى الْجَمْرَةِ الْكُبْرَى<sup>(٥)</sup>. حَتَّى أَتَى الْجَمْرَةَ الَّتِي عِنْدَ الشَّجَرَةِ. فَرَمَاهَا بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ. يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ مِنْهَا. حَصَى الْخَذْفِ<sup>(٦)</sup>. رَمَى مِنْ بَطْنِ الْوَادِي.

(١) ولم يسبح بينهما شيئاً: أى لم يصل بينهما نافلة.

(٢) حتى أسفر جداً: حتى قاربت الشمس على الطلوع.

(٣) مرت به ظعن يجرين: الجمال التي تحمل النساء.

(٤) بطن محسر: سمي بذلك لأن فيل أصحاب الفيل حُسر فيه، أى أعياء وكل.

(٥) الجمرة الكبرى: جمرة العقبة.

(٦) حصى الخذف: أى حصى صغار.

## (٩) النحر والحلق؛

ثُمَّ انصَرَفَ إِلَى الْمَنْحَرِ فَنَحَرَ ثَلَاثًا وَسَتِينَ بِيَدِهِ. ثُمَّ أُعْطِيَ عَلِيًّا. فَنَحَرَ مَا غَبَرَ<sup>(١)</sup>.  
وَأَشْرَكَهُ فِي هَدْيِهِ. ثُمَّ أَمَرَ مِنْ كُلِّ بَدَنَةٍ بِيَضْعَةٍ. فَجَعَلَتْ فِي قِدْرِ. فَطَبَخَتْ. فَأَكَلَا مِنْ  
لَحْمِهَا وَشَرَبَا مِنْ مَرَقِهَا.

## (١٠) الإفاضة لطواف الإفاضة؛

ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَفَاضَ إِلَى الْبَيْتِ. فَصَلَّى بِمَكَّةَ الظُّهْرَ. فَاتَى بَنِي عَبْدِ  
المُطَّلَبِ! يَسْتَقُونَ عَلِيَّ زَمَزَمَ فَقَالَ: «انزعوا بني عبد المطلب فلولا أن يغلبكم الناس على  
سقايتكم لنزعتم معكم» فَنَاولُوهُ دَلْوًا فَشَرِبَ مِنْهُ<sup>(٢)</sup>.

## هذا هو منهج التيسير

\* عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: «وقف رسول الله ﷺ  
على راحلته، فطفق ناس يسألونه. فيقول القائل منهم: يا رسول الله! إنى لم أكن أشعر  
أن الرمي قبل النحر. فنحرت قبل الرمي، فقال رسول الله ﷺ (فارم ولا حرج).  
قال: وطفق آخر يقول: إنى لم أشعر أن النحر قبل الحلق، فحلقت قبل أن أنحر،  
فيقول: (انحر ولا حرج) قال: فما سمعته يسأل يومئذ عن أمر، مما ينسى المرء ويجهل،  
من تقديم بعض الأمور قبل بعض، وأشباهاها، إلا قال رسول الله ﷺ: (افعلوا ذلك ولا  
حرج)<sup>(٣)</sup>.

## النبى ﷺ يعود سعد بن أبى وقاص (رضى الله عنه)

\* عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال: «عادنى رسول الله ﷺ فى حجة  
الوداع من وجع أشفيت منه على الموت. فقلت يا رسول الله، بلغنى ما ترى من الوجع،  
وأنا ذو مال، ولا يرثنى إلا ابنة لى واحدة. أفأتصدق بثلثى مالى؟ قال: (لا). قلت:  
أفأتصدق بشطره؟ قال: لا. قلت: فالثلث؟ قال: (لا). الثلث والثلث كثير إنك إن تذر

(١) ما غبر: ما بقى.

(٢) أخرجه مسلم (١٤٧) (١٢١٨) كتاب الحج.

(٣) أخرجه البخارى (١٧٣٦) الحج - ومسلم (٣٢٨) - (١٣٠٦) الحج. واللفظ لمسلم.

ورثك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكفون الناس، ولست تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجرت بها، حتى اللقمة تجعلها في فيّ امرأتك) - أى فى فمها - .

قلت: يا رسول الله. أُخلف بعد أصحابي؟ قال: (إنك لن تخلف فتعمل عملاً تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة، ولعلك تُخلف حتى ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون. اللهم أمض لأصحابي هجرتهم، ولا تردهم على أعقابهم...»<sup>(١)</sup>.

### وصيته ﷺ عند عودته إلى المدينة

\* عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال: «قام فينا رسول الله ﷺ يوماً خطيباً، بماء يُدعى خمأ بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر.

ثم قال: (أما بعد: ألا أيها الناس! فإنما أنا بشر يوشك أن يأتى رسول ربي فأجيب. وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به) فحث على كتاب الله ورغّب فيه، ثم قال: (وأهل بيتي، أذكركم الله فى أهل بيتي، أذكركم الله فى أهل بيتي. أذكركم الله فى أهل بيتي)<sup>(٢)</sup>.

### بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين

كانت كبرياء دولة الروم قد جعلتها تأبى أن يكون للإسلام وجود فى أى بقعة فى أرضها... وحملها ذلك على أن تقتل من أتباعها من يدخل فيه، كما فعلت بفروة بن عمرو الجذامى الذى كان ولياً على معان من قبل الروم.

ونظراً إلى هذه الجراءة والغطرسة أخذ رسول الله ﷺ يجهز جيشاً كبيراً فى صفر سنة ١١هـ، وأمر عليه أسامة بن زيد بن حارثة، وأمره أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين، يبعث بذلك إرهاب الروم وإعادة الثقة إلى قلوب العرب الضارين على الحدود، حتى لا يحسبن أحد أن بطش الكنيسة لا معقب له، وأن الدخول فى الإسلام يجر على أصحابه الحتوف فحسب.

وتكلم الناس فى قائد الجيش لحدائثه سنه، واستبظأوا فى بعثه<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخارى (١٢٩٥) الجناز - ومسلم (١٦٢٨) الوصية.

(٢) أخرجه مسلم - كتاب فضائل الصحابة - فى فضائل أهل البيت - وأحمد (٤/٣٦٦).

(٣) الرحيق المختوم (ص: ٥٠٣).



\* وعن ابن عمر رضی الله عنهما قال أمر رسول الله ﷺ أسامة على قوم قطعوا في إمارته فقال: «إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله، وإيم الله لقد كان خليقاً للإمارة، وإن كان من أحب الناس إليّ، وإن هذا لمن أحب الناس إليّ بعده»<sup>(١)</sup>.  
وفي رواية أنه قال: «إن كان لأحبهم إليّ من بعده فأوصيكم به فإنه من صالحكم».

### وقصة هامة

\* قال الحافظ ابن كثير: وقد انتدب كثير من الكبار من المهاجرين الأولين والأنصار في جيشه، فكان من أكبرهم عمر بن الخطاب، ومن قال: إن أبا بكر كان فيهم فقد غلط، فإن رسول الله ﷺ اشتد به المرض وجيش أسامة مخيم بالجرف. وقد أمر النبي ﷺ أبا بكر أن يصلى بالناس كما سيأتى. فكيف يكون في الجيش وهو إمام المسلمين بإذن الرسول من رب العالمين، ولو فرض أنه كان قد انتدب معهم فقد استثناه الرسول ﷺ من بينهم بالنص عليه للإمامة في الصلاة التي هي أكبر أركان الإسلام، ثم لما توفي عليه الصلاة والسلام استطلق الصديق من أسامة عمر بن الخطاب، فأذن له في المقام عند الصديق، ونفذ الصديق جيش أسامة»<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) أخرجه البخارى (٤٢٥٠)، ومسلم (٢٤٢٦).

(٢) السيرة النبوية لابن كثير (٤/٤٤١).

## مرض الرسول ﷺ ووفاته

\* إن الأحداث العظيمة يسبقها من الإرهاصات والعلامات التي تشير إلى قرب وقوعها، وقد تم للمسلمين فتح مكة أم القرى في السنة الثامنة من الهجرة المباركة، وفي السنة التاسعة أقبلت الوفود تُقرّ بالإسلام أو تعطى الجزية عن يد وهم صاغرون، وأرهب جيشُ العُسرة الذي خرج به النبي ﷺ جحافل الروم حتى فروا من مواجهته، ودانت جزيرة العرب بالإسلام، وكان ذلك بعد عشر سنين من جهاد النبي ﷺ المتواصل وصحابته الكرام رضی الله عنهم، فكل العلامات تشير إلى انتهاء مهمة رسول الله ﷺ، فقد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، وأصبح الناس على محجة بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك<sup>(١)</sup>.

\* ويا لها من لحظات عصيبة عندما أحمل قلمي لأسطر به تلك الصفحات التي تحكى قصة مرض وموت النبي ﷺ .

\* فموت النبي ﷺ من أعظم المصائب التي أصيب بها المسلمون ولذلك قال ﷺ: «إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصيبتى بي فإنها من أعظم المصائب»<sup>(٢)</sup>.

\* قال صاحب كتاب (تسليّة أهل المصائب):

ومن أعظم المصائب في الدين موت النبي ﷺ لأن المصيبة به أعظم من كل مصيبة يصاب بها المسلم لأن بموته ﷺ انقطع الوحي من السماء إلى يوم القيامة وانقطعت النبوات، وكان موته أول ظهور الشر والفساد بارتداد الذين ارتدوا عن الدين من الأعراب، فهذا أول انقطاع عرى الدين ونقصانه وغير ذلك من الأمور التي لا تحصى.

\* قال أبو العتاهية مسلماً بعض إخوانه في موت ولد له اسمه محمد:

(١) وقفات تربوية (ص: ٤٠٣).

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٧).

اصبر لكل مصيبة وتجلد  
أو ما ترى أن المصائب جمّة  
من لم يُصب ممن ترى بمصيبة  
فإذا ذكرت محمداً ومصابه  
واعلم بأن المرء غير مخلد  
وترى المنية للعباد بمرصّد  
هذا سبيل لست فيه بأوحد  
فاذكر مصابك بالنبى محمد<sup>(١)</sup>

### العلامات التي أشارت إلى قرب انتهاء أجله ﷺ

ولقد سبق موت النبى ﷺ علامات تشير إلى قرب انتهاء أجله ﷺ فمن بين ذلك:

أنه ﷺ كان يعتكف كل سنة عشرًا فى رمضان فاعتكف فى السنة الأخيرة عشرين ليلة وكان جبريل يعارضه القرآن مرة فى رمضان فعارضه فى السنة الأخيرة مرتين.

\* ومن ذلك ما رواه أحمد عن معاذ قال: لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن، خرج معه رسول الله ﷺ يوصيه، ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشى تحت راحلته، فلما فرغ قال: «يا معاذ إنك عسى أن لا تلقانى بعد عامى هذا، أو لعلك أن تمر بمسجدى هذا وقبرى فبكى معاذ جشعًا لفراق رسول الله ﷺ، ثم التفت فأقبل بوجهه نحو المدينة فقال: «إن أولى الناس بى المتقون من كانوا وحيث كانوا»<sup>(٢)</sup>.

\* وخرج النبى ﷺ للحج فى السنة العاشرة وقال: «خذوا عنى مناسككم لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا وطفق يودع الناس»<sup>(٣)</sup>.

ونزل عليه بعرفة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

\* وفى ثانى أيام التشريق نزل عليه قوله عز وجل: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١ - ٣].

(١) مختصر تسلية أهل المصائب لأبى عبد الله محمد بن محمد بن محمد المنبجى الحنبلى / اختصار وتحقيق العبد الفقير إلى الله (ص: ١٧).

(٢) رواه أحمد (٢٣٥/٥) قال الهيثمى: رواه أحمد بإسنادين ورجال الإسنادين رجال الصحيح غير راشد بن سعد وعاصم بن حميد وهما ثقتان - مجمع الزوائد (٢٢/٩).

(٣) سبق تخريجه.

عن ابن عباس قال: كان عمر يُدخلني مع أشياخ بدر فكان بعضهم وجد في نفسه، فقال: لم تدخل هذا معنا؛ ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من حيث علمتم.

فدعا ذات يوم فأدخله معهم، قال: فما رؤيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم. قال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾. قال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره، إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا. قال: فما تقول؟ فقلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له، قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ وذلك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾ فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول (١).

\* وروى الطبراني عن أم سلمة قالت: كان رسول الله ﷺ قبل أن يموت يكثر أن يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك، استغفرك وأتوب إليك» قالت: يا رسول الله إني أراك تُكثر أن تقول: سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك؟ فقال: إني أمرت بأمرٍ فقرأ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ (٢).

\* ومن هذه العلامات أنه ﷺ خرج إلى أحد فصلى على الشهداء كالمودع للأحياء والأموات ثم انصرف إلى المنبر فقال: «إني فرطكم، وإني شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها» (٣).

\* ومن هذه العلامات تتابع الوحي على رسول الله ﷺ ... عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: إن الله تابع الوحي على رسول الله ﷺ قبل وفاته، حتى توفاه أكثر ما كان الوحي (٤).

قال الحافظ: والسر في ذلك أن الوفود بعد فتح مكة كثروا وكثر سؤالهم عن الأحكام فكثر النزول بسبب ذلك (٥).

(١) رواه البخارى (٤٩٧٠) التفسير.

(٢) أورده الهيثمى فى المجمع (١٤٢٤٣) وقال: رواه الطبرانى فى الصغير ورجاله رجال الصحيح.

(٣) رواه أبو داود (٣٢٠٧) ورواه النسائى مختصراً (٤/٢١، ٦٢) وصححه الألبانى فى صحيح سنن النسائى (١٨٤٦).

(٤) رواه البخارى (٦١٨/٨) فضائل القرآن ومسلم (١٨/١٠٢) التفسير.

(٥) فتح البارى (٨/٦٢٣).

\* ومن هذه الإشارات القوية ما رواه أبو سعيد الخدري رضى الله عنه قال: خطب النبي ﷺ وقال: «إن الله خيرٌ عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله» قال فبكى أبو بكر فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيرٍ .. فكان رسول الله ﷺ هو المخيرٌ وكان أبو بكر أعلمنا. فقال رسول الله ﷺ: «إن آمنَّ الناسَ علىَّ فى صحبتته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين فى المسجد باب إلا سدَّ إلا باب أبى بكر»<sup>(١)</sup>.

\* ومن هذه العلامات أنه ﷺ كان يرغبهم فى كثرة ملازمته والجلوس إليه قبل أن يحرّموا ذلك، ويتمنى أحدهم لو رآه بأهله وماله. عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذى نفس محمد بيده ليأتين على أحدكم يوم ولا يرانى، ثم لأن يرانى أحبَّ إليه من أهله وماله معهم». فأولوه على أنه نعى نفسه إليهم وعرفهم ما يحدث لهم بعده من تمنى لقائه عند فقدهم ما كانوا يشاهدون من بركاته عليه السلام<sup>(٢)</sup>.

\* ومن هذه الاشارات زيارته لأهل البقيع واستغفاره لهم:

\* عن أبى مويهبة مولى رسول الله ﷺ قال: «بعثنى رسول الله ﷺ من جوف الليل، فقال: (يا أبا مويهبة، إني قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع، فانطلق معي)، فانطلقت معه فلما وقف بين أظهرهم، قال: (السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهنىء لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع آخرها أولها، الآخرة شر من الأولى، ثم أقبل على)، فقال: (يا أبا مويهبة، إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة).

قال: فقلت: بأبى أنت وأمى، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة، قال: (لا والله يا أبا مويهبة، لقد اخترت لقاء ربي والجنة)، ثم استغفر لأهل البقيع، ثم انصرف، فبدأ برسول الله ﷺ وجعه الذى قبضه الله فيه»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه أحمد (١٨/٣)، وابن أبى شيبة (٦/١٢)، وابن أبى عاصم فى السنة (١٢٢٧)، وابن سعد وهو فى الصحيحين من طرق أخرى.

(٢) أخرجه مسلم (١١٨/١٥) الفضائل.

(٣) رواه أحمد (٤٨٨/٣) والدارمى (٣٦/١)، والحاكم (٥٦، ٥٥/٣) وصححه على شرط مسلم وواقفه الذهبى.

## بداية مرضه ﷺ واستئذانه أن يمرض في بيت عائشة

\* عن عائشة رضی الله عنها قالت: «أول ما اشتكى رسول الله ﷺ في بيت ميمونة، فاستأذن أزواجه أن يمرض في بيتها، وأذن له، قالت: فخرج وهو بين الرجلين تخطُّ رجلاه في الأرض بين عباس بن عبد المطلب وبين رجل آخر.

فقال عبيد الله بن عبد الله عتبة فحدثت به ابن عباس. فقال: أتدرى من الرجل الذي لم تُسم عائشة؟ هو علي»<sup>(١)</sup>.

## النبي ﷺ يشكو من الصداع بعد عودته من البقيع

وفي اليوم التاسع والعشرين من شهر صفر سنة ١١ هـ وكان يوم الإثنين - شهد رسول الله - ﷺ جنازة في البقيع، فلما رجع، وهو في الطريق أخذ صداعاً في رأسه، واتقدت الحرارة، حتى إنهم كانوا يجدون سورتها فوق العصابة التي تعصب بها رأسه.

\* وعن عائشة رضی الله عنها قالت: «رجع رسول الله ﷺ من البقيع، فوجدني وأنا أجد صداعاً في رأسي. وأنا أقول: واراأساه، فقال: (بل أنا والله يا عائشة واراأساه).

قالت: ثم قال: (وما ضرك لو مت قبلي. فقمتم عليك وكفتك، وصليت عليك ودفنتك؟) قالت: قلت: والله لكأنني بك، لو قد فعلت ذلك. لقد رجعت إلى بيتي، فأعرست فيه ببعض نسائك، قالت: فتبسم رسول الله ﷺ، وتام به وجعه، وهو يدور على نسائه، حتى استعزَّ به، وهو في بيت ميمونة، فدعا نساءه، فاستأذنه في أن يمرض في بيتي، فأذن له»<sup>(٢)</sup>.

## إني أوعك كما يوعك رجالان منكم

\* وعن عبد الله بن مسعود رضی الله عنه قال: «دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك فمسسته بيدي. فقلت: يا رسول الله! إنك لتوعك وعكاً شديداً، فقال رسول الله ﷺ (أجل: إني أوعك كما يوعك رجالان منكم) قال: فقلت: ذلك، أن لك أجرين. فقال

(١) أخرجه البخاري (٤٤٤٢) المغازي - ومسلم (٩١/٤١٨) الصلاة

(٢) أخرجه ابن إسحاق بإسناد صحيح صرح فيه بالتحديث كما في سيرة ابن هشام: (٦٤٢/٢، ٦٤٣)

وأخرجه الحاكم في المستدرک: (٥٦/٣) بسند آخر عنها وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

رسول الله ﷺ: (أجل) ثم قال رسول الله ﷺ: (ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه، إلا حظ الله به سيئاته، كما تحط الشجرة ورقها)<sup>(١)</sup>.

\* وعن عائشة (رضى الله عنها) قالت: «ما رأيت رجلاً أشد عليه الوجع من رسول الله ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

### كانت عائشة (رضى الله عنها) تمسحه بيده رجاء البركة

\* عن عائشة رضى الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا مرض أحد من أهله، نفث عليه بالعوذات، فلما مرض مرضه الذى مات فيه، جعلت أنفث عليه وأمسحه بيد نفسه، لأنها كانت أعظم بركة من يدي»<sup>(٣)</sup>.

وكانت عائشة زوج النبي ﷺ تحدث «أن رسول الله ﷺ لما دخل بيتي واشتد به وجعه قال: (هريقوا على من سبع قرب لم تحلل أو كيتهن، لعلى أعهد إلى الناس)، فأجلسناه فى مخضب لحفصة زوج النبي ﷺ، ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب حتى طفق يشير إلينا بيده أن قد فعلتن. قالت: ثم خرج إلى الناس فصلى بهم وخطبهم».

### النبي ﷺ يخطب وينعى نفسه

\* عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: «خطب النبي ﷺ فقال: (إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختر ما عند الله)، فبكى أبو بكر رضى الله عنه. فقلت فى نفسى: ما يبكى هذا الشيخ، إن يكن الله خيراً عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختر ما عند الله؟ فكان رسول الله ﷺ هو العبد، وكان أبو بكر أعلمنا، قال: (يا أبا بكر لا تبك، إن آمن الناس على فى صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتى لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته. لا ييقين فى المسجد باب إلا سد، إلا باب أبى بكر)<sup>(٤)</sup>.

وفى لفظ الدارمى بإسناد حسن جاء عن أبى سعيد رضى الله عنه قوله: «خرج علينا رسول الله ﷺ فى مرضه الذى مات فيه ونحن فى المسجد عاصباً رأسه بخرقه حتى

(١) أخرجه البخارى (٥٦٤٧) المرض - ومسلم (٢٥٧١) البر والصلة.

(٢) أخرجه البخارى (٥٦٤٦) المرض - ومسلم (٢٥٧٠) البر والصلة.

(٣) أخرجه البخارى (٤٤٣٩) المغازى - ومسلم (٢١٩٢) السلام.

(٤) أخرجه البخارى (٤٦٦) الصلاة - ومسلم (٢٣٨٢) فضائل الصحابة.

أهوى نحو المنبر فاستوى عليه وابتغاه، قال: (والذى نفسى بيده إنى لأنظر إلى الحوض من مقامى هذا)، ثم قال: (إن عبداً عرضت عليه الدنيا وزينتها فاختار الآخرة). قال: فلم يفتن لها غير أبى بكر فذرفت عيناه فبكى. ثم قال: بل نفديك بآبائنا وأمهاتنا وأنفسنا وأموالنا يا رسول الله، قال: ثم هبط فما قام عليه حتى الساعة».

### الوصايا التى أوصى بها النبى ﷺ قبل وفاته

وها هو الحبيب ﷺ يوصى أصحابه (رضى الله عنهم) والأمة من بعدهم بتلك الوصايا الغالية.

### النبى ﷺ ينهى الأمة عن اتخاذ القبور مساجد

ومع فيح الحمى وحدة مسها لبدنه، فقد ظل يقظ الذهن، مهموماً بتعاليم الرسالة، حريصاً على تذكير الناس بها.

وكان يخشى أن ترتكس أمته، فتعلق بالأشخاص و«الأضرحة» كما ارتكس أهل الكتاب الأولون.

وشدته فى إخلاص التوحيد لله هى التى جعلته، وهو يعالج سكرات الموت، يرهّب المسلمين من هذا المزلق<sup>(١)</sup>.

\* عن عائشة وابن عباس رضى الله عنهم: «أن رسول الله ﷺ لما حضرته الوفاة جعل يلقي على وجهه طرف خميصة له، فإذا اغتم كشفها عن وجهه وهو يقول: (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد). تقول عائشة: يحذر مثل الذى صنعوا»<sup>(٢)</sup>.

\* وعن جندب بن عبد الله البجلي رضى الله عنه سمع النبى ﷺ قبل أن يموت بخمسن وهو يقول:

(إنى أبرأ إلى الله أن يكون لى منكم خليل، فإن الله عز وجل قد اتخذنى خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتى خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ٥١٦)

(٢) أخرجه البخارى (٤٣٥) الصلاة - ومسلم (٥٣١) المساجد.



من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»<sup>(١)</sup>.

### وصيته بإخراج اليهود والنصارى من أرض الجزيرة

\* عن أبي عبيدة بن الجراح رضى الله عنه قال: «آخر ما تكلم به النبي ﷺ: (أخرجوا يهود أهل الحجاز، وأهل نجران من جزيرة العرب، واعلموا أن شرار الناس الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)<sup>(٢)</sup>.

### وصيته بإغلاق الأبواب المفتوحة على المسجد إلا باب أبي بكر

\* عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «خرج رسول الله ﷺ في مرضه الذى مات فيه عاصباً رأسه بخرقة فقعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (إنه ليس من الناس أحد أمنّ علىّ في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة، ولو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن خلة الإسلام أفضل، سدوا عنى كل خوخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر)<sup>(٣)</sup>.

\* وهذه من الإشارات لاستخلافه (رضى الله عنه).. ولقد وردت اشارات أخرى لاستخلاف أبي بكر (رضى الله عنه) نذكر منها ما يلي:

### بعض الإشارات لاستخلاف أبي بكر (رضى الله عنه)

\* عن عائشة قالت: «قال لى رسول الله ﷺ في مرضه: (ادع لى أبا بكر، وأخاك، حتى أكتب كتاباً، فإني أخاف أن يتمنى ممتن ويقول قائل: أنا أولى. ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر)<sup>(٤)</sup>.

\* وعن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه (رضى الله عنهما): «أن امرأة سألت رسول الله ﷺ شيئاً، فأمرها أن ترجع إليه. فقالت: يا رسول الله! أ رأيت إن جئت فلم

(١) أخرجه مسلم (٥٣٢) المساجد - وأبو عوانة (٤٠١/١).

(٢) أخرجه أحمد: (١٩٥/١) والطحاوى فى مشكل الآثار: (١٣/٤) وأبو يعلى: (٨٧٢) بسند صحيح.

(٣) أخرجه البخارى (٤٦٧) الصلاة - وأحمد (٢٧٠/١).

(٤) أخرجه البخارى (٥٦٦٦) المرض - ومسلم (٣٢٨٧) فضائل الصحابة.

أجدك؟ - قال أبي: كأنها تعنى الموت - قال: (فإن لم تجدني فأني أبا بكر) (١).

\* وعن ابن أبي مليكة «سمعت عائشة، وسئلت: من كان رسول الله ﷺ مستخلفاً لو استخلف؟ قالت: أبو بكر، فقبل لها: ثم بعد أبي بكر؟ قالت: عمر. ثم قيل لها: من بعد عمر؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح. ثم انتهت إلى هذا (٢).

### وصيته لعثمان (رضى الله عنه) بالصبر على البلاء الذي سيصيبه

\* ومن ذلك أنه ﷺ أوصى عثمان رضى الله عنه بالصبر على البلاء الذي سيصيبه وأن لا يتنازل عن الخلافة.

عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه: «وددت أن عندي بعض أصحابي قلنا: يا رسول الله ألا ندعو لك أبا بكر فسكت قلنا: ألا ندعو لك عثمان قال: نعم. فجاء فخلا به، فجعل النبي ﷺ يكلمه ووجه عثمان يتغير. قال قيس: فحدثني أبو سهلة مولى عثمان أن عثمان بن عفان قال يوم الدار: إن رسول الله ﷺ عهد إلى عهداً فأنا صائر إليه. (وقال على في حديثه: وأنا صابر عليه). قال قيس فكانوا يرونه ذلك اليوم (٣).

### وصيته بالأنصار (رضى الله عنهم)

قال ﷺ: «إن الأنصار قد قضاوا الذي عليهم وبقي الذي عليكم فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئتهم» (٤).

وقال ﷺ: «استوصوا بالأنصار خيراً» (٥).

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: خرج رسول الله ﷺ وعليه ملحفة متعطفاً بها على منكبيه، وعليه عصابة دسما حتى جلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم

(١) أخرجه البخارى (٣٦٥٩) فضائل الصحابة - ومسلم (٢٣٨٦) فضائل الصحابة.

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٨٥) فضائل الصحابة.

(٣) رواه ابن ماجه (١١٣) المقدمة وابن أبي عاصم فى السنة (١١٧٥)، وابن سعد (٦٦/٣)، وقال الألبانى: إسناده صحيح ورجاله ثقات رجال الشيخين غير أبى سهلة مولى عثمان وهو ثقة كما قال ابن حبان والعجلي والعسقلانى وانظر ظلال الجنة فى تخريج السنة (٥٦٠/٢).

(٤) رواه الشافعى والبيهقى فى «المعرفة» عن أنس، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٥٨٧).

(٥) رواه أحمد عن أنس، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٩٥٩).

قال: «أما بعد أيها الناس إن الناس يكثرون وتقلّ الأنصار حتى يكونوا كالمالح في الطعام، فمن ولى منكم أمراً يضرُّ فيه أحداً أو ينفعه فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم»<sup>(١)</sup>.

\* وفي رواية: (خرج رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه بملحفة قد عصب بعصابة دسما حتى جلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (أما بعد فإن الناس يكثرون ويقلّ الأنصار، حتى يكونوا في الناس بمنزلة المالح في الطعام، فمن ولى منكم شيئاً يضر فيه قومًا وينفع آخرين، فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم) فكان آخر مجلس جلس فيه النبي ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

### آخر وصايا النبي ﷺ

\* عن أنس رضى الله عنه قال: «كان عامة وصية رسول الله ﷺ وهو يفرغ بنفسه: (الصلاة، وما ملكت أيمانكم)»<sup>(٣)</sup>.

\* وعن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال: «كان آخر كلام رسول الله ﷺ الصلاة الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم»<sup>(٤)</sup>.

\* وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: «كشف رسول الله ﷺ الستارة، والناس صفوف خلف أبى بكر. فقال: (أيها الناس! إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم، أو ترى له. ألا وإنى نُهيت أن أقرأ القرآن راکعاً أو ساجداً، فأما الركوع فعظموا فيه الرب عز وجل، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فقمن أن يُستجاب لكم)». وفي لفظ قال: كشف رسول الله ﷺ الستة، ورأسه معصوب في مرضه الذي مات فيه. فقال: (اللهم! هل بلغت؟) ثلاث مرات (إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا يراها العبد الصالح أو ترى له)» ثم ذكر بقية الحديث<sup>(٥)</sup>.

\*\*\*

(١) أخرجه البخارى (٣٨٠٠) عن ابن عباس - رضى الله عنهما.

(٢) أخرجه البخارى (٩٢٧) الجمعة.

(٣) رواه ابن ماجه (٢٦٩٧) وأحمد (١١٧/٣) وابن حبان (٦٥٧١) وإسناده صحيح لغيره.

(٤) رواه أبو داود (٥١٥٦) وابن ماجه (٢٦٩٨) وهو صحيح لشواهده.

(٥) أخرجه مسلم (٤٧٩) الصلاة - وأبو داود (٨٧٦).

## اِتُّونِي أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضَلُّوا بَعْدِي

\* عن ابن عباس رضی الله عنهما أنه قال: «يومُ الخميس! وما يومُ الخميس! ثم بكى حتى بلَّ دمه الحصى. فقلت<sup>(١)</sup>: يا ابن عباس! وما يوم الخميس؟ قال: اشتد برسول الله ﷺ وجعه. فقال: (اِتُّونِي أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضَلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا) فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي نزاع فقالوا: ما شأنه؟ أهجر؟ استفهموه. قال: (دعوني. فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه، أوصيكم بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا للوفد بنحو ما كنت أجيزهم). قال: وسكت عن الثالثة. أو قالها فنسيتها»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية «لما حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب. فقال النبي ﷺ (هَلُمَّ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضَلُّونَ بَعْدَهُ). فقال عمر: إن رسول الله ﷺ قد غلب عليه الوجد، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله. فاختلف أهل البيت، فاختموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله ﷺ كتابًا لن تضلوا بعده. ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: (قوموا). قال عبيد الله: فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب، من اختلافهم ولغظهم»<sup>(٣)</sup>.

(١) القائل هو سعيد بن جبير.

(٢) أخرجه البخاري (١١٤) العلم و(٤٤٣١) المغازي - ومسلم (١٦٣٧) الوصية.

(٣) وقال النووي في شرح صحيح مسلم (٩٠/١١) ما نصه: «اعلم أن النبي معصوم من الكذب، ومن تغيير شيء من الأحكام الشرعية في حال صحته، وحال مرضه، ومعصوم من ترك بيان ما أمر ببيانه وتبليغ ما أوجب الله عليه تبليغه، وليس معصومًا من الأمراض والأسقام العارضة للأجسام ونحو مما لا نقص فيه لمنزله، ولا فساد لما تمهد من شريعته، وقد سحر ﷺ حتى صار يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يكن فعله، ولم يصدر منه ﷺ في هذا الحال كلام في الأحكام مخالف لما سبق من الأحكام التي قررها، فإذا علمت ما ذكرناه فقد اختلف العلماء في الكتاب الذي هم النبي ﷺ به. فقيل: أراد أن ينص على الخلافة في إنسان معين لئلا يقع فيه نزاع وفتن، وقيل: أراد كتابًا يبين فيه مهمات الأحكام ملخصة ليرتفع النزاع فيها، ويحصل الاتفاق على المنصوص عليه.

وكان النبي ﷺ همَّ بالكتاب حين ظهر له أنه مصلحة، أو أوحى إليه بذلك ثم ظهر أن المصلحة تركه، أو أوحى إليه بذلك ونسخ ذلك الأمر الأول.

وأما كلام عمر رضی الله عنه فقد اتفق العلماء المتكلمون في شرح الحديث على أنه من دلائل فقه عمر وفضائله وديق نظره. لأنه خشى أن يكتب ﷺ أمورًا ربما عجزوا عنها، واستحقوا العقوبة عليها؛ لأنها منصوصة لا مجال للاجتهاد فيها. فقال عمر: حسبنا كتاب الله، لقوله تعالى: ﴿ما فرطنا في الكتاب من =

## مروا أبا بكر فليصل بالناس

والنبي ﷺ - مع ما كان به من شدة المرض كان يصلى بالناس جميع صلواته حتى ذلك اليوم - يوم الخميس قبل الوفاة بأربعة أيام - وقد صلى بالناس ذلك اليوم صلاة المغرب، فقرأ فيها بالمرسلات.

\* عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: «إن أم الفضل بنت الحارث سمعته وهو يقرأ: ﴿وَالْمُرْسَلَاتُ عُرْفًا﴾ [المرسلات: ١] فقالت: يا بُنى! لقد ذكرتني بقراءتك هذه السورة. إنها لآخر ما سمعت رسول الله ﷺ يقرأ بها في المغرب»<sup>(١)</sup>.

\* وعند العشاء زاد ثقل المرض بحيث لم يستطع الخروج إلى المسجد.

\* عن عائشة رضى الله عنها قالت: «ثقل النبي ﷺ فقال: (أصلى الناس؟) قلنا: لا، وهم ينتظرونك يا رسول الله قال: (ضعوا لى ماءً فى المخضب). قالت: ففعلنا. فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمى عليه، ثم أفاق فقال ﷺ: (أصلى الناس؟) قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله. فقال: ضعوا لى ماءً فى المخضب. قالت: فقعد فاغتسل، ثم ذهب لينوء فأغمى عليه، ثم أفاق فقال: (أصلى الناس؟) قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله - فقال: (ضعوا لى ماءً فى المخضب) فقعد فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمى عليه ثم أفاق فقال: (أصلى الناس؟) قلنا: لا هم ينتظرونك يا رسول الله... والناس عكوف فى المسجد ينتظرون النبي عليه السلام لصلاة العشاء الآخر - فأرسل النبي ﷺ إلى أبى بكر بأن يصلى بالناس، فأتاه الرسول فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تصلى بالناس، فقال

= شىء ﴿[الأنعام: ٣٨].

وقوله: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ [المائدة: ٣] فعلم أن الله تعالى أكمل دينه، فأمن الضلال على الأمة.

وأراد الترفيه على رسول الله ﷺ، فكان عمر أفضه من ابن عباس وموافقيه».

قال الخطابي: «ولا يجوز أن يحمل قول عمر على أنه توهم الغلط على رسول الله ﷺ، أو ظن به غير

ذلك مما لا يليق به بحال. لكنه لما رأى ما غلب على رسول الله ﷺ من الوجع وقرب الوفاة، مع ما اعتراه

من الكرب خاف أن يكون ذلك القول مما يقول المريض مما لا عزيمة له فيه، فيجد المنافقون بذلك سبيلاً

إلى الكلام فى الدين. وقد كان أصحابه ﷺ يراجعونه فى بعض الأمور قبل أن يجزم فيها بتحتميم، كما

راجعوه يوم الحديبية فى الخلاف، وفى كتاب الصلح بينه وبين قريش. فأما إذا أمر النبي ﷺ بالشىء أمر

عزيمة فلا يراجع فيه أحد منهم».

(١) أخرجه مسلم (٤٦٢) الصلاة.

أبو بكر - وكان رجلاً رقيقاً - يا عمر صلِّ بالناس، فقال له عمر: أنت أحق بذلك. فصلي أبو بكر تلك الأيام<sup>(١)</sup>.

### مراجعة عائشة للنبي ﷺ في إمامة أبي بكر

\* عن عائشة رضی الله عنها قالت: «لما ثقل رسول الله ﷺ جاء بلال يؤذنه بالصلاة، فقال: (مروا أبا بكر فليصل بالناس) قالت: فقلت: يا رسول الله! إن أبا بكر رجلٌ أسيف<sup>(٢)</sup> وإنه متى يقيم مقامك لا يُسمع الناس. فلو أمرت عمرًا فقال: (مروا أبا بكر فليصل بالناس) قالت: فقلت لحفصة: قولي له: إن أبا بكر رجلٌ أسيف، وإنه متى يقيم مقامك لا يُسمع الناس. فلو أمرت عمر! فقلت له... فقال رسول الله ﷺ: (إنكن لأنتن صواحب يوسف. مروا أبا بكر فليصل بالناس) قالت: فأمروا أبا بكر يصلي بالناس».

قالت فلما دخل في الصلاة وجد رسول الله ﷺ من نفسه خفة فقام يهادى بين رجلين - ورجلاه تختطان في الأرض - قالت: فلما دخل المسجد سمع أبو بكر حسه ذهب يتأخر. فأومأ إليه رسول الله ﷺ قم مكانك.

فجاء رسول الله ﷺ حتى جلس على يسار أبي بكر قالت: فكان رسول الله ﷺ يصلي بالناس جالساً وأبو بكر قائماً يقتدى أبو بكر بصلاة النبي ﷺ. ويقتدى الناس بصلاة أبي بكر<sup>(٣)</sup>.

### سبب مراجعة عائشة للنبي ﷺ

\* عن عائشة رضی الله عنها قالت: «لقد راجعت رسول الله ﷺ في ذلك، وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أنه يحب الناس بعده رجلاً قام مقامه أبداً، ولا كنت أرى أنه لن يقوم أحد مقامه إلا تشاءم الناس به، فأردت أن يعدل ذلك رسول الله ﷺ عن أبي بكر<sup>(٤)</sup>».

\*\*\*

(١) أخرجه البخارى (٦٨٧) الأذان - ومسلم (٩٠ / ٤١٨) الصلاة.

(٢) أسيف: حزين وقيل سريع الحزن والبكاء.

(٣) أخرجه البخارى (٦٦٤) الأذان - ومسلم (٤١٨) (٩٥) الصلاة.

(٤) سبق تخريجه.

## قبل الوفاة بيوم

وقبل يوم من الوفاة - يوم الأحد - أعتق النبي ﷺ غلماناً، وتصدق بسبعة دنانير كانت عنده، ووهب للمسلمين أسلحته، وفي الليل استعارت عائشة الزيت للمصباح من جارتها، وكانت درعه ﷺ مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من الشعير<sup>(١)</sup>.

## النبي ﷺ يدعو لأسامة بن زيد

\* وعن أسامة بن زيد بن حارثة رضى الله عنهما قال: «لما ثقل رسول الله ﷺ هبطت وهبط الناس المدينة، فدخلت على رسول الله ﷺ وقد أصمت فلم يتكلم، فجعل رسول الله ﷺ يضع يديه علىَّ ويرفعهما فأعرف أنه يدعو لي»<sup>(٢)</sup>.

## آخر يوم في حياة النبي ﷺ

وخرج النبي ﷺ في صبح اليوم الذي لحق فيه بالرفيق الأعلى ينظر إلى ثمرة جهاده وصبره فألقى على أصحابه الذين أحبوه وأحبهم نظرة وداع فكادوا يفتنون من الفرح به ﷺ ظنا منهم أنه ﷺ قد عوفى من مرضه ولم يظنوا أنه ينظر إليهم نظرة الوداع حتى يلتقى بهم على حوضه وفي جنة الله عز وجل ولو علموا ذلك لتفطرت قلوبهم.

عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن أبا بكر كان يصلى لهم في وجع النبي ﷺ الذي توفى فيه، حتى إذا كان يوم الإثنين - وهم صفوف في الصلاة - كشف النبي ﷺ ستر الحجر، فنظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف ثم تبسم يضحك فهمنا أن نفتن من الفرح برؤية النبي ﷺ، فنكص أبو بكر على عقبه ليصل الصف وظن أن النبي ﷺ خارج إلى الصلاة فأشار إلينا النبي ﷺ أن أتموا صلاتكم وأرخى الستر فتوفى من يومه<sup>(٣)</sup>. ثم لم تأت على النبي ﷺ صلاة أخرى<sup>(٤)</sup>.

\* وكأن الله تعالى أراد أن يطمئن النبي ﷺ على كمال انقياد أمته وحسن اتباعها

(١) أخرجه البخارى (٤٤٦٧) ومسلم (١٦٠٣) والنسائى (٢٨٨/٧).

(٢) رواه الترمذى (٣٨١٧) وأحمد (٢٠١/٥) وابن هشام (٦٥١/٢) من طريق ابن إسحاق وإسناده صحيح لأن ابن إسحاق قد صرح بالتحديث.

(٣) أخرجه البخارى (١١٥ / ١٠) المرض - ومسلم (١٢٦/١٦) البر والصلة.

(٤) نقلاً من وفتات تربوية (ص: ٤١٢).

فأشهره آخر وقت حضره وهو في الدنيا، إذ أقبل المؤمنون من بيوتهم إلى المسجد فجر الإثنين الذي قبض فيه، واصطفوا لصلاتهم خشعاً مخبتين، وراء إمام رقيق التلاوة فياض الإخلاص، ورفع النبي ﷺ الستر المضروب على منزل عائشة، وفتح الباب وبرز للناس.

فكاد المسلمون يفتنون في صلاتهم ابتهاجاً برؤيته، وتفرجوا يفسحون له مكاناً فأشار بيده: أن اثبتوا على صلاتكم، وتبسم فرحاً من هبتهم في صلاتهم.

قال أنس بن مالك: ما رأيت رسول الله أحسن هيئة منه في تلك الساعة.

ثم رجع وانصرف الناس، وهم يظنون أن رسول الله قد أفاق من وجعه. واطمأن أبو بكر لهذا الظن، فرجع إلى أهله بالسنح - في ضواحي المدينة.

قالت عائشة: وعاد رسول الله من المسجد، فاضطجع في حجرى<sup>(١)</sup>.

### وهذه آخر ابتسامه ابتسمها النبي ﷺ

\* عن أنس بن مالك رضى الله عنه «أن أبا بكر كان يصلى لهم في وجع رسول الله ﷺ الذى توفى فيه. حتى إذا كان يوم الإثنين. وهم صفوف في الصلاة. كشف رسول الله ﷺ ستر الحجره فنظر إلينا وهو قائم، كأن وجهه ورقة مصحف<sup>(٢)</sup>، ثم تبسم رسول الله ﷺ ضاحكاً.

قال: فبهتتا ونحن في الصلاة من فرح بخروج رسول الله ﷺ، ونكص أبو بكر على عقبه ليصل الصف، وظن أن رسول الله ﷺ خارج للصلاة. فأشار إليهم رسول الله ﷺ بيده: (أن أتموا صلاتكم). قال: ثم دخل رسول الله ﷺ فأرخى الستر. قال: فتوفى رسول الله ﷺ من يومه ذلك»<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ٥١٨)

(٢) كأن وجهه ورقة مصحف: عبارة عن الجمال البارح وحسن البشرة وصفاء الوجه واستنارته.

(٣) أخرجه البخارى (٦٨٠) الأذان - ومسلم (٤١٩) الصلاة.



## النبي ﷺ ينعى نفسه إلى فاطمة (عليها السلام)

\* عن عائشة رضى الله عنها قالت: «اجتمع نساء النبي ﷺ، فلم تغادر منهن امرأة، فجاءت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ. فقال: (مرحباً بابنتي) فأجلسها عن يمينه أو عن شماله. ثم إنه أسرَّ إليها حديثاً فبكت فاطمة. ثم إنه سارَّها فضحكت أيضاً. فقلت: ما رأيت كالיום فرحاً أقرب من حزن. فقلت لها حين بكت: أخصَّكَ رسول الله ﷺ بحديثه دوننا ثم تبكين؟

وسألتهما عما قال فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ. حتى إذا قبض سألتهما فقالت: إنه كان حدثني (أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل عام مرة. وإنه عارضه به في العام مرتين، ولا أراني إلا قد حضر أجلى. وإنك أول أهلي لحوقاً بي. ونعم السلف أنا لك) فبكيت لذلك. ثم إنه سارني فقال: (ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة فضحكت لذلك)<sup>(١)</sup>.

## ليس على أبيك كرب بعد اليوم

وعن أنس قال: لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه فقالت فاطمة عليها السلام: وا كرب أباه، فقال لها: ليس على أبيك كرب بعد اليوم<sup>(٢)</sup>.

## شدة تأثر النبي ﷺ بالطعام المسموم (يوم خيبر)

\* ودعا النبي ﷺ الحسن والحسين فقبلهما وأوصى بهما خيراً ثم دعا أزواجه فوعظهن وذكرهن بالله (عز وجل).

وظفق الوجع يشتد ويزيد وقد ظهر أثر السم الذي أكله بخيبر.

\* عن عائشة رضى الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: (يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم)<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخارى (٣٦٢٣، ٣٦٢٥) الأنبياء - وسلم (٢٤٥٠) (٩٩) فضائل الصحابة.

(٢) أخرجه البخارى (٤٤٦٢) المغازى - وأحمد (٣/٢٠٤).

(٣) أخرجه البخارى (٤٤٢٨) المغازى - معلقاً - وقد وصله البزار والحاكم والإسماعيلي من طريق عتبة بن خالد عن يونس بهذا الإسناد.

## النبي ﷺ يتسوك قبل موته

✽ عن عائشة رضی الله عنها قالت: «إن من نعم الله على أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي، وفي يومي، وبين سحري ونحري، وأن الله جمع بين ريقى وريقه عند موته. دخل عليَّ عبد الرحمن وبيده السواك، وأنا مُسندة رسول الله ﷺ، فرأيتَه ينظر إليَّ، وعرفت أنه يحب السواك، فقلت آخذه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فتناولته فاشتد عليه، وقلت: أليته لك؟ فأشار برأسه أن (نعم)، فليته فأمره، وبين يديه ركوه فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول: (لا إله إلا الله، إن للموت سكرات)، ثم نصب يده فجعل يقول: (في الرفيق الأعلى)، حتى قبض ومالت يده»<sup>(١)</sup>.

## اللهم الرفيق الأعلى

✽ من حديث عائشة قالت: «كنت أسمع أنه لا يموت نبي حتى يُخَيَّر بين الدنيا والآخرة. قالت: فسمعت النبي ﷺ في مرضه الذي مات فيه، وأخذته بحةً، يقول: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]. قالت: فظننت أنه خير»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ يقول وهو صحيح (إنه لم يُقبض نبي قط، حتى يرى مقعده في الجنة ثم يُخَيَّر) قالت عائشة: فلما نزل برسول الله ﷺ، ورأسه على فخذي، غشي عليه ساعة ثم أفاق<sup>(٣)</sup> فأشخص بصره إلى السقف، ثم قال: (اللهم! الرفيق الأعلى).

قالت عائشة: قلت: إذا لا يختارنا. قالت عائشة: وعرفت الحديث الذي يحدثنا به وهو صحيح في قوله: (إنه لم يُقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يخير).

قالت عائشة: فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها رسول الله ﷺ قوله: (اللهم الرفيق الأعلى).

(١) أخرجه البخاري (٤٤٤٩) - والنسائي (٧، ٦/٤) وأحمد (٤٨/٦).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٣٥) المغازي - ومسلم (٢٤٤٤) فضائل الصحابة.

(٣) أفاق: استيقظ.

## وهكذا فاضت أظهر روح من أظهر جسد

وتسرب النبا الفادح من البيت المحزون، وله طنين في الآذان. وثقل ترزح تحته النفوس، وتدور به البصائر والأبصار.

وشعر المؤمنون أن آفاق المدينة أظلمت، فتركتهم لوعة الثكل حيارى، لا يدرون ما يفعلون.

ووقف عمر بن الخطاب - وقد أخرجه الخبر عن وعيه - يقول: إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله توفى، وإن رسول الله ما مات ولكن ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، فغاب عن قومه أربعين ليلة. ثم رجع بعد أن قيل قد مات.

والله ليرجعن رسول الله ﷺ، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنه مات<sup>(١)</sup>!

\* ولما علمت فاطمة (عليها السلام) بموته ﷺ قالت: يا أبتاه أجب رباً دعاه، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه، فلما دُفن قالت فاطمة عليها السلام: يا أنس أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب<sup>(٢)</sup>.

\* قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: لما توفى ﷺ اضطرب المسلمون فمنهم من دهش فحولط، ومنهم من أقعد فلم يطق القيام ومنهم من اعتقل لسانه فلم يطق الكلام ومنهم من أنكر موته بالكلية وقال: إنما بُعث إليه<sup>(٣)</sup>.

## موقف أبي بكر (رضى الله عنه)

وأقبل أبو بكر على فرس من مسكنه بالسُّنح حتى نزل، فدخل المسجد، فلم يكلم الناس، حتى دخل على عائشة فتيّم رسول الله ﷺ وهو مغشى بثوب حبرة، فكشف عن وجهه، ثم أكب عليه، فقبّله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي، واللّه لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كُتبت عليك فقد مُتّتها.

ثم خرج أبو بكر وعمر يكلم الناس، فقال: اجلس يا عمر. فأبى عمر أن يجلس، فأقبل الناس إليه، وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعد، من كان منكم يعبد محمداً ﷺ

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ٥١٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٦٢) المغازي - وأحمد (٣/٢٠٤).

(٣) لطائف المعارف (ص: ١١٤).

فإن محمداً قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت. قال الله: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين﴾ [آل عمران: ١٤٤]. قال ابن عباس: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها.

قال ابن المسيب: قال عمر: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى ما تُقلني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها، علمت أن النبي ﷺ قد مات<sup>(١)</sup>.

### اختيار الخليفة قبل دفن الجسد الشريف

ووقع الخلاف في أمر الخلافة قبل أن يقوموا بتجهيزه ﷺ فجرت مناقشات ومجادلات وحوار وردود بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة، وأخيراً اتفقوا على خلافة أبي بكر - رضى الله عنه - ومضى في ذلك بقية يوم الإثنين حتى دخل الليل، وشغل الناس عن جهاز رسول الله ﷺ حتى كان آخر الليل ليلة الثلاثاء مع الصباح، وبقي جسده المبارك على فراشه، مغشى بثوب حبرة، قد أغلق دونه الباب أهله<sup>(٢)</sup>.

\* واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عباد في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: منا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر. وكان عمر يقول: ما أردت بذلك إلا أني قد هيأت كلاماً قد أعجبنى خشيت أن لا يبلغه أبو بكر، ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس، فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء. فقال حباب بن المنذر: لا والله لا نفعل... منا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا ولكننا الأمراء وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب داراً وأعزهم أحساباً - فبايعوا عمر أو أبا عبيدة، فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ، فأخذ عمر بيده وبايعه وبايعه الناس، فقال قائل: قتلتم سعد بن عباد، فقال عمر: قتله الله<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخارى (٤٤٥٢) (٤٤٥٤) من حديث عائشة وابن عباس.

(٢) الرحيق المختوم (ص: ٥١٥).

(٣) أخرجه البخارى (٧/٢٣، ٢٤) فضائل الصحابة.

## خطبة عمر وأبي بكر قبل وبعد البيعة

\* عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «لما بويع أبو بكر فى السقيفة وكان الغد، جلس أبو بكر على المنبر، فقام عمر، فتكلم قبل أبى بكر، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال:

«أيها الناس إنى كنت قلت لكم بالأمس مقالة، ما كانت مما وجدتها فى كتاب الله، ولا كانت عهداً عهدته إلى رسول الله ﷺ، ولكنى قد كنت أرى أن رسول الله ﷺ سيدبر أمرنا، يقول: يكون آخرنا - وإن الله قد أبقي فيكم كتابه الذى به هدى الله رسوله ﷺ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله ﷺ ثانى اثنين إذ هما فى الغار، فقوموا فبايعوه».

فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة، بعد بيعة السقيفة.

فتكلم أبو بكر، فحمد الله، وأثنى عليه بالذى هو أهله، ثم قال: «أما بعد أيها الناس، فإنى قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينونى، وإن أسأت فقومونى، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوى عندى حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة فى قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعونى ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله، فلا طاعة لى عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله»<sup>(١)</sup>.

## موقف جليل لزيد بن ثابت (رضى الله عنه)

\* عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: «لما توفى رسول الله ﷺ قام خطباء الأنصار فجعل الرجل منهم يقول: يا معشر المهاجرين إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا استعمل رجلاً منكم قرن معه رجلاً منا فنرى أن يلى هذا الأمر رجلان أحدهما منكم، والآخر منا. قال: فتتابع خطباء الأنصار على ذلك فقام زيد بن ثابت فقال: إن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين، وإن الإمام يكون من المهاجرين، ونحن

(١) أخرجه عبد الرزاق فى المصنف: (٤٣٧/٥، ٤٣٨) وسنده صحيح، وابن إسحاق فى السيرة كما فى سيرة ابن هشام: (٦٦٠/٢ - ٦٦١) وسنده صحيح وصرح ابن إسحاق بالتحديث.

أنصاره كما كنا أنصار رسول الله، فقام أبو بكر رضى الله عنه فقال: جزاكم الله خيراً يا معشر الأنصار وثبت قائلكم ثم قال: أما لو فعلتم غير ذلك لما صالحناكم، ثم أخذ زيد ابن ثابت بيد أبي بكر فقال: هذا صاحبكم فبايعوه.

ثم انطلقوا، فلما قعد أبو بكر على المنبر نظر فى وجوه القوم فلم ير علياً فسأل عنه فقام ناس من الأنصار فأتوا به. فقال أبو بكر: ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وختنه أردت أن تشق عصا المسلمين؟

فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله فبايعه. ثم لم ير الزبير بن العوام فسأل عنه حتى جاءوا به.

فقال: ابن عمه رسول الله ﷺ وحواريه أردت أن تشق عصا المسلمين؟ فقال مثل قوله: لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ فبايعاه»<sup>(١)</sup>.

### تجهيز الجسد الشريف

\* عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: «غسلت رسول الله ﷺ فذهبت أنظر ما يكون من الميت، فلم أر شيئاً، وكان طيباً صلى الله عليه وآله وسلم حياً وميتاً.

ولى دفنه وإجناحه دون الناس أربعة: على والعباس والفضل وصالح مولى رسول الله ﷺ، ولحد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحداً، ونُصب عليه اللبن نصباً»<sup>(٢)</sup>.

\* وعن عائشة رضى الله عنها قالت: «لما أرادوا غسل النبي ﷺ قالوا: والله ما ندرى أنجرد رسول الله ﷺ من ثيابه، كما نجرد موتانا، أم نغسله وعليه ثيابه، فلما اختلفوا، ألقى الله عز وجل النوم حتى ما فيهم رجل إلا وذقته فى صدره، ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو: أن اغسلوا النبي ﷺ وعليه ثيابه فقاموا إلى رسول الله ﷺ، فغسلوه وعليه قميصه، يصبون الماء فوق القميص، ويدلكونه بالقميص دونه أيديهم، فكانت عائشة تقول: لو استقبلت من أمرى ما استدبرت، ما غسله إلا نساؤه»<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١) رواه الحاكم فى المستدرک (٧٦/٣) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبى.

(٢) أخرجه الحاكم: (٣٦٢/١) والبيهقى: (٥٣/٤) وإسناده صحيح، وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبى.

(٣) رواه أبو داود (واللفظ له) - ورواه الحاكم (٧٦/٣) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبى.

## صفة كفن النبي ﷺ

\* عن عائشة رضی الله عنها قالت: «كُفِّنَ رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحولية<sup>(١)</sup>، من كرسف<sup>(٢)</sup>، ليس فيها قميص، ولا عمامة، أما الحلة، فإنما شبهه على الناس فيها، أنها اشترت له ليكفن فيها، فتركت الحلة، وكفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية. فأخذها عبد الله بن أبي بكر. فقال: لأحسنها حتى أكفن فيها نفسي، ثم قال: لو رضيها الله عز وجل لنبيه لكفنه فيها. فباعها وتصدق بثمنها»<sup>(٣)</sup>.

## كيف صلوا على رسول الله ﷺ

\* لما توفي رسول الله ﷺ قال الناس لأبي بكر (رضى الله عنه).

يا صاحب رسول الله ﷺ: أَيْصَلِّيْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قال: نعم، قالوا: وكيف؟ قال: يدخل قوم فيكبرون ويصلون ويدعون، ثم يخرجون، ثم يدخل قوم فيكبرون ويصلون ويدعون، ثم يخرجون، حتى يدخل الناس، قالوا: يا صاحب رسول الله! يُدْفَن رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. قالوا: أين؟ قال: في المكان الذي قبض الله فيه روحه، فإن الله لم يقبض روحه إلا في مكان طيب. فعلموا أن قد صدق<sup>(٤)</sup> <sup>(٥)</sup>.

\*\*\*

(١) سحولية: بفتح السين وضمها: هي ثياب بيض نقية لا تكون إلا من القطن. وقال آخرون: هي منسوبة إلى سحول مدينة باليمن تحمل منها هذه الثياب.

(١) الكرسف: القطن.

(٣) أخرجه البخارى (١٢٦٤) الجناز - ومسلم (٩٤١) الجناز - واللفظ له.

(٤) رواه بطوله الترمذى فى الشمائل: (٣٧٨) والطبرانى فى المعجم الكبير: (٦٣٦٧) وقال البوصيرى فى الزوائد: (٤٠٦/١) هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، وأخرجه النسائى فى وفاة النبى: (٤٢) وقال الهيثمى فى المجمع: (١٨٣/٥) روى ابن ماجه بعضه ورواه الطبرانى ورجالته ثقات.

(٥) قال ابن كثير فى «البداية» (٢٨٦/٥): وهذا الصنيع، وهو صلاتهم عليه فرادى لم يؤمهم أحد عليه أمر مُجمع عليه لا خلاف فيه، وقد اختلف العلماء فى تعليقه.. وليس لأحد أن يقول لأنه لم يكن لهم إمام، لأننا قد قدمنا أنهم إنما شرعوا فى تجهيزه عليه السلام بعد تمام بيعة أبى بكر رضى الله عنه وأرضاه وقد قال بعض العلماء إنما لم يؤمهم أحد لىباش كل واحد من الناس الصلاة عليه منه إليه، ولتكرر صلاة المسلمين عليه مرة بعد مرة من كل فرد من أحاد الصحابة رجالهم ونسائهم وصبيانهم حتى العبيد والإماء.

### كيف دُفن رسول الله ﷺ

\* عن عائشة رضی الله عنها قالت: «لما مات رسول الله ﷺ اختلفوا في اللحد والشق، حتى تكلموا في ذلك، وارتفعت أصواتهم.

فقال عمر: لا تصخبوا عند رسول الله ﷺ حياً ولا ميتاً، (أو كلمة نحوها). فأرسلوا إلى الشَّقَّاقِ واللاحِد. فجاء اللاحِد، فلحدَّ لرسول الله ﷺ. ثم دُفن ﷺ» (١).

\* وعن سعد بن أبي وقاص رضی الله عنه قال في مرضه الذي هلك فيه: «ألحدوا لي لحداً، وانصبوا عليَّ اللبنِ نصباً، كما صنع برسول الله ﷺ» (٢).

### أين دُفن رسول الله ﷺ

\* عن عائشة رضی الله عنها قالت: «لما قبض رسول الله ﷺ اختلفوا في دفنه. فقال أبو بكر: سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً ما نسيتُه. قال: (ما قبض الله نبياً إلا في الموضع الذي يجب أن يُدفن فيه) ادفنوه في موضع فراشه» (٣).

\* وعن سالم بن عبيد رضی الله عنه «قالوا: يا صاحب رسول الله ﷺ أيدفن رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. قالوا: أين؟ قال: في المكان الذي قبض فيه روحه، فإن الله لم يقبض روحه إلا في مكان طيب..» (٤).

### متى دُفن رسول الله ﷺ

\* عن عائشة رضی الله عنها قالت: «توفي رسول الله ﷺ يوم الإثنين ودفن ليلة الأربعاء» (٥).

\*\*\*

(١) أخرجه ابن ماجه في الجنائز باب ماجاء في الشق حديث رقم (١٥٥٨) وقال البوصيري في الزوائد: (٥٠٧/١) إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٢) أخرجه مسلم (٩٦٦) الجنائز - والنسائي (٨٠/٤).

(٣) رواه الترمذی (١٠١٨) وابن ماجه (١٦٢٨) وهو حسن لشواهده.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) رواه أحمد (٢٥٧/٢١) وانظر السيرة النبوية لابن كثير (٥٣٩/٤).



### ما الذى وضع فى قبره ﷺ

\* عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: «جعل فى قبر رسول الله ﷺ قطيفة حمراء» (١) (٢).

\* وفى رواية الترمذى: من طريق محمد بن جعفر عن أبيه قال: «الذى أُلحِد قبر رسول الله ﷺ أبو طلحة، والذى ألقى القطيفة تحته شقران مولى رسول الله ﷺ. قال جعفر: وأخبرنى عبيد الله بن أبى رافع قال: سمعت شقران يقول: أنا والله طرحت القطيفة تحت رسول الله ﷺ فى القبر» (٣).

### من الذى تولى دفن الحبيب ﷺ

\* عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «دخل قبر رسول الله ﷺ العباس وعلى والفضل، وشق لحده رجل من الأنصار، وهو الذى يشق لحود قبور الشهداء» (٤).

\* وعن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال: «غسلت رسول الله ﷺ فذهبت أنظر ما يكون من الميت، فلم أر شيئاً، وكان طيباً صلى الله عليه وآله وسلم حياً وميتاً، ولى دفنه وإجناؤه دون الناس أربعة: على، والعباس، والفضل، وصالح مولى رسول الله ﷺ، ولُحِد رسول الله ﷺ لحداً، ونُصِب عليه اللبن نصباً» (٥).

### لقد أظلمت المدينة بموت رسول الله ﷺ

عن أنس رضى الله عنه قال: «لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شىء فلما كان اليوم الذى مات فيه أظلم منها كل شىء وما نفضنا عن النبى ﷺ الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا» (٦).

(١) القطيفة: كساء له خمل.

(٢) أخرجه مسلم (٩٦٧) الجناز - والترمذى (١٠٤٨).

(٣) رواه الترمذى (١٠٤٧) الجناز.

(٤) ابن الجارود فى المنتقى حديث: (٥٤٧) وابن حبان كما فى الموارد: (٢١٦١) والإحسان حديث: (٦٥٩٩) والبيهقى فى دلائل النبوة: (٧/٢٥٤) وإسناده صحيح.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) رواه الترمذى (١٠٤/١٣، ١٠٥) المناقب. وقال: هذا حديث غريب صحيح. وابن ماجه (١٦٣٠) =

• قال الأستاذ سعيد حوى رحمه الله:

قوله: «وما نفضنا عن النبي ﷺ الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا»: فيه رد على من ادعى أن حال الصحابة ورفيقهم الروحي لا يُفسر بوجود رسول الله ﷺ على رأسهم وهو قول انتشر في هذا العصر ويكفى في رده قوله جل جلاله في حق رسول الله ﷺ: (ويزكيهم) كما أن في هذا الحديث ما يدل على أن الرقى القلبي منوط بالاجتماع مع أهل الحق والارتباط الروحي فيهم ومن ههنا نؤكد على الانتساب للعلماء العاملين والربانيين المخلصين ونؤكد على الأخذ منهم ومجالسة الصالحين من عباد الله<sup>(١)</sup>.

### كم كان عمره ﷺ حين مات

\* عن عائشة رضی الله عنها قالت: «إن رسول الله ﷺ قبض وهو ابن ثلاث وستين»<sup>(٢)</sup>.

### ذكریات مؤلدة

\* عن أنس بن مالك رضی الله عنه قال: «ذهب رسول الله ﷺ إلى أم أيمن زائراً، وذهبت معه، فقربت إليه شراباً، فإما كان صائماً، وإما كان لا يريد، فرده فأقبلت على رسول الله ﷺ بصاحبه، فقال أبو بكر بعد وفاة رسول الله لعمر: انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها، فلما انتهينا إليها، بكت، فقال لها: ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسوله، قالت: والله ما أبكى، أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله، ولكن أبكى، أن الوحي انقطع من السماء... فهيجتهما على البكاء، فجعلنا يبكيان»<sup>(٣)</sup>.

\* وهكذا مات رسول الله ﷺ ولكن سنته باقية إلى يوم القيامة وستبقى سيرته دماءً حيةً تنبض في العروق وتحيا بها القلوب وستبقى لترسم لنا جميعاً منهج حياة طيبة يسعد بها المسلم في الدنيا والآخرة.. بشرط أن يتعايش مع سيرته وسنته بقلبه وجوارحه.

= الجنائز، والحاكم مختصراً (٥٧/٣)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي وصححه الألباني في مختصر الشمائل وصحيح ابن ماجه.  
(١) الأساس في السنة وفقهاها، السيرة النبوية (١٠٤٦/٢) - دار السلام.  
(٢) أخرجه البخارى (٣٥٣٦) المناقب - ومسلم (٢٣٤٩) الفضائل.  
(٣) أخرجه مسلم (٢٤٥٤) فضائل الصحابة.

فيا شباب الصحوة الإسلامية تمسكوا بسنة حبيبكم ﷺ واعرفوا سيرته لتسعدوا في الدنيا بنعمة الاتباع وفي الآخرة بصحبته ﷺ في تلك الجنة التي أعدها لكم الرحمن (جل جلاله).. تلك الجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وأخيراً: فمن استفاد من هذا الكتاب فائدة فأرجو ألا يبخل على بدعوة صالحة عسى الله أن يتغمدني برحمته وأن يتقبل مني هذا الجهد المتواضع وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم أدرج في أكفاني وأن يجعله ذخراً لي في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آل وصحبه وسلم.

وكتبه

أفقر خلق الله إلى رحمة الرحيم الغفار

محمود المصري (أبو عمار)



## مراجع الكتاب

- ١ - الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني - ط. دار الكتب العلمية.
- ٢ - أسباب النزول: للواحدى - ط. مكتبة الدعوة.
- ٣ - الاستيعاب: لابن عبد البر.
- ٤ - أسد الغابة: لابن الأثير - ط. دار الشعب.
- ٥ - أصحاب الرسول: محمود المصرى (أبو عمار) - ط. مكتبة التقوى.
- ٦ - أعلام النبوة: للماوردى - ط. الكليات الأزهرية.
- ٧ - الأساس فى السنة: لسعيد حوى - دار السلام.
- ٨ - الإعلام بما فى دين النصارى من فساد وأوهام: للقرطبي - دار التراث.
- ٩ - الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان: شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة.
- ١٠ - الأحكام السلطانية: للماوردى.
- ١١ - إمتاع الأسماع: للمقريزى.
- ١٢ - إرواء الغليل: للألبانى - ط. المكتب الإسلامى.
- ١٣ - البداية والنهاية: ابن كثير - ط. دار الكتب العلمية.
- ١٤ - تاريخ دمشق: لابن عساكر.
- ١٥ - تاريخ الطبرى: لابن جرير الطبرى. - دار المعارف.
- ١٦ - تفسير القرآن العظيم: لابن كثير - دار المعرفة بيروت .
- ١٧ - تهذيب سيرة ابن هشام: عبد السلام هارون - مكتبة السنة.
- ١٨ - تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد: الألبانى.
- ١٩ - تهذيب الأسماء واللغات: النووى - دار الكتب العلمية.
- ٢٠ - التبصرة: لابن الجوزى - ط. دار ابن خلدون.
- ٢١ - تفسير الطبرى - ط. دار المعرفة.
- ٢٢ - تفسير ابن أبى حاتم - ابن أبى حاتم.
- ٢٣ - تهذيب التهذيب: لابن حجر العسقلاني.

- ٢٤ - تاريخ إسلام: للنجيب آبادي.
- ٢٥ - تهذيب السنن: لابن القيم.
- ٢٦ - تأملات في السيرة النبوية: محمد السيد الوكيل.
- ٢٧ - الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي - ط. دار الحديث.
- ٢٨ - جامع الأصول: ابن الأثير - ط. دار الفكر.
- ٢٩ - جوامع السير: لابن حزم.
- ٣٠ - جامع البيان: لابن جرير الطبري.
- ٣١ - الجزء من جنس العمل: د. سيد حسين العفاني.
- ٣٢ - الجرح والتعديل: لابن أبي حاتم.
- ٣٣ - الجامع لشعب الإيمان: للبيهقي.
- ٣٤ - حلية الأولياء: لأبي نعيم.
- ٣٥ - حدائق ذات بهجة: عائض القرني - دار ابن حزم.
- ٣٦ - دلائل النبوة: للبيهقي - ط. دار الريان.
- ٣٧ - دلائل النبوة: لأبي نعيم.
- ٣٨ - دراسة مرويات العهد المكي: عادل عبد الغفور.
- ٣٩ - الدرر في اختصار المغازي والسير: ابن عبد البر.
- ٤٠ - دراسة في السيرة: عماد الدين خليل.
- ٤١ - الدرر المنتور: السيوطي.
- ٤٢ - رياض الصالحين: للنووي - تحقيق: محمود المصري (أبو عمار).
- ٤٣ - الروض الأنف: للسهيلي.
- ٤٤ - الرياض النضرة في مناقب العشرة: المحب الطبري.
- ٤٥ - الرحيق المختوم: المباركفوري - ط. مكتبة قرطبة.
- ٤٦ - رجال حول الرسول: خالد محمد خالد.
- ٤٧ - رحمة للعالمين: محمد سليمان المنصورفوري.
- ٤٨ - روضة المحبين: ابن القيم.
- ٤٩ - زاد المعاد: ابن القيم - دار الريان.

- ٥٠ - سلسلة الأحاديث الصحيحة: الألباني - المكتب الإسلامي.
- ٥١ - سنن الدارمي - دار الكتب العلمية.
- ٥٢ - سنن النسائي - شرح السيوطي وحاشية السندی - المكتبة العلمية.
- ٥٣ - سنن ابن ماجه - بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي - المكتبة العلمية.
- ٥٤ - سيرة ابن هشام - ط. دار الحديث.
- ٥٥ - السنن الكبرى: لليهقي.
- ٥٦ - السنة: لابن أبي عاصم.
- ٥٧ - سير أعلام النبلاء: الذهبي - مؤسسة الرسالة.
- ٥٨ - سلسلة معارك الإسلام الفاصلة: محمد أحمد باشميل.
- ٥٩ - السيرة النبوية دروس وعبر: مصطفى السباعي.
- ٦٠ - شرح السنة: للبغوي - المكتب الإسلامي.
- ٦١ - شرح معاني الآثار: للطحاوي.
- ٦٢ - شرح المواهب: للزرقاني.
- ٦٣ - الشفا في التعريف بحقوق المصطفى: القاضي عياض.
- ٦٤ - صحيح سنن ابن ماجه: الألباني - ط. مكتبة التربية.
- ٦٥ - صحيح سنن الترمذي: الألباني - ط. مكتبة التربية.
- ٦٦ - صحيح سنن أبي داود: الألباني - ط. مكتبة التربية.
- ٦٧ - صحيح سنن النسائي: الألباني - ط. مكتبة التربية.
- ٦٨ - صحيح الجامع الصغير وزيادته: الألباني - المكتب الإسلامي.
- ٦٩ - صلاح الأمة في علو الهمة: د سيد حسن العفاني.
- ٧٠ - صدقوا ما عاهدوا: محمود المصري (أبو عمار).
- ٧١ - صحيح مسلم بشرح النووي - ط. قرطبة.
- ٧٢ - صور من حياة الصحابة: عبد الرحمن رأفت الباشا.
- ٧٣ - صفة الصفوة: ابن الجوزي.
- ٧٤ - صحيح ابن خزيمة: تحقيق د. مصطفى الأعظمي والألباني.
- ٧٥ - صحيح الأدب المفرد: الألباني.

- ٧٦ - صحايات حول الرسول ﷺ : محمود المصرى (أبو عمار).
- ٧٧ - صور من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين. محمود المصرى (أبو عمار).
- ٧٨ - صحيح السيرة النبوية: إبراهيم العلى.
- ٧٩ - الطبقات الكبرى: ابن سعد - دار الكتب العلمية.
- ٨٠ - عون المعبود شرح سنن أبي داود - دار الفكر.
- ٨١ - العقد الفريد: لابن عبد ربه.
- ٨٢ - عارضة الأحوذى شرح جامع الترمذى: لابن العربى.
- ٨٣ - عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل السير: لابن سيد الناس.
- ٨٤ - فتح البارى شرح صحيح البخارى - دار الريان.
- ٨٥ - فقه السيرة: محمد الغزالى - بتحقيق الألبانى - دار الدعوة.
- ٨٦ - فقه السيرة: محمد سعيد رمضان البوطى - دار السلام.
- ٨٧ - فى ظلال القرآن: سيد قطب - دار الشروق.
- ٨٨ - الفصول فى اختصار سيرة الرسول: ابن كثير.
- ٨٩ - فقه السيرة: منير الغضبان.
- ٩٠ - فضل الله الصمد شرح الأدب المفرد: فضل الله الجيلانى.
- ٩١ - فبهدهم اقتده: عبد العزيز ناصر الجليل.
- ٩٢ - الفتح الربانى بترتيب مسند أحمد بن حنبل على أبواب البخارى: الساعاتى - دار إحياء التراث العربى.
- ٩٣ - فتح مكة: محمد أحمد بشاميل.
- ٩٤ - فيض القدير: المناوى - دار المعرفة.
- ٩٥ - فى موكب الدعوة: محمد الغزالى.
- ٩٦ - قواعد الأحكام فى مصالح الأنام: العز بن عبد السلام.
- ٩٧ - قصص الأنبياء: ابن كثير - مكتبة أبو بكر الصديق.
- ٩٨ - الكشف: للزمخشرى.
- ٩٩ - لسان العرب: لابن منظور - دار الفكر.
- ١٠٠ - لطائف المعارف: ابن رجب - دار الجليل.



- ١٠١ - مختصر تسليية أهل المصائب: محمد المنبجى - اختصار وتحقيق: محمود المصرى (أبو عمار).
- ١٠٢ - مصنف ابن أبى شيبة.
- ١٠٣ - مختصر تفسير ابن كثير: محمد نسيب الرفاعى.
- ١٠٤ - مجمع الزوائد: نور الدين الهيثمى.
- ١٠٥ - ميزان الاعتدال: للذهبى.
- ١٠٦ - معجم الأدباء: ياقوت الحموى.
- ١٠٧ - مختصر الشمائل المحمدية: للألبانى.
- ١٠٨ - مختصر سيرة الرسول ﷺ: محمد بن عبد الوهاب.
- ١٠٩ - المجتمع المدنى فى عهد النبوة: د. أكرم العمرى.
- ١١٠ - مستدرک الحاكم وبهامشه تلخيص الذهبى.
- ١١١ - مسند الإمام أحمد.
- ١١٢ - مشكاة المصابيح للتبريزى بتحقيق الألبانى.
- ١١٣ - محاسن التأويل: للقاسمى.
- ١١٤ - المطالب العالية: ابن حجر العسقلانى - المكتب الإسلامى.
- ١١٥ - مختصر سيرة الرسول: عبد الله النجدى.
- ١١٦ - من إلهامات الهجرة: محب الدين الخطيب.
- ١١٧ - المصنف: لعبد الرزاق الصنعانى.
- ١١٨ - المعجم الكبير: للطبرانى.
- ١١٩ - معرفة السنن والآثار: للبيهقى.
- ١٢٠ - مشكل الآثار: للطحاوى.
- ١٢١ - مسند أبى يعلى الموصلى: تحقيق حسين سليم أسد.
- ١٢٢ - الموطأ: لمالك بن أنس.
- ١٢٣ - المغنى: لابن قدامة.
- ١٢٤ - المنهج الحركى للسيرة النبوية: منير الغضبان.
- ١٢٥ - المحلى: لابن حزم.

- ١٢٦ - مواقف من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين: محمود المصرى (أبو عمار).
- ١٢٧ - المنتقى: لابن الجارود.
- ١٢٨ - مغازى الواقدي.
- ١٢٩ - محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية: الخضرى.
- ١٣٠ - مواقف تربوية من السيرة النبوية: عبد الحميد جاسم البلالى.
- ١٣١ - موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان: نور الدين الهيثمى.
- ١٣٢ - نساء مبشرات بالجنة: أحمد خليل جمعة.
- ١٣٣ - نساء أهل البيت: أحمد خليل جمعة.
- ١٣٤ - نيل الأوطار: للشوكانى.
- ١٣٥ - نصب الراية: للزيلعى.
- ١٣٦ - نضرة النعيم فى مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ.
- ١٣٧ - نور اليقين: محمد الخضرى.
- ١٣٨ - هذا الحبيب يا محب: أبو بكر الجزائرى.
- ١٣٩ - وقفات تربوية مع السيرة النبوية: أحمد فريد.
- ١٤٠ - ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون: محمود المصرى (أبو عمار).

\*\*\*

٥٨	قصة رضاع الحبيب
٦٠	حادثة شق الصدر
٦٢	فراق مؤلم
٦٢	وفاة أمه عليه السلام
٦٣	النبي ﷺ يزور قبر أمه
٦٣	(أم أيمن) أمي بعد أمي
٦٣	مكاتها عند رسول الله ﷺ
٦٤	وفاة جده عبد المطلب
٦٤	كان النبي ﷺ يرعى الغنم
٦٥	كفالة أبي طالب لرسول الله ﷺ
٦٦	وعرفت البركة طريقها إلى هذا البيت
٦٦	ويزداد الحب يوماً بعد يوم
٦٧	قصة بحيرا الراهب
٦٨	الله (عز وجل) يعصم نبيه ﷺ من أقدار الجاهلية
٧٠	حرب الفجار
٧١	حلف الفضول
٧٢	زواجه ﷺ من خديجة (رضي الله عنها)
٧٥	منزلة خديجة (رضي الله عنها)
٧٧	النبي ﷺ يشارك في بناء الكعبة
٨٠	شمس النبوة تشرق على أرض الجزيرة
٨٠	بدء الوحي
٨٢	حزن النبي ﷺ لفتور الوحي
٨٣	كيف كان يأتي الوحي رسول الله ﷺ
٨٥	النبي ﷺ يرى جنة أو جنتين لورقة بن نوفل
٨٥	مراحل الدعوة الإسلامية في حياة النبي ﷺ
٨٥	مرحلة الدعوة السرية
٨٦	حكمة جليلة
٨٦	الرعي الأول
٨٨	هؤلاء أتباع الرسل
٨٩	أول الناس إسلاماً

## فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
إهداء واعتراف لأصحاب الفضل	٣
بين يدي الكتاب	٦
مزايا السيرة النبوية وأهمية دراستها	١٠
<b>النسب الشريف للنبي ﷺ</b>	<b>١٥</b>
مكانة النبي ﷺ بين قومه	١٦
خاتم النبيين ﷺ	١٨
الصفات الخلقية للحبيب ﷺ	١٨
وإنك لعلى خلق عظيم	٢١
أسماء النبي ﷺ وكناه	٢٣
أزواج النبي ﷺ (أمهات المؤمنين)	٢٦
أولا النبي ﷺ	٢٨
صفة النبي ﷺ في التوراة وتبشير اليهود به	٢٩
إخبار الكهان عن بعثة النبي ﷺ	٣١
حالة المجتمع الجاهلي قبل بعثة الحبيب ﷺ	٣٢
العادات السيئة في المجتمع الجاهلي	٣٤
النكاح في الجاهلية	٣٩
العادات الحسنة في المجتمع الجاهلي	٣٧
الباحثون عن الحقيقة	٣٨
قصة حفر زمزم	٤٤
قصة نذر عبد المطلب بأن يذبح أحد أبنائه	٤٦
قصة أصحاب الفيل	٤٨
نعمة امتن الله بها على قريش	٥٢
زواج عبد الله من أمينة بنت وهب	٥٣
ميلاد النبي ﷺ	٥٤
النور يخرج ليضيء قصور الشام (عند ولادته)	٥٥
استبشار عبد المطلب بميلاد الحفيد المبارك	٥٦
طلع الليلة نجم أحمد	٥٨

- ١١٥ ..... ما حدث لأبي ذر (رضي الله عنه) ..... ٩٢
- ١١٥ ..... تعذيب الموالى ..... ٩٢
- ١١٥ ..... بلال يردد نشيده الخالد: أحدٌ أحدٌ ..... ٩٣
- ١١٦ ..... اصبروا آل ياسر فإن موعدكم الجنة ..... ٩٤
- ١١٧ ..... وكان حظ (خِجَاب) من العذاب كبيرًا ... ٩٥
- ١١٧ ..... وهكذا عُذِّبوا في سبيل الله (جل وعلا).. ٩٦
- السمة الثالثة: النبي ﷺ يربي أصحابه على الصبر
- ١١٨ ..... على الإيذاء ..... ٩٧
- ١٢٠ ..... حكمة جلييلة ..... ٩٨
- ١٢٢ ..... في دار الأرقم ..... ٩٩
- ١٢٢ ..... أسلم هؤلاء على الرغم من أذى المشركين. ١٠١
- ١٢٣ ..... إسلام حمزة (رضي الله عنه) ..... السمة الأولى: محاولة القضاء على الدعوة بشتى الأساليب ..... ١٠١
- ١٢٤ ..... إسلام عمرو بن عبسة (رضي الله عنه) ... ١٠٤
- ١٢٥ ..... إسلام ضماد الأزدي (رضي الله عنه) .... ١٠٤
- ١٢٦ ..... إسلام أبي ذر (رضي الله عنه) ..... معجزة انشقاق القمر ..... ١٠٤
- السمة الرابعة: النبي ﷺ يربي أصحابه على العقيدة الصحيحة ..... ١٠٥
- ١٢٧ ..... السمة الخامسة: المشركون يعرضون المال والنساء وإيذاء أبي جهل للنبي ﷺ ..... ١٠٥
- ١٣٠ ..... والمناصب على النبي ﷺ فلا يقبلها ..... ١٠٦
- السمة السادسة: النبي ﷺ يبشر أصحابه بنصر الله والتمكين لدينه ..... ١٠٧
- ١٣١ ..... إن التغيير لا بد أن يبدأ من القاعدة ..... ١٠٨
- ١٣٤ ..... أول من جهر بالقرآن ..... ١٠٩
- ١٣٥ ..... ما فعله النبي ﷺ وأصحابه بأصنام المشركين ..... ١٠٩
- ١٣٧ ..... الهجرة الأولى إلى الحبشة ..... ١١٠
- ١٣٨ ..... مفاجأة لا تخطر على البال ..... ١١١
- ١٣٩ ..... الهجرة الثانية إلى الحبشة ..... ١١٣
- ١٤٤ ..... إسلام عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) (١٤٤) ..... ١١٤
- عمر (رضي الله عنه) يُعلن إسلامه أمام المشركين ..... ١١٤
- ١٤٥ ..... النبي ﷺ يدعو لعمر بعد إسلامه ..... ١١٤
- ١٤٦ ..... ما حدث لأبي بكر (رضي الله عنه) ..... ١١٤
- ما حدث لعثمان (رضي الله عنه) ..... ١١٤
- ما حدث لمصعب بن عمير (رضي الله عنه) ..... ١١٤
- ١١٤ ..... محاولة لقتل النبي ﷺ ..... ١١٣
- إيذاء المشركين لأصحاب سيد المرسلين ﷺ ..... ١١٣
- ١١٣ ..... ما حدث لأبي بكر (رضي الله عنه) ..... ١١٤
- ١١٤ ..... ما حدث لعثمان (رضي الله عنه) ..... ١١٤
- ١١٤ ..... ما حدث لمصعب بن عمير (رضي الله عنه) ..... ١١٤
- ١١٤ ..... ما حدث لأبي بكر (رضي الله عنه) ..... ١١٤

موقف الصديق (رضي الله عنه) في قصة الإسراء  
 ١٧١ ..... والمعراج  
 ١٧١ ..... المسجد الأقصى الذي باركنا حوله  
 ١٧٢ ..... النبي ﷺ يعرض نفسه على القبائل  
 ١٧٤ ..... إسلام (إياس بن معاذ)  
 ١٧٤ ..... إسلام (سويد بن صامت)  
 ١٧٥ ..... ست نسفات طيبة من أهل يثرب  
**١٧٦ ..... بيعة العقبة الأولى**  
 ١٧٧ ..... سفير الدعوة الأولى إلى المدينة  
**١٧٩ ..... بيعة العقبة الثانية**  
 ١٨٠ ..... سلعة ثمنها الجنة  
 (كعب بن مالك) يصف هذا الحدث التاريخي  
 العظيم ..... ١٨١  
 العباس يحضر مع النبي ﷺ ويتوثق له ... ١٨٢  
 هؤلاء هم الرجال ..... ١٨٢  
 شيطان يكشف المعاهدة ..... ١٨٣  
 فطنة النبي ﷺ وحكمته ..... ١٨٣  
 قريش... وخوفها من تلك البيعة ..... ١٨٣  
 أسماء الثقباء ..... ١٨٤  
 تلك هي بيعة العقبة ..... ١٨٤  
 فائدة جليلة ..... ١٨٦  
**١٨٧ ..... الهجرة من مكة إلى المدينة**  
 النبي ﷺ يرى في منامه موطن الهجرة ... ١٨٧  
 النبي ﷺ يأذن لأصحابه بالهجرة ..... ١٨٨  
 السابقون إلى الهجرة ..... ١٨٩  
 إنه الإيمان الذي يزن الجبال ..... ١٨٩  
 هجرة أبي سلمة وزوجه (رضي الله  
 عنهما) ..... ١٩٠  
 قصة عياش بن أبي ربيعة وهشام بن  
 العاص ..... ١٩٢  
 هجرة رغم أنوف المشركين ..... ١٩٣

١٤٦ ..... إن إسلام (عمر) كان فتحًا  
 ١٤٧ ..... الصحيفة الظالمة والمقاطعة العامة  
 ١٤٨ ..... كانت قريش بين راضٍ وكاره  
 ١٤٨ ..... نقض الصحيفة  
 ١٤٩ ..... عام الحزن  
 ١٤٩ ..... هكذا يكون الوفاء  
 كان النبي ﷺ يتابع عمه بالدعوة حتى آخر  
 لحظة ..... ١٥٠  
 هو في ضحضاح من نار ..... ١٥١  
 زواج النبي ﷺ بسودة ثم عائشة (رضي الله  
 عنهما) ..... ١٥٢  
 إنا كفيناك المستهزئين ..... ١٥٤  
 ويوم يعض الظالم على يديه ..... ١٥٥  
 النبي ﷺ يدعو على قريش ..... ١٥٦  
 أرضى بجوار الله عز وجل ..... ١٥٧  
 عثمان بن مظعون يرد جوار الوليد بن  
 المغيرة ..... ١٥٨  
 قصة ابن أم مكتوم (رضي الله عنه) ..... ١٥٩  
 النبي ﷺ يخرج ليدعو أهل الطائف ..... ١٦٠  
 اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي ..... ١٦١  
 إسلام (عداس) ..... ١٦٢  
 الله (عز وجل) يرسل إليه جبريل وملك الجبال  
 (عليهما السلام) ..... ١٦٢  
 إسلام نفر من الجن في وادي نخلة ..... ١٦٣  
 الإسراء والمعراج ..... ١٦٤  
 مشاهد الإسراء والمعراج ..... ١٦٥  
 أن الأوان لانتقال القيادة الروحية من أمة إلى  
 أمة ..... ١٦٨  
 هل رأى النبي ﷺ ربه (عز وجل) ..... ١٦٩  
 الله (عز وجل) يُجَلِّي بيت المقدس للنبي  
 ﷺ ..... ١٦٩  
 بعض ما رآه النبي ﷺ ..... ١٧٠

- ٢١٢ ..... فرح أهل المدينة بمقدم رسول الله ﷺ
- ٢١٢ ..... الحبشة يلعبون بالحراب فرحاً بالرسول ﷺ
- ٢١٣ ..... المدينة تضىء لمقدم النبي ﷺ
- ..... نزول النبي ﷺ بفناء أبي أيوب (وبناء المسجد)
- ٢١٣ ..... المشاركة في بناء المسجد
- ٢١٤ ..... صفة المسجد النبوي
- ..... النبي ﷺ ينزل في ضيافة أبي أيوب الأنصاري
- ٢١٥ ..... وهكذا يكون الأدب مع رسول الله ﷺ
- ٢١٦ ..... وهكذا اجتمع الأحباب
- ٢١٧ ..... قصة إسلام (عبد الله بن سلام)
- ٢١٧ ..... ربح صهيب.. ربح صهيب
- ٢١٩ ..... إصابة المهاجرين بحمى المدينة
- ٢١٩ ..... مرض أمنا عائشة (رضى الله عنها)
- ٢٢٠ ..... اللهم حبب إلينا المدينة
- ٢٢٠ ..... من فضائل المدينة المنورة
- ٢٢١ ..... كيف أسس النبي ﷺ للإسلام دولة
- ٢٢٢ ..... المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار
- ٢٢٤ ..... سعد بن الربيع.. وعبد الرحمن بن عوف
- ٢٢٥ ..... أصحاب النبي ﷺ.. والعقيدة الراسخة
- ٢٢٦ ..... أول مولود في دار الهجرة
- ٢٢٧ ..... خبر الأذان
- ٢٢٧ ..... حادثة تحويل القبلة
- ٢٢٨ ..... الحكمة في تحويل القبلة
- ٢٢٩ ..... مشروعية الصيام والزكاة وصدقة الفطر
- ..... قريش تتصل برأس المنافقين للتعاون على إيذاء النبي ﷺ
- ٢٢٩ ..... سعد بن معاذ (رضى الله عنه)
- ٣٣٠ ..... وه محاولة منعه من الطواف بالبيت
- ٣٣١ ..... والله يعصمك من الناس
- ٣٣٢ ..... وقفه جليلة
- ١٩٣ ..... (سالم مولى أبي حذيفة) يؤم المسلمين
- ١٩٤ ..... قبل مقدم النبي ﷺ
- ..... هجرة الرسول ﷺ وصاحبه (رضى الله عنه)
- ١٩٤ ..... الإذن للنبي ﷺ بالهجرة
- ١٩٥ ..... جبريل (عليه السلام) يخبر النبي ﷺ
- ١٩٥ ..... بـصـحـبة أبي بكر
- ١٩٥ ..... في دار الندوة
- ..... على (رضى الله عنه) ينام على فراش النبي ﷺ ليلة الهجرة
- ١٩٦ ..... وما هو حديث الهجرة المباركة
- ١٩٨ ..... في الغار
- ١٩٨ ..... محبة تفوق الخيال
- ١٩٩ ..... وما يعلم جنود ربك إلا هو
- ٢٠٠ ..... ما ظنك باثنين الله ثالثهما
- ٢٠١ ..... ذات النطاقين
- ٢٠٣ ..... سرعة بديهة وحسن تصرف
- ٢٠٣ ..... معجزة للنبي ﷺ.. ومنحة من الرب العلي
- ٢٠٤ ..... قصة سرافقة بن مالك
- ٢٠٥ ..... فطنة وذكاء من أبي بكر (رضى الله عنه)
- ٢٠٦ ..... قصة أم معبد الخزاعية
- ..... موقف الزبير (رضى الله عنه) مع النبي ﷺ وأبي بكر (رضى الله عنه)
- ٢٠٧ ..... سنة من سنن الأنبياء (صلوات ربي وسلامه عليهم)
- ٢٠٩ ..... هجرة لا تنتهي إلى قيام الساعة
- ٢٠٩ ..... وصول النبي ﷺ إلى المدينة
- ٢١٠ ..... النبي ﷺ يؤسس مسجد قباء
- ٢١١ ..... أول جمعة صلاها رسول الله ﷺ
- ٢١٢ ..... متى دخل النبي ﷺ المدينة

أهمية التضرع إلى الله وشدة الاستعانة به. ٢٥٤  
 الله يرسل المطر ليربط على قلوب  
 الموحدين ..... ٢٥٥  
 عريش القيادة النبوية يوم بدر ..... ٢٥٦  
 أردت أن يكون آخر العهد بك ..... ٢٥٦  
 النبي ﷺ يدعو لأصحابه ..... ٢٥٧  
 وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ..... ٢٥٧  
 أول وقود المعركة ..... ٢٥٨  
 هذان خصمان اختصموا في ربهم ..... ٢٥٨  
 كسر هجمات المشركين بالنبل ..... ٢٦٠  
 وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ..... ٢٦٠  
 النبي ﷺ يرتقي بأرواحهم إلى جنة  
 الرحمن ..... ٢٦١  
 الله (عز وجل) يؤيدهم بملائكته ..... ٢٦١  
 وما يعلم جنود ربك إلا هو ..... ٢٦٣  
 قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض ..... ٢٦٣  
 ما الذي يضحك الرب من عبده؟! ..... ٢٦٤  
 مصرع أبي جهل ..... ٢٦٤  
 فرعون هذه الأمة ..... ٢٦٦  
 مصرع أمية بن خلف ..... ٢٦٦  
 إنا كفيناك المستهزئين ..... ٢٦٨  
 إنه في جنة الفردوس ..... ٢٦٩  
 مصرع (عبيد بن سعيد بن العاص) على يد  
 (الزبير) ..... ٢٦٩  
 أسد الله الغالب.. علي بن أبي طالب ..... ٢٧٠  
 (سعد) يقاتل قتال الفارس والراجل ..... ٢٧٠  
 صور مشرقة من الولاء والبراء ..... ٢٧٠  
 موقف عظيم في الولاء والبراء لمصعب بن عمير  
 (رضي الله عنه) ..... ٢٧١  
 أبو عبيدة (رضي الله عنه) ودرس في الولاء  
 والبراء ..... ٢٧٢  
 أئمة الكفر يُقذفون في القليب ..... ٢٧٢

الإذن بالقتال ..... ٢٣٣  
**الغزوات والسرايا قبل بدر ..... ٢٣٥**  
 غزوة ودان «الأبواء» ..... ٢٣٥  
 سرية عبيدة بن الحارث ..... ٢٣٦  
 سرية حمزة إلى سيف البحر ..... ٢٣٦  
 غزوة بواط ..... ٢٣٦  
 غزوة العشييرة ..... ٢٣٧  
 سرية سعد بن أبي وقاص إلى الخزار .... ٢٣٧  
 غزوة بدر الأولى (الصغرى) ..... ٢٣٧  
 سرية عبد الله بن جحش ..... ٢٣٧  
**غزوة بدر الكبرى ..... ٢٤٠**  
 النبي ﷺ يرسل العيون يأتوه بخبر العير .. ٢٤١  
 أحداث الغزوة ..... ٢٤١  
 النبي ﷺ يشاور أصحابه بالمدينة ..... ٢٤٢  
 قوة الجيش.. وتوزيع القيادات ..... ٢٤٢  
 النبي ﷺ يرد صغار السن ..... ٢٤٤  
 ارجع فلن استعين بمشرك ..... ٢٤٤  
 الجيش الإسلامي يتحرك نحو بدر ..... ٢٤٥  
 خوف بعض أئمة الكفر من الخروج ..... ٢٤٥  
 أهل مكة يخرجون للغزو ..... ٢٤٦  
 قوام الجيش المكي ..... ٢٤٦  
 الشيطان يخدع قريشًا ..... ٢٤٦  
 نفي لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم ..... ٢٤٧  
 هذا مصرع فلان ..... ٢٤٧  
 ولو تواعدتم لاختلقتم في الميعاد ..... ٢٤٧  
 موقف حرج للجيش الإسلامي ..... ٢٤٨  
 أشيروا على أيها الناس ..... ٢٤٩  
 النبي ﷺ يبعث استخباراته ليعرف أخبار  
 العدو ..... ٢٥١  
 الانشقاق بين صفوف المشركين ..... ٢٥٢  
 النبي ﷺ يصلي ويدعو حتى أصبح ..... ٢٥٣

- ٢٩١ ..... غزوة بني سليم بالكُدر
- ٢٩١ ..... غزوة السويق
- ٢٩٢ ..... غزوة ذي أمر
- ٢٩٣ ..... غزوة بحران
- ٢٩٣ ..... سرية زيد بن حارثة إلى (القرَد)
- ٢٩٤ ..... هؤلاء هم اليهود
- ٢٩٥ ..... إجلاء يهود بن قينقاع
- ٢٩٦ ..... أين الرجال
- ٢٩٦ ..... موقف رأس المنافقين
- ٢٩٧ ..... مقتل كعب بن الأشرف
- ٢٩٨ ..... النبي ﷺ يودعهم ويدعو لهم
- ٢٩٩ ..... شبهة.. والردّ عليها
- ٣٠٠ ..... **غزوة أحد**
- ٣٠١ ..... النبي ﷺ يستشير أصحابه.. والرؤيا رآها.
- ٣٠٢ ..... جحافل الشرك تتحرك
- ٣٠٢ ..... العباس يخبر النبي ﷺ بتحركات المشركين
- ٣٠٢ ..... الحالة في المدينة
- ٣٠٣ ..... وخرج النبي ﷺ لملاقاة قريش
- ٣٠٣ ..... ظاهر النبي ﷺ بين درعين أخذًا بالأسباب
- ٣٠٤ ..... إنا لا نستعين بالمشركين على المشركين
- ٣٠٤ ..... النبي ﷺ يستعرض الجيش
- ٣٠٥ ..... انخزال المنافقين ورجوعهم
- ٣٠٥ ..... فما لكم في المنافقين فتنين
- ٣٠٥ ..... إذ همّت طائفتان منكم أن تفشلا.. والله وليهما
- ٣٠٦ ..... الجيش الإسلامي يواصل سيره إلى العدو..
- ٣٠٧ ..... وصية النبي ﷺ للرّماة
- ٣٠٧ ..... حقًا إنها خطة حكيمة
- ٣٠٨ ..... من يأخذ هذا السيف بحقه
- ٣٠٩ ..... أبو عامر الفاسق يحرض على المسلمين
- ٢٧٣ ..... النبي ﷺ يدعو لأبي حذيفة
- ٢٧٣ ..... هؤلاء خرجوا كرها
- ٢٧٤ ..... النبي ﷺ يقيم في بدر ثلاثًا
- القتلى من المشركين.. والشهداء من المسلمين
- ٢٧٥ ..... قتل النضر بن الحارث
- ٢٧٥ ..... قتل عقبة بن أبي معيط (في طريق العودة إلى المدينة)
- ٢٧٥ ..... بشائر النصر تصل إلى المدينة المنورة
- ٢٧٦ ..... قريش تتلقى نبأ الهزيمة
- ٢٧٨ ..... تقسيم الغنائم
- ٢٧٨ ..... لولا كتاب من الله سبق
- ٢٧٩ ..... فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم
- ٢٧٩ ..... ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض
- ٢٨٠ ..... فداء الأسرى
- ٢٨١ ..... رحمة للعالمين
- ٢٨١ ..... زينب بنت رسول الله ﷺ تبعث بفداء زوجها
- ٢٨٢ ..... أبي العاص بن الربيع
- ٢٨٢ ..... قصة فداء العباس (عم النبي ﷺ)
- ٢٨٣ ..... لو كان حيًا لأطلقتهم له
- ٢٨٣ ..... عدد من حضر بدرًا
- ٢٨٤ ..... فضل من شهد بدرًا من المسلمين
- ٢٨٥ ..... يا له من عيد
- ٢٨٦ ..... **في أعقاب بدر**
- النبي ﷺ يتزوج حفصة بنت عمر (رضي الله عنهما)
- ٢٨٧ ..... (علي) يتزوج (فاطمة) رضي الله عنهما
- ٢٨٧ ..... هذا مهر فاطمة (رضي الله عنها)
- ٢٨٧ ..... وهذا جهازها (رضي الله عنها)
- ٢٨٨ ..... توثيق الصلوات بالرجال الأربعة
- ٢٨٩ ..... مؤامرة لقتل النبي ﷺ



٣٢٥ ..... (عنه)  
 ٣٢٦ ..... هكذا كان أصحاب النبي ﷺ  
 قصة استشهاد عبد الله بن حرام (والد جابر)  
 ٣٢٦ ..... (رضي الله عنهما)  
 ٣٢٧ ..... الملائكة تظله بأجنحتها  
 ٣٢٧ ..... الله يكلمه بغير حجاب  
 استشهد حنظلة (رضي الله عنه) فغسلته  
 ٣٢٨ ..... الملائكة  
 دخل الجنة.. وما صلى لله صلاة واحدة..  
 ٣٢٨ ..... استشهاد اليمان (والد حذيفة) (رضي الله  
 عنهما)  
 ٣٢٩ ..... استشهاد عبد الله بن جحش (رضي الله  
 عنه)  
 ٣٣٠ ..... عمرو بن الجموح يطأ برجله في الجنة ....  
 ٣٣١ ..... سعد بن الربيع.. ووصيته الغالية للأنصار..  
 ٣٣٢ ..... مصعب بن عمير.. والشهادة في سبيل الله  
 ٣٣٢ ..... قصة قُرمان  
 ٣٣٣ ..... أبو سفيان يتفاخر على المسلمين بعد  
 ٣٣٤ ..... المعركة  
 النبي ﷺ يثبث من عودة المشركين إلى  
 ٣٣٥ ..... مكة  
 ٣٣٥ ..... صلاة النبي ﷺ على شهداء أحد  
 عدد الشهداء من الصحابة (رضي الله  
 عنهم)  
 ٣٣٧ ..... بل أحياء عند ربهم يُرزقون  
 ٣٣٨ ..... دفن الشهداء وتقديم الأحفظ للقرآن  
 ٣٣٨ ..... النبي ﷺ يُثني على الله (عز وجل)  
 ٣٣٩ ..... هذا جبل يحبنا ونحبه  
 ٣٤٠ ..... من نوادر الحب والتضحية  
 ٣٤٠ ..... النبي ﷺ يشهد لهؤلاء شهادة غالية  
 ٣٤٠ ..... غزوة حمراء الأسد  
 ٣٤١ ..... شُبهة... والرد عليها  
 ٣٤٢ .....

جهود نسوة قريش في التحميس  
 ٣١٠ ..... هذا هو الزبير بن العوم (رضي الله عنه)  
 ٣١٠ ..... واندلعت نيران المعركة  
 ٣١٠ ..... وكانت الدولة أول النهار للمسلمين  
 ٣١١ ..... الأسد في أرض المعركة يقاتل بسيفين  
 ٣١٢ ..... النبي ﷺ يُعلم أصحابه في أرض الجهاد  
 ٣١٢ ..... ولقد صدقكم الله وعده  
 ٣١٢ ..... كافؤُ حُسف به  
 ٣١٣ ..... غلظة الرُماة التي غيّرت سير المعركة  
 ٣١٣ ..... خالد بن الوليد يغتنم تلك الفرصة  
 ٣١٤ ..... إشاعة خبر مقتل النبي ﷺ  
 ٣١٤ ..... إصابة النبي ﷺ  
 ٣١٥ ..... الذين ثبتوا مع النبي ﷺ  
 ٣١٦ ..... سبعة من الأنصار يبذلون حياتهم دفاعًا عن النبي  
 ٣١٦ ..... سعد بن أبي وقاص يدافع عن النبي ﷺ يوم  
 ٣١٦ ..... أحد  
 أوجب طلحة (رضي الله عنه) يوم أحد..  
 ٣١٧ ..... أبو طلحة (رضي الله عنه) ودفاعه عن النبي  
 ٣١٩ ..... هذا هو علي بن أبي طالب (رضي الله  
 عنه)  
 ٣٢٠ ..... فطنة وذكاء.. وحبٌ ووفاء  
 ٣٢٠ ..... الملائكة يدافعون عن النبي ﷺ  
 ٣٢١ ..... طلحة ينهض بالنبي ﷺ  
 ٣٢١ ..... هكذا كانت المرأة المسلمة  
 ٣٢١ ..... ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنةً نُعاسًا  
 ٣٢٢ ..... صفحات مضيئة مع باقة من شهداء أحد.  
 ٣٢٣ ..... استشهاد حمزة أسد الله وأسد رسول الله  
 ٣٢٣ ..... التمثيل بجسده الطاهر (رضي الله عنه)  
 ٣٢٤ ..... قصة استشهاد أنس بن النضير (رضي الله

محاولة المنافقين إثارة الفتنة بين المسلمين في هذه  
 الغزوة ..... ٣٦٥  
 إن الله قد صدّقك يا زيد ..... ٣٦٥  
 لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري ..... ٣٦٦  
 موقف عظيم في الولاء والبراء ..... ٣٦٧  
 فوائد جلييلة ..... ٣٦٨  
 والله يعصمك من الناس ..... ٣٦٩  
 هبوب ريح شديدة لموت عظيم من  
 المنافقين ..... ٣٧٠  
**قصة الإفك** ..... ٣٧٠  
 الصديقة وشدة البلاء ..... ٣٧١  
 المبرأة من فوق سبع سماوات ..... ٣٧٢  
 هموم وأحزان تفتت الجبال ..... ٣٧٣  
 والله ما علمت على أهلي إلا خيرًا ..... ٣٧٤  
 كلمات تجعل القلب يبكي الدماء بدل  
 الدموع ..... ٣٧٤  
 فصيرّ جميل ..... ٣٧٥  
 هكذا نزلت براءتها من فوق سبع  
 سماوات ..... ٣٧٥  
 ساعات المحنة ..... ٣٧٦  
 وقفة غالية ..... ٣٧٧  
**غزوة الخندق (الأحزاب)** ..... ٣٧٩  
 سبب تسميتها بالخندق أو الأحزاب .... ٣٧٩  
 متى كانت ..... ٣٨٠  
 بين يدي الغزوة ..... ٣٨١  
 سبب الغزوة ..... ٣٨١  
 حفر الخندق ..... ٣٨٢  
 معجزات الرسول ﷺ في غزوة الخندق .. ٣٨٤  
 موقف المؤمنين والمنافقين عند رؤية  
 الأحزاب ..... ٣٨٦  
 موقف مُخزٍ للمنافقين ..... ٣٨٦  
 والله لا نعطيهم إلا السيف ..... ٣٨٧

الأحكام الفقهية التي اشتملت عليها  
 الغزوة ..... ٣٤٢  
 الحكم والغابات المحمودة التي كانت في غزوة  
 أحد ..... ٣٤٤  
**من آثار غزوة أحد** ..... ٣٤٧  
 (عبد الله بن أنيس) يقتل عدو الله (خالد بن  
 سفيان الهذلي) ..... ٣٤٧  
 يوم الرجيع ..... ٣٤٨  
 وما هي تفاصيل يوم الرجيع ..... ٣٤٩  
 احفظ الله يحفظك ..... ٣٥٠  
 حادثة بئر معونة ..... ٣٥٢  
 هكذا قُتلوا غدراً ..... ٣٥٢  
 (عامر بن فهيرة) رُفِع إلى السماء بعدما  
 قُتل ..... ٣٥٣  
 كانوا يقولون: إن الملائكة دفنته ..... ٣٥٣  
 فُزّت ورب الكعبة ..... ٣٥٤  
 ما الذي فعله (عمرو بن أمية) في طريق  
 عودته ..... ٣٥٤  
 النبي ﷺ يدعو على قتلة القراء ..... ٣٥٥  
 غزوة بني النضير ..... ٣٥٥  
 ونزلت سورة الحشر في بني النضير ..... ٣٥٧  
 اليهود هم اليهود ..... ٣٥٧  
 غزوة بدر الثانية ..... ٣٥٨  
 غزوة دومة الجندل ..... ٣٥٨  
**غزوة بني المصطلق (المريسيع)** ... ٣٥٩  
 دور المنافقين قبل غزوة بني المصطلق .... ٣٦٠  
 متى كانت تلك الغزوة ..... ٣٦١  
 أحداث الغزوة ..... ٣٦٢  
 شعار المسلمين في غزوة بني المصطلق .... ٣٦٣  
 كان إسلامها وزواجها سببًا في حصول الخير  
 لقومها ..... ٣٦٣  
 ودخلت بيت النبوة ..... ٣٦٤

٤٠٨ ..... إسلام بعض يهود بني قريظة  
 ٤٠٨ ..... كيف نزل اليهود من حصونهم  
 ٤٠٨ ..... تنفيذ الحكم  
 قصة المرأة العجيبة التي قُتلت من بني قريظة ..... ٤٠٩  
 قَسَم فيء بني قريظة ..... ٤١٠  
 ريحانة الحبيب ﷺ ..... ٤١٠  
 عرش الرحمن يعتز لموت سعد ..... ٤١١  
 الملائكة تحمل جنازة سعد بن معاذ ..... ٤١١  
 سعد بن معاذ وضمة القبر ..... ٤١٢  
 مناديل سعد بن معاذ في الجنة ..... ٤١٣  
**أحداث وقعت بعد غزوة بني قريظة ٤١٤**  
 زواج النبي ﷺ بزَيْنَب بنت جحش ..... ٤١٤  
 وهكذا أصبحت أمًا للمؤمنين ..... ٤١٥  
 نزول الحجاب ..... ٤١٥  
 الله يأمر بزواجها من فوق سبع سماوات.. ٤١٦  
 مقتل أبي رافع (سلام بن أبي الحقيق) ..... ٤١٧  
 غزوة بني لحيان ..... ٤٢٠  
 سرية نجد وقصة إسلام ثمامة بن أثال ... ٤٢٢  
 ثبات على المبدأ ..... ٤٢٣  
 قصة العُرنين ..... ٤٢٤  
**٤٢٥ صلح الحديبية**  
 لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ..... ٤٢٥  
 وقت الغزوة ..... ٤٢٦  
 عدد المسلمين الذين كانوا مع النبي ﷺ .. ٤٢٧  
 تخلف المنافقين عن الخروج ..... ٤٢٨  
 النبي ﷺ يُحرم من ذي الحليفة ..... ٤٢٩  
 المسلمون يتحركون إلى مكة ..... ٤٢٩  
 محاولة قريش صدّ المسلمين عن البيت ... ٤٢٩  
 حبسها حابس الفيل ..... ٤٣٠  
 تعظيم حُرَمَاتِ الله تعالى ..... ٤٣٠

٣٨٧ ..... شغلهم المشركون عن الصلاة  
 ٣٨٨ ..... هكذا تكون البطولة  
 سعد بن أبي وقاص يرمي رجلاً فيضحك النبي ﷺ ..... ٣٨٩  
 خيانة اليهود ..... ٣٨٩  
 إصابة سعد بن معاذ (رضي الله عنه) .... ٣٩٠  
 محاول فاشلة عند حصون النساء ..... ٣٩١  
 إنها لم تكن معركة خسائر بل معركة أعصاب ..... ٣٩٢  
 رجل المهمات الصعبة ..... ٣٩٣  
 نعيم بن مسعود.. ودوره الخالد ..... ٣٩٣  
 ماذا قدّمت لدين الله؟ ..... ٣٩٤  
 حذيفة يأتيهم بخير القوم ..... ٣٩٧  
 الدعاء.. ومفاتيح النصر ..... ٣٩٨  
 العناية الإلهية تتدخل لتحسم الأمر ..... ٣٩٩  
 نصر الله رسوله ﷺ بريح الصبا ..... ٤٠٠  
 الآن نغزوهم ولا يغزونا ..... ٤٠٠  
**٤٠١ غزوة بني قريظة**  
 مشاركة جبريل (عليه السلام) في محاربتهم ..... ٤٠٢  
 لا يصلين أحدُ العصر إلا في بني قريظة .. ٤٠٢  
 يا إخوان القردة... هل أخزاكم الله؟ ..... ٤٠٣  
 في الطريق إليهم ..... ٤٠٣  
 النبي ﷺ يحاصرهم.. وكعب بن أسد يشاورهم ..... ٤٠٤  
 دعوه حتى يتوب الله عليه ..... ٤٠٤  
 لقد حكمت فيهم بحكم الله ..... ٤٠٥  
 أدب صدّيق الأنصار (سعد بن معاذ) مع النبي ﷺ ..... ٤٠٦  
 كيف ميز النبي ﷺ بين الصغار والبالغين من بني قريظة ..... ٤٠٧  
 عدد بني قريظة الذين قتلهم النبي ﷺ ... ٤٠٧

- ٤٤٧ ..... كان صلح الحديبية فتحًا عظيمًا .....
- ٤٤٧ ..... إسلام أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط .....
- ٤٤٨ ..... النبي ﷺ يبايع النساء .....
- ٤٤٨ ..... قصة أبي بصير (رضي الله عنه) .....
- ٤٥٠ ..... إسلام أبي (العاص بن الربيع) .....
- ٤٥١ ..... ماذا يتمخض عن بنود المعاهدة .....
- ٤٥٣ ..... منزلة أهل الحديبية .....
- ٤٥٣ ..... بعض الفوائد الفقهية المستفادة من قصة الحديبية .....
- ٤٥٦ ..... بعض الحكم التي تضمنتها هذه الهدنة ...
- ٤٥٨ ..... مكاتبه الملوك والأمراء .....**
- ٤٥٨ ..... كتابه ﷺ إلى النجاشي (ملك الحبشة) ..
- ٤٥٩ ..... كتابه ﷺ إلى كسرى (ملك فارس) .....
- ٤٦٠ ..... كتابه ﷺ إلى قيصر (ملك الروم) .....
- ٤٦٣ ..... كتابه ﷺ إلى المقوقس (ملك مصر) .....
- ٤٦٤ ..... كتابه ﷺ إلى الحارث الغساني (صاحب دمشق) .....
- ٤٦٤ ..... كتابه ﷺ إلى هوزة بن علي (صاحب اليمامة) .....
- ٤٦٥ ..... كتابه ﷺ إلى المنذر بن ساوى (حاكم البحرين) .....
- ٤٦٥ ..... كتابه ﷺ إلى ملك عمان .....
- ٤٦٧ ..... غزوة ذي قرد (غزوة الغابة) .....**
- ٤٦٧ ..... وقتها .....
- ٤٦٨ ..... أحداث الغزوة .....
- ٤٧٢ ..... سباق بين سلمة بن الأكوع ورجل من الأنصار .....
- ٤٧٢ ..... قصة المرأة التي أسرت مع ناقة رسول الله ﷺ .....
- ٤٧٤ ..... غزوة خيبر .....**
- ٤٧٤ ..... سبب الغزوة .....

- ٤٣١ ..... لا يجوز أحدًا الليلة هذه الثانية إلا غفر له ..
- ٤٣١ ..... معجزات النبي ﷺ في قصة الحديبية ....
- ٤٣٢ ..... بُديل بن ورقاء يتوسط بين النبي ﷺ وقريش .....
- ٤٣٣ ..... سفارة قريش .....
- ٤٣٣ ..... إرسال سيد الأحابيش للتفاوض مع النبي ﷺ .....
- ٤٣٤ ..... عروة بن مسعود يفاوض النبي ﷺ .....
- ٤٣٥ ..... هكذا يكون الولاء والبراء لله ولرسوله ﷺ ..
- ٤٣٥ ..... شيء يفوق خيال المشركين .....
- ٤٣٦ ..... سفير النبي ﷺ .....
- ٤٣٧ ..... النبي ﷺ يرسل عثمان بن عفان إلى قريش .....
- ٤٣٨ ..... إشاعة مقتل عثمان ... وبيعة الرضوان ....
- ٤٣٨ ..... قيام معقل بن يسار برفع أغصان الشجرة لثلاث تصطدم بالرسول عليه السلام .....
- ٤٣٨ ..... أول من بايع رسول الله ﷺ .....
- ٤٣٩ ..... من تخلف عن البيعة .....
- ٤٣٩ ..... سلمة بن الأكوع يبايع رسول الله ﷺ ثلاث مرات .....
- ٤٣٩ ..... النبي ﷺ يبايع عن عثمان (رضي الله عنه) .....
- ٤٤٠ ..... على أي شيء بايع الصحابة رسول الله ﷺ يوم الحديبية .....
- ٤٤٢ ..... نزول المطر على المسلمين يوم الحديبية ....
- ٤٤٢ ..... سهّل لكم من أمركم .....
- ٤٤٣ ..... اعتذار (علي) عن محو الشهادة للنبي ﷺ بالرسالة .....
- ٤٤٣ ..... شروط الصلح وبنوده .....
- ٤٤٤ ..... أبو جندل .. وثباته على الحق .....
- ٤٤٥ ..... اعتراض عمر بن الخطاب على بنود الصلح ..
- ٤٤٦ ..... أم سلمة (رضي الله عنها) .. صاحبة الرأي السديد .....

- ٤٩٦ هل قتل النبي ﷺ المرأة التي وضعت السم ..... ٤٧٥ متى كانت تلك الغزوة .....
- ٤٩٧ شدة تأثر النبي ﷺ بالسم ..... ٤٧٦ وعدكم الله مغام كثيرة تأخذونها .....
- ٤٩٧ قسمة الغنائم ..... ٤٧٦ النبي ﷺ يستعمل على المدينة (سباع بن عرفطة) .....
- ٤٩٨ كيفية القسمة ..... ٤٧٦ رأس المنافقين يخبر اليهود بمقدم النبي ﷺ .....
- ٤٩٨ سهم ذوي القربى ..... ٤٧٧ خطة مباركة .....
- ٤٩٩ إعطاء العبيد من الغنائم وعدم الإسهام لهم ..... ٤٧٧ إعطاء النبي عليه السلام للنساء من الغنائم ..... ٤٧٨ حذاء (عامر بن الأكوخ) بجيش المسلمين .....
- ٤٩٩ والإسهام لهن من الثمار ..... ٤٧٩ إنكم تدعون سميغا قريئا .....
- ٤٩٩ قصة أبي هريرة مع أبان بن سعيد بن العاص في قسمة الغنائم ..... ٤٧٩ طعام المسلمين في طريقهم إلى خيبر .....
- ٥٠٠ رد المهاجرين المنائح التي أعطاهم إياها الأنصار ..... ٤٨٠ الجيش الإسلامي يتحرك إلى أسوار خيبر .. ٤٨٠ وأمرهم شورى بينهم .....
- ٥٠٠ تأمير أحد الأنصار على خيبر ..... ٤٨١ حصون خيبر .....
- ٥٠١ قدوم جعفر بن أبي طالب والأشعرين .... ٤٨١ صاحب الراية الذي يفتح الله على يديه حصون خيبر .....
- ٥٠٢ قصة الحجاج بن علاط مع أهل مكة .... ٤٨٢ خيبر .....
- ٥٠٣ الأحكام الفقهية المستفادة من غزوة خيبر ..... ٤٨٣ (علي) يقتل (مرحب اليهودي) .....
- ٥٠٦ فتح فذك ..... ٤٨٥ فتح حصن الصعب بن معاذ .....
- ٥٠٦ مسير النبي ﷺ إلى وادي القرى ..... ٤٨٦ فتح قلعة الزبير .....
- ٥٠٧ استسلام يهود تيماء ..... ٤٨٦ فتح قلعة أبيي .....
- ٥٠٧ وأقم الصلاة لذكري ..... ٤٨٦ فتح حصن النزار .....
- ٥٠٨ السرايا التي كانت بعد خيبر .... ٤٨٦ فتح الشطر الثاني من خيبر .....**
- ٥٠٨ سرية أبي بكر الصديق إلى بني فزارة ..... ٤٨٧ النبي ﷺ يعالج سلمة بن الأكوخ .....
- ٥٠٩ سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى الحرقات ..... ٤٨٧ إن تصدق الله تصدقك .....
- ٥١٠ سرية غالب بن عبد الله الليثي لبني الملوخ بالكديد ..... ٤٨٨ أما إنه من أهل النار .....
- ٥١٢ بعث سرية إلى (إضم) .. وقصة محم بن جثامة ..... ٤٨٩ قصة عبد الله بن مغفل (وجراب الشحم) .....
- ٥١٢ سرية عبد الله بن حذافة السهمي (رضي الله عنه) ..... ٤٨٩ إن صاحبكم غل في سبيل الله .....
- ٥١٤ غزوة ذات الرقاع ..... ٤٩٠ وبذلك تم فتح خيبر .....**
- ٥١٤ متى كانت تلك الغزوة ..... ٤٩٢ النبي ﷺ يتزوج صفية بنت يحيى بن أخطب .....
- ٥١٤ متى كانت تلك الغزوة ..... ٤٩٣ مهرها .....
- ٥١٤ متى كانت تلك الغزوة ..... ٤٩٤ بالمؤمنين رءوف رحيم .....
- ٥١٤ متى كانت تلك الغزوة ..... ٤٩٤ في بيت النبوة .....
- ٥١٤ متى كانت تلك الغزوة ..... ٤٩٥ يهودية تضع للنبي ﷺ شاة مسمومة ....

- ٥٣٤ ..... فضيلة الأمراء الثلاثة
- ٥٣٤ ..... منزلة زيد بن حارثة (رضي الله عنه)
- ٥٣٤ ..... وجعفر يطير بجناحيه في الجنة
- ٥٣٥ ..... حزن النبي ﷺ على جعفر (رضي الله عنه)
- ٥٣٦ ..... وقفة أخيرة
- ٥٣٧ ..... **سرية ذات السلاسل**
- ٥٣٨ ..... أحداثها
- ٥٣٨ ..... إن الله كان بكم رحيمًا
- ٥٤٠ ..... **فتح مكة**
- ٥٤٠ ..... سبب الغزوة
- ٥٤٣ ..... ندّم وأسفّ
- ٥٤٣ ..... الاستعداد لفتح مكة
- ٥٤٤ ..... رسالة حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة
- ٥٤٥ ..... وقت الغزوة
- ٥٤٥ ..... النبي ﷺ يستخلف أبا رهم الغفاري على المدينة
- ٥٤٥ ..... قصة إسلام أبي سفيان بن الحارث وعبد الله بن أبي أمية
- ٥٤٦ ..... قصة إسلام أبي سفيان
- ٥٤٩ ..... هذا يومٌ يُعظم الله فيه الكعبة
- ٥٥٠ ..... فالحيا محياكم والممات مماتكم
- ٥٥٠ ..... محاولات يائسة
- ٥٥٢ ..... ماذا كان يلبس النبي ﷺ أثناء دخوله مكة
- ٥٥٢ ..... النبي ﷺ يقرأ سورة الفتح
- ٥٥٣ ..... راية النبي ﷺ يوم الفتح
- ٥٥٣ ..... النبي ﷺ يطهر المسجد الحرام من الأصنام
- ٥٥٤ ..... النبي ﷺ يصلي داخل الكعبة
- ٥٥٥ ..... إن أكرمكم عند الله أتقاكم
- ٥٥٥ ..... لا تثريب عليكم اليوم
- ٥٥٥ ..... اليوم يوم بر ووفاء
- ٥١٥ ..... جئتكم من عند خير الناس
- ٥١٦ ..... موقف يعجز القلم عن وصفه
- ٥١٧ ..... أثر هذه الغزوة
- ٥١٧ ..... قصة جمل جابر بن عبد الله (رضي الله عنه)
- ٥١٨ ..... عمرة القضاء
- ٥١٩ ..... متى كانت عمرة القضاء
- ٥١٩ ..... ارموا ليرى المشركون قوتكم
- ٥٢٠ ..... خلوا بني الكفار عن سبيله
- ٥٢١ ..... خوف الصحابة على النبي ﷺ
- ٥٢١ ..... النبي ﷺ يتزوج ميمونة بنت الحارث (رضي الله عنها)
- ٥٢١ ..... المشركون يطلبون من النبي ﷺ أن يخرج من مكة
- ٥٢٢ ..... خروج ابنة حمزة بن عبد المطلب خلف النبي ﷺ
- ٥٢٢ ..... إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن أبي طلحة
- ٥٢٣ ..... **غزوة مؤتة**
- ٥٢٦ ..... تعيين القادة على جيش مؤتة
- ٥٢٦ ..... أهل المدينة يودعون الجيش
- ٥٢٦ ..... تخلف عبد الله بن رواحة لحضور صلاة الجمعة
- ٥٢٧ ..... هكذا يصنع الإيمان
- ٥٢٩ ..... الجيش الإسلامي يتحرك نحو العدو
- ٥٢٩ ..... بداية القتال... وتناوب القواد
- ٥٣٠ ..... النبي ﷺ ينعي القادة الثلاثة للناس
- ٥٣١ ..... معجزة للنبي ﷺ ووسام على صدر (خالد)
- ٥٣١ ..... ذكاء وفتنة من خالد (رضي الله عنه)
- ٥٣٢ ..... أثر المعركة
- ٥٣٣ ..... دروس غالية للأمة

- ٥٨٢ ..... الله يلقي الرعب في قلوب المشركين
- ٥٨٣ ..... من قتل كافرًا فله سلبه
- ٥٨٤ ..... شجاعة أم سليم (رضي الله عنها)
- ٥٨٤ ..... حركة المطاردة
- ٥٨٦ ..... خسائر المسلمين
- ٥٨٦ ..... الغنائم
- ٥٨٧ ..... بعض ما تضمنته الغزوة من الفوائد الجليلة.
- ٥٨٩ ..... غزوة الطائف**
- ٥٩٠ ..... الأحداث التي كانت في الطائف
- ٥٩٠ ..... من بلغ بسهم فله درجة في الجنة
- ٥٩١ ..... النبي ﷺ يعتق كل من نزل من الحصن ..
- ٥٩١ ..... النبي ﷺ يدعو لهم بالهداية
- ٥٩٢ ..... تقسيم الغنائم
- ذهب الناس بالشاة والبعير.. وعاد الأنصار  
٥٩٣ ..... بالبشير النذير ﷺ
- ٥٩٦ ..... فمن يعدل إن لم يعدل الله ورسوله ﷺ؟
- الأعرابي الذي رفض بُشرى رسول الله  
٥٩٧ ..... ﷺ
- ٥٩٧ ..... قدوم وفد هوازن
- ٥٩٩ ..... كان إسلام (هوازن) نصرًا
- ٥٩٩ ..... عمرة النبي ﷺ من الجعرانة
- ٦٠٠ ..... درس لا يُنسى
- ٦٠١ ..... إسلام (عدي بن حاتم الطائي)
- ٦٠٢ ..... الفوائد والآثار الإيمانية
- ٦٠٤ ..... غزوة تبوك**
- كانت غزوة تبوك استجابة إيمانية لفريضة  
٦٠٤ ..... الجهاد
- ٦٠٥ ..... الأخبار العامة عن استعداد الرومان
- ٦٠٦ ..... النبي ﷺ يأمرهم بالتهيو لغزو الروم
- ٦٠٧ ..... تجهيز جيش العُسرة
- ٦٠٨ ..... الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين
- ٥٥٦ ..... بلال يؤذن فوق الكعبة
- ٥٥٦ ..... قد أجرنا من أجزت يا أم هانئ
- ٥٥٧ ..... النبي ﷺ يُهدر دم بعض المشركين
- إسلام والد أبي بكر الصديق (رضي الله  
عنه) ..... ٥٥٩
- أخذ البيعة ..... ٥٦٠
- ٥٦١ ..... خطب النبي ﷺ يوم الفتح
- ٥٦٣ ..... قصة المرأة المخزومية
- المدة التي أقامها النبي ﷺ في مكة عام  
الفتح ..... ٥٦٣
- السرايا والبعوث ..... ٥٦٤
- سرية خالد بن الوليد إلى بني جذيمة ..... ٥٦٥
- هل فُتحت مكة عُنوة أم صلحًا ..... ٥٦٥
- من أبرز نتائج فتح مكة ..... ٥٦٦
- إشارة إلى ما في الغزوة من الفقه واللطائف ..... ٥٦٧
- ٥٦٩ ..... غزوة حنين**
- وقت هذه الغزوة ..... ٥٦٩
- سبب الغزوة ..... ٥٧٠
- وأُنزل جنودًا لم تروها ..... ٥٧١
- النبي ﷺ يرسل إليهم (عبد الله بن أبي  
حدر) ..... ٥٧٢
- النبي ﷺ يستعير الدروع من صفوان بن  
أمية ..... ٥٧٢
- الجيش الإسلامي يتحرك ..... ٥٧٢
- جاهلية مرفوضة ..... ٥٧٣
- قصة سلمة بن الأكوع مع الجاسوس ..... ٥٧٣
- النبي ﷺ يبشرهم بغنائم حنين ..... ٥٧٤
- مفاجأة لم تخطر ببالهم ..... ٥٧٥
- الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ ..... ٥٧٧
- أين أصحاب السمرة ..... ٥٧٩
- اللهم أنزل نصرك ..... ٥٨٠
- شامت الوجوه ..... ٥٨١

- ٦٢٤ ..... موقف النبي ﷺ من المنافقين
- ٦٢٤ ..... أثر هذه الغزوة
- ٦٢٥ ..... الثلاثة الذين خُلفوا
- ٦٣٢ ..... فوائد جلييلة
- ٦٣٦ ..... موت رأس المنافقين
- ٦٣٦ ..... النبي ﷺ يعود في مرضه
- ٦٣٧ ..... لماذا كساه النبي ﷺ بقميصه؟
- ٦٣٧ ..... وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين
- ٦٣٧ ..... ولا تصل على أحد منهم مات أبداً
- ٦٣٨ ..... ترسيخ حُكم الإسلام
- ٦٣٨ ..... توحيد الجزيرة العربية تحت حكم رسول الله ﷺ
- ٦٣٨ ..... **عام الوفود**
- ٦٣٩ ..... قدوم وفد ثقيف
- ٦٤١ ..... أنت إمامهم
- ٦٤١ ..... عثمان بن أبي العاص يشتكي من اعتراض الشيطان له في صلاته
- ٦٤٢ ..... فوائد جلييلة
- ٦٤٣ ..... حج أبي بكر (رضي الله عنه)
- ٦٤٣ ..... النبي ﷺ يبعث علياً بأربع
- ٦٤٥ ..... وفد بني عامر
- ٦٤٥ ..... وفد عبد القيس
- ٦٤٥ ..... سيطلع عليكم من ها هنا ركب هم خير أهل المشرق
- ٦٤٦ ..... مرحباً بالقوم غير خزايا ولا ندامي
- ٦٤٧ ..... قصة شفاء الرجل المصروع على يد النبي ﷺ
- ٦٤٧ ..... النبي ﷺ يؤخر السنة البعدية للظهر
- ٦٤٨ ..... وفد بني حنيفة وفيهم مسيلمة الكذاب
- ٦٤٩ ..... قرآن مسيلمة الكذاب!!
- ٦٥٠ ..... قدوم وفد الأشعريين وأهل اليمن
- ٦٥٠ ..... الإيمان يمان والحكمة يمانية
- ٦٠٨ ..... لقد كُتبت في الزكاة المتقبلة
- ٦٠٨ ..... أعذار المنافقين
- ٦١٠ ..... البكاءون
- ٦١٠ ..... قصة أصحاب أبي موسى الأشعري
- ٦١١ ..... الجيش الإسلامي يتحرك إلى تبوك
- ٦١١ ..... متى خرج النبي ﷺ من المدينة
- ٦١١ ..... ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى؟
- ٦١٢ ..... مرورهم على ديار ثمود
- ٦١٢ ..... لا تسألوا الآيات
- ٦١٣ ..... النبي ﷺ يدعو.. والسماء تمطر بإذن الله
- ٦١٣ ..... منافق ينكر معجزة الرسول ﷺ
- ٦١٤ ..... حقاً إنها غزوة العسرة
- ٦١٥ ..... هذا جزاء من يعصي أمر رسول الله ﷺ
- ٦١٥ ..... النبي ﷺ يخبرهم عن مكان ناقته التي ضاعت
- ٦١٦ ..... الماء ينهمر من عين تبوك
- ٦١٦ ..... كن أبا خيثمة
- ٦١٧ ..... رحم الله أبا ذر
- ٦١٨ ..... المصالحة وإعطاء الجزية
- ٦١٨ ..... لقد أعطيت الليلة خمسا ما أعطيهن أحد قبلي
- ٦١٨ ..... النبي ﷺ يرسل خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة
- ٦١٩ ..... يا ليتني كنت صاحب الحفرة
- ٦٢٠ ..... النبي ﷺ يرسل إلى قيصر الروم
- ٦٢١ ..... مدة إقامة النبي ﷺ بتبوك
- ٦٢١ ..... عاقبة الاستهزاء بدين الله (عز وجل) وبرسوله ﷺ
- ٦٢١ ..... محاولة اغتيال النبي ﷺ
- ٦٢٢ ..... النبي ﷺ يخبر حذيفة بأسماء المنافقين
- ٦٢٣ ..... استقبال حافل



- ٦٦٧ ..... (٣) الوقوف في عرفة
- ٦٦٧ ..... (٤) الإفاضة من عرفات
- ٦٦٨ ..... (٥) المبيت في مزدلفة
- ٦٦٨ ..... (٦) الوقوف عند المشعر الحرام
- ٦٦٨ ..... (٧) الدفع من مزدلفة لرمي الحمرات
- ٦٦٨ ..... (٨) رمي الجمرة الكبرى
- ٦٦٩ ..... (٩) النحر والحلق
- ٦٦٩ ..... (١٠) الإفاضة لطواف الإفاضة
- ٦٦٩ ..... هذا هو منهج التيسير
- ٦٦٩ ..... النبي ﷺ يعود سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه)
- ٦٧٠ ..... وصيته ﷺ عند عودته إلى المدينة
- ٦٧٠ ..... بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين
- ٦٧١ ..... وقفة هامة
- ٦٧٢ ..... **مرض الرسول ﷺ ووفاته**
- ٦٧٣ ..... العلامات التي أشارت إلى قرب انتهاء أجله
- ٦٧٣ ..... بداية مرضه ﷺ واستئذانه أن يُمرض في بيت عائشة
- ٦٧٦ ..... النبي ﷺ يشكو من الصداع بعد عودته من البقيع
- ٦٧٦ ..... إني أوعك كما يوعك رجلان منكم
- ٦٧٧ ..... كانت عائشة (رضي الله عنها) تمسحه بيده رجاء البركة
- ٦٧٧ ..... النبي ﷺ يخطب وينعي نفسه
- ٦٧٨ ..... الوصايا التي أوصى بها النبي ﷺ قبل وفاته
- ٦٧٨ ..... النبي ﷺ ينهي الأمة عن اتخاذ القبور مساجد
- ٦٧٩ ..... وصيته بإخراج اليهود والنصارى من أرض الجزيرة
- ٦٧٩ ..... وصيته بإغلاق الأبواب المفتوحة على المسجد إلا
- ٦٥١ ..... قبولهم البشرى من رسول الله ﷺ
- ٦٥١ ..... وفد مزينة
- ٦٥١ ..... وفد دوس
- ٦٥٢ ..... وفد نجران
- ٦٥٣ ..... وفد ضمامة بن ثعلبة
- ٦٥٤ ..... وهكذا تتابعت الوفود
- ٦٥٥ ..... قدوم جرير بن عبد الله البجلي
- ٦٥٦ ..... منقبة عظيمة لجرير (رضي الله عنه)
- ٦٥٦ ..... ألا تريحني من ذي الخلصة؟
- ٦٥٦ ..... قدوم تميم الداري (وقصة الدجال والجساسة)
- ٦٥٦ ..... النبي ﷺ يُرسل رسله إلى أهل اليمن ...
- ٦٥٩ ..... خالد وعلي (رضي الله عنهما) وقصة إسلام همدان
- ٦٥٩ ..... النبي ﷺ يرسل معاذًا وأبي موسى إلى اليمن
- ٦٥٩ ..... وصية النبي ﷺ لمعاذ (رضي الله عنه)
- ٦٦٠ ..... فراق مؤلم
- ٦٦١ ..... **حجة الوداع**
- ٦٦١ ..... حجة الوداع كما رواها جابر (رضي الله عنه)
- ٦٦٢ ..... الإحرام من الميقات
- ٦٦٣ ..... الطواف للعمرة
- ٦٦٣ ..... السعي بين الصفا والمروة
- ٦٦٣ ..... الأمر بالتحلل: (تحويل الحج إلى عمرة)
- ٦٦٤ ..... تحلل فاطمة بأمر النبي ﷺ
- ٦٦٤ ..... تحلل الصحابة بالتقصير
- ٦٦٤ ..... مناسك الحج
- ٦٦٤ ..... (١) التوجه إلى منى مُحرمين
- ٦٦٤ ..... (٢) التوجه إلى عرفات
- ٦٦٥ ..... الرسول ﷺ يخطب في حجة الوداع
- ٦٦٦ ..... روايات أخرى في خطبة النبي ﷺ

- ٦٩٥ ..... ما الذي وُضع في قبره ﷺ  
 ٦٩٥ ..... من الذي تولى دفن الحبيب ﷺ  
 ٦٩٥ ..... لقد أظلمت المدينة بموت رسول الله ﷺ  
 ٦٩٦ ..... كم كان عمره ﷺ حين مات  
 ٦٩٦ ..... ذكريات مؤلمة  
 ٦٩٨ ..... خاتمة الكتاب  
 ٦٩٩ ..... مراجع الكتاب  
 ٧٠٥ ..... فهرس الموضوعات

\* \* \*

- ٦٧٩ ..... باب أبي بكر  
 ٦٧٩ ..... بعض الإشارات لاستخلاف أبي بكر  
 وصيته لعثمان (رضي الله عنه) بالصبر على البلاء  
 الذي سيصيبه .....  
 ٦٨٠ ..... وصيته بالأنصار (رضي الله عنهم)  
 ٦٨٠ ..... آخر وصايا النبي ﷺ  
 ٦٨١ ..... اثنوني أكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعدي..  
 ٦٨٢ ..... مروا أبا بكر فليصل بالناس  
 ٦٨٣ ..... مراجعة عائشة للنبي ﷺ في إمامة أبي بكر  
 ٦٨٤ ..... سبب مراجعة عائشة للنبي ﷺ  
 ٦٨٤ ..... قبل الوفاة بيوم  
 ٦٨٥ ..... النبي ﷺ يدعو لأسامة بن زيد  
 ٦٨٥ ..... آخر يوم في حياة النبي ﷺ  
 ٦٨٥ ..... وهذه آخر ابتسامة ابتسمها النبي ﷺ  
 النبي ﷺ يعنى نفسه إلى فاطمة إلى فاطمة  
 ٦٨٧ ..... (عليهما السلام)  
 ٦٨٧ ..... ليس على أبيك كربٌ بعد اليوم  
 شدة تأثر النبي ﷺ بالطعام المسموم (يوم  
 خبير) .....  
 ٦٨٧ ..... النبي ﷺ يتسوك قبل موته  
 ٦٨٨ ..... اللهم الرفيق الأعلى  
 ٦٨٨ ..... وهكذا فاضت أطهر روح من أطهر جسد  
 ٦٨٩ ..... موقف أبي بكر (رضي الله عنه)  
 ٦٨٩ ..... اختيار الخليفة قبل دفن الجسد الشريف ..  
 ٦٩٠ ..... خطبة عمر وأبي بكر قبل وبعد البيعة ...  
 ٦٩١ ..... موقف جليل لزيد بن ثابت  
 ٦٩١ ..... تجهيز الجسد الشريف  
 ٦٩٢ ..... صفة كفن النبي ﷺ  
 ٦٩٣ ..... كيف صلوا على رسول الله ﷺ  
 ٦٩٣ ..... كيف دُفن رسول الله ﷺ  
 ٦٩٤ ..... أين دُفن رسول الله ﷺ  
 ٦٩٤ ..... متى دُفن رسول الله ﷺ

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

رفع

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس  
www.moswarat.com

# سيرة الرسول ﷺ

